سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٤٤)

الأهرام

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

٢-"(١٠) - أو لم تعلم كيف أنزل الله تعالى عقابه بفرعون ذي المباني العظيمة التي شادها هو ومن قبله كالأهرامات والمسلات .

(ولفت الأستاذ المراغي في تفسيره النظر إلى أن شكل المسلات التي بناها الفراعنة في مصر يشبه شكل الوتد المقلوب الذي تشد به الخيام) .

(وقيل إن فرعون سمي بذي الأوتاد لأنه ضرب أربعة أوتاد في الأرض وشد إليها أطراف زوجة له حتى هلكت) .".
<أيسر التفاسير لأسعد حومد ص/٥٨٨٠>

٣-"والطير محشورة : أي والطيور مجموعة.

وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب: أي وأعطينا داود الحكمة. وهي الإصابة في الأمور والسداد فيها وفصل الخطاب: الفقه(١) في القضاء ومن ذلك البينة على المدعي واليمين على من أنكر.

معنى الآيات:

السياق الكريم في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتهديد المشركين علهم يتوبون إلى الله ويرجعون قال تعالى ﴿كذبت(٢) قبلهم﴾ أي قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ أي(٣) صاحب الأوتاد التي كان يشد إليها من أراد تعذيبه ويعذبه عليها كأعواد المشانق، ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب لأيكة﴾ أي الغيضة وهي الشجر الملتف وهم قوم شعيب ﴿أولئك الأحزاب﴾ أي الطوائف الكافرة الهالكة ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ أي ما كل واحدة منها إلا كذبت الرسل ﴿فحق عقاب﴾ أي وجب عقابي لهم فعاقبتهم، وما ينظر هؤلاء من قومك ﴿إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾ (٤) أي من فتور ولا انقطاع حتى يهلك كل شيء ولا يبقى إلا وجه الله ذو الجلال والإكرام. وقوله تعالى ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا(٥) قبل يوم الحساب﴾ قالوا هذا لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الآيات من سورة الحاقة. قال غلاة الكافرين كأبي جهل وغيره استهزاء، ربنا عجل لنا قطنا أي كتابنا لنرى ما فيه من حسنات وسيئات قبل يوم القيامة والحساب والجزاء وهم لا يؤمنون ببعث ولا جزاء، وإنما قالوا هذا استهزاء وعنادا أو مكابرة فلذا قال تعالى لرسوله ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد(٦)﴾ أي القوة في دين(٧) الله ﴿إنه أواب﴾ أي رجاع إلى الله تعالى

---

١ - صورة من فصل الخطاب الذي هو الفقه والبصيرة في القضاء روي أن ابن أبي ليلى جلد امرأة مجنونة قذفت رجلا فقالت له يا ابن الزانيين جلدها وهي قائمة في المسجد فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال أخطأ ابن أبي ليلى من ستة وجوه وهي: ١- المجنون لا حد عليه لأنه غير مكلف. ٢- إن كان القذف حقا لله تعالى فلا يقام على القاذف إلا حدا واحد كما هو مذهب أبي حنيفة. ٣- أقام الحد بدون مطالبة المقذوف به. ٤- إنه والى بين الحدين والواجب أن يفرق بينهما. ٥- أنه حدها قائمة والمرأة تحد جالسة مستورة. ٦- أنه أقام الحد في المسجد والإجماع أن الحدود لا تقام في المساجد.

٢ - مفعول كذبت محذوف سيدل عليه ما يأتي من قوله: ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ فالمفعول المحذوف هو الرسل والجملة

بيان لسابقتها تحمل التسلية والعزاء للرسول صلى الله عليه وسلم.

٣ - جائز أن يكون المراد بالأوتاد القوة والبطش أو الأهرام لأنها بناء راسخ في الأرض كالأوتاد جمع وتد بكسر التاء وهو عود غليظ له رأس مفلطح يدق في الأرض ليشد به ظنب الخيمة أو حبالها قال الشاعر:

والبيت لا يبنى إلا على عمد

ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

٤ - الفواق اسم للزمن الذي بين الحلبتين والرضعتين إذ الحالب يجلب الناقة ثم يترك ولدها يرضعها حتى تدر اللبن ثم يبعده ويحلبها مرة ثانية فالفواق هو ما بين الحلبتين والرضعتين.

٥ - القط: هو القسط من الشيء ويطلق كما هنا على قطعة الورق أو ما يكتب عليه العطاء لأحد يسمى بالصك.

٦ - الأيد ليست جمع يد إنما المراد بها القوة والشدة وهو مصدر آد يئيد أيدا. إذا قوى واشتد ومنه التأييد الذي هو التقوية. قال تعالى ﴿فآواكم وأيدكم بنصره﴾.

٧ - شاهده قوله صلى الله عليه وسلم "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وإنه كان أوابا" "في الصحيحين".".

<أيسر التفاسير للجزائري ٤/٤٤٠>

٤ -"استعارة تهكمية.

وليس مسوغها التهكم المحض كما هو الغالب في نوعها، بل فيها علاقة المشابهة، لأن إخراجه إلى البر كاملا بشكته يشبه الإنجاء، ولكنه ضد الإنجاء، فكان بالمشابهة، استعارة، وبالضدية تهكما، والمجرور في قوله: ﴿ببدنك﴾ حال.

والأظهر أن الباء من قوله: ﴿ببدنك﴾ مزيدة للتأكيد، أي تأكيد آية إنجاء الجسد، فيكون قوله: "بدنك" في معنى البدل المطابق من الكاف في ﴿ننجيك﴾ كزيادة الباء في قول الحريري: "فاذا هو أبو زيد بعينه ومينه".

والبدن: الجسم بدون روح وهذا احتراس من أن يظن المراد الإنجاء من الغرق. والمعنى: ننجيك وأنت جسم. كما يقال: دخلت عليه فإذا هو جثة، لأنه لو لم يكن المقصود الاقتصار على تلك الحالة لما كان داع للبليغ أن يزيد ذلك القيد، فإن كل زيادة في الكلام البليغ يقصد منها معنى زائد، وإلا لكانت حشوا في الكلام والكلام البليغ موزون، ولغة العرب مبنية على أساس الإيجاز.

و ﴿لمن خلفك﴾ أي من وراءك. والوراء: هنا مستعمل في معنى المتأخر والباقي، أي من ليسوا معك. والمراد بهم من يخلفه من الفراعنة ومن معهم من الكهنة والوزراء، أي لتكون ذاته آية على أن الله غالب من أشركوا به، وأن الله أعظم وأقهر من فرعون وآلهته في اعتقاد القبط، إذ يرون فرعون الإله عندهم طريحا على شاطئ البحر غريقا. فتلك ميتة لا يستطيعون معها الدجل بأنه رفع إلى السماء، أو أنه لم يزل يتابع بني إسرائيل، أو نحو ذلك من التكاذيب لأنهم كانوا يزعمون أن فرعون لا يغلب، وأن الفراعنة حين يموتون إنما ينقلون إلى دار الخلود. ولذلك كانوا يموهون على الناس فيبنون له البيوت في الأهرام ويودعون بها لباسه وطعامه ورياشه وأنفس الأشياء عنده، فموته بالغرق وهو يتبع أعداءه ميتة لا تؤول بشيء من ذلك،

فلذلك جعل كونه آية لمن خلفه علة لإخراجه من غمرة الماء ميتا كاملا، فهم مضطرون إلى الاعتراف بأنه غرق إذا نظروا في تلك الآية.

ولم يعدم فرعون فائدة من إيمانه، فإن الله بحكمته قدر له الخروج من غمرات الماء، فلم يبق في الماء أكلة للحيتان ولكن لفظته الأمواج، وتلك حالة أقل خزيا من حالات سائر جيشه بها ظهر نفع ما له بما حصل لنفسه من الإيمان في آخر أحواله.". <التحرير والتنوير ١٧٢/١١>

٥-"واسم الإشارة إلى المذكور كله من القصص من قصة نوح عليه السلام وما بعدها.

والأنباء: جمع نبأ، وهو الخبر، وتقدم في سورة الأنعام [٣٤] في قوله: ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ . وجملة: ﴿نقصه عليك﴾ حال من اسم الإشارة. وعبر بالمضارع مع أن القصص مضى لاستحضار حالة هذا القصص البليغ.

وجملة ﴿منها قائم وحصيد﴾ معترضة، حال من ﴿القرى﴾ .

و ﴿قائم﴾ صفة لموصوف محذوف دل عليه عطف ﴿وحصيد﴾ ، والمعنى: منها زرع قائم وزرع حصيد، وهذا تشبيه بليغ.

والقائم: الزرع المستقل على سوقه. والحصيد: الزرع المحصود. فعيل بمعنى مفعول. وكلاهما مشبه به للباقي من القرى والعافي.

والمراد بالقائم ما كان من القرى التي قصها الله في القرآن قرى قائما بعضها كآثار بلد فرعون كالأهرام وبلهوبة "وهو المعروف بأبي الهول" وهيكل الكرنك بمصر، ومثل آثار نينوى بلد قوم يونس. وأنطاكية قرية المرسلين الثلاثة، وصنعاء بلد قوم تبع، وقرى بائدة مثل ديار عاد، وقرى قوم لوط، وقرية مدين. وليس المراد القرى المذكورة في هذه السورة خاصة. والمقصود من هذه الجملة الاعتبار.

وضمير الغيبة في ﴿ظلمناهم﴾ عائد إلى ﴿القرى﴾ باعتبار أهلها لأنهم المقصود.

وإنما لم يظلمهم الله تعالى لأن ما أصابهم به من العذاب جزاء عن سوء أعمالهم فكانوا هم الظالمين أنفسهم إذ جروا لأنفسهم العذاب.

وفرع على ظلمهم أنفسهم انتفاء إغناء آلهتهم عنهم شيئا، ووجه ذلك الترتب والتفريع أن ظلمهم أنفسهم مظهره في عبادتهم الأصنام، وهم لما عبدوها كانوا يعبدونها للخلاص من طوارق الحدثان ولتكون لهم شفعاء عند الله وكانوا في أمن من أن ينالهم بأس في الدنيا اعتمادا على دفع أصنامهم عنهم فلما جاء أمرهم بضد ذلك كان ذلك الضد مضادا لتأميلهم وتقديرهم.

والغرض من هذا التفريع التعريض بتحذير المشركين من العرب من الاعتماد على نفع الأصنام، فقد أيقن المشركون أن أولئك الأمم كانوا يعبدون الأصنام كيف وهؤلاء اقتبسوا عبادة الأصنام من الأمم السابقين وأيقنوا أنهم قد حل بهم من الاستئصال ما". <التحرير والتنوير ٣٢٦/١١>

٦-"العلم يقولون﴾ الخ من أول سورة آل عمران [٧].

وفي صلة الموصول من قوله: ﴿ما لم تسطع عليه صبرا﴾ تعريض باللوم على الاستعجال وعدم الصبر إلى أن يأتيه إحداث الذكر حسبما وعده بقوله ﴿فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ .

والمساكين: هنا بمعنى ضعفاء المال الذين يرتزقون من جهدهم ويرق لهم لأنهم يكدحون دهرهم لتحصيل عيشهم. فليس المراد أنهم فقراء أشد الفقر كما في قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ [التوبة: ٦٠] بل المراد بتسميتهم بالفقراء أنهم يرق لهم كما قال الحريري في المقامة الحادية والأربعين:مسكين ابن آدم وأي مسكين.

وكان أصحاب السفينة هؤلاء عملة يأجرون سفينتهم للحمل أو للصيد.

ومعنى ﴿وكان وراءهم ملك﴾ :هو ملك بلادهم بالمرصاد منهم ومن أمثالهم يسخر كل سفينة يجدها غصبا، أي بدون عوض وكان ذلك لنقل أمور بناء أو نحوه مما يستعمله الملك في مصالح نفسه وشهواته. كما كان الفراعنة يسخرون الناس للعمل في بناء الأهرام.

ولو كان ذلك لمصلحة عامة للأمة لجاز التسخير من كل بحسب حاله من الاحتياج لأن ذلك فرض كفاية بقدر الحاجة وبعد تحققها.

و ﴿وراء﴾ اسم الجهة التي خلف ظهر من أضيف إليه ذلك الاسم،وهو ضد أمام وقدام.

ويستعار ﴿الوراء﴾ لحال تعقب شيء شيئا وحال ملازمة طلب شيء شيئا بحق وحال الشيء الذي سيأتي قريبا. كل ذلك تشبيه بالكائن خلف شيء لا يلبث أن يتصل به كقوله تعالى ﴿من ورائهم جهنم﴾ [الجاثية: ١٠].

وقال لبيد:

أليس ورائي أن تراخت منيتي

لزوم العصا تحني عليها الأصابع

وبعض المفسرين فسروا ﴿وراءهم ملك﴾ بمعنى أمامهم ملك. فتوهم بعض مدوني اللغة أن ﴿وراء﴾ من أسماء الأضداد، وأنكره الفراء وقال: لا يجوز أن تقول للذي بين يديك وهو وراءك. وإنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي تقول: وراءك برد شديد، وبين يديك برد شديد. يعني أن ذلك على المجاز، قال الزجاج: وليس من الأضداد كما زعم بعض أهل اللغة.".

<التحرير والتنوير ١٥/١١٧>

٧-"[سورة النمل: ٤٤].

ورجا أن يصل بهذا الصرح إلى السماء حيث مقر إله موسى. وهذا من فساد تفكيره إذ حسب أن السماء يوصل إليها بمثل هذا الصرح ما طال بناؤه، وأن الله مستقر في مكان من السماء.

والاطلاع: الطلوع القوي المتكلف لصعوبته.

وقوله ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ استعمل فيه الظن بمعنى القطع فكانت محاولته الوصول إلى السماء لزيادة تحقيق ظنه، أو لأنه أراد أن يقنع قومه بذلك. ولعله أراد بهذا تمويه الأمر على قومه ليلقي في اعتقادهم أن موسى ادعى أن الله في مكان معين يبلغ إليه ارتفاع صرحه. ثم يجعل عدم العثور على الإله في ذلك الارتفاع دليلا على عدم وجود الإله الذي ادعاه موسى. وكانت عقائد أهل الضلالة قائمة على التخيل الفاسد، وكانت دلائلها قائمة على تمويه الدجالين من زعمائهم.

وقوله ﴿من الكاذبين﴾ يدل على أنه يعده من الطائفة الذين شأنهم الكذب كما تقدم في قوله تعالى ﴿قال أعوذ بالله أن

أكون من الجاهلين﴾ . [البقرة: ٦٧]

ولم يذكر القرآن أن هذا الصرح بني، وليس هو أحد الأهرام لأن الأهرام بنيت من حجارة لا من آجر، ولأنها جعلت مدافن للذين بنوها من الفراعنة. واختلف المفسرون هل وقع بناء هذا الصرح وتم أو لم يقع؛ فحكى بعضهم أنه تم وصعد فرعون إلى أعلاه ونزل وزعم أنه قتل رب موسى. وحكى بعضهم أن الصرح سقط قبل إتمام بنائه فأهلك خلقا كثيرا من عملة البناء والجند. وحكى بعضهم أنه لم يشرع في بنائه. وقد لاح لي في معنى الآية وجه آخر سأذكره في سورة المؤمن.

[٣٩] ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾

الاستكبار: أشد من الكبر، أي تكبر تكبرا شديدا إذ طمع في الوصول إلى الرب العظيم وصل الغالب أو القرين.

و ﴿جنوده﴾ : أتباعه. فاستكباره هو الأصل واستكبار جنوده تبع لاستكباره لأنهم يتبعونه ويتلقون ما يمليه عليهم من العقائد.". <التحرير والتنوير ٥٩/٢٠>

٨-""وما أجمل التعبير عما ترك المصريون من الأبنية الباقية بالأوتاد فإنها هي الأهرام ومنظرها في عين الرائي منظر الوتد الضخم المغروز في الأرض"اهـ.وأكثر الأهرام بنيت قبل زمن فرعون موسى منفتاح الثاني فكان منفتاح هذا مالك تلك الأهرام فإنه يفتخر بعظمتها وليس يفيد قوله: ﴿ذو الأوتاد﴾ أكثر من هذا المعنى إذ لا يلزم أن يكون هو الباني تلك الأهرام.وذلك كما يقال:ذو النيل وقال تعالى حكاية عنه: ﴿وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ [الزخرف:٥١].

وأما ﴿ثمود وقوم لوط﴾ فتقدم الكلام عليهم غير مرة. ﴿وأصحاب الأيكة﴾ و:هم أهل مدين،وقد تقدم خبرهم وتحقيق أنهم من قوم شعيب وأنهم مختلطون مع مدين في سورة الشعراء.

وتقدير ذكر فرعون على ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة مع أن قصته حدثت بعد قصصهم لأن حاله مع موسى أشبه بحال زعماء أهل الشرك بمكة من أحوال الأمم الأخرى فإنه قاوم موسى بجيش كما قاوم المشركون المسلمين بجيوش.

وجملة ﴿أولئك الأحزاب﴾ معترضة بين جملة ﴿كذبت قبلهم﴾ وجملة ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ .واسم الإشارة مستعمل غفي التعظيم،أي تعظيم القوة.

والتعريف في ﴿الأحزاب﴾ استغراق ادعائي وهو المسمى بالدلالة على معنى الكمال مثل: هم القوم وأنت الرجل.والحصر المستفاد من تعريف المسند والمسند إليه حصر ادعائي،قصرت صفة الأحزاب على المشار إليهم بـ ﴿أولئك﴾ بادعاء الأمم وأن غيرهم لما يبلغون مبلغ أن يعدوا من الأحزاب فظاهر القصر ولام الكمال لتأكيد معنى الكمال كقول الأشهب بن رميلة:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

والمعنى:أولئك المذكورون هم الأمم لا تضاهيهم أمم في القوة والشدة.وهذا تعريض بتخويف مشركي العرب من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك على حد قوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب﴾ في سورة غافر[٢٢,٢١].

وجملة ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ مؤكد لجملة ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ إلى قوله:". <التحرير والتنوير ٢٣/١٢٣>

١١-"و لقد رجحنا أن الأوتاد هي الأهرام المصرية لأنها جاءت مع ذكر فرعون. و لقد كان تجار الحجاز يصلون في رحلاتهم التجارية إلى مصر بطريق شرق الأردن و فلسطين على ما تلهم آيات في سورة الصافات التي تذكر الحجازيين بما رأوه من آثار تدمير الله سدوم و عمورة بلدي لوط في غور أريحا، و هي هذه: و إن لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه و أهله أجمعين (١٣٤) إلا عجوزا في الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) و إنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) و بالليل أ فلا تعقلون (١٣٨) و لقد ذكرت الروايات «١» اسم عمرو بن العاص من جملة من زاروا مصر قبل إسلامه. و المتبادر أن الأهرام و هولها و مماثلتها للجبال مما كان يتحدث به الزوار.

أما قصص عاد و ثمود فليست واردة في أسفار أهل الكتاب المتداولة. و هي في صدد قومين عربيين قديمين. و أسلوب الآيات يلهم أن السامعين لا يجهلونها

---

(١) انظر كتاب حياة عمرو بن العاص لإبراهيم حسن.

التفسير الحديث، ج ١، ص: ٥٣٥". <التفسير الحديث ص/٦٨٠>

١٢-"كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و فرعون ذو الأوتاد (١) (١٢) و ثمود و قوم لوط و أصحاب الأيكة أولئك الأحزاب (١٣) إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب (١٤) و ما ينظر (٢) هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق (٣) (١٥) و قالوا ربنا عجل لنا قطنا (٤) قبل يوم الحساب (١٦) [١٢- ١٦].

(١) ذو الأوتاد: الراجح أن المقصود منها الأهرام التي كانت كالجبل.

و القرآن استعمل الكلمة في معنى الجبال، و من ذلك آية في سورة النبأ: و الجبال أوتادا (٧).

(٢) ينظر: ينتظر.

(٣) فواق: رجوع.

(٤) قطنا: قسطنا و نصيبنا.

الآيات متصلة بالسياق اتصال تعقيب و تذكير و إنذار كما هو واضح حيث ذكرت بعض الأقوام الذين أشارت الآيات السابقة إشارة خاطفة إليهم و كيف أن الله أهلكهم دون أن يجدوا مغيثا و لا مهربا و قررت أن كل من كذب في السابق استحق عذاب الله و أن مكذبي النبي صلى الله عليه و سلم لن يلبثوا حتى تأخذهم الصيحة التي لا فواق لهم بعدها و لا رجوع. أما الآية الأخيرة فقد حكت قولا ساخرا من أقوالهم، فيه استخفاف و تحد، جوابا على ما ينذرهم النبي صلى الله عليه و سلم من العذاب، فطلبوا من الله أن يعجل بعذابهم في الدنيا قبل الآخرة، و هذه صورة جديدة من مواقفهم تكررت

منهم و تكررت حكايتها عنهم في القرآن كما جاء في آية سورة الرعد هذه:
و يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة و قد خلت من قبلهم المثلات و إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم و إن ربك لشديد العقاب (٦) و في آية سورة الحج هذه:". <التفسير الحديث ص/١٠٨١>

التفسير الحديث، ج ١٠، ص: ٢٦٢

٥- فهرس الأماكن

- أ-

بابل: ١/ ٢٩٥. ٢/ ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤.

٣/ ٣٦٠. ٥/ ٩٨، ١٠٠، ١٠٥، ١٢٩.

٦/ ٨١، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٤٧٥.

باقردى: ٢/ ٢٨٤.

البحر الأبيض المتوسط: ٦/ ٩٥.". <التفسير الحديث ص/٦٤٧٤>

١٤-"و قد ضرب الله سبحانه وتعالى للكافرين مثلا بآل فرعون . وهم جماعة الفراعين . الذين استكثروا من الدنيا ، وبلغوا من السلطان والقوة ما بلغوا ، حيث استطالوا بما فى أيديهم من سلطان وقوة ، وقال قائلهم للناس ما حكاه القرآن عنه : « أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة و الأولى » (٢٤ . ٢٥) : النازعات.

هكذا يغرى السلطان ويغوى ، إلا من عصم الله ، وقد كان فرعون مثلا بارزا للكفران بنعمة الله ، والاغترار بما مكن الله له فى الأرض. فقال تعالى :

«و فرعون ذي الأوتاد « ١ » الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد » (١٠ . ١٤ : الفجر).

وقوله تعالى : « و الذين من قبلهم » أي الذين سبقوا هؤلاء الفراعين فى الضلال والعتو ، إذ ليس هؤلاء الفراعين هم أول من حاد الله وكفر به ، فالكفر قديم فى الناس ، لا يسلم منه جيل من أجيالهم « إن الإنسان لظلوم كفار » (٣٤ : إبراهيم). وهؤلاء الكفرة جميعا . قريبهم وبعيدهم ، سابقهم ولاحقهم . لن يفلتوا من قبضة الله ، ولن ينجوا من عذابه .. « فأخذهم الله بذنوبهم و الله شديد العقاب » إذ انقطع عملهم من الدنيا ، وصاروا إلى الله بما اقترفوا من

---

(١) المراد بالأوتاد هنا تلك الأهرامات التي رفعها فراعين مصر على وجه الأرض ، فكانت جبالا كالجبال ، التي هى أوتاد الأرض : « أ لم نجعل الأرض مهادا و الجبال أوتادا » (٦ ، ٧ : النبأ)

التفسير القرآني للقرآن ، ج ٢ ، ص : ٤١٠". <التفسير القرآني للقرآن ١/٤٠٠>

١٥-"قوله تعالى :

«كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و فرعون ذو الأوتاد ، و ثمود و قوم لوط و أصحاب الأيكة أولئك الأحزاب » .

فى هذا العرض للأقوام الذين كذبوا رسل الله أمران.

الأول : مواساة للنبى الكريم؟ بهذا الذي لقيه رسل الله من قبله من تكذيب أقوامهم لهم .. فليس النبي . صلى الله عليه وسلم . بدعا فيما ناله من قومه ، من أدى وضر ..

والثاني : هو تهديد لهؤلاء المشركين أن يلقوا هذا المصير المشئوم الذي لقيه المكذبون برسل الله.

فرعون ذو الأوتاد ، هو فرعون مصر الذي وقف من موسى هذا الموقف الذي انتهى به وبجنده إلى الهلاك غرقا.

وأوتاد فرعون ، هى تلك الأهرام التي أقامها فراعين مصر ، فكانت أوتادا على الأرض كالجبال .. فالجبال هى أوتاد الأرض ، كما يقول تعالى :

«و الجبال أوتادا » (٧ : النبأ).

وأصحاب الأيكة : هم قوم شعيب عليه السلام .. والأيكة الشجر الكثير المجتمع بعضه إلى بعض أشبه بالغاية ..

التفسير القرآني للقرآن ، ج ١٢ ، ص : ١٠٥٧

و فى عطف « عاد » على فاعل الفعل « كذبت » وهو « قوم » . إشارة إلى أن المكذبين هم « عاد » لا قوم عاد ، إذ كانت نسبة الأقوام هنا إلى أنبيائهم .. وعاد ليس نبيا .. وكذلك الشأن فى « ثمود » وأصحاب الأيكة ..

أما عطف « فرعون » على عاد ، فلأنه :

أولا : ليس نبيا ، حتى يضاف القوم إليه فى هذا المقام ، ثم إن قوم فرعون ، ليسوا من قوم النبي موسى ، حتى يضافوا إليه ..

وثانيا : لو أضيف القوم إلى فرعون ، لأشعر هذا بأنه غير داخل معهم فى التكذيب .. وهذا غير مراد ..

وثالثا : تسليط فعل التكذيب على فرعون ، يشعر بأنه كان هو الكيان المكذب ، الذي احتوى قومه جميعا فى كيانه هذا ..

وقوله تعالى : « أولئك الأحزاب » .. الإشارة إلى هؤلاء المكذبين الذين ذكرتهم الآيتان السابقتان .. وأنهم الأحزاب الذين جاء ذكرهم فى قوله تعالى :

«". <التفسير القرآني للقرآن ٧١/٢>

١٦-"القضايا التي تستحق من العقل أن يناقشها ، وان يستحضر وجوده كله لها ، وذلك بعد أن استدعى هذا الاستدعاء القوى الذي شد إليه بالقسم ، لينظر فى الزمن ، وما تلد آناته ولحظاته من عجائب.

والقضية التي يدعى إليها العقل هنا ، هى سنة من سنة الله سبحانه وتعالى ، فيما يأخذ به أهل الزيغ والضلال ، من بأساء وضراء فى الدنيا ، وما أعد لهم فى الآخرة من عذاب السعير ..

وفى عاد وثمود وفرعون ، يتمثل وجه كريه من وجوه الكفر والضلال ، والعتو .. وقد أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، فاقتلعهم من جذورهم ، وقطع نسلهم ، وأتى على ما بنوا ، وشيدوا.

وقوله تعالى :

«و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد » معطوف على قوله تعالى : « أ لم تر كيف فعل ربك بعاد » وكيف فعل ربك بثمود؟ وثمود ، هم قوم صالح عليه السلام ، وهم من العرب البائدة ، وديارهم بالحجر بين الشام والعراق ، وقد مر بها النبي ، صلى الله عليه وسلم . فى غزوة تبوك فسجى ثوبه على وجهه ، وأمر أصحابه أن يمروا بها مسرعين ، وقال :

«لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم » وقوله تعالى : « جابوا الصخر » أي قطعوه ، وشقوه كما يشق الجيب ، وهو فتحة الثوب التي يلبس منها .. ومعنى ذلك أنهم نحتوا الصخر فى الوادي الذي

يسكنون فيه ، وجعلوا بيوتهم منحوتة فى كيان الصخر ، فكانت

التفسير القرآني للقرآن ، ج ١٦ ، ص : ١٥٥٣

أشبه بحصون .. كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « و تنحتون من الجبال بيوتا فارهين » (١٤٩ : الشعراء) قوله تعالى :

«و فرعون ذي الأوتاد » معطوف على « و ثمود » ..

والأوتاد جمع وتد ، وهى تلك الأهرامات العظيمة التي أقامها فراعين مصر ، فكانت أشبه بالجبال ، التي هى أوتاد الأرض ، كما يقول سبحانه : « أ لم نجعل الأرض مهادا. و الجبال أوتادا » (٦ ، ٧ : النبأ) وقوله تعالى :

«". <التفسير القرآني للقرآن ٣١/٣>

١٧-"قال يوسف : اجعلني أيها الملك على خزائن الأرض : وهي الخزن التي تخزن فيها الغلال ، وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها ، أي ولني عليها ، لأشرف عليها ، وأتصرف فيها حتى أجعل توازنا اقتصاديا بين سنوات الخصب وسني القحط ، فأنقذ البلاد من المجاعة التي تهدد أهلها ، بحسب الرؤيا التي رأيت لأني حفيظ عليم ، أي خازن أمين ، ذو علم وبصيرة بما يتولاه. وفي هذا إيماء لأهمية التخطيط والتنظيم المالي وإقامة التوازن بين الموارد المالية والنفقات.

فأجابه الملك إلى طلبه ، وجعله وزير المال والخزانة ، وأطلق له سلطة التصرف في شؤون الحكم ، لما لمس لديه من رجاحة عقل ، وخبرة وضبط وسياسة ، وحسن تصرف ، وقدرة على إحكام النظام.

وكذلك مكنا .. أي ومثل هذا الإنعام الذي أنعمنا على يوسف في

ج ١٣ ، ص : ١٠

تقريبه إلى قلب الملك ، وإنجائه من السجن ، مكنا له في الأرض ، أي أقدرناه على ما يريد ، وجعلنا له مكانة ومنزلة في أرض مصر ، فانتقل من كونه مملوكا إلى أن أصبح مالكا آمرا ناهيا ، ذا نفوذ وسلطة ، مطاعا بعد أن كان تابعا لغيره مطواعا ، حرا طليقا بعد أن كان سجينا أسيرا ، وذلك لما تحلى به من صبر ، وإطاعة لله عز وجل ، وعفة وخلق وعقل حكيم ، فإنه صبر على أذى إخوته ، وفي الحبس بسبب امرأة العزيز ، وعف عن السوء والفحشاء ، وامتنع من اقتراف المنكر ، فأعقبه الله النصر والتأييد ، وأصبح في منصب سيده السابق الذي اشتراه من مصر ، العزيز زوج التي راودته ، قال مجاهد : وأسلم الملك على يدي يوسف عليه السلام.

وما أضاعه ربه ورحمه وصانه ، والله تعالى يخص برحمته من يشاء ورحمته وسعت كل شيء ، فيعطي الملك والغنى والصحة ونحوها من يريد من عباده.

وقوله تعالى : برحمتنا أي بإحساننا ، والرحمة : النعمة والإحسان.". <التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٥/١٣>

١٨-"أعمدة طوال منحوتة كمدينتهم ، والصواب لم يوجد مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة كما قال تعالى : واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم في الخلق بصطة ، فاذكروا آلاء الله ، لعلكم تفلحون [الأعراف ٧/

٦٩] ، وقال سبحانه : فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا : من أشد منا قوة ، أولم يروا أن الله الذي خلقهم ، هو أشد منهم قوة [فصلت ٤١/ ١٥].

وجواب القسم المبدوء به في أول السورة محذوف تقديره : لتعذبن يا كفار أهل مكة وأمثالكم ، وقد دل على الجواب هذه الآية : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟ وما بعدها.

وضمير لم يخلق مثلها على الصواب عائد على القبيلة ، أي لم يخلق مثل عاد تلك القبيلة في البلاد ، يعني في زمانهم ، وليس على العماد لارتفاعها كما قال ابن زيد لأنه لو كان المراد ذلك لقال : التي لم يعمل مثلها في البلاد ، وإنما قال : لم يخلق مثلها في البلاد « ١ » .

وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أي وقبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام الذين قطعوا الصخر ونحتوه ، وبنوا بالأحجار بيوتا يسكنون فيها ، وقصورا وأبنية عظيمة ، في الحجر ما بين الشام والحجاز ، أو وادي القرى ، كما جاء في قوله تعالى : وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين [الشعراء ٢٦/ ١٤٩] ، وقوله سبحانه : وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين [الحجر ١٥/ ٨٢].

وفرعون ذي الأوتاد أي وحاكم مصر في عهد موسى عليه السلام ، الذي هو صاحب المباني العظيمة ، ومنها الأهرام التي بناها الفراعنة لتكون قبورا

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤/ ٥٠٧". <التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٣٠/٢١٩>

١٩-"ج ٣ ، ص : ٣٢٢

والدنيا العريضة الذين بنوا الأهرام ، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ، وكانت لهم حضارة وعلوم ، ومعارف وفنون ؟ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم من آثارهم التي تدل على مبلغ ما كان عندهم من الجاه وعلى نهاية عصيانهم وتكبرهم على أنبيائهم ؟

فما أغنى عنهم كسبهم وجاههم ، ولم ينفعهم ما لهم ولا أولادهم ، فلما جاءتهم رسلهم بالآيات والمعجزات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم الدنيوي يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا « ١ » ، وقيل : فرحوا بما عندهم من الخرافات والشبهات الواهية ، وقالوا : نحن أولو علم وحضارة فلا حاجة بنا إلى دين أو رسالة ، عجبا لهؤلاء وأتباعهم!! وربك لقد رأينا وسمعنا عن بعض الجهلة بأمور دينهم الذين تربوا في أحضان (اللادينية) يقولون : لا حاجة بنا إلى شريعة الغاب بعد أن عرفنا أحدث القوانين وأدق النظم!! يا ويلهم فرحوا بما عندهم من علم ، الجهالة خير منه ، وحاق بهم ونزل ما كانوا به يستهزئون من العذاب.

وقيل : إن هذا وصف للأنبياء لما كذبوا من أممهم فرحوا بما عندهم من العلم الذي ينبئهم بأن العاقبة لهم وأن الهلاك للمكذبين المجادلين.

فلما رأى هؤلاء المكذبون بأسنا في الدنيا ، قالوا : آمنا بالله ربنا ، آمنا به وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ، آمنوا ساعة

العذاب ، فلم ينفعهم إيمانهم ، وتلك سنة الله مع الناس جميعا وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار [سورة النساء آية ١٨].

وخسر هنالك الكافرون ، وضل أولئك المبطلون الكافرون ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنته تبديلا.

فاحذروا يا أهل مكة ، احذروا ثم احذروا ..

---

(١) - سورة الروم آية ٧.". <التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع ٣/٣٢٢>

٢٠-"ج ٣ ، ص : ٨٦١

يقول : أنا ربكم الأعلى ، وكان قومه قد برعوا في فن الهندسة والعمارة حتى بنوا الأهرام وأقاموا التماثيل والمسلات ، وما أروع التعبير بقوله : ذي الأوتاد فتلك أبنية ثابتة شامخة ثبوت الأوتاد في الأرض ، وإذا نظرنا إلى الهرم وجدناه أشبه ما يكون بالوتد المقلوب ، هؤلاء جميعا طغوا وبغوا وتجاوزوا الحد في البلاد ، ونشأ عن ذلك أنهم أكثروا فيها الفساد ، فأنزل الله عليهم من العقوبات والعذاب الدنيوي ما يشبه ضرب السياط المتتابعة المتتالية ، وما أدق قوله تعالى : فصب عليهم ربك سوط عذاب حيث شبه الله ما أوقعه بهم من أنواع المهلكات وأصناف العذاب بضرب السياط الذي يكون في أشد العقوبات والله - جل جلاله - إنما يعذب الأمم جزاء لما كانوا يعملون إن ربك لبالمرصاد فهو يجازى المسيء على إساءته ، ولا يفوته واحد منهم ، ولن يعجزه أحد في الأرض ولا في السماء ، فاطمئنوا أيها المسلمون فغدا يلقى كل جزاءه ، واحذروا أيها المشركون فهؤلاء كانوا أشد منكم قوة وأكثر حجما.

[سورة الفجر (٨٩) : الآيات ١٥ الى ٣٠]

فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن (١٥) وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن (١٦) كلا بل لا تكرمون اليتيم (١٧) ولا تحاضون على طعام المسكين (١٨) وتأكلون التراث أكلا لما (١٩)

وتحبون المال حبا جما (٢٠) كلا إذا دكت الأرض دكا دكا (٢١) وجاء ربك والملك صفا صفا (٢٢) وجي ء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (٢٣) يقول يا ليتني قدمت لحياتي (٢٤)

فيومئذ لا يعذب عذابه أحد (٢٥) ولا يوثق وثاقه أحد (٢٦) يا أيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية (٢٨) فادخلي في عبادي (٢٩)

وادخلي جنتي (٣٠)". <التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع ٣/٨٦١>

٢١-"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٥ ، ص : ٣٨٧

فقوله : بالواد علم بالغلبة للمكان الذي كانوا يسكنون فيه ، ويسمى بوادي القرى ، وقد قال - تعالى - في شأنهم : وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين.

والمراد بفرعون هنا : هو وقومه. والمراد بالأوتاد : الجنود والعساكر الذين يشدون ملكه ويقوونه ، كما تشد الخيام وتقوى

بالأوتاد.

قال الآلوسى : وصف فرعون بذلك لكثرة جنوده وخيامهم ، التي يضربون أوتادها في منازلهم ، أو لأنه كان يدق لمن يريد تعذيبه أربعة أوتاد ، ويشده بها .. « ١ ».

وقال بعض العلماء : ووصف فرعون بذي الأوتاد ، لأن مملكته كانت تحتوى على الأهرامات ، التي بناها أسلافه ، لأن صورة الهرم على الأرض تشبه الوتد المدقوق ، ويجوز أن يكون المراد بالأوتاد : التمكن والثبات على سبيل الاستعارة ، أى : ذي القوة .. « ٢ ».

وقال صاحب الظلال : وفرعون ذي الأوتاد وهي على الأرجح الأهرامات ، التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة البنيان ، وفرعون المشار إليه هنا ، هو فرعون الطاغية الجبار ، الذي أرسل الله – تعالى – إليه موسى – عليه السلام – .. « ٣ ».

والمعنى : لقد علمت – أيها الرسول الكريم – وعلم معك كل من هو أهل للخطاب ، ما فعله ربك بقبيلة عاد ، التي جدها إرم بن سام بن نوح ، والتي كانت صاحبة أعمدة عظيمة ترفع عليها بيوتها ، والتي لم يخلق في بلادها مثلها في القوة والغنى.

وعلمت – أيضا – ما فعله ربك بقوم ثمود ، الذين قطعوا صخر الجبال ، واتخذوا منها بيوتا بوادي قراهم ، التي ما زالت معروفة.

وعلمت –كذلك – ما فعلناه بفرعون صاحب المباني القوية الفخمة وصاحب الجنود والعساكر الذين يشدون ملكه.

والذين طغوا في البلاد فأفسدوها ، وتجاوزوا كل حد في العصيان والظلم.

فأكثروا فيها أى : في البلاد الفساد عن طريق الفسوق والخروج عن طاعتنا. فصب عليهم ربك سوط عذاب أى : فكانت نتيجة طغيانهم وفسادهم ، أن أنزل ربك عليهم ، نوعا عظيما من العذاب المهين.

---

(١) تفسير الآلوسى ج ٣٠ ص ١٢٤.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٣٢١ للشيخ ابن عاشور.

(٣) تفسير في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ٥٧١.". <التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٣٨٧/١٥>

٢٢-"أقسم بهذا كله ليلفت النظر إلى عجائب الكون وآثار قدرة الله لعلهم يتفكرون ، أقسم ليقعن الكفار في قبضة القوى القادر ، وليعذبهم عذابا شديدا كما عذب غيرهم من الأمم التي كذبت وكفرت ، وكان عاقبة أمرها خسرا ، وها هي ذي أخبارهم بالإجمال. ألم تر كيف فعل ربك بعاد بعد أن أرسل لها هودا فكذبته وكفرت بالله. وإرم لقبها ، وكانت تسكن الخيام وتتخذ البيوت من الشعر إلا أنها كانت رفيعة العماد ، قوية الجناب ، لم يكن يضاهيها أحد ، ولم يخلق مثلها في البلاد قوة وعددا. وقد ذكر الله أخبار عاد ، وثمود ، وفرعون ، بالتفصيل في سور أخرى كالحاقة وغيرها.

أما ثمود فكانوا ينحتون من الجبال بيوتا حالة كونهم فارهين ، وكانوا يقطعون الصخر وينحتونه لبناء مساكنهم ، وهذه شهادة لهم بقوة العمل وسعة الفكر ، وأما فرعون وما أدراك ما فرعون ؟ إنه ملك مصر وصاحب الحول والطول الذي كان يقول

: أنا ربكم الأعلى ، وكان قومه قد برعوا في فن الهندسة والعمارة حتى بنوا الأهرام وأقاموا التماثيل والمسلات ، وما أروع التعبير بقوله : ذي الأوتاد فتلك أبنية ثابتة شامخة ثبوت الأوتاد في الأرض ، وإذا نظرنا إلى الهرم وجدناه أشبه ما يكون بالوتد المقلوب ، هؤلاء جميعا طغوا وبغوا وتجاوزوا الحد في البلاد ، ونشأ عن ذلك أنهم أكثروا فيها الفساد ، فأنزل الله عليهم من العقوبات والعذاب الدنيوي ما يشبه ضرب السياط المتتابعة المتتالية ، وما أدق قوله تعالى : فصب عليهم ربك سوط عذاب حيث شبه الله ما أوقعه بهم من أنواع المهلكات وأصناف العذاب بضرب السياط الذي يكون في أشد العقوبات والله – جل جلاله – إنما يعذب الأمم جزاء لما كانوا يعملون إن ربك لبالمرصاد فهو يجازى المسيء على إساءته ، ولا يفوته واحد منهم ، ولن يعجزه أحد في الأرض ولا في السماء ، فاطمئنوا أيها المسلمون فغدا يلقى كل جزاءه ، واحذروا أيها المشركون فهؤلاء كانوا أشد منكم قوة وأكثر حجما. (١)

التفسير والبيان :

والفجر ،وليال عشر أي قسما من الله بالفجر ، أي الصبح الذي يظهر فيه الضوء ، وينبلج النور لأنه وقت انفجار الظلمة عن الليل ، كل يوم ، وما يترتب عليه من اليقظة والاستعداد لجلب المنافع وتحقيق المصالح بالانتشار في الأرض وطلب الرزق من الإنسان والحيوان ، كما في قوله تعالى : والصبح إذا تنفس [التكوير ٨١/ ١٨] ، وقوله : والصبح إذا أسفر [المدثر ٧٤/ ٣٤].وقيل : المراد : القسم بصلاة الفجر.

وقسما بالليالي العشر من ذي الحجة ذات الفضيلة:

---

(١) – التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع – (٣ / ٨٦٠)". <المهذب في تفسير جزء عم ص/٥٤٢>

٢٣–"قوم نوح ، وزادكم في الخلق بصطة ، فاذكروا آلاء الله ، لعلكم تفلحون [الأعراف ٧/ ٦٩] ، وقال سبحانه : فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا : من أشد منا قوة ، أولم يروا أن الله الذي خلقهم ، هو أشد منهم قوة [فصلت ٤١/ ١٥].

وجواب القسم المبدوء به في أول السورة محذوف تقديره : لتعذبن يا كفار أهل مكة وأمثالكم ، وقد دل على الجواب هذه الآية : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟ وما بعدها.

وضمير لم يخلق مثلها على الصواب عائد على القبيلة ، أي لم يخلق مثل عاد تلك القبيلة في البلاد ، يعني في زمانهم ، وليس على العماد لارتفاعها كما قال ابن زيد لأنه لو كان المراد ذلك لقال : التي لم يعمل مثلها في البلاد ، وإنما قال : لم يخلق مثلها في البلاد (١) .

وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أي وقبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام الذين قطعوا الصخر ونحتوه ، وبنوا بالأحجار بيوتا يسكنون فيها ، وقصورا وأبنية عظيمة ، في الحجر ما بين الشام والحجاز ، أو وادي القرى ، كما جاء في قوله تعالى : وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين [الشعراء ٢٦/ ١٤٩] ، وقوله سبحانه : وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين [الحجر ١٥/ ٨٢].

وفرعون ذي الأوتاد أي وحاكم مصر في عهد موسى عليه السلام ، الذي هو صاحب المباني العظيمة ، ومنها الأهرام التي بناها الفراعنة لتكون قبورا لهم ، وسخروا في بنائها شعوبهم. وقيل : الأوتاد : الجنود والعساكر والجموع والجيوش التي تشد ملكه.

والتعبير بالأوتاد عن الأبنية يشير إلى هياكلهم العظيمة التي لها شكل الأوتاد المقلوبة ، فهي عريضة القاعدة ، ثم تصير رفيعة دقيقة في رأسها.

الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد أي هؤلاء الذين سبق ذكرهم وهم عاد وثمود وفرعون الذين تجاوزوا في بلادهم الحد في الظلم والجور ، وتمردوا وعتوا ، واغتروا بقوتهم ، وأكثروا الفساد فيها بالكفر والمعاصي وظلم العباد.

فصب عليهم ربك سوط عذاب أي فأنزل الله تعالى على تلك الطوائف نوعا من العذاب الشديد ، مشبها ما أوقعه بهم بالسوط المؤلم الذي يستعمل في تطبيق العقوبات. وقد ذكر نوع عقوباتهم تفصيلا في سورة الحاقة [الآيات : ٥- ١٠].

ثم ذكر الله تعالى سبب العذاب وهو الجريمة ، فقال : إن ربك لبالمرصاد أي إن الله يرصد عمل كل إنسان ، فلا يفوته شيء ، حتى يجازيه عليه بالخير خيرا ، وبالشر شرا ، ولا يهمل منه شيئا قل أو كثر ، صغر أو كبر. والمرصاد : المكان الذي يرقب فيه الرصد.

---

(١) - تفسير ابن كثير : ٤/ ٥٠٧". <المهذب في تفسير جزء عم ص/٥٤٥>

٢٤-"والآية الخامسة توكيد رباني بأن فيما فعله الله في الأولين وفي قسمه بأنه بالمرصاد للطغاة الجاحدين مقنعا لذوي العقول والبصائر.

والأسلوب الاستفهامي الذي جاءت فيه الآية السادسة وما بعدها يلهم أن أخبار عاد وثمود وفرعون وآثارهم والعذاب الرباني الذي حل فيهم غير مجهول عند سامعي القرآن كما يلهم أن ذكرهم هو في معرض التذكير والإنذار والموعظة.

وبهذا يستحكم جواب القسم والإنذار الذي انطوى فيه ، وهذا وذاك هو هدف القصص القرآنية.

ولقد وردت إشارة خاطفة إلى فرعون في سورة المزمل. وأسلوبها يلهم ذينك الأمرين معا. وحكمة ذلك ظاهرة. فالسامع يتأثر بالقصص التي يعرفها أو يعرف عنها شيئا أكثر مما لا يعرفه. وقصة فرعون مع بني إسرائيل وموسى مفصلة في سفر الخروج من أسفار التوراة. ولا بد من أن العرب كانوا يعرفون كثيرا منها من طريق الكتابيين الذين كانوا بينهم ، والذين كانت هذه الأسفار متداولة عندهم.

ولقد رجحنا أن الأوتاد هي الأهرام المصرية لأنها جاءت مع ذكر فرعون. ولقد كان تجار الحجاز يصلون في رحلاتهم التجارية إلى مصر بطريق شرق الأردن وفلسطين على ما تلهم آيات في سورة الصافات التي تذكر الحجازيين بما رأوه من آثار تدمير الله سدوم وعمورة بلدي لوط في غور أريحا ، وهي هذه : وإن لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) إلا عجوزا في الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا تعقلون (١٣٨) ولقد ذكرت الروايات اسم عمرو بن العاص من جملة من زاروا مصر قبل إسلامه. والمتبادر أن الأهرام وهولها

ومماثلتها للجبال مما كان يتحدث به الزوار.

أما قصص عاد وثمود فليست واردة في أسفار أهل الكتاب المتداولة. وهي في صدد قومين عربيين قديمين. وأسلوب الآيات يلهم أن السامعين لا يجهلونها و أنها وصلت إليهم منقولة من جيل إلى جيل. وفي سورة العنكبوت آية قد يكون فيها دليل على أن من سامعي القرآن من زار مساكن عاد وثمود ورأى أطلالها وخرائبها وسمع أن الله تعالى قد دمرها بعذابه بسبب تكذيب أهليها لرسوليهم هود وصالح عليهما السلام وهي هذه : وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (٣٨) وبلاد عاد هي في جنوب اليمن مما يعرف اليوم ببلاد حضرموت وبلاد ثمود هي في شمال الجزيرة العربية وعلى طريق بلاد الشام مما يعرف اليوم ببلاد مداين صالح. وكانت القوافل الحجازية التجارية تمر بمداين صالح في طريقها إلى بلاد الشام ومصر كما كانت تصل إلى بلاد حضرموت في رحلتها الشتوية إلى اليمن.". <المهذب في تفسير جزء عم ص/٥٥٢>

٢٥-"﴿ وفرعون ذي الأوتاد ﴾ . . وهي على الأرجح الأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة البنيان . وفرعون المشار إليه هنا هو فرعون موسى الطاغية الجبار .

هؤلاء هم ﴿ الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ﴾ . . وليس وراء الطغيان إلا الفساد . فالطغيان يفسد الطاغية ، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء . كما يفسد العلاقات والارتباطات في كل جوانب الحياة . ويحول الحياة عن خطها السليم النظيف ، المعمر الباني ، إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال . .

إنه يجعل الطاغية أسير هواه ، لأنه لا يفيء إلى ميزان ثابت ، ولا يقف عند حد ظاهر ، فيفسد هو أول من يفسد؛ ويتخذ له مكانا في الأرض غير مكان العبد المستخلف؛ وكذلك قال فرعون . . ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ عندما أفسده طغيانه ، فتجاوز به مكان العبد المخلوق ، وتطاول به إلى هذا الادعاء المقبوح ، وهو فساد أي فساد .

ثم هو يجعل الجماهير أرقاء أذلاء ، مع السخط الدفين والحقد الكظيم ، فتتعطل فيهم مشاعر الكرامة الإنسانية ، وملكات الابتكار المتحررة التي لا تنمو في غير جو الحرية . والنفس التي تستذل تأسن وتتعفن ، وتصبح مرتعا لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة . وميدانا للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك . وفقدان الأريحية والهمة والتطلع والارتفاع ، وهو فساد أي فساد . .

ثم هو يحطم الموازين والقيم والتصورات المستقيمة ، لأنها خطر على الطغاة والطغيان . فلا بد من تزييف للقيم ، وتزوير في الموازين ، وتحريف للتصورات كي تقبل صورة البغي البشعة ، وتراها مقبولة مستساغة . . وهو فساد أي فساد .

فلما أكثروا في الأرض الفساد ، كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد :﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد ﴾ . .

فربك راصد لهم ومسجل لأعمالهم . فلما أن كثر الفساد وزاد صب عليهم سوط عذاب ، وهو تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط ، وبفيضه وغمره حين يذكر الصب . حيث يجتمع الألم اللاذع والغمرة الطاغية ، على الطغاة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد .

ومن وراء المصارع كلها تفيض الطمأنينة على القلب المؤمن وهو يواجه الطغيان في أي زمان وأي مكان . ومن قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ تفيض طمأنينة خاصة . فربك هناك . راصد لا يفوته شيء . مراقب لا يند عنه شيء . فليطمئن بال المؤمن ، ولينم ملء جفونه . فإن ربه هناك! . . بالمرصاد . . للطغيان والشر والفساد!

وهكذا نرى هنا نماذج من قدر الله في أمر الدعوة ، غير النموذج الذي تعرضه سورة البروج لأصحاب الأخدود . وقد كان القرآن ولا يزال يربي المؤمنين بهذا النموذج وذاك . وفق". <المهذب في تفسير جزء عم ص/٥٥٥>

٢٦-". فالضمير فى ﴿ مثلها ﴾ يعود إلى القبيلة .

ومن زعم أن المراد بقوله : ﴿ إرم ذات العماد ﴾ مدينة إما دمشق أو الاسكندرية . . ففيه نظر . . لأن المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وليس المراد بالإخبار عن مدينة أو إقليم . وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بما ذكره جماعة من المفسرين من أن المراد بقوله - تعالى - : ﴿ إرم ذات العماد . . . ﴾ مدينة مبنية بلبن الذهب والفضة . . فهذا كله من خرافات الإسرائيلين . .

وقوله - تعالى - : ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذى الأوتاد ﴾ معطوف على ما قبله . والمراد بثمود : القبيلة المسماة بهذا الاسم ، نسبة إلى جدها ثمود ، وقد أرسل الله - تعالى - إليهم نبيهم صالحا - عليه السلام - فكذبوه ، فأهلكهم الله - تعالى - .

وكانت مساكنهم بين الشام والحجاز ، ومازالت معروفة حتى الآن باسم قرى صالح .

وقوله : ﴿ جابوا ﴾ بمعنى قطعوا . من الجوب بمعنى القطع والخرق ، والصخرة الحجارة العظيمة .

والواد : اسم للأرض المنخفضة بين مكانين مرتفعين ، وكان هؤلاء القوم يقطعون الصخور من الجبال ، ليتخذوا منها بيوتهم بواديهم ، أى : بالمكان الذى كانوا يسكنونه .

فقوله : ﴿ بالواد ﴾ علم بالغلبة للمكان الذى كانوا يسكنون فيه ، ويسمى بوادى القرى ، وقد قال - تعالى - فى شأنهم : ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ﴾ والمراد بفرعون هنا : هو وقومه . والمراد بالأوتاد : الجنود والعساكر الذين يشدون ملكه ويقوونه ، كما تشد الخيام وتقوى بالأوتاد .

قال الآلوسى : وصف فرعون بذلك لكثرة جنوده وخيامهم ، التى يضربون أوتادها فى منازلهم ، أو لأنه كان يدق لمن يريد تعذيبه أربعة أوتاد ، ويشده بها . .

وقال بعض العلماء : ووصف فرعون بذى الأوتاد ، لأن مملكته كانت تحتوى على الأهرامات ، التى بناها أسلافه ، لأن صورة الهرم على الأرض تشبه الوتد المدقوق ، ويجوز أن يكون المراد بالأوتاد : التمكن والثبات على سبيل الاستعارة ، أى : ذى القوة . .

وقال صاحب الظلال : ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد ﴾ وهى على الأرجح الأهرامات ، التى تشبه الأوتاد الثابتة فى الأرض المتينة البنيان ، وفرعون المشار إليه هنا ، فرعون الطاغية الجبار ، الذى أرسل الله - تعالى - إليه موسى - عليه السلام - . .

والمعنى : لقد علمت – أيها الرسول الكريم – وعلم معك كل من هو أهل للخطاب ، ما فعله ربك بقبيلة عاد ، التى جدها إرم بن سام بن نوح ، والتى كانت صاحبة أعمدة عظيمة ترفع عليها بيوتها ، والتى لم يخلق فى بلادها مثلها فى القوة والغنى .

وعلمت – أيضا – ما فعله ربك بقوم ثمود ، الذين قطعوا صخر الجبال ، واتخذوا منها والعساكر الذين يشدون ملكه .
و ﴿ الذين طغوا في البلاد ﴾ فأفسدوها ، وتجاوزوا كل حد فى العصيان والظلم .
﴿ فأكثروا فيها ﴾ أى : فى البلاد ﴿ الفساد ﴾ عن طريق الفسوق والخروج عن طاعتنا : ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾ أى : فكانت نتيجة طغيانهم وفسادهم ، أن أنزل ربك عليهم ، نوعا عظيما من العذاب المهين .". <الوسيط لسيد طنطاوي ص/٤٥٠٠>

٢٩-"والجديد هنا : هو وصف كل من عاد من أنها ذات العماد ، ولم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود أنهم جابوا الصخر بالواد ، وفرعون أنه ذو أوتاد .
وقد اختلف في المعنى بهذه الصفات كلها .
أما عاد ، فقيل : العماد عماد بيوت الشعر ، والمراد بها القبيلة . وطول عماد بيوتها : كناية عن طول أجسامهم ، كما قيل في صخر :
* رفيع العماد طويل النجاد *
وطول الأجسام يدل على قوة أصحابها .
وقيل : إرم : كانت مدينة رفيعة البنيان ، وذكروا في أخبارها قصصا تفوق الخيال ، وأنها في الربع الخالي ، ولكن حيث لم تثبت أخبارها بسند يعول عليه ، ولم يصدقه الواقع ، فقال قوم : قد خسف بها ولم تعد موجودة .
أما ثمود : فقد جابوا ، أي نحتوا الصخر بالواد ، بواد القرى في مدائن صالح ، وهي بيوتهم موجودة حتى الآن .
وأما فرعون ذو الأوتاد ، فقيل : هي أوتاد الخيام ، كان يتدها لمن يعذبهم .
وقيل : هي كناية عن الجنود يثبت بها ملكه .
وقيل : هي أكمات وأسوار مرتفعات ، يلعب له في مرابعها .
قال ابن جرير ما نصه : حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة " وفرعون ذي الأوتاد ، ذكر لنا أنها كانت مطال ، وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وجبال " .
والذي يظهر والله تعالى أعلم : أن هذا القول هو الصحيح ، وأنها مرتفعة ، وأنها هي المعروفة الآن بالأهرام بمصر ، ويرجح ذلك عدة أمور :
منها : أنها تشبه الأوتاد في منظرها طرفه إلى أعلا ، إذ القمة شبه الوتد ، مدببة بالنسبة لضخامتها ، فهي بشكل مثلث ،

قاعدته إلى أسفل وطرفه إلى أعلا .

ومنها : ذكره مع ثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، بجامع مظاهر القوة ، فأولئك نحتوا الصخر بيوتا فارهين ، وهؤلاء قطعوا الصخر الكبير من موطن لا جبال حوله ، مما يدل أنها نقلت من مكان بعيد . والحال أنها قطع كبار صخرات عظام ففي اقتطاعها وفي نقلها إلى محل بنائها ، وفي نفس البناء كل ذلك مما يدل على القوة والجبروت ، وتسخير العباد في ذلك .".
<تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم ٢/١٦٨>

٣٠-"ومنها : أن حملها على الأهرام القائمة بالذات والمشاهدة في كل زمان ولكل جيل ، أوقع في العظة والاعتبار ، بأن من أهلك تلك الأمم ، قادر على إهلاك المكذبين من قريش وغيرهم .

صدق الله العظيم : ﴿إن ربك لبلمرصاد﴾. ﴿فأما لإنسن إذا ما بتله ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن * وأمآ إذا ما بتله فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن كلا﴾. بين تعالى أنه يعطي ويمسك ابتلاء للعبد .

وقوله تعالى : ﴿كلا﴾، وهي كلمة زجر وردع ، وبيان أن المعنى لا كما قلتم فيه تعديل لمفاهيم الكفار ، بأن العطاء والمنع لا عن إكرام ولا لإهانة ، ولكنه ابتلاء ، كما في قوله تعالى : ﴿كل نفس ذآئقة لموت ونبلوكم بلشر ولخير فتنة﴾.

وقوله : ﴿وعلموا أنمآ أمولكم وأولدكم فتنة﴾. ﴿كلا بل لا تكرمون ليتيم * ولا تحاضون على طعام لمسكين * وتأكلون لتراث أكلا لما * وتحبون لمال حبا جما﴾. بعد ما بين سبحانه صحة المفاهيم في العطاء والمنع ، جاء في هذه الآيات وبين حقيقة فتنة المال إيجابا وسلبا جمعا وبذلا ، فبدأ بأقبح الوجوه من الإمساك من عدم إكرام اليتيم ، مهيض الجناح ، مكسور الخاطر ، والتقاعس عن إطعام المسكين ، خالي اليد جائع البطن ، ساكن الحركة ،وهذان الجانبان أهم مهمات بذل المال وهم يمسكون عنها ، وقد بين تعالى أن هذا الجانب هو اقتحام العقبة عند الشدة ، في قوله تعالى في سورة البلد ﴿فلا قتحم لعقبة * ومآ أدراك ما لعقبة * فك رقبة * أو إطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيما ذا مقربة * أو مسكينا ذا متربة﴾.". <تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم ٢/١٦٩>

٣١-"أن يجعله على خزائن الأرض وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها فيصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد فأجيب إلى ذلك رغبة فيه وتكرمة له .

وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٥٦)

وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين

أي أرض مصر " يتبوأ منها حيث يشاء " قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يتصرف فيها كيف يشاء وقال ابن جرير : يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحبس والإسار " نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين " أي وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز فلهذا أعقبه الله عز وجل السلام والنصر والتأييد" ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون " يخبر تعالى أن ما ادخره الله تعالى لنبيه يوسف

عليه السلام في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا كقوله في حق سليمان عليه السلام " هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب " والغرض أن يوسف عليه السلام ولاه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته وأسلم الملك على يدي يوسف عليه السلام قال مجاهد وقال محمد بن إسحاق : لما قال يوسف للملك " اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" قال الملك قد فعلت فولاه فيما ذكروا عمل أطفير وعزل أطفير عما كان عليه يقول الله عز وجل " وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين" قال فذكر لي والله أعلم @@@٥٣". <تفسير ابن كثير – ط قرطبة ٥٢/٨>

٣٢-"يوسف متهما، والله ما علمنا عليه من سوء، فعند ذلك ﴿قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: تقول الآن تبين الحق وظهر وبرز، ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ أي في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي﴾ تقول المرأة: ولست أبرىء نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته لأن ﴿النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾ أي إلا من عصمه الله تعالى: ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام.

وقد حكاه الماوردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام أبو العباس بن تيمية رحمه الله، فأفرده بتصنيف على حدة، وقد قيل: إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب﴾ الآيتين، أي إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي، وليعلم العزيز ﴿أني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ الآية، وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه. وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه ؟ ﴿قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق﴾ الآية، قال يوسف ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ فقال جبريل عليه السلام: ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال ﴿وما أبرئ نفسي﴾ الآية، وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي، والقول الأول أقوى وأظهر، لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك.

﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزآئن الأرض إني حفيظ عليم﴾

يقول تعالى إخبارا عن الملك حين تحقق براءة يوسف عليه السلام ونزاهة عرضه مما نسب إليه، قال ﴿ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ أي أجعله من خاصتي وأهل مشورتي ﴿فلما كلمه﴾ أي خاطبه الملك، وعرفه، ورأى فضله وبراعته، وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكمال، قال له الملك ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ أي إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة، فقال

يوسف عليه السلام ﴿اجعلني على خزآئن الأرض إني حفيظ عليم﴾ مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة، وذكر أنه ﴿حفيظ﴾ أي خازن أمين ، ﴿عليم﴾ ذو علم وبصيرة بما يتولاه. وقال شيبة بن نعامة: حفيظ لما استودعتني، عليم بسني الجدب، رواه ابن أبي حاتم، وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس، وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض، وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، فيتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه وتكرمة له ولهذا قال تعالى:)

﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشآء نصيب برحمتنا من نشآء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾

يقول تعالى: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ أي أرض مصر، ﴿يتبوأ منها حيث يشآء﴾ قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يتصرف فيها كيف يشاء. وقال ابن جرير: يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحبس والإسار، ﴿نصيب برحمتنا من نشآء ولا نضيع أجر المحسنين﴾ أي وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز، فلهذا أعقبه الله عز وجل السلام والنصر والتأييد، ﴿ولا نضيع أجر". <تفسير ابن كثير / دار الفكر ٢/٥٨٦>

٣٣-"خزائن (١) الأرض، وهي الأهرام التي (٢) يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، ليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه، وتكرمة له؛ ولهذا قال تعالى:

﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٥٦) ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون (٥٧) ﴾

يقول تعالى: ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴾ أي: أرض مصر، ﴿ يتبوأ منها حيث يشاء ﴾

قال السدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يتصرف فيها كيف يشاء.

وقال ابن جرير: يتخذ منها منزلا حيث يشاء (٣) بعد الضيق والحبس والإسار. ﴿ نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ أي: وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته، وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز؛ فلهذا أعقبه الله عز وجل السلامة والنصر والتأييد، ﴿ ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ يخبر تعالى أن ما ادخره (٤) الله لنبيه يوسف، عليه السلام، في الدار الآخرة أعظم وأكثر (٥) وأجل، مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا كما قال تعالى في حق سليمان، عليه السلام: ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ [ص: ٣٩، ٤٠].

والغرض أن يوسف، عليه السلام، ولاه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر، مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته، وأسلم الملك على يدي يوسف، عليه السلام.

قاله مجاهد. وقال محمد بن إسحاق لما قال يوسف للملك: ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ قال الملك: قد فعلت. فولاه فيما ذكروا عمل إطفير (٦) وعزل إطفير (٧) عما كان عليه، يقول الله عز وجل: ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ فذكر لي -والله أعلم -أن إطفير (٨)

هلك في تلك الليالي، وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير (٩) راعيل، وأنها حين دخلت عليه قال: أليس هذا خيرا مما كنت تريدين؟ قال: فيزعمون أنها قالت: أيها الصديق، لا تلمني، فإني كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة، ناعمة في ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك (١٠) على ما رأيت، فيزعمون أنه وجدها عذراء، فأصابها فولدت له رجلين أفرائيم بن يوسف، وميشا بن

---

(١) في ت: "خزان"

(٢) في ت: "الذي".

(٣) في ت: "شاء".

(٤) في ت: "ذخره".

(٥) في ت: "وأكبر".

(٦) في ت: "إظفير".

(٧) في ت: "إظفير".

(٨) في ت: "إظفير".

(٩) في ت: "إظفير".

(١٠) في ت: "وهيبتك".". <تفسير ابن كثير / دار طيبة ٤/٣٩٦>

٣٤-"اعلم أنه تعالى راعى ترتيبا" لطيفا في آخر هذه السورة ، وذلك أنه ذكر فصلا في دلائل الإلهية وكمال القدرة والرحمة والحكمة ، ثم أردفه بفضل التهديد والوعيد وهذا الفصل الذي وقع عليه ختم هذه السورة هو الفصل المشتمل على الوعيد ، والمقصود أن هؤلاء الكفار لذين يجادلون في آيات الله وحصل الكبر العظيم في صدورهم بهذا ، والسبب في ذلك كله طلب الرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه ، فمن ترك الانقياد للحق لأجل طلب هذه الأشياء فقد با ع الآخرة بالدنيا ، فبين تعالى أن هذه الطريقة فاسدة ، لأن الدنيا فانية ذاهبة ، واحتج عليه بقوله تعالى : ﴿أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ يعني لو ساروا في أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين المتمردين ، ليست إلا الهلاك والبوار ، مع أنهم كانوا أكثر عدد ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين ، فلما لم يستفيدوا من تلك المكنة العظيمة والدولة القاهرة إلا الخيبة والخسار ، والحسرة والبوار ، فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين ، أما بيان أنهم كانوا أكثر من هؤلاء عددا فإنما يعرف في الأخبار ، وأما أنهم كانوا أشد قوة وآثارا في الأرض ، فلأنه قد بقيت آثارهم بحصون عظيمة بعدهم ، مثل الأهرام الموجودة بمصر ، ومثل هذه البلاد العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون ، ومثل ما حكى الله عنهم من أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا.

ثم قال تعالى : ﴿فمآ أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ما في قوله ﴿فمآ أغنى عنهم﴾ نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب ، وما في قوله ﴿ما كانوا يكسبون﴾ موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو

كسبهم.

جزء : ٢٧ رقم الصفحة : ٥٤٣

ثم بين تعالى أن أولئك الكفار لما جاءتهم رسلهم بالبينات والمعجزات فرحوا بما عندهم من العلم ، واعلم أن الضمير في قوله ﴿فرحوا ﴾ يحتمل أن يكون عائدا إلى الكفار ، وأن يكون عائدا إلى الرسل ، أما إذا قلنا إنه عائد إلى الكفار ، فذلك العلم الذي فرحوا به أي علم كان ؟

وفيه وجوه الأول : أن يكون المراد الأشياء التي كانوا يسمونها بالعلم ، وهي الشبهات التي حكاها الله عنهم في القرآن كقولهم ﴿وما يهلكنآ إلا الدهر ﴾ (الجاثية : ٢٤) وقولهم ﴿لو شآء الله مآ أشركنا ولا ءابآؤنا﴾ (الأنعام : ١٤٨) وقولهم ﴿من يحى العظام وهى رميم﴾ (يعس : ٧٨) ، ﴿ولا ن رددت إلى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا﴾ (الكهف : ٣٦) وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الأنبياء ، كما قال : ﴿كل حزبا بما لديهم فرحون﴾ (المؤمنون : ٥٣) ، الثاني : يجوز أن يكون المراد علوم الفلاسفة ، فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علومهم/ وعن سقراط أنه سمع بمجيء بعض الأنبياء فقيل له لو هاجرت فقال نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا الثالث : يجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها ، كما قال تعالى : ﴿يعلمون ظاهرا من الحيواة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ (الروم : ٧) ، ﴿ذالك مبلغهم من العلم ﴾ (النجم : ٣٠) فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة الله تعالى ومعرفة العماد وتطهير النفس عن الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزؤا بها ، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ، ففرحوا به.

أما إذا قلنا الضمير عائد إلى الأنبياء ففيه وجهان الأول : أن يجعل الفرح للرسل ، ومعناه أن الرسل لما رأوا من قومهم جهلا كاملا ، وإعراضا عن الحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم وإعراضهم ، فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه ، وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم الثاني : أن يكون المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به ، كأنه قال استهزؤا بالبينات ، وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾ .

جزء : ٢٧ رقم الصفحة : ٥٤٣

ثم قال تعالى : ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا ءامنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى : ﴿بعذابا بئيس ﴾ (الأعراف : ١٦٥) فإن قيل أي فرق بين قوله ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم﴾ وبين ما لو قيل فلم ينفعهم إيمانهم ؟

قلنا هو مثل كان في نحو قوله ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد ﴾ (مريم : ٣٥) والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم ، فإن قيل اذكروا ضابطا في الوقت الذي لا ينفع الإتيان بالإيمان فيه ، قلنا إنه الوقت الذي يعاين فيه نزول ملائكة الرحمة والعذاب ، لأن في ذلك الوقت يصير المرء ملجأ إلى الإيمان فذلك الإيمان لا ينفع إنما ينفع مع القدرة على خلافه ، حتى يكون المرء مختارا ، أما إذا عاينوا علامات الآخرة فلا.

ثم قال تعالى : ﴿سنت الله التى قد خلت فى عباده ﴾ والمعنى أن عدم قبول الإيمان حالل اليأس سنة الله مطردة في كل

الأمم.

ثن قال : ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ فقوله ﴿هنالك﴾ مستعار للزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس ، والله الهادي للصواب.

جزء : ٢٧ رقم الصفحة : ٥٤٣

٥٥٠". <تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٣٩٢٠>

٣٥-"اعلم أنه تعالى راعى ترتيبا) لطيفا في آخر هذه السورة وذلك أنه ذكر فصلا في دلائل الإلهية وكمال القدرة والرحمة والحكمة ثم أردفه بفضل التهديد والوعيد وهذا الفصل الذي وقع عليه ختم هذه السورة هو الفصل المشتمل على الوعيد والمقصود أن هؤلاء الكفار لذين يجادلون في آيات الله وحصل الكبر العظيم في صدورهم بهذا والسبب في ذلك كله طلب الرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه فمن ترك الانقياد للحق لأجل طلب هذه الأشياء فقد باع الآخرة بالدنيا فبين تعالى أن هذه الطريقة فاسدة لأن الدنيا فانية ذاهبة واحتج عليه بقوله تعالى أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني لو ساروا في أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين المتمردين ليست إلا الهلاك والبوار مع أنهم كانوا أكثر عدد ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين فلما لم يستفيدوا من تلك المكنة العظيمة والدولة القاهرة إلا الخيبة والخسار والحسرة والبوار فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين أما بيان أنهم كانوا أكثر من هؤلاء عددا فإنما يعرف في الأخبار وأما أنهم كانوا أشد قوة وآثارا في الأرض فلأنه قد بقيت آثارهم بحصون عظيمة بعدهم مثل الأهرام الموجودة بمصر ومثل هذه البلاد العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون ومثل ما حكى الله عنهم من أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا

ثم قال تعالى فمآ أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما في قوله فما أغنى عنهم نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب وما في قوله ما كانوا يكسبون موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم

ثم بين تعالى أن أولئك الكفار لما جاءتهم رسلهم بالبينات والمعجزات فرحوا بما عندهم من العلم واعلم أن الضمير في قوله فرحوا يحتمل أن يكون عائدا إلى الكفار وأن يكون عائدا إلى الرسل أما إذا قلنا إنه عائد إلى الكفار فذلك العلم الذي فرحوا به أي علم كان وفيه وجوه الأول أن يكون المراد الأشياء التي كانوا يسمونها بالعلم وهي الشبهات التي حكاها الله عنهم في القرآن كقولهم وما يهلكنا إلا الدهر (الجاثية ٢٤) وقولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا ى اباؤنا (الأنعام ١٤٨) وقولهم من يحى العظام وهى رميم (يعس ٧٨) ولئن رددت إلى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا (الكهف ٣٦) وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الأنبياء كما قال كل حزب بما لديهم فرحون (المؤمنون ٥٣) الثاني يجوز أن يكون المراد علوم الفلاسفة فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علومهم وعن سقراط أنه سمع بمجيء بعض الأنبياء فقيل له لو هاجرت فقال نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا الثالث يجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيواة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون (الروم ٧) ذلك مبلغهم من العلم (النجم ٣٠) فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة الله تعالى ومعرفة العماد وتطهير النفس عن الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أما إذا قلنا الضمير عائد

إلى الأنبياء ففيه وجهان الأول أن يجعل الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا من قومهم جهلا كاملا وإعراضا عن الحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم وإعراضهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم الثاني أن يكون المراد فرحوا بما عند الرسل". <تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٧٩/٢٧>

"-٣٦

بعد أن حذر الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل من يوم لا تنفع فيه الشفاعة. أراد أن يذكرهم بفضله عليهم وبنعمه. قوله تعالى: " إذ " هي ظرف لشيء وسبق أن قلنا أن الظرف نوعان. لأن كل حدث من الأحداث يحتاج إلى زمان يقع فيه وإلى مكان يقع فيه. وعندما أقول لك إجلس مكانك. هذا الظرف يراد به المكان. وعندما يخاطب الله عز وجل عباده: أذكر إذ فعلت كذا. أي اذكر وقت أن فعلت كذا ظرف زمان. وقول الحق تبارك وتعالى: " وإذ نجيناكم " أي اذكروا الوقت الذي نجاكم فيه من فرعون.

والآية التي نحن بصددها وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم. قوله تعالى: ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبنآءكم ويستحيون نسآءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [البقرة: ٤٩]

﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبنآءكم ويستحيون نسآءكم ﴾[الأعراف: ١٤١]

وقوله جل جلاله في سورة إبراهيم:﴿ إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبنآءكم ويستحيون نسآءكم ﴾[إبراهيم: ٦]

الاختلاف بين الأولى والثانية هو قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ يذبحون أبنآءكم ﴾. وفي الثانية: ﴿ يقتلون أبنآءكم ﴾. " ونجينا " في الآية الأولى: " وأنجينا " في الآية الثانية. ما الفرق بين نجينا وأنجينا؟ هذا هو الخلاف الذي يستحق أن تتوقف عنده.. في سورة البقرة: ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ﴾.. الكلام هنا من الله. أما في سورة إبراهيم فنجد ﴿ اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم ﴾.

الكلام هنا كلام موسى عليه السلام. ما الفرق بين كلام الله سبحانه وتعالى وكلام موسى؟..

إن كلام موسى يحكي عن كلام الله. إن الله سبحانه وتعالى حين يمتن على عباده يمتن عليهم بقمم النعمة، ولا يمتن بالنعم الصغيرة. والله تبارك وتعالى حين امتن على بني إسرائيل قال: ﴿ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبنآءكم ويستحيون نسآءكم ﴾. ولم يتكلم عن العذاب الذي كان يلاقيه قوم موسى من آل فرعون. إنهم كانوا يأخذونهم أجراء في الأرض ليحرثوا وفي الجبال لينحتوا الحجر وفي المنازل ليخدموا. ومن ليس له عمل يفرضون عليه الجزية. ولذلك كان اليهود يمكرون ويسيرون بملابس قديمة حتى يتهاون فرعون في أخذ الجزية منهم. وهذا معنى قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة ﴾[البقرة: ٦١]

أي أنهم يتمسكون ويظهرون الذلة حتى لا يدفعوا الجزية. ولكن الحق سبحانه وتعالى لم يمتن عليهم بأنه أنجاهم من كل هذا العذاب. بل يمتن عليهم بقمة النعمة. وهي نجاة الأبناء من الذبح واستحياء النساء. لأنهم في هذه الحالة ستستذل نساؤهم ورجالهم. فالمرأة لا تجد رجلا يحميها وتنحرف.

كلمة نجى وكلمة أنجى بينهما فرق كبير.

كلمة نجى تكون وقت نزول العذاب. وكلمة أنجى يمنع عنهم العذاب. الأولى للتخليص من العذاب والثانية يبعد عنهم عذاب فرعون نهائيا. ففضل الله عليهم كان على مرحلتين. مرحلة أنه خلصهم من عذاب واقع عليهم. والمرحلة الثانية أنه أبعدهم عن آل فرعون فمنع عنهم العذاب.

قوله تعالى: ﴿ يسومونكم سوء العذاب ﴾ ما هو السوء؟ إنه المشتمل على ألوان شتى من العذاب كالجلد والسخرة والعمل بالأشغال الشاقة. ما معنى يسوم؟ يقال سام فلان خصمه أي أذله وأعنته وأرهقه. وسام مأخوذة من سام الماشية تركها ترعى. لذلك سميت بالسام أي المتروكة. وعندما يقال إن فرعون يسوم بني إسرائيل سوء العذاب. معناها أن كل حياتهم ذل وعذاب.. فتجد أن الله سبحانه وتعالى عندما يتكلم عن حكام مصر من الفراعنة يتكلم عن فراعنة قدماء كانوا في عهد عاد وعهد ثمود. واقرأ قوله تعالى:﴿ والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل في ذلك قسم لذى حجر * ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد ﴾[الفجر: ١-١٢]

أي أن الله تبارك وتعالى جاء بحضارة الفراعنة وقدماء المصريين بعد عاد وثمود. وهذا دليل على أن حضارة عاد وثمود قديمة. والله سبحانه وتعالى وصف عادا بأنها التي لم يخلق مثلها في البلاد. أي أنها حضارة أرقى من حضارة قدماء المصريين.

قد يتساءل بعض الناس كيف يصف الله سبحانه وتعالى عادا بأنها التي لم يخلق مثلها في البلاد. مع أنه يوجد الآن حضارات متقدمة كثيرة.

نقول إن الله قد كشف لنا حضارة الفراعنة وآثارهم. ولكنه أخفى عنا حضارة عاد. ولقد وجدنا في حضارة الفراعنة أشياء لم نصل إليها حتى الآن. مثل براعتهم في تحنيط الموتى والمحافظة على الجثث. وبناء الأهرامات وغير ذلك. وبما أن حضارة عاد كانت أرقى من حضارة الفراعنة. فإنها تكون قد وصلت إلى أسرار مازالت خافية على العالم حتى الآن. ولكنا لا نعرف شيئا عنها، لأن الله لم يكشف لنا آثارها.

ولقد تحدث الحق تبارك وتعالى عن الفراعنة باسم فرعون. وتكلم عنهم في أيام موسى باسم آل فرعون. ولكن الزمن الذي كان بين عهدي يوسف وموسى لم يسم ملك مصر فرعون، إنما سماه العزيز الذي هو رئيس الوزراء ورئيسه الملك. وقال الحق تبارك وتعالى:﴿ وقال الملك ائتوني به ﴾[يوسف: ٥٠]

إذن فالحاكم أيام يوسف كان يسمى ملكا ولم يسم فرعون. بينما حكام مصر قبل يوسف وبعده كانوا يلقبون بفرعون. ذلك لأنه قبل عهد يوسف عليه السلام حكم مصر الهكسوس أهل بني إسرائيل.

فقد أغاروا على مصر وانتصروا على الفراعنة. وحكموا مصر سنوات حتى تجمع الفراعنة وطردوهم منها.

والغريب أن هذه القصة لم تعرف إلا بعد اكتشاف حجر رشيد، وفك رموز اللغة الهيروغليفية. وكان ملوك الهكسوس من الرعاة الذين استعمروا مصر فترة. ولذلك نرى في قصة يوسف عليه السلام قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وقال الملك ائتوني به ﴾.

وهكذا نعلم أن القرآن الكريم قد روى بدقة قصة كل حاكم في زمنه. وصف الفراعنة بأنهم الفراعنة. ثم جاء الهكسوس فلم يكن هناك فرعون ولكن كان هناك ملك. وعندما جاء موسى كان الفراعنة قد عادوا لحكم مصر. فإذا كان هذا الأمر لم نعرفه إلا في مطلع القرن الخامس. عندما اكتشف الفرنسيون حجر رشيد، ولكن القرآن أرخ له التاريخ الصحيح منذ أربعة عشر قرنا. وهذه معجزة تنضم لمعجزات كبيرة في القرآن الكريم عن شيء كان مجهولا وقت نزول القرآن وأصبح معلوما الآن. لنجد أن القرآن جاء به في وضعه الصحيح والسليم.

بعد أن تحدثنا عن الفرق بين نجيناكم وأنجيناكم. نتحدث عن الفرق بين ﴿ يذبحون أبنآءكم ﴾. و ﴿ يقتلون أبنآءكم ﴾.. الذبح غير القتل.. الذبح لابد فيه من إراقة دماء. والذبح عادة يتم بقطع الشرايين عند الرقبة، ولكن القتل قد يكون بالذبح أو بغيره كالخنق والإغراق. كل هذا قتل ليس شرطا فيه أن تسفك الدماء.

والحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أن فرعون حينما أراد أن ينتقم من ذرية بني إسرائيل انتقم منهم انتقامين.. انتقاما لأنهم كانوا حلفاء للهكسوس وساعدوهم على احتلال مصر. ولذلك فإن ملك الهكسوس اتخذ يوسف وزيرا. فكأن الهكسوس كانوا موالين لبني إسرائيل. وعندما انتصر الفراعنة انتقموا من بني إسرائيل بكل وسائل الانتقام. قتلوهم وأحرقوا عليهم بيوتهم.

أما مسألة الذبح في قوله تعالى: ﴿ يذبحون أبنآءكم ﴾ فلقد رأى فرعون نارا هبت من ناحية بيت المقدس فأحرقت كل المصريين ولم ينج منها غير بني إسرائيل. فلما طلب فرعون تأويل الرؤيا. قال له الكهان يخرج من ذرية إسرائيل ولد يكون على يده نهاية ملكك. فأمر القوابل (الدايات) بذبح كل مولود ذكر من ذرية بني إسرائيل. ولكن قوم فرعون الذين تعودوا السلطة قالوا لفرعون: إن بني إسرائيل يوشك أن ينقرضوا وهم يقومون بالخدمات لهم. فجعل الذبح سنة والسنة الثانية يبقون على المواليد الذكور. وهارون ولد في السنة التي لم يكن فيها ذبح فنجا. وموسى ولد في السنة التي فيها ذبح فحدث ما حدث.

إذن سبب الذبح هو خوف فرعون من ضياع ملكه. وفرض الذبح حتى يتأكد قوم فرعون من موت المولد. ولو فعلوه بأي طريقة أخرى كأن القوة من فوق جبل أو ضربوه بحجر غليظ. أو طعنوه بسيف أو برمح قد ينجو من الموت. ولكن الذبح يجعلهم يتأكدون من موته في الحال فلا ينجو أحد.

والحق يقول: ﴿ يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبنآءكم ويستحيون نسآءكم ﴾. كلمة الابن تطلق على الذكر، ولكن الولد يطلق على الذكر والأنثى. ولذلك كان الذبح للذكور فقط. أما النساء فكانوا يتركونهن أحياء.

ولكن لماذا لم يقل الحق تبارك وتعالى يذبحون أبناءكم ويستحيون بناتكم بدلا من قوله يستحيون نساءكم. الحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أن الفكرة من هذا هو إبقاء عنصر الأنوثة يتمتع بهن آل فرعون. لذلك لم يقل بنات ولكنه قال نساء. أي أنهم يريدونهن للمتعة وذلك للتنكيل ببني إسرائيل. ولا يقتل رجولة الرجل إلا أنه يرى الفاحشة تصنع في نسائه.

والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴾ وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴿. ما هو البلاء؟ بعض الناس يقول إن البلاء هو الشر. ولكن الله تبارك وتعالى يقول: ﴾ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴿

إذن هناك بلاء بالخير وبلاء بالشر. والبلاء كلمة لا تخيف. أما الذي يخيف هو نتيجة هذا البلاء؛ لأن البلاء هو امتحان أو اختبار. إن أديته ونجحت فيه كان خيرا لك. وأن لم تؤده كان وبالا عليك. والحق سبحانه وتعالى يقول في خليله إبراهيم:﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما ﴾[البقرة: ١٢٤]

فإبراهيم نجح في الامتحان، والبلاء جاء لبني إسرائيل من جهتين.. بلاء الشر بتعذيبهم وتقتيلهم وذبح أبنائهم. وبلاء الخير بإنجائهم من آل فرعون. ولقد نجح بنو إسرائيل في البلاء الأول. وصبروا على العذاب والقهر وكان بلاء عظيما. وفي البلاء الثاني فعلوا أشياء سنتعرض لها في حينها.

". <تفسير الشعراوي ص/٥٣>

"-٣٧

وعندما ننظر إلى بداية الآية نجدها تبدأ بـ " أو " ، وما بعد " أو " يكون معطوفا على ما قبلها، فكأن الحق يريد أن يقول لنا: أو (ألم تر) إلى مثل الذي مر على قرية.

وعندما تسمع كلمة ﴿ قرية ﴾ فإنها تفيد تجمع جماعة من الناس يسكنون في مكان محدود، ونفهم أن الذي مر على هذه القرية ليس من سكانها، إنما هو قد مر عليها سياحة في رحلة. ونلحظ كذلك أن الحق سبحانه لم يشأ أن يأتي لنا باسم القرية أو باسم الذي مر عليها.

قال البعض: إنه هو أرمياء بن حلقيا أو هو الخضر، أو هو عزير، وقد قلنا من قبل: إنه إذا أبهم الحق فمعناه: لا تشخص الأمر، فيمكن لأي أحد أن يحدث معه هذا.

﴿ أو كالذي مر على قرية ﴾. وقالوا: إنها بيت المقدس، ﴿ وهي خاوية على عروشها ﴾ وحتى نفهم معنى خاوية على عروشها، لنا أن نعرف أنني عندما أقول: " أنا خويان " أي " أنا بطني خاوية ": " جوعان " فـ " خاوية " المقصود بها أنها قرية خالية من السكان، وقد تكون أبنيتها منصوبة، لكن ليس فيها سكان، والحق بقوله عن تلك القرية: إنها خاوية على عروشها، و " العرش " يطلق على البيت من الخيام، ويطلق كما نعرف على السقف، فإذا قال: ﴿ خاوية على عروشها ﴾ أي أن العرش قد سقط أولا، ثم سقطت الجدران عليه، مثلما نقول في لغتنا العامية: " جاب عاليها على واطيها ".

وعندما يمر إنسان على قرية مثل هذه القرية فلا بد أن مشهدها يكون شيئا لافتا للنظر، قال: ﴿ أنا يحيي هاذه الله بعد موتها ﴾ فكأنه يسأل عن القرية، وعن إماتة وإحياء الناس الذين يسكنون القرية. والحق حين يذكر القرية في القرآن فهو يقصد في بعض الأحيان الحديث عن أهلها مثل قوله تعالى:﴿ وسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون ﴾[يوسف: ٨٢]

إن أبناء يعقوب عليه السلام حين عادوا من مصر وتركوا أخاهم الأصغر مع يوسف عليه السلام قالوا لأبيهم: أرسل من يأتيك بشهادة أهل مصر واسأل بنفسك زملاءنا الذين كانوا معنا في القافلة، وسيقولون لك: إننا قد تركنا أخانا بمصر. لكن سؤال الذي مر على القرية الخاوية على عروشها هو سؤال عن أهلها.

﴿ أنا يحيي هاذه الله بعد موتها ﴾ وساعة تسمع ﴿ أنا ﴾ فهي تأتي مرة بمعنى "كيف " ، ومرة تأتي بمعنى: " من أين " ، والمناسب لها هنا هو أن يكون السؤال كالتالي: "كيف يحيي الله هذه بعد موتها "؟ وقوله هذا يدل على أنه مؤمن، فهو لا يشك في أن قضية الإحياء من الله، وإنما يريد أن يعرف الكيفية، فكأنه مؤمن بأن الله هو الذي يحيي ويميت، وهذه ستأتي في قصة سيدنا إبراهيم:

﴿ أرني كيف تحيي الموتا ﴾[البقرة: ٢٦٠]

هو لا يشك في أن الله يحيي الموتى، إنما يريد أن يرى كيف تتم هذه الحكاية؛ لأن الذي يريد أن يعرف كيفية الشيء، لابد أن متعجب من وجود هذا الشيء، فيتساءل: كيف تم عمل هذا الشيء؟ مثلما نرى الأهرام، ونحن لا نشك أن الأهرام مبنية بهذا الشكل، لكننا نتساءل فقط: كيف بنوها؟ كيف نقلوا الحجارة بضخامتها لأعلى ولم يكن هناك سقالات أو روافع آلية؟ إذن فنحن نتعجب فقط، والتعجب فرع الإيمان بالحدث.

والسؤال عن الكيفية معناه التيقن من الحدث، فقول الحق: ﴿ أنا يحيي هاذه الله ﴾.. يعني: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها، فكأن القائل لا يشك في أن الله يحيي، ولكنه يريد الكيفية، والكيفية ليست مناط إيمان، فالله لم ينهنا عن التعرف عن الكيفية؛ فهو يعلم أننا نؤمن بأنه قادر على إيجاد هذا الحدث.

وأضرب هذا المثل ـ ولله المثل الأعلى ـ فمصمم الملابس عندما يقوم بتفصيل أزياء جميلة، أنت تراها، فأنت تتيقن من أنه صانعها، ولكنك تتعجب فقط من دقة الصنعة، وتقول له: بالله كيف عملت هذه؟ كأنك قد عشقت الصنعة! فتشوقت إلى معرفة كيف صارت، فما بالنا بصنعة الحق تبارك وتعالى؟ إنك تندهش وتتعجب لتعيش في ظل السر السائح من الخالق في المخلوق، وتريد أن تنعم بهذه النعم.

ومثال آخر ـ ولله المثل الأعلى من قبل ومن بعد ـ أنت ترى مثلا لوحة رسمها رسام، فتقول له: بالله كيف مزجت هذه الألوان؟ أنت لا تشك في أنه قد مزج الألوان. بل تريد أن تسعد نفسك بأن تعرف كيف رسمها، إذن فقوله وقول إبراهيم بالسؤال في الإحياء والإماتة فيما يأتي ليس معناه أنه غير مؤمن بل هو عاشق ومشتاق لأن يعرف الكيفية؛ ليعيش في جو الإبداع الجمالي الذي أنشأ هذه الصنعة.

ونعلم أن إحياء الناس سيترتب عليه إحياء القرية، فالإنسان هو باعث الحركة التي تعمر الوجود، والناس لهم حياة ولهم موت، والقرية بأنقاضها وجدرانها وعروشها لها حياة ولها موت. وعندما سأل العبد هذا السؤال، أراد الله أن تكون الإجابة تجربة معاشة في ذات السائل؛ لذلك يأتي القرآن بالقول ﴿ فأماته الله مائة عام ﴾.

إن صاحب السؤال قد أراد أن يعرف الكيفية، وطلبه هو إيمان دليل، ليصبح فيما بعد إيمانا بواقع مشاهد ﴿ فأماته الله مائة عام ﴾ لقد جعل الله الأمر والتجربة في السائل ذاته وهذا إخبار الله. لقد أماته مائة عام، والعام هو الحول، وقد سموا " الحول " عاما؛ لأن الشمس تعوم في الفلك كله في هذه المدة، والعوم سبح، والحق يقول:

﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾[يس: ٤٠]

ولذلك نسميه عاما. ﴿ فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم ﴾ ، فكأن الله قال له كلاما كما كلم موسى، أو سمع صوتا أو ملكا أو أن أحدا من الموجودين رأى التجربة. فالمهم أن هناك سؤالا وجوابا. ويخبرنا الحق سبحانه بحوار دار في هذا الشأن، السؤال هو: كم لبثت؟ فأجاب الرجل: لبثت يوما أو بعض يوم.

وإجابة الرجل تعني أنه قد تشكك، فقد وجد اليوم قد قارب على الانتهاء أو انتهى، أو أنه عندما رأى الشمس مشرقة أجاب هذه الإجابة: ﴿ لبثت يوما أو بعض يوم ﴾ أو يكون قد قال ذلك؛ لأنه لا يستطيع أن يتحكم في تقدير الزمن. فهل هو صادق في قوله أو كاذب؟ إنه صادق، لأنه لم ير شيئا قد تغير فيه ليحكم بمقدار التغير، فلو كان قد حلق لحيته مثلا، وقام بعد ذلك ليجد لحيته قد طالت، أو قد نام بشعر أسود، وقام بعد ذلك بشعر أشيب، فلو حدثت أية تغيرات فيه لكان قد لمسها، لكنه لم يجد تغيرا.

فماذا كان جواب الحق؟ قال الحق: ﴿ بل لبثت مائة عام ﴾. إننا هنا أمام طرفين ويكاد الأمر أن يصبح لغزا، وطرف يقول: ﴿ لبثت يوما أو بعض يوم ﴾ ورب يقول: ﴿ بل لبثت مائة عام ﴾. ونريد أن نحل هذا اللغز. إن الحق سبحانه صادق ومنزه والعبد المؤمن صادق في حدود ما رأى من أحواله. ونريد دليلا على هذا، ودليلا على ذاك. نريد دليلا على صدق العبد في قوله: ﴿ لبثت يوما أو بعض يوم ﴾. ونريد من الحق سبحانه وتعالى دليل اطمئنان لا دليل برهان على أن الرجل قد مات مائة عام وعاد إلى الحياة.

ونقول: إن في القصة ما يؤيد ﴿ لبثت يوما أو بعض يوم ﴾ ، وما يؤيد ﴿ بل لبثت مائة عام ﴾ ، فقد كان مع الرجل حماره، وكان معه طعامه وشرابه من عصير وعنب وتين. فقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ لبثت مائة عام ﴾ ، وأراد أن يدلل على الصدق في القضيتين معا قال: ﴿ فانظر إلىا طعامك وشرابك لم يتسنه ﴾ ، ونظر الرجل إلى طعامه وشرابه فوجد الطعام والشراب لم يتغيرا، وهذا دليل على أنه لم يمكث إلا يوما أو بعض يوم، وبذلك ثبت صدق الرجل، بقيت قضية ﴿ مائة عام ﴾.

فقال الحق: ﴿ وانظر إلىا حمارك ولنجعلك آية للناس ﴾ وهذا القول يدل على أن هنا شيئا عجيبا، وأراد الله أن يبين له بنظرة إلى الحمار دليلا على صدق مرور مائة عام، ووجد الرجل حماره وقد تحول عظاما مبعثرة، ولا يمكن أن يحدث ذلك في زمن قصير، فإن موت الحمار أمر قد يحدث في يوم، لكن أن يرم جسمه، ثم ينتهي لحمه إلى رماد، ثم تبقى العظام

مبعثرة، فتلك قضية تريد زمانا طويلا لا يتسع له إلا مائة عام، فكأن النظر إلى الحمار هو دليل على صدق مرور مائة عام، والنظر إلى الطعام دليل على صدق ﴿ يوما أو بعض يوم ﴾.

فالقضية إذن قضية عجيبة، وكيف طوي الزمن في مسألة الطعام، وكيف بسط الزمن في مسألة الحمار. إنه سبحانه يظهر لنا أنه هو القابض الباسط، فهو الذي يقبض الزمن في حق شيء، ويبسط الزمن في حق شيء آخر، والشيئان متعاصران معا. وتلك العملية لا يمكن أن تكون إلا لقدرة طليقة لا تملكها النواميس الكونية، وإنما هي التي تملك النواميس.

وقد قال الحق سبحانه: ﴿ ولنجعلك آية للناس ﴾ ، فمن هم الناس الذين سيجعل الله من قضية الذي مر على قرية آية لهم؟ كان لابد أن يوجد أناس في القصة، لكن القرية خاوية على عروشها، وليس فيها إنسان أو بنيان، أهم الذين كانوا في القرية أم سواهم؟ قال بعض المفسرين هذا، وقال البعض الآخر الرأي المضاد.

وأصدق شيء يمكن أن يتصل بصدق الله في قوله: ﴿ ولنجعلك آية للناس ﴾ هو قبض الله للزمن في حق شيء، وبسطه في حق شيء آخر، وعزيز كما قال جمهرة العلماء هو الذي مر على قرية، وعزيز هذا كان من الأربعة الذين يحفظون التوراة، فلم يحفظ التوراة إلا أربعة: موسى، وعيسى، وعزير، ويوشع، وقد أراه الله العظام وكيف ينشزها ويرفعها فتلتحم ثم يكسوها لحما، أي أراه عملية الإحياء مشهديا، وفي هذا إجابة للسؤال: ﴿ أنىا يحيي هاذه الله بعد موتها ﴾؟

والحق يقول: ﴿ وانظر إلى العظام كيف ننشزها ﴾ و ﴿ ننشزها ﴾ أي نرفعها، ورأى " عزير "كل عظمة في حماره، وهي ترفع من الأرض، وشاهد كل عظمة تركب مكانها، وبعد تكوين الهيكل العظمي للحمار بدأت رحلة كسوة العظام لحما، وبعد ذلك تأتي الحياة.

لقد وجد عزير إجابة في نفسه، ووجد إجابة في الحمار، ومن بعد ذلك تذكر قريته التي خرج منها، وأراد العودة إليها، فلما عاد إليها وجد أمرها قد تغير بما يتناسب مع مرور مائة عام، وكان في تلك القرية مولاة لهم، أي أمة في أسرته، وكانت هذه الأمة قد عميت وأصبحت مقعدة، فلما دخل وقال: أنا العزير. قالت الأمة: ذهب العزيز من مائة عام ولا ندري أين ذهب ولم يعد؟

قال: أنا العزير. قالت: إن للعزير علامة، هذه العلامة أنه مجاب الدعوة، ولم تنس نفسها. قالت: فإن كنت العزير فادع الله أن يرد علي بصري وأن يخرجني من قعودي هذا. فدعا عزير الله فبرئت، فلما برئت؛ نظرت إليه فوجدته هو العزير فذهبت إلى قومها وأعلنت أن العزير قد عاد. وبعد ذلك ذهب العزير إلى ابنه، فوجده رجلا قد تجاوز مائة سنة، وكان العزير لا يزال شابا في سن خمسين سنة.

ولذلك ترى الشاعر يقول ملغزا: وما ابن رأى أباه وهو في ضعف عمره؟ والمقصود بهذا اللغز هو العزير الذي أماته الله وهو في الخمسين ثم أحياه الله في عمره نفسه بعد مائة عام، والتقى العزير بابنه. قال الابن: كنت اسمع أن لأبي علامة بين كتفيه " شامة ". فلما كشف العزير كتفه لابنه وجد الشامة.

وتثبت أهل القرية من صدق عزير: بشيء آخر هو أن (بختنصر) حينما جاء إلى بيت المقدس وخربها حرق التوراة، إلا أن رجلا قال: إن أباه قد دفن في مكان ما نسخة من التوراة، فجاءوا بالنسخة، قال العزير: وأنا أحفظها. وتلا العزير التوراة كما وجدت في النسخة، فصدق القوم أنه العزير، وتعجب الناس وهم يشاهدون ابنا تخطى المائة وأبا في سن الخمسين. ولذلك يذيل الحق الآية بالقول: ﴿ قال أعلم أن الله علىا كل شيء قدير ﴾.

ألم يكن قبل ذلك يعلم أن الله على كل شيء قدير؟ نعم كان يعلم علم الاستدلال، وهو الآن يعلم علم المشهد، علم الضرورة، فليس مع العين أين.

إذن فـ ﴿ أعلم أن الله علىا كل شيء قدير ﴾ هي تأكيد وتعريف بقدرة الله على أن يبسط الزمن ويقبضه، وقدرة الله على الإحياء والإماتة، فصار يعلم حق اليقين بعد أن كان يعلم علم اليقين.

وهذه المسألة تفسر ما يقوله العلم الحديث عن تعليق الحياة. ومعنى تعليق الحياة هو يشبه ما تفعله بعض الثعابين عندما تقوم بالبيات الشتوي، أي تنكمش في الشتاء في ذاتها ولا تبدي حركة، وتظل هكذا إلى أن يذهب الشتاء، ومدة البيات الشتوي لا تحتسب من عمر الثعابين، ولذلك يقال: إن ذلك هو عملية تعليق الحياة. وهذه العملية التي قد نفسر بها مسألة أهل الكهف. فأهل الكهف أيضا مرت عليهم العملية نفسها:﴿ وكذالك بعثناهم ليتسآءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ﴾[الكهف: ١٩]

إنهم لم يروا شيئا قد تغير فيهم. وبعد ذلك قال الحق سبحانه:﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ﴾[الكهف: ٢٥]

إن الله حدد الزمن الذي لبثوه، بينما هم قالوا: إن الزمن هو يوم أو بعض يوم. ومعنى ذلك أنهم عندما ناموا هذا اللون من النوم واستيقظوا وجدوا أنفسهم على حالتهم التي كانت قبل هذا اللون من النوم. إذن فقد علق الله حياتهم. ونلاحظ أن كل هذه العملية قد جاءت هنا في قصة العزير بعد آية الكرسي التي تصور العقيدة الإيمانية:﴿ الله لا إلاه إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شآء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾

[البقرة: ٢٥٥]

وتصور قضية الحياة وقضية الموت ونعلم أن إبراهيم حين حاجه الرجل وقال له: ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ نقل إبراهيم الحجة إلى الليل والنهار، وطلب منه أن يعكس آية الليل والنهار، فقال للرجل: ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ﴾.

وحتى لا يظن أحد أن إبراهيم عليه السلام إنما ترك الكلام عن الإحياء والإماتة فرارا من الجدل. ونقل الأمر إلى الشمس، لكن أراد الله أن يأتي بقصة هذا الإنسان الذي مر على قرية وهي خاوية،فيحدث له كل ما تقدم ليثبت الحق لنا أن قضية الحياة وقضية الموت بيده وحده. وليخرج الحق سبحانه أمر الحياة والموت عن مجال السفسطة الجدلية. وعرفنا أن

قبل معنى السفسطة الجدلية حينما تعرضنا لقول الذي حاج إبراهيم في ربه باثنين من المسجونين وقال: أنا أستطيع أن أقتل واحدا، وأن أترك الثاني بلا قتل.

هذه هي السفسطة: إنه لم يحيي، بل أبقى حياة. وعرفنا أن الإحياء ضد الإماتة؛ لأن الإماتة هي أن تخرج الروح من الجسد بدون جرح، أو نقض بنية، أو عمل يفعله الإنسان في البدن. أما إذا فعل إنسان أي شيء من هذه الأفعال ضد إنسان آخر فلا يقال إنه أماته بل يقال لقد قتله. والموت كما عرفنا غير القتل.

وتأتي بعد ذلك قصة لإبراهيم أيضا بعد أن نقل الجدل مع الرجل إلى الشمس، فبهت الرجل الذي كفر، أما إبراهيم عليه السلام فهو يؤمن بقدرة الله، لكنه يريد أن يعرف الكيفية. إن إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ ".

ونحن المسلمين لم نشك في هذا الأمر. إذن، فإبراهيم عليه السلام لم يشك من باب أولى بدليل منطوق الآية حين قال الحق سبحانه: ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي... ﴾ ". <تفسير الشعراوي ص/٢٦١>

"-٣٨

وهذا بلاغ من موسى بما أوحى الله به إليه، ومتى حدث ذلك؟ نعرف أن صلة بني إسرائيل بمصر كانت منذ أيام يوسف عليه السلام، وعندما جاء يوسف بأبيه وإخوته وعاشوا بمصر وكونوا شيعة بني إسرائيل، ومكن الله ليوسف في الأرض وعاشوا في تلك الفترة. والعجيب أن المس القرآني للأحداث التاريخية فيه دقة متناهية، ولم نعرف نحن تلك الأحداث إلا بعد مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر. فعندما جاءت تلك الحملة صحبت معها بعثة علمية. وكانت تلك البعثة تنقب عن المعلومات الأثرية ليتعرفوا على سر حضارة المصريين، وسر تقدم العرب القديم، الذي سبق أوربا بقرون، وأخذت منه أوربا العلوم والفنون، في حين صار هذا العالم العربي إلى غفلة.

إن العرب المسلمين هم الذين اخترعوا أشياء ذهل لها العالم الغربي، ويحكي لنا التاريخ عن هدية من أحد ملوك العرب إلى شارلمان ملك فرنسا وكانت الساعة دقاقة، وظن الناس من أهل فرنسا أن بهذه الساعة الدقاقة شيطانا. وفكرة تلك الساعة أن العالم الذي صممها وضع فيها إناء من الماء به ثقب صغير تنزل منه القطرة بثقلها على شيء يشبه عقرب الساعة، فتتحرك الساعة دقيقة واحدة من الزمن. وكانت الساعة تسير بنقطة الماء. وكان ضبطها في منتهى الدقة. وحين رآها الناس في بلاط شارلمان ملك فرنسا ظنوا أن بداخلها شياطين. وهذا نموذج من نماذج كثيرة لا حصر لها ولا عدد تدخل في نطاق قوله الحق:﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾[فصلت: ٥٣]

وحينما جاء الفرنسيون إلى القاهرة كان معهم تلك البعثة العلمية ومعهم مطبعة، وعرض هؤلاء العلماء الفانوس السحري، وجعلوا الناس البسطاء يذهلون من تقدمهم العلمي. واستترت تلك الحملة بعروض أقرب إلى " الأكروبات ".

وكان عمل العلماء هو البحث عن سر حضارة المصريين والمسلمين؛ لأنهم يعلمون أن الحضارة الإسلامية انتقلت إلى مصر بالإضافة إلى حضارة المصريين القدماء.

لقد كانوا يعرضون ألعابهم السحرية العلمية بدرب الجماميز، وذلك حتى ينبهر الناس بالحضارة الفرنسية. وكان علماؤهم في الوقت نفسه يكتشفون ما نقش على حجر رشيد، وهو الحجر الذي اكتشفه ضابط فرنسي شاب اسمه شامبليون، وعلى هذا الحجر كتبت الكلمات الهيروغليفية. واستطاع شامبليون أن يفصل أسماء الأعلام الهيروغليفية ومن خلال ذلك استطاع أن يصل إلأبجدية تلك اللغة. وكأن الله أراد أن يسخر الكافرين بمنهج الله ليؤيدوا منهج الله.

إن في كل لغة شيئا اسمه " منطق الأعلام " ومثال ذلك أن يوجد اسم رجل أو أمير أو إنسان، فهذا الاسم مكون من حروف لا تتغير، مثال ذلك نأخذه من اللغة الإنجليزية؛ كان اسم رئيس وزراء انجلترا في وقت من الأوقات هو " تشرشل " هي كلمة إذا ترجمناها ترجمة حرفية لم تدل على صاحبها ولم تعرفنا به لأننا عندما نترجمها نكتفي بكتابة الاسم بالحروف العربية بدلا من اللاتينية.

إذن فالأعلام لا يتغير نطقها.

وكشف شامبليون عن الحروف التي لم تتغير. واهتدى إلى فك طلاسم حروف اللغة الهيروغليفية؛ فعرف كيف يقرأ المكتوب على حجر رشيد، واستطاع أن يقدم لنا بدايات اكتشاف تاريخ مصر القديمة. واستطاع أن يقرأ اللغة المرسومة على ذلك الحجر.

ولنا أن نرى عظمة القرآن حينما تعرض للأقدمين.. تعرض لعاد وتعرض لثمود وتعرض لفرعون. تعرض لتلك الحضارات كلها في سورة الفجر، فقال سبحانه وتعالى:﴿ والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل في ذلك قسم لذى حجر * ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد ﴾[الفجر: ١-٧]

وإرم ذات العماد هي التي في الأحقاف - في الجزيرة العربية - ولم نكتشفها بعد، ولم نعرف عنها حتى الآن شيئا، وهي التي يقول عنها الحق:﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾[الفجر: ٨]

ثم يتكلم بعدها عن فرعون:﴿ وفرعون ذى الأوتاد ﴾[الفجر: ١٠]

والأهرام أقيمت بالفعل على أوتاد، وكذلك المسلات المصرية القديمة والمعابد. وغيرها من العجائب التي بهرت الناس في مختلف العصور.﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾[الفجر: ٨]

ثم جاء بحضارة ثمود.﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾[الفجر: ٩]

وقد رأينا هذه الحضارة التي كان الناس أثناءها ينحتون البيوت في الصخر، كما رأينا حضارة مصر. وحضارة عاد هي التي لم نرها حتى الآن؛ ولا بد أن تكون مطمورة تحت الأرض. ونعرف أن الهبة الرملية الواحدة عندما تهب في تلك المناطق تطمر القافلة كلها، فما بالنا بالقرون الطويلة التي مرت وهبت فيها آلاف العواصف الرملية، إذن لا بد أن ننقب كثيرا لنكتشف حضارة عاد. والحق تكلم عن موسى عليه السلام، تكلم _ أيضا - عن المعاصرين له وكان أحد هؤلاء الفراعنة، فقال سبحانه لموسى ولأخيه هارون عليهما السلام:﴿ اذهبآ إلىا فرعون إنه طغا ﴾[طه: ٤٣]

ويذهب موسى إلى فرعون حتى يخلص بني إسرائيل من ظلم فرعون. ولماذا ظلمهم فرعون؟ نحن نعرف أن كل سياسة تعقب سياسة سابقة عليها تحاول أن تطمس السياسة الأولى، وتعذب من نصروا السياسة الأولى، وتلك قضية واضحة في الكون. وهذا ما يتضح لنا من سيرة سيدنا يوسف الذي صار وزيرا للعزيز ودعا أباه وأمه وشيعته إلى مصر، ولن تأت سيرة فرعون في سورة يوسف.

وعندما تكلم القرآن على رأس الدولة في أيام يوسف قال:﴿ وقال الملك ائتوني به ﴾[يوسف: ٥٤]

لم يقل الحق: " فرعون " على الرغم من أنه قال قبل ذلك عنه إنه: " فرعون " وأيام موسى ذكر فرعون، لكن في أيام يوسف لم يأت بسيرة فرعون إنما جاء بسيرة ملك.

وعندما جاء اكتشاف حجر رشيد، ظهر لنا أن فترة وجود يوسف عليه السلام في مصر هي فترة ملوك الرعاة أي الهكسوس الذين غزوا مصر وأخذوا الملك من المصريين وحكموهم وصاروا ملوكا، وسمي عصرهم بعصر الملوك.

وقال القرآن: ﴾ وقال الملك ائتوني به ﴿. ولم يأت بذكر لفرعون. وعندما استرد الفراعنة ملكهم وطردوا الرعاة، استبد الفراعنة بمن كانوا يخدمون الملوك وهم بنو إسرائيل. وهكذا تتأكد دقة القرآن عندما ذكر فرعون لأنه كان الحاكم أيام موسى، لكن في زمن يوسف سمي حاكم مصر باسم الملك. وتلك أمور لم نعرفها إلا حديثا. ولكن القرآن عرفنا ذلك. وكانت تحتاج إلى استنباط. وهي تدخل ضمن الآيات التي لا حصر لها في قوله الحق:﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾[فصلت: ٥٣]

فسبحانه وتعالى بعد أن أيد موسى بالآيات وأغرق فرعون، هنا قال لهم موسى:﴿ ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا علىا أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾[المائدة: ٢١]

فقد انتهت المهمة بتخليص بني إسرائيل من فرعون، وخلصوا أهل مصر من فرعون. وكانت الدعوة لدخول الأرض المقدسة. وكلمة الأرض إذا أطلقت صارت علما على الكرة الجامعة. ووردت كلمة " الأرض " في قصة بني إسرائيل في مواضع متعددة لمواقع متعددة.

فها هوذا قول الله في آخر سورة الإسراء:﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ﴾[الإسراء: ١٠٤]

فهل هناك سكن إلا الأرض؟ إن أحدا لا يقول: اسكن كذا إلا إذا حدد مكانا من الأرض؛ لأن السكن بالقطع سيكون في الأرض، فكيف يأتي القول: ﴾ اسكنوا الأرض ﴿؟ والشائع أن يقال: اسكن المكان الفلاني من المدن، مثل: المنصورة أو أريحا، أو القدس. وقوله الحق: ﴾ اسكنوا الأرض ﴿ هو لفتة قرآنية، ومادام الحق لم يحدد من الأرض مسكونا خاصا، فكأنه قال: ذوبوا في الأرض فليس لكم وطن، وانساحوا في الأرض فليس لكم وطن، أي لا توطن لكم أبدا، وستسيحون في الأرض مقطعين، وقال سبحانه:﴿ وقطعناهم في الأرض أمما ﴾[الأعراف: ١٦٨]

وحين يأتي القرآن بقضية قرآنية فلنبحث أأيدتها القضايا الكونية أم عارضتها؟ القضية القرآنية هنا هي تقطيع بني إسرائيل في الأرض أمما، أي تفريقهم وتشتيتهم ولم يقل القرآن: " أذبناهم " بل قال: " قطعناهم " وتفيد أنه جعل بينهم أوصالا ولكنهم مفرقون في البلاد. وعندما نراهم في أي بلد نزلوا فيها نجد أن لهم حيا مخصوصا، ولا يذوبون في المواطنين

أبدا، ويكون لهم كل ما يخصهم من حاجات يستلقون بها، فكأنهم شائعون في الأرض وهم مقطعون في الأرض ولكنهم أمم، فهناك " حارات " وأماكن خاصة لليهود في كل بلد.

حدث ذلك من بعد موسى عليه السلام، لكن ماذا كان الأمر في أيام موسى؟ قال لهم الحق: ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾ أي بعد رحلتكم مع فرعون اذهبوا إلى الأرض التي كتبها الله لكم.

ونلحظ هنا أن كلمة " الأرض المقدسة " فيها تحييز وتحديد للأرض.

ولكن ما معنى " مقدسة "؟ المادة كلها تدل على الطهر والتطهير. ف " قدس " أي طهر ونزه، ومقدسة يعني مطهرة. والألفاظ حين تأتي تتوارد جميع المادة على معان متلاقية. ففي الريف المصري نجد ما نسميه " القدس " أو " القادوس " وهو الإناء الذي يرفع به الماء من الساقية، وكانوا يستعملونه للتطهير، فالقادوس في الريف المصري هو وعاء الماء النظيف. وعندما يقال: " مقدسة " أي مطهرة.

إن من أسماء الحق " القدوس " ، ويقال: " قدس الله " أي نزه " ، فالله ذات وليست كذات الإنسان، وله سبحانه صفات منزهة أن تكون كصفاتك، وهو سبحانه له أفعال، ولكن قدسه وطهره منزهة أن تكون كأفعالك. فذات الحق واجبة الوجود وذات الإنسان ممكنة الوجود؛ لأن ذات الإنسان طرأ عليها عدم أول، ويطرأ عليها عدم ثان، وهو سبحانه واجب الوجود لذاته، والإنسان واجب لغيره وهو قادر سبحانه أن ينهي وجود العبد. ولله حياة وللإنسان حياة، لكن أحياتك أيها الإنسان كحياة الله؟ لا.

إن حياته سبحانه منزهة وذاته ليست كذاتك، وصفاته ليست كصفاتك، فأنت قادر قدرة محدودة وله سبحانه طلاقة القدرة، وهو سبحانه سميع والعبد سميع؛ لكن سمع البشر محدود وسمعه سبحانه لا حدود له.

إذن فصفاته مقدسة، ولذلك فعندما تسمع أنه سبحانه سميع عليم فليس سمعه كسمعنا، وله فعل غير فعلنا. وعندما يقول الحق: إنه فعل، ففعله منزه عن التشبيه بفعل البشر؛ لأن البشر من خلق الله، وفعل البشر معالجة، ويكون للفعل بداية ووسط ونهاية ويفرغ من الأحداث على قدر الزمن. ونحن نحمل الأشياء في أزمان متعددة ويحتاج من يحمل الأشياء إلى قوة. ولكن فعل الحق مختلف، إنه فعل بـ "كن " لذلك قال:﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾[ق: ٣٨]

أي أنه سبحانه وتعالى منزه عن التعب، فهو يقول: ﴿ كن فيكون ﴾ ولذلك قلنا في مسألة الإسراء: إننا يجب أن ننسب الحدث إلى الله لا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، حتى نعرف أن الذين عارضوا رسول الله في مسألة الإسراء كانوا على خطأ فقد قالوا: أنضرب لها أكباد الإبل شهرا وتدعي أنك أتيتها في ليلة؟!

إن رسول الله لم يدع لنفسه هذا الأمر، لأنه لم يقل: سريت من مكة إلى بيت المقدس " حتى تقولوا: أنضرب لها أكباد الإبل شهرا وتدعي أنك أتيتها في ليلة ".

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: أسري بي. أي أنه صلى الله عليه وسلم ليس له فعل في الحدث.

والفعل إذن لله. ومادام هو من فعل الله فهو لا يحتاج إلى زمن؛ لذلك كان يجب أن يفهموا على أي شيء يعترضون. ولكنا نعرف أن الله سبحانه وتعالى أراد لهم أن يفهموا على تلك الطريقة؛ لأنه سيأتي أناس من المتحذلقين المعاصرين ويقولون: " إن الإسراء كان بالروح " نقول لهم: بالله لو قال محمد للعرب: أنا سريت بروحي أكانوا يكذبونه؟ تماما مثلما يقول لنا قائل: " أنا كنت في نيويورك الليلة ورأيتها في المنام " فهل سيكذبه أحد؟ لا. إذن لقد كذب العرب لأنهم فهموا أنه أسري به بمعنى كامل.. أي كان الإسراء بالجسد والروح معا، بدليل أنهم قارنوا فعلا بفعل، وحدثا بحدث، ونقلة بنقلة، وقالوا قولهم السابق. لقد جاءت هذه المسألة لتخدم الإسلام.

إذن ف " قدوس " يعني مطهر ومنزه. وساعة ترى شيئا مخالفا لقضية العقل اقرنه بفعل الله،ولا تقرنه بفعلك أنت أيها العبد؛ لأن الفعل يتناسب مع قوة الفاعل طردا أو عكسا. فإن كان الفاعل صاحب قدرة قوية. فزمنه أقل. مثال ذلك: نقل أردب من القمح من مكان إلى مكان، فإن كان الذي يحمل الأردب طفلا فلن ينقل الأردب إلا قدحا بقدح؛ وإن كان رجلا ناضجا سينقل الأردب "كيلة بكيلة ". وإن كان صاحب قوة كبيرة قد ينقل الأردب كله مرة واحدة. إذن فالزمن يتناسب مع القوة تناسبا عكسيا. فإن كثرت القوة قل الزمن. وهات أي فعل بقدرة الله فلن يستغرق أي زمن.

إذن قدس الله في كل شيء. والأرض المقدسة هي المطهرة، وذلك بإرادة الحق سبحانه، تماما كما أراد سبحانه أن تكون بقعة من الأرض هي الحرم، لا يتم فيها الاعتداء على صيد أو نبات أو اعتداء بعضكم على بعض، وهل ذلك كلام كوني أو كلام تشريعي؟﴿ أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ﴾[العنكبوت: ٦٧]

لو كانت المسألة إرادة كونية، فكان لا بد ألا يحدث خلل أبدا وألا يعتدي أحد على أحد. وما الفرق بين الكوني والتشريعي؟ إن الكوني يقع لأنه لا معارض في الأمور القهرية، فالحق يريد أن يكون عبدا طويل القامة، فتلك إرادة كونية تحدث ولا دخل للعبد بها. ولكن إن أراد الحق أن تكون طائعا مصليا، فتلك إرادة تشريعية. والإرادة تكون تشريعية فيما إذا كان للمريد اختيار، يصح أن يفعلها ويصح ألا يفعلها؛ لكن الإرادة الكونية هي فيما لا إرادة للإنسان فيه وواقع على رغم أنف الإنسان.

والله سبحانه وتعالى يريد الحرم آمنا. وتلك إرادة تشريعية لأنه حدث أن أهيج فيه أناس ولم يأمنوا. ولو كانت إرادة كونية لما حدثت أبدا. لذلك فهي إرادة تشريعية، فإن أطعنا ربنا جعلنا الحرم آمنا، وإن لم نطعه فالذي لا يطيع يهيج فيه الناس ويفزعهم ويخيفهم.

فمراد الله عز ومطلوبه شرعا " أن يكون الحرم آمنا ".

﴾ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴿ فهل هذه الأرض المقدسة كتبها الله لهم كتابة كونية أو كتابة تشريعية؟ إن كانت كتابة كونية لكان من اللازم أن يدخلوها ولكنه قال:﴿ فإنها محرمة عليهم ﴾[المائدة: ٢٦]

إذن هي إرادة تشريعية وليست إرادة كونية. فإن أطاعوا أمر الله وتشجعوا ودخلوا الأرض المقدسة فإنهم يأخذونها، وإن لم يطيعوه فهي محرمة عليهم. إذن فلا تناقض بين أن يقول سبحانه: إنه كتبها لهم، ثم قوله من بعد ذلك: إنها محرمة عليهم، لقد كتبها سبحانه كتابة تشريعية. فإن دخلوها بشجاعة ولم يخافوا ممن فيها واستبسلوا ووثقوا أن وراءهم إلها قويا

سيساندهم؛ فإنهم سيدخلونها، أما إن لم يفعلوا ذلك فهي محرمة عليهم.﴿ ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا علىا أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾[المائدة: ٢١]

وجاءت الأرض هنا أكثر من مرة:﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ﴾[الإسراء: ١٠٤]

وعرفنا مراد ذلك القول. ولادقة هنا أنه سبحانه جاء بأمر السكن في الأرض لبني إسرائيل أي في الأرض عموما ومحكوم عليهم أن يكونوا قطعا ومشردين.﴿ فإذا جآء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾[الإسراء: ١٠٤]

أي أنه سبحانه يجمعهم من كل بلد ويجيء بعد ذلك وعد الآخرة الذي جاء في أول سورة الإسراء:﴿ وقضينآ إلىا بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾[الإسراء: ٤]

لأن الحق حينما قال:﴿ سبحان الذي أسرىا بعبده ليلا من المسجد الحرام إلىا المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾[الإسراء: ١]

أي أنه سبحانه وتعالى يدخل بهذه الآية المسجد الأقصى في مقدسات الإسلام. وأوضح الحق لهم: يا أيها اليهود أنتم ستعيشون في مكان بعهد من رسولي، ولكنكم ستفسدون في المكان الذي تعيشون فيه وسيتحملكم القوم مرة أو اثنيتن وبعد ذلك يسلط الله عبادا له يجوسون خلال دياركم ويشردونكم من هذه البلاد.

والحق يبلغنا: نحن أعلمنا بني إسرائيل في كتابهم ما سيحدث لهم مع الإسلام:﴿ وقضينآ إلىا بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فإذا جآء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنآ أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴾[الإسراء: ٤-٥]

وبعض الناس يقولون: إن هذا كان أيام بختنصر؛ ونقول لهم: افهموا قول الحق: ﴿ فإذا جآء وعد أولاهما ﴾ وكلمة " وعد " لا تأتي لشيء يسبق الكلام بل الشيء يأتي من بعد ذلك. إذن فلم يكن ذلك في زمان بختنصر. ف " إذا " الموجودة أولا هي ظرف لما يستقبل من الزمان، أي بعد أن جاء هذا الكلام. ثم هل كان بختنصر يدخل ضمن عباد الله؟. إن قوله الحق: ﴿ عبادا لنآ ﴾ مقصود به الجنود الإيمانيون، وبختنصر هذا كان فارسيا مجوسيا.

وهذا القول الحكيم يشير إلى الفساد الأول مع رسول الله بعد العهد الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أجلاهم.

وهل هي تقتصر على هذه؟ يقول سبحانه:﴿ فإذا جآء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنآ أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴾[الإسراء: ٥]

ولنا أن نسأل: وهل لم يفسد بنو إسرائيل في الأرض إلا مرتين؟. لا، لولا أنهم لم يفسدوا في الأرض سوى مرتين، لكان ذلك بالقياس إلى مافعلوه أمرا طيبا؛ فقد أفسدوا أكثر من ذلك بكثير. ولابد أن يكون إفسادهم في الأرض المقصودة هو الفساد الذي صنعوه بالأرض التي كانت في حضانة الإسلام، وسبحانه قد قال: ﴿ بعثنا عليكم عبادا لنآ أولي بأس شديد ﴾ فمادام يوجد " عباد الله خالصوا الإيمان وأعدوا العدة فلا بد أن يتحقق وعد الله، لكن إذا ما تخلى الناس عن

هذا الوصف؛ فعلى الناس الذين يعانون من إفساد بني إسرائيل أن يتلقوا ما قاله الله:﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾[الإسراء: ٦]

فكأن الكرة لا ترد إلا إذا كان القوم المؤمنون على غير مطلوب الإيمان. فإذا ما تساءل بعض المؤمنين: ولماذا تجعل يا الله الكرة لبني إسرائيل؟. تكون الإجابة: لأنكم أيها الناس قد تخلفتم عن مطلوب العبودية الخالصة لله. ومادمنا قد تخلفنا عن مفهوم " عباد الله " فلا بد أن تحدث لنا تلك السلسلة الطويلة التي نعرفها من عدوان بني إسرائيل. ونحن الآن في مواجهة اليهود في مرحلة قوله الحق:﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾[الإسراء: ٦]

فإذا كنا عبادا لله فلن يتمكنوا منا. والله سبحانه وتعالى حينما يتكلم بقضية قرآنية فلا بد أن تأتي القضية الكونية مصدقة لها.

ولو استمر الأمر دون كرة من اليهود علينا، بينما نحن قد ابتعدنا عن منهجنا وأصبح كل يتبع هواه، لكانت القضية القرآنية غير ثابتة. ولكن لا بد من أن تأتي أحداث الكون مطابقة للقضية القرآنية. ولذلك رأينا أن بعض العارفين الذين نعتقد قربهم من الله حينما جاء أحدهم خبر دخول اليهود بيت المقدس سجد لله.

فقلنا: " أتسجد لله على دخول اليهود بيت المقدس ". فقال: نعم. صدق ربنا لأنه قد قال: ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ﴾ هكذا قال الحق، وهل يكون دخول لثاني مرة إلا إذا كان هناك خروج من أول مرة؟. لقد حمد ذلك العارف بالله ربنا لأن قضايا القرآن تتأكد بالكونيات، فإذا ما قال الحق:﴿ رددنا لكم الكرة ﴾[الإسراء: ٦]

فليست المسألة أنهم لكونهم يهودا لا يعطيهم الله الكرة. ولكن القضية هي أننا عندما نكون عبادا لله حقيقة.. اعتقادا وسلوكا.. قولا وعملا ننتصر عليهم.﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾[الإسراء: ٦]

وهم أغنياء لأنهم يديرون معظم حركة المال في العالم المعاصر.

ولأنهم جميعا في الجيش المدافع عن دولتهم. وذلك معنى بنين وأكثر نفيرا. النفير هو ما يستنفره الإنسان لنجدته؛ لأن قوة ذاته قاصرة عن الفعل. واليهود ليسوا قوة ذاتية بمفرد دولتهم، ولكن وراءهم أهم قوى في العالم المعاصر.

إذن فقوله الحق:﴿ وأمددناكم بأموال ﴾[الإسراء: ٦]

قول صدق وحق.

وقوله الحق:﴿ وبنين ﴾[الإسراء: ٦]

قول صدق وحق.

وقوله الحق:﴿ وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾[الإسراء: ٦]

قول صدق وحق.

ثم بعد ذلك يحسم الله قضيته ويقول لليهود:﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾[الإسراء: ٧]

وهل تستمر الكرة يا رب؟.

لا. فها هوذا الحق سبحانه يقول:﴿ فإذا جآء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ﴾[الإسراء: ٧]

كأن الحق يعطينا البشارة بأننا سننتصر؛ ويكون الانتصار مرهونا بتنفيذ القاعدة التي شرعها الله بأن نكون عبادا لله حقا، عندئذ سيكل الله لنا تنفيذ وعده لليهود:﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾[الإسراء: ٧]

وأشرف ما في الإنسان هو الوجه، وعندما نكون عبادا لله سنسوء وجوههم، وفوق ذلك:﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾[الإسراء: ٧]

ولم يأت الحق بذكر المسجد من قبل، فها هوذا قوله الكريم:﴿ وقضينآ إلىا بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فإذا جآء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنآ أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴾[الإسراء: ٤-٥]

إذن فالحق هنا لم يأت بذكر المسجد في أول مرة. فكيف يكون دخولنا المسجد إذن؟. لقد دخلنا المسجد الأقصى أول مرة في الامتداد الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه. والمسجد الأقصى أيام عمر بن الخطاب لم يكن في نطاق بني إسرائيل، ولكن كان في نطاق الدولة الرومانية، فدخولنا المسجد أول مرة لم يكن نكاية فيهم. ولكن الحق جاء بالمرة الثانية هنا والمسجد في نطاق سيطرة بني إسرائيل.﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ﴾[الإسراء: ٧]

سنكون نحن إذن عبادا لله ذوي البأس الشديد الذين سندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة، وجاء الحق سبحانه بالمسجد هنا؛ لأن دخول المسجد أول مرة لم يكن إذلالا لليهود، فقد كانت السلطة السياسية في ذلك الزمن تتبع - كما قلنا - الدولة الرومانية.

ويضيف الحق من بعد ذلك:﴿ وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾[الإسراء: ٧]

وحتى نتبر ما يعلونه - أي نجعله خرابا - لابد أن تمر مدة ليعلوا في البينان.

وعلينا أن نعد أنفسنا لتكون عبادا لله لنعيش وعد الآخرة وقد جعلها الله وعدا تشريعيا، فإذا عدنا عبادا لله فسندخل المسجد ونتبر ما علوا تتبيرا، والحق سبحانه وتعالى في آيات سورة المائدة التي نحن بصدد خواطرنا عنها يأتي بلقطة عن بلاغه لسيدنا موسى بعد خروجه مع قومه من مصر، فقال:﴿ ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا علىا أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾[المائدة: ٢١]

وقلنا إن الكتابة هنا تشريعية وليست كونية، فلو كان الأمر كونيا لدخلوا الأرض المقدسة بدون عقبات وبدون صراع وبدون قتال.

والدليل على أن الكتابة تشريعية هو قوله الحق: ﴾ ولا ترتدوا علىا أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴿ أي أنكم إن ارتددتم على أدباركم انقلبتم خاسرين. فإن أطعتم الله ودخلتم الأرض دون إدبار، فستدخلون الأرض، وإن لم تفعلوا فلن تدخلوها. إذن ليست كتابة الأرض هنا كونية، ولكنها تشريعية.

وقوله الحق: ﴾ ولا ترتدوا علىا أدباركم ﴿ يشرح لنا طبيعة مواجهة الخصم؛ فالإنسان حين يواجه خصمه فهو يواجهه بوجهه. فإن فر الخصم من أمامه فهو يولي أدباره. والتولي على الأدبار يكون على لونين: لون هو الإدبار من أجل أن

ينحرف الإنسان إلى جماعة وفئة لتشتد قوتهم ويقووا على هزيمة العدو أو يصنع مكيدة؛ ليعيد مواجهة الخصم، ولون آخر وهو الفرار وذلك مذموم، ومن المعاصي الموبقات المهلكات. وفي ذلك يقول الحق سبحانه:﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلىا فئة فقد بآء بغضب من الله ﴾[الأنفال: ١٦]

فالارتداد على الأدبار ليس مذموما إن كان من أجل حيلة أو صنع كمين للعدو. وفي هذه الحالة لا بأس أن يرتد الإنسان، أما خلاف ذلك فهو مذموم. وهل الارتداد على الأدبار رجوع بالظهر إلى الوراء مع الاحتفاظ بالوجه في مواجهة الخصم؟. أو هو التفات بالوجه ناحية الدبر وفرار من العدو؟. كلا الأمرين يصح. وقد جاء الأمر إلى بني إسرائيل بعدم الفرار ليدخلوا الأرض فماذا كان موقفهم مادامت الكتابة لهذا الأمر تشريعية؟.

". <تفسير الشعراوي ص/٦٨٣>

"-٣٩

أي صارت مصر والشام تحت إمرة بني إسرائيل، وهي الأرض التي باركها الله، بالخصب، وبالنماء، بالزروع، بالثمار، بالحيوانات، وبكل شيء من مقومات الحياة، وترف الحياة: ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنا علىا بني إسرآئيل بما صبروا ﴾.

﴿ وتمت كلمة ربك ﴾ أي استمرت عليهم الكلمة وتم وعد الله الصادق بالتمكين لبني إسرائيل في الأرض ونصره إياهم على عدوهم، واكتملت النعمة؛ لأن الله أهلك عدوهم وأورثهم الأرض، وتحققت كلمته سبحانه التي جاءت على لسان موسى:﴿ ...ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾[الأعراف: ١٢٩]

هكذا تمت كلمة الله بقوله سبحانه: ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها ﴾ [الأعراف: ١٣٧]

ونعلم أن كلمة ﴿ مشارق الأرض ومغاربها ﴾ تقال بالنسبيات؛ فليس هناك مكان اسمه مشرق وآخر اسمه مغرب، لكن هذه اتجاهات نسبية؛ فيقال هذا مشرق بالنسبة لمكان ما، وكذلك يقال له " مغرب " بالنسبة لمكان آخر. وحين ينتقل الإنسان إلى مكان آخر يوجد مشرق آخر ومغرب آخر. وعلى سبيل المثال نجد من يسكن في الهند واليابان يعلمون أن منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لهم مغرب، ومن يسكنون أوروبا يعرفون أن الشرق الأوسط بالنسبة لهم مشرق.

وقلنا من قبل: إن الحق حين جاء " بالمشرق والمغرب " بصيغة الجمع كما هنا فذلك إنما يدل على أن لكل مكان مشرقا، ولكل مكان مغربا؛ فإذا غربت الشمس في مكان فهي تشرق في مكان آخر. وفي رمضان نجد الشمس تغرب في القاهرة قبل الإسكندرية بدقائق.

ونعلم أن سبب هذه الدورة إنما هو ليبقى ذكر الله بكل مطلوبات الله في كل أوقات الله، مثال ذلك حين نصلى نحن صلاة الفجر نجد أناسا يصلون في اللحظة نفسها صلاة الظهر، ونجد آخرين يصلون صلاة العصر، وقوما غيرهم يصلون صلاة المغرب، وغيرهم يصلي صلاة العشاء. وبذلك تحقق إرادة الله في أن هناك عبادة في كل وقت وفي كل لحظة، فحين يؤذن مسلم قائلا " الله أكبر " لينادي لصلاة الفجر، هناك مسلم آخر يقول: " الله أكبر " مناديا لصلاة الظهر أو العصر

أو المغرب أو العشاء، وهذا هو الاختلاف في المطالع أراد به سبحانه أن يظل اسمه مذكورا على كل لسان في كل مكان لتعلو " الله أكبر، الله أكبر " في كل مكان.

وأنت إذا حسبت الزمن بأقل من الثانية تجد أن كون الله لا يخلو من " لا إله إلا الله " أبدا: ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنا ﴾. ونعلم أن كلمة " الحسنى " وصف للمؤنث، و "كلمة " مؤنثة، والكلمة هي قوله الحق:﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾[القصص: ٥]

لقد قال الحق القصة بإيجاز، وهذه هي التي قالها ربنا وهي كلمة " الحسنى " لأنه سبحانه لم يعط لهم نعمة معاصرة لنعمة العدو، بل نعمة على أنقاض العدو، فهي نعمة تضم إهلاك عدوهم، ثم أعطاهم بعد ذلك أن جعلهم أئمة وهداة وورثهم الأرض: ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنا علىا بني إسرآئيل بما صبروا ﴾.

وهم بالفعل قد صبروا على الإيذاء الذي نالوه وذكره سبحانه من قبل حين قال:﴿ يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبنآءكم ويستحيون نسآءكم... ﴾[البقرة: ٤٩]

وجاء عقاب الله لقوم فرعون: ﴿... ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ [الأعراف: ١٣٧]

والتدمير هو أن تدرك شيئا وتخربه، وقد ظل ما فعله الله بقوم فرعون باقيا في الآثار التي تدلك على عظمة ما فعلوا، وتجد العلماء في كل يوم يكتشفون تحت الأرض آثارا كثيرة. ومن العجيب أن كل كشوف الآثار تكون تحت الأرض، ولا يوجد كشف أثري جاء من فوق الأرض أبدا.

وكلمة " دمرنا " تدل على أن الأشياء المدمرة كانت عالية الارتفاع ثم جاءت عوامل التعرية لتغطيها، ويبقى الله شواهد منها لتعطينا نوع ما عمروا؛ كالأهرام مثلا. وكل يوم نكتشف آثارا جديدة موجودة تحت الأرض مثلما اكتشفنا مدينة طيبة في وادي الملوك، وكانت مغطاة بالتراب بفعل عوامل التعرية التي تنقل الرمال من مكان إلى مكان. وأنت إن غبت عن بيتك شهرا ومع أنك تغلق الأبواب والشبابيك قبل السفر؛ ثم تعود فتجد التراب يغطي جميع المنزل والأثاث؛ كل ذلك بفعل عوامل التعرية التي تنفذ من أدق الفتحات، ولذلك لو نظرت إلى القرى القديمة قبل أن تنشأ عمليات الرصف التي تثبت الأرض نجد طرقات القرية التي تقود إلى البيوت ترتفع مع الزمن شيئا فشيئا وكل بيت تنزل به قليلا، وكل فترة يردمون أرضية البيوت لتعلو، وكل ذلك من عوامل التعرية التي تزيد من ارتفاع أرضية الشوارع. وكل آثار الدنيا لا تكتشف إلا بالتنقيب، إذن فكلمة " دمرنا " لها سند. والحق يقول عن أبنية فرعون:﴿ وفرعون ذى الأوتاد ﴾[الفجر: ١٠]

ونجد الهرم مثلا كشاهد على قوة البناء، وإلى الآن لم يكتشف أحد كيف تم بناء الهرم. وكيف تتماسك صخوره دون مادة كالأسمنت مثلا، بل يقال: إن بناء الهرم قد تم بأسلوب تفريغ الهواء، ولا أحد يعرف كيف نقل المصريون الصخرة التي على قمة الهرم. إذن فقد كانوا على علم واسع. وإذا ما نظرنا إلى هذا العلم عمارة وآثارا وتحنيطا لجثث القدماء، إذا نظرت إلى كل هذا وعلمت أن القائمين به كانوا من الكهنة المنسوبين للدين، لتأكدنا أن أسرار هذه المسائل كلها كانت عند رجال الدين، وأصل الدين من السماء، وإن كان قد حرف. وهذا يؤكد لنا أن الحق هو الذي هدى الناس من أول الخلق

إلى واسع العلم. ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى علىا بني إسرآئيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ [الأعراف: ١٣٧]

و " يعرشون " أي يقيمون جنات معروشات، وقلنا من قبل: إن الزروع مرة تكون على سطح الأرض وليس لها ساق ومرة يكون لها ساق، وثالثة يكون لها ساق لينة فيصنعون له عريشة أو كما نسميه نحن التكعيبة لتحمله وتحمل ثمره.

وبعد ذلك يقول الحق: ﴿ وجاوزنا ببني إسرآئيل... ﴾

". <تفسير الشعراوي ص/١٠٧٩>

"٤٠-

فالحق سبحانه يقول هنا:

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا... ﴾ [النحل: ٣٦].

وفي آية أخرى يقول سبحانه:﴿ من كل أمة ﴾[النحل: ٨٤].

فهذه لها معنى، وهذه لها معنى.. فقوله:﴿ من كل أمة ﴾[النحل: ٨٤].

أي: من أنفسهم، منهم خرج، وبينهم تربى ودرج، يعرفون خصاله وصدقه ومكانته في قومه.

أما قوله تعالى: ﴿ في كل أمة ﴾ [النحل: ٣٦].

ف " في " هنا تفيد الظرفية. أي: في الأمة كلها، وهذه تفيد التغلغل في جميع الأمة.. فلا يصل البلاغ منه إلى جماعة دون أخرى، بل لا بد من عموم البلاغ لجميع الأمة.

وكذلك يقول تعالى مرة:﴿ أرسلنا... ﴾[الحديد: ٢٦].

ومرة أخرى يقول:

﴿ بعثنا ﴾ [النحل: ٣٦].

وهناك فرق بين المعنيين ف ﴿ أرسلنا ﴾ تفيد الإرسال، وهو: أن يتوسط مرسل إلى مرسل إليه. أما ﴿ بعثنا ﴾ فتفيد وجود شيء سابق اندثر، ونريد بعثه من جديد.

ولتوضيح هذه القضية نرجع إلى قصة آدم ـ عليه السلام ـ حيث علمه الله الأسماء كلها، ثم أهبطه من الجنة إلى الأرض. وقال:﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[البقرة: ٣٨].

وقال في آية أخرى:﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾[طه: ١٢٣].

إذن: هذا منهج من الله تعالى لآدم ـ عليه السلام ـ والمفروض أن يبلغ آدم هذا المنهج لأبنائه، والمفروض في أبنائه أن يبلغوا هذا المنهج لأبنائهم، وهكذا، إلا أن الغفلة قد تستحوذ على المبلغ للمنهج، أو عدم رعاية المبلغ للمنهج فتنطمس المناهج، ومن هنا يبعثها الله من جديد، فمسألة الرسالات لا تأتي هكذا فجأة فجماعة من الجماعات، بل هي موجودة منذ أول الخلق.

فالرسالات إذن بعث لمنهج إلهي، كان يجب أن يظل على ذكر من الناس، يتناقله الأبناء عن الآباء، إلا أن الغفلة قد تصيب المبلغ فلا يبلغ، وقد تصيب المبلغ فلا يلتزم بالبلاغ؛ لذلك يجدد الله الرسل.

وقد وردت آيات كثيرة في هذا المعنى، مثل قوله تعالى:﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾[فاطر: ٢٤].

وقوله:﴿ ذالك أن لم يكن ربك مهلك القربا بظلم وأهلها غافلون ﴾[الأنعام: ١٣١].

وقوله:﴿ وما كنا معذبين حتىا نبعث رسولا ﴾[الإسراء: ١٥].

لذلك نرى غير المؤمنين بمنهج السماء يضعون لأنفسهم القوانين التي تنظم حياتهم، أليس لديهم قانون يحدد الجرائم ويعاقب عليها؟ فلا عقوبة إلا بتجريم، ولا تجريم إلا بنص، ولا نص إلا بإبلاغ.

وهنا أيضا نلاحظ أنه قد يتعاصر الرسولان، ألم يكن إبراهيم ولوط متعاصرين؟ ألم يكن شعيب وموسى متعاصرين؟ فما علة ذلك؟

نقول: لأن العالم كان قديما على هيئة الانعزال، فكل جماعة منعزلة في مكانها عن الأخرى لعدم وجود وسائل للمواصلات، فكانت كل جماعة في أرض لا تدري بالأخرى، ولا تعلم عنها شيئا.

ومن هنا كان لكل جماعة بيئتها الخاصة بما فيها من عادات وتقاليد ومنكرات تناسبها، فهؤلاء يعبدون الأصنام، وهؤلاء يطففون الكيل والميزان، وهؤلاء يأتون الذكران دون النساء.

إذن: لكل بيئة جريمة تناسبها، ولا بد أن نرسل الرسل لمعالجة هذه الجرائم، كل في بلد على حدة.

لكن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت على موعد مع التقاءات الأمكنة مع وجود وسائل المواصلات، لدرجة أن المعصية تحدث مثلا في أمريكا فنعلم بها في نفس اليوم.. إذن: أصبحت الأجواء والبيئات واحدة، ومن هنا كان منطقيا أن يرسل صلى الله عليه وسلم للناس كافة، وللأزمنة كافة.

وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الشمولية بقوله:﴿ ومآ أرسلناك إلا كآفة للناس بشيرا ونذيرا.. ﴾[سبأ: ٢٨].

أي: للجميع لم يترك أحدا، كما يقول الخياط: كففت القماش أي: جمعت بعضه على بعض، حتى لا يذهب منه شيء.

ثم يقول الحق سبحانه:

﴿ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت... ﴾ [النحل: ٣٦].

هذه هي مهمة الرسل:

﴿ أن اعبدوا الله... ﴾ [النحل: ٣٦].

والعبادة معناها التزام بأمر فيفعل، وينهي عن أمر فلا يفعل؛ لذلك إذا جاء من يدعي الألوهية وليس معه منهج نقول له: كيف نعبدك؟ وما المنهج الذي جئت به؟ بماذا تأمرنا؟ عن أي شيء تنهانا؟

فهنا أمر بالعبادة ونهي عن الطاغوت، وهذا يسمونه تحلية وتخلية: التحلية في أن تعبد الله، والتخلية في أن تبتعد عن الشيطان.

ولذلك سيكون الجزاء عليها في الآخرة من جنس هذه التحلية والتخلية؛ ولذلك نجد في قول الحق تبارك وتعالى:﴿ فمن زحزح عن النار... ﴾[آل عمران: ١٨٥].

أي: خلي عن العذاب.﴿ وأدخل الجنة.. ﴾[آل عمران: ١٨٥].

أي: حلي بالنعيم.

وقوله سبحانه:

﴿ واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل: ٣٦].

أي: ابتعدوا عن الطاغوت.. فيكون المقابل لها: تقربوا إلى الله و ﴿ الطاغوت ﴾ فيها مبالغة تدل على من وصل الذروة في الطغيان وزاد فيه.. وفرق بين الحدث المجرد مثل طغى، وبين المبالغة فيه مثل (طاغوت)، وهو الذي يزيده الخضوع لباطله طغيانا على باطل أعلى.

ومثال ذلك: شاب تمرد على مجتمعه، وأخذ يسرع الشيء التافه القليل، فوجد الناس يتقربون إليه ويداهنونه اتقاء شره، فإذا به يترقى في باطله فيشتري لنفسه سلاحا يعتدي به على الأرواح، ويسرق الغالي من الأموال، ويصل إلى الذروة في الظلم والاعتداء، ولو أخذ الناس على يده منذ أول حادثة لما وصل إلى هذه الحال.

ومن هنا وجدنا الديات تتحملها العاقلة وتقوم بها عن الفاعل الجاني، ذلك لما وقع عليها من مسئولية ترك هذا الجاني، وعدم الأخذ على يده وكفه عن الأذى.

ونلاحظ في هذا اللفظ (الطاغوت) أنه لما جمع كل مبالغة في الفعل نجده يتأبى على المطاوعة، وكأنه طاغوت في لفظه ومعناه، فنراه يدخل على المفرد والمثنى والجمع، وعلى المذكر والمؤنث، فنقول: رجل طاغوت، وامرأة طاغوت، ورجلان طاغوت، وامرأتان طاغوت، ورجال طاغوت، ونساء طاغوت، وكأنه طغى بلفظه على جميع الصيغ.

إذن: الطاغوت هو الذي إذا ما خضع الناس لظلمه ازداد ظلما. ومنه قوله تعالى:﴿ فاستخف قومه فأطاعوه... ﴾[الزخرف: ٥٤].

فقد وصل به الحال إلى أن ادعى الألوهية، وقال:﴿ ما علمت لكم من إله غيري... ﴾[القصص: ٣٨].

ويحكى في قصص المتنبئين أن أحد الخلفاء جاءه خبر مدع للنبوة، فأمرهم ألا يهتموا بشأنه، وأن يتركوه، ولا يعطوا لأمره بالا لعله ينتهي، ثم بعد فترة ظهر آخر يدعي النبوة، فجاءوا بالأول ليرى رأيه في النبي الجديد: ما رأيك في هذا الذي يدعي النبوة؟! أيكم النبي؟ فقال: إنه كذاب فإني لم أرسل أحدا!! ظن أنهم صدقوه في ادعائه النبوة، فتجاوز هذا إلى ادعاء الألوهية، وهكذا الطاغوت.

وقد وردت هذه الكلمة ﴿ الطاغوت ﴾ في القرآن ثماني مرات، منها ستة تصلح للتذكير والتأنيث، ومرة وردت للمؤنث في قوله تعالى:﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها.. ﴾[الزمر: ١٧].

ومرة وردت للمذكر في قوله تعالى:﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به... ﴾[النساء: ٦٠].

وفي اللغة كلمات يستوي فيها المذكر والمؤنث، مثل قول الحق تبارك وتعالى:﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا... ﴾[الأعراف: ١٤٦].

وقوله:﴿ قل هاذه سبيلي... ﴾[يوسف: ١٠٨].

فكلمة " سبيل " جاءت مرة للمذكر، ومرة للمؤنث.

ثم يقول تعالى:

﴿ فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة... ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد أخذت بعضهم هذه الآية على أنها حجة يقول من خلالها: إن الهداية بيد الله، وليس لنا دخل في أننا غير مهتدين.. إلى آخر هذه المقولات.

نقول: تعالوا نقرأ القرآن.. يقول تعالى:﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمىا على الهدىا ﴾[فصلت: ١٧].

ولو كانت الهداية بالمعنى الذي تقصدون لما استحبوا العمى وفضلوه، لكن " هديناهم " هنا بمعنى: دللناهم وأرشدناهم فقط، ولهم حق الاختيار، وهم صالحون لهذه ولهذه، والدلالة تأتي للمؤمن وللكافر، دل الله الجميع، فالذي أقبل على الله بإيمان به زاده هدى وآتاه تقواه، كما قال تعالى:﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾[محمد: ١٧].

ومن هذا ما يراه البعض تناقضا بين قوله تعالى:

﴿ إنك لا تهدي من أحببت... ﴾[القصص: ٥٦].

وقوله:﴿ وإنك لتهدي إلىا صراط مستقيم ﴾[الشورى: ٥٢].

حيث نفى الحق سبحانه عن الرسول صلى الله عليه وسلم الهداية في الأولى، وأثبتها له في الثانية. نلاحظ أن الحدث هنا واحد وهو الهداية، والمتحدث عنه واحد هو الرسول صلى الله عليه وسلم، فكيف يثبت حدث واحد لمحدث واحد مرة، وينفيه عنه مرة؟!

لا بد أن تكون الجهة منفكة.. في:﴿ إنك لا تهدي... ﴾[القصص: ٥٦].

أي: لا تستطيع أن تدخل الإيمان في قلب من تحب، ولكن تدل وترشد فقط، أما هداية الإيمان فبيد الله تعالى يهدي إليه من عنده استعداد للإيمان، ويصرف عنها من أعرض عنه ورفضه.

وكأن الله تعالى في خدمة عبيده، من أحب شيئا أعطاه إياه ويسره له، وبذلك هدى المؤمن للإيمان، وختم على قلب الكافر بالكفر.

إذن: تأتي الهداية بمعنيين: بمعنى الدلالة والإرشاد كما في الآية السابقة، وبمعنى المعونة وشرح الصدر للإيمان كما في قوله تعالى:﴿ ولـاكن الله يهدي من يشآء.. ﴾[القصص: ٥٦].

وقوله:﴿ زادهم هدى.. ﴾[محمد: ١٧].

فقوله تعالى:

﴿ فمنهم من هدى الله... ﴾ [النحل: ٣٦].

أي: هداية إيمان ومعونة بأن مكن المنهج في نفسه، ويسره له، وشرح به صدره.

﴿ ومنهم من حقت عليه الضلالة.. ﴾ [النحل: ٣٦].

حقت: أي أصبحت حقا له، ووجبت له بما قدم من أعمال، لا يستحق معها إلا الضلالة، فما حقت عليهم، وما وجبت لهم إلا بما عملوا.

وهذه كقوله تعالى:﴿ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[الأنعام: ١٤٤].

أيهما أسبق: عدم الهداية من الله لهم، أم الظلم منهم؟

واضح أن الظلم حدث منهم أولا، فسماهم الله ظالمين، ثم كانت النتيجة أن حرموا الهداية.

وتذكر هنا مثالا كثيرا ما كررناه ليرسخ في الأذهان ـ ولله المثل الأعلى ـ هب أنك سائر في طريق تقصد بلدا ما، فصادفك مفترق لطرق متعددة، وعلامات لاتجاهات مختلفة، عندها لجأت لرجل المرور: من فضل أريد بلدة كذا، فقال لك: من هنا. فقلت: الحمد لله، لقد كدت أضل الطريق، وجزاك الله خيرا.

فلما وجدك استقبلت كلامه بالرضا والحب، وشكرت له صنيعه أراد أن يزيد لك العطاء. فقال لك: لكن في هذا الطريق عقبة صعبة، وسوف أصحبك حتى تمر منها بسلام.

هكذا كانت الأولى منه مجرد دلالة، أما الثانية فهي المعونة، فلما صدقته في الدلالة أعانك على المدلول.. هكذا أمر الرسل في الدلالة على الحق، وكيفية قبول الناس لها.

ولك أن تتصور الحال لو قلت لرجل المرور هذا: يبدو أنك لا تعرف الطريق.. فسيقول لك: إذن اتجه كما تحب وسر كما تريد.

وكلمة " الضلالة " مبالغة من الضلال وكأنها ضلال كبير، ففيها تضخيم للفعل، ومنها قوله تعالى:﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مدا... ﴾[مريم: ٧٥].

ثم يقيم لنا الحق ـ تبارك وتعالى ـ الدليل على بعثة الرسل في الأمم السابقة لنتأكد من إخباره تعالى، وأن الناس انقسموا أقساما بين مكذب ومصدق، قال تعالى:

﴿ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [النحل: ٣٦].

فهناك شواهد وأدلة تدل على أن هنا كان ناس، وكانت لهم حضارة اندكت واندثرت، كما قال تعالى في آية أخرى:﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ﴾[الصافات: ١٣٧].

فأمر الله تعالى بالسياحة في الأرض للنظر والاعتبار بالأمم السابقة، مثل: عاد وثمود وقوم صالح وقوم لوط وغيرهم.

والحق تبارك وتعالى يقول هنا:

﴿ فسيروا في الأرض... ﴾ [النحل: ٣٦].

وهل نحن نسير في الأرض، أم على الأرض؟

نحن نسير على الأرض.. وكذلك كان فهمنا للآية الكريمة، لكن المتكلم بالقرآن هو ربنا تبارك وتعالى، وعطاؤه سبحانه سيظل إلى أن تقوم الساعة، ومع الزمن تتكشف لنا الحقائق ويثبت العلم صدق القرآن وإعجازه.

فمنذ أعوام كنا نظن أن الأرض هي هذه اليابسة التي نعيش عليها، ثم أثبت لنا العلم أن الهواء المحيط بالأرض (الغلاف الجوي) هو إكسير الحياة على الأرض، وبدون لا تقوم عليها حياة، فالغلاف الجوي جزء من الأرض.

وبذلك نحن نسير في الأرض، كما نطق بذلك الحق ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه العزيز.

ونقف أمام ملحظ آخر في هذه الآية:﴿ فسيروا في الأرض فانظروا... ﴾[آل عمران: ١٣٧].

وفي آية أخرى يقول:﴿ قل سيروا في الأرض ثم انظروا... ﴾[الأنعام: ١١].

ليس هذا مجرد تفنن في العبارة، بل لكل منهما مدلول خاص، فالعطف بالفاء يفيد الترتيب مع التعقيب.

أي: يأتي النظر بعد السير مباشرة.. أما في العطف بثم فإنها تفيد الترتيب مع التراخي. أي: مرور وقت بين الحدثين، وذلك كقوله تعالى:﴿ ثم أماته فأقبره * ثم إذا شآء أنشره ﴾[عبس: ٢٢].

وقول الحق سبحانه:

﴿ فانظروا... ﴾ [النحل: ٣٦].

فكأن الغرض من السير الاعتبار والاتعاظ، ولا بد ـ إذن ـ من وجود بقايا وأطلال تدل على هؤلاء السابقين المكذبين، أصحاب الحضارات التي أصبحت أثرا بعد عين.

وها نحن الآن نفخر بما لدينا من أبنية حجرية مثل الأهرامات مثلا، حيث يفد إليها السياح من شتى دول العالم المتقدم؛ ليروا ما عليها هذه الحضارة القديمة من تطور وتقدم يعجزهم ويحيرهم، ولم يستطيعوا فك طلاسمه حتى الآن.

ومع ذلك لم يترك الفراعنة ما يدل على كيفية بناء الأهرامات، أو ما يدل على كيفية تحنيط الموتى؛ مما يدل على أن هؤلاء القوم أخذوا أخذة قوية اندثرت معها هذه المراجع وهذه المعلومات، كما قال تعالى:﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾[مريم: ٩٨].

وقد ذكر لنا القرآن من قصص هؤلاء السابقين الكثير كما في قوله تعالى:﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾[الفجر: ٦-٨].

وقال:﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾[الفجر: ٩-١٣].

هذا ما حدث للمكذبين في الماضي، وإياكم أن تظنوا أن الذي يأتي بعد ذلك بمنجى عن هذا المصير.. كلا:﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾[الفجر: ١٤].

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ إن تحرص علىا... ﴾.

". <تفسير الشعراوي ص/١٩٢١>

٤١-"

وهذه خصوصية من خصوصيات قوم هود، والريع: هو المكان المرتفع، لذلك بعض الناس يقولون: كم ريع بنائك؟ يعني: ارتفاعه كم مترا، فكأن الارتفاع يثمن البقعة، ويطلق الريع على الارتفاع في كل شيء.

وكلمة ﴿ آية ﴾ [الشعراء: ١٢٨] بعد ﴿ أتبنون ﴾ [الشعراء: ١٢٨] تعني: القصور العالية التي تعتبر آية في الإبداع وجمال العمارة والزخرفة والفخامة والاتساع والرفعة في العلو.

وقال ﴿ تعبثون ﴾ [الشعراء: ١٢٨] لأنهم لن يخلدوا في هذه القصور، ومع ذلك يشيدونها لتبقى أجيالا من بعدهم، فعد هذا بعثا منهم؛ لأن الإنسان يكفيه أقل بناء ليأويه فترة حياته.

أو ﴿ تعبثون ﴾ [الشعراء: ١٢٨] لأنهم كانوا يجلسون في شرفات هذه القصور يصدون الناس، ويصرفونهم عن هود وسماع كلامه ودعوته التي تلفتهم إلى منهج الحق.

ونحن لم نر حضارة عاد، ولم نر آثارهم، كما رأينا مثلا آثار الفراعنة في مصر؛ لأن حضارة عاد طمرتها الرمال، وكانوا بالجزيرة العربية في منطقة تسمى الآن بالربع الخالي؛ لأنها منطقة من الرمال الناعمة التي يصعب السير أو المعيشة بها، لكن لكي نعرف هذه الحضارة نقرأ قوله تعالى في سورة الفجر:

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾[الفجر: ٦-٨].

وما دامت لم يخلق مثلها في البلاد، فهي أعظم من حضارة الفراعنة التي نشاهدها الآن، ويفد إليها الناس من كل أنحاء العالم ليشاهدوا الأهرام مثلا، وقد بنيت لتكون مجرد مقابر، ومع تقدم العلم في عصر الحضارة والتكنولوجيا، ما زال هذا البناء محيرا للعلماء، لم يستطيعوا حتى الآن معرفة الكثير من أسراره.

ومن هذه الأسرار التي اهتدوا إليها حديثا كيفية بناء أحجار الأهرام دون ملاط مع ضخامتها، وقد توصلوا إلى أنها بنيت بطريقة تفريغ الهواء مما بين الأحجار، وهذه النظرية تستطيع ملاحظتها حين تضع كوبا مبللا بالماء على المنضدة مثلا، ثم تتركه فترة حتى يتبخر الماء من تحته، فإذا أردت أن ترفعه من مكانه تجده قد لصق بالمنضدة.

وليس عجيبا أن تختفي حضارة، كانت أعظم حضارات الدنيا تحت طبقات الرمال، فالرمال حين تثور تبتلع كل ما أمامها، حتى إنها طمرت قبيلة كاملة بجمالها ورجالها، وهذه هبة واحدة، فما بالك بثورة الرمال، وما تسفوه الريح طوال آلاف السنين؟

وأنا واثق من أنهم إذا ما نبشوا هذه الرمال وأزاحوها لوجدوا تحتها أرضا خصبة وآثارا عظيمة، كما نرى الاكتشافات الأثرية الآن كلها تحت الأرض، وفي فيينا أثناء حفر أحد خطوط المجاري هناك وجدوا آثارا لقصور ملوك سابقين.

وطالما أن الله تعالى قال عن عاد: ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون ﴾ [الشعراء: ١٢٨] فلا بد أن هناك قصورا ومباني مطمورة تحت هذه الرمال.

". <تفسير الشعراوي ص/٣٠١٣>

"٤٢-

خشي فرعون من كلام موسى على قومه، وتصور أنه سيحدث لهم كما نقول (غسيل مخ) فأراد أن يذكرهم بألوهيته، وأنه لم يتأثر بما سمع من موسى ﴿ يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري... ﴾ [القصص: ٣٨] يعني: إياكم أن تصدقوا كلام موسى، فأنا إلهكم، وليس لكم إله غيري.

ثم يؤكد هذه الألوهية فيقول لهامان وزيره: ﴿ فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلىا إلاه موسا... ﴾ [القصص: ٣٨] وفي موضع آخر قال:﴿ ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلىا إلاه موسا... ﴾[غافر: ٣٦ - ٣٧].

وكأنه يريد أن يرضي قومه، فها هو يريد أن يبحث عن الإله الذي يدعيه موسى، وكأنه إن بنى صرحا واعتلاه سيرى رب موسى، لكن هل بنى له هامان هذا الصرح؟ لم يبن له شيئا، مما يدل على أن المسألة هزل في هزل، وضحك على القوم الذين استخفهم ولعب بعقولهم.

وإلا، فما حاجتهم لحرق الطين ليصير هذه القوالب الحمراء التي نراها ونبني بها الآن وعندهم الحجارة والجرانيت التي بنوا بها الأهرامات وصنعوا منها التماثيل؟ وعملية حرق الطين تحتاج إلى كثير من الوقت والجهد، إذن: المسألة كسب الوقت من الخصم، وتخدير الملأ من قومه.

وقوله: ﴿ لعلي أطلع إلىا إلاه موسا... ﴾ [القصص: ٣٨] وقبل أن يصل إلى حكم فيرى إله موسى أو لا يراه، يبادر بالحكم على موسى ﴿ وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ [القصص: ٣٨]؛ ليصرف ملأه عن كلام موسى.

". <تفسير الشعراوي ص/٣٢١٨>

"٤٣-

الحق - سبحانه وتعالى - تكلم عن الرسالة التي أرسل بها رسوله صلى الله عليه وسلم ليؤكد في الناس عقيدة أعلى، وهي عقيدة الوجود للإله الواحد الذي لا شريك له، ثم بين أن لنا مع الله لقاء آخر حين تنتهي هذه الدنيا الفانية، ثم نستقبل حياة خالدة، إما إلى جنة إن شاء الله، وإما إلى نار ونعوذ بالله.

والحق سبحانه حين يعرض آياته في الكون يعرضها لتثبت أنه هو الذي خلق هذه الآيات العجيبة، فلم يتركنا سبحانه ننظر وننصرف إنما لفتنا ونبهنا إلى وجوب النظر إلى آياته في الكون، وحين يأتي من يريد أن ينبه عقلك فاعلم أنه لا يريد أن يخدعك، أو أن يأخذك على غرة، فربك يقول لك: استقبل كلامي هذا بمنتهى التدبر والتذكر والتعقل.

ولو لم يكن واثقا من أنه سيصل بالتدبر والتعقل والتذكر إلى الغاية التي يريدها لما نبه عقلك لآياته، كما ترى عارض السلعة الجيدة الواثق من جودتها يعرضها عليك، ويكشفها لك، ويدعوك إلى فحصها وتأمل ما فيها، فهو لا يفعل ذلك إلا لثقته في بضاعته وأنها ستنال رضاك.

أما صاحب السلعة المغشوشة فيخدعك ويسلك معك أساليب اللف والدوران والتغرير، فحين تذهب مثلا لشراء حذاء وجاء ضيقا يقول لك: سيتسع بعدما تمشي فيه، فإن جاء واسعا يقول لك: أحضر لك واحدا أوسع؟ ليوهمك أنه ضيق، وأساليب هؤلاء مكشوفة لا تخفى على أحد، فالذي يريد أن يغش أو يخدع يلف القضايا ليسترها عن عقلك المتدبر المتذكر المتمعن.

أما الحق سبحانه، فكثيرا ما قال في قرآنه: أفلا يسمعون، أفلا يعقلون، أفلا يتدبرون القرآن؛ لذلك من مصلحة الدعوة أن يتعقلها الناس، وأن يتدبروها، في حين أن بعض أصحاب الديانات الأخرى يقول لك حين تناقشه: أبعد العقل عن هذه المسألة، لماذا؟ لأنه واثق أنها لو بحثت بالعقل لردها العقل ولم يقبلها - والحق سبحانه يريد إلا يترك عذرا لأحد في البلاغ، فالدعوة قد بلغت الجميع بلاغا سليما واضحا، تلك آيات الله في الكون.

ثم يأتي الحق سبحانه بآيات معجزة ليثبت صدق الرسول، فيجعلها تخالف نواميس الكون فيما نبغ فيه القوم ليقطع عليهم الحجة، ثم يأتي بآيات الأحكام التي تحمل المنهج بافعل ولا تفعل، ويبين أن صلاح حركة الحياة في تطبيق هذا المنهج ويترك للمخالفات أن تظهر بعض العيوب، فإذا ما نظرت إلى عيب أو عورة في المجتمع عرفت أنها نتيجة طبيعية لمخالفة منهج الله، فكأن المخالفة ذاتها من مؤكدات الحكم.

ثم يبين سبحانه أنه أرسل رسلا كثيرين من لدن آدم عليه السلام؛ لأن الإنسان الذي هو خليفته في الكون تصيبه غفلة حين ينخرط في أسباب الدنيا، وتأخذ عليه كل فكره وكل همه، فينسى ما طلب الله منه، فمن عادة الإنسان ألا يتذكر إلا ما ينفعه النفع العاجل.

لذلك نجد كثيرا من الناس ينسى ما للناس عنده، ويتذكر ما له عندهم.

فالحق سبحانه يقول: أنا لم يعد لخلقي عندي حجة، فقد نثرت لهم آيات الكون الملفتة، وهي آيات واضحات لم يدعها أحد لنفسه، ومع كثرة الملحدين والكافرين لم نر أبدا من ادعى خلق الشمس أو القمر، ولم يقل أحد: إنني أسير الريح، أو أنبت الزرع، أو أنزل الماء من السحاب.

والحق سبحانه ينبهنا أيضا: لا تنس أيها الإنسان أنك خليفة لله في الأرض، وإياك أن تظن أنك أصيل فيها، فساعة تظن أنك أصيل في الدنيا يتخلى الله عنك، ويتركك لنفسك فتهلك، كما حدث لقارون حين وسع الله عليه في الدنيا، فاغتر بما في يده، وظن أنه من سعيه وعلمه وجهده.

فكانت النتيجة﴿ فخسفنا به وبداره الأرض... ﴾[القصص: ٨١] لينبه الناس جميعا أن المال ليس مال صاحبه، إنما هو مستخلف فيه، ولو كان ماله لحافظ عليه، فالحق يرد الناس بالأحداث إلى طبيعة الفطرة الخلافية، لأن فساد الكون يأتي من اعتبار الإنسان نفسه أصيلا في الكون.

وسبق أن قلنا: إن الإنسان إذا نظر في الكون نظرة فاحصة عادلة لعلم ما يأتي: أن كل شيء لم تتدخل فيه يد الإنسان سليم، ويؤدي مهمته على أكمل وجه، وأن كل فساد في الكون إنما هو من تدخل الإنسان فيه بغير قانون ربه، ولو تدخل فيه بقانون ربه لصلحت له الأشياء التي تدخل فيها، كما صلحت له الأشياء التي لم يتدخل فيها.

وقلنا: إنك إذا رأيت عوارا في الكون فاعلم أنه نتيجة حق مضيع من حقوق الله، فحين ترى فقيرا يتضور جوعا أو عريانا لا يملك ما يستر عورته، فاعلم أن الأغنياء قصروا في أداء حق الله في الزكاة؛ لأن الله تعالى شرعها بحساب، فلو أن القادر أخرج الزكاة المفروضة في ماله لما بقي في المجتمع المحيط به محتاج.

ثم يريد منا الحق سبحانه أن نحافظ في نفوسنا على إيمان الفطرة، وعلى الذرة الإيمانية الأولى التي لم تدخلها الشهوة، ولم يخالطها النسيان، هذه الذرة التي شهدت العهد الأول الذي قال الله فيه:﴿ وإذ أخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علىا أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىا شهدنآ أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هاذا غافلين ﴾[الأعراف: ١٧٢]

أي: قبل أن تأخذكم شهوات الدنيا ونسيانها فتنكروا هذه الشهادة، وتقولون:﴿ إنا كنا عن هاذا غافلين * أو تقولوا إنمآ أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾[الأعراف: ١٧٢-١٧٣]

فالذي يحافظ على هذه الذرة، وعلى هذه اللمسة الربانية التي وضعها الله فيه بيده، وعلى العهد الذي أخذه الله عليه يبقى له نور هذه الفطرة، وتظل هذه النورانية متأججة في نفسه، فإن أهملها طمستها الذنوب والغفلة.

لذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم يضرب لنا المثل فيقول: " تعرض الأمانة – أي: التكاليف الاختيارية من الله – على القلوب كالحصير عودا عودا، فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة سوداء حتى تكون على قلبين: أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا ممقوتا، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا ".

فالطاعات أو الذنوب تتراكم على القلب كما تصف عيدان الحصير عودا بجوار عود، فيبيض القلب بالطاعات، أو يسود بالمعاصي.

والإنسان منه مادة ومنه روح، الروح في المادة تعطيها الحياة والحركة والفهم والفكر والتصرف، وهما قبل أن يلتقيا كانا مسبحين لله تعالى، فكل شيء في الوجود مسبح﴿ كل قد علم صلاته وتسبيحه... ﴾[النور: ٤١]

وعلى الإنسان أن يفهم هذه الحقيقة، وأن يحافظ على الطبيعة الإيمانية في ذراته ومكوناته لتظل مشرقة نيرة بنور الإيمان، فإن غفل عن هذه الطبيعة حدثت الأغيار، وحدث عدم الانسجام بين ذراته في الذات البشرية، فحين تحمل إرادتك الجسم والروح على المعصية يكرهك جسمك، وتكرهك روحك؛ لأنك خالفت منهج خالقها – عز وجل – فهي مسبحة عابدة وأنت لاه غافل عاص؛ لذلك تلعنك روحك وتلعنك أبعاضك.

ومن رحمة الله بالعاصي أن ينام فترتاح أبعاضه، وترتاح روحه من معاصيه، وتأخذ راحتها في عبادة ربها، حيث لا منازع لها، ولا معاند من إرادة صاحبها، لذلك يشعر الإنسان بالراحة عند النوم، ويقوم منه نشيطا لما حدث من انسجام وتعادل بين ذرات ذاته أثناء النوم.

لذلك ورد أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تنام عينه ولا ينام قلبه؛ لأن أبعاضه منسجمة دائما في نومه وفي يقظته، فإذا رأيت إنسانا يغلب عليه أنه منهك القوى فاعرف أنه قد أتعب ذراته، وأنها تود الخلاص منه بالنوم، وكأنها تقول له نم فلم تعد صالحا للتعايش معي.

إذن: الحق سبحانه ينبهنا دائما من هذه الغفلة بواسطة الرسل، ثم يترك سبحانه للرسالات التي سبقت أدلة تؤيد الرسل الموجودين، وتعينهم على أداء مهمتهم؛ لذلك يقول لنا: انظروا إلى الرسل الذين سبقوا، وكيف كانت عاقبة المكذبين بهم.

﴿ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون.. ﴾ [السجدة: ٢٦] كما قال سبحانه:﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد ﴾[الفجر: ٦-١٠]

فهذه الأهرامات التي يفد إليها الناس، والتي تعد مزارا سياحيا هي آية من آيات الله تقوم دليلا على هلاك أصحابها من المكذبين للرسل، فالحق سبحانه لم يترك لأحد من خلقه عذرا بعد أن كشف له الآيات الكونية تشهد بوحدانيته تعالى وألوهيته، والمعجزات التي تثبت صدق الرسل في البلاغ عن ربه، ثم آيات الأحكام التي تحمل أقضية الحياة، والتي لا يمكن لبشر أن يستدرك عليها، والتي تحمل الحل الشافي والدواء الناجع لكل داءات المجتمع.

وبعد ذلك تركت لهم تكذيب المكذبين أمام أعينهم، كما قال سبحانه:﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون ﴾[الصافات: ١٣٧-١٣٨]

فها هي آثار عاد وثمود وغيرهم ما تزال شاهدة عليهم، بعضها فوق الأرض، ومعظمها مطمور تحت طبقات الثرى؛ لذلك نجد أن كل الآثار القديمة يجدونها في الحفريات تحت الأرض، ولم لا وقد كانت العاصفة تهب الهبة الواحدة، فتبتلع القافلة بأكملها، فما بالك بهبات الرياح من أيام عاد حتى الآن. إذن: خذوا عبرة من مصير هؤلاء.

ومعنى ﴿ أولم يهد لهم.. ﴾ [السجدة: ٢٦] يهدي: أي: يدل ويرشد ويبين ويوضح، والهداية لها عناصر ثلاثة: هاد ومهدي والشيء المهدى إليه، ومادة: (هدى) تستعمل في كتاب الله ثلاثة استعمالات:

الأول: أن يذكر الهادي، وهو الله عز وجل، والثاني: أن يذكر المهدي وهم الخلق، والثالث: وهو أن يذكر المهدي إليه، وهي الغاية التي يريدها الله.

وهذا الفعل يأتي مرة متعديا بنفسه، كما في سورة الفاتحة:﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾[الفاتحة: ٦] أي: يا الله، فالله هو الهادي، ونحن المهديون، والغاية هي الصراط المستقيم.

ومرة يعدى الفعل باللام، كما في﴿ الحمد لله الذي هدانا لهاذا... ﴾[الأعراف: ٤٣] فلم يقل: هدانا هذا، ومرة يتعدى بإلى كما في﴿ .. والله يهدي من يشآء إلىا صراط مستقيم ﴾[البقرة: ٢١٣]

فتلحظ أن الهادي واحد وهو الله تعالى، والمهدي هو الخلق، لكن المهدي إليه هو المختلف، أما في هذه الآية فالأمر مختلف، حيث يقول سبحانه: ﴾ أولم يهد لهم.. ﴿ [السجدة: ٢٦] فلم تدخل اللام على المهدى إليه، إنما دخلت على المهدى، فلم يقل الحق سبحانه: أو لم يهد الله هؤلاء القوم لكذا.

فلماذا؟

قالوا: لأن بعض الناس يظنون أن الله حين يهدي إلى الطريق يحملك مشقات التكاليف؛ لذلك نرى بعض الناس ينفرون من التكاليف ويرون فيها عبئا عليهم، ومن هنا عبد بعضهم الأصنام، وعبد بعضهم الشمس أو القمر..الخ؛ لأنها آلهة بدون منهج وبدون تكاليف، ليس لها أوامر، وليس عندها نواه، وما أيسر أن يعبد الإنسان مثل هذه الآلهة التي لا مطلوبات لها.

والذي يرى في التكاليف مشقة، ويراها عبئا عليه يراها كذلك؛ لأنها تصادم مراد نفسه في الشهوات وتحد من رغباته، ومرادات النفس ربما أعطتك لذة عاجلة، لكن يعقبها حسرة وشر آجل.

ومثلنا لذلك بالتلميذ الذي يتحمل مشقة المذاكرة والدرس طمعا في التفوق الذي ينتظر حلاوته، وآخر يفضل اللذة السريعة العاجلة فيلعب ولا يهتم،فيلاقي مذلة الفشل والاحتقار آخر العام.

إذن: عليك أن تقرن بين مشقة العمل والنتيجة والثمرة التي تنالها من ورائه، وعندها تهون عليك مشقة التكاليف؛ لأن ما ينتظرك من الأجر عليها أعظم مما قدمت وأبقى.

فالحق سبحانه يريد منا أن نقبل على التكاليف، ونعرف أنها لمصلحتنا نحن، وأنها في الحقيقة تشريف لنا لا تكليف؛ لأن الذي كلفني لا يحتاج مني إلى هذا، ولا ينتفع من عبادتي بشيء، بل هو سبحانه يتحنن إلي؛ لأكون أهلا لإنعامه وجديرا بفضله وكرمه.

ألم يقل سبحانه:﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم... ﴾[إبراهيم: ٧] فالمسألة إذن منك وإليك، فالله سبحانه له صفات الكمال قبل أن يخلق عباده.

فاللام في ﴾ أولم يهد لهم.. ﴿ [السجدة: ٢٦] أي: لصالحهم ومن أجلهم، وليس عليهم، فالهدى لصالح المهدي لا الهادي، ولو فهم الإنسان هذه الحقيقة وعرف أن الهداية راجعة إليه لقبل يد من بلغه عن الله هذا الفضل.

ويؤكد هذا المعنى – لمن فطن – قوله تعالى عن المؤمنين:﴿ أولائك علىا هدى من ربهم... ﴾[لقمان: ٥] فالهدى ليس حملا يحملونه، إنما مطية يركبونها إلى الغاية النبيلة التي أرادها الله لهم.

فما الذي بينه الله للمؤمنين ودلهم عليه؟

يقول سبحانه: ﴾ كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم.. ﴿ [السجدة: ٢٦] أي: انظروا إلى المخالفين للرسل من قبلكم، وكيف أخذهم الله فلم يمكنهم من رسله، بل انتصر الرسل عليهم.

وكم هنا تفيد الاستفهام عن العدد، وهي بمعنى كثير، كما تقول لمن ينكر جميلك: كم أحسنت إليك أي: مرات كثيرة لا تعد، والمراد أننا بينا لكم كثيرا من الأمم التي عادت رسلها، وكيف كانت عاقبتهم وغايتهم التي انتهوا إليها.﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولـٰكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[العنكبوت: ٤٠]

ومن مصلحتنا أن يبين الله لنا عاقبة المكذبين؛ لأنه ينبهنا إلى الخطر قبل أن نقع فيه. وسبق أن أوضحنا هذه المسألة في كلامنا عن قوله تعالى – من سورة الرحمن:﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران * فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾[الرحمن: ٣٥-٣٦] فاعتبر الشواظ والنار من النعم التي ينبغي ألا نكذب بها، لماذا؟ لأنه نبهنا إليها حتى لا نقع فيها.

وقوله تعالى: ﴿ من القرون.. ﴾ [السجدة: ٢٦] القرن حدده العلماء بمائة عام، لكن هذه المائة تتداخل، ويقترن فيها عدة أجيال يجتمعون على مذهب أو مبدأ واحد، فالقرن يقرن بين الجد والابن والحفيد، هذا إن أردت الزمن وحده، فإن قرن الزمن بعصر دين من الأديان أو نبي أو ملك، فقد يطول القرن إلى الألف عام، كما في قرن نوح عليه السلام.

فالقرن مرتبط بما قرن به؛ لذلك نقول: العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام، عصر بني أمية، العصر العباسي، عصر المماليك، وما نزال حتى الآن نقول عن عصرنا: العصر الحديث.

والحق سبحانه يبين لنا في الحياة التي نعيشها أن الزمن متغير، إلى أعلى في الماديات، وإلى أدنى في المعنويات، فكلما تقدم الزمن انحل الناس من ربقة الدين وتفلتوا منه؛ ذلك لأن الارتقاءات المادية ينتج عنها حضارات تستهوي النفوس وتغريها، والنتيجة انحدار في القيم وفي الدين، ولو أن الارتقاء كان متساويا لسار الأمران في خطين متوازيين.

لذلك يقول تعالى:﴿ حتىٰ إذآ أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلهآ أنهم قادرون عليهآ أتاهآ أمرنا ليلا أو نهارا... ﴾[يونس: ٢٤]

ثم إنك لو نظرت إلى جزئيات الحضارة في الكون تجد أن الأمم صاحبة الحضارات لم تستطع أن تجعل لنفسها وقاية من انحدار حضارتهم، ولم يستطيعوا صيانتها. حتى العصور التقدمية: كنا في العصر الحجري، ثم عصر البخار، ونحن الآن في عصر الفضاء.

إذن: نحن مرتقون فقط في الماديات، لكن منحدرون في المعنويات، لكن هل هذا الارتقاء المادي جاء عن امتلاك لمعالم هدى الله في الأرض؟ لا، لأن الله تعالى بين لنا:﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[الحجر: ٩]

فأنا الذي أنزلت، وأنا الذي ضمنت حفظه، فلم أتركه لكم تحفظوه، إذن: المسألة عن عجز منا، وإلا فكتاب البداية موجود حجة علينا.

وقوله تعالى: ﴿ يمشون في مساكنهم.. ﴾ [السجدة: ٢٦] أي: أنني لا ألقى القضايا بدون حجة أو دليل، بل هي شاخصة أمامكم تمرون بها، وترونها ليل نهار، كما قال سبحانه:﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون ﴾[الصافات: ١٣٧-١٣٨]

ثم يقول سبحانه: ﴿ إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ [السجدة: ٢٦] فالله يحضهم على أن يستمعوا إلى سير المكذبين المعاندين، وما حاق بهم من انتقام الله منهم.

وبالله: الإنسان مهما قصر عمره، ألم ير ظالما، وألم ير مصرع هذا الظالم وعاقبة ظلمه، فإن لم ير ظالما ألم يحدث عنه؟ إذن: مما يصلح حال الناس أن يستمعوا إلى حكايات عن الظالمين وعن نهايتهم، وما ينزل بهم من الانتقام الذي لا ينتظر الآخرة، بل يعجل لهم في الدنيا.

وفي ذلك حكمة لله بالغة؛ لأن الظالم ربما لا يرعوى ولا يرجع في الدنيا عن ظلمه، فيظل يعربد في الخلق ما أحياه الله، لكن إن مسه شيء من العذاب، فلربما عاد إلى رشده، وإن لم يعد كان عبرة لغيره.

لذلك قال أهل المعرفة: لن يموت ظلوم حتى ينتقم الله منه. وربما من رآه ظالما يراه مظلوما، ومن أراد أن يرى نهاية ظالم فلينظر إلى مصارع الظالمين قبله.

وتأمل قول ربك:﴿ وكذالك نولي بعض الظالمين بعضا... ﴾[الأنعام: ١٢٩] فكأن الظالم له رسالة، هي أن ينتقم من ظالم مثله، وهكذا يهلك الله هؤلاء بعضهم ببعض؛ لأن الخير طيب القلب لا يؤدب ظالما، فإن اعتديت عليه غلب عليه طابع التسامح والعفو.

ألم يقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفار مكة: " اذهبوا فأنتم الطلقاء " فكأن الله عز وجل يقول للخير: اجلس أنت واسترح، واترك الأشرار لي، فسوف أرسل عليهم من هو أشر منهم ليؤدبهم.

واختار الحق هنا حاسة السمع ﴿ أفلا يسمعون ﴾ [السجدة: ٢٦] لأنها وسيلة الإدراك المناسبة للموقف، فبها نسمع ما يحكى عن الظالمين وبها نعتبر، وفي موضع آخر سيقول﴿ أفلا يبصرون ﴾[السجدة: ٢٧] ويقول:﴿ أفلا يعقلون ﴾[يس: ٦٨] فينوع لنا، ويقلب كل وسائل الإدراك لينبهنا من خلالها.

والمعنى ﴿ أفلا يسمعون ﴾ [السجدة: ٢٦] ما يروى لهم عن مصارع الظالمين، لقد نبهناهم وذكرناهم، ومع ذلك أشركوا وجعلوا سمعهم (ودن من طين، وودن من عجين).

". <تفسير الشعراوي ص/٣٤٥٤>

٤٤-"الفجر : ضوء الصبح بعد ذهاب الليل . وليال عشر : العشر الأول من ذي الحجة . والشفع والوتر : العدد الزوجي والفردي . والليل اذا يسر : الليل اذا يمضي ويذهب . لذي حجر : لذي عقل . عاد : من قبائل العرب البائدة . إرم ذات العماد : ارم ذات البناء الرفيع ، كانت في الأحقاف بين عمان وحضرموت . ثمود : قبيلة من العرب البائدة . جابوا الصخر : قطعوه ونحتوه . وفرعون ذي الأوتاد : فرعون مصر صاحب الاهرام التي تشبه الاوتاد . طغوا في البلاد : تجاوزوا القدر في الظلم . سوط عذاب : فأنزل الله عليهم ألوانا من العذاب . المرصاد : مكان المراقبة ، رصد الأمر يرصده : راقبه . ابتلاه . اختبره بكثرة الرزق . فقدر عليه رزقه : ضيقه عليه .

﴿ والفجر وليال عشر . . . . ﴾

يقسم الله تعالى بالفجر والليالي العشر المباركة ، وبالزوج والفرد من كل شيء ، وبالليل اذا يمضي بحركة الكون العجيبة ليهلك كل معاند جبار . ﴿ هل في ذلك قسم لذى حجر؟ ﴾ ان في ذكر هذه الأشياء جميعا قسما عظيما مقنعا لذوي العقول ، وحجة كافية على وجوده وقدرته .

وبعد ان أقسم سبحانه أنه سيعذب الكافرين – شرع يذكر بعض قصص الجبابرة من الأمم الغابرة : كيف أفسدوا وطغوا ، فأوقع بهم أشد العذاب فقال :

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد . . . . ﴾

ألم تعلم يا محمد كيف أنزل ربك عقابه بعاد قوم هود ، أهل إرم ذات البناء الرفيع ، والتي لم يخلق مثلها في البلاد ضخامة وارتفاعا!؟ يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾ [الشعراء : ١٢٨-١٢٩] . وقد تقدم الكلام على عاد ونبيهم هود في أكثر من سورة .

﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . . . . ﴾

وثمود ، قوم صالح ، الذين قطعوا الصخر ونحتوه ، وبنوا منه القصور والأبنية العظيمة . وكانت مساكنهم في الحجر شمالي الحجاز ، ولا تزال بقايا من آثارهم موجودة . كما قال تعالى : ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ﴾ [الشعراء : ١٤٩] .

كذلك ورد ذكر ثمود وبيهم صالح في عدد من السور .

﴿ وفرعون ذى الأوتاد . . . . ﴾

اذكر كيف أنزل ربك عقابه بفرعون صاحب الأهرام والمباني العظيمة ، ووصف الأهرام بالأوتاد في غاية الدقة .

﴿ الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ﴾

إن جميع هؤلاء : قوم عاد وثمود وفرعون ، قد طغوا وبغوا ، وأفسدوا أشد الفساد .

﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾

فأنزل الله تعالى عليهم الوانا من البلاء والعذاب الشديد ، وأهلكهم وأبادهم .

﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾

إنه ليرقب عمل الناس ، ويحصيه عليهم ويجازيهم به .

وبعد أن بين سبحانه أنه لا يفوته شيء من شأن عباده ، وأنه سيحاسبهم ويجازيهم – ذكر هنا طبيعة الإنسان الذي يبطر عند الرخاء ويقنط من رحمة ربه عند الضراء فقال :

﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأمآ إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ﴾ .

فأما الانسان اذا ما اختبره ربه فأنعم عليه ووسع له في الرزق والجاه ، فيقول مغترا بذلك : ربي فضلني لأني أستحق هذا كله .

وأما إذا ما اختبره بضيق الرزق فيقول غافلا عن الحكمة في ذلك : لقد أهانني ربي .

قراءات :

قرأ عاصم : والوتر بفتح الواو ، والباقون بكسرها . وقرأ ابن عامر فقدر بفتح الدال بالتشديد . والباقون بدون تشديد .".
<تفسير القطان ٣/٤٣٢>

٤٥-"محرم شوال - الرملي، كفاح عبد الرحمن(١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) التفسير الموضوعي لسورة إبراهيم، مكتبة الجامعة الإسلامية.

محرم محرم - الصابوني، محمد علي(١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) تفسير القرآن الكريم، ط١، دار القرآن الكريم

محرم صفر - جامعة القدس المفتوحة(١٩٦٩م) عقيدة (٢).

محرم ربيع أول - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، ص. ب ٧٠٦١.

محرم ربيع ثان -كشك، عبد الحميد: في رحاب التفسير، المكتب المصري الحديث.

محرم جمادى أول - قطب، سيد(١٣٩١هـ - ١٩٧١م) في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٧.

ثالثا: كتب المعاجم:

محرم جمادى ثان - الأصفهاني، الراغب(١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) مفردات ألفاظ القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان.

رابعا: كتب الثقافة:

محرم رجب - الشرقاوي، محمد عبد الله: الإيمان حقيقته وأثره في النفس، مكتبة الأهرام، دار الجيل، بيروت.

محرم شعبان - الخالدي، صلاح(١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، الأردن، ط١.

محرم رمضان - اللوح، عبد السلام، وآخرون(١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) مباحث في التفسير الموضوعي، مكتبة الجامعة الإسلامية، غزة، ط١.

صفر شوال - مسلم، مصطفى (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت.

صفر محرم - جامعة القدس المفتوحة، مناهج البحث العلمي.

فهرس الموضوعات ... رقم الصفحة

٤٦-"الفجر : ضوء الصبح بعد ذهاب الليل . وليال عشر : العشر الأول من ذي الحجة . والشفع والوتر : العدد الزوجي والفردي . والليل اذا يسر : الليل اذا يمضي ويذهب . لذي حجر : لذي عقل . عاد : من قبائل العرب البائدة . إرم ذات العماد : ارم ذات البناء الرفيع ، كانت في الأحقاف بين عمان وحضرموت . ثمود : قبيلة من العرب البائدة . جابوا الصخر : قطعوه ونحتوه . وفرعون ذي الأوتاد : فرعون مصر صاحب الاهرام التي تشبه الاوتاد . طغوا في البلاد : تجاوزوا القدر في الظلم . سوط عذاب : فأنزل الله عليهم ألوانا من العذاب . المرصاد : مكان المراقبة ، رصد الأمر يرصده : راقبه . ابتلاه . اختبره بكثرة الرزق . فقدر عليه رزقه : ضيقه عليه .

﴿ والفجر وليال عشر . . . . ﴾

يقسم الله تعالى بالفجر والليالي العشر المباركة ، وبالزوج والفرد من كل شيء ، وبالليل اذا يمضي بحركة الكون العجيبة ليهلك كل معاند جبار . ﴿ هل في ذلك قسم لذى حجر؟ ﴾ ان في ذكر هذه الأشياء جميعا قسما عظيما مقنعا لذوي العقول ، وحجة كافية على وجوده وقدرته .

وبعد ان أقسم سبحانه أنه سيعذب الكافرين - شرع يذكر بعض قصص الجبابرة من الأمم الغابرة : كيف أفسدوا وطغوا ، فأوقع بهم أشد العذاب فقال :

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد . . . . ﴾

ألم تعلم يا محمد كيف أنزل ربك عقابه بعاد قوم هود ، أهل إرم ذات البناء الرفيع ، والتي لم يخلق مثلها في البلاد ضخامة وارتفاعا!؟ يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾ [الشعراء : ١٢٨-١٢٩] . وقد تقدم الكلام على عاد ونبيهم هود في أكثر من سورة .

﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . . . . ﴾

وثمود ، قوم صالح ، الذين قطعوا الصخر ونحتوه ، وبنوا منه القصور والأبنية العظيمة . وكانت مساكنهم في الحجر شمالي

الحجاز ، ولا تزال بقايا من آثارهم موجودة . كما قال تعالى : ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ﴾ [الشعراء : ١٤٩] .

كذلك ورد ذكر ثمود وبيهم صالح في عدد من السور .

﴿ وفرعون ذى الأوتاد . . . . ﴾

اذكر كيف أنزل ربك عقابه بفرعون صاحب الأهرام والمباني العظيمة ، ووصف الأهرام بالأوتاد في غاية الدقة .

﴿ الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ﴾

إن جميع هؤلاء : قوم عاد وثمود وفرعون ، قد طغوا وبغوا ، وأفسدوا أشد الفساد .

﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾

فأنزل الله تعالى عليهم الوانا من البلاء والعذاب الشديد ، وأهلكهم وأبادهم .

﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾

إنه ليرقب عمل الناس ، ويحصيه عليهم ويجازيهم به .

وبعد أن بين سبحانه أنه لا يفوته شيء من شأن عباده ، وأنه سيحاسبهم ويجازيهم – ذكر هنا طبيعة الإنسان الذي يبطر عند الرخاء ويقنط من رحمة ربه عند الضراء فقال :

﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأمآ إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ﴾ .

فأما الانسان اذا ما اختبره ربه فأنعم عليه ووسع له في الرزق والجاه ، فيقول مغترا بذلك : ربي فضلني لأني أستحق هذا كله .

وأما إذا ما اختبره بضيق الرزق فيقول غافلا عن الحكمة في ذلك : لقد أهانني ربي .

قراءات :

قرأ عاصم : والوتر بفتح الواو ، والباقون بكسرها . وقرأ ابن عامر فقدر بفتح الدال بالتشديد . والباقون بدون تشديد .".

<تيسير التفسير للقطان ٣/٤٣٢>

٤٧-"حكم زيارة ديار القوم الكافرين

فلو قلنا: إن المراد من هذا كله تذكير الناس بمصارع الظالمين والطغاة، وبإنجاء الله للمؤمنين؛ فحينئذ يوجه سؤال ويطرح: هل لنا حينئذ أن نزور مصارع القوم الظالمين بقصد الاعتبار والاتعاظ؟ يعني: إذا علمنا مثلا أن قوما ما أهلكهم الله، فهل لنا أن نزورهم؟ ومن ثم تأتي مسألة زيارة الأهرامات وغيرها من آثار أهل الظلم والكفر والفراعنة، هل تشرع الزيارة للاتعاظ والاعتبار أم أنها من أصلها لا معنى لها؟ القائل بالجواز يستدل ويبني قوله على أمور، منها: قوله تعالى: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾ [الروم:٤٢]، وكما قال سبحانه: ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ [يونس:٩٢]، ﴿ ولقد تركناها آية ﴾ [القمر:١٥] إلى غير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالسير في الأرض للاعتبار والادكار.

ولقائل آخر أن يمنع مستدلا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه لأصحابه لما مر بديار ثمود: (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم)، فهذا الحديث يمنع من الدخول عليهم بقصد النظر، إنما فقط يجوز الدخول عليهم مع الحالة المصاحبة لك من الخوف والبكاء أو التباكي، وللاتعاظ والاعتبار، فيقال: إن الأصل هو المنع، إلا إذا كنت باكيا كما أشار إليه حديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

فهذا وجه آخر أيضا وهو قوي، والمسألة لا تخلو من الأخذ والرد، لكن الذي يذهب فقط للإعجاب بحضارة الكفار الفراعنة، ثم يرجع معجبا بهم، ومتغنيا بتراثهم، فهذا يخشى عليه أن يلحقه -والعياذ بالله- شعبة من النفاق، أو شعبة من محبة الكفر والكافرين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال سبحانه: ﴿ ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴾ [القمر:١٥]، أي: فهل من متعظ؟ وهل من معتبر؟". <سلسلة التفسير لمصطفى العدوي ٤٣/٤>

٤٨-"وعلى ضوء هذا التعريف اللغوي يمكننا أن نعرف الوسائل التي استعملها فرعون على أنها مجموع الأفعال التي توصل بها فرعون إلى مراميه وأهدافه وغاياته،والتي تصب في نهايتها في تثبيت حكمه ونظامه،وذلك بطريق مباشره وغير مباشرة.يحارب موسى وجها لوجه تارة،ويحاربه من وراء ستار تارة أخرى.

ولقد أنتجت هذه الوسائل نظاما قويا متينا من الناحية المادية،ودل على ذلك قوله تعالى:﴿وفرعون(١)ذو الأوتاد﴾(٢).أي ذو الملك الثابت،أو ذو البناء المحكم،والجنود الكثيرة(٣).ومن الشواهد التي تدل على متانة نظامه وتطوره المادي تلك الأهرامات التي ما زالت ماثلة حتى يومنا هذا،وليس هذا غريبا؛ذلك(أن للطبائع الملتوية أسلوبا تنجح به في ميادين شتى،فإذا تعلق الأمر بالعقائد والفضائل والمبادىء لم تصب من النجاح سهما،ذلك أن طريق أصحاب المثل غير طريق أصحاب المصالح،وسياسة الدعوات القائمة على الشرف والمرتبطة بالسماء غير سياسة التطلع والترصد)(٤)،وتلك هي سياسة فرعون المجردة من القيم والمثل والأخلاق.

لقد بين القرآن الكريم وسائل فرعون في تثبيت حكمه وبناء شخصيته،حيث تراوحت ما بين القهر والتعذيب تارة،والترغيب تارة أخرى.فقسم من الناس تخضعه العصا والآخر تشترى ذممهم،وما بين العصا والجزرة كان التجهيل والتضليل والكذب.فتلك هي وسائل الطاغوت لا تخرج من وحل الرجس ومستنقع الرذيلة.

---

(١) فرعون ذو الأوتاد هو الذي بعث إليه موسى وهارون عليهما السلام) ابن حيان: أبو محمد،عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني،(٢٧٤- ٣٦٩هـ)،العظمة،٥أجزاء،تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري،ط١،دار العاصمة،الرياض،١٤٠٨هـ.(١٦٠٩/٥)،وسأشير إليه لاحقا هكذا(العظمة).

(٢) الفجر:١٠].

(٣) انظر:تفسير القرطبي(١٥٤/١٥-١٥٥)وتفسير البيضاوي(٣٨/٥-٣٩)ومعاني القرآن(٨٥/٦)وتفسير ابي

السعود(٢١٧/٧)وفتح القدير(٤٢٣/٤)وتفسير النسفي(٣٤/٤).

(٤) في موكب الدعوة(١٧٢).". <شخصية فرعون في القرآن ص/١٨٠>

٤٩-"إن الوسائل التي اعتمدها فرعون أدت إلى نظام يمتاز بالقوة والمتانة،تلك النتائج التي بينها القرآن في قوله تعالى:﴿وفرعون ذو الأوتاد﴾(١).أي ذو الملك الثابت بالأوتاد،وهو مأخوذ من ثبات البيت المثبت بالأوتاد.أو ذو البناء المحكم،أو كثير البنيان والبنيان يسمى أوتادا، وقيل:ذو الأوتاد أي ذو الجنود الكثيرة،فسميت الجنود أوتادا لأنهم يقوون أمره كما يقوي الوتد البيت(٢)،أو(فرعون صاحب الأهرامات التي تقوم في الأرض كالأوتاد)(٣)،وهي ما زالت ماثلة إلى اليوم.

ولنا أن الإختلاف في هذه المعاني إختلاف تنوع لا اختلاف تضاد،فجميعها تدل على قوة وثبات حكمه.ولا شك أن قوة النظام تنعكس على شخصية فرعون نفسه؛لأن(ذو الأوتاد:صفة فرعون لا لجميع ما قبله وإلا لقيل ذوو الأوتاد)(٤).

ومن الأدلة على قوة فرعون قوله تعالى:﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾(٥).والمعنى أن الله جلت قدرته(أهلك ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع،وما كانوا يعرشون أي وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور،وأخرجهم من ذلك كله،وخرب جميع ذلك)(٦).وهذا يعني أنهم كانوا في مستوى من التطور بحيث يصنعون العمارات ويبنون القصور الفخمة،وهذا يدل على قوة فرعون المادية.كما دل على ذلك أمر فرعون لهامان أن يبني له صرحا يبلغ بواسطته أسباب السماوات.وقد ذكرنا فيما سبق دلائل قوته الاقتصادية والعسكرية كذلك.

---

(١) الفجر:١٠].

(٢) انظر:تفسير القرطبي(١٥٤/١٥-١٥٥)وتفسير البيضاوي(٣٨/٥-٣٩)ومعاني القرآن(٨٥/٦).

(٣) في ظلال القرآن(٩٠/٧).

(٤) روح المعاني(١٧٠/٢٣).

(٥) الأعراف:١٣٧].

(٦) تفسير الطبري(٤٤/٩)مع بعض التصرف.وانظر: تفسير ابن كثير(٢٤٣/٢)وتفسير أبي السعود(٢٦٧/٣)وتذكرة الأريب في تفسير الغريب(١٨٧/١)وروح المعاني(٤٠/٩).". <شخصية فرعون في القرآن ص/٢٤٣>

٥٥-"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قال اجعلني على خزآئن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ [٥٥] .

﴿ قال ﴾ أي : يوسف للملك : ﴿ اجعلني على خزآئن الأرض ﴾ أي : ولني خزائن أرضك . يعني جميع الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها ، فيتصرف لهم على الوجه الأرشد والأصلح ، ثم بين اقتداره في ذلك فقال : ﴿ إني حفيظ عليم ﴾ أي : أمين أحفظ ما تستحفظنيه ، عالم بوجوه التصرف فيه .

قال الزمخشري : وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هم طلبة الملوك ممن يولونه .

وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى ، وإقامة الحق ، وبسط العدل . والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد ، ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك ، فطلب التولية ابتغاء وجه الله ، لا لحب الملك والدنيا .

فإن قلت : كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ، ويكون تبعا له ، وتحت أمره وطاعته ؟ .

قلت : روى مجاهد أنه كان قد أسلم ، وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملا من يد سلطان جائر . وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه . وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق ، فله أن يستظهر به .

وقيل : كان الملك يصدر عن رأيه ، ولا يعترض عليه في كل ما رأى ، فكان في حكم التابع له والمطيع . انتهى .

وهذه الآية أصل في طلب الولاية كالقضاء ونحوه ، لمن وثق من نفسه بالقيام بحقوقه ، وجواز التولية عن الكافر والظالم . وأصل في جواز مدح الإنسان نفسه لمصلحته ، وفي أن المتولي أمرا ؛ شرطه أن يكون عالما به ، خبيرا ، ذكي الفطنة . كذا في " الإكليل " .

قال أبو السعود : وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله ، عليه السلام ، من جعله على خزائن الأرض ، إيذانا بأن ذلك أمر لا مرد له ، غني عن التصريح ، ولا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته من أحكام السلطنة بحذافيرها ، من قوله : ﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ ، وللتنبيه على أن كل ذلك من الله عز وجل ، وإنما الملك آلة في ذلك .

تنبيه :

قال ابن كثير : خزائن الأرض هي الأهرام التي يجمع فيها الغلات . . . . . الخ .

ولم أر الآن مستنده في كون الأهرام كانت مجمع الغلات ، ولم أقف عليه في كلام غيره .

و (الأهرام) بفتح الهمزة ، جمع هرم بفتحتين ، وهي مبان مربعة الدوائر ، مخروطية الشكل ، بقي منها الآن ثلاثة في الجيزة ، بعيدة أميالا عن القاهرة ، معدودة من غرائب الدنيا ، دعيت لرؤياها أيام رحلتي للديار المصرية عام ١٣٢١ هـ . وقد استقر رأي المتأخرين في تحقيق شأنها على أنها كانت مدافن لملوكهم .

ففي كتاب " الأثر الجليل لقدماء وادي النيل " : جميع الأهرام ليست إلا مقابر ملوكية آثر أصحابها أن يتميزوا بها بعد موتهم عن سائر الناس ، كما تميزوا عنهم مدة حياتهم ، وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور ، وتراخي العصور ، وقد أجمع مؤرخو هذا العصر على أن الهرم الأكبر قبر للملك (خوفو) والثاني (خفرع) والثالث للملك (منقرع) وجميعهم من العائلة المنفيسية . ولا عبرة بقول من زعم أنها معابد أو مراصد للكواكب ، أو مدرسة للمعارف الكهنوتية ، أو غير ذلك . انتهى .

وقوله تعالى :". <محاسن التأويل (تفسير القاسمي) />

٥٦-"ج ٢ ، ص : ٣٥٥

من قبل هذا الوقت شيئا من دون الله. وهذا إنكار لعبادة الصنم كذلك أي مثل ذلك الإضلال يضل الله الكافرين (٧٤) عن طريق الجنة ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥) ، أي ذلكم العذاب بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعصية ، وعبادة الأصنام ، وبكثرة المال والأتباع والصحة ، ادخلوا أبواب جهنم أي السبعة المقسومة لكم خالدين فيها أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ، فبئس مثوى المتكبرين (٧٦) عن الحق ، جهنم. فاصبر على إيذائهم وإيحاشهم بتلك المجادلات. إن وعد الله بالنصرة لك ، وبإنزال العذاب على أعدائك حق أي كائن بلا شك ، فإما نرينك بعض الذي نعدهم أي فإن نرك بعض الذي نعد أولئك الكفار من أنواع العذاب ، فذلك هو المطلوب أو نتوفينك قبل إنزال العذاب عليهم ، فإلينا يرجعون (٧٧) يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ، ويجوز أن يكون هذا جوابا للشرطين. فالمعنى : أن نعذبهم في حياتك أو لم نعذبهم فيها فإنا نعذبهم في الآخرة أشد العذاب.

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله أي أنت يا أشرف الرسل كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ، ولم نذكر حال الباقين ، وليس فيهم أحد أعطاه الله معجزات إلا وقد جادله قومه فيها ، وكذبوه فيها ، وجرى عليهم من الهم مثل ما جرى عليك وصبروا ، وكان قومهم يقترحون عليهم إظهار المعجزة الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت ، ثم إن كان الصلاح في إظهارها أظهرناها وإلا لم نظهرها ، ولم يكن ذلك قادحا في نبوتهم ، فكذلك الحال في اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة ، فإذا جاء أمر الله أي جاءكم الله بنزول العذاب على الأمم الماضية ، قضي بالحق أي نفذ حكم الله بالعدل ، وخسر هنالك المبطلون (٧٨) ، أي وهلك في وقت مجيء العذاب من يقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت ، الله الذي جعل لكم الأنعام أي الإبل - كما قاله الزجاج - لتركبوا منها أي الإبل ومنها أي من لحوم الإبل ، تأكلون (٧٩) ولكم فيها منافع ، كألبانها وأوبارها وجلودها ، ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل أثقالكم من بلد إلى بلد ، وعليها أي الإبل بالهودج في البر ، وعلى الفلك أي السفن في البحر تحملون (٨٠) وتسافرون ،

يريكم آياته

أي دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته ، أي آيات الله تنكرون

(٨١) أي ليس في شيء من هذه الدلائل ما يمكن إنكاره ، لأنها كلها ظاهرة باهرة ، أفلم يسيروا في الأرض أي أقعدوا ، فلم يسيروا في أقطار الأرض؟ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم الماضية المتكبرين؟ كانوا أكثر منهم أي من أهل مكة في العدد - يعرف في الأخبار - وأشد قوة بالبدن وآثارا في الأرض قد بقيت بعدهم بحصون عظيمة مثل الأهرام الموجودة بمصر فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢) ، أي فلم ينفعهم الذي كانوا". <مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد ٢/٣٥٥>

٥٨-" صفحة رقم ٣٥٧
من حرام وحلال ونقص الميزان والمكيال فعمهم الله بالنكال) والمؤتفكات (اي في إعراضهم عن صيانة أعراضهم في اتباع لذائذ أغراضهم ، فأثمر لهم فعلهم بعد الخسف عموم انقراضهم .
ولما كان كأنه قيل : ما نبأهم ؟ قال : (أتتهم رسلهم) أي أتى كل أمة منهم رسولها) بالبينات) أي المعجزات الواضحات جدا بسبب أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم) فما) أي فتسبب عن ذلك أنه) ما ( )كان الله) أي مع ما له من صفات الكمال مريدا) ليظلمهم) أي لأن يفعل بهم في الإهلاك قبل الإنذار وإنارة البينات فعل من تعدونه فيما بينكم ظالما ، ولكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا ما أتوهم به من البينات ، فصار العالم بحالهم غدا سمع بهلاكهم وبزوالهم يقول : ما ظلمهم الله) ولكن كانوا) أي دائما في طول أعمارهم) أنفسهم) أي لاغيرها) يظلمون) أي بفعل ما يسبب هلاكها ، فإن لم ترجعوا أنتم فنحن نحذركم مثل عذابهم ، ولعله خص هؤلاء بالذكر من بين بقية الأمم لما عند العرب من أخبارهم وقرب ديارهم من ديارهم مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا ، وأنبياؤهم أعظم الأنبياء - نبه على ذلك أبو حيان. لعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط وهم فيه بعدهم في الزمان لأن هذا في شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبي (صلى الله عليه وسلم) من ملجأ أو مغارات أومدخل كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف ، فقوم نوح عليه السلام لم يمنعهم لما أتاهم الماء معقل منيع ولا جبل رفيع مع أنه يقال ؛ إنهم هم الذين بنوا الأهرامات ، منها ما هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذي هددوا به إن كان ماء ، ومنها ما هو بالطوب التي لتحميهم منه إن كان نارا ، وعادلما أتتهم الريح بادروا إلى البيوت فقلعت الأبواب وصرعتهم في أجواف بيوتهم ، ولم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المتقنة والقصور المشيدة والحصون الممنعة ، وحال ثمود معروف في توسعهم في البيوت جبالا وسهولا فما منعتهم من الصيحة التي اعقبت الرجفة ، وقوم إبرهيم عليه السلام بنوا الصرح ، ارتفاعه خمسة آلاف ذراع أو فرسخان ليتوصل به نمرود كما زعم - إلى السماء فأتى الله بنيانهم من القواعد ، ألقت الريح رأسه في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ، وأصحاب مدين لما أتاهم العذاب فأخذتهم الرجفة الرجفة لما تغن عنهم مدنيتهم ، وإن كانوا هم أصحاب الأيكة فإنهم لما اشتد عليهم الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها أحر من وجه الأرض فخرجوا منها هاربين ، فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خليته إليهم ولبست به عليهم ، فلما اجتمعوا تحتها أحراقتهم نارها وبقي عليهم عارها ، وأما قوم لوط فأتاهم الأمر بغته ، لم يشعروا". <نظم الدرر ـ (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٣/٣٥٧>

٥٩-"ولما كان كأنه قيل : ما نبأهم ؟قال : ﴿أتتهم رسلهم﴾ أي أتى كل أمة منهم رسولها ﴿بالبينات﴾ أي المعجزات الواضحات جدا بسبب أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم ﴿فما﴾ أي فتسبب عن ذلك أنه ﴿ما﴾ ﴿كان الله﴾ أي مع ما له من صفات الكمال مريدا ﴿ليظلمهم﴾ أي لأن يفعل بهم في الإهلاك قبل الإنذار وإنارة البينات فعل من تعدونه فيما بينكم ظالما ، ولكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا ما أتوهم به من البينات ، فصار العالم بحالهم غدا سمع بهلاكهم وبزوالهم يقول : ما ظلمهم الله ﴿ولكن كانوا﴾ أي دائما في طول أعمارهم ﴿أنفسهم﴾ أي لاغيرها ﴿يظلمون*﴾ أي بفعل

ما يسبب هلاكها ، فإن لم ترجعوا أنتم فنحن نحذركم مثل عذابهم ، ولعله خص هؤلاء بالذكر من بين بقية الأمم لما عند العرب من أخبارهم وقرب ديارهم من ديارهم مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا ، وأنبياؤهم أعظم الأنبياء–نبه على ذلك أبو حيان.

لعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط وهم فيه بعدهم في الزمان لأن هذا في شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم من ملجأ أو مغارات أومدخل كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف ، فقوم نوح عليه السلام لم يمنعهم لما أتاهم الماء معقل منيع ولا جبل رفيع مع أنه يقال ؛ إنهم هم الذين بنوا الأهرامات ، منها ما هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذي هددوا به إن كان ماء ، ومنها ما هو بالطوب التي لتحميهم منه إن كان نارا ، وعادلما أتتهم الريح بادروا إلى البيوت فقلعت الأبواب وصرعتهم في أجواف بيوتهم ، ولم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المتقنة والقصور المشيدة والحصون الممنعة ، وحال ثمود معروف في توسعهم في البيوت جبالا وسهولا فما منعتهم من الصيحة التي اعقبت الرجفة ، وقوم إبرهيم عليه السلام بنوا الصرح ، ارتفاعه خمسة آلاف ذراع او فرسخان ليتوصل به نمرود كما زعم–إلى السماء فأتى الله بنياهم من القواعد ، ألقت الريح رأسه في البحر". <نظم الدرر . موافق للمطبوع ٣/٥٧٩>

"بيوتها: كناية عن طول أجسامهم، كما قيل في صخر:

رفيع العماد طويل النجاد

وطول الأجسام يدل على قوة أصحابها.

وقيل: إرم كانت مدينة رفيعة البنيان، وذكروا في أخبارها قصصا تفوق الخيال، وأنها في الربع الخالي، ولكن حيث لم تثبت أخبارها بسند يعول عليه، ولم يصدقه الواقع، فقال قوم: قد خسف بها ولم تعد موجودة.

أما ثمود: فقد جابوا، أي: نحتوا الصخر بالواد، بواد القرى في مدائن صالح، وهي بيوتهم موجودة حتى الآن.

وأما فرعون ذو الأوتاد، فقيل: هي أوتاد الخيام، كان يتدها لمن يعذبهم.

وقيل: هي كناية عن الجنود يثبت بها ملكه.

وقيل: هي أكمات وأسوار مرتفعات، يلعب له في مرابعها.

قال ابن جرير ما نصه: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة: " وفرعون ذي الأوتاد "، ذكر لنا أنها كانت مطال، وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وجبال ".

والذي يظهر – والله تعالى أعلم –: أن هذا القول هو الصحيح، وأنها مرتفعة، وأنها هي المعروفة الآن بالأهرام بمصر، ويرجح ذلك عدة أمور:

منها: أنها تشبه الأوتاد في منظرها طرفه إلى أعلى، إذ القمة شبه الوتد، مدببة بالنسبة لضخامتها، فهي بشكل مثلث، قاعدته إلى أسفل وطرفه إلى أعلى.

ومنها: ذكره مع ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، بجامع مظاهر القوة، فأولئك نحتوا الصخر بيوتا فارهين، وهؤلاء قطعوا

الصخر الكبير من موطن لا جبال حوله، مما يدل أنها نقلت من مكان بعيد. والحال أنها قطع كبار صخرات عظام ففي اقتطاعها وفي نقلها إلى محل بنائها، وفي نفس البناء كل ذلك مما يدل على القوة والجبروت، وتسخير العباد في ذلك.

ومنها: أن حملها على الأهرام القائمة بالذات والمشاهدة في كل زمان ولكل جيل." <أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥٢٥/٨>

"﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾ قيل: كانت له أوتاد يربط بها من يريد تعذيبه. وقيل: هو كناية عن كثرة الجنود، وخيامهم التي يأوون إليها. وقيل: «الأوتاد» المباني العظيمة؛ كالأهرام ونحوها وقيل: غير ذلك." <أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٧٤٨>

"والطير محشورة: أي والطيور مجموعة.

وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب: أي وأعطينا داود الحكمة. وهي الإصابة في الأمور والسداد فيها وفصل الخطاب: الفقه (١) في القضاء ومن ذلك البينة على المدعي واليمين على من أنكر.

معنى الآيات:

السياق الكريم في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتهديد المشركين علهم يتوبون إلى الله ويرجعون قال تعالى ﴿كذبت (٢) قبلهم﴾ أي قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ أي (٣) صاحب الأوتاد التي كان يشد إليها من أراد تعذيبه ويعذبه عليها كأعواد المشانق، ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب لأيكة﴾ أي الغيضة وهي الشجر الملتف وهم قوم شعيب ﴿أولئك الأحزاب﴾ أي الطوائف الكافرة الهالكة ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ أي ما كل واحدة منها إلا كذبت الرسل ﴿فحق عقاب﴾ أي وجب عقابي لهم فعاقبتهم، وما ينظر هؤلاء من قومك ﴿إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾ (٤) أي من فتور ولا انقطاع حتى يهلك كل شيء ولا يبقى إلا وجه الله ذو الجلال والإكرام. وقوله تعالى ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا (٥) قبل يوم الحساب﴾ قالوا هذا لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمنه﴾ الآيات من سورة الحاقة. قال غلاة الكافرين كأبي جهل وغيره استهزاء، ربنا عجل لنا قطنا أي كتابنا لنرى ما فيه من حسنات وسيئات قبل يوم القيامة والحساب والجزاء وهم لا يؤمنون ببعث ولا جزاء، وإنما قالوا هذا استهزاء وعنادا أو مكابرة فلذا قال تعالى لرسوله ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد (٦) ﴾ أي القوة في دين (٧) الله ﴿إنه أواب﴾ أي رجاع إلى الله تعالى

---

١ - صورة من فصل الخطاب الذي هو الفقه والبصيرة في القضاء روي أن ابن أبي ليلى جلد امرأة مجنونة قذفت رجلا فقالت له يا ابن الزانيين جلدها وهي قائمة في المسجد فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال أخطأ ابن أبي ليلى من ستة وجوه وهي: ١- المجنون لا حد عليه لأنه غير مكلف. ٢- إن كان القذف حقا لله تعالى فلا يقام على القاذف إلا حدا واحدا كما هو مذهب أبي حنيفة. ٣- أقام الحد بدون مطالبة المقذوف به. ٤- إنه والى بين الحدين والواجب أن يفرق بينهما. ٥- أنه حدها قائمة والمرأة تحد جالسة مستورة. ٦- أنه أقام الحد في المسجد والإجماع أن الحدود لا تقام في المساجد.

٢ - مفعول كذبت محذوف سيدل عليه ما يأتي من قوله: ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ فالمفعول المحذوف هو الرسل والجملة بيان لسابقتها تحمل التسلية والعزاء للرسول صلى الله عليه وسلم.

٣ – جائز أن يكون المراد بالأوتاد القوة والبطش أو الأهرام لأنها بناء راسخ في الأرض كالأوتاد جمع وتد بكسر التاء وهو عود غليظ له رأس مفلطح يدق في الأرض ليشد به ظنب الخيمة أو حبالها قال الشاعر:

والبيت لا يبنى إلا على عمد

ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

٤ – الفواق اسم للزمن الذي بين الحلبتين والرضعتين إذ الحالب يحلب الناقة ثم يترك ولدها يرضعها حتى تدر اللبن ثم يعبده ويحلبها مرة ثانية فالفواق هو ما بين الحلبتين والرضعتين.

٥ – القط: هو القسط من الشيء ويطلق كما هنا على قطعة الورق أو ما يكتب عليه العطاء لأحد يسمى بالصك.

٦ – الأيد ليست جمع يد إنما المراد بها القوة والشدة وهو مصدر آد يئيد أيدا. إذا قوى واشتد ومنه التأييد الذي هو التقوية. قال تعالى ﴿فآواكم وأيدكم بنصره﴾ .

٧ – شاهده قوله صلى الله عليه وسلم "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وإنه كان أوابا" "في الصحيحين".." <أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤/٤٤٠>

"فإن كل زيادة في كلام البليغ يقصد منها معنى زائد، وإلا لكانت حشوا في الكلام والكلام البليغ موزون، ولغة العرب مبنية على أساس الإيجاز.

ولمن خلفك أي من وراءك. والوراء: هنا مستعمل في معنى المتأخر والباقي، أي من ليسوا معك. والمراد بهم من يخلفه من الفراعنة ومن معهم من الكهنة والوزراء، أي لتكون ذاته آية على أن الله غالب من أشركوا به، وأن الله أعظم وأقهر من فرعون وآلهته في اعتقاد القبط، إذ يرون فرعون الإله عندهم طريحا على شاطيء البحر غريقا.

فتلك ميتة لا يستطيعون معها الدجل بأنه رفع إلى السماء، أو أنه لم يزل يتابع بني إسرائيل، أو نحو ذلك من التكاذيب لأنهم كانوا يزعمون أن فرعون لا يغلب، وأن الفراعنة حين يموتون إنما ينقلون إلى دار الخلود. ولذلك كانوا يموهون على الناس فيبنون له البيوت في الأهرام ويودعون بها لباسه وطعامه ورياشه وأنفس الأشياء عنده، فموته بالغرق وهو يتبع أعداءه ميتة لا تؤول بشيء من ذلك، فلذلك جعل كونه آية لمن خلفه علة لإخراجه من غمرة الماء ميتا كاملا، فهم مضطرون إلى الاعتراف بأنه غرق إذا نظروا في تلك الآية.

ولم يعدم فرعون فائدة من إيمانه، فإن الله بحكمته قدر له الخروج من غمرات الماء، فلم يبق في الماء أكلة للحيتان ولكن لفظته الأمواج، وتلك حالة أقل خزيا من حالات سائر جيشه بها ظهر نفع ما له بما حصل لنفسه من الإيمان في آخر أحواله.

وكلمة فاليوم مستعملة في معنى (الآن) لأن اسم اليوم أطلق على جزء من زمن الحال مجازا بعلاقة الكلية والجزئية.

وجملة: وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون تذييل لموعظة المشركين، والواو اعتراضية، أو واو الحال.." <التحرير والتنوير ابن عاشور ١١/٢٧٩>

"[سورة هود (١١) : الآيات ١٠٠ إلى ١٠١]

ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد (١٠٠) وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب (١٠١)

استئناف للتنويه بشأن الأنباء التي مر ذكرها.

واسم الإشارة إلى المذكور كله من القصص من قصة نوح- عليه السلام- وما بعدها.

والأنباء: جمع نبأ، وهو الخبر، وتقدم في سورة الأنعام [٣٤] في قوله: ولقد جاءك من نبإ المرسلين. وجملة نقصه عليك حال من اسم الإشارة. وعبر بالمضارع مع أن القصص مضى لاستحضار حالة هذا القصص البليغ.

وجملة منها قائم وحصيد معترضة. حال من القرى.

وقائم صفة لموصوف محذوف دل عليه عطف وحصيد، والمعنى: منها زرع قائم وزرع حصيد، وهذا تشبيه بليغ.

والقائم: الزرع المستقل على سوقه. والحصيد: الزرع المحصود، فعيل بمعنى مفعول. وكلاهما مشبه به للباقي من القرى والعافي. والمراد بالقائم ما كان من القرى التي قصها الله في القرآن قرى قائما بعضها كآثار بلد فرعون كالأهرام وبلهوبة (وهو المعروف بأبي الهول) وهيكل الكرنك بمصر، ومثل آثار نينوى بلد قوم يونس، وأنطاكية قرية المرسلين الثلاثة، وصنعاء بلد قوم تبع، وقرى بائدة مثل ديار عاد، وقرى قوم لوط، وقرية مدين. وليس المراد القرى المذكورة في هذه السورة خاصة. والمقصود من هذه الجملة الاعتبار.." <التحرير والتنوير ابن عاشور ١٢/١٥٨>

"باللوم على الاستعجال وعدم الصبر إلى أن يأتيه إحداث الذكر حسبما وعده بقوله فلا تسئلني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا.

والمساكين: هنا بمعنى ضعفاء المال الذين يرتزقون من جهدهم ويرق لهم لأنهم يكدحون دهرهم لتحصيل عيشهم. فليس المراد أنهم فقراء أشد الفقر كما في قوله تعالى:

إنما الصدقات للفقراء والمساكين [التوبة: ٦٠] بل المراد بتسميتهم بالفقراء أنهم يرق لهم كما قال الحريري في المقامة الحادية والأربعين: « ... مسكين ابن آدم وأي مسكين» .

وكان أصحاب السفينة هؤلاء عملة يأجرون سفينتهم للحمل أو للصيد.

ومعنى: وكان وراءهم ملك: هو ملك بلادهم بالمرصاد منهم ومن أمثالهم يسخر كل سفينة يجدها غصبا، أي بدون عوض. وكان ذلك لنقل أمور بناء أو نحوه مما يستعمله الملك في مصالح نفسه وشهواته، كما كان الفراعنة يسخرون الناس للعمل في بناء الأهرام.

ولو كان ذلك لمصلحة عامة للأمة لجاز التسخير من كل بحسب حاله من الاحتياج لأن ذلك فرض كفاية بقدر الحاجة وبعد تحققها.

ووراء اسم الجهة التي خلف ظهر من أضيف إليه ذلك الاسم، وهو ضد أمام وقدام.

ويستعار (الوراء) لحال تعقب شيء شيئا وحال ملازمة طلب شيء شيئا بحق وحال الشيء الذي سيأتي قريبا، كل ذلك

تشبيه بالكائن خلف شيء لا يلبث أن يتصل به كقوله تعالى: من ورائهم جهنم في [الجاثية: ١٠] .." <التحرير والتنوير ابن عاشور ١١/١٦>

"وعدل عن التعبير بالآجر، قال ابن الأثير في «المثل السائر» : لأن كلمة الآجر ونحوها كالقرمد والطوب كلمات مبتذلة فذكر بلفظ الطين اه. وأظهر من كلام ابن الأثير:

أن العدول إلى الطين لأنه أخف وأفصح.

وإسناد الإيقاد على الطين إلى هامان مجاز عقلي باعتبار أنه الذي يأمر بذلك كما يقولون: بنى السلطان قنطرة وبنى المنصور بغداد.

وتقدم ذكر هامان آنفا وأنه وزير فرعون. وكانت أوامر الملوك في العصور الماضية تصدر بواسطة الوزير فكان الوزير هو المنفذ لأوامر الملك بواسطة أعوانه من كتاب وأمراء ووكلاء ونحوهم، كل فيما يليق به.

والصرح: القصر المرتفع، وقد تقدم عند قوله تعالى يل لها ادخلي الصرح

في

سورة النمل [٤٤] .

ورجا أن يصل بهذا الصرح إلى السماء حيث مقر إله موسى. وهذا من فساد تفكيره إذ حسب أن السماء يوصل إليها بمثل هذا الصرح ما طال بناؤه، وأن الله مستقر في مكان من السماء.

والاطلاع: الطلوع القوي المتكلف لصعوبته.

وقوله وإني لأظنه من الكاذبين استعمل فيه الظن بمعنى القطع فكانت محاولته الوصول إلى السماء لزيادة تحقيق ظنه، أو لأنه أراد أن يقنع قومه بذلك. ولعله أراد بهذا تمويه الأمر على قومه ليلقي في اعتقادهم أن موسى ادعى أن الله في مكان معين يبلغ إليه ارتفاع صرحه. ثم يجعل عدم العثور على الإله في ذلك الارتفاع دليلا على عدم وجود الإله الذي ادعاه موسى. وكانت عقائد أهل الضلالة قائمة على التخيل الفاسد، وكانت دلائلها قائمة على تمويه الدجالين من زعمائهم.

وقوله من الكاذبين يدل على أنه يعده من الطائفة الذين شأنهم الكذب كما تقدم في قوله تعالى قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين [البقرة: ٦٧] .

ولم يذكر القرآن أن هذا الصرح بني، وليس هو أحد الأهرام لأن الأهرام بنيت." <التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٠/١٢٣>

"وهذا القول هو الذي يتأيد بمطابقة التاريخ فإن فرعون المعني في هذه الآية هو (منفتاح الثاني) الذي خرج بنو إسرائيل من مصر في زمنه وهو من ملوك العائلة التاسعة عشرة في ترتيب الأسر التي تداولت ملك مصر، وكانت هذه العائلة مشتهرة بوفرة المباني التي بناها ملوكها من معابد ومقابر وكانت مدة حكمهم مائة وأربعا وسبعين سنة من سنة (١٤٦٢) قبل المسيح إلى سنة (١٢٨٨) ق. م.

وقال الأستاذ محمد عبده في «تفسيره» للجزء الثلاثين من القرآن في سورة الفجر:

وما أجمل التعبير عما ترك المصريون من الأبنية الباقية بالأوتاد فإنها هي الأهرام ومنظرها في عين الرائي منظر الوتد الضخم المغروز في الأرض ا. هـ. وأكثر الأهرام بنيت قبل زمن فرعون موسى منفتاح الثاني فكان منفتاح هذا مالك تلك الأهرام فإنه

يفتخر بعظمتها وليس يفيد قوله: ذو الأوتاد أكثر من هذا المعنى إذ لا يلزم أن يكون هو الباني تلك الأهرام. وذلك كما يقال: ذو النيل، وقال تعالى حكاية عنه: وهذه الأنهار تجري من تحتي [الزخرف: ٥١] .

وأما ثمود وقوم لوط فتقدم الكلام عليهم غير مرة. وأصحاب الأيكة: هم أهل مدين، وقد تقدم خبرهم وتحقيق أنهم من قوم شعيب وأنهم مختلطون مع مدين في سورة الشعراء.

وتقديم ذكر فرعون على ثمود وقوم لوط وأصحاب ليكة مع أن قصته حدثت بعد قصصهم لأن حاله مع موسى أشبه بحال زعماء أهل الشرك بمكة من أحوال الأمم الأخرى فإنه قاوم موس بجيش كما قاوم المشركون المسلمين بجيوش.

وجملة أولئك الأحزاب معترضة بين جملة كذبت قبلهم وجملة إن كل إلا كذب الرسل. واسم الإشارة مستعمل في التعظيم، أي تعظيم القوة.

والتعريف في الأحزاب استغراق ادعائي وهو المسمى بالدلالة على معنى الكمال مثل: هم القوم وأنت الرجل. والحصر المستفاد من تعريف المسند والمسند إليه حصر ادعائي، قصرت صفة." <التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٢١/٢٣>

"وكان غزاه النبيء صلى الله عليه وسلم وفتحه سنة سبع فأسلم من فيه من العرب وصولحت اليهود على جزية.

والباء في قوله: بالواد للظرفية.

والمراد ب فرعون هو وقومه.

ووصف ذي الأوتاد لأن مملكته كانت تحتوي على الأهرام التي بناها أسلافه لأن صورة الهرم على الأرض تشبه الوتد المدقوق، ويجوز أن يكون الأوتاد مستعارا للتمكن والثبات، أي ذي القوة على نحو قوله: ذات العماد، وقد تقدم عند قوله تعالى: كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد في ص [١٢] .

وقوله: الذين طغوا في البلاد يجوز أن يكون شاملا لجميع المذكورين عاد وثمود وفرعون. ويجوز أن يكون نعتا لفرعون لأن المراد هو وقومه.

والطغيان شدة العصيان والظلم ومعنى طغيانهم في البلاد أن كل أمة من هؤلاء طغوا في بلدهم ولما كان بلدهم من جملة البلاد أي أرضي الأقوام كان طغيانهم في بلدهم قد أوقع الطغيان في البلاد لأن فساد البعض آئل إلى فساد الجميع بسن سنن السوء، ولذلك تسبب عليه ما فرع عنه من قوله: فأكثروا فيها الفساد لأن الطغيان يجرىء صاحبه على دحض حقوق الناس فهو من جهة يكون قدوة سوء لأمثاله وملئه، فكل واحد منهم يطغى على من هو دونه، وذلك فساد عظيم، لأن به اختلال الشرائع الإلاهية والقوانين الوضعية الصالحة وهو من جهة أخرى يثير الحفائظ والضغائن في المطغي عليه من الرعية فيضمرون السوء للطاغين وتنطوي نفوسهم على كراهية ولاة الأمور وتربص الدوائر بها فيكونون لها أعداء غير مخلصي الضمائر ويكون رجال الدولة متوجسين منهم خيفة فيظنون بهم السوء في كل حال ويحذرونهم فتتوزع قوة الأمة على أفرادها عوض أن تتحد على أعدائها فتصبح للأمة أعداء في الخارج وأعداء في الداخل وذلك يفضي إلى فساد عظيم، فلا جرم كان الطغيان سببا لكثرة الفساد.

ويجوز أن يكون التعريف في البلاد تعريف العهد، أي في بلادهم والجمع على اعتبار التوزيع، أي طغت كل أمة في بلادها.." <التحرير والتنوير ابن عاشور ٣٢١/٣٠>

"وفعله عرش- من بابي ضرب ونصر- وبالأول قرأ الجمهور، وقرأ بالثاني ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وذلك أن الله خرب ديار فرعون وقومه المذكورين، ودمر جناتهم بما ظلموا بالإهمال، أو بالزلزال، أو على أيديهم جيوش أعدائهم الذين ملكوا مصر بعدهم، ويجوز أن يكون يعرشون بمعنى يرفعون أي يشيدون من البناء مثل مباني الأهرام والهياكل وهو المناسب لفعل دمرنا، شبه البناء المرفوع بالعرش. ويجوز أن يكون يعرشون استعارة لقوة الملك والدولة ويكون دمرنا ترشيحا للاستعارة. وفعل كان في الصلتين دال على أن ذلك دأبه وهجيراه، أي ما عني به من الصنائع والجنات. وصيغة المضارع في الخبرين عن (كان) للدلالة على التجدد والتكرر.

[١٣٨- ١٤٠]

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٣٨ إلى ١٤٠]

وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون (١٣٨) إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (١٣٩) قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين (١٤٠)

لما تمت العبرة بقصة بعث موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه، وكيف نصره الله على عدوه، ونصر قومه بني إسرائيل، وأهلك عدوهم كشأن سنة الله في نصر الحق على الباطل، استرسل الكلام إلى وصف تكوين أمة بني إسرائيل وما يحق أن يعتبر به من الأحوال العارضة لهم في خلال ذلك مما فيه طمأنينة نفوس المؤمنين الصالحين في صالح أعمالهم، وتحذيرهم مما يرمي بهم إلى غضب الله فيما يحقرون من المخالفات، لما في ذلك كله من التشابه في تدبير الله تعالى أمور عبيده، وسنته في تأييد رسله وأتباعهم، وإيقاظ نفوس الأمة إلى مراقبة خواطرهم ومحاسبة نفوسهم في شكر النعمة ودحض الكفران.

والمجاوزة: البعد عن المكان عقب المرور فيه، يقال: جاوز بمعنى جاز، كما يقال: عالى بمعنى علا، وفعله متعد إلى واحد بنفسه وإلى المفعول الثاني بالباء فإذا قلت:

جزت به، فأصل معناه أنك جزته مصاحبا في الجواز به للمجرور بالباء، ثم استعيرت الباء للتعدية يقال: جزت به الطريق إذا سهلت له ذلك وإن لم تسر معه، فهو." <التحرير والتنوير ابن عاشور ٧٩/٩>

"السحرة والكهنة؟! قال: نعم، فأقبل على يوسف وقال: إني (١) أحب أن أسمع منك تأويل رؤياي شفاها، فأجابه يوسف بما شفاه وشهد قلبه بصحته، فعند ذلك قال له الملك: ﴿قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ يقال: فلان مكين عند فلان بين المكانة، أي: المنزلة، وهي حال يتمكن بها مما يريد (٢).

وقوله تعالى "أمين" قال الزجاج (٣): أي قد عرفنا أمانتك وبراءتك مما قرفت به.

وقال مقاتل (٤): المكين تفسيره: الوجيه، والأمين الحافظ. وقال عطاء عن ابن عباس (٥): يريد مكنتك ملكي، وجعلت سلطانك فيه كسلطاني وائتمنتك فيه.

٥٥ - قوله تعالى ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض﴾ قال المفسرون (٦): لما عبر يوسف رؤيا الملك بين يديه قال له الملك: فما ترى أيها الصديق؟ قال: أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الأهرا (٧) والخزائن وتجمع الطعام فيها؛ ليأتيك الخلق من النواحي، فيمتارون منك بحكمك (٨)، ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك، فقال

---

(١) (إني) ساقط من (ج).

(٢) ما سبق في الرازي ١٨/ ١٥٩.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١١٦.

(٤) "تفسير مقاتل" ١٥٥ أ، و"زاد المسير" ٤/ ٢٤٣.

(٥) "زاد المسير" ٤/ ٢٤٣.

(٦) الثعلبي ٧/ ٨٩ ب.

(٧) كذا في جميع النسخ والصحيح "الأهرام" كما في الوسيط ٢/ ٦١٨.

(٨) في (ج): (بحكمتك).." <التفسير البسيط الواحدي ١٥٣/١٢>

"أو حديد لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد، ووصف فرعون بذلك إما لأنه كان يعذب الناس بها، أو لأنه كان يلعب له تحتها.

والزمخشري يختار تأويلها إما بكثرة جنود فرعون ومضاربهم، أو التعذيب بالأوتاد كما فعل بماشطة بنته، وبآسية زوجته!

والرازي يرى "أن الكلام يحتمل كل هذه الوجوه".

وذهب الشيخ محمد عبده إلى أن "أظهر أقوالهم فيها ملاءمة للحقيقة، أن الأوتاد المباني العظيمة الثابتة".

ثم أضاف متاولا: "وما أجمل التعبير عما ترك المصريون من الأبنية الباقية بالأوتاد، فإنها هي الأهرام، ومنظرها في عين الرائي منظر الوتد الضخم المغروز في الأرض، بل أن شكل هياكلهم العظيمة شكل الأوتاد المقلوبة.... وهذه هي الأوتاد التي يصح نسبتها إلى فرعون على أنها معهودة للمخاطبين"!

* * *

وفي منهجنا أن كل هذه التأويلات تحمل القرآن الكريم ما ليس من بيانه وطبيعته، وقد بدا منه العمد الواضح إلى طي هذه التفصيلات الجزئية، اكتفاء بما يلفت إلى موضع العبرة لذي حجر، في مصاير هؤلاء الطغاة.

وأكثر ما قالوه في الأطوال والأحجام والأسماء والأرقام ومواد البناء، من الإسرائيليات المقحمة على كتاب الإسلام نصا وسياقا. ولكي نتقي التورط فيها، نحتكم إليه في كل هذه الأقوال التي أكثروا منها واختلفوا فيها، فإذا أردنا مزيد بيان لآيات الفجر، فإنما نلتمسه من القرآن الكريم:

"عاد" من العرب البائدة، وقد وردت في القرآن أربعا وعشرين مرة، ليس فيها إشارة إلى نسب عاد أو تصريح باسم أبيه وجده أو ولديه شديد وشداد، أو بيان لأطوال أجسام أو تحديد لأعمار. وإنما يأتي ذكر "عاد" دائما، لفتا إلى ما كان من

تكذيبها لنبيها هود عليه السلام، وطغيانها في الأرض، وما سلط الله عليها من العذاب، وحق عليها من عقاب.

فعاد في القرآن هم ﴿قوم هود﴾." <التفسير البياني للقرآن الكريم عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ٢/١٤١>

"(١٠) جابوا: قطعوا. ولعلها بمعنى نحتوا الصخر واتخذوه منازل. وقد ذكر ذلك عن ثمود في مواضع قرآنية أخرى مثل آية سورة الشعراء وهي: وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين (١٤٩) التي جاءت في سلسلة قصة ثمود ونبيهم صالح عليه السلام.

(١١) ذي الأوتاد: صاحب المنشآت العظيمة التي تشبه الجبال حيث وصفت الجبال في القرآن بالأوتاد كما جاء في آية سورة النبأ هذه: ألم نجعل الأرض مهادا (٦) والجبال أوتادا (٧) ولعلها تعني الأهرام أو أن الأهرام بعضها لأن الكلمة جاءت وصفا لفرعون.

(١٢) سوط: أصل معناه العصا التي يضرب بها أو ما يقوم مقامها.

واستعملت هنا مجازا.

(١٣) بالمرصاد: محل الرصد والترصد. والمقصود من جملة إن ربك لبالمرصاد أن الله مترصد للطغاة لينكل بهم «١» .

في الآيات الأربع الأولى أقسام ربانية بالفجر والليل الذي يجري حتى ينتهي إلى الفجر والنهار وبالليال العشر المباركة وبالشفع والوتر. أما جواب القسم فقيل إنه في جملة إن ربك لبالمرصاد حيث يعني أن الله يقسم إنه بالمرصاد للطغاة الجاحدين كما فعل بأمثالهم السابقين المذكورين. وقيل إنه محذوف مقدر بأن ما يسمعه الناس من الإنذار حق لا ريب فيه أو بأن الله الذي هو بالمرصاد للطغاة الجاحدين ليعذبنهم أو ليقتصن منهم كما فعل بأمثالهم «٢» .

والآية الخامسة توكيد رباني بأن فيما فعله الله في الأولين وفي قسمه بأنه بالمرصاد للطغاة الجاحدين مقنعا لذوي العقول والبصائر.

---

(١) انظر معاني الكلمات في تفسير السورة في تفسير الطبري والزمخشري والطبرسي وابن كثير والبغوي والنيسابوري.

(٢) انظر تفسير السورة في تفسير مجمع البيان للطبرسي مثلا.." <التفسير الحديث محمد عزة دروزة ١/٥٣٣>

"تعليق على قصص الأقوام المذكورة في السورة

والأسلوب الاستفهامي الذي جاءت فيه الآية السادسة وما بعدها يلهم أن أخبار عاد وثمود وفرعون وآثارهم والعذاب الرباني الذي حل فيهم غير مجهول عند سامعي القرآن كما يلهم أن ذكرهم هو في معرض التذكير والإنذار والموعظة.

وبهذا يستحكم جواب القسم والإنذار الذي انطوى فيه، وهذا وذاك هو هدف القصص القرآنية.

ولقد وردت إشارة خاطفة إلى فرعون في سورة المزمل. وأسلوبها يلهم ذينك الأمرين معا. وحكمة ذلك ظاهرة. فالسامع يتأثر بالقصص التي يعرفها أو يعرف عنها شيئا أكثر مما لا يعرفه. وقصة فرعون مع بني إسرائيل وموسى مفصلة في سفر الخروج من أسفار التوراة. ولا بد من أن العرب كانوا يعرفون كثيرا منها من طريق الكتابيين الذين كانوا بينهم، والذين كانت هذه الأسفار متداولة عندهم.

ولقد رجحنا أن الأوتاد هي الأهرام المصرية لأنها جاءت مع ذكر فرعون. ولقد كان تجار الحجاز يصلون في رحلاتهم التجارية

إلى مصر بطريق شرق الأردن وفلسطين على ما تلهم آيات في سورة الصافات التي تذكر الحجازيين بما رأوه من آثار تدمير الله سدوم وعمورة بلدي لوط في غور أريحا، وهي هذه: وإن لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) إلا عجوزا في الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا تعقلون (١٣٨) ولقد ذكرت الروايات «١» اسم عمرو بن العاص من جملة من زاروا مصر قبل إسلامه. والمتبادر أن الأهرام وهولها ومماثلتها للجبال مما كان يتحدث به الزوار.

أما قصص عاد وثمود فليست واردة في أسفار أهل الكتاب المتداولة. وهي في صدد قومين عربيين قديمين. وأسلوب الآيات يلهم أن السامعين لا يجهلونها

---

(١) انظر كتاب حياة عمرو بن العاص لإبراهيم حسن.." <التفسير الحديث محمد عزة دروزة ١/٥٣٤>

"٥- فهرس الأماكن

- أ-

"كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد (١) (١٢) وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب (١٣) إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب (١٤) وما ينظر (٢) هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق (٣) (١٥) وقالوا ربنا عجل لنا قطنا (٤) قبل يوم الحساب (١٦) [١٢- ١٦] .

(١) ذو الأوتاد: الراجح أن المقصود منها الأهرام التي كانت كالجبل.

والقرآن استعمل الكلمة في معنى الجبال، ومن ذلك آية في سورة النبأ: والجبال أوتادا (٧) .

(٢) ينظر: ينتظر.

(٣) فواق: رجوع.

(٤) قطنا: قسطنا ونصيبنا.

الآيات متصلة بالسياق اتصال تعقيب وتذكير وإنذار كما هو واضح حيث ذكرت بعض الأقوام الذين أشارت الآيات السابقة إشارة خاطفة إليهم وكيف أن الله أهلكهم دون أن يجدوا مغيثا ولا مهربا وقررت أن كل من كذب في السابق استحق عذاب الله وأن مكذبي النبي صلى الله عليه وسلم لن يلبثوا حتى تأخذهم الصيحة التي لا فواق لهم بعدها ولا رجوع. أما الآية الأخيرة فقد حكت قولا ساخرا من أقوالهم، فيه استخفاف وتحد، جوابا على ما ينذرهم النبي صلى الله عليه وسلم من العذاب، فطلبوا من الله أن يعجل بعذابهم في الدنيا قبل الآخرة، وهذه صورة جديدة من مواقفهم تكررت منهم وتكررت حكايتها عنهم في القرآن كما جاء في آية سورة الرعد هذه:

ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (٦) وفي آية سورة الحج هذه:

ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (٤٧) .." <التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٣٠٢/٢>

"التفسير:

قوله تعالى:

«كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب» .

فى هذا العرض للأقوام الذين كذبوا رسل الله أمران.

الأول: مواساة للنبى الكريم؟ بهذا الذي لقيه رسل الله من قبله من تكذيب أقوامهم لهم.. فليس النبى- صلى الله عليه وسلم- بدعا فيما ناله من قومه، من أدى وضر..

والثاني: هو تهديد لهؤلاء المشركين أن يلقوا هذا المصير المشئوم الذي لقيه المكذبون برسل الله.

فرعون ذو الأوتاد، هو فرعون مصر الذي وقف من موسى هذا الموقف الذي انتهى به وبجنده إلى الهلاك غرقا.

وأوتاد فرعون، هى تلك الأهرام التي أقامها فراعين مصر، فكانت أوتادا على الأرض كالجبال.. فالجبال هى أوتاد الأرض، كما يقول تعالى:

«والجبال أوتادا» (٧: النبأ) .

وأصحاب الأيكة: هم قوم شعيب عليه السلام.. والأيكة الشجر الكثير المجتمع بعضه إلى بعض أشبه بالغابة..." <التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٠٥٦/١٢>

"والمعنى: وقال الملك: أحضروه إلي من سجنه، أجعله من خاصتي وأهل مشورتي وموضع ثقتي، فلما خاطبه الملك وتعرف عليه، ورأى فضله وعلمه وبراعته، وحسن أدبه، وسمو أخلاقه، قال له: إنك عندنا اليوم وما بعده أصبحت ذا مكانة وعزة وأمانة تؤتمن على كل شيء في أمور الحكم، وصاحب التصرف التام في شؤون البلاد.

روي أن يوسف لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا، فلما دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك من خيره، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره، ثم سلم عليه بالعربية، فقال الملك: ما هذا اللسان؟ فقال: لسان عمي إسماعيل، ودعا له بالعبرية، فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي.

وكان إبراهيم وأولاده وحفدته من العرب القحطانيين، وكان ملوك مصر من العرب الذين يسمون بالرعاة (الهكسوس) .

قال يوسف: اجعلني أيها الملك على خزائن الأرض: وهي الخزن التي تخزن فيها الغلال، وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، أي ولني عليها، لأشرف عليها، وأتصرف فيها حتى أجعل توازنا اقتصاديا بين سنوات الخصب وسني القحط، فأنقذ البلاد من المجاعة التي تهدد أهلها، بحسب الرؤيا التي رأيت لأني حفيظ عليم، أي خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما يتولاه. وفي هذا إيماء لأهمية التخطيط والتنظيم المالي وإقامة التوازن بين الموارد المالية والنفقات.

فأجابه الملك إلى طلبه، وجعله وزير المال والخزانة، وأطلق له سلطة التصرف في شؤون الحكم، لما لمس لديه من رجاحة عقل، وخبرة وضبط وسياسة، وحسن تصرف، وقدرة على إحكام النظام.

وكذلك مكنا.. أي ومثل هذا الإنعام الذي أنعمنا على يوسف في." <التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٣/٩>

"أعمدة طوال منحوتة كمدينتهم، والصواب لم يوجد مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة كما قال تعالى: واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح، وزادكم في الخلق بصطة، فاذكروا آلاء الله، لعلكم تفلحون [الأعراف ٧/ ٦٩] ، وقال سبحانه: فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق، وقالوا: من أشد منا قوة، أولم يروا أن الله الذي خلقهم، هو أشد منهم قوة [فصلت ٤١/ ١٥] .

وجواب القسم المبدوء به في أول السورة محذوف تقديره: لتعذبن يا كفار أهل مكة وأمثالكم، وقد دل على الجواب هذه الآية: ألم تر كيف فعل ربك بعاد؟ وما بعدها.

وضمير لم يخلق مثلها على الصواب عائد على القبيلة، أي لم يخلق مثل عاد تلك القبيلة في البلاد، يعني في زمانهم، وليس على العماد لارتفاعها كما قال ابن زيد لأنه لو كان المراد ذلك لقال: التي لم يعمل مثلها في البلاد، وإنما قال: لم يخلق مثلها في البلاد «١» .

وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أي وقبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام الذين قطعوا الصخر ونحتوه، وبنوا بالأحجار بيوتا يسكنون فيها، وقصورا وأبنية عظيمة، في الحجر ما بين الشام والحجاز، أو وادي القرى، كما جاء في قوله تعالى: وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين [الشعراء ٢٦/ ١٤٩] ، وقوله سبحانه: وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين [الحجر ١٥/ ٨٢] .

وفرعون ذي الأوتاد أي وحاكم مصر في عهد موسى عليه السلام، الذي هو صاحب المباني العظيمة، ومنها الأهرام التي بناها الفراعنة لتكون قبورا

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٠٧." <التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٣٠/٢٢٥>

"والدنيا العريضة الذين بنوا الأهرام، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين، وكانت لهم حضارة وعلوم، ومعارف وفنون؟

أفلم يروا إلى ما بين أيديهم من آثارهم التي تدل على مبلغ ما كان عندهم من الجاه وعلى نهاية عصيانهم وتكبرهم على أنبيائهم؟

فما أغنى عنهم كسبهم وجاههم، ولم ينفعهم ما لهم ولا أولادهم، فلما جاءتهم رسلهم بالآيات والمعجزات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم الدنيوي يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا «١» ، وقيل: فرحوا بما عندهم من الخرافات والشبهات الواهية، وقالوا: نحن أولو علم وحضارة فلا حاجة بنا إلى دين أو رسالة، عجبا لهؤلاء وأتباعهم!! وربك لقد رأينا وسمعنا عن بعض الجهلة بأمور دينهم الذين تربوا في أحضان (اللادينية) يقولون: لا حاجة بنا إلى شريعة الغاب بعد أن عرفنا أحدث القوانين وأدق النظم!! يا ويلهم فرحوا بما عندهم من علم، الجهالة خير منه، وحاق بهم ونزل ما كانوا به يستهزئون من العذاب.

وقيل: إن هذا وصف للأنبياء لما كذبوا من أممهم فرحوا بما عندهم من العلم الذي ينبئهم بأن العاقبة لهم وأن الهلاك للمكذبين المجادلين.

فلما رأى هؤلاء المكذبون بأسنا في الدنيا، قالوا: آمنا بالله ربنا، آمنا به وحده وكفرنا بما كنا به مشركين، آمنوا ساعة العذاب، فلم ينفعهم إيمانهم، وتلك سنة الله مع الناس جميعا وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار [سورة النساء آية ١٨] .

وخسر هنالك الكافرون، وضل أولئك المبطلون الكافرون، وتلك سنة الله ولن تجد لسنته تبديلا.

فاحذروا يا أهل مكة، احذروا ثم احذروا..

---

(١) - سورة الروم آية ٧.." <التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٣/٣٢٢>

"يقول: أنا ربكم الأعلى، وكان قومه قد برعوا في فن الهندسة والعمارة حتى بنوا الأهرام وأقاموا التماثيل والمسلات، وما أروع التعبير بقوله: ذي الأوتاد فتلك أبنية ثابتة شامخة ثبوت الأوتاد في الأرض، وإذا نظرنا إلى الهرم وجدناه أشبه ما يكون بالوتد المقلوب، هؤلاء جميعا طغوا وبغوا وتجاوزوا الحد في البلاد، ونشأ عن ذلك أنهم أكثروا فيها الفساد، فأنزل الله عليهم من العقوبات والعذاب الدنيوي ما يشبه ضرب السياط المتتابعة المتتالية، وما أدق قوله تعالى: فصب عليهم ربك سوط عذاب حيث شبه الله ما أوقعه بهم من أنواع المهلكات وأصناف العذاب بضرب السياط الذي يكون في أشد العقوبات والله- جل جلاله- إنما يعذب الأمم جزاء لما كانوا يعملون إن ربك لبالمرصاد فهو يجازى المسيء على إساءته، ولا يفوته واحد منهم، ولن يعجزه أحد في الأرض ولا في السماء، فاطمئنوا أيها المسلمون فغدا يلقى كل جزاءه، واحذروا أيها المشركون فهؤلاء كانوا أشد منكم قوة وأكثر حجما.

[سورة الفجر (٨٩) : الآيات ١٥ الى ٣٠]
فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن (١٥) وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن (١٦) كلا بل لا تكرمون اليتيم (١٧) ولا تحاضون على طعام المسكين (١٨) وتأكلون التراث أكلا لما (١٩)
وتحبون المال حبا جما (٢٠) كلا إذا دكت الأرض دكا دكا (٢١) وجاء ربك والملك صفا صفا (٢٢) وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (٢٣) يقول يا ليتني قدمت لحياتي (٢٤)
فيومئذ لا يعذب عذابه أحد (٢٥) ولا يوثق وثاقه أحد (٢٦) يا أيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية (٢٨) فادخلي في عبادي (٢٩)
وادخلي جنتي (٣٠)." <التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٨٦١/٣>

"والجواب: أن امتناعه عن أخذ المال لا يمنع من طلب عمال البناء والأدوات وقطع الحديد ليتقوى بذلك على تحقيق مرادهم على أن يدفع الأجر للعمال وثمن الحديد من ماله، على أن السد لما كان لمصلحتهم، فإن تبرعهم بالقوى العاملة، لا يعتبر عطاء أو أجرا على بنائه كما أن زبر الحديد قد تكون من منجم قريب من السد، فإحضارهم إياها، لا ينافي رفضه أجرا منهم.

س ٢ : كيف يطلب من عماله أن ينفخوا على السور بعد أن بناه بقطع الحديد، مع أن هذا النفخ لا يصهر الحديد دون أن يكون بين قطعه وقود مشتعل.؟ ..

والجواب: أن هذا النوع هو من الاختصار القرآني المتروك فهمه لفطنة القارىء، وهو من الصور البلاغية للقرآن الكريم، ولا شك أنه أمرهم بوضع الوقود وإشعاله قبل أمرهم بالنفخ فيه، وأن الأمر بالنفخ قرينة على ذلك.

س ٣ : لماذا أسند ذو القرنين العمل في السد لنفسه بقوله: ﴿أجعل بينكم وبينهم ردما﴾ كما حكى الله عنه أنه ساوى بين الصدفين وجعله نارا، مع أن كل ذلك تم بمباشرة مهندسيه وعماله .. ؟

والجواب: أنه لما كان ذلك يتم بأمره وإرشاد أسنده إلى نفسه على سبيل المجاز.

س ٤ : كيف يستطيع العمال أن ينفخوا في السور قريبا منه دون أن يحترقوا بناره، وكيف يفرغون عليه النحاس المذاب مع حرارته الشديدة وناره المتقدة، وارتفاعه العظيم وثخانته البالغة خمسين ذراعا على ما قيل؟

والجواب: أنه لابد أن يكون ذو القرنين قد وصل إلى حل لهذه المشكلات، بحيث يمكنه تحقيق بنائه على النحو الذي تحدث به القرآن العظيم عنه، دون إضرار بأحد العاملين فيه، وكما أن العلم في عصرنا حل مشكلات كثيرة، فالعلم والحضارة والحكمة عند هؤلاء القدماء بلغت الذروة ، فلابد أنهم استعملوا آلات وطرقا علمية لم يصل بعد أحد إلى معرفتها ولا تكاد العقول تصدقها، ما لم تعرف ما كان عليه هؤلاء العظماء، من العلم والحكمة والإبداع، وما معجزة بناء الأهرام عنا ببعيدة عن العيون والأبصار، وكم لله في خلقه من آيات وعظات.." <التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٩٢٥/٦>

"فقوله: بالواد علم بالغلبة للمكان الذي كانوا يسكنون فيه، ويسمى بوادي القرى، وقد قال- تعالى- في شأنهم: وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين.

والمراد بفرعون هنا: هو وقومه. والمراد بالأوتاد: الجنود والعساكر الذين يشدون ملكه ويقوونه، كما تشد الخيام وتقوى بالأوتاد.

قال الآلوسى: وصف فرعون بذلك لكثرة جنوده وخيامهم، التي يضربون أوتادها في منازلهم، أو لأنه كان يدق لمن يريد تعذيبه أربعة أوتاد، ويشده بها.. «١» .

وقال بعض العلماء: ووصف فرعون بذي الأوتاد، لأن مملكته كانت تحتوى على الأهرامات، التي بناها أسلافه، لأن صورة الهرم على الأرض تشبه الوتد المدقوق، ويجوز أن يكون المراد بالأوتاد: التمكن والثبات على سبيل الاستعارة، أى: ذي القوة.. «٢» .

وقال صاحب الظلال: وفرعون ذي الأوتاد وهي على الأرجح الأهرامات، التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة البنيان، وفرعون المشار إليه هنا، هو فرعون الطاغية الجبار، الذي أرسل الله- تعالى- إليه موسى- عليه السلام-.. «٣» .

والمعنى: لقد علمت- أيها الرسول الكريم- وعلم معك كل من هو أهل للخطاب، ما فعله ربك بقبيلة عاد، التي جدها إرم بن سام بن نوح، والتي كانت صاحبة أعمدة عظيمة ترفع عليها بيوتها، والتي لم يخلق في بلادها مثلها في القوة والغنى.

وعلمت- أيضا- ما فعله ربك بقوم ثمود، الذين قطعوا صخر الجبال، واتخذوا منها بيوتا بوادي قراهم، التي ما زالت معروفة.

وعلمت- كذلك- ما فعلناه بفرعون صاحب المبانى القوية الفخمة وصاحب الجنود والعساكر الذين يشدون ملكه.

والذين طغوا في البلاد فأفسدوها، وتجاوزوا كل حد في العصيان والظلم.

فأكثروا فيها أى: في البلاد الفساد عن طريق الفسوق والخروج عن طاعتنا. فصب عليهم ربك سوط عذاب أى: فكانت نتيجة طغيانهم وفسادهم، أن أنزل ربك عليهم، نوعا عظيما من العذاب المهين.

---

(١) تفسير الآلوسى ج ٣٠ ص ١٢٤.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٣٢١ للشيخ ابن عاشور.

(٣) تفسير في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ٥٧١.." <التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٨٧/١٥>

"«١» [الفجر: ٨٩/ ١- ١٦] .

المعنى: أقسم بوقت الفجر أو الصبح الذي يظهر فيه النور، لبدء النهار، وبالليالي العشر من بدء كل شهر قمري، ومنها العشر الأوائل من ذي الحجة، وبالزوج والفرد من تلك الليالي ومن كل الأشياء، وبالليل إذا جاء وأقبل، ثم ذهب وأدبر، وجواب القسم: محذوف تقديره: لتبعثن.

أليس في هذا القسم بهذه الأشياء العظيمة قسم كاف يقنع كل ذي عقل أو لب؟

و (الحجر) : العقل، والمعنى: فيزدجر ذو العقل، وينظر في آيات الله تعالى. ثم ذكر الله تعالى مصارع الأمم الخالية الكافرة، وما فعل بها من التعذيب والإهلاك، لتوعد قريش، وبيان الأمثال لها. ألم تعلم يا إنسان، كيف أهلك الله قبيلة عاد الأولى، التي كانت تسكن في بلاد الأحقاف، في جنوب شبه الجزيرة العربية، والتي لها اسم آخر:

هو إرم، وكانت ذات مباني عالية، وهذا كناية عن الغنى وبسط العيش، ولم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد المختلفة، أي في

زمانهم. فكلمة (إرم) هي قبيلة عاد بعينها، كان نبيها هودا عليه السلام.

ثم ألم تعلم أيضا ما فعل الله بقبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام، الذين قطعوا الصخر ونحتوه، وبنوا بالأحجار بيوتا يسكنون فيها، وقصورا عظيمة، في الحجر: ما بين الشام والحجاز، أو وادي القرى. وما فعل الله أيضا بالجبار فرعون حاكم مصر في عهد موسى عليه السلام، الذي كان صاحب المباني العظيمة، الثوابت كالأوتاد المغروزة في الأرض، ومنها الأهرامات التي بناها الفراعنة لتكون قبورا لهم.

هؤلاء الذين ذكرناهم وهم عاد وثمود وفرعون هم الذين تجاوزوا في بلادهم الحد

---

(١) جعله منعما عليه.." <التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٨٧٢/٣>

"وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴿٥٤﴾ قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴿٥٥﴾ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴿٥٦﴾ ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٧] ﴿ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ [يوسف: ٥٤] أجعله خالصا لي لا يشركني فيه أحد فلما كلمه قال الكلبي: لما صار يوسف إلى الملك، وكان في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة، فلما رآه الملك حدثا شابا قال للساقي: أهذا يعلم من تأويل رؤياي ما لم يعلمه السحرة ولا الكهنة؟ قال: نعم.

فأقبل على يوسف، وقال: إني أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاها، فأجابه يوسف بما شفاه وشهد قلبه بصحته، فعند ذلك قال له الملك ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ [يوسف: ٥٤] قال ابن عباس: يريد مكنتك في ملكي، وجعلت سلطانك فيه كسلطاني، وائتمنتك فيه.

وقال الزجاج: أي: قد عرفنا أمانتك وبراءتك مما قذفت به.

ولما عبر يوسف رؤيا الملك بين يديه قال له الملك: فما ترى أيها الصديق؟ قال: أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا، وتبني الأهرام وتجمع فيها الطعام ليأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك لحكمك، ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك، فقال الملك: ومن لي بهذا؟ ومن يجمعه، ويكفي الشغل فيه؟ فقال يوسف: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ [يوسف: ٥٥] يعني: أرض مصر إني حفيظ لما وليت عليم بأمره.

قاله قتادة، وقال السدي: حفيظ للحساب عالم بالألسن.

وذلك أن الناس كانوا يفدون على الملك من كل ناحية، ويتكلمون بلغات مختلفة، فقال له الملك: ومن أحق به منك؟ فولاه ذلك كله.

٤٧٦ - أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد الثقفي، نا مخلد بن جعفر، نا الحسن بن علويه، نا إسماعيل بن عيسى، نا إسحاق بن بشر، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لولاه من ساعته، ولكنه أخر ذلك عنه سنة "."
<التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٦١٨/٢>

"امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق * أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾، ثم أبطل كتاب الله ما أدلوا به، من شبه وأباطيل، مشيرا إلى أن الحق سبحانه وتعالى هو وحده الذي يعلم حيث يجعل رسالاته، ويهب من خزائنه الواسعة ما يريد لمن يريد، فقال تعالى: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب * أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب * جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾.

وأخيرا تولت الآيات الكريمة الإشارة إلى ما قام به من العناد والتكذيب قبل مشركي قريش قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة، أي: الغابة الملتفة– وفرعون " ذو الأوتاد "، إشارة إلى الأهرامات الشامخة البناء، التي نصبها الفراعنة، فكانت كالأوتاد الممدودة نحو السماء، وذلك قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد * وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب * إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾.

وانتهى هذا الربع بالحديث عن داوود عليه السلام، وما آتاه الله من القوة، ومنحه من تسخير الجبال والطير، وجاء ختامه بهذا التنويه الإلهي الكريم: ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾.." <التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٥/٣٢٤>

"الكثير من فلاسفة الغرب، وأكثر من الكثير من متصوفة المسلمين وعلمائهم. وهذه الفطرة، التي تبعث فينا الشعور بوجود الخالق العظيم، تدفعنا بنفس الوقت للتأمل في نظام هذا الكون البديع، بدءا من أنفسنا ونظام أجسامنا، وانتهاء بنظام النبات والحياة الذي لا يدرك أسراره إلا العلماء. وفوق كل ذي علم عليم.

ولا أخفيك أيها القارئ، أن الزهرة التي تنبثق من التراب، وتتخذ أشكالها وألوانها الساحرة، والثمرة التي تخرج من المصانع القابعة في باطن الأرض، مختلفة الحجوم والطعوم، لهي أكثر دلالة على خالق الكون وبارئ الإنسان من أبي الهول والأهرامات، ومن السدود العظمى أو ناطحات السحاب ... !

[سورة الروم (٣٠) : الآيات ٣٣ الى ٣٤]

وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون (٣٣) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٣٤)

الإعراب:

(الواو) استئنافية (ضر) فاعل مس مؤخر مرفوع (إليه) متعلق بمنيبين (منه) متعلق بحال من رحمة (إذا) فجائية (منهم) متعلق بنعت لفريق (بربهم) متعلق ب (يشركون) .

جملة: «مس ... ضر» في محل جر مضاف إليه.

وجملة: «دعوا ... » لا محل لها جواب شرط غير جازم.

وجملة: «أذاقهم ... » في محل جر مضاف إليه.

وجملة: «فريق منهم ... يشركون» لا محل لها جواب شرط غير جازم.

وجملة: «يشركون» في محل رفع خبر المبتدأ (فريق) .." <الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ٢١/٤٤>

"الأهرام، ومنظرها في عين الرائي في منظر الوتد المغروز في الأرض، بل إن شكل هياكلهم العظيمة شكل الأوتاد المقلوبة.. وهذه هي الأوتاد التي يصح نسبتها إلى فرعون على أنها معهودة للمخاطبين".

هذا ما قاله الشيخ رحمه الله؛ فلننظر هل أصاب؟

١- وصف الله فرعون بهذه الصفة في سورة الفجر، وفي قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ (١٢: ص) ، ووردت كلمة الأوتاد في وصف الجبال في قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا﴾ (٧: النبأ) ، وإذا كان هذا هو استعمال الكلمة في القرآن فما معناها في اللغة؟

٢- الوتد لغة١: "قطعة من خشب أو حديد تثبت في الأرض أو الجدار؛ يشد بها حبل هو زمام لدابة أو طنب لخيمة.. ويقال: الجبال أوتاد الأرض على التشبيه، لأنها تثبت بها وتحفظها من الميدان والاضطراب". وأما ابن فارس٢ فقال: "الواو والتاء والدال: كلمة واحدة: هي الوتد يقال وتده ووتد الأذن الذي باطنها كأنه وتد" وأضاف الفيروزأبادي٣ "وأوتاد الأرض جبالها، ومن البلاد رؤساؤها، ومن الفم أسنانه، ووتد الوتد يتده وتدا: ثبته"، وجاء من المجازي عند الزمخشري٤ "وتد بالمكان وهو واتد: لا يبرح ثابت".

٣- وأما أقوال المفسرين في معنى الأوتاد فهي٥:

أ - ذو الأوتاد: ذو البناء المحكم، كان كثير البنيان، والبنيان يسمى أوتادا.

ب - ذو الجنود الكثيرة، فسميت الجنود أوتادا، لأنهم يقوون أمره كما يقوي الوتد البيت، وقال ابن قتيبة: "العرب تقول: هم في عز ثابت الأوتاد، يريدون دائما شديدا"، وقريب من هذا الرأي من فسرها بأنه ذو القوة والبطش، أو لأن كثرة الجنود تقتضي كثرة الخيام والمضارب والأوتاد.

---

١ انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم إعداد مجمع اللغة العربية ص ٦٢١.

٢ انظر معجم المقاييس ج ٦ ص ٨٣، والوتد: بفتح التاء وكسرها.

٣ انظر القاموس المحيط ج ١ ص ٣٥٦.

٤ انظر أساس البلاغة ص ١٠٠٤.

٥ انظر في معاني الأوتاد تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٤٤، ١٤٥، ج ٢٠ ص ٤٨، والكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٣٣٥، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٠٨، تفسير البيضاوي ص ٥٦٨.." <المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل عبد الفتاح إبراهيم سلامة ص/١٩٣>

"ج- إن المقصود بالأوتاد: أوتاد الحديد التي كان يشد إليها من يعذبهم، فقيل كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه في وتد، ثم يرسل عليه صخرة عظيمة.

١- تأول الشيخ محمد عبده للأوتاد بالأهرامات علاوة على مناقضته لما تقدم؛ فإنه يقتضي قيام دليل تاريخي، على أن فرعون الذي أرسل إليه الكليم عليه السلام بنى هرما من هذه الأهرامات، أو دفن في واحد منها حتى تصح نسبتها إليه، وهذا الدليل التاريخي غير قائم ولا ثابت.

٢- يشم من وصف الشيخ للأهرامات بأنها هياكل عظيمة نزعة مفاخرة.. وهذه الأهرامات وإن كانت عظيمة بالمقياس المادي، فهي ليست كذلك في الميزان الإسلامي.." <المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل عبد الفتاح إبراهيم سلامة ص/١٩٤>

".[المنتخب في تفسير القرآن الكريم].

المؤلف: لجنة من علماء الأزهر

الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام

الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

عدد الأجزاء: ١

[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]." <المنتخب في تفسير القرآن الكريم مجموعة من المؤلفين ص/>

"خزائن (١) الأرض، وهي الأهرام التي (٢) يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، ليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه، وتكرمة له؛ ولهذا قال تعالى:

﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٥٦) ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون (٥٧) ﴾

يقول تعالى: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ أي: أرض مصر، ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾

قال السدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يتصرف فيها كيف يشاء.

وقال ابن جرير: يتخذ منها منزلا حيث يشاء (٣) بعد الضيق والحبس والإسار. ﴿نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾ أي: وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته، وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز؛ فلهذا أعقبه الله عز وجل السلامة والنصر والتأييد، ﴿ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يخبر تعالى أن ما ادخره (٤) الله لنبيه يوسف، عليه السلام، في الدار الآخرة أعظم وأكثر (٥) وأجل، مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا كما قال تعالى في حق سليمان، عليه السلام: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ [ص: ٣٩، ٤٠] .

والغرض أن يوسف، عليه السلام، ولاه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر، مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته، وأسلم الملك على يدي يوسف، عليه السلام.

قاله مجاهد. وقال محمد بن إسحاق لما قال يوسف للملك: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ قال الملك:

قد فعلت. فولاه فيما ذكروا عمل إطفير (٦) وعزل إطفير (٧) عما كان عليه، يقول الله عز وجل: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾ فذكر لي -والله أعلم -أن إطفير (٨) هلك في تلك الليالي، وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير (٩) راعيل، وأنها حين دخلت عليه قال: أليس هذا خيرا مما كنت تريدين؟ قال: فيزعمون أنها قالت: أيها الصديق، لا تلمني، فإني كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة، ناعمة في ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك (١٠) على ما رأيت، فيزعمون أنه وجدها عذراء، فأصابها فولدت له رجلين أفرائيم بن يوسف، وميشا بن

---

(١) في ت: "خزان"

(٢) في ت: "الذي".

(٣) في ت: "شاء".

(٤) في ت: "ذخره".

(٥) في ت: "وأكبر".

(٦) في ت: "إظفير".

(٧) في ت: "إظفير".

(٨) في ت: "إظفير".

(٩) في ت: "إظفير".

(١٠) في ت: "وهيبتك".." <تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٣٩٦>

"يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة، وذكر أنه حفيظ أي خازن أمين، عليم ذو علم وبصيرة بما يتولاه. وقال شيبة بن نعامة: حفيظ لما استودعتني، عليم بسني الجدب، رواه ابن أبي حاتم، وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس، وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض، وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، فيتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه وتكرمة له ولهذا قال تعالى:

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٥٦ الى ٥٧]

وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٥٦) ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون (٥٧)

يقول تعالى: وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أي أرض مصر، يتبوأ منها حيث يشاء قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يتصرف فيها كيف يشاء. وقال ابن جرير «١» : يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحبس والإسار، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين أي وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة

العزيز، فلهذا أعقبه الله عز وجل السلام والنصر والتأييد، ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون يخبر تعالى أن ما ادخره الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا، كقوله في حق سليمان عليه السلام هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب [ص: ٣٩- ٤٠] والغرض أن يوسف عليه السلام ولاه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته، وأسلم الملك على يدي يوسف عليه السلام، قاله مجاهد.

وقال محمد بن إسحاق: لما قال يوسف للملك: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم [يوسف: ٥٥] قال الملك: قد فعلت، فولاه فيما ذكروا عمل إطفير، وعزل إطفير عما كان عليه، يقول الله عز وجل: وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين قال: فذكر لي- والله أعلم- أن إطفير هلك في تلك الليالي، وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير راعيل، وأنها حين دخلت عليه قال لها: أليس هذا خيرا مما كنت تريدين؟ قال: فيزعمون أنها قالت: أيها الصديق لا تلمني، فإني كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة ناعمة في ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك على ما رأيت، فيزعمون أنه وجدها عذراء،

---

(١) تفسير الطبري ٧/ ٢٤٢.." <تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٤/٣٣٩>

"لأجل طلب هذه الأشياء فقد باع الآخرة بالدنيا، فبين تعالى أن هذه الطريقة فاسدة، لأن الدنيا فانية ذاهبة، واحتج عليه بقوله تعالى: أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني لو ساروا في أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين المتمردين، ليست إلا الهلاك والبوار، مع أنهم كانوا أكثر عددا ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين، فلما لم يستفيدوا من تلك المكنة العظيمة والدولة القاهرة إلا الخيبة والخسار، والحسرة والبوار، فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين، أما بيان أنهم كانوا أكثر من/ هؤلاء عددا فإنما يعرف في الأخبار، وأما أنهم كانوا أشد قوة وآثارا في الأرض، فلأنه قد بقيت آثارهم بحصون عظيمة بعدهم، مثل الأهرام الموجودة بمصر، ومثل هذه البلاد العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون، ومثل ما حكى الله عنهم من أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا.

ثم قال تعالى: فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما في قوله فما أغنى عنهم نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب، وما في قوله ما كانوا يكسبون موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم.

ثم بين تعالى أن أولئك الكفار لما جاءتهم رسلهم بالبينات والمعجزات فرحوا بما عندهم من العلم، واعلم أن الضمير في قوله فرحوا يحتمل أن يكون عائدا إلى الكفار، وأن يكون عائدا إلى الرسل، أما إذا قلنا إنه عائد إلى الكفار، فذلك العلم الذي فرحوا به أي علم كان؟ وفيه وجوه الأول: أن يكون المراد الأشياء التي كانوا يسمونها بالعلم، وهي الشبهات التي حكاها الله عنهم في القرآن كقولهم وما يهلكنا إلا الدهر [الجاثية: ٢٤] وقولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا [الأنعام: ١٤٨] وقولهم من يحي العظام وهي رميم [يس: ٧٨] ، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا [الكهف: ٣٦] وكانوا يفرحون

بذلك ويدفعون به علوم الأنبياء، كما قال: كل حزب بما لديهم فرحون [المؤمنون: ٥٣] ، الثاني: يجوز أن يكون المراد علوم الفلاسفة، فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علومهم، وعن سقراط أنه سمع بمجيء بعض الأنبياء فقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا الثالث: يجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى: يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون [الروم: ٧] ، ذلك مبلغهم من العلم [النجم: ٣٠] فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة الله تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس عن الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزؤا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم، ففرحوا به. أما إذا قلنا الضمير عائد إلى الأنبياء ففيه وجهان الأول:

أن يجعل الفرح للرسل، ومعناه أن الرسل لما رأوا من قومهم جهلا كاملا، وإعراضا عن الحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم وإعراضهم، فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه، وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم الثاني: أن يكون المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به، كأنه قال استهزؤا بالبينات، وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين، ويدل عليه قوله تعالى: وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن.

ثم قال تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى: بعذاب بئيس [الأعراف: ١٦٥] فإن قيل أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم وبين ما." <تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٣٥/٢٧>

"قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها، أى: تركناها على حال لا يكنها أحد، أو خربناها وسويناها بالأرض.

تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع «١»

[سورة القصص (٢٨) : آية ٥٩]

وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون (٥٩)

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي أمها، أى:

أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها رسولا لإلزام الحجة وقطع المعذرة، مع علمه أنهم لا يؤمنون، أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى- يعنى مكة- رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء. وقرئ: أمها، بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر، وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم، حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الهلاك بظلمهم «٢» ، ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل، ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم، ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين، كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص في قوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه، وأن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم، دل على ذلك بحرف النفي مع لامه، كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم.

. (١)

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع

لأبى الطيب حين دخل مصر ورأى الأهرام التي بناها الملك سورند. وقيل: سنان بن مشلشل. وقيل: إدريس عليه السلام. والهرمان: تثنية هرم- كسبب- وأراد بهما القريبين من مصر، ويومه: هو زمن ملكه، ويجوز أنه يوم موته، كما أن المصرع مكان الموت، والاستفهام عن هذا بعد الاستفهام عن قومه لاستحضار الصورتين والفرق بين الحالتين، ثم قال: تتخلف، أى: تتأخر الآثار من البنيان والأشجار وغير ذلك زمنا طويلا بعد أصحابها.

ثم يلحقها الفناء فتتبع أصحابها ولو طال زمن تخلفها. ويجوز أن المعنى: حينا قليلا، فالتنوين للتكثير أو التقليل.

(٢) . قال محمود: «هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حتى أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا العذاب ولا يستحقوا حتى تتأكد عليهم الحجة ببعثة الرسل» قال أحمد: هذا إسلاف من الزمخشري لجواب ساقط عن سؤال وارد على القدرية لا جواب لهم عنه، ينشأ السؤال في هذه الآية فيقال: لو كانت العقول تحكم عن الله تعالى بأحكام التكليف، لقامت الحجة على الناس وإن لم يكن بعث رسل، إذ العقل حاكم، فلا يجدون للخلاص من هذا السؤال سبيلا.." <تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٢٤>

"عاد. ولقد وجدنا في حضارة الفراعنة أشياء لم نصل إليها حتى الآن. مثل براعتهم في تحنيط الموتى والمحافظة على الجثث. وبناء الأهرامات وغير ذلك. وبما أن حضارة عاد كانت أرقى من حضارة الفراعنة. فإنها تكون قد وصلت إلى أسرار مازالت خافية على العالم حتى الآن. ولكنا لا نعرف شيئا عنها، لأن الله لم يكشف لنا آثارها.

ولقد تحدث الحق تبارك وتعالى عن الفراعنة باسم فرعون. وتكلم عنهم في أيام موسى باسم آل فرعون. ولكن الزمن الذي كان بين عهدي يوسف وموسى لم يسم ملك مصر فرعون، إنما سماه العزيز الذي هو رئيس الوزراء ورئيسه الملك. وقال الحق تبارك وتعالى: ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ [يوسف: ٥٠]

إذن فالحاكم أيام يوسف كان يسمى ملكا ولم يسم فرعون. بينما حكام مصر قبل يوسف وبعده كانوا يلقبون بفرعون. ذلك لأنه قبل عهد يوسف عليه السلام حكم مصر الهكسوس أهل بني إسرائيل.

فقد أغاروا على مصر وانتصروا على الفراعنة. وحكموا مصر سنوات حتى تجمع الفراعنة وطردوهم منها.

والغريب أن هذه القصة لم تعرف إلا بعد اكتشاف حجر رشيد، وفك رموز اللغة الهيروغليفية. وكان ملوك الهكسوس من الرعاة الذين استعمروا مصر فترة. ولذلك نرى في قصة يوسف عليه السلام قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ .

وهكذا نعلم أن القرآن الكريم قد روى بدقة قصة كل حاكم في زمنه. وصف الفراعنة بأنهم الفراعنة. ثم جاء الهكسوس فلم يكن هناك فرعون ولكن كان هناك ملك. وعندما جاء موسى كان الفراعنة قد عادوا لحكم مصر. فإذا كان هذا الأمر لم نعرفه إلا في مطلع القرن الخامس. عندما اكتشف الفرنسيون حجر رشيد، ولكن القرآن أرخ له التاريخ الصحيح منذ أربعة عشر قرنا. وهذه معجزة تنضم لمعجزات." <تفسير الشعراوي الشعراوي ١/٣٢٦>

"﴿أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ وساعة تسمع ﴿أنى﴾ فهي تأتي مرة بمعنى «كيف» ، ومرة تأتي بمعنى: «من أين» ، والمناسب لها هنا هو أن يكون السؤال كالتالي: «كيف يحيي الله هذه بعد موتها» ؟ وقوله هذا يدل على أنه مؤمن، فهو لا يشك في أن قضية الإحياء من الله، وإنما يريد أن يعرف الكيفية، فكأنه مؤمن بأن الله هو الذي يحيي ويميت، وهذه ستأتي في قصة سيدنا إبراهيم:

﴿أرني كيف تحيي الموتى﴾ [البقرة: ٢٦٠]

هو لا يشك في أن الله يحيي الموتى، إنما يريد أن يرى كيف تتم هذه الحكاية؛ لأن الذي يريد أن يعرف كيفية الشيء، لابد أن متعجب من وجود هذا الشيء، فيتساءل: كيف تم عمل هذا الشيء؟ مثلما نرى الأهرام، ونحن لا نشك أن الأهرام مبنية بهذا الشكل، لكننا نتساءل فقط: كيف بنوها؟ كيف نقلوا الحجارة بضخامتها لأعلى ولم يكن هناك سقالات أو روافع آلية؟ إذن فنحن نتعجب فقط، والتعجب فرع الإيمان بالحدث.

والسؤال عن الكيفية معناه التيقن من الحدث، فقول الحق: ﴿أنى يحيي هذه الله﴾ . يعني: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها، فكأن القائل لا يشك في أن الله يحيي، ولكنه يريد الكيفية، والكيفية ليست مناط إيمان، فالله لم ينهنا عن التعرف عن الكيفية؛ فهو يعلم أننا نؤمن بأنه قادر على إيجاد هذا الحدث.

وأضرب هذا المثل ولله المثل الأعلى فمصمم الملابس عندما يقوم بتفصيل أزياء جميلة، أنت تراها، فأنت تتيقن من أنه صانعها، ولكنك تتعجب فقط من دقة الصنعة، وتقول له: بالله كيف عملت هذه؟ كأنك قد عشقت الصنعة! فتشوقت إلى معرفة كيف صارت، فما بالنا بصنعة الحق تبارك وتعالى؟ إنك تندهش وتتعجب لتعيش في ظل السر السائح من الخالق في المخلوق، وتريد أن تنعم بهذه النعم.

ومثال آخر ولله المثل الأعلى من قبل ومن بعد أنت ترى مثلا لوحة رسمها رسام، فتقول له: بالله كيف مزجت هذه الألوان؟ أنت لا تشك في أنه قد مزج." <تفسير الشعراوي الشعراوي ٢/١١٣٢>

"وكشف شامبليون عن الحروف التي لم تتغير. واهتدى إلى فك طلاسم حروف اللغة الهيروغليفية؛ فعرف كيف يقرأ المكتوب على حجر رشيد، واستطاع أن يقدم لنا بدايات اكتشاف تاريخ مصر القديمة. واستطاع أن يقرأ اللغة المرسومة على ذلك الحجر.

ولنا أن نرى عظمة القرآن حينما تعرض للأقدمين. . تعرض لعاد وتعرض لثمود وتعرض لفرعون. تعرض لتلك الحضارات كلها في سورة الفجر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذى حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد﴾ [الفجر: ١ - ٧]

وإرم ذات العماد هي التي في الأحقاف - في الجزيرة العربية - ولم نكتشفها بعد، ولم نعرف عنها حتى الآن شيئا، وهي التي يقول عنها الحق: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ [الفجر: ٨]

ثم يتكلم بعدها عن فرعون: ﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾ [الفجر: ١٠]

والأهرام أقيمت بالفعل على أوتاد، وكذلك المسلات المصرية القديمة والمعابد. وغيرها من العجائب التي بهرت الناس في

مختلف العصور. ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ [الفجر: ٨]
ثم جاء بحضارة ثمود. ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ [الفجر: ٩]." <تفسير الشعراوي الشعراوي ٣٠٤٥/٥>
"﴿يسومونكم سواء العذاب يذبحون أبنآءكم ويستحيون نسآءكم ... ﴾ [البقرة: ٤٩]
وجاء عقاب الله لقوم فرعون: ﴿ ... ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ [الأعراف: ١٣٧]
والتدمير هو أن تدرك شيئا وتخربه، وقد ظل ما فعله الله بقوم فرعون باقيا في الآثار التي تدلك على عظمة ما فعلوا، وتجد العلماء في كل يوم يكتشفون تحت الأرض آثارا كثيرة. ومن العجيب أن كل كشوف الآثار تكون تحت الأرض، ولا يوجد كشف أثري جاء من فوق الأرض أبدا.
وكلمة «دمرنا» تدل على أن الأشياء المدمرة كانت عالية الارتفاع ثم جاءت عوامل التعرية لتغطيها، ويبقى الله شواهد منها لتعطينا نوع ما عمروا؛ كالأهرام مثلا. وكل يوم نكتشف آثارا جديدة موجودة تحت الأرض مثلما اكتشفنا مدينة طيبة في وادي الملوك، وكانت مغطاة بالتراب بفعل عوامل التعرية التي تنقل الرمال من مكان إلى مكان. وأنت إن غبت عن بيتك شهرا ومع أنك تغلق الأبواب والشبابيك قبل السفر؛ ثم تعود فتجد التراب يغطي جميع المنزل والأثاث؛ كل ذلك بفعل عوامل التعرية التي تنفذ من أدق الفتحات، ولذلك لو نظرت إلى القرى القديمة قبل أن تنشأ عمليات الرصف التي تثبت الأرض نجد طرقات القرية التي تقود إلى البيوت ترتفع مع الزمن شيئا فشيئا وكل بيت تنزل به قليلا، وكل فترة يردمون أرضية البيوت لتعلو، وكل ذلك من عوامل التعرية التي تزيد من ارتفاع أرضية الشوارع. وكل آثار الدنيا لا تكتشف إلا بالتنقيب، إذن فكلمة «دمرنا» لها سند. والحق يقول عن أبنية فرعون: ﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾ [الفجر: ١٠]
ونجد الهرم مثلا كشاهد على قوة البناء، وإلى الآن لم يكتشف أحد كيف تم بناء الهرم. وكيف تتماسك صخوره دون مادة كالأسمنت مثلا، بل يقال: إن بناء." <تفسير الشعراوي الشعراوي ٤٣٢٨/٧>
"والحق سبحانه يريدنا أن نتذكر ما حدث للأمم السابقة الذين كانوا أكثر قوة وأكثر أموالا وأولادا من أولئك الكفار والمنافقين الذين يواجهون رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولنقرأ قول الحق جل جلاله: ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذى حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر: ١ – ١٤]
ونحن لم نشهد ﴿إرم ذات العماد﴾ التي وصفها الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿لم يخلق مثلها في البلاد﴾ ، ولكن القرآن أكد لنا أنها وصلت إلى درجة من الحضارة التي لم يصل إليها أحد. وقد يتساءل بعض الناس: أين ﴿إرم ذات العماد﴾ من حضارات اليوم؟ . ونقول: إن هناك أسرارا لله في كونه قد أعطاها بعض خلقه ولم يعطها لأحد حتى الآن.
وإذا نظرنا إلى الفراعنة مثلا نجد أن الحق سبحانه وتعالى قد وصفهم في القرآن بقوله: ﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾ . والأهرامات أوتاد، والمسلات أوتاد، وما زالت علوم حضارة الفراعنة تغيب عن البشر حتى الآن، فهناك من مظاهر هذه الحضارة ما نعجز عنه حتى الآن، مثل سير التحنيط وبناء الأهرام؛ فهذه الكتل الحجرية الضخمة التي ارتفعت ويمسك بعضها البعض،

دون أية مواد مثبتة، وما زال العلم الحديث عاجزا حتى اليوم عن أن يوجد هرما مبنيا بنفس طريقة قدماء المصريين دون استخدام أي مواد." <تفسير الشعراوي الشعراوي ٥٢٧٤/٩>

"ونقف أمام ملحظ آخر في هذه الآية: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا ... ﴾ [آل عمران: ١٣٧] .

وفي آية أخرى يقول: ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا ... ﴾ [الأنعام: ١١] .

ليس هذا مجرد تفنن في العبارة، بل لكل منهما مدلول خاص، فالعطف بالفاء يفيد الترتيب مع التعقيب.

أي: يأتي النظر بعد السير مباشرة. . أما في العطف بثم فإنها تفيد الترتيب مع التراخي. أي: مرور وقت بين الحدثين، وذلك كقوله تعالى: ﴿ثم أماته فأقبره ثم إذا شآء أنشره﴾ [عبس: ٢٢] .

وقول الحق سبحانه:

﴿فانظروا ... ﴾ [النحل: ٣٦] .

فكأن الغرض من السير الاعتبار والاتعاظ، ولا بد إذن من وجود بقايا وأطلال تدل على هؤلاء السابقين المكذبين، أصحاب الحضارات التي أصبحت أثرا بعد عين.

وها نحن الآن نفخر بما لدينا من أبنية حجرية مثل الأهرامات مثلا، حيث يفد إليها السياح من شتى دول العالم المتقدم؛ ليروا ما عليها هذه الحضارة القديمة من تطور وتقدم يعجزهم ويحيرهم، ولم يستطيعوا فك طلاسمه حتى الآن.." <تفسير الشعراوي الشعراوي ٧٩٢٥/١٣>

"ومع ذلك لم يترك الفراعنة ما يدل على كيفية بناء الأهرامات، أو ما يدل على كيفية تحنيط الموتى؛ مما يدل على أن هؤلاء القوم أخذوا أخذة قوية اندثرت معها هذه المراجع وهذه المعلومات، كما قال تعالى: ﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾ [مريم: ٩٨] .

وقد ذكر لنا القرآن من قصص هؤلاء السابقين الكثير كما في قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ [الفجر: ٦ - ٨] .

وقال: ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ [الفجر: ٩ - ١٣] .

هذا ما حدث للمكذبين في الماضي، وإياكم أن تظنوا أن الذي يأتي بعد ذلك بمنجى عن هذا المصير. . كلا: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر: ١٤] .

ثم يقول الحق سبحانه:." <تفسير الشعراوي الشعراوي ٧٩٢٦/١٣>

"وما دامت لم يخلق مثلها في البلاد، فهي أعظم من حضارة الفراعنة التي نشاهدها الآن، ويفد إليها الناس من كل أنحاء العالم ليشاهدوا الأهرام مثلا، وقد بنيت لتكون مجرد مقابر، ومع تقدم العلم في عصر الحضارة والتكنولوجيا، ما زال هذا البناء محيرا للعلماء، لم يستطيعوا حتى الآن معرفة الكثير من أسراره.

ومن هذه الأسرار التي اهتدوا إليها حديثا كيفية بناء أحجار الأهرام دون ملاط مع ضخامتها، وقد توصلوا إلى أنها بنيت بطريقة تفريغ الهواء مما بين الأحجار، وهذه النظرية تستطيع ملاحظتها حين تضع كوبا مبللا بالماء على المنضدة مثلا، ثم

تتركه فترة حتى يتبخر الماء من تحته، فإذا أردت أن ترفعه من مكانه تجده قد لصق بالمنضدة.
وليس عجيبا أن تختفي حضارة، كانت أعظم حضارات الدنيا تحت طبقات الرمال، فالرمال حين تثور تبتلع كل ما أمامها، حتى إنها طمرت قبيلة كاملة بجمالها ورجالها، وهذه هبة واحدة، فما بالك بثورة الرمال، وما تسفوه الريح طوال آلاف السنين؟
وأنا واثق من أنهم إذا ما نبشوا هذه الرمال وأزاحوها لوجدوا تحتها أرضا خصبة وآثارا عظيمة، كما نرى الاكتشافات الأثرية الآن كلها تحت الأرض، وفي فيينا أثناء حفر أحد خطوط المجاري هناك وجدوا آثارا لقصور ملوك سابقين.
وطالما أن الله تعالى قال عن عاد: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾ [الشعراء: ١٢٨] فلا بد أن هناك قصورا ومباني مطمورة تحت هذه الرمال.." <تفسير الشعراوي الشعراوي ١٧/١٠٦٣٣>

"ثم يؤكد هذه الألوهية فيقول لهامان وزيره: ﴿فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى ... ﴾ [القصص: ٣٨] وفي موضع آخر قال: ﴿ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى ... ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] .
وكأنه يريد أن يرضي قومه، فها هو يريد أن يبحث عن الإله الذي يدعيه موسى، وكأنه إن بنى صرحا واعتلاه سيرى رب موسى، لكن هل بنى له هامان هذا الصرح؟ لم يبن له شيئا، مما يدل على أن المسألة هزل في هزل، وضحك على القوم الذين استخفهم ولعب بعقولهم.
وإلا، فما حاجتهم لحرق الطين ليصير هذه القوالب الحمراء التي نراها ونبني بها الآن وعندهم الحجارة والجرانيت التي بنوا بها الأهرامات وصنعوا منها التماثيل؟ وعملية حرق الطين تحتاج إلى كثير من الوقت والجهد، إذن: المسألة كسب الوقت من الخصم، وتخدير الملأ من قومه.
وقوله: ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى ... ﴾ [القصص: ٣٨] وقبل أن يصل إلى حكم فيرى إله موسى أو لا يراه، يبادر بالحكم على موسى ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ [القصص: ٣٨] ؛ ليصرف ملأه عن كلام موسى.." <تفسير الشعراوي الشعراوي ١٨/١٠٩٢٧>

"إنسانا يغلب عليه أنه منهك القوى فاعرف أنه قد أتعب ذراته، وأنها تود الخلاص منه بالنوم، وكأنها تقول له نم فلم تعد صالحا للتعايش معي.
إذن: الحق سبحانه ينبهنا دائما من هذه الغفلة بواسطة الرسل، ثم يترك سبحانه للرسالات التي سبقت أدلة تؤيد الرسل الموجودين، وتعينهم على أداء مهمتهم؛ لذلك يقول لنا: انظروا إلى الرسل الذين سبقوا، وكيف كانت عاقبة المكذبين بهم.
﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون. .﴾ [السجدة: ٢٦] كما قال سبحانه: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد﴾ [الفجر: ٦ - ١٠]
فهذه الأهرامات التي يفد إليها الناس، والتي تعد مزارا سياحيا هي آية من آيات الله تقوم دليلا على هلاك أصحابها من المكذبين للرسل، فالحق سبحانه لم يترك لأحد من خلقه عذرا بعد أن كشف له الآيات الكونية تشهد بوحدانيته تعالى وألوهيته، والمعجزات التي." <تفسير الشعراوي الشعراوي ١٩/١١٨٥٩>

"وهذه الآية أصل في طلب الولاية كالقضاء ونحوه، لمن وثق من نفسه بالقيام بحقوقه، وجواز التولية عن الكافر والظالم. وأصل في جواز مدح الإنسان نفسه لمصلحته، وفي أن المتولي أمرا، شرطه أن يكون عالما به، خبيرا، ذكي الفطنة- كذا في (الإكليل) .

قال أبو السعود: وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله، عليه السلام، من جعله على خزائن الأرض، إيذانا بأن ذلك أمر لا مرد له، غني عن التصريح، ولا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته من أحكام السلطنة بحذافيرها، من قوله: إنك اليوم لدينا مكين أمين، وللتنبيه على أن كل ذلك من الله عز وجل، وإنما الملك آلة في ذلك.

تنبيه:

قال ابن كثير: خزائن الأرض هي الأهرام التي يجمع فيها الغلات ... إلخ.

ولم أر الآن مستنده في كون الأهرام كانت مجمع الغلات، ولم أقف عليه في كلام غيره.

و (الأهرام) بفتح الهمزة، جمع هرم بفتحتين وهي مبان مربعة الدوائر، مخروطية الشكل، بقي منها الآن ثلاثة في الجيزة، بعيدة أميالا عن القاهرة، معدودة من غرائب الدنيا دعيت لرؤياها أيام رحلتي للديار المصرية عام ١٣٢١ هـ. وقد استقر رأي المتأخرين في تحقيق شأنها على أنها كانت مدافن لملوكهم.

ففي كتاب (الأثر الجليل لقدماء وادي النيل) : جميع الأهرام ليست إلا مقابر ملوكية آثر أصحابها أن يتميزوا بها بعد موتهم عن سائر الناس، كما تميزوا عنهم مدة حياتهم، وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور، وتراخي العصور، وقد أجمع مؤرخو هذا العصر على أن الهرم الأكبر قبر للملك (خوفو) والثاني (خفرع) والثالث للملك (منقرع) وجميعهم من العائلة المنفيسية. ولا عبرة بقول من زعم أنها معابد أو مراصد للكواكب، أو مدرسة للمعارف الكهنوتية، أو غير ذلك. انتهى.

وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة يوسف (١٢) : آية ٥٦]

وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٥٦)

وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أي أرض مصر يتبوأ منها أي ينزل من." <تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ١٩٢/٦>

"(٨) تمحيص روايات كتب التفسير:

أشار الكتاب الكريم إلى كثير من تاريخ الأمم الغابرة التي حل بها العذاب على ما اجترحت من الآثام، وإلى بدء الخلق وتكوين الأرض والسموات، ولم يكن لدى العرب من المعرفة ما يستطيعون به شرح هذه المجملات التي أشار إليها الكتاب، إذ كانوا أمة أمية في صحراء نائية عن مناهل العلم والمعرفة، والإنسان بطبعه حريص على استكناه المجهول، واستيضاح ما عزت عليه معرفته، فألجأتهم الحاجة إلى الاستفسار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ولا سيما مسلمتهم كعبد الله بن

سلام وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، فقصوا عليهم من القصص ما ظنوه تفسيرا لما خفى عليهم فهمه من كتابهم، ولكنهم كانوا فى ذلك كحاطب ليل، يجمع بين الشذرة والبعرة، والذهب والشبه، إذ لم تكن علوم القصاص ممحصة ولا مهذبة، بل كان ينقصها الميزان العلمي الذي به يتعرف جيد الرأى من بهرجه، وصحيحه من سقيمه، فساقوا إلى المسلمين من الآراء فى تفسير كتابهم ما ينبذه العقل، وينافيه الدين، وتكذبه المشاهدة، ويبعده كل البعد ما أثبته العلم فى العصور اللاحقة.

وما كان مثلهم ومثل العرب الذين استوضحوهم بعض ما استعصى عليهم فهمه، إلا مثل السائح الأوربى إذا جاء إلى سفح الأهرام بمصر، وسأل العرب الضاربين خيامهم حولها. لم بنيت الأهرام؟ ومن بناها؟ ومتى بنيت؟ وكيف بنيت؟ فيجيبونه إجابات بعيدة عن الحقيقة ومجانفة وجه الصواب.

ومن ثم رأينا ألا نذكر رواية مأثورة إلا إذا تلقاها العلم بالقبول، ولم نر فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التي لا خلاف فيها بين أهله، وقد وجدنا أن ذلك أسلم لصادق المعرفة، وأشرف لتفسير كتاب الله، وأجذب لقلوب المثقفين ثقافة علمية، لا يقنعها إلا الدليل والبرهان ونور المعرفة الصادقة.." <تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٩/١>

"(وهم بالآخرة هم كافرون) أي وهم يكفرون بالآخرة والحساب والجزاء على الوجه الذي دعا إليه الأنبياء، إذ أنهم كانوا يصورون حياة الآخرة على صور مبتدعة، منها أن فراعنتهم يعودون إلى الحياة الآخرة بأجسادهم المحنطة ويرجع إليهم الحكم والسلطان كما كانوا فى الدنيا، ومن ثم كانوا يضعون معهم فى مقابرهم جواهرهم وحليهم، ويبنون الأهرام لحفظ جثثهم وما معهم، ولهم معتقدات أخرى فى تلك الحياة لا تشا كل ما جاء عنها على ألسنة الرسل عليهم السلام.

(واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب) أي واتبعت ملة آبائي الذين دعوا إلى التوحيد الخالص وهم إبراهيم وإسحق ويعقوب، وفى ذكر ذلك ترغيب لصاحبيه فى الإيمان والتوحيد وتنفير لهما عما هما فيه من الشرك والضلال.

ثم بين أساس الملة التي ورثها عن أولئك الآباء الكرام فكانت يقينا له بقوله:

(ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) أي لا ينبغى لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله شيئا فنتخذه ربا مدبرا معه ولا إلها معبودا من الملائكة أو البشر كالفراعنة، فضلا عما دونهما من البقر كالعجل أبيس أو من الشمس والقمر، أو ما يتخذ من التماثيل والصور لهذه الآلهة.

(ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) أي عدم الإشراك من فضل الله علينا، إذ هدانا إلى معرفته وتوحيده فى ربوبيته وألوهيته، بوحيه وآياته فى الأنفس والآفاق، وعلى الناس بإرسالنا إليهم، ننشر فيهم الدعوة، ونقيم عليهم الحجة، فنهديهم سبيل الرشاد، ونبين لهم محجة الصواب، ونبعدهم عن طرق الغواية والضلال.

(ولكن أكثر الناس لا يشكرون) نعم الله عليهم، فيشركون به أربابا وآلهة من خلقه، يذلون أنفسهم بعبادتهم، وهم مخلوقون لله مثلهم أو أدنى منهم.." <تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٤٧/١٢>

"وفى هذا دليل على ما أنعم الله به عليهم من القوة والعقل وحسن التدبير.

(وفرعون ذي الأوتاد) أي وفرعون ذى المبانى العظيمة التي شادها هو ومن قبله من فراعنة مصر فى قديم الأزمان كالأهرام وغيرها وما أجمل التعبير عما تركه المصريون من الأبنية الباقية بالأوتاد، فإن شكل هياكلهم العظيمة شكل الأوتاد المقلوبة، إذ يبتدئ البناء عريضا وينتهى بأدق مما بدأ.

ثم وصف من سبق ذكرهم بأقبح الأوصاف فقال:
(الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد) أي هؤلاء الذين سلف ذكرهم من عاد وثمود وفرعون قد استعملوا سلطانهم وقوتهم فى هضم حقوق الناس، واغتروا بعظيم قدرتهم، فكانوا سببا فى إفساد البلاد.
ذاك أن من اغتر بنفسه وتهاون بحقوق غيره واعتدى عليها، وأخذ ما ليس له ولم يعط الذي عليه- يكون قد فكك شمل الجماعة وأفسد فى البلاد، فيختل نظام العمران، ويقف دولاب التعامل، ويوجس كل امرئ خيفة من بنى جلدته، ولا شك أن أمما هذه حالها تكون عاقبتها الخراب والدمار، ومن ثم ذكر عاقبة أمرها فقال:
(فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي فأنزل الله تعالى بهم ألوانا من البلاء، وشديد العقاب.
وقد شبه سبحانه ما أوقعه بهم من صنوف العذاب، وما صبه عليهم من ضروب الهلاك- بالسوط، من قبل أن السوط يضرب به فى العقوبات، والله يوقع العذاب بالأمم عقوبة لها على ما يقع منها من أنواع التفريط فى أوامر دينه.
ثم ذكر العلة فى تعذيبه لهم فقال:
(إن ربك لبالمرصاد) أي إن شأن ربك ألا يفوته من شئون عباده نقير." <تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٤٤/٣٠>

"ولما كان كأنه قيل: ما نبأهم؟ قال: ﴿أتتهم رسلهم﴾ أي أتى كل أمة منهم رسولها ﴿بالبينات﴾ أي بالمعجزات الواضحات جدا بسبب أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم ﴿فما﴾ أي فتسبب عن ذلك أنه ﴿ما﴾ ﴿كان الله﴾ أي مع ما له من صفات الكمال مريدا ﴿ليظلمهم﴾ أي لأن يفعل بهم في الإهلاك قبل الإنذار وإنارة البينات فعل من تعدونه فيما بينكم ظالما، ولكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا ما أتوهم به من البينات، فصار العالم بحالهم إذا سمع بهلاكهم وبزوالهم يقول: ما ظلمهم الله ﴿ولكن كانوا﴾ أي دائما في طول أعمارهم ﴿أنفسهم﴾ أي لاغيرها ﴿يظلمون*﴾ أي بفعل ما يسبب هلاكها، فإن لم ترجعوا أنتم فنحن نحذركم مثل عذابهم، ولعله خص هؤلاء بالذكر من بين بقية الأمم لما عند العرب من أخبارهم وقرب ديارهم من ديارهم مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا، وأنبياؤهم أعظم الأنبياء – نبه على ذلك أبو حيان. ولعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط وهم بعدهم في الزمان لأن هذا في شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم من ملجأ أو مغارات أومدخل كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف، فقوم نوح عليه السلام لم يمنعهم لما أتاهم الماء معقل منيع ولا جبل رفيع مع أنه يقال؛ إنهم هم الذين بنوا الأهرامات، منها ما هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذي." <نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٥٤١/٨>

١-"تفسير قوله تعالى: (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)

قال الله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [الروم:٩] يعني: هؤلاء الكفار الذين يتنطعون ويتعنتون، ويتطاولون على ربهم، ويكذبون رسل ربهم عليهم الصلاة والسلام، هلا ساروا في الأرض فنظروا فيها؟ انظروا كيف بدأ الله الخلق؟! وكيف ينشئه؟! وكيف يعيده سبحانه وتعالى؟! وكيف فعل بالسابقين؟! وكيف كان عاقبة الذين من قبلهم ونهايتهم؟! عاقبة الشيء ونهايته هي النتيجة التي من ورائه، انظروا كيف عاقب الله سبحانه قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة قوم مدين، وغيرهم كثيرين ممن خلق الله سبحانه، فمنهم من قص علينا قصصهم، ومنهم من لم يذكرهم لنا، فلو أن الإنسان سار في الأرض فلينظر نظرة اعتبار لا نظرة تفسح وتمشية، بل يعتبرون مما حصل للأقوام السابقين، وما الذي صنعوه، وكيف أنهم علوا في الأرض، ففرعون كان قومه يبجلونه ويرفعون شأنه، ويعبدونه من دون الله سبحانه، والآن إذا ذكرناه قلنا: هذا المجنون الذي كان اسمه فرعون، هذا الإنسان الغبي الذي ظن نفسه إلها مع الله سبحانه وتعالى، هذا الذي خدع الناس وقال: أنا ابن الشمس، هذا المغفل الأحمق.

فقومه الذين كانوا معه لا يجرؤون أن يقولوا ذلك له، بل كان يستخفهم فيطيعونه، فنقول: كانوا خفاف العقول، كانوا يطيعونه وهم يعرفون أنه كذاب، وأنهم كذابون في عبادتهم له، فلو أن الناس تفكروا واعتبروا بهؤلاء الذين خافوا من فرعون فعبدوه من دون الله سبحانه، كيف انتهى أمر فرعون وقومه، وصاروا عبرة للناس، وهلا اعتبرتم بهؤلاء؟! كيف فعل الله عز وجل بهم، ففرعون أغرقه الله سبحانه، وهو الذي قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات:٢٤]، وهو الذي قال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص:٣٨]، وحين أغرقه الله قال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ [يونس:٩٠].

قال تعالى: ((أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة)) أي: نهاية ونتيجة سوء عملهم، ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ [الروم:٩] يعني: كانت أبدانهم قوية، وكانوا طوالا في قامتهم، وكانوا عراضا في أبدانهم، وكانوا ذوي عضلات وقوة، وآثارهم تدل على ذلك، انظر إلى الذين بنوا الأهرام يا ترى كيف كانت أجسامهم؟ وكيف كانت قوتهم؟ لعلهم (أوناش) ولعلهم (روافع)، لقد أعطاهم الله عز وجل قوة بدنية، فرفعوا وبنوا وصارت آثارهم تدل على ما أعطاهم الله سبحانه من قوة ومن علوم، لكن هل انتفعوا بما أعطاهم الله من قوة؟ لا، بل تمردوا وعتوا وعلوا في الأرض واستكبروا، فالله سبحانه وتعالى يقول: ((كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض)) أي: أنهم كانوا يقلبون الأرض بالحرث، فكانوا يزرعون ويبذرون ويحصدون، وكانوا

أقوياء يفعلون ذلك.

قوله: ﴿وعمروها﴾ [الروم:٩] أي: أقاموا فيها أعمارا طويلة، فهم عمروا حتى قيل: لن يزولوا، أين ذهب هؤلاء؟ انتهى أمرهم، حين يتكلم عنهم الإنسان يقول: قوم في الماضي السحيق، هل كانوا يظنون أن يصيروا ماضيا يتندر بهم ويتكلم الناس عنهم؟! لقد أقاموا عمرا طويلا، فظنوا أنهم لن يبيدوا أبدا، أو قوله سبحانه: ((وأثاروا الأرض وعمروها)) أي: عمروها بالسكنى وعمروها بالزراعة والفلاحة، وعمروها بالصناعة، وعمروها بغير ذلك.

قوله: ((أكثر مما عمروها)) يعني: الذين من بعدهم، وأعمار العباد تتناقص، ففي عهد نوح عاش نوح ألف سنة إلا خمسين عاما عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في الدعوة، أما الآن فلا أحد يعيش هذا العمر، فأعمار أمة النبي صلى الله عليه وسلم قصيرة، من الستين إلى السبعين، والقليل من يجوزون ذلك، لكن السابقون عمروا، كان الواحد يعيش مائتين سنة ويظن أن عمره طويل، ولكن ليس بطويل جدا، الآن لا أحد يعيش هذه المدة، والآن يقولون: المعمر الذي يعيش في البلد الفلاني مائة وخمس عشرة سنة، أو عاش مائة وسبع عشرة سنة فنحن نقول: هذا معمر فكيف به إذا عاش ثلاثمائة سنة أو أربعمائة سنة، يكون ماذا؟ السابقون عاشوا هذه السنين وأكثر.

فالله عز وجل يقول: ((وعمروها)) أي: عمروا الأرض وسكنوا فوقها، وامتدت أعمارهم، لكن مهما طال عمر الإنسان فلا بد في النهاية أن يرجع إلى الله عز وجل ليحاسبه سبحانه.

قال: ((وجاءتهم رسلهم بالبينات)) أي: بالآيات البينات من عند الله، هذه الآيات التي تبين نفسها وتفصح عن نفسها، أو جاءتهم معجزات من عند رب العالمين سبحانه، وقراءة الجمهور: ((وجاءتهم رسلهم))، وقراءة أبي عمرو (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بسكون السين فيها.

قوله تعالى: ﴿فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [الروم:٩] كأن هنا فيه شيء مقدر محذوف، والمعنى: أنهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوا ولم يعتبروا ولم يتعظوا فأهلكهم الله، ولم يظلمهم الله سبحانه بإهلاكهم، قال: ((فما كان الله ليظلمهم)) وقال: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف:٤٩].

والله عز وجل قد حرم الظلم على نفسه قال: (إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)، فمستحيل أن الله عز وجل يحكم بغير العدل، فحكمه العدل، وقوله الحق سبحانه، ((فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)) أي: ظلموا أنفسهم بشركهم وبعصيانهم وبتمردهم على ربهم سبحانه، وباستكبارهم على رسل ربهم عليهم الصلاة والسلام، فاستحقوا عقوبة رب العالمين سبحانه التي ذكرها في كتابه.". <تفسير أحمد حطيبة ٣/٢٠٤>

٦-"المسلمون أولى بالأنبياء

نحن نتكلم عن يعقوب عليه السلام وعن يوسف وعن جميع أنبياء الله بمنتهى الفخر والاعتزاز؛ لأنهم على ملتنا وعلى ديننا

الإسلام، ففي الحقيقة نحن أولى بيعقوب وبيوسف من اليهود، فاليهود قد يحلو لهم الاستدلال أحيانا بآيات من القرآن على إثبات أن فلسطين كانت لهم، ويذكرون قصة سليمان وداود وموسى ويعقوب ويوسف عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، بل حتى الأهرامات هذه فهي بلا شك آية؛ لما ظهر فيها من القوة العلمية والعملية بالنسبة للناحية المدنية؛ لأن في هندسة الأهرام من الأسرار العلمية العميقة ما يجدون لها تعليلا، ويكفي التحنيط فهم حتى الآن لم يعرفوا كيف تم تحنيط قدماء المصريين، فقدماء المصريين بلا شك كانوا على درجة عالية جدا فيما يسمى بالحضارة والتقدم العلمي في زمنهم، حتى وصل الأمر إلى أن بعض الناس قالوا: إنه لا يمكن أن يكونوا قد قدروا على ذلك إلا بالاستعانة بالجن، فاليهود الآن يشيعون أن الذي نفذ هذه الأهرامات وصممها هو مهندس يهودي؛ كي يثبتوا لهم حقا في كل مكان، كما تعرفون أسلوب اليهود لعنهم الله.

وكذلك بالنسبة للنصارى فهم يدعون محبة عيسى ويؤلهونه، وعيسى سيلعنهم يوم القيامة، وحينما ينزل عيسى في آخر الزمان سوف يقتلهم ولن يقبل منهم إلا الإسلام، ولا تقبل حينئذ الجزية لا منهم ولا من غيرهم، فهم بين خيارين: إما أن يسلموا، وإما أن يقتلوا، ولذلك قال تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ [النساء:١٥٩] وعيسى ما مات، إنما سيموت بعدما ينزل في آخر الزمان، فنحن أولى بعيسى منهم.". <تفسير القرآن الكريم - المقدم ١٨/٨٨>

٧-"تفسير قوله تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)

أكد الله تعالى المعنى السابق ليلفت أنظار الخلق لترك الوثنية والشرك والكفر فقال سبحانه: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ [العنكبوت:٢٠].

أي: قل يا محمد لهؤلاء: سيروا في الأرض وانظروا إلى الآثار القديمة، هذه الحفريات، هذه القصور، هذه الأهرامات كيف صنعت؟ وكيف قطعت تلك الأحجار العظيمة الطويلة من مسافات بعيدة؟ وكيف قطعت على نفس الشكل؟ وكيف وضع بعضها على بعض؟ قصور بابل كيف بنيت؟ وكيف بقيت خرائبها؟ كل هذا صنعته عقول البشرية، والله هو الذي خلقها. فلماذا الطغيان؟ ولماذا يظن إنسان هذا القرن أنه أعلم الناس وأقوى الناس وأعرف الناس؟ يجب على الإنسان أن يعتبر وأن يفكر، ولذلك اعتبر الفكر نوع من العبادات.

فإذا تفكر: من خلقني؟ كيف صنعت؟ من خلق هذه السموات؟ من خلق هذه الآثار؟ تكون النتيجة إن كان سليم العقل وكان مؤمنا هو أنه سيقول بغير شعور: الله، ولن ينكر ذلك إلا من لا عقل له، لأنه لا دليل على الكفر لا من منطق عقل ولا من برهان نقل، لا من القديم ولا من الحديث.

قال تعالى: ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ [العنكبوت:٢٠].

الذي أنشأ الخلق وابتدأه لأول مرة قادر على أن يعيده مرة ثانية، فالذي قدر على الأول يقدر على الثاني، والذي قدر على أن يوجدنا من العدم وعلى غير مثال سابق ألا يقدر على أن يوجدنا مرة ثانية؟ إن القرآن ليس كبقية الكتب التي يجب الاستسلام لها دون دليل ولا عقل ولا فكر فيما يزعمون، ومن قال ذلك فقد كذب على الله، فكتاب الله هو الإسلام، والله يخاطبنا في كتابه ونبيه عليه الصلاة والسلام في سنته بمنطق العقل، ولذلك تجد في القرآن: (أفلا يعقلون)، (أفلا

يذكرون)، (أفلا يبصرون)، ويذكر آيات في خلق الأرض والسماء: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار﴾ [البقرة:١٦٤] إلى آخرها، يقول النبي بعد تلاوة مثل هذه الآيات: (ويل لمن قرأها ولم يتدبرها)، يدعو بالويل على من يقرأ ذلك بغير تدبر، وبغير تفهم وتعقل.

فديننا ليس كدين الرهبان الدجاجلة الذين أضلهم الله، والله إذا أراد ضلال إنسان كان ذلك لفساد ما في نفسه ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا﴾ [الأنفال:٧٠].

قال تعالى: ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ [العنكبوت:٢٠] أي: النشأة الثانية يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ [العنكبوت:٢٠].

أي: ليس شيء إلا والله قادر عليه، يفعل ما يشاء، ويقدر على ما يشاء، خلق هذه السموات والأرض، وخلق ما في الكون من عجائب وغرائب، ومن أعجب ذلك خلق الإنسان، وأعجب من الإنسان هذه الحشرة الصغيرة التي لا تكاد ترى إلا بالمكبر خلقت بلسان وأمعاء وسمع، ورزقها وزوجها وجعل لها جنسا، وجعل لها إحساسا، فمن يستطيع أن يصنع ذلك؟ وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد ومع ذلك فالإنسان ينكر، وكفار العصر أكثر من كفار الماضي، فالكفار الماضون لم يكونوا ينكرون وجود الله، إنما يدعون له شركاء، أما كفرة اليوم كالشيوعية والاشتراكية والوجودية فتنكر وجود الله.

وبهذا الفكر عاشت بعض دول العالم في فساد وضياع، وحاولت أن تدخل هذا الضياع إلى جامعات المسلمين ومدارسهم، حتى مسخت بعض عقول المسلمين فأصبحوا أشد عداء للإسلام وهم يحملون اسم المسلمين، ويصنعون بالإسلام والمسلمين ما لا يفعله أعداؤه من اليهود والنصارى وغيرهم.". <تفسير المنتصر الكتاني ٤/١٦٢>

٨-"تفسير قوله تعالى: (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)

قال تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [الروم:٩].

يكشف الله جل جلاله عن هؤلاء الذين يعاصروننا ممن لم يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، والسورة تسمى سورة الروم.

والقضية متعلقة بالروم وهم سكان أوروبا وسكان أمريكا بعد ذلك، فهؤلاء الروم النصارى وصفهم الله بأنهم لا يعلمون، وإذا علموا فعلمهم سخيف تافه ليس إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، وأما الباطن من الدنيا فلا يعلمونه، فهم لا يعلمون أسرار هذا الكون سماء وأرضا، بشرا وخلقا، طيرا وجنا، وحيوانات ودواب، وهم وإن كانوا يرون ذلك ويمرون عليه، فإن مرورهم مرور الغافلين.

أما من أين أتينا؟ ولماذا خلقنا؟ وإلى أين نسير بعد الموت؟ فهذا مما غفلوا ويغفلون عنه، فهم لا يعلمون ظاهره ولا باطنه، ولا يعلمون اسمه ولا حقيقته.

ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الذين لا يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، فقال: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ [الروم:٩] أي: لماذا لم يسيروا بأنفسهم سائحين ومنتقلين ومتعلمين، ومطلعين عن أحوال تلك الأمم

السابقة والشعوب البائدة، وأنها حين كفرت بالله وكذبت رسله ولم تؤمن بما أنزل الله من كتب من السماء دمروا ولم تبق إلا خرائبهم ودورهم التي لم تعمر إلا قليلا، وأهلكهم الله نتيجة كفرهم، ونتيجة إبائهم الإيمان والإسلام والعلم بما يجب أن يكون عليه الإنسان الذي خلقه الله في الأرض، وأن الله ما خلقه إلا لعبادته، ولا تكون العبادة إلا بالعلم.

وما العلم إلا علوم الآخرة وعلوم الدنيا التي تكون موصلة للآخرة نعلم منها أسرارها وبواطنها، كما أن العلوم الأخرى قد تكون علوما موصلة للأخرى إذا قصد بها الله والدار الآخرة، وإذا علم منها ومن حقيقتها ومن باطنها أنها من الله، وأنها لخدمة عباد الله، فإن تكلمنا عن الطب مثلا وقلنا: إن الله الخالق لهذه الجوارح وأن الطبيب ليس بيده خلق قطعة قد زالت، ولكن بيده الترقيع، فهذا لا بأس به، وقل نفس ذلك عن المهندس: إنه لا يعلم إلا خطوط البناء والعلو وما يحتاج إلى عمق الأرض، وقل مثل ذلك عن الصيادلة، وأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (ما خلق الله داء وإلا وخلق له دواء إلا السام). ففي كل عشبة من هذه الأعشاب، وفي كل نبتة من هذه النباتات التي خلقها الله بقدرته دواء من أدواء أمراض الناس، علمها من علمها وجهلها من جهلها، ثم الله ينذر هؤلاء الكفرة ويأمرهم أن يأخذوا الحقائق وما يمكن أن يستفيدوا منه، وذلك بالضرب في الأرض، فينظروا عواقب من مضى من الأمم والخلق كيف كانت نتائج كفرهم، كانت خرابا ودمارا، ولم تبق إلا خرائبهم لتدل عليهم، وإلا البوم والغراب ينعق في خرائبهم، وهم بين يدي الله يحاسبون على الشاذة والفاذة بسبب خلافهم وكفرهم.

والاستفهام في قوله: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ [الروم:٩] جوابه المقدر: هو أنهم كانوا كفرة، فكانت العاقبة دمارهم وخرابهم واندثارهم وبوارهم.

ثم أخبر الله عن أولئك الماضين فقال: ﴿كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها﴾ [الروم:٩]، أي: كانوا أكثر قوة في أبدانهم، وأطول أعمارا في سنيهم، وأكثر ذكاء في أعمالهم وصنائعهم، وأكثر شدة في بأسهم وسلطانهم، وتغلبوا على الشعوب من أمثالهم، واستطاعوا التصرف في الأرض والحضارات، وأثاروا الأرض وعمروها وزرعوها وحرثوها واستنبتوها، وغرسوا فيها الأشجار والبساتين والرياض، وشقوا فيها الأنهر والغدران، وصنعوا على البحار الموانئ التي يستطيعون الوقوف بالبواخر والبوارج والسفن عليها.

فقوله: ﴿وأثاروا الأرض﴾ [الروم:٩] أي: استخرجوا معادنها وخيراتها وذهبها وفضتها، وما فيها من ثروات وكنوز، كل ذلك عملوه بقوتهم وبذكائهم، فكان لهم من القصور ما لا نزال نرى آثاره إلى اليوم، فهذه أهرامات مصر شاهدة على ذلك، وقد مضى عليها الآلاف من السنين، والصخرة الواحدة من هذه الأهرامات تزن الآلاف من الأطنان، فكيف قطعت من جبال سيناء وجبال الطور؟ وكيف قطعت على هذا الشكل؟ وعلى أي الآلات حملت؟ وكيف رفعت بعد ذلك على هذه البنية؟!!

وكذلك قل عن آثار بابل في أرض العراق، وقد أراد هارون الرشيد يوما أن يبني قصورا في مكانها، فقال له وزراؤه من البرامكة: يا أمير المؤمنين! هي خرائب لا تخرب ولا يؤثر فيها الحديد والفولاذ، قد تهدمها سنوات ولم تهدم، ويصعب علينا أن يقال: بنى الأولون ما عجزنا عن تخريبه، والخراب أيسر من البناء.

فلم يلتفت الرشيد إلى كلامهم وأمر بهدم ذلك، وبعد سنتين من الهدم والتخريب لم يكادوا يخربون إلا جزءا لا يتجاوز الأمتار من الجدران، فاضطر لأن يترك ذلك، وهو إلى الآن لا يزال كذلك، أما كيف بنوه، ومن أي مادة صنعوه؟ فلا نعلم حقيقة

ذلك، فتلك من الآثار التي يشير إليها القرآن الكريم.
وينبغي أن يعلم هؤلاء المعجبون بأنفسهم وبقوتهم وبحضاراتهم أن من مضى من الأمم كانوا أكثر منهم وأشد قوة، ومع ذلك قد بادوا وذهبوا واضمحلوا.
وقوله: ﴿وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها﴾ [الروم:٩] أي: زرعوها وغرسوها ونبشوا عن المعادن واستفادوا منها، وبنوا على الصخور الآثار والقصور الرفيعة والمدن والقرى.
فهم صنعوا كل ذلك مما جعل المعاصرين يعجبون من ذلك ويعجزون أن يصنعوا مثل ذلك أو ما يقاربه.
وقوله: ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ [الروم:٩] فهؤلاء مع شدتهم وقوتهم وحضارتهم ومدائنهم وسلطانهم عندما جاءتهم الرسل بالبينات وبالدلائل الواضحات على صدق رسالتهم غفلوا وتغافلوا أو كذبوا، فكانوا لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، وإنما جاءهم أنبياؤهم المرسلون إليهم ليعلموهم وليرشدوهم ويعطوهم من بواطن الدنيا كما علموا من ظواهرها، ومن علوم الآخرة التي جهلوها، لكنهم أبوا إلا الجحود والكفران والمخالفة والعصيان.
وإذا بالله الكريم يعاقبهم في الدنيا والآخرة، وكان عذاب الآخرة أشد وأنكى، أما عذاب الدنيا فقد ظهر جليا بما تركوا من آثار وخرائب تدل على ما أصابهم من غرق وصعق وقلب الأرض عاليها سافلها، وصيحات وزلازل وصواعق من الأرض والسماء لا تزال آثارها في مختلف بقاع الأرض.
قال تعالى: ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [الروم:٩]، أي: لا يليق بعدل الله وجلاله أن يظلم أحدا، قال تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت:٤٦].
وفي الحديث القدسي: (يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)، وهؤلاء ظلموا أنفسهم بكفرهم وبكونهم لم يصدقوا أنبياءهم وما جاءوا به من رسالات وكتب، فكانوا ظالمين لأنفسهم بما أصابها من لعنة وخراب ودمار.". <تفسير المنتصر الكتاني ١٧٣/٢>

٩-"تفسير قوله تعالى: (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)
قال تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾ [فاطر:٤٤].
يوجه الله هؤلاء الجاحدين المعاندين إلى الضرب في الأرض والسير فيها بالتنقل بين البراري والجبال، بين الأقاليم والقارات لينظروا إلى آثار الله في الأرض، من الإحسان للمحسنين، ومن العقوبة للمسيئين الكافرين، ولهذا فإن هذه الحفريات التي تكون بحثا عن الآثار القديمة تزيد المؤمن إيمانا ويقينا وتعلقا بكتاب ربه وبطاعة نبيه؛ لأن كل ما قال ربنا في كتابه وبينه نبينا صلى الله عليه وسلم في حكمته وسنته موجود ظاهر يراه من ضرب في الأرض رأي العين، منذ قريب جاء أحد من بعض أقطار أوروبا ممن يمت إلي بصلة القربى فأخبر أنه وجد هناك ما أخبر الله به من حجارة، كانوا أناسي فمسخوا، حين جاءتهم الصرعة فظلوا على حالهم فبعضهم كان منحنيا، وبعضهم كان ممتدا، وبعضهم كان يستقي، وبعضهم كان يخدم، وبعضهم يحاول الركوب، وبعضهم كان يجري، فجاءتهم الصعقة فبقي كل واحد منهم على تلك الحالة، ومع الأيام ارتطمت عليهم

جبال بزلزال من الأرض فجمدوا وأصبحوا حجارة، فلما نبشت الآثار عنهم وجدوا أنهم قد تجمدوا فأصبحوا حجارة فنقلوهم إلى متاحفهم، وقد أخبرنا الله تعالى عن قوم ثمود وقوم صالح وما حل بهم، ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يسرع المشي عندما يمر في هذه الأرض، كما حدث في غزوة تبوك وقد مر جيشه على أرض أولئك وسقوا من هذه المياه فبلغ ذلك النبي عليه الصلاة والسلام فوجدهم قد خبزوا به، فأمرهم أن يرموا ذلك الخبز أو يطرحوه للدواب وقال: (من مر منكم على مثل هذه الأرض –أرض الهالكين أرض المشركين أرض المغضوب عليهم– فليتباكى، وليفر حتى لا يصيبه ما أصابهم).

وكان من الله التنبيه على الاعتبار بحال أولئك فقال: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ [فاطر:٤٤]، أي: أولم يرحلوا، أولم يسيحوا، والاستفهام هنا استفهام تحريض، أي: فليسيحوا وليضربوا في الأرض لينظروا رأي العين آثار من مضى قبلهم، وآثار من هلك قبلهم، مع أن أولئك كانوا أشد قوة من العرب، ومن عجم اليوم من سكان الأرض على كثرة دعواهم في أنهم أكثر سلطانا، وأكثر حضارة وأكثر قوة، إلا أن ما يقولونه ما هو إلا كذب وإضلال واغترار بأنفسهم، ومن مر منا فرأى أهرامات مصر وموميات مصر، ورأى خرائب أرض بابل في العراق، لا شك أن الإنسان يقف مذهولا أمام هذه الحجارة العملاقة التي بنيت بها الأهرامات، إذ يصل حجم الواحدة منها ما يمكن به أن يملأ غرفتين أو ثلاث، وكيف أنها قطعت من جبال الطور، فتحدث عنده التساؤلات: كيف اقتطعت على شكل واحد؟ ثم كيف جرت؟ وكيف حملت إلى موضع البناء؟ ما هي هذه القوة التي صنعت ذلك؟ لابد من وجود آلات لفعل ذلك، ولابد من أدوات لكنها إلى الآن ليست عند أحد.

ومن رأى موميات فرعون والفراعنة الذين معه، والأموات قبله وبعده وقد مضى عليهم آلاف السنين وهم بين العواصف والأمطار والشموس، وبين كر الليل والنهار، ولا تزال كما هي جلدة على عظم، لم تصبح رمادا، ولم تؤثر فيها عواصف ولا أمطار ولا شموس، من يرى هذه الحال لا شك أنه سيتساءل: ما هي المواد التي كانوا يصنعونها لتساعد في بقائهم هذه المدة من قرون، وكان زعماء الكفر في الفاتيكان يحتفظون بباواتهم في نواويس وصناديق من زجاج، وقد رأيت ذلك كما رأيت الأهرام وأبنية بابل، رأيت هذه النواويس في الفاتيكان تجد هذا البابا الضال ممددا بلباسه وبشكله وبشعراته في لحيته، يقفل عليه في قطعة واحدة من الزجاج ويبقى على حاله قرنان أو ثلاثة أو أكثر، ولكن أحيانا ينكسر هذا الزجاج وإذا بهذه الجثة تصبح رمادا بمجرد ما يدخلها الهواء، فهم عاجزون عن أن يفعلوا ما فعله الأقدمون في مصر وأرض بابل.

حكم بابل هارون الرشيد فساح مرة في ضواحي بغداد فوقف على هذه الخرائب فقال للبرامكة من وزرائه: أريد قصرا على هذه الخرائب، فقال له جعفر ويحيى: يا أمير المؤمنين! لو حاولنا هدم المتبقي من هذه الخرائب لما استطعنا ذلك في سنين، فضحك منه هارون وقال: خربها وسوها بالأرض وابن قصرا فيها، فامتثل، وبقي سنتين أو ثلاث وهو يضرب في هذه الخرائب ما استطاع أن يزيل منها ويخرب أكثر من ذراع أو ذراعين، فيا ترى ما هي هذه المواد التي أدخلوها في هذه الرمال وهذه الأتربة وهذه الحجارة حتى أصبح القصر قطعة واحدة، فلو كان حجارة لانفجر، بعد ذلك يئس هارون واعترف بأنه لا يستطيع، وحاولوا بكل قريب وبعيد وبكل أنواع المواد أن يصنعوا مثل ذلك فعجزوا وعجز من جاء بعدهم إلى عصرنا، فذلك قول الله: ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ [فاطر:٤٤]، فإنهم ليسوا أكثر قوة من العرب فقط، بل ومن العجم ومن أوربا وأمريكا وغيرها من البلاد أيضا.

فالله حين أمرنا بقوله: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة﴾ [فاطر:٤٤]، ذهبنا ونظرنا ونظر معاصرونا، ومن قبلنا فرجع الكل ذاهلا متعجبا عاجزا عن أن يصنع مثل ذلك، يقول الله لهؤلاء الكفرة المعاصرين للنبي عليه الصلاة والسلام ولمن سيأتي بعدهم: انظروا إلى أولئك الأقوياء الذين نحتوا الجبال قصورا، وكان قد منح الله الإنسان منهم طولا وعرضا، فآدم كما وصفه النبي عليه الصلاة والسلام (في طول أطول نخلة سحول)، عرضه أمتار وطوله أمتار، وكانوا يعيشون الألف عام أو أكثر أو أقل، وتأكيد ذلك من كتاب الله عن نوح إذ لبث في قومه كما أخبر الله عنه: ﴿ألف سنة إلا خمسين عاما﴾ [العنكبوت:١٤]، ذلك مع القوة في الأيدي والصحة، وكانوا يتزوجون المئات، وقصة سليمان التي في الصحاح: أنه طاف ليلة على مائة جارية وقال: لآتين منهن بمائة فارس، ولم يقل إن شاء الله، فلم تأته المائة كلها، ولم تأت بأكثر من مثل وليد، فكان ذلك من الله تأديبا لسليمان حيث عامله بنقيض القصد، وقال لنبينا ولنا ضمنا: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا * إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف:٢٣ - ٢٤].

فالإنسان في كل شيء يريد أن يفعله بعد الزمن الذي هو فيه لا بد أن يقول: إن شاء الله: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان:٣٠].

فالمشيئة بيده والخلق بيده، والأمر بيده، ولسنا إلا آلة بيده في الرقعة الإلهية يرفعنا كما شاء ويضعنا كما شاء.

والله حين يحدثنا بأخبار من مضى أو حين يوجهنا إلى النظر في سيرهم كقوله: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة﴾ [فاطر:٤٤].

يبين كيف صنع بهم مع ما كانوا عليه، وأنه أهلكهم وأغرقهم وزلزل بهم الأرض ورجمهم بحجارة من السماء فذهبوا كأمس الدابر وكأن لم يكونوا، أيعجزه هؤلاء الضعاف الذين لا يكادون يستطيعون دفع ضر عن أنفسهم، ولا جلب خير لهم إلا إذا أراد الله ذلك، قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾ [فاطر:٤٤].

فلا يعجز الله شيء، كيف وهو القادر على كل شيء، الذي قدر وخلق هذه السماوات العلى، وقدر فخلق هذه الأراضين السفلى، وخلق هذا الإنسان العجيب الغريب الذي ينظر بعينين، ويسمع بأذنين، ويبطش بيدين ويمشي على رجلين، ويفكر بذهن وقلب، من خلقه؟ من نفخ فيه من روحه؟ من قدر له قوته؟ من أحياه ومن ثم يميته؟ لا جواب عن كل ذلك إلا الله، فالله وحده القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء سبحانه، قال عن نفسه: ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء﴾ [فاطر:٤٤].

إذا دخلت (من) على النكرة دلت على العموم، أي: ليس شيء من خلق الله في السماوات السبع وما فوقها وما تحتها، وفي الأرضين السبع وما عليها وما تحتها يعجز الله، فهو القادر على كل شيء، وكما أوجد هذا الكون بما فيه فإنه قادر على إفنائه والقضاء عليه، ﴿إنه كان عليما قديرا﴾ [فاطر:٤٤].

كان عليما بخلقه وما يصلحهم، وما يضرهم وما ينفعهم، فهو يعلم ما هو صلاحهم في مستقبل أيامهم، وما هو ضررهم في الحال وفي الاستقبال، غفور لمن استغفره وآمن به، وقال: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء:٨٢].".

<تفسير المنتصر الكتاني ٦/٢٣٦>

١٠-"تفسير قوله تعالى: (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم)

قال الله تعالى: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ [غافر:٢١].

يقول الله لهؤلاء وهم أهل بداوى وحقارة، وهم أضعف سلطانا وجندا وعلما، وهم أقل الأمم إذ ذاك من حيث الحول والحكم، ومن حيث الملك والسلطان، هؤلاء الذين تعاظموا على ربهم، وتكبروا على قول: لا إله إلا الله، فعلام اعتمدوا؟ وأين قوتهم؟ أين سلطانهم؟ أين من ينجيهم من عذاب الله؟ قال تعالى: ((أو لم يسيروا في الأرض)) وهذا استفهام تقريري توبيخي تقريعي، يقول الله لهؤلاء: ألم ينتقلوا في الأرض ويضربوا في أركانها: في مشارقها ومغاربها، وينظروا إلى الذين كانوا قبلهم من الشعوب والأمم؟ كيف كان مآلهم عندما كفروا بالله وأشركوا به غيره؟ ولقد كانوا أشد قوة وملكا وجندا، وأغنى مالا، وأوسع جاها ورقعة، وكانوا كذلك أكثر آثارا في الأرض، وتركوا من الآثار وأنواع الحضارات والبنايات والمدائن والقرى والزراعة وما إلى ذلك الشيء العظيم، هؤلاء على كونهم كانوا أشد قوة وأكثر آثارا في الأرض -جمع أثر، وهو ما تركوه من آثارهم، ومن علامة حضارتهم، ومن شدة قوتهم وسلطانهم- كيف كان مآلهم وقد كفروا بالله؟ لقد أخذهم الله إليه أخذ عزيز مقتدر، ولم يجدوا واقيا من الله، ولا مدافعا عنهم، فالله الخالق للقوي والضعيف، وهو القادر على الكل جل جلاله، ولن يجد المخالف ولا المشرك من يدفع عنه ويقيه من عذاب الله، هيهات هيهات! فيقول الله للمشركين الذين عاصروا نبي الله عليه الصلاة والسلام وأبوا الإيمان والإسلام والإيقان: كيف تكفرون وأنتم تتجولون في الأرض وترون آثار من سبقوكم؟ حيث إنهم على قوتهم في الأرض عندما كفروا بربهم وبأنبيائهم أخذهم الله إليه أخذ عزيز مقتدر، وهذا الذي يقوله الله جل جلاله قد تكرر في غير ما آية، وفي غير ما مناسبة، وقاله الله منذ ألف وأربعمائة عام، وأنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم، وسمعه من عاصروه من المهاجرين والأنصار والبشر مؤمنهم وكافرهم.

ولا يزال هذا واقعا لنا ونخاطب به نحن، فنحن نرى آثار الأولين في أهرامات مصر، وفي موميات مصر، وفي قصور بابل في العراق، وفي الآثار والحفريات التي نراها هنا في بلدنا، ونراها في أرض الشام، ونراها في أرض المغرب، ونراها في مختلف قارات الأرض، فهذه الأهرامات الصخرة الواحدة فيها تكاد تسع ركنا من هذه الأركان، فقطعت وجرت ثم رفعت واحدة على أخرى بشكل ذكر وأنثى، من الذي اقتطعها من جبال سيناء؟ كيف قطعت؟ بأي آلة؟ ومن الذي نجرها على هذا الشكل؟ ثم كيف جرت؟ ومن حملها؟ وكيف وصلوا بها من سيناء إلى أرض القاهرة؟ وكيف حملت بعد ذلك ووضعت صخرة على صخرة إلى الآن؟ لا يتذكر الناس في ذلك رغم قولهم إنهم وصلوا للحضارة، ووصلوا في الاختراعات والاكتشافات -في زعمهم- ما لم يصل إليه أحد من الشعوب السابقة، وهذا كذب وهراء، وهذا ادعاء لا دليل عليه، وقد مضى على الأهرامات آلاف من السنين وهي هي كأنها نبتت شجرة في مكانها، ما هي الآلة التي قطعتها من الجبال؟ ما هي الآلة التي صنعتها على الشكل الذي يريدون؟ هل حملها الإنسان وهو أعجز من ذلك وأضعف؟ أم الدواب وهي أعجز من ذلك وأضعف؟ إذا: فهناك آلات كانت تتجاوز الآلات المعروفة اليوم، وقل كذلك على الموميات.

وهذه الجثث لفراعنتهم وقد مضى عليها الآلاف من السنين، ومنها فرعون موسى الذي سنتكلم عنه كذلك، لا تزال جثته قد حفظها الله لمن جاء خلفه؛ ليكون عبرة للمعتبرين، وذكرى للمتذكرين، هذا الذي ادعى الألوهية يوما نجد جثته لا تزال

كما هي وكأنها حجر متصل أو جلد متصل، رغم العواصف والأمطار ورغم الطقوس فهي لا تزال هي هي! فلم تتفتت ولم تنحل ولم تنقص، فما هي المواد التي أدخلوها فيها لإبقائها زمنا؟ أكثر ما يصنعون اليوم لا يبقى مائة سنة أو مائتين، ويبقونه في قوالب من زجاج، وصناديق من بلور، ولكن لا تكاد هذه الصناديق تنكسر لسبب ما إلا وتهوي تلك الجثة وكأنها رماد، وكأنها لم تكن يوما.

وقصور بابل لا تزال آثارها في العراق في بغداد إلى اليوم، وقد حاول هارون الرشيد يوما وقد اقترح على وزرائه من البرامكة أن يبنوا له قصرا في مكانها، وأن يهدموا تلك الأطلال فقالوا له: يا أمير المؤمنين! لو مضت سنوات على أن نهدم ونزيل هذا البناء لعجزنا، فسخر منهم وأمرهم، فأخذوا يهدمون، فمضت سنة وسنتان وثلاث ولم يزل منه إلا ما يزيد على ذراع أو ذراعين، وكأن ذلك قطعة من فولاذ واحد، فلما رأى ذلك وتأكد تركه وبنى في جهات، فما هي المواد التي دخلت على هذا التراب وعلى هذه الرمال حتى أصبحت قطعة واحدة كأنها الفولاذ الحديدي؟! وحتى الفولاذ والحديد فمياه البحار ورياح البحار تؤثر فيه حتى يتفكك، وهذا لم يتفكك، فنمر على آثار في البحر الميت في أرض الأردن، ونمر على آثار في تبوك، وفي ثمود، والقبائل والأمم الماضية نرى آثارها بما لم يستطع أحد أن يعمل مثل ذلك في يومنا، ونرى قصورا منحوتة في المغرب في الجبال وفي كهوف الأرض على غاية ما يكون من الزهاء ومن حسن الهندسة مما لا يصنع اليوم مثله، ما هي هذه الحضارة التي صنعت ذلك؟ وكيف كان أولئك؟ والقرآن مليء بهذه المعاني يقول للإنسان: لا تغتر بنفسك وتظن أنه لم يمض نظير في التاريخ السحيق، بل قد مضى الكثير والكثير من الأمم القوية ذات الحضارة ممن كانوا أقوى أبدانا وسلطانا، وأكثر جندا، مع ما كانوا يعيشونه من القرون المائة والمائتين والخمسمائة سنة والألف سنة، وقد حدثنا الله جل جلاله أن نوحا لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، فكم كان سنه يوم أخذ يدعوهم إلى الله؟ والتوراة والإنجيل مليئة كذلك بأنبياء بني إسرائيل، وأنهم عاشوا مئات من السنين الثلاثمائة والأربعمائة، يقول الله لأولئك وقد ذهبوا إليه ليحكم بينهم بما شاء، ويقال هذا لنا ونحن نسمع وننصت ونتدارس قول الله وكلام الله، وسيعرفه من يأتي بعدنا وإلى يوم القيامة، وكل يوم نجد في كتاب الله جديدا، ونجد معنى من المعاني لم يكن يخطر ببالنا ولا في بال من سبقنا.

يقول تعالى لهؤلاء المشركين الذين كفروا بالله؛ كفروا به واحدا، وكفروا به قادرا، وكفروا به خالقا، وكفروا بأنبيائه المرسلة إليهم، يقول لهم: علام اعتمدتم في طغيانكم وكبريائكم؟ قوله تعالى: ((أو لم يسيروا في الأرض)) أي: أو لم يتنقلوا ويضربوا في الأرض متنقلين وسائحين وطالبي علم وتجارة؟ قوله تعالى: ((أو لم يسيروا في الأرض فينظروا)) أي: نظر العين والبصيرة.

قوله تعالى: ((فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم)) أي: كيف كان المآل والنهاية للأمم التي سبقتهم؟ لقد كفرت كفرهم، وأشركت شركهم، وكيف أنهم دمروا! وكيف أنهم أصبحوا في الأمس الدابر! يزيد الله فيقول: ((كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض)) أي: كانت تلك الأمم أشد من الأمم المعاصرة على شركهم وكفرهم، فتركوا من الآثار والقصور والأبنية والمدائن والمخترعات، وكل ما نصنعه اليوم من أهم شيء في الوجود كان من مخترعاتهم؛ فالكتابة مثلا من اخترعها لكل لغات الأرض: هل هو نحن أم آباؤنا وأجدادنا؟ وكان هذا في العصور السحيقة، فهم الذين اخترعوا هذه الأحرف؛ لتبقى من بعد علامة على فهم المعاني التي مضت عليها قرون من كتاب الله، وكلام أنبيائه، وحكم حكمائه، وعلم العلماء. واختراع الحرف شيء يعتبر من أعظم ما وجد في الأرض من حضارة، وكيف استطعنا أن نكتب كتاب الله، وحديث رسول

الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فمن اخترع الحرف؟ والورق الذي نكتب عليه كذلك وجد قديما، وكتب به قديما، فمن الذي اخترعه؟ ومن الذي اكتشفه؟ وهكذا قل: هذه الثياب التي نلبسها: من حرير وقطن وصوف من الذي اخترع آلاتها ومصانعها إلى أن لبسناها ثيابا جميلة تناسب جسد كل إنسان من ثياب خشنة إلى ثياب حريرية، إلى ثياب قطنية؟! كل هذا كان قبلنا في الوجود نحن وآباؤنا، ومن قبل آلاف السنين قد كان هذا موجودا، وهؤلاء الذين اخترعوا هذه الحضارات: من مدائن وقرى ومن حروف كتابة وأوراق ولباس قد سبقنا في ذلك المتحضرين، فنعيش بين الناس لا كما تعيش البهائم، وإن كان لا يزال الكثير فينا مع هذا يعيش كالبهيمة: لا قراءة ولا دراسة، ولا إيمان ولا صلاح ولا ستر، ولا شيء يعود على نفسه وعلى المسلمين بخير في الأرض.

قال تعالى: ((أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم)).

هؤلاء الذين كانوا أعظم من مشركي الجزيرة وفارس والروم، كانوا أكثر منهم سلطانا وقوة وحضارة، ومع ذلك حين كفروا بالله، وأشركوا في دين الله أخذهم الله إليه أخذ عزيز مقتدر، ودمرهم، وأهلكهم، وأبادهم، وكأنهم لم يكونوا يوما، وكأنهم لم يشربوا ماء ولم يأكلوا طعاما، ولم يكن ذلك يكلف الله تعالى إلا قول: (كن)، فكيف بهؤلاء الضعاف الذين هم أقل سلطانا، وأقل حضارة، وأضعف جندا، وأضعف جوارح؛ كيف خطر ببالهم أن يتألهوا ويتعاظموا على الله، ويتيهوا على ضعفهم؟ هؤلاء إذا لم يفقدوا العقل فقط، ولكنهم فقدوا مع العقول دينهم.

قال تعالى: ((وما كان لهم من الله من واق)) أي: أخذهم الله بذنوبهم ولم يجدوا من يقيهم عذابه، ولا من يقيهم دمار ولا هلاك، ولا من يحفظهم ويدافع عنهم ويصونهم ويحميهم هيهات هيهات! فإنه يجير ولا يجار عليه، ويقدر ولا يقدر عليه، ويفعل ما يشاء وهو القادر على كل شيء جل جلاله وعز مقامه وعلا شأنه جل جلاله.". <تفسير المنتصر الكتاني ٤/٢٨٥>

"(١٢) - ويذكر الله تعالى هؤلاء المكذبين من قريش، بأقوام كانت قبلهم، وكانت أشد منهم بأسا وبطشا وقوة، فطغوا وبغوا، فجاءهم رسل الله تعالى، فكذبوهم، فدمر الله عليهم، ولم يبق لهم في أرضهم باقية.

ويذكر الله تعالى من هذه الأقوام المكذبة: قوم نوح الذين أغرقهم بالطوفان، وقوم عاد الذين أهلكهم بريح صرصر عاتية، وفرعون ملك مصر وجنده، وقد أغرقهم الله في البحر في صبيحة واحدة. وأشار تعالى إلى ثبات ملك فرعون واستقراره فشبهه ببيت من الشعر ثبتت أوتاده في الأرض.

(وقيل إن معنى - ذو الأوتاد - هو أنه صاحب الأهرامات والأبنية الفخمة المترسخة في الأرض كالأوتاد) .

(وقيل أيضا إن معناها هو أن فرعون سمي بذي الأوتاد لأنه كان إذا أراد قتل خصومه فإنه كان يضرب لهم في الأرض أوتادا يشد إليها أطرافهم، ثم يقتلهم بالنبال) .." <أيسر التفاسير لأسعد حومد أسعد حومد ص/٣٨٦١>

١-"ودع الذكرى لأيام الصبا ... فالأيام الصبا نجم أفل

إن أحلى عيشة قضيتها ... ذهبت لذاتها والاثم حل

واترك العادة لا تحفل بها ... تمس في عز وترفع وتجل

وإله عن آلة لهو أطربت ... وعن الأمرد مرتج الكفل

إن تبدى تنكسف شمس الضحى ... وإذا ما ماس يزرى بالأسل

فاق إذ قسناه بالبدر سنا ... وعدلناه برمح فاعتدل

وافتكر في منتهى حسن الذي ... أنت تهواه تجد أمرا جلل

واهجر الخمرة إن كنت فتى ... كيف يسعى في جنون من عقل

واتق الله فتقوى الله ما ... جاورت قلب امرئ إلا وصل

ليس من يقطع طرفا بطلا ... إنما من يتق الله البطل

صدق الشرع ولا تركن إلى ... رجل يرصد في الليل زحل

حارت الأفكار في قدرة من ... قد هدانا سبلنا عز وجل

كتب الموت على الخلق فكم ... فل من جيش وأفنى من دول

أين نمرود وكنعان ومن ... ملك الأرض وولى وعزل

أين من سادوا وشادوا وبنوا ... هلك الكل فلم تغن القلل

أين عاد أين فرعون ومن ... رفع الأهرام من يسمع يخل

أين أرباب الحجى أهل التقى ... أين أهل العلم والقوم الول

سيعيد الله كلا منهم ... وسيجزي فاعلا ما قد فعل

يا بني اسمع وصايا جمعت ... حكما خصت بها خير الملل

اطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخير على أهل الكسل

واحتفل للفقه في الدين ولا ... تشتغل عنه بمال وخول

واهجر النوم وحصله فمن ... يعرف المطلوب يحقر ما بذل

لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل

في ازدياد العلم ارغام العدا ... وجمال العلم اصلاح العمل

جمل النطق بالنحو فمن ... يحرم الإعراب في النطق اختبل

انظم الشعر ولازم مذهبي ... فاطرح الرفد في الدنيا أقل". <نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ص/١٥٥>

٢-"إلا أنه لين القشر، واتخذت من بيضها عجة فلما جمد، صار الوأنا ما بين أخضر وأحمر وأصفر شبيها بالوان اللحم، ومن ذلك السرلينس، وهو صدف مستدير إلى الطول أكبر من الظفر ينشق عن رطوبة مخاطية بيضاء ذات نكتة

سوداء يعافها الناظر وفيه ملوحة عذبة زعموا ويباع بالكيل.

الفصل الرابع في

اختصاص ما شوهد من آثارها القديمة

أما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشيء لم أر ولم أسمع بمثله في مثلها فأقتصر على أعجب ما شاهدته.

فمن ذلك الأهرام، وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها، وهي كثيرة العدد جدا وكلها بين الجيزة وعلى سمت مصر القديمة وتمتد في نحو مسافة يومين، وفي بوصير منها شيء كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس، قد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت في زمن صلاح الدين، يوسف بن أيوب، على يدي قراقوش وكان خصيا روميا سامي الهمة فكان يتولى عمائر مصر، وهو الذي بنى السور من الحجارة محيطا بالفسطاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التي على المقطم، وهو أيضا الذي بنى القلعة وأنبط فيها البيرين الموجودتين اليوم، وهما أيضا من العجائب وينزل إليهما بدرج نحو ثلثمائة درجة، وأخذ حجارة هذه الأهرام الصغار وبنى بها القناطر الموجودة اليوم بالجيزة، وهذه القناطر من الأبنية العجيبة أيضا ومن أعمال الجبارين وتكون نيفا وأربعين قنطرة، وفي هذه السنة

وهي سنة سبع وتسعين وخمسمائة تولى أمرها من لا بصيرة عنده فسدها رجاء أن يحتبس الماء فيروي الجيزة، فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت، ومع ذلك فلم يرو ما رجا أن يروي، وقد بقي من هذه الأهرام المهدومة قلبها وحشوتها وهي ردم وحجارة صغار لا تصلح للقناطر، فلأجل ذلك تركت.

وأما الأهرام المتحدث عنها المشار إليها الموصوفة بالعظم، فثلاثة أهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط، وبينها مسافات يسيرة زواياها متقابلة نحو الشرق واثنان منها عظيمان جدا وفي قدر واحد وبهما أولع الشعراء وشبهوهما بنهدين". <الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ص/٢٣>

٣-"قد نهدا في صدر الديار المصرية وهما متقاربان جدا ومبنيان بالحجارة البيض، وأما الثالث فينقص عنهما بنحو الربع لكنه مبني بحجارة الصوان الأحمر المنقط الشديد الصلابة ولا يؤثر فيه الحديد إلا في الزمن الطويل وتجده صغيرا بالقياس إلى ذينيك، فإذا قربت منه وأفردته بالنظر هالك مرآه وحسر الطرف عند تأمله، وقد سلك في بناية الأهرام طريق عجيب من الشكل والإتقان، ولذلك صبرت على مر الزمان بل على مرها صبر الزمان، فأنك إذا تبحرتها وجدت إلاذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها، والأنفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها والملكات الهندسية قد أخرجتها إلى الفعل مثلا هي غاية إمكانها، حتى أنها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق عن علومهم وأذهانهم، وتترجم عن سيرهم وأخبارهم، وذلك أن وضعها على شكل مخروط يبتدىء من قاعدة مربعة وينتهي إلى نقطة، ومن خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله في وسطه وهو يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحامل بعضه على بعض فليس له جهة أخرى خارجة عنه يتساقط عليها، ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح

الأربع، فإن الريح تنكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية وليست كذلك عندما تلقى السطح، ولنرجع إلى ذكر الهرمين العظيمين فإن المساح ذكروا أن قاعدة كلذ منهما أربعمائة ذراع طولا في مثلها عرضا، وارتفاع عمودها أربعمائة ذراع وذلك كله بالذراع السوداء وينقطع المخروط في أعلاه عند سطح مساحته عشر أذرع في مثلها، وأما الذي شاهدته من حالهما فإن راميا كان معنا رمى سهما في قطر أحدهما وفي سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة، وخبرنا أن في القرية المجاورة لها قوما قد اعتادوا ارتقاء الهرم بلا كلفة، فاستدعينا رجلا منهم ورضخنا له بشيء فجعل يصعد فيها كما يرقى أحدنا في الدرج بل أسرع، ورقى بنعليه وأتوا به، وكانت سابقة كنت أمرته أنه إذا استوى على سطحه قاسه بعمامته، فلما نزل ذرعنا من عمامته مقدار ما كان قاس فكان إحدى عشرة ذراعا بذراع اليد، ورأيت بعض أرباب القياس قال: ارتفاع عمودها ثلثمائة ذراع ونحو سبع عشرة ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات الأضلاع، طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع". <الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ص/٢٤>

٦-"في تخريبه ويبالغون في تهديمه ويفسدون صور الأصنام إفساد من يرجو عندها المال ويخاف منها التلف، وينقبون الأحجار نقب من لا يتمارى أنها صناديق مقفلة على ذخائر ويسربون في فطور الجبال سروب متلصص قد أتى البيوت من غير أبوابها وانتهز فرصة لم يشعر غيره بها.

وهذه الفطور منها ما يدخل حبوا ومنها ما يدخل زحفا، ومنها ما يدخل سحبا على الوجوه ومنها مضايق لا ينسحب فيها إلا الضرب الضئيل وأكثر ذلك إنما هو فطور طبيعة الجبال.

ومن كان من هؤلاء له مال أضاعه في ذلك، ومن كان فقيرا قصد بعض المياسير وقوي طمعه وقرب أمله بأيمان يحلفها له وعلوم يزعم أنه استأثر بها دونه علامات يدعي أنه شاهدها حتى يخسر ذلك عقله وماله، وما أقبح بعد ذلك مآله!.

ومما يقوي أطماعهم ويديم إصرارهم أنهم يجدون نواويس تحت الأرض فسيحة الأرجاء محكمة البناء، وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير، قد لفوا بأكفان من ثياب القنب لعله يكون على الميت منها زهاء ألف ذراع، وقد كفن كل عضو على إنفراده، كاليد والرجل والإصبع في قطع دقاق، ثم بعد ذلك تلف جثة الميت جملة حتى يرجع الحمل العظيم، ومن كان يتتبع هذه النواويس من الأعراب وأهل الريف وغيرهم، يأخذ هذه الأكفان فما وجد فيه تماسكا، اتخذه ثيابا أو باعه للوراقين يعملون منه ورق العطارين، ويوجد بعض موتاهم في توابيت من خشب الجميز ثخين، ويوجد بعضهم في نواويس من حجارة إما رخام وإما صوان وبعضهم في أزيار مملوءة عسلا، وخبرني الثقة أنهم بينما كانوا يتقفون المطالب عند الأهرام، صادفوا دنا مختوما ففضوه فإذا به عسل، فأكلوا منه فعلق في إصبع أحدهم شعر فجذبه فظهر له صبي صغير متماسك الأعضاء رطب البدن عليه شيء من الحلي والجوهر، وهؤلاء الموتى قد يوجد على جباههم وعيونهم وأنوفهم ورق من الذهب كالقشر، وقد يوجد منه أيضا على فرج المرأة وربما وجد قشر من الذهب على جميع الميت كالغشاء، وربما وجد عنده شيء من الذهب والحلي والجوهر، وربما وجد عنده آلته التي كأن يزاول بها العمل في حياته، وخبرني الثقة أنه وجد

عند ميت منهم آلة مزين، مسنا وموسى، وعند آخر آلة الحجام، وعند آخر آلة الحائك، ويظهر من حالهم أنه قد كان". <الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ص/٣٥>

٧-"لهم من الخشب والخرق وغيره، واستقريت جميع المواضع المحكمة فلم أجد فيها رأس فرس ولا جمل ولا حمار، فبقي ذلك في نفسي، فسألت مشايخ بوصير فبادروا إلى إخباري بأنهم قد تقدمت فكرتهم في ذلك واستقراؤهم إياه فلم يجدوه، وأكثر توابيتهم من خشب الجميز وفيه القوي الصلب ومنه ما صار في درجة الرماد، وخبرني قضاة بوصير بعجائب منها أنهم وجدوا ناووسا من حجر ففضوه فلقوا فيه ناووسا، ففضوه فوجدوا فيه تابوتا، ففتحوه فوجدوا فيه سحلية وهي سام أبرص مكفنة محتاطا عليها معنيا بها، ووجدنا عند بوصير أهراما كثيرة منها هرم قد انهدم وبقي قلبه فقسناه من مبدأ أساسه فوجدناه لا يتقاصر عن هرمي الجيزة.

وجميع ما حكيناه من أحوال مدافنهم ببوصير يوجد نحوه وأمثاله بعين شمس وبالبرابي وبغيرها.

واعلم أن الأهرام لم أجد لها ذكرا في التوراة ولا في غيرها ولا رأيت أرسطو ذكرها، وإنما قال في أثناء قوله في السياسة: كما كان من سنة المصريين البناء، وللإسكندر الأفروديسي تاريخ صغير ذكر فيه اليهود والمجوس والصابئة وتعرض بشيء من أخبار القبط، وأما جالينوس فرأيته ذكر الأهرام في موضع واحد وجعله

من هرم الشيخوخة، وقال في كتاب شرح الأهوية والبلدان لبقراط: فمن أراد أن يتعلم صناعة النجوم فعليه بمصر، فإن أهلها قد عنوا بذلك عناية تامة، هذا معنى قوله، وقال في كتاب عمل التشريح: فمن أراد أن يشاهد كيفية تركيب العظام وهيئتها، فينبغي له أن يقصد الإسكندرية ويشاهد موتى القدماء.

واعلم أن القبط بمصر نظير النبط بالعراق، ومنف نظيرة بابل، والروم والأقاصر بمصر نظير الفرس والأكاسرة بالعراق، والإسكندرية نظير المدائن، والفسطاط نظير بغداد، والجميع اليوم بعد الإسلام وتشمله دعوة بني العباس.

الفصل الخامس

فيما شوهد بها من غرائب الأبنية والسفن

وأما أبنيتهم ففيها هندسة بارعة وترتيب في الغاية، حتى أنهم قلما يتركون مكانا غفلا خاليا عن مصلحة ودورهم أفيح وغالب سكناهم في الأعالي ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة، وقلما تجد منزلا إلا وتجد فيه باذاهيج وباذاهيجاتهم كبار واسطة للريح". <الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ص/٣٨>

٨-"أهدانا، ونحن خارجون، كتابا مطبوعا في تاريخ بعلبك من تأليفه. وهو كتاب جليل حوى في موضوعه أحسن المسائل التاريخية الحاضرة والأثرية لهذه المدينة العتيقة، فتقبلنا منه هديته بالشكر والثناء.

كلمة عن القلعة

يخرج السائح من قلعة بعلبك، بعد أن يتطوف على دوائرها، ويتعرف بواطنها بعد ظواهرها ويتفقدها من أولها إلى آخرها، وإنه لقد حار في الأمر فكره وضاق بالعجب صدره. وبعد أن كانت المسألة عنده قاصرة على فخامة القواعد وضخامة المباني، تحولت إلى بحث واسع في موضوع علمي حافل بجليل المقاصد وجميل المعاني. وبعد أن كان ذلك الزائر يحصر نظره كله في دائرة لا تزيد عن أطوال وأعراض ومهارة عمال وشطارة مهندسين، صار يجول في محيط عظيم من أطوار وأغراض السريانيين والكلدانيين، ومما كان أصاب الناس من ضروب المذلة والمهانة في العصر الماضية، عصر الأوثان والكهانة، تلك التي كان للكهنة فيها تأثير في سياسة الممالك مثل تأثير القياصرة والملوك أو هو فوق ذلك. وقد كان هذا التأثير نفسه هو الأصل الذي عليه ترتكن الحكومة، عندما كانت تعمد إلى تشييد تلك المباني الضخمة، مثل قلعة بعلبك وحلب في الشام والأهرامات ومعبد الكرنك ومدينة هبو في مصر، وغير ذلك من الحصون والمعابد والمقابر التي نراها فيفزعنا منظرها ويهولنا شأنها والتي لا تزال تتجلى فيها فكرة مؤسسيها وواضعيها يمر بعض الناس بهذه الآثار المدهشة مر الكرام على اللغو من الكلام

وغاية ما في الأمر أنهم يعجبون من مناظر هذه الأشياء وظواهرها لأنهم لم يعرفوها في عادتهم ولم يألفوها في قدرتهم، مثل إتقان البنيان وإحكامه إلى حد أن سن الإبرة لا يمكن أن ينفذ بين مداميكه وسافاته، أو قدرة البنائين والفعلة إلى درجة أنهم يرفعون تلك الحجارة الثقيلة الهائلة إلى مسافة عظيمة حين لم يكن لديهم آلات لجر الأثقال ورفعها وما أشبه ذلك، ولكن الوقوف عند هذا الحد من مثل هذه الأعمال الخطيرة المفزعة قصر في النظر ثم هو عن الضالة المنشودة والغاية المطلوبة بمراحل طويلة، بل هو في نظري لا يزيد عن حد الوقوف عند". <الرحلة الشامية ص/٩٣>

١١-"وما مضى ضفه إلى واو وقاف ... فالسدس منه النيل وقيت المخاف

وما ألطف ما قال:

نيل همومي وما لقيت به ... لفرط وجدي وفيض بلوائي

وقفت أبكي على سواحله ... فمن دموعي زيادة الماء

حكى الجاحظ أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة، منها بسائر الأرض عشر، وباقيها بمصر، الهرمان، بفتح أوليه، وهما أطول بناء وأعجبه، من رآهما ظن أنهما جبلان بالجزيرة. قال ابن الوردي في الخريدة: الجزيرة مدينة على ضفة النهر، وهي أربعون قوسا على سطر واحد، وبها الأهرام التي هي من عجائب الدنيا، ولم يبن مثلها، بنيت بصفة الهندسة، وكانوا يثقبون الصخر من طرفه ويجعلون فيه قضيبا من الحديد، ويثقبون الحجر الآخر وينزلونه فيه، ويذيبون الرصاص ويجعلونه في القطب. وهي ثلاثة أهرامات ارتفاع كل هرم في الهواء مائة ذراع بالملكي، وهي مهندمة الجوانب، محدودة الأعالي من أواخرها، طولها على ثلاثمائة ذراع. يقال إن داخل الهرم الغربي ثلاثون مخزنا من حجارة الصوان الملونة، مملوة بالجواهر النفيسة والأموال الجمة، والأسلحة الفاخرة المدهونة بأدهان الحكمة فلا تصدأ أبدا، وفيه الزجاج الذي ينطوي ولا ينكسر، وفي الهرم الشرقي الهيئات

الفلكية، والكواكب المنقوشة فيها ما كان وما يكون إلى آخر الدهور. يقال إن أحد الهرمين قبر هرمس عليه السلام، والآخر قبر امرأته وقيل قبر أبنه، وهرمس بلسان الحكماء هو إدريس عليه السلام، وهو الجد الثالث لنوح عليه السلام، وأبو صاب الذي تنسب إليه الصابئة التي تعظم الكواكب.

ويقال إن أحد الهرمين بني بيتا لعطارد، والآخر هيكلا للجوزاء، وسطح الهرم مستو يسع نحو مائة رجل، وقيل إن أرسطاليس مدفون في أحدهما والإسكندر في الآخر، وقيل بني باسمه ولم يدفن فيه، وقيل وقيل. .!". <رحلة الشتاء والصيف ص/٣١>

١٢-"أنفقت فلا تتعب فأنشد المأمون في ذلك:

أنظر إلى الهرمين واسمع منهما ... ما يرويان عن الزمان الغابر

لو ينطقان لخبرانا بالذي ... فعل الزمان بأول وبآخر

ومن ذلك ما يحكى أن المنصور لما أفضت الخلافة إليه هم بنقض إيوان المداين، فوافقه أصحابه على ذلك إلا رجلا من الفرس، فإنه قال: تعلم يا أمير المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من تلك القرية، وكان له فيها مثل ذلك المنزل وتلك الحجر، فخرج أصحابه مع ضعفهم إلى صاحب هذا الإيوان مع عزته وصعوبة أمره، فأخذوه من يده قهرا وقتلوه، فمن نظر إليه علم قوة صاحبه، وأن الذي استولى عليه إنما أخذه بمدد من الله تعالى، فلا يشك في تأييده. فاتهمه المنصور لقرابته ثم أخذ في هدمه، فخرج على نقض شيء يسير منه جملة من المال، فعدل عما كان أراده. وقد أكثر الشعراء من ذكر الأهرام فمن ذلك للمتنبي:

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الأيام عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتصرع

وللفقيه عمارة اليمني:

خليلي ما تحت السماء بنية ... تماثل في إتقانها هرمي مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما ... على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر". <رحلة الشتاء والصيف ص/٣٣>

١٣-"تنزه طرفي في بديع بنائها ... ولم يتنزه في المراد بها فكري

وقال:

تبين أن صدر الأرض مصر ... ونهداها من الهرمين شاهد

فيا عجبا وقد ولدت كثيرا ... على هرم وذاك النهد ناهد

وقال آخر:

قد علا نيل مصر في زيادته ... حتى لقد بلغ الأهرام حين طما

فقلت: هذا عجيب في دياركم ... أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال آخر:

مصر التي لحسنها ... قد قيل فيها إرم

لما جفت عشاقها ... بدا عليها الهرم

وقال سيف الدين بن جبارة:

لله أي عجيبة وغريبة ... في صنعة الأهرام للألباب

أخفت عن الأسماع قصة أهلها ... ونضت على الإبداع كل نقاب

فكأنما هي كالخيام مقامة ... من غير ما عمد ولا أطناب

عين شمس

ومنها عين شمس وهي شمالي القاهرة، وكانت في القديم دار المملكة، بها الآثار الهائلة، والبلسان الذي لا ينبت إلا بها، وهو بستان طوله ميل في ميل، والسر في بئره أن المسيح عليه السلام اغتسل فيه، كذا في الخريدة.

وفي الآثار عين شمس مدينة كانت بمصر، وهي محل سرير فرعون بالجانب الغربي من النيل، والآن انطمست عمارات فرعون بالرمل، وهي بقرب الفسطاط، قيل بها قدت زليخا قميص يوسف.

(ومن عجائبها) أن بها عمودين مثبتين على وجه الأرض من غير أساس، طول كل". <رحلة الشتاء والصيف ص/٣٤>

١٤-"إصابته

لأحد قط، مع كثرة تجربتهم لذلك، وقد جربت ذلك مرارا فلم أصبه، قاله في المحاضرة. وأما خليجها فأختلف في بانيه فلا حاجة إلى خلاف لا ثمر له، فهاك يسيرا من خبره، قال الأسعد في قوانين الدواوين: خليج الإسكندرية عليه عدة ترع، وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستمائة قصبة، وعرضه قصبتان ونصف إلى ثلاث قصبات ونصف، ومقام الماء فيه بالنسبة إلى النيل فإن كان عاليا أقام فيه ما يزيد على شهرين، كذا في الخطط. وحكى ابن الوردي أن الإسكندرية كانت سبع قصبات وإنما أكلها البحر، ولم يبق منها إلا قصبة واحدة، وأن مساجدها حصرت مرة فكانت عشرين ألف مسجد. قيل بانيها الذي بنى الأهرام، وقيل يعمر بن شداد، وقيل الإسكندر الأول، وهو ذو القرنين اليوناني الذي جال الأرض، وبلغ الظلمات ومغرب الشمس ومطلعها، وسد على يأجوج ومأجوج، وقيل بناها الاسكندر الثاني ابن دارا الرومي، وإنما شبه بالاسكندر الأول لأنه ذهب إلى الصين والمغرب ومات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، والأول كان مؤمنا، والثاني كان على مذهب أستاذه أرسطاليس، وبين الأول والثاني دهر طويل، وقيل بنتها الجن لسليمان عليه السلام! وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا عجبا عدوه من صنعة الجن. قيل وكان فيها اثنا عشر ألف حانوت يبيع البقل، قال الكندي: أجمع الناس على أنه لم يكن في الدنيا مدينة على مدينة ثلاث طبقات غير الإسكندرية، قيل بناها الاسكندر اليوناني في ثلاثمائة سنة، وهل هو نبي أو ملك بفتح اللام أو بكسرها خلاف والأصح الأخير. وكان أهلها لا يمشون فيها نهارا إلا بخرق سود في أيديهم خوفا على أبصارهم من شدة بياضها، وأقاموا على ذلك سبعين سنة، وكان يقال إنها إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد. وقد أخلقت تلك الجدة وأسرعت في الذهاب إلى الدمار مجده.

فمن لعين ترى ما حل ساحتها ... من التلاف وكانت فوق ما تصف". <رحلة الشتاء والصيف ص/١١٨>

١٥-"- فشت الأوبئة والأمراض، فهلكلت المواشي، وكثرت الأموات طرحى على الطرقات، وزاد عددهم في القاهرة في كل يوم عن مائتي نفس وبقى بمصر من لم يوجد من يقوم على كفنه ودفنه، وكان أكثرهم يموت جوعا (١) ويبدو لنا أن ما حدث من نزاع في البيت الأيوبي بين العزيز عثمان وأخيه الأفضل علي، ومكائد ودسائس عمهما الملك العادل التي زادت من شقة الخلاف بينهما لصالحه الذاتي، شغلت العزيز عثمان عن وضع حد لتلك الضائقة الاقتصادية، ولم تساعده على تفادي هذه الكارثة التي أثرت تأثيرا كبيرا في حياة المصريين اجتماعيا واقتصاديا (٢).

١ - سبب وفاته: توفي الملك العزيز بداره بالقاهرة وكان على عزم الصيد في أعمال الفيوم، فخيم تلك الليلة عند الأهرام فقيل، إنه أصبح وركض خلف صيد، فكبابه، الفرس مرة بعد أخرى، .. فتفاقم ألمه، وأقام يومين أو ثلاثة لا يستطيع له مخلوق إعانة ولا إغاثة ثم حم حمامه، وأظلمت بفجيعته أيامه، وقبر في دار، لينقل منها إلى دار قراره (٣).

---

(١) صلاح الدين والصليبيون ص ١٧٢.

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٢.

(٣) كتاب الروضتين (٤/ ٤٤٤).". <الأيوبيون بعد صلاح الدين ص/٤٧>

١٧-"محاولة العزيز أمير مصر هدم الأهرامات.

عزم العزيز على نقض الأهرام، ونقل حجارتها إلى سور دمياط لبنائه، فقيل له إن المؤنة تعظم في هدمها، والفائدة تقل من حجرها، فانتقل رأيه من الهرمين الكبيرين إلى الهرم الصغير وهو مبني بالحجارة الصوان فشرع في هدمه، وأراد كذلك إخراج الكنوز من تحته فبقي العمال شهورا ثم تركوه بعد أن عجزوا عن هدمه أيضا.

٢". <الموسوعة التاريخية - الدرر السنية ٥/١٦٠>

١٨-"محاصرة التتار الرحبة ورجوعهم خاسرين.

٧١٢ؓرجب¤١٣١٢م

ورد الخبر في أول رجب بحركة خدبندا وسبب ذلك رحيل بعض الأمراء إليه هاربين من السلطان منهم قراسنقر وغيره وإقامتهم عنده، وتقوية عزمه على أخذ الشام، وكان السلطان تحت الأهرام بالجيزة، فقوي عزمه على تجريد العساكر، ولم يزل هناك إلى عاشر شعبان، فعاد إلى القلعة، وكتب إلى نواب الشام بتجهيز الإقامات، وعرض السلطان العسكر، وترحلوا شيئا بعد شيء، من أول رمضان إلى ثامن عشريه، حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر، وخرج السلطان في ثاني شوال، ونزل مسجد تبر خارج القاهرة، ورحل في يوم الثلاثاء ثالثه، ورتب بالقلعة سيف الدين أيتمش المحمدي، فلما كان ثامنه قدم البريد برحيل

التتار ليلة سادس عشر رمضان من الرحبة وكان من أمرهم فيها أنه لما وصل التتر إلى الرحبة فحاصروها عشرين يوما وقاتلهم نائبها الأمير بدر الدين موسى الأزدكشي خمسة أيام قتالا عظيما، ومنعهم منها فأشار رشيد الدولة بأن ينزلوا إلى خدمة السلطان خربندا ويهدوا له هدية ويطلبون منه العفو، فنزل القاضي نجم الدين إسحاق وأهدوا له خمسة رؤوس خيل، وعشرة أباليج سكر، فقبل ذلك ورجع إلى بلاده، وكانت بلاد حلب وحماه وحمص قد أجلوا منها وخرب أكثرها ثم رجعوا إليها لما تحققوا رجوع التتر عن الرحبة، وطابت الاخبار وسكنت النفوس ودقت البشائر وتركت الأئمة القنوت، وخطب الخطيب يوم العيد وذكر الناس بهذه النعمة، وكان سبب رجوع التتر قلة العلف وغلاء الأسعار وموت كثير منهم، وأشار على سلطانهم بالرجوع الرشيد وجوبان،، وعودهم إلى بلادهم بعدما أقاموا عليها من أول رمضان، ففرق السلطان العساكر في قانون وعسقلان، وعزم على الحج، ودخل السلطان دمشق في تاسع عشره، وخرج منها ثاني ذي القعدة إلى الكرك وفي أول رمضان، ويذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان ممن قدم ورجع إلى دمشق بصحبة السلطان فكان يوما مشهودا خرج الناس لرؤيته.

٢". <الموسوعة التاريخية – الدرر السنية ٦/٢١٢>

٢١-"*الإغريق

هم سكان شبه جزيرة البلقان، الذى عرف عند العرب باسم بلاد اليونان وعرف سكانه أيضا باسم الهيلينيين. وقد شمل التوسع الإغريقى مناطق فى آسيا الصغرى والبحر الأسود. وأهم المستعمرات التى أقاموها كانت فى بيزنطة (التى أصبحت عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية)، وفى ليبيا، ومصر، وإسبانيا، وفرنسا، وحظيت إيطاليا وصقلية بالنصيب الأوفر من نشاط المستعمرين الإغريق. وفى العصر الحجرى الحديث وفدت إلى بلاد الإغريق عناصر من غربى آسيا الصغرى، وامتزجوا بالشعوب التى هبطت من الشمال، وكانت المينوية من سنة (٣٠٠٠ – ١٤٠٠ ق. م) تقريبا، من أهم الحضارات فى هذه المنطقة. وينقسم تاريخ المينوية إلى ثلاث مراحل، (الأولى) تقارب عصر بناء الأهرامات فى مصر، و (الوسطى) انتقلت الحضارة فيها من الشرق إلى الوسط، حيث ازدهرت مدينة كنوسس العاصمة، وازدادت سلطة الحاكم الذى كان يحمل لقب مينوى، الذى نسبت

إليه الحضارة، و (الثالثة) تميزت بعمق العلاقات بين مصر
وكريت، التى سكنها الإغريق، كما وقع حريق مدمر فى الجزيرة
فى أواخر هذا العصر. وبعد ذلك انتقل الثقل الحضارى إلى
جنوبى بلاد الإغريق وسميت بالحضارة الموكينية، وكان مركزها
مدينة موكيناى. وأهم أحداث هذه العصر حرب طروادة، التى
سجلها الشاعر اليونانى هوميروس فى ملحمة الإلياذة. وكانت
نهاية الموكينية خلال القرن الثانى عشر قبل الميلاد، على يد
الدوريين الوافدين من الشمال، الذين احتلوا الجزء الجنوبى من
بلاد اليونان، وعجزوا عن اقتحام مدينة أثينا. وقد أقام
الدوريون عدة مدن، أشهرها إسبرطة، التى نافست أثينا على
زعامة الإغريق. وبعد السنوات الألف الأولى من غزو الدوريين
أصبح نظام دويلات المدن هو النظام السائد فى بلاد الإغريق،
الذين كانوا يعتقدون أن نظام دول المدينة هو النظام الأمثل، وما
عداه تخلف. وكانت أثينا كبرى هذه الدويلات، ولكن هذا النظام". <الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي ١٦٤/١٤>

٢٢-"وذكر قوم أن على الهرمين مكتوبا بخط المسند: إني بنيتهما فمن يدعي قوة في ملكه فليهدمهما، فإن الهدم أيسر من البناء، قود كسوناهما بالديباج فمن استطاع فليكسهما بالحصير.

وقال ابن زولاق: لا نعلم في الدنيا حجرا على حجر أعلى ولا أوسع منهما، طولهما في الأرض أربعمائة ذراع وارتفاعهما كذلك، وقال أبو عبد الله بن سلامة القضاعي في كتاب مصر: إنه وجد في قبر من قبور الأوائل صحيفة، فالتمسوا لها قارئا فوجدوا شيخا في دير قلمون يقرأها، فإذا فيها: إنا نظرنا فيها تدل عليه النجوم فرأينا أن آفة نازلة من السماء وخارجة من الأرض، ثم نظرنا فوجدناه مفسدا للأرض ونباتها وحيوانها، فلما تم الهرم الغربي بنى لابن أخيه الهرم المؤزر وكتبنا في حيطانها أن آفة نازلة من أقطار العالم، وذلك عند نزول قلب الأسد أول دقيقة من رأس السرطان، وتكون الكواكب عند نزولها إياها في هذه المواضع من الفلك، الشمس والقمر في أول دقيقة من الحمل، وزحل في درجة وثمان وعشرين دقيقة من الحمل، والمشتري في تسع وعشرين درجة وعشرين دقيقة من الحمل، والمريخ في تسع وعشرين درجة وثلاث دقائق من الحوت، والزهرة في ثمان وعشرين درجة من الحوت، وعطارد في تسع وعشرين درجة من الحوت، والجوزهر في الميزان، وأوج القمر في خمس درجات ودقائق من الأسد. فلما مات سوريل دفن في الهرم الشرين ودفن أخوه هرجيت في الهرم الغربي، ودفن ابن أخيه كرورس في الهرم الذي أسفله. ولهذه الأهرام أبواب في ازج تحت الأرض، طول كل ازج منها مائة وخمسون ذراعا. فأما باب الهرم الشرقي فمن الناحية الشرقية، وأما باب الهرم الغربي فمن الناحية الغربية، وأما باب الهرم المؤزر فمن الناحية الشمالية. وفي الأهرام من الذهب ما لا يحتمله الوصف.

ثم ان المترجم لهذا الكلام من القبطي إلى العربي أجمل التاريخات إلى سنة خمس وعشرين ومائتين من سني الهجرة، فبلغت أربعة آلاف وثلاثمائة وإحدى وعشرين سنة شمسية، ثم نظر كم مضى من الطوفان إلى وقته هذا فوجده ثلاثة آلاف وتسعمائة وإحدى وأربعين سنة، فألقها من الجملة الأولى، فبقي ثلاثمائة وتسع وتسعون سنة، فعلم أن تلك الصحيفة كتبت قبل الطوفان بهذه المدة. وقال بعضهم:

حسرت عقول ذوي النهى الأهرام ... واستصغرت لعظيمها الأحلام

ملس منبقة البناء شواهق ... قصرت لغال دونهن سهام

لم أدر حين كبا التفكر دونها ... واستوهمت لعجيبها الأوهام

أقبور أملاك الأعاجم هن أم ... طلسم رمل كن أم أعلام

وزعم بعضهم أن الأهرام بمصر قبور ملوك عظام بها، آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم، كما تميزوا عنهم في حياتهم، وأرادوا أن يبقى ذكرهم بسبب ذلك على تطاول الدهور.

وذكر محمد بن العربي الملقب بمحيي الدين: ان القوم كانوا على دين التناسخ، فاتخذوا الأهرام علامة لعلهم عرفوا مدة ذهابهم ومجيئهم إلى الدنيا بعلامة ذلك.

ومن الناس من يزعم أن هرمس الأول الذي يسميه اليونانيون أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم، عليه السلام، وهو ادريس، علم بطوفان نوح إما بالوحي أو بالاستدلال على ذلك من أحوال الكواكب، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم إشفاقا عليها من الدروس، واحتياطا عليها وحفظا لها.

ومن عجائب مصر أبو الهول. وهو صورة آدمي عظيمة مصنعة، وقد غطى الرمل أكثره. يقال: انه طلسم للرمل لئلا يغلب على كورة الجيزة، فإن الرمال هناك كثيرة شمالية متكاثفة، فإذا انتهت إليها لا تتعداه، والمرتفع من الرمل رأسه وكتفاه. وهو عظيم جدا، وصورته مليحة كأن الصانع الآن فرغ منه. وقد ذكر من رأى أن نسرا عشش في أذنه وهو مصبوغ بالحمرة؛ قال ظافر الإسكندري:

تأمل بنية الهرمين وانظر ... وبينهما أبو الهول العجيب

كمثل عمارتين على رحيل ... لمحبوبين بينهما رقيب

وماء النيل تحتهما دموع ... وصوت الريح عندهما نحيب". <آثار البلاد وأخبار العباد ص/١٠٧>

٢٧-"وفي ظل أهداف انتفاضة الأقصى التي اندلعت في أيلول ٢٠٠٠، استمرت سياسة تقاسم الأدوار بين المستوطنين والجيش الإسرائيلي، وأنيطت بالمستوطنين عمليات الانتقام، وتدمير البيوت وحرق الأشجار والمزروعات، تلك سلطات الجيش، بعد أن اكتشفت أن الدمار الذي يجب أن يلحق بالفلسطينيين لابد أن يكون واسعا جدا، أخذت على عاتقها مهمة تجريف الأراضي والمزروعات، وهدم البيوت.

))

(هوامش البحث:

١. مأخوذة عن الموعد، حمد سعيد، العامل الجيوستراتيجي في الاستيطان، صامد الاقتصادي، العدد ٩٠، ١٩٩٢، ص١٦٧.

٢. لمزيد من المعلومات راجع الموعد، حمد سعيد، الصهيونية ـ تعليم الحقد، الفصل بعنوان «اليوتوبيا الصهيونية، دار الملتقى، قبرص ١٩٩٢.

٣. دافار ١٢/٥/١٩٥٦.

٤. Eliezer Schweild, The Endurance of Israeli Society, in the works of Amerson Cohen and Ari Carmen, In the Wake of ou Kippur war, Haifa Universitypress, ٦٠, P. ١٩٧٦

٥. ليبيلخ، عاميا، جنود الصفيح على شاطئ القدس، ص ٩، مأخوذة عن د. رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية والروح العدوانية، عالم المعرفة، رقم (١٠٢) حزيران ١٩٨٦، ص٢٤٢، ولمزيد من المعلومات أيضا حول الدين الأمني، راجع الفصل الرابع من كتابنا المذكور أعلاه.

٦. The Jewish Observer, Septimber ١٩٦٢

٧. العسكرية الصهيونية، الجزء الثاني، مؤسسة الأهرام، ص ٢٦.

٨. مباشر، عبده، المؤسسة العسكرية الإسرائيلية الاستراتيجية، البناء، الإطار الفكري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٧، ص٤٠.٤٧.

٩. Ebba Ehan, Reality and Vision in the Middle Eait, Foreign Aftairs, July, ٣٦٠, P, ١٩٦٩

١٠. Ban Guriom Looks Back, P, ٦

١١. Laws of the state of Iorael, Vol. ٤,٥٧١٠ /١٩٤٩ -١٩٥٠ .PP٦٢ -٦٤

١٢. Cohen. Reuven, The Kibbutz Settlement. Kibbutz Hameuchald Publishing House, ١٩٧٢. PP. ٣٤ -٤٠". <الأبارتيد الصهيوني ص/١٦١>

٢٨-"وشمل ١٢٠٠ شخص من اليهود الروس، ونشرت نتائجه في جريدة أخبار الأسبوع الناطقة باللغة الروسية في عددها الصادر في ٢٠/١١/١٩٩٨، نجد النتائج التالية: (٧)

. ٧٣٪ يعتقدون أن التناقض الاثني يتفاقم في إسرائيل.

. ٥٣٪ أجابوا أنهم اصطدموا بحوادث تمييز على خلفية أثنية.

. ٤٩٪ يعتقدون أن التجمع الروسي يتعرض للتمييز على خلفية أثنية في إسرائيل.

. ٥٦٪ يعتقدون أن التناقض الاثني سيستمر ويتصاعد على إسرائيل.

ولا شك أن قراءة دقيقة لنتائج هذا الاستطلاع تعطينا فكرة عن توجهات فئات مختلفة من الشعب الإسرائيلي، وكذلك عن أفكارها نحو المستقبل. وهذا يدعم مسلمة سياسية هامة وهي أن الصهيونية غير القادرة على إقامة السلام العادل والدائم مع العرب، لأنه يتناقض تناحريا معها ويعني نهايتها المحتومة، هي أيضا غير قادرة على إقامة السلم المجتمعي بين مختلف المكونات الاثنية للمجتمع الإسرائيلي.

ما المقصود إذن باللاسامية المعكوسة؟

قبل الإجابة عن هذا التساؤل، سأورد ما قاله اليكس سايل في جريدة الاندبندت البريطانية ونقلته الأهرام ويكلي - AL Ahram Weekly في عددها الصادر في ٢٠٠١/٢/١٥ يقول الكاتب:

«مسألتان كانتا تصفعاني على الدوام: هما نشأة دولة إسرائيل غير الطبيعية ومشكلة الفلسطينيين التي أصبحت قضية مهملة في العالم. فالشعب العربي المسالم لم يلحق الأذى باليهود الهاربين من مجازر أوروبا. وعندما أرادت الصهيونية تأسيس وطن لهم، لماذا لم تقتطع أرضا من ألمانيا؟! السبب أن الصهيونية لم تكن تنظر إلى العرب على أنهم صنف من البشر، وكان الغرب يشارك الصهيونية هذه النظرة. وعليه سرقت أموالهم وأراضيهم وقتلوا دون أن ترف جفونهم... ويخلص الكاتب إلى الحقيقة التالية: «الحقيقة أن إسرائيل هي الحصن الأخير للاستعمار، وآخر مستعمرة أسستها أوروبا البيضاء في العالم الثالث، وهي عبارة عن حاملة طائرات لحماية المصالح النفطية وكأسفين بين الدول المنتجة للنفط» (٨).". <الأبارتيد الصهيوني ص/١٦٩>

٢٩-". ... مكسيم رودنسون، اسرائيل والرفض العربي، القاهرة، الهيئة العربية للاستعلامات بدون تاريخ نشر.

. ... مسيرة السادات الاستسلامية، من زيارة القدس حتى صفقة كامب ديفيد، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية، دمشق، ١٩٧٨.

موسوعات:

١- ... Encyclopedia Britannica. File: //C Program Files, ٢٠٪ ٢٠٠١ Cache info.

٢- ... Grand la Rousse, Paris, ١٩٦٢, vol. ٨.

٣- ... The Oxford Concise Dictionary of Politics, Oxford Press, ١٩٩٦.

٤- ... Encyclopedia Judaica, edited by Raphael Patai, vol. ٧

٥- ... Map of Israel, Road Map with Places of Interest, Haliwage ١٩٨٧

٦- ... Microsoft ® Encarta Encyclopedia ٢٠٠١ (١٩٩٣ -٢٠٠١.

١. ... عبد الرزاق الصافي، القاموس السياسي، دار الفارابي، بيروت، لبنان
٢. ... الموسوعة الفلسطينية، الجزء الرابع.
٣. ... العسكرية الصهيونية، الجزء الثاني، مؤسسة الأهرام.
٤. ... اطلس الصراع العربي ـ الصهيوني، إعداد مازن البذك ود. خيرية قاسمية، بيروت ١٩٧٩.
٥. ... خريطة المستوطنات الصهيونية ١٨٨٢ ـ ١٩٨٢، دمشق.
٦. ... خارطة القرى والمدن والمخيمات والمستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة ١٩٩٣.
٧. ... قاموس الفكر السياسي، الجزء الثاني ترجمة د. انطون حمصي٠، دراسات فكرية رقم ٢٢، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٤.

)

Selected Bibliography

- Joseph B. Schectman, Rebel and Statesman, The V. Jabotinsky Story, Newyork, ١٩٥٦.
- Leon Uris, Exodus, Bantam Books, New york, Toronto, london.
- Shulmit Volkov, German Anti - Semitisn and the National Thought.
- Max weber, Ancient Judasim.
- Cliff Eaglwood, The Armed Prophet, ١٩٦٢.
- Alfred lillental, The Other, Side of the Medal
- Vladimir v. Jabotinsky, A self - protrait, Jewish Frontiers
- Bruno Buttelheim, Surviving the Holocoust, Fleming, Fontana Paper backs.".

<الأبارتيد الصهيوني ص/٢٠٩>

٣٠-"ومما يجدر ذكره أن جامعة تل أبيب وضعت "مشروعا للسلام" جهز لاتفاقيات كامب ديفيد مع مصر، أداره في بادئ الأمر البروفسور "أفيفي أفين" ثم تولاه البروفسور "ديفيد هورن". وقد نشط معدو "المشروع" في إجراء الاتصالات الشخصية بين أساتذة جامعة تل أبيب والمثقفين المصريين، كما أنشئ كرسي أستاذية لتاريخ مصر في جامعة تل أبيب، من وجهة نظر صهيونية.

وفي إطار هذا "المشروع" تبارى المفكرون والباحثون (الإسرائيليون) في إجراء الدراسات والحوار، وعقد الندوات حول مجالات التعاون الثقافي والعلمي بين (إسرائيل) والعرب.

إذ أن المطلوب (إسرائيليا) –تبديل مفاهيم العرب وقناعاتهم ومعتقداتهم ليتحولوا إلى ما يطلق عليه (الإسرائيليون) "فهما أفضل لحضارة وثقافة جيرانهم اليهود"!!.

وفي إطار الاستراتيجية الصهيونية –الأمريكية– (الإسرائيلية) الهادفة إلى خلق بؤرة تابعة ثقافيا وسياسيا في الوطن العربي، ضعيفة العقيدة والولاء للوطن، لاهثة خلف إغراءات المال والشهرة وتوهم العالمية والانفتاح الحضاري "على الآخر" (الصهيوني).. في هذا الإطار أقيمت في مصر ست وثلاثون مؤسسة علمية أمريكية، وثقافية "إسرائيلية"، مثلت وتمثل مظلة رسمية لاختراق الشخصية العربية، والتجسس على قطاعات المجتمع كافة. ومن ذلك –مثلا– النشاط الذي يقوم به "مركز البحوث السياسية" في كلية الاقتصاد وجامعة القاهرة، الذي يجري كثيرا من الأبحاث بتمويل من "مؤسسة فورد"، وكذلك نشاط "مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الأهرام"، و"معهد التخطيط القومي" وغيرها من المؤسسات العلمية والتي للأسف خدع بها كثيرون عربيا(٨)." <الأبعاد الفكرية والعلمية للصراع العربي الصهيوني د. خلف الجراد ص/٦٢>

٣٨–"٥٣ . المصدر نفسه، ص ٦٨.

٥٤ . طه النعيمي، "البحث العلمي والتنمية المستدامة في الوطن العربي" . في "مجلة أبحاث البيئة والتنمية المستدامة"، المجلد الأول، العدد صفر، ١٩٩٧، ص ١٢.

٥٥ . الدكتور نوزاد الهيتي، "دور مركز البحوث في التنمية في الوطن العربي" . في مجلة "شؤون عربية"، العدد "٩٩" سبتمبر/ أيلول ١٩٩٩، جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ/ص ١٤٠ . ١٤٢.

٥٦ . المصدر نفسه، ص ١٤٢.

٥٧ . انظر: عبد الحسن الحسيني، "الأبحاث في القطاعات المدنية الإسرائيلية والعربية"، مصدر سابق.

٥٨ . المصدر نفسه.

٥٩ . لمزيد من الاطلاع على آراء عدد من الباحثين والمختصين في هذا المجال، انظر: تحقيق وجيه الصقار، "أبحاث لا تقبل التطبيق" . في "الأهرام"، ٤ أغسطس/آب١٩٩٨، ص ٣.

٦٠ . مكتب التربية لدول الخليج العربي: "واقع البحث العلمي في الوطن العربي"، وقائع ندوة: "تطبيق نتائج البحوث لتنمية المجتمع العربي"، مكتب التربية العربي، الرياض، ١٩٩٠، ص ٨٨.

٦١ . انظر: أنطوان زحلان، "حال العلم والتقانة في الأمة العربية" . في حال الأمة العربية . المؤتمر القومي العربي السابع"، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٧)، ص ٣٦٥ . ٣٨٣.

٦٢ . انظر: الدكتور معين القدومي، "الأدمغة العربية بين الهجرة والتهجير" . في صحيفة "البيان"، الصادرة في "أبوظبي"، ٨ ذو الحجة ١٤١٩هـ/٢٥ مارس (آذار) ١٩٩٩، العدد "٦٨٥٤" ص ١٠.

٦٣ . نقلا عن صحيفة "المجد" الأردنية، العدد "١٥٠" ١٧ شوال ١٤١٧هـ/ ٢٤ شباط/ فبراير ١٩٩٧، ص ١.

٦٤ . "الدكتور محمد رضا محرم، "تعريب التكنولوجيا" . في مجلة "المستقبل العربي"، السنة ٦، العدد "٦١" (آذار/ مارس

١٩٨٤)، ص ٧٧.". <الأبعاد الفكرية والعلمية للصراع العربي الصهيوني د. خلف الجراد ص/١٩٩>

٣٩-"٦٥ . انظر:لجنة استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي، استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي: التقرير العام والاستراتيجيات الفرعية، سلسلة وثائق استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩).

الحواشي

١- للاطلاع المفصل على الأيديولوجية الصهيونية يمكن مراجعة المؤلفات المميزة، التي وضعها الباحث الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري في هذه المسألة، ولا سيما: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية/الأهرام)، ١٩٧٥؛ اليهودية والصهيونية و(إسرائيل): دراسات في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٥)؛ نهاية التاريخ، دراسة في بنية الفكر الصهيوني (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)؛ الأيديولوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة (في قسمين)، سلسلة عالم المعرفة، العددان ٦٠-٦١ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢-١٨٣).

٢- انظر: الدكتور عبد الوهاب الكيالي (المؤلف الرئيسي، رئيس التحرير) ومجموعة من الكتاب موسوعة السياسة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج٣، ط١، ١٩٨٣ ، ص ص ٦٥٩-٦٦١.

٣- -Jewish Telegraphic Agency, Daily News Bulletin, N.y.١٩٧٥,١١,٢٠.

٤- - Naom Chomskyk ((Israeli Jews and Palestinian Arabs)) The Holy Cross Quarterly, Vol.٥ No ,٢ Summer ١٩٧٢. N.Y ...

٥- New York Times, December ٣ ,١٩٧٥.

٦- Jerusalem Post ١٢,٣ ,١٩٧٥.". <الأبعاد الفكرية والعلمية للصراع العربي الصهيوني د. خلف الجراد ص/٢٠٠>

٤٠-"""""""" صفحة رقم ١٧١ """"""

جواب الآفاق ، ومحالف الإباق ، ومنفق سعد الشعر كل الإنفاق ، رفع ببلده للأدب رأية لا تحجم ، وأصبح فيها يسوي ويلجم ، فإن نسب ، جرى ونظم نظم الجمان المحامد ، وإن ابن ورثى ، غبر في وجوه السوابق ، وحنا ، ولما اتفق كساد سوقه ، وضياق حقوقه ، أخذ بالحزم ، وأدخل على حروف علايه عوامل الجزم ، يسقط على الدول سقوط الغيث ، ويحل كناس الظبا وغاب الليث ، شيع العجائب ، وركض النجائب ، فاستضاف بصرام ، وشاهد البرابي والأهرام ، ورمى بعزمته الشأم ، فاحتل ثغوره المحوطة ، وتوجه الغوطة ، ودخل دمشق ، ثم عاجلها بالعراق ، فحيا بالسلام مدينة السلام ، وأورد بالرافدين رواحله ، ورأى اليمن وسواحله ، ثم عدل إلى الحقيقة عن المجاز ، وتوجه إلى شأنه الحجاز ، فاستلم الركن والحجر ، وزار القبر الكريم لما صدر ، وتعرف بمجتمع الوفود بملك السود ، فغمره بإرفاده ، وصحبه إلى بلاده ، فاستقر بأول أقاليم

العرض ، وأقصى ما يعمر من الأرض ، فحل بها محل الحمر في الغار ، والنور في سواد الأبصار ، وتقيد بالإحسان ، وإن كان غريب الوجه واليد واللسان ، وصدرت عنه رسائل أثناء إغرابه ، تشهد بجلالة آدابه ، وتعلق الإحسان بأهدابه .

نثره فمن ذلك ما خاطب به أهل غرناطة بلده ، وقد وصل إلى مراكش : سلام ليس دارين شعاره ، وحلق الروض والنضير به صداره ، وأنسى نجدا شمه الزكي وعراره ، جر ذيله على الشجر فتعطر ، وناجى غصن البان فاهتز لحديثه وتأطر ، وارتشف الندى من ثغور الشقائق ، وحيا خدود الورد تحت أردية الحدائق ، طربت له النجدية المستهامة ، فهجرت صباها ببطن تهامة ، وحن ابن دهمان لصباه ، وسلا به التميمي عن رياه ، وأنسى النميري ما تضوع برقيب من بطن نعمايه ، واستشرف السمر والبان ، وتخلق بخلوقة الآس والظيان ، حتى إذا راقت أنفاس تحياته ورقت ، وملكت نفائس النفوس ، واسترقت ، ولبست دارين في ملائها ، ونظمت الجوزاء في عقد ثنائها ، واشتغل بها الأعشى عن روضه ولهى ، وشهد ابن برد شهادة أطراف المساويك لها ، خيمت في ربع الجود بغرناطة ورقت ، وملأت دلوها إلى عقد ركبه ، وأقبلت منابت شرقها عن غربه ، لا عن عرفه ، هناك تترى لها صدور المجالس تحمل صدورا ، وترايب المعالي تحلى عقودا نفيسة وجذورا ، ومحاسن الشرف تحاسن". <الإحاطة في أخبار غرناطة ـ موافقا للمطبوع ١/١٧١>

٤٣-"- فشت الأوبئة والأمراض، فهلكلت المواشي، وكثرت الأموات طرحى على الطرقات، وزاد عددهم في القاهرة في كل يوم عن مائتي نفس وبقى بمصر من لم يوجد من يقوم على كفنه ودفنه، وكان أكثرهم يموت جوعا (١) ويبدو لنا أن ما حدث من نزاع في البيت الأيوبي بين العزيز عثمان وأخيه الأفضل علي، ومكائد ودسائس عمهما الملك العادل التي زادت من شقة الخلاف بينهما لصالحه الذاتي، شغلت العزيز عثمان عن وضع حد لتلك الضائقة الاقتصادية، ولم تساعده على تفادي هذه الكارثة التي أثرت تأثيرا كبيرا في حياة المصريين اجتماعيا واقتصاديا (٢).

١- سبب وفاته: توفي الملك العزيز بداره بالقاهرة وكان على عزم الصيد في أعمال الفيوم، فخيم تلك الليلة عند الأهرام فقيل، إنه أصبح وركض خلف صيد، فكبابه، الفرس مرة بعد أخرى، .. فتفاقم ألمه، وأقام يومين أو ثلاثة لا يستطيع له مخلوق إعانة ولا إغاثة ثم حم حمامه، وأظلمت بفجيعته أيامه، وقبر في دار، لينقل منها إلى دار قراره (٣).

---

(١) صلاح الدين والصليبيون ص ١٧٢.

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٢.

(٣) كتاب الروضتين (٤/٤٤٤).". <الأيوبيون بعد صلاح الدين ١/٤٣>

٤٤-"

(صليت بنار الشوق ثم رثت إلى ** إنسانها في لجة قد عاما)

(وتسلسلت عبراتها شوقا لمن ** وقفت عليه صلاتها وسلاما)

(خير الأنام محمد الهادي الذي ** أردى الضلال وجب منه سناما)

(كنز العوالم سر طينة آدم ** ولحفظ ذاك السر جاء ختاما)

(وأجل أرسال الإله ومن به ** قد لاذ يونس حين خاض ظلاما)

(وتقاصرت عن فرده أعدادهم ** فلذا تقدم في الحساب إماما)

(أسرى إلى السبع الطباق فأقبلت ** زمر الملائك وفده إعظاما)

(في ليلة غصت بأملاك السما ** فتسير خلف ركابه وإماما)

(يا خير من بهر المعاند شأنه ** عجزا فغص بريقه إفحاما)

(أعيي جلالك أن يحيط بوصفه ** وصف البليغ وأخرس الأقلاما)

(صلى عليك الله ما زار الحيا ** روضا ففتح زهره الأكماما)

(ما لذتي في مدح غير مخلصا ** إلا بمدحي من بينك إماما)

(خير الورى وإمامها المنصور من ** في ظل دولته الأنام أناما)

(أضفى على الأرضين ظل مهابة ** فحمى بها حام العباد وساما)

(وسما على الدنيا عقاب تنوفة ** فانقض يفترس الأسود بهاما)

(قل للملوك هبوا لمالككم فدى ** وخذوا لأنفسكم لديه ذماما)

(هذا الذي يحيي البلاد بعدله ** ويعيدها نشرا وكن رماما)

(هذا الذي وعد الإله بأنه ** يطوي البلاد ويفتح الأهراما)

(يا مشبه المهدي في آرائه ** حزما وفي عزماته إقداما)

(أنت الذي ببنيه أبناء العلا ** أرسى البلاد ووطد الإسلاما)

(فكأنها من حولك الأشبال في ** غاب الوشيج تبوأت آجاما)

(وأمينها المأمون عضب سمامها ** علم أناف على الهضاب سناما)

(وأجل مضطلع تخيره الورى ** بعد الإمام فقدموه إماما)

(وحباه أحمد عهد أمة أحمد ** فوفى فكان لرعيه المعتاما)

(لا يعدون النصر سيفك أنه ** سيف يحوط الدين والإسلاما)

(خذها ينم على العبير مديحها ** ويفض عن مسك الختام ختاما)

وقال العلامة مفتي الحضرة أبو مالك المولى عبد الواحد بن أحمد

". <الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٥/١٥٥>

٤٥-"الدكتور جمال الدين الخضور

عودة التاريخ

- الانتربولوجية المعرفية العربية

/ دراسة في الأناسة المعرفية العربية التاريخية- اللغوية ووحدتها/

الجزء الأول

حتى الألف الثاني قبل الميلاد

الدكتور جمال الدين الخضور

عودة التاريخ

- الانتربولوجية المعرفية العربية

/ دراسة في الأناسة المعرفية العربية التاريخية- اللغوية ووحدتها/

.

الجزء الأول

حتى الألف الثاني قبل الميلاد

دراسة

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٧

الفصل الأول

مقدمة في الأنتربولوجية

المعرفية العربية التاريخية:

ليست الحضارة العربية قفزات في فراغ متقطع وليس علم الأناسة العربي، لصاقات لتطور عشوائي يرتطم بجدران حضارات محيطية أحيانا، وبنفسه وتركيبته أحيانا أخرى، لينطوي على أحادية في الرؤية أو النمو... إن الأناسة العربية " الأنتربولوجية"

المعرفية، والحضارة العربية، كل متكامل متواشج متصاعد، حلزوني متواصل، يستند على عمق الأرض والجغرافية، ويصعد بهامته إلى السماء. لقد كان إنساننا في هذه المنطقة ثمرة التعاضد بين جهوده التطورية وتفجير الطبيعة عن قدرة خلاقة وقاسية، فصب الاثنان ماءهما في فسحة المكان التي فتحت صدرها لقلق الانسان وهو يلتقط السنين تجتر بعضها فنحتها على المكان الخالد، في قلب الكهوف وعلى ضفاف الأنهار. وعندما انتقل تحدي الزمن إلى عتبات الحضارات الجليلة، بدأ الإنسان ينقل قلقة ذاك، إلى جدران الزقورات، والأهرام وأعمدة المعابد في بعلبك وتدمر والكرنك.. كل ذلك في وحدة أناسية متكاملة مترابطة، لاتعروها سمة لفصام أو لانفصال أو لتصدع.

ولم يكن ذلك القلق معزولا عن السمو الروحي، بل شكلا وجهين متداخلين لسيرورة الانسان الراقي، عندما حط في مقدمة الإنسانية النمو التالي للديانة الأتونية التوحيدية في ارتقاء صعب لأخناتون، كان من نتيجته تلك الرؤية الشفافة لما في الكون كله..". <الانتربولوجية المعرفية العربية ص/١>

٤٦-"٢- الميثولوجيا العربية الفلسفية الأولى- وفيها بدأ الانسان العروبي يجيب عن أسئلة الحياة الأولى، وآلية علاقته بالطبيعة وبالجماعة البشرية وآلية الانتاج الاجتماعي، وحل إشكاليات رؤيته للزمان والمكان والخلق والموت والحياة والبعث والفرح والحزن. وانطلق بمنظومته ليجيب عن أسئلة السماء والأرض، وارتفع بمكانه عبر الزقورات والأهرام وغيرها، لأنه لايستطيع التأثير بفعل السماء فبدأ محاولا الارتقاء بجسده نحو السماء، فعندما اكتشف عجزه، بدأ بالتفكير التجريدي الأولي وطوره لاحقا عبر منظومة ميثولوجية تطورت بانتظام.

٣- الديانات التوحيدية العروبية الأولى وتمثلها الديانة الأتونية والمسيحية والصابئة والأحناف

٤- لاسلام، وقد أعطيناه مجموعته المستقلة لأنه كان الشكل الأرقى بمفاهيم الإجابة عن التطور التاريخي لعلاقة الفكر العربي بأسئلة الحياة والمجتمع والموت والحياة.. الخ.

وهكذا نلاحظ أن التاريخ العربي يشكل ببنائه الشاقولي تراكما كميا متواصلا صاعدا مع ارتقاءات نوعية هامة.

فعلى الجانب اللغوي قدمنا تصنيفنا الخاص بذلك، وعلى الجانب المعتقدي أيضا، ويمكننا من الناحية الحقوقية اعتبار شريعة حمورابي صعودا نوعيا خاصا، عندما نحاول دراسة الفكر العروبي من جانب تطوره القانوني باعتباره قفزة نوعية استندت على تراكمات كمية هامة تاريخيا وذلك ضمن السياق التالي:

أ- المنظومة الحقوقية العروبية البدئية حددت علاقة الانسان بذاته وبمن حوله في سيرورة التطور المجتمعي، كما حددت علاقته بالهرمية الميثولوجية الملازمة لآليات الملكية والتوزيع وغيرها/(المشاعية العروبية البدئية).". <الانتربولوجية المعرفية العربية ص/٢٢>

٤٧-""ر م ث" Rmt رابطا بينه وبين الرمز الذي يقرأ (ر م ث) Rmt (ناس، بشر) وكذلك الرموز التي وردت في (نصوص الأهرام) المتأخرة نسبيا. وهنا لا بد من تدارك الخطأ الذي وقع. ففي النصوص المصرية المتقدمة على نصوص (الأهرام) توجد الكلمة في صورة (ر ث) بدون وجود حرف الميم. فالأمر الموثوق للغاية به أن البشر يدعون "رث" Rt

وليس "ر م ث". تلاحظ أولا أن"رث"Rt تأتي بمعنى إنسان (مفرد) واحد كما تأتي بمعنى "أناسي، بشر" (جمع) وفي حالة المفرد ترسم صورة رجل محددا الأفراد. أما إذا قصد الجمع فترسم صورة رجل وإمرأة دلالة الجمع. والمثير للانتباه أن"رث" لا تلحقها واو الجماعة، إذ لا توجد" رث و"Rtw قط في قاموس اللهجة المصرية. واو الجماعة في المصرية، كالعربية المعاصرة تماما، وترد كثيرا جدا في حالة الجمع، فلماذا انتفت في حالة "رث"Rt؟

انتفت –كما يقول الدكتور الباحث علي فهمي خشيم، لأن المقصود معنى آخر غير الذي ترجمه العلماء بكلمات "بشر، ناس، الجنس البشري، ونحوها" فالمعنى هنا شيء من قبيل: الأصل، الاساس، الأول– في حالة إفراد، وقد يكون العرق.

والمكافئ لكلمة "رث" في اللهجة المصرية كلمة "رس" في العربية الفصحى المعاصرة "وقد تعاقبت الثاء المثلثة والسين، كما تتعاقب الآن في لهجة عرب مصر المحدثين بالضبط، أو عرب بلاد الشام فيبدلون الثاء سينا فيقولون: أساس=أثاث، سلاسة=ثلاثة، سم=ثم، مسلا=مثلا وغيرها فما معنى الرس في العربية؟

فيقول ابن منظور: "في حديث ابن الأكوع: إن المشركين راسونا للصلح وابتدأونا به.. معناه: فاتحونا، من قولهم: بلغني رس من خبر، أي أوله. والرس: ابتداء الشئ. والرسيس: الشيء الثابت. و"رس وأرس: دخل وثبت".

فالرس إذن يفيد البداية والمفتتح والأولية والثبات أي "الأصلية"– الأولية والتجذر=البداية والثبات) وهو ما قصده المصريون الأول من إطلاق "رث" على أنفسهم.". <الانتربولوجية المعرفية العربية ص/١٦٠>

٤٨–"حاول أن يعامل المكان بما تطرحه منظومته الفكرية، فحاول الارتقاء إلى الأعلى بالمكان والأرض لأن السماء لا يمكن أن تأتي إليه، فبنى الزقورات والأهرام، من ثم المساجد... والكنائس ليس فقط كأماكن للعبادة، بل كرمز ارتقاء بنفسه نحو الأعلى. حتى حدود اليمين والشمال نسبة لتوجهه إلى الشرق، فأصبح اليمين ذو الصلة الوثيقة باليمن والبركة والخير، وما يقع على يمين الشمس، ومنها اليمن السعيد، ومنها أقسم اليمين، ومنها تيامن أي ذهب في اتجاه اليمين، وتشامل أي ذهب في اتجاه الشمال، ومنها الأعسر الذي يستعمل يده اليسرى، ومن ذلك أيضا الطائر الميمون، ومنها أيضا كيف يؤتى الإنسان يوم القيامة كتابه إما بيمينه فينقلب إلى أهله مسرورا أو بشماله وهو الذي يصلى سعيرا. حتى أن الطائف في الحج قبل الاسلام كان ينطلق من الحجر الأسود أي من المشرق ثم "يبدأ بآساف فيستلمه ثم يستلم الركن الأسود ثم يأخذ عن يمينه ويطوف ويجعل الكعبة عن يمينه فإذا ختم طوافه سبعا استلم الركن، ثم استلم نائلة فيختم بها طوافه"(١٠٣) وسنتطرق باسهاب إلى علاقة العربي بالمكان (الفضاء) في فصول لاحقة، أما ما يخص الزمان فسندرسه مع البنية الميثولوجية، لكن الزمن بوصفه من الأمور المجردة، لم يترك بقياسه الفيزيائي، بل كما تعامل العربي مع المكان بحيث تفاعل معه وصبغه بألوانه وبنيته وبمعرفته، أيضا تعامل مع الزمن الكوني باعتباره جزءا مكونا لحياة الانتاج الاجتماعي. وبالتالي لم يعد الزمن بمفهومه السابق يجري في ذاته ولذاته دون أية علاقة مع أي موضوع خارجي في نسق تتتابع فيه الخطوات تتابعا رتيبا في مجرى خطي، بل ارتبط الزمن العروبي تاريخيا ومنذ مراحل ما قبل التاريخ بنسقين اجتماعيين. أولهما بالطقوس الدينية والميثولوجية بحيث ينقسم إلى فترات حساسة هامة تفقد عقد التشابه بين خطواته. وثانيهما ارتباطه بالآلية الاجتماعية

الانتاجية.". <الانتربولوجية المعرفية العربية ص/١٩٤>

٤٩-"فشل (الإرهاب الفلسطيني) ضد إسرائيل ، وعدم تحقيق حركة فتح بعد ٢٣ عاما من إنشائها أي إنجاز حقيقي ، أمر يدعو إلى الإحباط ، كما أن نتائج حرب سلامة الجليل* عمقت هذا الإحباط ، بما ألحقته من ضربة قاسية لحلم الاستقلال السياسي الفلسطيني .

الوجود الإسرائيلي في المناطق المحتلة ، ممثلا بأكثر من ٦٠ ألف يهودي ، يشكلون نحو ١٠ ٪ من السكان المحليين ، وهذا وجود ضخم ، يبرز جيدا للعيان في كل مكان ويتسبب في التحريض.

الجمود السياسي في المنطقة ، فحقيقة أن مسار السلام ثبت في مكانه ، وأنه لا تلوح ثمة فرصة قريبة لحل قريب للمشكلة الفلسطينية هي عنصر تحفيز .(١)

سمات الانتفاضة وأهدافها :

... مثلت الانتفاضة تحولا في معادلة الصراع ، ولعل أهم محاورها أنها نبعت من الداخل المحتل ، من خلال نهوض جماهيري شامل للشعب ، التحم مع الطليعة التي تزايدت قدراتها النضالية وخبراتها على مدى اثنين وعشرين عاما ، في وحدة الداخل مع الخارج في سبيكة واحدة ، وصفها مراسل ياباني بأنها "تضم جميع الأجيال ابتداء من ابن السابعة حتى ابن السبعين " (٢).

... وكانت أدوات الانتفاضة التي واجهتها قوات الاحتلال بكل ما احتوته جعبتها العسكرية بدائية متواضعة مثل : الحجارة ، زجاجات المولوتوف ، المتاريس ، الإطارات المشتعلة ، العصي ، الشباك ، الكرات الحديدية ، شرائح الصاج ، السهام ، المقلاع ، السكاكين والشفرات ، المشارط ، العبوات الحارقة ... إلخ .

... وكان من أبرز خصائص وسمات الانتفاضة ، النقاط الآتية :

هي الأطوال زمنيا : ليس بوضعها الراهن فحسب ، وإنما بآفاقها المستقبلية لأنها قادرة على تغذية ذاتها ، ولأن روادها هم الجيل الأصغر سنا .

---

(١) الهيئة العامة للاستعلامات : نشرة عن الانتفاضة ، غزة ، ١٩٩٦، ص٦ .

(٢) الخولي ، لطفي ، الانتفاضة والدولة الفلسطينية ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص١٣ .".

<الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة ص/٨١>

٥٠-"... وكان رد الفعل الإسرائيلي على الانتفاضة في حالة تصاعد مستمر ، فالقتل والضرب ، وسياسة تكسير العظام ، واستعمال الرصاص المطاطي ، والرصاص الحي ، والاعتقالات العامة ، والاستثنائية ، والوقائية ، وفتح ثماني سجون جديدة ، وإغلاق المدارس والجامعات والكليات ، واحتلال المدارس المغلقة وتحويل بعضها إلى معسكرات جيش ومراكز اعتقال ، وتعميم سياسة العقوبات الجماعية مثل : القيود المالية ، هدم البيوت ، مراقبة الصحافة ، والاعتداء على الصحافة

الأجنبية ، واعتبار اللجان الشعبية خارجة عن القانون ، وإقفال المؤسسات والجمعيات الخيرية ، والقيود الاقتصادية كمنع تصدير بعض المحاصيل ، وفرض منع التجوال وخاصة على القرى والمخيمات البعيدة .(١)

... وبقدر ما كانت الانتفاضة مفاجئة لسلطات الاحتلال ، فقد جاءت صورة القمع الإسرائيلي لها مفاجئة للرأي العام الغربي ، الذي اعتاد على سماع الخطاب السياسي الإسرائيلي الموجه عن أوضاع الفلسطينيين في الأراضي المحتلة بصورة معينة ، خاصة الصورة النمطية التي تقدمها أجهزة الإعلام الإسرائيلي عن ديمقراطية إسرائيل ، مقابل الصورة النمطية للإرهاب الفلسطيني المسلح الذي يرغب في تقويض الدولة اليهودية ، فقد كانت المفاجأة عندما نقلت وسائل الإعلام صور دق عظام الأطفال ، إجهاض الحوامل ، فقأ العيون ، بل ودفن الأشخاص أحياء .(٢)

---

(١) أبو سمرة ،يوسف ،الآثار النفسية للانتفاضة على الفلسطينيين ، السياسة الدولية،مؤسسة الأهرام،القاهرة،العدد ٩٦،أبريل ١٩٨٩،ص١٤٦، وكان هؤلاء من الساسة الذين قادوا دولة إسرائيل خلال فترة الانتنفاضة ، بالتناوب مع إجراء الانتخابات الإسرائيلية .

(٢) معلوم ،حسين ، منظمات حقوق الإنسان بين الحقوق الوطنية وقمع الانتفاضة ، مجلة حقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص٨٦ .". <الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة ص/٩٠>

٥١-"الأغا ، نبيل ، مدائن فلسطين : دراسات ومشاهدات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ .

البطش ، جهاد ، الاستيطان الصهيوني في قطاع غزة ،مكتبة اليازجي ، غزة ،ط١ ، ٢٠٠٣ .

جبارة ، تيسير ، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة ، دار الفرقان ، عمان ، ط١، ١٩٩٢ .

الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، الانتفاضة ، المفاوضات ، النظام الإقليمي الجديد ، بدون مكان نشر ، ١٩٩٣ .

الجرباوي ، علي ، الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٩ .

الحمد ، جواد ، تحرير ، المدخل إلى القضية الفلسطينية ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، عمان ، ط ١ ، ١٩٩٧ .

الحوراني ، عبد الله ، قطاع غزة : ١٩ عاما من الاحتلال ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ١ ، ١٩٨٧ .

خليفة ، محمد ، الطلب على العمالة في الفلسطينية في إسرائيل والأراضي المحتلة ، جامعة بير زيت ، رام الله ، ط ١ ، ١٩٩٦ .

الخليلي ، علي ، الصحافة الفلسطينية والانتفاضة ، الإعلام الموحد ، منظمة التحرير الفلسطينية ، تونس ، ط١، ١٩٩٠ .

---------- ، الانتفاضة والصحافة المحلية ، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية ، القدس ،ط١ ، ١٩٨٩ .

الخولي ، لطفي ، الانتفاضة والدولة الفلسطينية ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٨ .

الدجاني ، أحمد صدقي ، الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية ، ار المستقبل العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨ .

--------- ، الانتفاضة الفلسطينية والتحرير، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ط١، ١٩٨٩ .

الدجاني ، عبلة ، المرأة والطفل في مواجهة الغزوة الصهيونية ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٢ .

دعنا ، عبد العليم ، شهداء الحركة الوطنية الأسيرة ، رابطة الجامعيين ، الخليل ، ط١ ، ١٩٩٤ .". <الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة ص/٣٥٢>

٥٢-"الجنيدي ، سليم ، المستقبل السياسي للأراضي المحتلة في المنظور الإسرائيلي ، مجلة شؤون عربية ، جامعة الدول العربية ،العدد ٦٠ ، ديسمبر ١٩٨٩ .

حافظ ، صلاح الدين ، صحافة تحت الاحتلال ، مجلة الدراسات الإعلامية ، المركز العربي للدراسات الإعلامية ، القاهرة ، العدد ٤٦ ، يناير ١٩٨٧ .

حسن ، عصام ، انتهاكات الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في الأرض المحتلة، مجلة حقوق الإنسان،المنظمة العربية لحقوق الإنسان،القاهرة،العدد ٢٢ ، ديسمبر ١٩٨٨ .

الحسن ، نافع ، الأسانيد القانونية لمساءلة إسرائيل ومطالبتها بالتعويض ، مجلة القانون والقضاء ، ديوان الفتوى والتشريع ، غزة ، العدد ٨ ، يونيو ٢٠٠٢ .

الحلو ، محمد ، وعفانة ، عزو ، المؤثرات السلوكية والسيكولوجية للانتفاضة ، مجلة الجامعة الإسلامية ، غزة ، يوليو ١٩٩٤ .

الدجاني ، أحمد صدقي ، قضية المبعدين الفلسطينيين : الأهداف والأبعاد ، محاضرات الموسم الثقافي ، مؤسسة الثقافة والفنون ، أبو ظبي ، العدد التاسع ، ١٩٩٢ .

الرملاوي ، نبيل ، حقوق الشعب الفلسطيني في ضوء القانون الدولي ، مجلة شؤون فلسطينية ، مركز أبحاث م.ت.ف ، تونس ، ع٢٢٥، يناير ١٩٩٢ .

زريق ، إيليا ، الحصاد الدامي لفرق الموت الإسرائيلية ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، العدد ١٠ ، ربيع ١٩٩٢ .

سعادة ، عمر ، الانتفاضة ومؤسسة الأمن الإسرائيلية ، شؤون فلسطينية ، ع١٨٨ ، نوفمبر ١٩٨٨ .

السعدي ، خليل ، شهادة طبيب إسرائيلي على ممارسات الجنود الإسرائيليين، شؤون فلسطينية ، ع١٨١،أبريل ١٩٨٨ .

سليمان ، محمد ، الانتفاضة مصطلح الحدث في صحافة فلسطين تحت الاحتلال ، فلسطين الثورة ، العدد ٨١١، ١٩٩٠/٩/٩.

أبو سمرة ، يوسف ، الآثار النفسية والاجتماعية للانتفاضة داخل المجتمع الفلسطيني ، مجلة السياسة الدولية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، العدد ٩٦،أبريل ١٩٨٩ .

سوداح ، سعادة ، رصاص أكثر ، مجلة فلسطين الثورة ، العدد ٨٦٠ ، ١٩٩١/٩/٢٢.". <الانتفاضة الفلسطينية الكبرى

في قطاع غزة ص/٣٦١>

٥٣-" أخوه ونائبه عليها الملك العادل سيف الدين أبو بكر إلى عند بحر القلزم ومعه من الهدايا شيء كثير من المآكل المتنوعة وغيرها وكان في صحبة السلطان العماد الكاتب ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك فجعل يذكر محاسنها وما اختصت به من بين البلدان وذكر الأهرام وشبههما بأنواع من التشبيهات وبالغ في ذلك حسب ما ذكر في الروضتين وفي شعبان منها ركب الناصر إلى الإسكندرية فأسمع ولديه الفاضل علي والعزيز عثمان على الحافظ السلفي وتردد بهما إليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان وعزم الناصر على تمام الصيام بها وقد كمل عمارة السور على البلد وأمر بتجديد الأسطول وإصلاح مراكبه وسفنه وشحنه بالمقاتلة وأمرهم بغزو جزائر البحر وأقطعهم الإقطاعات الجزيلة على ذلك وأرصد للإسطول من بيت المال ما يكفيه لجميع شئونه ثم عاد إلى القاهرة في أثناء رمضان فأكمل صومه وفيها أمر الناصر ببناء مدرسة للشافعية على قبر الشافعي وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشاني مدرسها وناظرها وفيها أمر ببناء المارستان بالقاهرة ووقف عليه وقوفا كثيرة وفيها بنى الأمير مجاهد الدين قيماز نائب قلعة الموصل جامعا حسنا ورباطا ومدرسة ومارستانا متجاورات بظاهر الموصل وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله وله عدة مدارس وخوانقات وجوامع غير ما ذكرنا وكان دينا خيرا فاضلا حنفي المذهب يذاكر في الأدب والأشعار والفقه كثير الصيام وقيام الليل وفيها أمر الخيلفة بأخراج المجذومين من بغداد لناحية منها ليتميزوا عن أهل العافية نسأل الله العافية وذكر ابن الجوزي في المنتظم عن أمرأه قالت كنت أمشي في الطريق وكأن رجلا يعارضني كلما مررت به فقلت له إنه لاسبيل إلى هذا الذي ترومه مني إلا بكتاب وشهود فتزوجني عند الحاكم فمكثت معه مدة ثم اعتراه أنتفاخ ببطنه فكنا نظن أنه استسقاء فنداويه لذلك فلما كان بعد مدة ولد ولدا كما تلد النساء وإذا هو خنثى مشكل وهذا من أغرب الأشياء وفيها توفي من الأعيان علي بن عساكر علي بن عساكر

ابن المرحب بن العوام أبو الحسن البطائحي المقرى اللغوي سمع الحديث وأسمعه وكان حسن المعرفة بالنحو واللغة ووقف كتبه بمسجد ابن جرارة ببغداد توفي في شعبان وقد نيف على الثمانين

محمد بن عبد الله ابن القاسم أبو الفضل قاضي القضاة بدمشق كمال الدين الشهرزوري الموصلي وله بها مدرسة على الشافعية وأخرى بنصيبين وكان فاضلا دينا أمينا ثقة ولي القضاء بدمشق لنور الدين الشهيد محمود بن زنكي واستوزره أيضا فيما حكاه ابن الساعي قال وكان يبعثه في الرسائل كتب ". <البداية والنهاية ١٢/٢٩٦>

٥٤-"١٣٩١هـ/١٩٧١م (١) ... ٤٢٥٠٠٠٠ ... ١٤٨٢٤٣٠ ... ٣٩,٥٧ بالمئة

١٤٠١هـ/١٩٨١م (٢) ... ٤١٢٤٠٠٠ ... ١٦٣٠٠٣٣ ... ٣٩,٥ بالمئة

١٤١٢هـ/١٩٩١م (٣) ... ٤٥٠٠٠٠٠ ... ٤٣,٧ بالمئة

و فيما يلي - بمشيئة الله تعالى و توفيقه - سأسلط مزيدا من الضوء على هؤلاء السكان ، و أتناول أصولهم و طبقاتهم و أحوالهم من جوانب عدة .

المبحث الثاني

التركيبة السكانية في البوسنة

و الهرسك

المطلب الأول : سكان البوسنة الأصليون :

إن سكان البوسنة المعروفين بالبشانقة اليوم – و إن كانوا يشكلون القومية الأولى و الأشهر في البوسنة و الهرسك – ليسوا أهل البلاد الأصليين ، و لكنها آلت إليهم بعد حروب ضروس بين أجدادهم الصقالبة (السلاف) ، و من سبقهم إلى هذه البلاد كالرومان ، و الدياستيين (٤) و غيرهم .

و إذا كان الصقالبة (و منهم البوشناق) قد نزلوا في البوسنة في القرن الأول من الهجرة / السابع من الميلاد فإنهم آخر – و ليسوا أول – من استوطنها ، حيث إن البوسنة كانت مأهولة منذ أقدم العصور ، حتى إن بعض مناطقها ، كمدينة ترافنيك

---

(١) ... الدكتور محمد الأرناؤوط : الإسلام في يوغسلافيا ، ص : ٢٠٩ .

(٢) ... حسين عبد القادر : انشطار يوغسلافيا ، ص : ٣٨.

(٣) ... عن صحيفة (الأهرام) القاهرية الصادرة بتاريخ ١٤١٢/١٢/١٠ هـ الموافق ١٩٩٢/٦/١٠ م .

(٤) ... الديالستيون : قبيلة من المقاتلين الأشداء كانت مستقرة في البوسنة الوسطى ، هزمهم الرومان في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد مما أدى إلى تلاشي وجودهم في تلك المنطقة .

انظر : نويل مالكوم : البوسنة BOSNIA : A SHORT HISTORY: Noel Malcom

ترجمه إلى العربية : عبد العزيز توفيق جاويد ، ص : ٢٣ .". <البوسنة والهرسك دراسة عامة ص/١٣>

٥٥-" عيسى

وكان مع يازكوج في الحجبة بها جهاركس وسنقر الكبير وعز الدين أسامة وسراسنقر

وفيها بعد عوده من دمشق جد في نقض الأهرام ورمى أحجارها في البحر إلى دمياط ليبني بها أبراجا

وفيها وصل الملك المعظم والملك الأشرف من قلعة جعبر إلى أبيهما العادل بدمشق

وفيها نزل الفرنج على تبنين وجرى عليها من الزحف والقتال وأخذ النقوب ما لا يوصف

ووصل الملك العزيز بعساكره واستنقذها منهم عنوة وعاد إلى بلاده بعد أن كانت أشرفت على الأخذ

". <التاريخ المنصوري ص/٥>

٥٨-"ويعتقدون أن المسيحيين سيدانون فقط من خلال الأعمال التي يقدمون بها مصلحة إسرائيل وسيتعرضون إلى حساب آخر مخفف إذا ما شاركوا في أعمال تهدف إلى تقديم المساعدة والدعم لدولة إسرائيل الحديثة.(١) يقول برنارد ريتش في كتابه "الولايات المتحدة وإسرائيل"إن القادة السياسيين في أمريكيا وخاصة منهم الرؤساء يتبنون وجهة النظر الدينية المؤازرة لإسرائيل، سواء في ذلك الرئيس ويلسون أو الرئيس ترومان اللذان يعترفان بالتأثير الديني مع قراءاتهما للأحداث وكذلك ليندون جونسون الذي صرح أمام إحدى الجمعيات اليهودية عام ١٩٦٨ : أن علاقة الرؤساء الأمريكيين بإسرائيل يصدق عليها قول الكاتب اليهودي الأمريكي جدون بيتي "إن الرؤساء الأمريكيين ينحنون أمام الصهيونية كما ينحني المؤمن أمام قبر مقدس".

والعقيدة الصهيونية المسيطرة على عقلية الحزب الجمهوري الحاكم في أمريكا التي تبشر بقدوم المسيح المخلص بعد معركة تجري بين المسيحيين وأعدائهم، تسمى ب"معركة هرمجدون(٢)" التي تعتقد الكنائس المسيحية بأن المسيحية ستحقق فيها انتصارا كبيرا تسيل فيه الماء مسافة مائتي ميل، بعدها يعم السلام في الأرض لمدة ألف سنة كاملة، وبعدها يرتفع المسيحيون المنتصرون مع السيد المسيح إلى السماء. وخير يشرح هذه المعركة من الوجهة المسيحية الصهيونية كتاب الأمريكية غريس هالسل (الإنجيليون العسكريون في الطريق للحرب النووية) ترجمة للعربية الكاتب اللبناني محمد السماك باسم النبوءة والسياسة. ولمعرفة الدافع الديني وراء الحرب على العراق لابد من دراسة الخلفية الدينية- الصهيونية المسيحية- المؤسسة لتفكير الرئيس الأمريكي بوش:-

---

(١) - الجماعات الصهيونية — المسيحية تدعم تهويد القدس عبر الإنترنت ،عقب محاولات تهويدها جغرافيا و ثقافيا :وكالة الأهرام للصحافة ، صحيفة الاتحاد الإماراتية ٢٤/١٠/٢٠٠٢م.

(٢) - مجدو موقع بفلسطين شمال مدينة جنين.". <الحرب على العراق ص/٣٩>

٦٥-"ولي أيضا الوكالة وقضاء العسكر والمارستان مع نظر ديوان ملك الأمراء وذكر للقضاء ثم تنفر له النائب وصودر وعزل حدث عن الفخر علي وعاش ثلاثا وستين سنة انتهى ورأيت بخط علم الدين البرزالي في تاريخه سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي الحجة وصل الخبر بتولية القاضي جلال الدين بن القلانسي مناصب أخيه وهي تدريس الأمينية والظاهرية والعصرونية وقضاء العسكر المنصور الشامي ووكالة بيت المال وغيرها وفي غير

هذا اليوم وصل توقيع وهو مؤرخ خامس عشر ذي الحجة فتوجه الناس إليه وهنأوه بذلك وقرأوا توقيع السلطان انتهى. وذلك عوضا عن أخيه علاء الدين الماضي قبله ثم درس بها بعده يوم الأربعاء رابع شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبعمائة الإمام البارع في فنون العلم بهاء الدين أبو المعالي وأبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام العالم علاء الدين علي بن سعيد بن سالم الأنصاري الدمشقي المعروف بابن إمام المشهد محتسب دمشق ولد في ذي الحجة سنة ست وتسعين وستمائة وسمع بدمشق ومصر وغيرهما. قال السيد الحسيني في ذيل العبر: وأسمع أولاده وحدث عن الطحاوي وغيره وكتب الطباق بخطه الحسن وتلا بالسبع على الكفري وغيره وتفقه على المشايخ الشيخ برهان الدين الفزاري وكمال الدين بن الزملكاني وكمال الدين ابن قاضي شهبة وغيرهم وأخذ النحو عن الشيخين مجد الدين التونسي١ ونجم الدين القحفازي وبرع في الحديث والقرآت والعربية والفقه وأصوله وأفتى وناظر وكتب الخط المنسوب ودرس بهذه المدرسة كما قال الذهبي في عبره في سنة ست وثلاثين وسبعمائة ودرس بالحسينية وخطب بجامع التوبة وولي الحسبة ثلاث مرات وقال الصفدي: توجه إلى حلب ثم إلى طرابلس وأقام بهما مدة يقريء الناس ويشتغلون عليه في البلدين ثم عاد إلى دمشق وأقام مدة ثم توجه إلى مصر وحضر بين يدي السلطان الملك الناصر على الأهرام وولاه مدرسة الأمينية بدمشق وحضر

_

١ شذرات الذهب ٦: ٤٧.". <الدارس في تاريخ المدارس ١/١٤٩>

٦٨-"الحبل المستطيل من الرمل، وقيل هي الرمال العظيمة، وكثيرا ما تحدث هذه الأحقاف في بلاد الرمل لأن الريح تصنع ذلك، وفي ذلك قال الله تعالى " واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف " ونبيهم هود عليه السلام ولما قال قائلهم " هذا عارض ممطرنا " قيل لهم " بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم " وذلك أن عادا (١) بغت في الأرض وملكها الخلجان ابن الدهم، كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم هودا فلم يجيبوا، فمنعوا المطر ثلاث سنين وأجدبت الأرض فم يدر لهم ضرع وكانت في نفوسهم مع ذلك هيبة الصانع والتقرب إليه بالتماثيل وعبادتها لأنها في زعمهم مقربة إليه، وكانوا يعظمون موضع الكعبة وكان بربوة حمراء، فوفدت عاد إلى مكة وفدا يستسقون لهم ويستغيثون وكان بمكة يومئذ العمالق، فأتى الوفد مكة فأقبلوا على الشراب واللهو حتى غنتهم الجرادتان قينتا معاوية بن بكر بشعر فيه حث لهم على ما وردوا من أجله، وهو:

ألا يا قيل قم عجلا فهينم ... لعل الله يسقينا غماما

فيسقي أرض عاد إن عادا ... قد أمسوا لا يبينون الكلاما

وإن الوحش تأتي أرض عاد ... فلا تخشى لعادي سهاما

وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا إلى الاستسقاء لقومهم، فكان

من أمرهم في مجيء السحب واختيارهم لما اختاروه منها ما هو مشهور، وذلك أن الله تعالى أنشأ سحائب: بيضا وحمرا وسودا ثم نادى مناد من السحاب: يا قيل اختر لقومك، وكانوا قالوا: اللهم إن كان هود صادقا فاسقنا، فقال: اخترت السحابة السوداء، فقيل له: اخترت رمدا رمددا، لا تبقي من عاد أحدا، لا والدا ولا ولدا، إلا جعلته همدا، وساق الله تعالى السحابة السوداء بالنقمة إلى عاد، وفيهم يقول مرثد بن سعد:

عصت عاد رسولهم فأضحوا ... عطاشا ما تبلهم السماء

ألا قبح الإله حلوم عاد ... فإن قلوبهم قفر هواء فأرسل الله تعالى عليهم الريح العقيم كما قال عز وجل " ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم " خرجت عليهم من واد لهم، فلما رأوا ذلك قالوا " هذا عارض ممطرنا " وتباشروا بذلك، فلما سمع هود ذلك من قولهم قال " بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم " ، فأتتهم الريح يوم الأربعاء فلم تأتهم الأربعاء الثانية ومنهم حي، فمن أجل ذلك قيل: أربعاء لا تدور ثم انفرد هود ومن معه من المؤمنين، وفي ذلك يقول شاعرهم:

لو أن عادا سمعت من هود ... واتبعت طريقة الرشيد

ما أصبحت عاثرة الجدود ... صرعى على الآناف والخدود وروى الكلبي (٢) عن رجاله عن الأصبغ بن فلان (٣) ، قال: كنا عند علي رضي الله عنه في خلافة عمر رضي الله عنه، فسأل رجل من حضرموت فقال: أعالم أنت بحضرموت؟ فقال: إذا جهلتها فما أعلم غيرها، فقال: أتعرف موضع الأحقاف؟ قال: كأنك تسأل عن قبر هود عليه السلام، قال: نعم، قال: خرجت وأنا غلام في أغيلمة من الحي نريد أن نأتي قبره لبعد صيته، فسرنا في وادي الأحقاف أياما وفينا من قد عرف الموضع، حتى انتهينا إلى كثيب أحمر فيه كهوف، فانتهى بنا ذلك الرجل إلى كهف منها فدخلناه وأمعنا فيه فانتهينا إلى حجرين قد أطبق أحدهما فوق الآخر وفيه خلل يدخل منه النحيف متجانفا، فرأيت رجلا على سرير شديد الأدمة كث اللحية قد يبس على سريره وإذا لمست شيئا من جسده وجدته صلبا، وعند رأسه كتابة بالعربية: أنا هود الذي آمنت بالله وأسفت على عاد لكفرها وما كان لأمر الله من مرد، فقال علي رضي الله عنه: كذلك سمعته من أبي القاسم صلى الله عليه وسلم.

اخميم (٤)

مدينة في البلاد المصرية في الجانب الشرقي من النيل لها ساحل، وهي مدينة كبيرة قديمة فيها أسواق وحمامات ومساجد كثيرة وفيها من البرابي وعجائب المباني والآثار ما يعجز الوصف عنه وهي بصعيد مصر.

وكان سوريد بن سهلون (٥) صاحب الأهرام ملكا عاقلا عالما أوتي علما

---

(١) ورد خبر عاد في عدة مصادر، انظر الطبري ١: ٢٣١ - ٢٤٤ وأخبار الزمان: ٨١ - ٨٢، وكتب التفسير (سورة الأحقاف) وكتب الأمثال، والبكري (مخ): ١٠.

(٢) قارن بمعجم ما استعجم ١: ١١٩.

(٣) الأصبغ بن نباتة عند البكري.

(٤) الاستبصار: ٨٤.

(٥) أخبار الزمان (١٠٨): فيلمون؛ حسن المحاضرة: سهلوق؛ الاستبصار: ٥٢ شوندين بن سلمون.". <الروض المعطار في خبر الأقطار ص/١٥>

٦٩-"وحكمة، فكان يتعهد مصالح رعيته، واتخذ مرآة من أخلاط أقامها على منار في وسط قصره بمكان ينظر فيها جميع الأمم والأقاليم ويقابل ذلك بما يصلحه، وقد كان عهد إلى رئيس كهنته أن يأمرهم بالنظر في كل يوم فيما يحدث في العالم ويخلد ذلك في كتاب، فجمع إليه العلماء والكهناء والمنجمين من جميع الأقطار وعملوا له ما أراد من جميع الطلسمات وغير ذلك. وفي أيامه بنيت الأهرام (١) التي بأرض مصر بسبب أن هذا الملك كان رأى رؤيا هالته: رأى الكواكب البابانية (٢) في صور طير بيض كأنها تخطف العالم وتلقيهم بين جبلين وكأن الجبلين انطبقا عليهم، وكأن الكواكب النيرة مظلمة كاسفة كلها، فأخبر بذلك كهانه وعلماءه، فأولوا ذلك على أنه يدل على آفة نازلة من السماء مفسدة للأرض وأهلها وحيوانها وقالوا له: هي آفة محيطة بأقطار الأرض إلا اليسير، وذلك إذا نزل قلب الأسد في أول دقيقة من السرطان وتكون الشمس والقمر في أول دقيقة من الحمل، فقدر الملك أن ذلك غرق يأتي على الأرض ومن فيها، فأمر ببناء الأهرام والبرابي لتخليد علومهم وصناعاتهم وسير ملوكهم وسنتهم في رعيتهم، وأمر ببناء أعلام عظام تكون خزائن أموالهم وكنوزهم وذخائرهم وقبورا لهم تحفظ أجسادهم من الفساد، وأمر أن يكون ذلك كله في حجر صلد لا تغيره الدهور ولا يفسده الطوفان، وقيل أمر ببناء هذه الأهرام والبرابي من حجارة ومن طين، فإن كان هذا الحادث ماء ذهبت التي هي من طين وبقيت التي هي من حجارة، وإن كانت نارا ذهبت التي هي من حجارة وبقيت التي هي من طين، فكان ذلك الحادث ماء فذهبت الطين وبقيت الحجارة، ثم اختار موضعا لبناء تلك الأعلام، بقرب النيل في الجانب الغربي منه، وجعل طول حائط الهرم مائة وخمسين ذراعا في عرض مثل ذلك، وارتفاعه في السماء أربعمائة ذراع وعمقها تحت الأرض مثل ارتفاعها فوق الأرض، وعرض الحائط عشرين ذراعا. فلما تم بنيان الأهرام والبرابي أمر الملك أن يكتب على حيطان البرابي وسقوفها جميع الأشياء وغوامض الأمور ودلائل النجوم وعللها وسائر الطبائع وعمل الأدوية وتأليفها ومعرفة العقاقير وأسماؤها وصورها وعلم صنائع الكيمياء وغيرها مما ينفع ويضر، كل ذلك ملخصا مفسرا لمن عرف كتابتهم، وفهمها، ونقش في حيطانها وسقفها جميع الطلسمات، وكتب على كل طلسم خاصيته ونفعه وضرره ولما وضع، وجعل في تلك الأهرام فنونا من الذهب والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرفيعة والجواهر النفيسة، فلما تمت هذه الأهرام والبرابي على ما أراد الملك قال لهم: انظروا هل تفسد هذه الأعلام؟ فنظروا فوجدوها باقية لا تزول، فقال لهم: هل يفتح فيها موضع أو يدخل إليها؟ فنظروا وقالوا: يفتح في الهرم الفلاني في الجانب الشمالي منه، فقال: حققوا النظر في معرفة الموضع نفسه، فنظروا وعرفوه أنه يكون لمدة أربعة آلاف دورة للشمس، والدورة سنة، فقال لهم: انظروا مقدار ما ينفق في فتح هذا الموضع، فنظروا فعرفوه فقال: اجعلوا في الموضع الذي يوصل إليه من داخل الهرم ذهبا مقدار ما ينفق على فتحه، ثم حثهم على الفراغ من بناء الأهرام والبرابي ففرغوا منها في ستين سنة، وأمر أن يكتب عليها: بنينا هذه الأهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد هدمها في ستمائة سنة على أن الهدم أهون من البناء، ثم قال لهم: انظروا هل يكون بمصر بعد هذه الآفة آفة أخرى، فنظروا فإذا الكواكب تدل على وقت نظرهم على آفة أخرى نازلة من السماء تكون في آخر الزمان وهي ضد الأولى: نار محرقة لأقطار العالم، فقال لهم:

هل توقفونا على أمر آخر بعد هذه الأمور؟ فنظروا فقالوا: إذا قطع قلب الأسد ثلثي دورة وهو آخر دقيقة من العقرب لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف، فإذا استتم أدواره تحللت عقد الفلك. فقال لهم: في أي يوم تنحل عقد الفلك؟ فقالوا له: اليوم الثاني من حركة الفلك، فعجب من ذلك وأمر بتخليد ما قاله العلماء من هذه الحكم في الكتب وأن تستودع في تلك الأهرام، فيقال ان فيها علوم الأولين والآخرين.

قالوا (٣) : فلما كان في زمن المأمون بن الرشيد أراد هدم الأهرام، فعرفه بعض شيوخ المصريين أن ذلك غير ممكن ولا يحسن بأمير المؤمنين أن يطلب شيئا لا يبلغه، فقال: لا بد أن أعلم ما فيها، ثم أمر بفتح هرم من أعظمها، ففتح فيه ثلم في جانبه الشمالي لقلة دوام الشمس على من يعمل فيه، فعملوا فيه فوجد حجرا صلدا يكل فيه الحديد، فكانوا يقدون النار عند الحجر

---

(١) ورد الحديث عن الأهرام في كثير من المصادر، وأنظر بخاصة تحفة الألباب: ٧٤ - ٧٧ وخطط المقريزي ١: ٣٠، وحسن المحاضرة ١: ٢٩ - ٣٤،وكثير مما أورده السيوطي أيضا، ولعل المؤلف ينظر في النقل غلى كتاب الاستبصار: ٥٢ وما بعدها.

(٢) كذا في ص ع؛ وفي الاستبصار: الكوكب المعروف بالبانية.

(٣) متابع للاستبصار: ٥٦.". <الروض المعطار في خبر الأقطار ص/١٦>

٧٠-"فإذا حمي رش بالخل ورمي بالمنجنيق بزبر الحديد، وأقاموا على ذلك أياما حتى فتحوا الثلمة التي فيها الآن، فدخلوا ذلك الهرم فوجدوا بنيانه بالحديد والرصاص، ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا، ووجدوا بالقرب من الموضع الذي فتحوا مطهرة من حجر أخضر فيها مال، فقال المأمون: زنوه، فوزنوا الجملة فوجدوا، فيها مالا معلوما، وكان المأمون فطنا فقال: ارفعوا ما أنفقتم على فتح هذه الثلمة، فوجدوه موازيا لما وجد من المال، فعجب المأمون من معرفتهم بالموضع الذي يفتح على طول الزمان، وازداد بعلم النجوم غبطة، ووجد المأمون في الهرم صنما أخضر مادا يده وهو قائم فلم يعلم خبره، ونظر إلى الزلاقة والبئر التي في الهرم وأمر بالنزول فيه، فأفضوا إلى صنم أحمر عيناه من جزعتين سواد في بياض كأنهما حدقتا إنسان ينظر إليهم، فهالهم أمره وقدروا أن له حركة فجزعوا منه وخرجوا، ويقال إنه وجد فيها مالا كثيرا. وسأل المأمون من وجد بمصر من علمائها هل لهذه الأهرام أبواب فقيل لها أبواب تحت الأرض في آزاج مبنية بالحجارة كل واحد منها عشرون ذراعا له باب من حجر واحد يدور بلولب إذا أطبق لم يعرف أنه باب، وصار كالبنيان لا يدخل إليه الذر ولا يوصل إليه إلا بكلام وقرابين وبخورات معروفة، وإن في هذه الأهرام فنونا من الذهب والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرفيع والجواهر النفيسة ما لا يسعه وصف واصف، وفيها من الكتب المستودعة فيها طرائف الحكمة وكمال الصنعة ومن التماثيل الهائلة من الذهب الملون على رؤوسها التيجان الفاخرة مكللة بالجواهر النفيسة ما يستدل به على عظم ملكهم، وجعلوا على ذلك من الطلسمات ما يمنع منه ويدفع عنه إلى أوقات معلومة، وقصدوا بذلك أن تكون تلك الأشياء ذخيرة لأعقابهم ولمن يكون بعدهم ليروا عظيم مملكتهم، ووضعوا أساس تلك الأعلام وقت السعادة، وجعلوا في أساس كل علم منها صنما، وزبروا

في صدورها دفع المضار والآفات عنها، وفي يد كل صنم منها آلة كالبوق وهو واضعه على فيه، والخبر عن هذه الأهرام والبرابي مذكور في المطولات.

ويقال (١) إن ذا النون الإخميمي الزاهد إنما قدر على ما قدر عليه من علوم البربى حتى عمل الصنعة الكبيرة لأنه خدم راهبا كان بإخميم مدة صباه فعلمه قراءة الخط الذي في البربى وعلمه القربان والبخور واسم الروحاني وأوصاه أن يكتم ذلك، فلما علم ذا النون ما علم من علم الكيمياء وغيرها عمد إلى طين الحكمة فطمس به على صنعة الكيمياء حتى لا يبلغ إليها أحد غيره وهو طين لا ينقلع أبدا.

وفي (٢) بعض الأخبار أن قوما قصدوا الأهرام فنزلوا في تلك الآبار وطلبوا أن يدخلوا من تلك المضايق التي تخرج منها تلك الرياح، واحتملوا معهم سرجا في أواني زجاج، فلما حصلوا في تلك المضايق التي تخرج منها الرياح، خرجت عليهم ريح شديدة فأخرجتهم منها، وأطفأت أكثر سرجهم، فأخذوا أحدهم وكان أقواهم جأشا وأشدهم عزما وأصلبهم قلبا، فربطوا وسطه بالحبال وقالوا له: ادخل فإن رأيت شيئا تكرهه جذبناك، فلما دخل المغرور وزاحم تلك الرياح انطبق عليه الفتح فجذبوه فانقطعت حبالهم وبقي ذلك الرجل في ذلك الشق وهم لا يعلمون له خبرا، فصعدوا هاربين حتى خرجوا من تلك البئر واغتموا لما أصاب صاحبهم، فجلسوا عند الثلمة مفكرين في أمر صاحبهم وفي أمرهم وما أقدموا عليه، فبينا هم كذلك إذ انفرجت من الأرض فرجة كالكرة وأنارت لهم ذلك الرجل عريانا مشوه الخلق جامد العينين وهو يتكلم بكلام عجيب لا يفهم، فلما فرغ من كلامه سقط ميتا، فازداد وجلهم وتضاعف حزنهم، وعلموا أنهم خلصوا من أمر عظيم، فاحتملوا صاحبهم واتصلت أنباؤهم بوالي مصر وهو يومئذ ابن المدبر وفي أيام المتوكل، فسألهم عن أمرهم فأخبروه، فعجب من ذلك وأمر أن يكتب الكلام الذي قاله ذلك الرجل الذي مات حسبما قاله، وأقام ابن المدبر يطلب من يفسره له، إلى أن وجد رجلا يعرف شيئا من ذلك اللسان، ففسره: هذا جزاء من طلب ما ليس له وأراد الكشف عما لم يخبأه، فليعتبر من رآه قال: فمنع حينئذ ابن المدبر أن يتعرض أحد للأهرام.

وفي خبر آخر (٣) أن جماعة دخلوا الهرم فوجدوا في بعض البيوت زلاقة إلى بئر، فنزلوا فيها، فوجدوا سربا فساروا فيه نصف يوم حتى انتهوا إلى حفير عميق وفي عدوته باب لطيف، فكانوا يتبينون فيه شعاع الذهب والفضة والجواهر النفيسة، ومن رأس الحفير مما يليهم إلى ذلك الباب المحاذي لهم الذي فيه الذهب والجوهر عمود حديد قد ألبس محورا من حديد يدور عليه ولا يستمسك

---

(١) الاستبصار: ٥٨.

(٢) الاستبصار: ٥٩.

(٣) المصدر نفسه: ٦٠.". <الروض المعطار في خبر الأقطار ص/١٧>

٧١-"في دورانه، فاحتالوا في وقوفه وذهاب حركته فلم يقدروا على ذلك، فربطوا أحدهم في حبل وتعلق بالعمود ليصل إلى الجانب الآخر فدار به المحور فتحير وسقط وانقطع الحبل الذي كان فيه فخرجوا هاربين لا يلوون على شيء.

وقال بعضهم (١) : رأيت في بربى إخميم صورة عقرب، فألصقت عليها شمعا فلم أتركها في موضع إلا انحاشت إليها العقارب من كل مكان وموضع، وإن كانت في تابوت اجتمعت حول التابوت وتحته، قال فطلبها بعض إخواني فأخذها، فرجعت إلى إخميم فوجدت تلك الصورة قد نقرت وأفسدت.

ومن المتعارف عند أهل إخميم أنه كان في البربى التي عندهم شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها إلى الهواء، وفي جبهته وحواليه كتاب، وله إحليل ظاهر ملتصق بالحائط، فقيل إنه من احتال لذلك الإحليل حتى ينقب عليه وينزعه من غير أن يتكسر ويعلقه في وسطه لم يزل منعظا إلى أن ينزعه ويجامع ما أحب، ولا ينكسر ما دام عليه. ولما ولي فلان (٢) ببلد إخميم أخبر بذلك، فطلب تلك الصورة في البربى فلم يجد منها غير واحدة كانت بقرب سقف البربى فاحتال عليها حتى أخذ الإحليل، فكان يستعمله فيخبر عنه بعجب. ومنه أنه كان في البربى صور كثيرة فلم تزل تؤخذ حتى نفدت، وكانت في هذه البرابي عجائب من الطلاسم في فنون شتى قد درس أكثرها وتهدم أكثر البرابي. وأما الأهرام فباقية على حالها ما اختل منها شيء، فيقال إن كل ما تهدم من هذه الهياكل وتغير سببه أن المنجمين تركوا الاستقصاء في أخذ الطالع وتصحيحه في وقت وضع الأساس وكذلك ما بقي منها فلقرب الطالع من التصحيح والقول في هذه الأهرام والبرابي على الاستقصاء في الكتب، وفيما ذكرناه كفاية.

الأخدود

المذكور في قوله تعالى: " قتل أصحاب الأخدود " (البروج: ٤) (٣) ، كان في قرية من قرى نجران، وأصحاب الأخدود قيل إنهم قوم كانوا على دين حق، كان لهم ملك يزني بأخته ثم حمله بعض نسائه أن يسن في الناس نكاح الأخوات والبنات، فحمل الناس على ذلك فأطاعه كثير وعصته فرقة، فخد لهم أخاديد، وهي حفائر طويلة كالخنادق، وأضرم لهم نارا وطرحهم فيها، ثم استمرت المجوسية بمن أطاعه وعلى هذا فقوله تعالى: " قتل أصحاب الأخدود " إخبار بأن النار قتلتهم، وقيل بل المعنى: فعل الله عز وجل بهم، ذلك لأنهم أهل له، فهو على جهة الدعاء بحسب كلام البشر، وقيل في أصحاب الأخدود أن ملكا من ملوك حمير كان بمذارع من اليمن اقتتل هو والكفار مع المؤمنين ثم غلب في آخر الأمر فحرقهم على دينهم إذ أبوا دينه، وفيهم كانت المرأة ذات الطفل التي تلكأت فقال لها الطفل: امضي في النار فإنك على الحق، وعن علي رضي الله عنه قال: إن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود، وقيل صاحب الأخدود ذو نواس في قصة عبد الله بن الثامر، وهي مذكورة مشروحة في أول سير ابن إسحاق (٤) وقيل كان أصحاب الأخدود في بني إسرائيل.

أخسيكث (٥)

هي مدينة فرغانة، كان أنوشروان بناها ونقل إليها من كل بيت قوما وسماها، وقيل إن أخسيكث اسم الكورة، وقيل هي قصبة فرغانة وأخسيكث على شط نهر الشاش في أرض مستوية، بينها وبين الجبل نحو نصف فرسخ وسيأتي ذكرها في حرف الفاء (٦) إن شاء الله تعالى وفرغانة (٧) اسم الإقليم ومدينته أخسيكث مدينة جليلة على شمال النهر ولها ربض عامر وأسواقها في مدينتها ولها مياه تخترق أزقتها جارية في حياض كبيرة وأمامها إذا عبرت نهر الشاش مروج ومزارع كثيرة ورمال ومنها إلى قبا ثلاث مراحل.

الأخشبان (٨)

جبلا مكة ويقال إن جبل أبي قبيس أحد الأخشبين، وفي الحديث قال جبريل عليه الصلاة والسلام: يا محمد إن شئت جمعت الأخشبين عليهم، فقال صلى الله عليه وسلم: " دعني أنذر أمتي " ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كنت بين الأخشبين من منى - ونفح بيده نحو المشرق - فإن هناك واديا يقال له السرر، به سرحة سر تحتها سبعون نبيا " .

---

(١) الاستبصار :وقال الوصيفي.

(٢) الاستبصار: ابن الغمر.

(٣) أنظر الروايات في قصة أصحاب الأخدود في الثعلبي: ٤٣٦ - ٤٣٩.

(٤) أنظر سيرة ابن هشام ١: ٣٤.

(٥) أنظر ابن حوقل: ٤٢٠.

(٦) يعني غرناطة.

(٧) نزهة المشتاق: ٢١٨.

(٨) قارن بمعجم ما استعجم ١: ١٢٣ - ١٢٤.". <الروض المعطار في خبر الأقطار ص/١٨>

٧٤-"فرسخا، والنسب إليها صاعدي على غير قياس، والذي يتجهز به من صعدة الأديم، لأن بها صناعة الأديم العديم المثال، وبها تجتمع التجار، وأهلها أهل أموال وافرة وبضائع وتجارات كثيرة.

؟الصعيد:

هو أعالي بلاد مصر وكأنه الصاعد منها، ومنها الرجل الذي كان في الأقباط بأرض الصعيد الذي أرسل إليه أحمد بن طولون (١) صاحب مصر في سنة نيف وستين (٢) ومائتين، وكان مولعا بمعرفة الآثار القديمة، فذكر له أن رجلا من الأقباط بأرض الصعيد له نحو مائة وثلاثين سنة، وهو ممن عني من لدن حداثته بالعلم والإشراف على الملل والآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرها وأنه علامة بالممالك والملوك، ذو معرفة بهيئة الأفلاك والنجوم، وكان نصرانيا على مذهب اليعقوبية، فبعث ابن طولون إليه قائدا من قواده فحمله إليه في النيل مكرما، وكان الشيخ قد انفرد عن الناس في مكان اتخذه وسكن في أعلاه، وقد رأى الرابع عشر من ولد ولده، فلما وصل إلى أحمد بن طولون أكرمه وبره وأسكنه بعض مقاصيره ومهد له في موضع جلوسه، وحمل إليه لذيذ المآكل والمشارب، فأبى الشيخ أن يغتذي إلا مما حمل مع نفسه من كعك وسويق وغيرهما، وقال: هذه بنية ما ترون من الغذاء فإن سمتموني النقلة عن العادة كان ذلك سبب انحلال البنية ويفوتكم مني ما تطلبونه، فتركه ابن طولون وما يريده، ثم أحضره مجلسه مع أهل الدراية من أصحابه وخواص مجلسه، وصرف إليه همته، فمما سأله

عنه بحيرة تنيس ودمياط، فقال (٣) : كان موضع البحيرة أرضا لم يكن بديار مصر مثلها لطيب التربة وزكاء الريع، وكانت جنانا متصلة، ولم تكن بمصر كورة يقال إنها تشبه الفيوم إلا هي وحدها، وكانت أكثر فاكهة منها، وكان الماء ينحدر إلى قرى موضع البحيرة صيفا وشتاء يسقون منه متى شاءوا، وفضلة الماء تصب في البحيرة، وكان بين العريش وقبرس طريق مسلوكة في تنيس، وبينهما اليوم سير طويل في البحر، فلما كان قبل استفتاح المسلمين بلاد مصر بمائة سنة طمى ماء البحر وزاد فأغرق القرى التي كانت في موضع البحيرة، وما كان منها في البقاع المرتفعة فهي باقية إلى الآن قد أحاط بها الماء. قال: وعند هذه الزيادة التي زادها البحر طمى الماء على القنطرة التي كانت بين بلاد الأندلس وبين ساحل طنجة من أرض المغرب، وكانت قنطرة عظيمة لا يعلم في معمور الأرض مثلها مبنية بالحجارة تمر عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب إلى الأندلس، وكان طولها اثني عشر ميلا في عرض واسع وسمو كثير، وربما بدت هذه القنطرة لأهل المراكب تحت الماء فعرفوها.

وسئل عن ممالك الأحابيش التي على النيل فقال: لقيت منهم ستين ملكا كل ملك منهم ينازع من يليه، قال: وبسبب استحكام النارية في بلادهم تكون معادن الذهب كثيرة، فإن حرارة الشمس ويبسها يغير الفضة ذهبا، فإذا أطبخ ذلك الذهب بالملح والزاج والطوب خرج ما فيه من الفضة.

وسئل عن منتهى النيل في أعلاه فقال: أصله من البحيرة التي لا يدرك طولها ولا عرضها، وهي تحت خط الاستواء تحت قطر الفلك المستقيم، وهو الموضع الذي الليل والنهار فيه متساويان الدهر كله.

وسئل عن الأهرام فقال: إنها قبور الملوك، كان الملك إذا مات وضع في حوض من رخام ثم أطبق عليه وبني له هرم، ويصنع باب الهرم تحت الحوض (٤) ثم يحفر له طريق في الأرض ويعقدونه آزاجا. فقيل له: فكيف هذه الأهرام المملسة وكيف كانوا يصعدون لبنيانها؟ فقال: كانوا يبنون الهرم مدرجا ذا مراقي يصعد فيها فإذا فرغوا من عمله نحتوه، قيل له: وكيف كانوا يصنعون بهذه الحجارة العظيمة التي لا يقدر مائة رجل أن يزحزح منها حجرا واحدا؟ قال: كانت لهم قراقل قد دبروها بأخلاط من المعادن وأنواع الحكمة فكانوا يضربون به الحجر الكبير فينقسم لهم على القدر الذي يريدونه ويتأتى لهم النحت، ومع هذا فانهم كان لهم صبر وجلد على أعمالهم ليس لمن بعدهم.

الصغانيان:

من مدن ما وراء النهر من خراسان مثل الترمذ وكش ونسف وبخارى وسمرقند وخجندة وأشروسنة والشاش وفرغانة وفارياب، وهي أكبر المدن التي عن يسار المشرق من مدينة بلخ.

---

(١) كل خير حتى آخر المادة عن مروج الذهب ٢: ٣٧٢ - ٣٩٢؛ والمؤلف ينقل بإيجاز.

(٢) ص ع: نيف وثمانين؛ وقد توفي ابن طولون سنة ٢٧٠.

(٣) انظر مادة ((تنيس)) في ما سبق، وخطط المقريزي ١: ١٧٧.

(٤) المروج: تحت الهرم.". <الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٣٦١>

٧٥-"الجبال إلى أن يخرج في أعلى هراة حتى يشق بلاد هراة فيصير إلى بوشنج ثم ينحدر منها إلى سرخس ورساتيقها وتنبعث منه أنهار تعرف بخشكرود، وعلى الخشكرود قنطرة عظيمة، وفي هراة قهندز ومسجد جامع، ودار الإمارة خارج الحصن بمكان يعرف بخراسان اباد منقطع عن المدينة، بينه وبين المدينة ثلاثة فراسخ، وهي على طريق بوشنج غربي هراة، وهراة مقدار نصف فرسخ في مثله، ولها أربعة أبواب، منها باب من ناحية الشمال يخرج منه إلى بلخ يعرف بباب سراي (١) ، والمسجد الجامع في المدينة وحوله الأسواق، وعلى رأس الجبل الذي يلي هراة بيت نار يدعى سرشك وهو معمور، ولهراة أربعمائة قرية فيما بينها سبع وأربعون دسكرة، كل واحدة تشتمل على عشرة نفر إلى عشرين، ولهراة من الأرحاء ثلثمائة وأربع وعشرون، وهذا الجبل الذي هراة في سفحه هو من آخر حدود باذغيس (٢) مما يلي سرخس مشرقا حتى يتصل بجبل الفضة ورستاق كنج ومرو الروذ والطالقان والجوزجان، حتى يتصل بالباميان، وعن يمين هذا الجبل اسفرايين وسجستان وبست والرخج (٣) ، وعن يساره مرو الروذ وغيرها، وهو مستقبل بوشنج وهراة، فهو حاجز بين الحدود، وفي الجبل نفسه أمم وفيه أكثر من ثلثمائة قرية.

وافتتح هراة الأحنف بن قيس في خلافة عثمان رضي الله عنه، وإليها ينسب الهروي صاحب الغريبين (٤) .

وهي مدينة (٥) كبيرة عامرة لها ربض، وفي مدينتها قصبة، ولها أبواب كثيرة كلها خشب مصفحة بحديد إلا باب سراي فإنه كله حديد، والمسجد الجامع في المدينة، والأسواق محيطة به، والسجن في قبلته، وبها من فقهاء المسلمين وعلمائهم خلق كثير، وهي فرضة خراسان وسجستان وفارس.

وفي سنة (٦) ثمان عشرة وستمائة نزل الططر على هراة، وهي إحدى أمهات خراسان، فاستولوا عليها وقتلوا منها خلقا عظيما، وجرى الططر على عادتهم المذمومة من قتل الأطفال والعيث، وقتلوا في جامعها المشهور بالخير من العلماء والصالحين والمنقطعين عددا كثيرا ثم مضوا منها إلى الطالقان.

الهرماس (٧) :

نهر نصيبين المسمى بالخابور، وعليه قنطرة حجارة، ويصب فيه ماء الثرثار إلى دجلة.

الهرم (٨) :

أحد أهرام مصر، وخبر الأهرام مشهور، وعلى ستة أميال من مصر الهرمان، وهما بناءان في مستو من الأرض، طول كل واحد منهما ارتفاعا في الجو نحو أربعمائة ذراع، وعرضه في الدائر كارتفاع الكل مبني بحجارة الرخام، وارتفاع كل حجر خمسة أشبار، وطوله خمس عشرة ذراعا إلى العشرين (٩) وأزيد وأنقص، وكلما ارتفع بناؤه على وجه الأرض ضاق حتى يصير أعلاه نحو مبرك جمل، وبين الهرم والهرم نحو خمسة أميال، وفي بعض حيطانه كتابة درس أكثرها.

هرمز (١٠) :

مدينة بمقربة من جيرفت من عمل كرمان، وتسمى قرية الجوز (١١) وهي كانت مدينة هرمز، وفيها كانت مملكته إلى أن هلك، وانفصل الملك عنها إلى الشيرجان، وساكنوها من أهلها وأخلاط من الناس، وهي مدينة حسنة، الداخل والخارج إليها كثير، وهي كثيرة المياه، وبها أسواق وتجارات، وبينها وبين جيرفت غربا مرحلة.

هكر (١٢) :

مدينة باليمن، وفي شعر امرئ القيس: أو كبعض دمي هكر.

---

(١) ع ص: سيراي.

(٢) ع ص: مادغيس.

(٣) ص ع: والزنج.

(٤) هو أبو عبيد الله أحمد بن محمد بن محمد الهروي (- ٤٠١)؛ انظر ابن خلكان ١: ٩٥، ومعجم الأدباء ٤: ٢٦٠، وطبقات السبكي ٣: ٣٤، وطبقات الاسنوي ٢: ٥١٨.

(٥) نزهة المشتاق: ١٤٢.

(٦) قارن بياقوت والقزويني.

(٧) انظر ياقوت، وابن رسته: ٩٠، واليعقوبي: ٣٦٢.

(٨) عن الإدريسي (د): ١٤٥ - ١٤٦.

(٩) الإدريسي: العشرة.

(١٠) يتحدث الإدريسي في نزهة المشتاق عن هرمز الواقعة بين الفهرج وجيرفت: ١٣٢ ثم عن هرمز الساحلية: ١٣٣ مفرقاص بذلك بين مدينتين كل منهما تسمى هرمز؛ وتعرف الأولى منهما باسم ((هرمز الملك))، وهذا النص هو الذي ينقله مؤلف الروض، مهملا ما جاء عن هرمز الساحلية، التي تعد فرضة كرمان أيضا؛ وقد جاء ذكر هرمز (هرموز) الأولى عند ذكر المسافات بين مدن كرمان لدى الحوقلي والكرخي والمقدسي، ولكن لم يعرف بها أحد؛ أما هرمز الساحلية فانظر في الحديث عنها الكرخي: ٩٩، وابن حوقل: ٢٦٩، والمقدسي: ٤٦٦، وياقوت (هرمز)؛ وتعرف هرمز هذه اليوم باسم بندر عباس، وتقابلها جزيرة هرمز وفيها الجديدة، وكانت هرمز القديمة في أيام ابن بطوطة (٢٧٣) تسمى موغ استان.

(١١) نزهة المشتاق: الجون.

(١٢) انظر ياقوت (هكر)؛ وبيت امرئ القيس:

كناعمتين من ظباء تبالة ... لدى جؤذرين أو كبعض دمى هكر". <الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٥٩٥>

٧٦-"مالك الحل في الممالك والعق ... د وحكم التحليل والتحريم

معمل للنفاذ في كل قطر ... قلما حاكما على إقليم

يتلقى الملوك في كل أرض ... كتبه القادمات بالتعظيم

ناحل الجسم، ذو خطاب به يصغ ... ر للدهر كل خطب جسيم

ثم ذكر الأخوين تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاه، وهما أبنا أخي السلطان، وهو شاهنشاه بن أيوب، وهمام الدين بزغش الشنباشي والى القاهرة. ومدح فرخشاه بقصيدة حسنة، منها:

شادن كالقضيب لدن المهزه ... سلبت مقلتاه قلبي بغمزه

كلما رمت وصله رام هجري ... وإذا زدت ذلة زاد عزه

للصبا من عذاره نسج حسن ... رقم المسك في الشقائق طرزه

وعزيز علي أن أصطباري ... فيه قد عزه الغرام وبزه

مارأى ما رأيت مجنون ليلى ... في هواه، ولا كثير عزه

ما ذكرنا الفسطاط إلا نسينا ... ما رأينا بالنيربين والارزه

ونصيري عليه نائل عز الد ... ين ذي الفضل، خلد الله عزه

فرغ الكنز من ذخائر مال ... مالئا من نفائس الحمد كنزه

همة مستهامة بالمعالي ... للدنايا أبية مشمئزه

قال العماد: وتوفرنا على الاجتماع في المغاني لاستماع الأغاني، والتنزه في الجزيرة والجيزة، والأماكن العزيزة، ومنازل العز والروضة، ودار الملك والنيل والمقياس، ومراسي السفن، ومجاري الفلك والقصور بالقرافة، وربوع الضيافة، ورواية الأحاديث النبوية، والمباحثة في المسائل الفقهية، والمعاني الأدبية.

قال: واقترحنا على القاضي ضياء الدين بن الشهرزوري أن يفرجنا في الأهرام، فقد كنا شغفنا بأخبارها في الشام؛ فخرج بنا إليها، ودرنا تلك البرابي والبراري، والرمال والصحاري، وأحمدنا المقار والمقاري؛ وهالنا أبو الهول، وضاق في وصفه مجال القول؛ ورأينا العجائب، وروينا الغرائب، واستصغرنا في جنب الهرمين كل ما استعظمناه، وتداولنا الحديث في الهرم ومن بناه، فكل يأتي في وصفهما بما نقله، لابما عقله، واجتهدوا في الصعود إليه فلم يوجد من توقله، وحارت العقول في عقوده، وطارت الأفكار عن توهم حدوده؛ فياله من مولود للدهر قبل الطوفان، انقرضت القرون الخالية على آبائه وجدوده، وسمار الأخبار يسمرون بذكر حديث أحداث عاده وثموده، ويدل إحكامه وعلوه على همة بانيه في بأسه وجوده. وإن في الأرض الهرمين كما أن في السماء الفرقدين، وهما كالطودين الراسخين، وكالجبلين الشامخين؛ قد فنيت الدهور وهما باقيان، وتقاصرت القصور وهما راقيان، وكأنهما لأم الأرض ثديان، وعلى ترائب التراب نهدان، ولسلطان العالم علمان، وإلى مراقي الأملاك سلمان، وهما لليل والنهار رقيبان، ولرضوي ولشمام نسيبان، ومن زحل والمريخ قريبان، ولعوادي الخطوب خطيبان، ولثور الفلك روقان، ولشخص الكرة الترابية سافان.

قلت: ثم ذكر العماد جماعة ممن كان يقيم الضيافة له ولمثله من الفضلاء والأعيان؛ فذكر منهم الناصح مؤدب أولاد السلطان، وله دار مشرفة على النيل، وذكر منهم اللسان الصوفي البلخي، وكان له صحبة قديمو بنجم الدين أيوب والد السلطان، وله دار أيضا على شاطئ النيل برسم ضيافة من نزل به.

قال: ثم وقف السلطان داره على الصوفية من بعده، وانتقل بعد سنين إلى النعيم وخلده.

فصل في بيع الكتب وعمارة القلعة والمدرسة والبيمارستان

قال العماد: وكان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان، وهي تباع بأرخص الأثمان وخزائنها في القصر مرتبة البيوت، مقسمة الرفوف، مفهرسة بالمعروف. فقيل للأمير بهاء الدين قراقوش، متولي القصر، والحال والعاقد للأمر: هذه الكتب قد عاث فيها إلى أرضها؛ وهو تركي لاخبرة لهى بالكتب، ولادربة له بأسفار الأدب. وكان مقصود دلالي الكتب أن يكسوها،

ويخزموها ويعكسوها. فأخرجت، وهي أكثر من مائة ألف، من أماكنها، وغربت من مساكنها، وخربت أوكارها، وأذهبت أنوارها وشتت شملها، وبت حبلها، واختلط أدبيها بنجوميتها، وشرعيها بمنطقيها، وطبيها بهندسيها، وتواريخها بتفاسيرها، ومجاهيلها بمشاهيرها.". <الروضتين في أخبار النورية والصلاحية ص/٢٨٨>

٧٧-"الصهيونية تعرف عين اليقين أنها فاقدة السند التاريخي، وأن كل ما قدمته من دلائل حول تاريخ اليهود، وحتى كتبهم هو تزوير للحقيقة، وللدلائل الأثرية والتاريخية. حتى التوراة هناك اليوم من يشكك في صحتها، أنها غير التوراة الحقيقية التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام. بل التوراة الحالية، هي من صناعة أحبار اليهود بعد أن أطلعوا على تاريخ المنطقة العربية في بلاد الرافدين والشام ومصر القديمة. ولذا يستدل نزيه الشوفي في كتابه (كشف الحقائق التاريخية) ما يلي: (.. فإن التوراة (هذا)، هو كتاب صنعه أحبار اليهود، بعد أن أطلعوا على تاريخ المنطقة... لذا فهي أنواع..) ويقول: منها التوراة الهيروغليفية التي أنزلت على موسى، فمن المعروف أن موسى لم يعرف العبرانية، فهي لغة جاءت بعده. وتوراة يونانية، وسامرية وأسفار خفية وتلمود.. الخ(١).

ويتذكر الباحثون والسياسيون، أن المحاولات الصهيونية لإثبات الوجود التاريخي القديم والحضاري في مصر، بدأت منذ أيام اللقاءات الحميمة، التي تمت بين السادات ومناحيم بيغن رئيس وزراء الصهاينة آنذاك. ففي زيارة بيغن الأولى للقاهرة بعد توقيع الاتفاقية، أعلن وهو يزور الأهرامات الفرعونية، أن العقل اليهودي هو الذي اخترع الأهرامات. وقال متفاخرا أن اليهود هم الذين بنوها. وأثارت تلك التصريحات في حينها عاصفة سياسية وثقافية في مصر، وخاصة من قبل علماء التاريخ العرب والأجانب.". <السلام في المشروع الصهيوني (مصر نموذجا) ص/٢٠٠>

٧٨-"وأعلن العلماء صراحة، أن ما تحدث به رئيس وزراء الكيان الصهيوني، أكاذيب، وتزوير للتاريخ المصري القديم. ولكن الصهاينة حتى بعد رحيل بيغن، تمسكوا بالإدعاء، بأنهم صانعو الحضارة المصرية القديمة. وحاك الصهاينة العديد من المؤامرات تحت ذرائع شتى، لإثبات الأكذوبة، وتحت شعارات مختلفة، كان آخرها ما تم في منتصف عام ١٩٩٨. حين أحبطت جامعة القاهرة إحدى تلك المحاولات، التي تسترت بشعار البحث العلمي، وتم استخدام منظمة اليونسكو لتزوير التاريخ المصري القديم لصالح الادعاء الصهيوني. حيث طلبت منظمة اليونسكو من إدارة الجامعة، إعداد دراسة حول موضوع (الجنيزة اليهودية)، وهو الاسم العبري للوثائق اليهودية القديمة في مقابر الفسطاط، والمعبد اليهودي في القاهرة. وهي محاولة من اليونسكو من أجل خلق تطبيع بين الكيان الصهيوني ومؤسساته البحثية وجامعاته وبين جامعة القاهرة والمؤسسات الجامعية في مصر.

وقد ذكر الدكتور فاروق إسماعيل، بأنهم حاولوا جر الجامعة للتطبيع عن طريق اليونسكو. وقال أيضا: (قد أبلغت الدكتور حسنين ربيع أستاذ تاريخ الشرق الأوسط، لإخطار اليونسكو بأن الجامعة لا ترحب بمثل هذا النشاط وترفضه. ولن تشترك في أي نشاط علمي مع الإسرائيليين).

وعن غاية الصهاينة من ذلك قال الدكتور إسماعيل: (.. لقد كان واضحا من العرض أن الإسرائيليين، يسعون لسرقة وثائق

مصرية مهمة. ويدشنوها بأبحاث، وأيد مصرية لإثبات حقائق تاريخية معينة، على غرار أكاذيبهم بأنهم بناة الأهرامات. وهم يركزون جهودهم الآن على وثائق الجنيزة. لاختراق حائط الصد المصري ضد الأكاذيب. وكان الهدف هو إثبات الدور اليهودي الحضاري في العصر الفرعوني.)". <السلام في المشروع الصهيوني (مصر نموذجا) ص/٢٠١>

٧٩-"ومن أنواع القصف التطبيعي الصهيوني عام ١٩٩٩، عقدت في جنيف في أواخر شهر نيسان جماعة كوبنهاغن (المؤتمر الدولي للسلام بين العرب وإسرائيل) مؤتمرها الرابع. بحضور عشرين شخصية صهيونية ومصرية وفلسطينية وأردنية. وتم تغطية الاجتماع المذكور من قبل مؤسسات صهيونية، تتستر وراء هيئات بحثية وسياسية دولية، مثل معهد (ودور ويلسون) الأمريكي، ومقره في واشنطن. ومؤسسة (بياجو)، ومعهد دراسات البحر الأبيض المتوسط بجامعة (لوجانو) السويسرية(٢).

وفي أواخر شهر نيسان من نفس العام، عقدت ندوة خطيرة في فندق شيراتون بالقاهرة، أقامتها المراكز البحثية الأوروبية والمتوسطة (اليوريوميسكو). شارك فيها مركز موشي دايان للدراسات، مع مركز صهيوني أخر. واستهدفت الندوة، التي أقامها مركز اليورميسكو، فرض التطبيع على النخبة الثقافية العربية. ولعب أحد رموز التطبيع في مصر الدكتور عبد المنعم سعيد دورا هاما في الندوة، كونه يدير مركز الأهرام للبحوث والدراسات، من خلال الإسهام الكبير في تسويق الندوة، التي شبهت بأنها إحدى اجتماعات المحافل الماسونية. وقد كافأ القائمون على الندوة الدكتور سعيد، بأن عينوه عضوا في مجلس استشاري لدورية معهد الشؤون الدولية في روما. وقد أثارت هذه الندوة الصهيونية موجة غضب عاصفة في صفوف المثقفين المصريين. وأدانوها ورفضوا كل ما خرجت به من نتائج(٣).". <السلام في المشروع الصهيوني (مصر نموذجا) ص/٢٤٩>

٨٢-"وفي ثاني شوال : كان النوروز، فجرى الأمر فيه على العادة من رش الماء ، واستجد فيه التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع. وتوالت زيادة النيل، فأفحش الناس في إظهار المنكرات ، و لم ينههم أحد .

وفيه و قفت وجوه المال ، وانقطعت جباية الديوان بمصر ، وأحيل على الجهات بأضعاف ما فيها، وبقيت وجوه قصرت الأيدي عن استخراجها، وانتمى العاملون إلى من حماهم ، فلم يجسر صاحب الديوان على ذكر من بحميهم ، فضلا عن أخذ الحق منهم ، ورفع يده عن حماية من حماه . وآل الأمر إلى أن صار ما يقام برسم طوارئ السلطان وراتب داره من ضمان الخمر والمزر.

وكانت هذه سنة ما تقدمها أفحش منها، ولا علم أن همة من الهمم القاصرة انحطت إلى مثلها.

وفي رابع عشره : خرج الشريف ابن ثعلب سائرا بالحاج ، وخيم على سقاية ريدان وكثر القتل بالقاهرة بأيدي السكارى، وأعلن المنكر بها، فلم تنسلخ ليلة إلا عن جراح وقتل بين المعربدين . وكثر ذلك حتى خطفت الأمتعة والمآكل من الأسواق ، نهارا نادرا وليلا راتبا .

واستقرت المظالم للطواشي قراقوش ، يجلس فيها بظاهر الدار السلطانية، وحماية الديوان وشد الأموال لفخرالدين جهاركس ، مع انقباضه عنها، وأستادارية الدار لصارم الدين خطلج .

وفي تاسع عشره : كسر بحر أبي المنجا، وباشر العزيز كسره ، وزاد النيل فيه إصبعا، وهي الإصبع الثامنة عشرة، من ثماني عشرة ذراعا، وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى.

وفي ثاني عشريه : رحل الحاج ، وتجدد ما كان قد درس ذكره ونسي حكمه في مصر، منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله من سنة أربعين وخمسمائة، من الرفايع التي كان القبط يختلقونها، ويتوصلون بها إلى المصادرات ، وخراب البيوت ، وعمارة الحبوس ، وإساءة السمعة عن سلطان الوقت ، فأجمع ابن وهيب وكاتب نصراني وغيرهما على أوراق عملت ، وانتدب الأسعد بن مماتي والشاد للكشف والرفع إلى فخر الدين جهاركس .

وفي ذي القعدة :كثر وثوب السكارى بمن يلقونه ليلا، وضربهم إياه بالسكاكين،فلا تخلو ليلة من قتيل أو قتيلين ، ولم يؤخذ لأحد بثأر، ولا وقع كشف عن مقتول منهم ، ولا تمكن والي القاهرة من منعهم . ووجد في الخليج ستة نفر قتلى مربطين ، فلم يسأل عنهم ، ولا وقع إنكار لأمرهم .

وفي ذي الحجة : عزم العزيز على نقض الأهرام ، ونقل حجارتها إلى سور دمياط ، فقيل له إن المؤنة تعظم في هدمها، والفائدة تقل من حجرها. فانتقل رأيه من الهرمين إلى الهرم الصغير " وهو مبني بالحجارة الصوان " فشرع في هدمه .

وفيه سار العزيز إلى الإسكندرية، واستخلف بالقاهرة بهاء الدين قراقوش ، وفخر الدين جهاركس .

وتوفي في هذه السنة القاضي الأشرف أبو المكارم الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحباب قاضي الإسكندرية، وولى عوضه الفقيه أبو القاسم شرف الدين عبد الرحمن بن سلامة في سابع عشري شوال . ومولد بن الحباب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وأقام حاكما بالإسكندرية ثمانيا وعشرين سنة . وكان كريم النفس صحيح المودة، وطالت مدته في الحكم بالإسكندرية، من سنة أربع وستين إلى أن مات بها في ثالث جمادى الآخرة .

وفي خامس ذي الحجة : مات القاضي الرشيد ابن سناء الملك . قال القاضي الفاضل فيه : " ونعم الصاحب الذي لا تخلفه الأيام ، ولا يعرف له نظير من الأقوام : أمانة سمينة، وعقيدة ود متينة، ومحاسن ليست بواحدة، ومساع في نفع المعارف جاهدة. وكان حافظا لكتاب الله، مشتغلا بالعلوم الأدبية، كثير الصدقات ، نفعه الله، والأعمال الصالحات ، عرفه الله بركاتها " .

وفيها حج بالناس الشريفي ابن ثعلب ، وخرجت المراكب الحربية من مصر، فظفروا ببطس للفرنج ، وفيها أموال فغنموها.

وفيها بنى الأمير فخر الدين جهاركس قيساريته بالقاهرة.

وفيها زلزلت مصر. ومات العلم عبد الله بن علي بن عثمان بن يوسف المخزومي، يوم الجمعة حادي عشر جمادى الأولى، ومولده في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقد قرأ علي بن بري، وله شعر.

سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة". <السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٣٥>

٨٣-"وفيها ضيق على الأمير برلغي بعد سفر الأمير مهنا، وأخرج حريمه من عنده ومنع من الوصول إليه، ومن أن يدخل إليه بأكل أو شرب فلما أشفي برلغي على الموت قتل، بعدما يبست أعضاؤه وخرس لسانه من شدة الجوع، ومات ليلة الأربعاء ثاني رجب.

وفيها قتل الأمير سلار أيضا بقلعة الجبل، في رابع عشري جمادى الأولى، وأحيط بماله وكان شيئا كثيرا. ولما وصل طلبه فرقه السلطان على الأمراء. ثم ماتت أمه بعد أيام. وكان سلار عاقلا له رأي وحزم، وأصله لما كسبه المنصور قلاوون من التتر.

وقدم البريد بموت الأمير قبجق نائب حلب، وأن عماد الدين إسماعيل لما ورد عليه التقليد بنيابة حماة سار إليها من دمشق. فمنعه أسندمر كرجي، فأقام بين حماة وحمص ينتظر مرسوم السلطان. فاتفق موت قبجق، فسار أسندمر من حماة إلى حلب، وكتب يسأل السلطان نيابتها، فغضب السلطان من أسندمر، وأسر ذلك في نفسه.

وفيها عزل الأمير بكتمر الحاجب عن نيابة غزة، وأحضر إلى القاهرة، وولي نيابة غزة الأمير قطلقتمر.

وفيها عزل الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلي من الوزارة، والأمير علم الدين سنجر الخازن من شد الدواوين، واستقر الأمير بكتمر الحاجب في الوزارة في حادي عشر رمضان، واستقر فخر الدين أياز أستادار سنقر الأعسر في شد الدواوين. واتفق أن أياز هذا استخدمه الأمير سلار النائب استاداره بعد موت عز الدين أيدمر الرشيدي، فلم يزل حتى قبض على سلار وأحيط بماله، ورسم على أياز مع سائر مباشريه، وسلموا لعلم الدين سنجر الخازن مشد الدواوين في المصادرة، ليستخرج منهم المال فحمل أياز للخازن ألف دينار، وللصاحب فخر الدين ألف دينار، فرد الخازن المال وقبله الصاحب. فلم يمض سوى أيام حتى عزل الصاحب والخازن، وسلما لأياز ليستخرج المال منهما فبعث إليه الخازن ألف دينار فردها، وقال لقاصده: سلم عليه، وقل له ما لنا عنده شيء، وطيب خاطره، وبعث إليه الصاحب فخر الدين ألف دينار فأخذها، وقال لقاصده: عرفه أني أخذت وديعتي التي كان أخذها مني، ثم إن الأمير بكتمر الجوكندار شفع فيهما، فأفرج السلطان عنهما.

وفيها قدم مملوك عماد الدين إسماعيل بن الأفضل بأنه دخل حماة لمعد خروج أسندمر منها. وقدم رسول الأشكري ورسل ملك الكرج بهدايا سنية في رجب، وسألوا فتح الكنيسة المصلبة بالقدس. فكتب الجواب بأن هذه الكنيسة غلقت من الأيام الظاهرية على يد الشيخ خضر، وبنى فيها مسجد، ولا يمكن نقض ذلك، ورسم أن تفتح لهم كنيسة الملكية بمصر وكنيسة اليعاقبة التي بالقاهرة وكنيسة اليهود، وأذن لهم أن يركبوا على الاستواء.

وفيها كتب بعزل نجم الدين البصري عن وزارة دمشق، وولاية شرف الدين حمزة القلانسي عوضه. وقمم البريد بوفاة الحاج بهادر الحلي نائب طرابلس، فكتب بنقل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس، فسار إليها. وفرح السلطان بموت الحاج بهادر فرحا زائدا، فإنه كان يخشاه ويخشى شره.

والتفت السلطان إلى أسندمر كرجي نائب حلب، وأخرج تجريدة من القاهرة فيها من الأمراء كراي المنصوري وهو مقدم العسكر، وسنقر الكمالي حاجب الحجاب، وأيبك الرومي، وبينجار، وكجكن، وبهادر آص، وفي عدة من مضافيهم أمراء الطبلخاناه والعشراوات ومقدمي الحلقة، وأظهر أنهم قد توجهوا لغزو سيس. وكتب السلطان لأسندمر كرجي بتجهيز آلات الحصار على العادة، والاهتمام في هذا الأمر حتى يصل العسكر المجرد من مصر، وكتب إلى عماد الدين صاحب حماة بالمسير مع العسكر. وسار الأمير كراي من القاهرة مستهل ذي القعدة، بعدما أخلع عليه، وأسر إليه السلطان ما يعتمده في أمر كرجي.

وفيها عدى السلطان النيل إلى الجيزة، ونزل تحت الأهرام ليتصيد. فمات ولده على ابن الخاتون أردوكين ابنة نوكيه، وله من

العمر ست سنين، في ليلة الأحد حادي عشر رجب، ودفن بالقبة الناصرية بين القصرين، بعدما حضر الأمير علم الدين سنجر الجاولي لتجهيزه. واشتد حزن أمه عليه، ووقفت على القبة ما خصها من إرث الملك الأشرف خليل، ورتبت عند قبره القراء.". <السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٣٧٣>

٨٤-"وفيه ركب السلطان إلى بر الجيزة، وأمر طقتمر الدمشقي، وقطلوبغا الفخري المعروف بالفول المقشر، وطشتمر البدري حمص أخضر.

وفيها هدم السلطان الرفرف الذي أنشأه أخوه الأشرف خليل على يد الشجاعي.

وفيها ورد الخبر في أول رجب بحركة خربندا وسبب ذلك رحيل مهنا إليه عند إخراج خبزه لأخيه، وإقامته عنده، وتقوية عزمه على أخذ الشام. وكان السلطان تحت الأهرام بالجيزة، فقوي عزمه على تجريد العساكر، ولم يزل هناك إلى عاشر شعبان، فعاد إلى القلعة، وكتب إلى نواب الشام بتجهيز الإقامات. وعرض السلطان العسكر، وقطع جماعة من الشيوخ العاجزين عن الركوب، وانفق فيهم الأموال. وابتدأ العرض من خامس ربيع الآخر، وكمل في أول جمادى الأولى، فكان السلطان يعرض في كل يوم أميرين بنفسه من مقدمي الألوف، ويخرجان بمن معهما من الأمراء ومقدمي الحلقة والأجناد، وترحلوا شيئا بعد شيء. من أول رمضان إلى ثامن عشريه، حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر.

وخرج السلطان في ثاني شوال، ونزل مسجد تبر خارج القاهرة، ورحل في يوم الثلاثاء ثالثه، ورتب بالقلعة سيف الدين أيتمش المحمدي. فلما كان ثامنه قدم البريد برحيل التتار ليلة سادس عشرى رمضان من الرحبة، وعودهم إلى بلادهم بعدما أقاموا عليها من أول رمضان، ففرق السلطان العساكر في قانون وعسقلان، وعزم على الحج. ودخل السلطان دمشق في تاسع عشره، وخرج منها ثاني ذي القعدة إلى الكرك، وكان قد أقام بدمشق أرغون النائب للنفقة على العساكر وغير ذلك من الأعمال، وكلف الصاحب أمين الدين بن الغنام بجمع المال اللازم. ودخل السلطان الكرك في ثامن ذي القعدة، وتوجه إلى الحجاز في أربعين أميرا.

وفيها خرج الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال، ودخل دمشق وأقام بها بعد توجه السلطان ليحصل الأموال، فأوقع الحوطة على الوزير والمباشرين، وطالب محيي الدين بن فضل الله بمال كبير عمل به أوراقا، وأغلظ عليه وأحاط بموجوده، وتتبع حواشيه؛ وصادر أمين الدين أكثر الناس.

وأما القاهرة فإن الأمير علم الدين سنجر الخازن نقل من ولاية البهسنا إلى ولاية القاهرة، أقام الأمير أيتمش المحمدي نائب الغيبة الحرمة، ومنع الأكابر من الهجرة وأنصف الضعفاء منهم. وحج بالركب المصري الأمير مظفر الدين قيدان الرومي.

وفيها استقر في نيابة قلعة دمشق عز الدين أيبك الجمالي، عوضا عن بلبان البدري، ثم كتب بأن يكون بلبان شريكا له، فباشرا جميعا.

وفيها قدت هدية الأشكري

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

ضياء الدين أحمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن القرشي الإسنائي المعروف بابن الخطيب. الفقيه الشافعي، وكانت وفاته

ببلدة أدفو في شوال، وهو في الطريق إلى الحج، فحمل إلى سنا فدفن بها.

ومات تاج الدين أحمد بن محمد بن أبي نصر الشيرازي، محتسب دمشق وناظر الدواوين بها، في رجب عن بضع وخمسين سنة.

ومات عماد الدين أبو العباس أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور المقدسي الفقيه الحنبلي، في جمادى الآخره بمصر، ومولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومات زين الدين حسن بن عبد الكريم بن عبد السلام الغماري الفقيه أبو محمد المالكي، سبط زيادة بن عمران، وكانت وفاته في شوال بمصر، قرأ القرآن، وكان خيرا فاضلا.

ومات نور الدين على بن نصر الله بن عمر القرشي - المعروف بابن الصواف - الخطيب الفقيه الشافعي، في رجب بمصر.

ومات أبو الحسن علي بن محمد بن هارون ابن محمد بن هارون الثعلبي الدمشقي - قارئ المواعيد - الفاضل الصالح، في ربيع الآخر بمصر عن ست وثمانين سنة، ومات نور الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحيم ابن عبد عز الدين بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي بحماة، وكان فاضلا دينا، ومات الملك المنصور نجم الدين غازي بن المنصور ناصر الدين أرتق بن إيلغازي بن البن بن تمر تاس بن ايلغازي بن أرتق الأرتقي، صاحب ماردين، في تاسع رجب، وكانت إمرته نحو عشرين سنة، وكان مهابا، فقام بعده ابنه الملك العادل علي، وأقام سبعة عشر يوما، ثم ملك أخو الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور.". <السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٨٦/١>

٨٥-"وفيها أخذ عرب برية عيذاب رسل صاحب اليمن وعدة من التجار وجميع ما معهم، فبعث السلطان العسكر وهم خمسمائة فارس، عليهم الأمير علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس، في العشرين من شوال، فساروا إلى قوص، ومضوا منها في أوائل المحرم سنة سبع عشرة إلى صحراء عيذاب، ومضوا إلى سواكن حتى التقوا بطائفة يقال لها حي الهلبكسة، وهم نحو الألفي راكب على الهجن بحراب ومزاريق، في خلق من المشاة عرايا الأبدان، فلم يثبتوا لدق الطبول ورمى النشاب، وانهزموا بعد ما قتل منهم عدد كبير. وسار العسكر إلى ناحية الأبواب، ثم مضوا إلى دمقلة، وعادوا إلى القاهرة تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة، وكانت غيبتهم ثمانية أشهر. وكثرة الشكاية من الأمير علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس مقدم عسكرهم، فأخرج إلى دمشق.

وفيها أغار من الططر نحو ألف فارس على أطراف بلاد حلب، ونهبوا إلى قرب قلعة كمختا فقاتلهم التركمان وقتلوا كثيرا منهم، وأسروا ستة وخمسين من أعيانهم، وغنموا ما كان معهم، فقدمت الأسرى إلى القاهرة في صفر سنة سبع عشرة.

وفيها هبت ريح سوداء مظلمة بأرض أسوان وسود وإسنا وأرمنت، وقدحت لشدة حرها نار عظيمة أحرقت عدة أجران من الغلال. ثم أمطرت السماء، فعقب ذلك وباء هلك فيه بأسوان وغيرها عالم كبير، ودب الوباء إلى الأشمونين.

وفيها أفرج عن الأمير بكتمر الحسامي الحاجب. وخلع عليه في يوم الخميس ثالث عشر شوال بنيابة صفد وانعم عليه بمائتي ألف درهم، فسار على البريد ودخلها في آخر ذي الحجة. وكان بكتمر في مدة اعتقاله مكرما لم يفقد غير ركوب الخيل، وبعث إليه السلطان بجارية حبلت منه في الاعتقال، وولدت ولدا سماه ناصر الدين محمدا، فكانت مدة سجنه سنة وسبعة

أشهر وأياما.

وفيها ولي الأمير سيف الدين أرقطاي نيابة حمص في تاسع رجب، عوضا عن شهاب الدين قرطاي بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس في جمادى الآخرة.

رفيها أخرجت قطيا عن الأجناد، وأضيفت إلى الخاص، وخرج إليها ناظر وشاد. وعوض الأجناد بجهات في القاهرة بعد عرضهم على السلطان، وأعطى كل منهم نظير ما كان له.

وفيها توجه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار إلى الأمير مهنا وعاد.

وفيها أفرج عن الأمير كراي المنصوري والأمير سنقر الكمالي من سجن الكرك، وقدما إلى القاهرة فسجنا بالقلعة ومعهما نساؤهما.

وفيها قدمت رسل أزبك، ورسل ملك الكرج، ورسل طغاي قريب أزبك بهدايا؛ فأجيبوا وسيرت إليهم الهدايا. فاجتمع هذه السنة ثمانية رسل وهم رسل جوبان، وأبي سعيد، وأزبك، وطغاي، وصاحب برشلونة، وصاحب إسطنبول، وصاحب النوبة، وملك الكرج، وكلهم يبذل الطاعة، و لم يتفق في الدولة التركية مثل ذلك، وأكثر ما اجتمع في الأيام الظاهرية خمسة رسل.

وفيها سافر في الرسلية إلى بلاد أزبك الأمير علاء الدين أيدعدي الخوارزمي مملوك يازي، ومعه حسين بن صاروا أحد مقدمي الحلقة، بالهدية في آخر المحرم وهي مائتا عدة كاملة، ما بين جوشن وخوذة وبركستوان، وخلعة كاملة التحتاني أطلس أحمر مزركش، وشاش كافوري وبلغطاق فوقاني مفرج مقصب محقق بطرز ذهب، وكلفتاه ذهب، وحياصة ذهب، وفرس مسرجة ملجمة بذهب مرصع، وجتر، وسيف بحلية ذهب، وسار معهم بطرك الملكية.

وفيها قدمت أم الأمير بكتمر الساقي.

وفيها تغير السلطان على الأمير سيف الدين طغاي، وضربه بيده بالمقرعة على رأسه، ثم رضي عنه وخلع عليه.

وفيها صرف بهادر الإبراهيمي من نقابة المماليك، وبقي على إمرته وولى عوضه دقماق نقابة المماليك.

وفيها مرضت زوجة الأمير طغاي، فعادها السلطان مرارا، فلما ماتت نزل الأمراء كلهم للصلاة عليها، وعمل كريم الدين لها مهما عظيما.

وفيها سار السلطان إلى الصيد في يوم الجمعة سابع شعبان، وتوجه إلى بلاد الصعيد. وعاد إلى قلعة الجبل يوم الإثنين تاسع عشر رمضان، وأعطى الأمراء دستورا، ونزل تحت الأهرام.

وفيها توجه كريم الدين إلى الإسكندرية وعاد وهو متوعك، فخلع السلطان عليه فرجية أطلس أبيض بطراز، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم.

وكان وفاء النيل يوم الأربعاء حادي عشرى جمادى الأولى – في ثامن عشر مسري". <السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٤٠٦>

٨٦–"وفيه عزل جمال الدين سليمان الزرعي عن قضاء القضاة بدمشق، واستمر عوضه جلال الدين محمد القزويني، بعد استدعائه إلى القاهرة في يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى، وقدومه في يوم الجمعة ثالث عشريه. فلما اجتمع القزويني بالسلطان أقبل عليه وصلى به الجمعة، ونزل إلى خانكاه سعيد السعداء، ثم ولاه قضاء القضاة بدمشق، وخلع عليه

يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة وسافر القزويني على البريد يوم الإثنين رابع عشريه، فقدم دمشق خامس رجب، وكان عليه ديون اجتمعت عليه بسبب مكارمه، وهي ألف دينار ومائة وستون دينارا، فأعطاه السلطان ما وفى به ديونه.

وفيه كتب باستقرار كمال الدين محمد بن علي الزملكاني في قضاء حلب، عوضا عن زين الدين عبد الله بن محمد بن عبد القادر الأنصاري.

وفيه توجه السلطان إلى الصيد بالبحيرة، فاصطاد نحو المائتي غزال بالحياة سوى ما قتل، وجرح كثيرا منها وأطلقها.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأولى: توجه الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربي، لإحضار كريم الدين الكبير وولده من المقدس، فلما كان يوم الخميس خامس عشريه حضرا على البريد تحت الحوطة، فسلما إلى الأمير قجليس، فأقاما كنده إلى يوم حادي عشر ربيع الآخر، ثم طلعا إلى قلعة الجبل، وطولبا بالمال.

وفيه تنكر الحال بين الأميرين تنكز نائب الشام والأمير ألطنبغا نائب حلب.

وفي يوم الخميس عاشر ربيع الآخر: حضر كريم الدين أكرم الصغير على خيل البريد من صفد إلى قلعه الجبل، فعوق ببرج باب القرافة.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره: سفر كريم الدين بكتمر وولده إلى الوجه القبلي، صحبة والي قوص.

وفي يوم الإثنين ثامن عشريه: أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير، ونزل إلى بيته.

وفي اليلة الأحد خامس عشر جمادى الأولى: طلع القمر مخسوفا بالسواد.

وفيه قدم منسا موسى ملك التكرور يريد الحج وأقام تحت الأهرام ثلاثة أيام في الضيافة. عدى إلى بر مصر في يوم الخميس سادس عشرى رجب، وطلع إلى القلعة ليسلم على السلطان، وامتنع من تقبيل الأرض، فلم يجبر على ذلك، غير أنه لم يمكن من الجلوس في الحضرة السلطانية. وأمر السلطان بتجهيزه للحج، فنزل وأخرج ذهبا كثيرا في شراء ما يريد من الجواري والثياب وغير ذلك، حتى انحط الدينار ستة دراهم.

وفي يوم الخميس ثامن رمضان: عزل الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام عن الوزارة، ولزم بيته. واستقر عوضه الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي وزيرا، مع مابيده من الأستادارية، في يوم السبت عاشره.

وفيه استقر شهاب الدين بن الأقفهسي في نظر الدواوين، عوضا عن الموفق، وعن شرف الدين بن زنبور. وولي مجد الدين إبراهيم بن لفيتة نظر البيوت، عوضا عن الأقفهسي المذكور. ثم قدم شمس الدين غبريال من دمشق باستدعاء في أثناء شهر رمضان، فاستقر ناظر الدواوين ووزير الصحبة ونائب الوزارة، في يوم الجمعة ثاني عشرى رمضان يوم وصوله.

واستقر في يوم الجمعة ثالث عشرى رمضان الأمير سيف الدين قدادار في ولاية القاهرة، عوضا عن علم الدين سنجر الخازن نقل إليها من ولاية البحيرة، ففتك في العامة، ومنع من الخمور وأراقها، فعظمت مهابته.

وفيه عزل علم الدين سنجر الحمصي من شد الدواوين، وولي الجيزة نحو شهرين، ثم أخرج إلى طرابلس شاد الدواوين بها.

وفيه استقر علاء الدين أيدغدي الباشقردي بمصر، عوضا عن علاء الدين ابن أمير حاجب.

وفيه استقر ابن زنبور في نظر خزائن السلاح، عوضا عن علاء الدين علي بن البرهان إبراهيم أحمد بن ظافر البرلسي. واستقر ابن البرلسي في نظر بيت المال، عوضا عن تاج الدين بن السكري، واستقر ابن السكري شاهد الخزانة الكبرى.

وفيه استقر كريم الدين أكرم الصغير في نظر الشام، عوضا عن غبريال، في يوم السبت رابع عشرى رمضان، وخرج على البريد يوم الإثنين سابع عشرى شوال.
وفي يوم السبت ثماني عشرى شوال. فتحت الحمام بقرب رحبة الأيدمري، وقد جددها الأمير الحاج آل ملك.
وفي يوم الثلاثاء ثامن عشريه: رحل الركب من بركة الحاج إلى الحجاز.
وفي يوم الإثنين ثامن ذي القعدة: قدمت رسل أبي سعيد بسبب المصاهرة مع السلطان، فأعيدوا بعد إكرامهم.
وفيه رسم بإغلاق دكاكين النشاب، وهدم مرامي النشاب.". <السلوك لمعرفة دول الملوك ٤٤٢/١>

٨٩-"فلما أصبح يوم الخميس خرج الأمير أرغون العلائي، والأمير ملكتمر الحجازي، والأمير تمر الموساوي، والأمير طشتمر طلليه، والأمير منكلى بغا الفخري، والأمير أسندمر. وجلسوا بباب القلة، فأتاهم الأميران أرقطاى وأصلم، والوزير نجم الدين محمود، والأمير قمارى استادر؛ وطلبوا الأمير الحاج آل ملك النائب، فلم يحضر إليهم، فمضوا كلهم إلى عنده، واستدعوا الأمير جنكلى بن البابا، واشتوروا فيمن يولونه السلطة فأشار جنكلى بأن يرسل إلى المماليك السلطانية، ويسألهم من يختارونه، " فأن من اختاروه رضيناه " فعاد جوابهم مع الحاجب أنهم رضوا بشعبان سلطانا، فقاموا جميعا ومعهم الأمير الحاج آل ملك النائب إلى داخل باب القلة.
وكان شعبان قد تخيل من في دخولهم عليه، وجمع المماليك، وقال: " من دخل قتلته بسيفي هذا، وأنا أجلس على الكرسي حتى أبصر من يقيمني عنه " فسير الأمير أرغون العلائي إليه، وبشره وطيب خاطره. ودخل الأمراء عليه، وسلطنوه انقضت أيام الصالح.
وكان السلطان الصالح في ابتداء دولته على دين وعفاف، إلا أنه كان في أيامه ما ذكر من قطع الأرزاق، وكثرة حركة عساكر مصر والشام في التجاريد. وشغف السلطان الصالح مع ذلك بالجواري السود، وأفرط في حب اتفاق، وأسرف في العطاء لها وقرب أرباب الملاهي، وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمطربين،. حتى أنه إذا ركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام ركبت أمه في مائتي امرأة الأكاديش، بثياب الأطلس الملون، وعلى رءوسهن الطراطير الجلد البلغاري المرصع بالجواهر واللآلى، وبن أيديهن الخدام الطواشية، من القلعة إلى السرحة. ثم يركب حظاياه الخيول العربية، ويتسابقن؛ ويركبن تارة بالكامليات الحرير، ويلعبن بالكرة، وكانت لهن في المواسم والأعياد وأوقات النزه والفرح أعمال يمكن حكايتها، وأكثرن من النزول إلى بيوت الكتاب ونحوهم.
واستولى الخدام الطواشية في أيامه على أحوال الدولة، وعظم قدرهم بتحكم كبيرهم عنبر السحرتي اللالا في السلطان، وركبوا الخيول الرائعة، ولبسوا الثياب الفاخرة، وأخذوا من الأراضي عدة رزق. واقتنى السحرتي البزاة والسناقر ونحوها من الطيور والجوارح، وصار يركب إلى المطعم، ويتصيد بثياب الحرير المزركشة، واتخذ له كفا مرصعا بالجوهر، وعمل له خاصكية وخداما ومماليك تركب في خدمته، حتى ثقل أمره، فأنه أكثر من شراء الأملاك، والتجارة في البضائع، وأفرد له ميدانا يلعب فيه

بالكرة، وتصدى لقضاء الأشغال. فصارت الإقطاعات والرزق لا تقضى إلا بالخدام والنساء، ولا يزال الأمير الحاج آل ملك النائب يشنع بذلك، وإذا أتاه أحد يطلب منه خبزا أو رزقة يقول له: " النائب ما له حكم، رح إلى باب الستارة، واسأل عن الطواشي فلأن الدين والطواشي فلأن الدين يقضوا لك حاجتك " .
وكان متحصل الدولة مع هذا كله في أيام السلطان الصالح إسماعيل قليلا، ومصروف العمارة لا يزآل جملة مستكثرة في كل يوم فأنفق السلطان على الدهيشة بالقلعة خمسمائة ألف درهم، سوى ما حمل إليه من بلاد الشام وغيرها، ثم عمل فيها من أوأني الذهب وألفضة ومن ألفرش ما يجل وصفه؛ ومنذ فرغت عمارتها لم ينتفع بها أحد، لشغفه بالغناء والجواري، سيما اتفاق. ولما ولدت منه اتفاق ولدا ذكرا عمل لها مهما تناهى فيه، حتى بلغ الغاية التي لا توصف عظمة.
وكانت حياته منغصة وعيشته نكدة، لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة.ثم قدم عليه منجك برأس أخيه أحمد من الكرك بعد قتله بها، فلما قدم بين يديه ورآه بعد غسله، اهتز وتغير لونه وذعر، حتى أنه بات ليلته يراه في نومه، ويفرغ فزعا شديدا.
وتعلل السلطان الصالح إسماعيل من رؤية رأس أحمد، وما برح يعتريه الأرق ورؤية الأحلام المفزعة، وتمادى مرضه وكثر إرجافه، وكثرت أفزاعه حتى اعتراه القولنج، ومات كما تقدم ذكره يوم الخميس، ودفن عند أبيه وجده بالقبة المنصورية، في ليلة الجمعة.
وكان السلطان الصالح إسماعيل رقيق القلب، زائد الرأفة والشفقة، كريما جوادا، مائلا إلى الخير. وبلغ من العمر نحو العشرين سنة، منها مدة سلطته ثلاث سنين وشهرأن وأحد عشر يوما.
؟؟؟؟؟؟؟؟؟السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون الألفي الصالحي". <السلوك لمعرفة دول الملوك ١١٤/٢>

٩٠-"وفي مستهل رجب: قدم الخبر بأن الأمير دلنجي نائب غزة بلغه كثرة جميع العشير، وقصدهم نهب لد والرملة؛ فركب إليهم ولقيهم قريبا من لد، منزل تجاههم، وما زال يراسلهم ويخدعهم حتى قدم إليه نحو المائتين من أكابرهم، فقبضهم وعاد إلى غزة، وقد تفرق جمعهم، فوسطهم كلهم.
وفيه توحه طلب الأمير أرغون الكاملي إلى حلب.
وفيه قدم طلب الأمير أرقطاى مع ولده وفي يوم الخميس مستهل شعبان: خرج الأمير قبلاي الحاجب.بمضافيه من الطبلخاناه والعشرات إلى غزة، لأحد شيوخ العشر.
وفي هذا الشهر: غير الوزير ولاة الوجه القبلي، وكتب بطلبهم، وعزل مازان من الغربية بابن الدواداري.
وفيه أضيف كشف الجسور إلى ولاة الأقاليم.
وفيه أعيد فار السقوف إلى ضمان جهات القاهرة ومصر بأجمعها، وكان قد سجن في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، وكتب على قيده مخلد، بعد ما صودر وضرب بالمقارع لقبح سيرته. فلم يزل مسجونا إلى أن أفرج عن المحابيس في أيام الصالح إسماعيل، فافرج عنه في جملتهم، وانقطع إلى أن اتصل بالوزير منجك واستماله، فسلمه الجهات بأسرها، وخلع عليه،

ومنع مقدمي الدولة من مشاركته في التكلم في الجهات، ونودى له في القاهرة ومصر، فزاد في المعاملات ثلاثمائة ألف درهم في السنة.

وفيه قدم الأمير قبلاي غزة، فاحتال على أدى حتى قدم عليه، فأكرمه وأنزله، ثم رده بزوادة إلى أهله فاطمأنت العشرات والعربان لذلك، وبقوا على ذلك إلى أن أهل رمضان. حضر أدى في بنى عمه لتهنئة قبلاي بشهر الصوم فساعة وصوله اليه قبض عليه وعلى بني عمه الأربعة، وقيدهم وسجنهم، وكتب إلى على بن سنجر: " بأني قد قبضت على عدوك ليكون لي عندك يد بيضاء، فسر سنجر بذلك، وركب إلى قبلاى، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد. ورحل قبلاى من غده ومعه أدى وبنو عمه يريد القاهرة، فقدم في يوم الإثنين حادي عشره، فضربوا على باب القلة بالمقارع ضربا مبرحا وألزم أدى بألف رجل ومائتي ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارها، فلما أخذت سمر هو وبنو عمه في يوم الإثنين خامس عشريه وقت العصر، وسيروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوسطوا بها. فثار أخو أدى، وقصد كبس غزة، فخرج إليه الأمير دلنجى ولقيه على ميل من غزة، وحاربه ثلاثة أيام، وقتله في اليوم الرابع بسهم أصابه، وبعث دلنجي بذلك إلى القاهرة، فكتب بخروج نائب صفد ونائب الكرك لنجدته، وفي مستهل شوال: توجه السلطان إلى الأهرام على العادة.

وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بحملة كبيرة تبلغ خمسين ألف في درهم، وتنهبه الغلمان، وكان أيضا قد أبطل سماط شهر رمضان.

وفي هذا الشهر: فرغت القيسارية التي أنشأها تاج الدين المناوي، بجوار الجامع الطولوني، من مال وقفه، وتشتمل على ثلاثين حانوتا.

وفيه خرج ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير فارس الدين، ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل الأمير فارس الدين معه مالا من بيت المال، ومن مودع الحكم، لعمارة عين جوبان.بمكة، ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة، ورسم أن تكون مقررة لهم في كل سنة. وخرج معه حاج كثير جدا، وحمل الأمراء من الغلال في البحر إلى مكة عدة آلاف أردب.

وفي مستهل ذي القعدة: قدم كتاب الأمير دلنجى نائب غزة بتفرق العربان، ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر، لربط إبلهم على البرسيم. فكبست البلاد عليهم، وقبض على ثلاثمائة رجل، وأخذ لهم ثلاثة آلاف جمل. ووحد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوائصهم، فاستعمل الرجال في العمائر حتى هلك أكثرهم.

وفي نصفه: خرج الأمراء لكشف الجسور، فتوجه الأمير أرنان للوحه القبلي، وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية، وتوحه الأمير آقجبا للمنوفية، وتوجه أراى أمير آخور للشرقية، وتوجه أحد أمراء العشرات لأشمون.

وفيه توقف حال الدولة، فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والمعاملين والخوشكاشية". <السلوك لمعرفة دول الملوك ١٦٥/٢>

٩١-"وفيه قدم الخبر بان الأمير أزدمر الأعمى الكاشف رتب من معه من الأمراء في عدة مواضع، وركب ومعه الأمير آينبك ليلا، وصاح العربان من عرك صباحا، وقتل منهم جماعة، وامتنع باقيهم بالجبل. فعاد الأمير أزدمر وطلب بني

هلال أعداء عرك، فأتاه منهم ومن غيرهم خلق كثير. وكتب الأمير أزدمر لأولاد الكنز.بمسك الطرقات على عرك، وركب ومعه الأمير فارس الدين والأمراء، وأسندمر المتوفي الإطفيحية، إلى الجبل؛ وقد لقيه الأحدب في حشد كبير، فلم يثبت الأحدب وانهزم من رمي النشاب، وترك أثقاله وحريمه. ونادى الأمير أزدمر. " يا بنى هلال دونكم أعداءكم " ، فمالوا عليهم يقتلون، وينهبون الواشي والغلال والدقيق والقرب والروايا، وسلبوا الحريم، حتى امتلأت أيدي بني هلال وأيدي الأجناد والغلمان من النهب. وكتب بذلك إلى السلطان، وأن البلاد قد خضرت أراضيها، وأطاع عربانها العصاة، وتوطن أهلها. فسر السلطان والأمراء بذلك، وحمل إلى كل من الكاشف والأمراء خلعة.

وفيه ألزمت ست حدق ألا تجتمع بأحد، فإنها كانت من جملة أنصار الناصر حسن.

وفيه ضيق على الناصر حسن، وسدت عنه أماكن كثيرة كان ينظر منها ويحدث من يريد؛ واحتفظ به احتفاظا زائدا.

وفيه توجه السلطان والأمراء إلى السرحة قريبا من الأهرام.

وفي أول ذي الحجة قدم عيسى بن حسن الهجان طائعا بأمان، فخلع عليه.

وفيه ارتفع سعر القمح من عشرين إلى سبعة وثلاثين درهما الأردب؛ وانحط سعر اللحم، فأبيع بدرهم الرطل.

وفيه قدم كتاب الأمير أرغون الكاملي نائب الشام يطلب الإعفاء من النيابة.

وفي هذه السنة: استقر في قضاء المالكية بحلب زين الدين عمر بن سعيد بن يحيي التلمساني، عوضا عن الشهاب أحمد بن ياسين الرياحي. واستقر في قضاء الحنفية بها جمال الدين إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن الكمال عمر بن العز عبد العزيز بن العديم، بعد وفاة أبيه. واستقر في كتابة السر بحلب جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود، عوضا عن الشريف شهاب الدين بن قاضي العسكر، وقدم الشريف إلى القاهرة.

ومات فيها من الأعيان قطب الدين أبو بكر بن محمد بن مكرم، كاتب الإنشاء، في أواخر شعبان، عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر؛ وكان كثير العبادة.

وتوفي الشريف أدى صاحب المدينة النبوية، في السحن.

ومات الأمير طشبغا الدوادار، بدمشق؛ وكان فاضلا دينا.

وتوفي قاضى الحنفية بحلب ناصر الدين محمد بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الحسن ابن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبي جرادة المعروف بابن العديم، عن ثلاث وستين سنة، منها في قضاء حماة عشر سنين، وفي قضاء حلب اثنتان وثلاثون سنة.

وتوفي تاج محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد المراكشي الفقيه الشافعي، بدمشق، في يوم الأحد ثالث عشرى جمادى الآخرة عن اثنتين وخمسين سنة، نشأ بالقاهرة، واستوطن بدمشق.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بيبرس الأحمدي أحد الطبلخاناه، وهو مجرد بالصعيد. فحمل ميتا إلى القاهرة، وقدم في يوم الإثنين ثاني عشري رمضان.

ومات علاء الدين على بن محمد بن مقاتل الحراني، ناظر الشام، في عاشر رمضان بالقدس.

وتوفي شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن محمد خالد بن محمد بن نصر المعروف بابن

القيسراني موقع الدست، وصاحب المدرسة بسويقة الصاحب من القاهرة، وبها قبره.
ومات الشيخ.ابن بدلك في يوم الأحد سابع عشرى شوال.
ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن الكويك، في داره ليلة السبت سادس عشرى ذي الحجة، ذبحه الحرامية.
ومات آقبغا والي المحلة، يوم الخميس تاسع عشرى ذي الحجة.
ومات ملك المغرب أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو بن أبي بكر بن حمامة، في ثالث عشري ربيع الآخر. وقام بعده ابنه أبو عنان فارس، وكانت مدته احدى وعشرين سنة.
سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة". <السلوك لمعرفة دول الملوك ١٨٦/٢>

٩٢-"وفيها كان القبض على تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام، ناظر الخاص وناظر الجيش. وعددت له ذنوب، منها أنه لما ولى نظر الجيش - بعد علم الدين بن زنبور - تشدد فيه، مع سلوكه سبيل الأمانة على المعنى. بمنع المقايضات والنزولات، حتى قلت أرزاقهم. ثم لما ولى نظر الخاص بعد بدر الدين - مضافا إلى الجيش - ثم مات الوزير موفق الدين، مالط إلى جهة طاز والملك الصالح، وأوقع في ذهنهما أنه لا يتمكن من عمل مصالح السلطان مع تحدث الأمير شيخو في أمور الدولة. فنقل ذلك إلى شيخو وصرغتمش، فقام صرغتمش على شيخو حتى استعفي من التحدث في أمور الدولة، وقلدوا السلطان أمرها، فاستقل بالتدبير وحده. وجعل الأمير طاز كأنه يتحدث عنه من غير إظهار ذلك، فاتفق مع الأمير طاز على توفير جملة من المعاليم المستقرة للمباشرين، فوفر منها ما تقدم ذكره، و لم يراع أحدا، فتنكرت القلوب له. ونقل مع هذا الأمير شيخو عنه أنه أغرى الملك الصالح به. وعرفه كثرة متاجره وأمواله، حتى تنكر عليه وعلى الأمير صرغتمش. فلما توطدت دولة الملك الناصر حسن، تفرغ الأمير شيخو لناظر الخاص. وعندما خرج من خزانة الخاص بالقلعة أخذ ووضع في رقبته باسة وجنزير، وكشف رأسه، وتناولته أيدي الناس يضربونه بنعالهم، وهم خدام السلطان ومماليكه بقتله، فلولا من هو موكل به، لأتوا على نفسه، ومازالوا به حتى أدخلوه قاعة الصاحب بالقلعة. وماجت القاهرة ومصر بأهلها لسرورهم بذلك، فكان يوما معدودا. ووقع الطلب عليه بحمل المال، وبسطت عليه العقوبات بأنواعها. وتولى تعذيبه عدوه خالد بن داود، فقبض على أخيه كريم الدين ناظر البيوت، وعلى الزامه وأصهاره وأتباعه. وولى مجد الدين موسى الهذباني شاد الدواوين، فعظمت مصيبتهم وجلت بلاياهم، فإنه أدخل على تاج الدين. بمزين حلق رأسه ثم شق جلدة رأسه بالموسى، وحشى جراحاته من الخنافس. ثم البس رأسه طاسة من نحاس قد أوقد عليه بالنار، حتى اشتدت سخونتها، فعندما أحست الخنافس بالحرارة سعت لتخرج، فلم تجد سبيلا، فجعلت تنقب في جراحات رأسه حتى هلك، بعد ما رأى في نفسه العبر من كثرة تنوع العذاب الاليم عليه. واعتزل بخبيئة في داره، فنزل الأمير قشتمر الحاجب، ومجد الدين الهذباني - شاد الدواوين - وخالد بن داود اليها، فوجدوا ستة الاف دينار. وأبيع موجوده، وهدمت داره، فكانت جملة ما أخذ منه عشرة الاف دينار.
واستقر عوضه في نظر الخاص والجيش علم الدين عبد الله بن نقولا، كاتب الخزانة. واستقر كريم الدين أكرم بن شيخ في نظر الدولة ونظر البيوت. واستقر الفخر ابن السعيد - صاحب ديوان الجيش - في كتابة الخزانة عوضه.

وفي هذا الشهر: قدم الأمير أرغون الكاملى نائب حلب، فأكرم إكراما زائدا، وخلع عليه، وأنعم عليه بإقطاع الأمير طاز من غير زيادة، وهي منية ابن خصيب وناحية أخرى.
وفي يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة: أخرج الأمير أسندمر العمرى لنيابة حماة، ونقل الأمير سيف الدين طبيرق نائب حماة إلى إمرة بدمشق. ونقل الأمير منجك من صفد إلى نيابة طرابلس، عوضا عن أيتمش الناصري بعد وفاته.
وفي هذا الشهر: ركب السلطان إلى جهة الأهرام، وعاد فدخل إلى بيت الأمير شيخو، يعوده وقد وعك، فقدم له تقدمة جليلة.

وفيه خلع على الأمير صرغتمش، واستقر في نظر المارستان المنصوري، وكان قد تعطل نظره من متحدث تركي، وانفرد بالكلام فيه القاضي علاء الدين على بن الأطروش وفسد حال وقفه، فإنه كان يكثر من مهاداة أمراء الدولة ومدبريها، ويهمل عمارة رباعه حتى تشعثت فنزل اليه الأمير صرغتمش، ودار فيه على المرضى، فساءه ما رأى من ضياعهم، وقلة العناية بهم، فاستدعى القاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد بن خطيب بيت الآبار وعرض عليه التحدث في المارستان كما كان، عوضا عن ابن الأطروش. فامتنع من ذلك، فمازال به حتى أجاب. وركبا إلى أوقاف المارستان بالمهندسين، لكشف ما يحتاج اليه من العمارة، فكتب تقدير المصروف ثلاثمائة ألف درهم، فرسم بالشروع في العمارة، فعمرت الأوقاف حتى ترفع ما فسد منها، ونودى بحمايه من سكن فيها، فزاد ريع الوقف في الشهر نحو أربعين ألف درهم، ومنع من يتعرض اليهم، وانصلحت أحوال المرضى أيضا.". <السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٢١٩>

٩٣-"ومات السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون في محبسه من قلعة الجبل، سلخ ذي الحجة، ودفن بتربة عمه الصالح علي بن قلاوون قريبا من المشهد النفيسي. رحمه الله تعالى.
وتوفى فخر الدين محمد بن محمد بن مسكين الشافعي، أحد نواب الحكم، ولى قضاء الإسكندرية وغيرها عن ثلاث وتسعين سنة، في يوم الاثنين سابع رجب رحمه الله ومات صدر الدين محمد بن قاضي القضاة تقي الدين أحمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض الحنبلي، فاستقر عوضه في تدريس المدرسة المنصورية قاضي القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلي. وفي تدريس المدرسة الأشرفية، ناصر الدين نصر الله الحنبلي.
ومات شرف الدين موسى بن كجك، الإسرائيلي الأصل، الطبيب، في يوم الثلاثاء ثامن شوال. وكان بارعا في الطب، مشاركا في عدة علوم، وكتب بخطه الجيد كتبا كثيرة.
وتوفي شهاب الدين أحمد القسطلاني خطيب جامع عمرو بمصر وخطيب جامع القلعة، في يوم الجمعة خامس ذي الحجة.
وتوفي تاج الدين أحمد الزركشي الشافعي مدرس المدرسة الفارسية، وخطيب الجامع الأخضر في يوم الإثنين ثامن ذي الحجة.
وتوفي سراج الدين عبد الله بن محمد بن معز، يوم الخميس حادي عشرين المحرم، عنماية سنة، وولى حسبة الإسكندرية وشهادة بيت المال.
وتوفي ضياء الدين أبو المحاسن يوسف بن أبي بكر بن محمد المعروف بالضياء بن خطيب بيت الآبار الشامي، في ذي الحجة. ولى الحسبة، ونظر الدولة، ونظر المارستان، وغير ذلك، وكان ناهضا أمينا. رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم بالصواب.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

سنة اثنتين وستين وسبعمائة

أهلت والأمراض بالباردة فاشية في الناس، وقد ساءت أحوالهم لطول مدة أمراضهم. وفيها قدم الأمير بيدمر نائب الشام، ومعه الأمير جركتمر المارديني المجرد بالحجاز، وقد قبض عليه وعلى الأمير قطلوبغا المنصوري، وقدم الأمير منجك، وتمثل بين يدي السلطان.

وفيها عدى السلطان إلى بر الجيزة ونزل بناحية كوم برا قريبا من الأهرام.

وفيها قبض على الوزير الصاحب فخر الدين ماجد بن خصيب وعلى أخيه وحواشيه وأصهاره، وأحيط بدياره، وألزم بمال كبير. ثم نفي إلى مصياف من بلاد الشام، فأقام بها سنة ونيفا ثم نقل إلى القدس، فأقام هناك أربع سنين. ومات وكان قد أظهر في وزارته من الترفع والتعاظم أمرا زائدا. من ذلك أنه ألزم جميع مباشري الدولة والخاص وعامة المشدين بالركوب معه إذا ركب، فإذا وصلوا بين يديه إلى رأس سوق الحريريين من القاهرة، نزل مقدم الدولة ومقدم الخاص ومضيا في ركابه إلى بين القصرين، ثم نزلت طائفة بعد طائفة، بحسب رتبهم، ومشوا بين يديه حتى لا يبقى أحد راكب سواه، إلى أن يصل إلى داره برأس حارة زويلة، فإن كان في داره بفم الخور على النيل نزل من ينزل من قنطرة قدادار ومشوا إلى داره وهو راكب، فإذا مضى إلى الصناعة بمدينة مصر، نزل الناس من باب مصر، وبقي هو وأخوه راكبين. بمفردهما إلى الصناعة، والناس جميعا مشاة. وعني بالأسمطة، فكان يطبخ دائما في كل يوم بداره ألف رطل من اللحم، سوى الدجاج والأوز. وكان يبعث كل ليلة بعد عشائه إلى بين القصرين من القاهرة فيشترى له. بمبلغ مائتين وخمسين درهما فضة ما بين قطا وسمان وفراخ وحمام وعصافير مقلوة. وتناهي في أنواع الأطعمة الفاخرة، واقترح علبا كبار للحلوى، عرفت بعده مدة سنين بالعلب الخصيبية. وأخبرني الوزير الصاحب تقي الدين عبد الوهاب بن الوزير فخر الدين ماجد بن أبي شاكر أنه كان في دارهم من جواري ابن خصيب جاريتين، تحسن كل واحدة منهما ثمانين لونا من التقالى سوى بقية ألوان الطعام. وبلغت عدة جواريه سبعمائة جارية، بعد ما كان من أفقر الكتاب. وقد غلبه الدين، وأقام في السجن والترسيم على ديون الناس مدة شهر.".

<السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٢٣٢>

٩٤-"وتوفي السلطان أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني صاحب فاس من بلاد المغرب. وكان من خبره أن أباه السلطان - أبا الحسن - أقامه أميرا، فقدم هو وأخوه إلى غرناطة من الأندلس في العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين، فأقاما بها إلى أن مات أبو عنان في سنة تسع وخمسين، وأقيم بعده ابنه السعيد في الملك، فخرج أبو سالم من غرناطة ليلا، ولحق بأشبيلية وبها سلطان قشتالة فطرح نفسه عليه، فوعده ولم يف له، فاجتمع الناس على منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق، ونازل البلد الجديد، فخرج أبو سالم من إشبيلية بغير طائل، ومضى إلى الإفرنس فانضم إليه طائفة وأخذ مدينة أصيلا وطنجة، فتلاحقت به جيوش منصور بن سليمان، وقد اختل أمره ففر. فسار أبو سالم بمن معه ودخل دار الإمارة، يوم الخميس النصف من شعبان، سنة تسع وخمسين، فلم يختلف عليه أحد إلى أن كانت هذه السنة ثار عليه ثقته ودعا إلى

أخيه تاشفين. ففر الناس عنه، وخرج ليلا فأخذ وذبح، فاضطربت الأمور من بعده. وكان وسيما بدينا كثير الحياء مؤثرا للجميل، له معرفة بالحساب والنجوم، ومحبة في الراحة.

وتوفي الأمير طاز في العشرين من ذي الحجة بالشام.

وتوفي الشريف شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن أبي الركب، نقيب الأشراف بالقاهرة، وإليه تنسب المدرسة الشريفية بحارة بهاء الدين.

وتوفي أبوه شهاب الدين في شعبان، سنة اثنتين وستين.

وتوفي شمس الدين أبو إمامة محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم، المعروف بابن النقاش الشافعي، الفقيه المحدث، المفسر الواعظ، في يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول.

وتوفي أمين الدين محمد بن الجمال أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المظفر ابن أسعد بن حمزة المعروف بابن القلانس التميمي الدمشقي، وكان أحد أعيان دمشق، وباشر بها وكالة بيت المال وقضاء العسكر، ودرس الفقه، ثم ولي كتابة السر مدة، وعزل عنها.

وتوفي قاضي القضاة المالكية، تاج الدين أبو عبد الله محمد بن علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الأخنائي المالكي، في ثامن عشر صفر بالقاهرة.

وتوفي ناصر الدين محمد بن أبي القاسم بن حمل المعروف بابن التونسي، أحد نواب القضاة المالكية، في يوم الجمعة حادي عشر صفر بالقاهرة.

ومات ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي الشافعي. ولي كتابة السر بحلب ودمشق، ثلاثا وعشرين سنة، ودرس، وقال الشعر.

وتوفي صلاح الدين عبد الله بن محمد بن كثير التاجر النحوي المعروف بابن المعزى بمكة، في ذي القعدة. أخذ النحو بالقاهرة عن أبي الحسن والد الشيخ سراج الدين عمر بن الملقن. وكان عبدا صالحا.

وتوفي الأمير أينبك أخو الأمير بكتمر الساقي.

وتوفي الصاحب الطواشي صفي الدين جوهر الزمردي بقوص في شعبان.

وتوفي فتح الدين يحيى بن عبد الله بن مروان بن عبد الله بن قمر بن الحسن الفارقي الأصل الدمشقي الشافعي، في ربيع الآخر بدمشق. ومولده في القاهرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة. وقد حدث، وكان صالحا، ثقة، ثبتا.

وتوفي والده في صفر سنة ثلاث وسبعمائة.

وتوفي شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرح الدمشقي الحنبلي، في رجب بدمشق، ومولده بعد سنة سبعمائة، برع في الفقه وغيره، وصنف كتاب الفروع، وهو مفيد جدا. والله أعلم.

سنة أربع وستين وسبعمائة

في المحرم: عدى السلطان والأمير يلبغا النيل إلى بر الجيزة، وخيم قريبا من الأهرام، وفي يوم الإثنين: رابع عشر صفر قدم قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن السبكي على البريد من دمشق، باستدعاء، فاجتمع بالسلطان والأمير يلبغا ثم عاد إلى

القاهرة. وفي تاسع عشر شهر ربيع الأول: عاد السلطان من السرحة بالجيزة، ومعه الأمير يلبغا.

وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي وأعيد إلى قضاء دمشق، وخلع على أخيه بهاء الدين وأعيد إلى إفتاء دار العدل، وبقية وظائفه. وخلع على الأمير أقتمر عبد الغنى واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن أسنبغا بن البوبكري.". <السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٢٣٩>

٩٥-"شرف الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين أبي الحسن علي ابن أبي البركات منصور الدمشقي الحنفي، قاضي القضاة بديار مصر، بعد ما عزل نفسه، وأقام بدمشق، في ليلة الإثنين عشرين شعبان.

وتوفي الشريف شرف الدين عاصم بن محمد الحسني نقيب الأشراف، في عاشر المحرم.

وتوفي الشيخ عباس بن حسن التميمي الشافعي، المقرئ، خطيب جامع أصلم خارج القاهرة، في يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة. تصدى لتدريس الفقه وإقراء القراءات عدة سنين.

وتوفي نور الدين علي عبد الصمد الجلاوي - بالجيم - أحد فقهاء المالكية، في رابع عشرين ذي الحجة.

ومات الأمير منكلي بغا الأحمدي، الشهير بالبلدي، نائب حلب، وقد تجاوز نحو أربعين سنة.

ومات الركن عمر نائب الوجه القبلي.

ومات الأمير فطلوبغا البزلاري، أحد العشرات.

وتوفي قاضي الفضاة جلال الدين أبو عبد الله ويعرف بجار الله، بن قطب الدين محمد بن محمود النيسابوري، الحنفي،يوم الإثنين رابع عشر شهر رحب.

وتوفي قاضي القضاة بحلب جلال الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن عثمان بن أحمد ابن عمرو بن محمد الزرعي الشافعي، قاضي حلب.

وتوفي الفقير المعتقد زين الدين محمد بن المواز، في ثاني عشرين ربيع الأول بالقاهرة.

وتوفي شمس الدين محمد الحكري في ذي الحجة، بالرملة وكان فقيها شافعيا، عارفا بالقراءات. قرأ على البرهان الحكري، ناب في الحكم ثم ولي قضاء القدس وصيدا بيروت.

توفي الوزير الصاحب تاج الدين عبد الوهاب النشو الملكي الأسلمي، تحت العقوبة، مستهل شهر جمادى الآخرة.

وتوفي أحد فقهاء الشافعية بدمشق، شمس الدين محمد بن نجم الدين عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الأسدي الدمشقي، المعروف بابن قاضي شهبة. في ثامن المحرم،. ومولده في يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة، بدمشق.

وتوفي أبو محمد حجي بن موسى بن أحمد بن سعد السعدي الحسباني، الشافعي، بدمشق، في ليلة الأربعاء سابع عشر صفر، وقد صار من أعيان فقهائها، مع اقتصاد وانجماع.

ومات قتيلا الأمير صلاح الدين خليل بن علي بن أحمد بن عرام في رابع عشرين شهر رجب.

سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة

في يوم الأحد ثالث المحرم: قبض على طائفة من عرب البحيرة، نحو ثلاثة وعشرين رجلا عند الأهرام، قد فروا يريدون النجاة، فوسطوا، وأخذت مواشيهم.

وفيه ابتدأ الوباء بالطاعون في الناس بالقاهرة ومصر، وتزايد حتى بلغ عدة من يموت في اليوم ثلاثمائة ميت.

وفي خامسه: خلع على قاضي القضاة بدمشق ولي الدين عبد الله بن أبي البقاء، باستقراره على عادته. وخلع على قاضي القضاة بحلب كمال الدين المعري باستقراره. وسارا عائدين إلى بلديهما في عاشره: ابتدأ الأمير مأمور الحاجب بعرض الأجناد، وإلزام من عبرة إقطاعه ستمائة دينار، بالسفر إلى البحيرة أو إخراج بديل عنه.

وفي ثاني عشره: قدم الخبر بأن خمسة من أعيان أهل البحيرة قدموا على الأمير أيتمش، راغبين في الطاعة، ومعهم نحو ستمائة فارس، وعدة رجالة.

قدم البريد من الإسكندرية بطلب بدر بن سلام، من الأمير بلوط أن يسأل له في الأمان، فلم يجبه الأمير الكبير برقوق إلى سؤاله. وكتب بالقبض على الذين قدموا إلى الأمير أيتمش، فقبض عليهم، وقتل أكابرهم.

في تاسع عشره: قدم الأمير قطلوبغا الكوكاي، ومعه خمسة وعشرون رجلا من أعيان البحيرة، فعفي الأمير الكبير عنهم.

وفي خامس عشرينه: خلع على جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينة شاد الجنان بالإسكندرية ثم أحد أجناد الحلقة، واستقر نقيب الجيش عوضا عن ناصر الدين محمد بن قرطاي الكركي وفي هذه الأيام: مرض السلطان حتى أرجف.بموته، ثم عوفي.

وفي يوم الأحد ثاني صفر: قدم الأمير أيتمش. بمن معه من تجريدة البحيرة، وقد فر بدر سلام إلى جهة برقة وبعث الأمير قرط برجال كثير قد قبض عليهم، وبعدة من رءوس قتلاهم، فعلقت على باب زويلة.ونزل قرط دمنهور، وبنى عليها سورا،أخذ في عمارة ما خرب من بلاد البحيرة.

وفي تاسعه خلع على آلطنبغا الصلاحي، واستقر في ولاية الأشمونين، عوضا عن محمد بن العادلي.". <السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٣٤٣>

٩٦-"وفي سادس عشره: قبض الوزير على عبيد البازدار - مقدم الدولة - وأخذ منه مائة ألف درهم، وأقام عوضه محمد بن عبد الرحمن في تقدمة الدولة، ثم جعل معه شريكا له عبد الله بن محمد بن يوسف.

وفي عشرينه: خرجت تجريدة إلى دمياط، فيها ستون مملوكا، وخرجت تجريدة إلى الإسكندرية، وإلى رشيد.

وفيه أخرجن إقطاعات المماليك الأشرفية عنهم إلى مماليك السلطان .

وفيه اشتدت عقوبة ابن البقري بالمقارع، وألزم بحمل خمسمائة ألف درهم، بعد ما أخذ منه ما يقارب الثلاثمائة ألف دينار.

وفي هذا الشهر ركب السلطان للصيد عدة مرار.

وفيه كتبت أسماء الذين في سجن القضاة على الديون، وصولح غرماؤهم عمالهم عليهم من الدين.بمال أخرجه السلطان على يد الأمير جركسالخليلي، وأفرج عنهم.

وفيه شفع الأمراء في الخليفة، وتقدم منهم الأمير أيتمش، والأمير ألطنبغا الجوباني، وقبلا الأرض، وسألا السلطان في العفو

عنه، وترفقا في سؤاله، فعدد لهما ما أراد أن يفعله من قتله وقتلهم، فكفا عن مساءلته.

ثم سأله بعد ذلك الأمير سودن النائب فيه، فأمر بقيده، ففك عنه.

وفي يوم الأحد ثالث شوال: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وعاد من يومه، وأمر بتتبع المماليك الأشرفية والمماليك البطالين، فأخذوا، وعملوا في الحديد، ونفوا من مصر.

وفي ثاني عشره: عدى السلطان النيل إلى الجيزة وتصيد، ثم عاد إلى مخيمه تحت الأهرام، فمر على خيمة الأمير قطلو أقتمر أمير جاندار فوقف عليها، وخرج إليه قطلو أقتمر وقبل له الأرض، وقدم له أربعة أفراس فلم يقبلها، فقبل الأرض ثانيا، وسأل السلطان أن يقبلها، فأجاب سؤاله وقبلها. وتوجه السلطان إلى مخيمه، واستدعى في الحال بإبراهيم بن قطلو أقتمر من خزانة شمايل، وخلع عليه، وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش، وأعطاه ثلاثة أروس أخر، وهي التي قدمها أبوه، وأذن له أن يمشي في الخدمة، ووعده برزق، وأرسله إلى أبيه، فسر به سرورا كبيرا وكان في هذه المدة لم يحدث السلطان، ولا أحدا من الأمراء في أمر ولده، فأتاه الله بالفرج من حيث لا يحتسب.

ورحل السلطان إلى سسرحة بالبحيرة على العادة، وعاد في يوم الخميس سادس ذي القعدة إلى القلعة. وخلع على قاضي العسكر بدر الدين محمد بن البلقيني الشافعي، وشمس الدين محمد القرمي الحنفي.

وفي يوم السبت ثامنه: جمع السلطان القضاة، واشترى الأمير أيتمش البجاسي من ورثة الأمير جرجي نائب حلب بحكم أن جرجي لما مات لم يكن أيتمش البجاسي ممن أعتقه، بل كان في رقه، فأخذه بعد جرجي بجاس وأعتقه من غير أن يملكه بطريق صحيح، فلم يصادف عتقه محلا، وأثبتوا ذلك على القضاة. فلما اشتراه السلطان منهم بمائة ألف درهم أعتقه وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم فضة، وبناحية سفط رشين ثم خلع على القضاة والموقعين الذين أسجلوا قضية البيع والعتق.

وفي تاسعه: ركب السلطان إلى بركة الحجاج، وعاد فدخل من باب الفتوح وشق القاهرة إلى باب زويلة، وصعد إلى القلعة.

وفي عاشره: خلع على كاتب السر أوحد الدين لقراءته عتاقة الأمير أيتمش الظاهري. وخلع على نقيب الأشراف السيد الشريف جمال الدين عبد الله عبد الرحيم الطباطبي، واستقر في نظر وقف الأشراف، عوضا عن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء، فخرج من حينئذ نظر الأشراف عن القضاة، و لم يعد إليهم. وأنعم على الأمير ألطنبغا السلطاني بإمرة طبلخاناة.

وفي سابع عشره: ضرب ابن البقري بين يدي السلطان ضربا مبرحا.

وفيه خلع على المحتسب جمال الدين محمود العجمي خلعة الاستمرار، وقد أرجف بعزله.

وفيه كتب باستقرار قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، في قضاء القضاة بدمشق، بعد وفاة ولي الدين عبد الله بن أبي البقاء، وحمل إليه تقليده وتشريفه فلم يقبل، فخوف عاقبة ذلك، فأجاب وتوجه من القدس إلى دمشق.

وفي يوم الثلاثاء تاسع ذي الحجة: أفرج عن الخليفة المتوكل، ونقل من سجنه بالبرج إلى دار بالقلعة، وطلع إليه عياله.".
<السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٣٧١>

٩٧-"وفي حادي عشره: قدم رسل الخان طقتمش بن أزبك - متملك بلاد الدشت فخرج الأمير سودن النائب، والأمير يونس الدوادار، وأنزلوهم بالميدان الكبير على النيل، ثم أحضروا إلى الخدمة بالإيوان في يوم الإثنين ثامن عشره، ومعهم هديتهم، وهي سبعة سناقر من الطيور الجوارح، وسبع بقج قماش، وعدة مماليك. فلما قرئ كتابهم ظهر أنهم رسل متملك بلاد القرم. فقطع راتبهم وكان في كل يوم خمسمائة رطل لحم، ورأس بقر، ورأسا من الخيل برسم الذبح، ومبلغ ألف درهم. وأخرجوا من الميدان إلى موضع بالقلعة، وخلع عليهم في حادي عشرينه وأعيدوا.

وفي عشرينه: أخرج محمد بن طاجار - والي الغربية - منفيا إلى طرابلس.

وفي خامس عشرينه: أخرج محمد بن طيبغا الدمرداش منفيا إلى صفد، وتوجه الأمير كمشبغا الخاصكي بخلعة قرابلاط الأحمدي نائب البحيرة ليستقر في نيابة ثغر الإسكندرية، عوضا عن بلوط الصرغتمشي. واستقر جمق السيفي في ولاية البهنسا والإطفيحية ، عوضا عن أبي درقة.

وفي ثامن عشرينه: استجد لقرافة مصر والي بإمرة عشرة، واستقر فيها سليمان الكردي، وأخرجت عن والى مدينة مصر. ولم يعهد هذا فيما سلف.

وفي سلخه: خلع على خان بولاية البهنسي، عوضا عن جمق. واستقر الأمير كمشبغا الحموي في نيابة طرابلس، عوضا عن مأمور القلمطاوي.

وفيه أخذ بقطيا مكس ستين ألف نصفية ، قدمت من بغداد، سوى الثياب البغدادية والموصلية والحموية والدمشقية، وهي أضعاف ذلك.

وفيها خلع ملك المغرب صاحب فاس أبو العباس أحمد بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني وملك فاس عوضه موسى بن أبي عنان ، في العشرين من ربيع الأول.

وأعيد الأمير نعير بن حيار إلى إمرة آل فضل، عوضا عن الأمير فخر الدين عثمان بن قارا بن مهنا. ونقل الأمير سيف الدين سودن المظفري من نيابة حماة إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير يلبغا الناصري.

ومات في هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الفيشي ناظر المواريث، وناظر الأهرام، في سادس رجب.

ومات الأمير بهادر الجمالي، المعروف بالمشرف، أمير الحاج، أحمد الألوف، في ذي القعدة بعينونة من طريق الحجاز، وبها دفن.

وتوفي قاضي القضاة علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الطاي البساطي المالكي، وهو معزول، في يوم الجمعة سادس عشر صفر، وقد أناف على الستين ومات الأمير طبج المحمدي - أحد أمراء الألوف - وقد أخرج إلى دمشق.

وتوفي كاتب السر أوحد الدين عبد الواحد بن تاج الدين إسماعيل بن ياسين الحنفي، في يوم السبت ثاني ذي الحجة.

وتوفي ناظر الجيش تقي الدين عبد الرحمن بن ناظر الجيش محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمي، الحلبي الأصل، الشافعي، في ليلة الخميس سادس جمادى الأولى.

وتوفي الأمير جمال الدين عبد الله بن الأمير بكتمر الحاجب – أحد الطبلخاناة – في يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى.
ومات الأمير علاي الدين علي بن أحمد بن السايس الطيبرسي – أستادار خوند بركة أم الأشرف شعبان – في سادس شوال.
ومات قاضي القضاة صدر الدين محمد بن علاء الدين على بن منصور الحنفي، وهو قاضي، في يوم الإثنين عاشر ربيع الأول. وقد أناف على ثمانين سنة، وفاق في علم الفقه أهل زمانه.
ومات الشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود الرومي البابرتي الحنفي، شيخ الخانكاة الشيخونية، وعظيم فقهاء مصر، في ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان. شرح الهداية في الفقه، وكتب تفسير القرآن، وشرح تلخيص المفتاح، وأخذ عن شمس الدين الأصفهاني، وأبي حيان.
ومات قاضي مكة وخطبها كمال الدين أبو الفضل محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي العقيلي النويري المصري بمكة، في ليلة الأربعاء ثالث عشر رجب.
ومات عالم بغداد شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني ،ثم البغدادي الشافعي، شارح البخاري، في المحرم، بطريق الحجاز، فحمل إلى بغداد ودفن بها. ومولده في جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة. قدم مصر والشام.
ومات صائم الدهر محمد بن صديق التبريزي الصوفي، في ليلة الإثنين خامس عشر رمضان، بالقاهرة.". <السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٧٨/٢>

٩٨-"وفي يوم الإثنين خامس عشرينه: استدعى السلطان زكريا بن الخليفة المعتصم بالله أبي إسحاق إبراهيم بن المستمسك بالله أبي عبد الله محمد بن الحاكم بالله أحمد وأعلمه أنه يريد أن ينصبه خليفة، عوضا عن الخليفة الواثق بالله عمر بن المعتصم إبراهيم بعد وفاته. ثم استدعى بقضاة القضاة وأهل الدولة، فلما اجتمعوا أظهر زكريا عهد عمه – المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر إليه بالخلافة، فخلع عليه خلعة الخلافة، ونزل إلى داره. فلما كان يوم الخميس ثامن عشرينه طلع الخليفة زكريا إلى القصر من قلعة الجبل، وحضر أعيان الأمراء وقضاة القضاة الأربع، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، وصدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي مفتي دار العدل – وبدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، ونجم الدين محمد الطنبدي – وكيل بيت المال – فبدأ شيخ الإسلام بالكلام مع السلطان في مبايعة زكريا على الخلافة، فبايعه السلطان أولا، ثم بايعه من حضر على مراتبهم. ونعت نفسه بالمستعصم بالله أبي يحيى. ثم أشهد عليه الخليفة أنه قلد السلطان أمور العباد والبلاد وأقامه في ذلك مقام نفسه، فخلع عليه خلعة الخلافة، وخلع على عامة من حضر، وركب القضاة بين يدي الخليفة إلى منزله، فكان يوما مشهودا.
وفي سلخه: قدمت رسل أحمد بن أويس – متملك بغداد – بكتابه، يتضمن أن تيمورلنك نزل قرا باغ، ليشتي بها ثم يعود، وحذر منه.
وفي يوم الإثنين ثالث ذي القعدة: خلع على الخليفة المستعصم بالقصر، واستقر في نظر مشهد السيدة نفيسة. وخلع على

شهاب الدين أحمد الأنصاري واستقر في مشيخة خانكاه سعيد السعداء، عوضا عن برهان الدين إبراهيم الأبناسي، بواسطة الأمير سودن النائب. وذلك أنه التزم أن يعمر أوقاف الخانكاه من ماله ،بمبلغ ثلاثين ألف درهم ،ولا يتناول معلوم المشيخة، بل يقنع.بماله من معلوم التصوف، فإنه كان من جملة صوفيتها.على أنه لا يستجد بها صوفيا، وأنه يوفر نصيب من مات منهم، حتى تعمر أوقافها.

وفي سادسه: خلع على رسل ابن أويس وسافروا.

وفي ثامنه: عدى السلطان النيل، ونزل تحت الأهرام، فأقام في سرحته حتى وصل إلى ناحية دلنجة ، ثم عاد فطلع إلى القلعة في عشرينه.

وفي هذا الشهر أخرج الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان مائة ألف وثمانية عشر ألف أردب قمحا، طرحه على التجار، كل أربعة أرادب بثلاثة وتسعين درهما – عنها أربعة دنانير – سعر كل دينار ثلاثة وعشرون درهما وربع درهم. فمن هذه الأربعة أرادب، إردب بسبعة وعشرين درهما، وإردب بستة وعشرين درهما، وإردب بأحد وعشرين درهما؛ وإردب بتسعة عشر درهما، فيجيء معدل كل إردب بدينار.

وفيه خلع على قوزي السيفي، واستقر في ولاية قوص، عوضا عن مقبل الطيبي. وخلع على سعد الدين نصر الله بن البقري، واستقر ناظر الديوان المفرد الذي استجده السلطان، وناظر ديوان المماليك. واستقر برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن عمر الصنهاجي في قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن علم الدين محمد بن محمد القفصي. واستقر في قضاء الحنفية بحلب موفق الدين، عوضا عن محب الدين محمد بن الشحنة.

وفي أول ذي الحجة: أحضر من دمشق بأربعة من الفقهاء في الحديد، اتهموا أنهم سعوا في نقض المملكة، والدعاء لإمام قرشي، فسجنوا. ثم أحضروا في يوم الأربعاء رابع عشرينه إلى بين يدي السلطان وتقدم كبيرهم – أحمد بن البرهان – فكلم السلطان عما سأله عنه، وصدع بالإنكار عليه، وأنه غير أهل للقيام بأمر المسلمين، وعدد له ما هو عليه من أخذ المكوس ونحو ذلك، وأنه لا يقوم بأمر المسلمين إلا إمام قرشي. فأمر به وأصحابه أن يعاقبوا حتى يعترفوا. بمن معهم من أمراء الدولة، فتولى عقوبتهم الأمير حسام الدين حسين والي القاهرة، ثم سجنهم بخزانة شمايل.". <السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٣٨٥>

٩٩–"وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره: غمز على الملك الظاهر برقوق. وذلك أنه لما نزل من الإصطبل في الليل مختفيا مضى إلى بيت أبي يزيد – أحد أمراء العشراوات – واختفي بداره، فلم يعرف خبره، والطلب له يشتد، وهجم على عدة بيوت بسببه، فلم يوجد. ونكر النداء عليه، فخاف أن يؤخذ باليد، فلا يبقي عليه، فأعلم الأمير ألطبغا الجوباني بمكانه، فصار إليه، وقيل إنه نزل من الإسطبل ومعه أبو يزيد لا غير، فتبعه نعمان مهتار الطشت خاناه إلى الرميلة، فرده. ومضى هو وأبو يزيد إلى أن أخلى له مكانا اختفى فيه. وأخذ الناصري يتتبع أثره حتى سأل المهتار نعمان عنه، فأخبره أنه نزل ومعه أبو يزيد، وإنه لما تبعه رده، فأمر حينئذ حسين بن الكوراني بإحضار أبي يزيد، فشدد في طلبه، وهجم بيوتا كثيرة، فلم يقف له على خبر، فقبض جماعة ممن يعرفه وقررهم، فلم يجد عندهم علما به. وما زال يفحص حتى دله بعضهم على مملوك أبي يزيد، فقبض على امرأة المملوك وعاقبها، فدلته على أبي يزيد، وعلى الملك الظاهر، وأنهما في بيت رجل خياط بجوار

بيت أبي يزيد، فمضى إلى البيت، وبعث إلى الناصري يعلمه، فأرسل إليه الأمراء. وقيل إنه لما نزل من الإسطبل كان نحو نصف ليلة الاثنين، فسار إلى النيل وعدى إلى الجيزة، ونزل عند الأهرام، وأقام ثلاثة أيام ثم عاد إلى بيت أبي يزيد، فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره، حضر مملوك أبي يزيد إلى الناصري، وأعلمه بأن الظاهر في داره أستاذه، فأحضر أبا يزيد وسأله، فاعترف أنه عنده، فأخذه الأمير ألطنبغا الجوباني، وسار به إلى حيث الظاهر، فأوقف الجوباني من معه، وصعد إليه وحده. فلما رآه الظاهر قام له، وهم أن يقبل يده، فاستعاذ بالله من ذلك. وقال: " يا خوند أنت أستاذنا، ونحن مماليكك " . ثم ألبسه عمامة وطيلسة، ونزل به وأركبه وشق به الصليبية نهارا، حتى مر في الرميلة، إلى أن صعد به إلى الناصري في الإصطبل، فحبس بقاعة الفضة من القلعة. وألزم أبو زيد بإحضار ما للظاهر عنده، فأحضر كيسا فيه ألف دينار، فأنعم به عليه، وخلع عليه، وخلى عنه. ورتب لخدمة الظاهر مملوكان وغلامه المهتار نعمان، وقيد بقيد ثقيل.

وفي خامس عشره: أفيض على الخليفة المتوكل تشريف جليل. وخلع على بدر الدين محمد بن فضل الله عند قراءة عهد الملك المنصور، وألبس الأمراء الذين قدموا مع الناصري أقبية مطرزة بذهب. واستقر حسام الدين حسن بن على الكجكني في نيابة الكرك، عوضا عن مأمور القلمطاوي. وأنعم على مأمور بإمرة مائة، بديار مصر.

وفي سابع عشره: توجه حسن لنيابة الكرك.

وفي تاسع عشره: قدم البريد من دمشق بأن الأمير أقبغا الصغير، والطنبغا استادار جنتمر، اجتمع عليهما نحو الأربعمائة من المماليك الظاهرية ليركبوا على جنتمر نائب دمشق، ويملكوا منه البلد. فلما بلغ جنتمر ذلك، ركب وكبسهم على حين غفلة، فلم يفلت منهم إلا اليسير، وفيهم أقبغا الصغير.

وفيه أنعم على من يذكر من الأمراء، وخلع عليهم وهم: الأمير سيف الدين بزلار العمري استقر في نيابة دمشق، والأمير سيف الدين كمشبغا الحموي في نيابة حلب، وسيف الدين صنجق السيفي نائب طرابلس، وشهاب الدين أحمد بن محمد ابن المهندار في نيابة حماة.

وفي حادي عشرينه: عرض الأمير ألطنبغا الجوباني المماليك الظاهرية، وأخرج من المستخدمين مائتين وثلاثين لخدمة المنصور، وسبعين من المشتروات، نزلهم بالطباق من القلعة وفرق من عداهم من الأمراء.

وكان الغرض بالإصطبل، وأنعم على كل من أقبغا الجمالي الهذباني أمير أخور ويلبغا السودوني، وتاني بك اليحياوي، وسودن اليحياوي، بإمرة عشرة في حلب، ورسم بسفرهم مع النائب.". <السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٤٠٧>

١٠٠-"ويقال: أنه بعد سنوات قليلة لن يحتاج الناس أن يشتروا صحيفة أو يشتركوا فيها، أو -يأتي عبر البريد، لأنها سوف تنتقل عن طريق الأقمار الصناعية وعن طريق هذه الأجهزة، فجريدة الشرق الأوسط -مثلا- تطبع في لندن وجدة وفي الظهران ، والأهرام وغيرها تطبع في أي مكان في العالم، وهذا الذي يعمل الآن بشكل كبير سيصبح فرديا، وسوف يصبح الفرد الواحد في بيته وبجهاز ثمنه ضئيل جدا أن يشترك في أية مطبوعة في العالم وتظهر أمامه كاملة أمامه، إن كانت دعاية سياسية مغرضة فهي موجودة، أو دعاية ضد الإسلام وتحطيم للعقيدة فهي موجودة أمامه، أو كانت خلاعة ودعارة وانحطاط فهي موجودة، وتعلمون لو فتح هذا المجال، فإن الذين سيشتركون في بنوك المعلومات الثقافية، وبنوك المعلومات

السياسية التي تعطيك أخبار العالم، يمكن أن يكونوا (١٠٪) أو (١٪)، أما أكثر الناس فسيحرص على الاشتراك في المجلات الخليعة والأفلام الخليعة ويفرح بذلك؛ لأنه لا جمارك تراقب ولا مراقب إعلامي عليها فالجهاز عنده والمطبوعة تصله.

ومن المشكلات العظيمة في ظل هذا الوفاق التي سوف تكون: ازدياد النشاط السياحي -كما يسمى- والإباحي بالمعنى الصحيح، ولا سيما مع القفزة المتوقعة في عالم الطيران.. فالعالم يتحرك بسرعة مذهلة، ونحن متخلفون جدا بل حتى في تفكيرنا، واعذروني لأن هذه الموضوعات يجب أن نكون فيها صرحاء، ويجب أن نقول كلمة الحق، وهذا هو الميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه، وإلا فلا خير فينا إن لم نقلها، ولا خير في من يهمه الأمر إن لم يسمعها، العالم يعيش في تحرك مذهل وبسرعة مذهلة، ونحن -وأخص طلبة العلم- جامدين بالمعنى الكامل، واسمحوا لي لو استطردت قليلا، دروس الحرم -ونحن مقبلون عليها- دروس علمية، اسمع ما سجل عام ١٤٠٥ أو ٦ أو ٧ أو ٨ أو ٩ أو ١٠، الموضوع والكلام فيها واحد.". <العالم الإسلامي في ظل الوفاق الدولي ص/٢٤>

١٠٧-"في هذه السنة في منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم، توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان قد طلع إلى الصيد، فركض خلف ذئب، فتقنطر وحم، سابع المحرم، في جهة الفيوم، فعاد إلى الأهرام وقد اشتدت حماه، ثم توجه إلى القاهرة فدخلها يوم عاشوراء، وحدث به يرقان وقرحة في المعا، واحتبس طبعه، فمات في التاريخ المذكور. وكانت مدة مملكته ست سنين إلا شهرا، وكان عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرا، وكان في غاية السماحة والكرم والعدل، والرفق بالرعية، والإحسان إليهم. ففجعت الرعية بموته فجعة عظيمة، وكان الغالب على دولة الملك العزيز، فخر الدين جهاركس، فأقام في الملك ولد الملك العزيز، الملك المنصور محمد، واتفقت الأمراء على إحضار أحد من بني أيوب ليقوم بالملك، وعملوا مشورة بحضور القاضي الفاضل، فأشار بالملك الأفضل، وهو حينئذ بصرخد، فأرسلوا إليه فسار مجدا، ووصل إلى مصر على أنه أتابك الملك المنصور بن الملك العزيز، وكان عمر الملك لمنصور حينئذ تسع سنين وشهورا، وكان مسير الملك الأفضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر، في تسعة عشر نفرا، متنكرا، خوفا من أصحاب عمه الملك العادل، فإن غالب تلك البلاد كانت له، فوصل بلبيس خامس ربيع الأول. ثم سار الملك الأفضل إلى القاهرة، فخرج الملك المنصور بن العزيز للقائه، فترجل له عمه الملك الأفضل ودخل بين يديه إلى دار الوزارة، وهي كانت مقر السلطنة، ولما وصل الملك ة فضل إلى بلبيس، التقاه العسكر، فتنكر منه فخر الدين جهاركس وفارقه، وتبعه عدة من العسكر، وساروا إلى الشام وكاتبوا الملك العادل، وهو محاصر ماردين، أرسل الملك الظاهر إلى أخيه الملك الأفضل يشير

عليه بقصد دمشق وأخذها من عمه الملك العادل، وأن ينتهز الفرصة لاشتغال العادل بحصار ماردين، فبرز الملك الأفضل من مصر وسار إلى دمشق، وبلغ الملك العادل مسيره إلى دمشق، فترك على حصار ماردين ولده الملك الكامل، وسار العادل وسبق الأفضل ودخل دمشق قبل نزول الأفضل عليها بيومين، ونزل الملك الأفضل على دمشق ثالث عشر شعبان من هذه السنة، وزحف من الغد على البلد، وجرى بينهم قتال، وهجم بعض عسكره مدينة، حتى وصل إلى باب البريد، ولم يمدهم العسكر، فتكاثر أصحاب الملك العادل وأخرجوهم من البلد، ثم تخاذل العسكر فتأخر الأفضل إلى ذيل عقبة الكسوة، ثم وصل إلى الملك الأفضل أخوه الظاهر صاحب حلب، فعاد إلى مضايقة دمشق، ودام الحصار عليها، وقلت الأقوات عند الملك العادل، وعلى أهل البلد، وأشرف الأفضل والظاهر على ملك دمشق، وعزم العادل على تسليم البلد لولا ما حصل بين الأخوين، الأفضل والظاهر، من الخلف، وخرجت السنة وهم على ذلك، وكان منهم ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر استيلاء الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة على بارين وفي شهر رمضان من هذه السنة، قصد الملك المنصور صاحب حماة بارين، وبها نواب عز الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم، وحاصرها، وكان عز الدين إبراهيم مع الملك العادل، محصورا معه بدمشق، ونصب الملك المنصور عليها المجانيق، وانجرح الملك المنصور حال الزحف، ثم فتحها في التاسع والعشرين من ذي القعدة، وأقام ببارين مدة حتى أصلح أمورها.

ذكر وفاة يعقوب ملك الغرب في ربيع الآخر، وقيل في جمادى الأولى، توفي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، صاحب المغرب والأندلس، بمدينة سلا، وكانت ولايته خمس عشرة سنة، وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية، وأعرض عن مذهب مالك وعمره ثمان وأربعون سنة، وتلقب يعقوب المذكور بالمنصور، ولما مات يعقوب ملك بعده ابنه محمد بن يعقوب، وتلقب محمد بالناصر، ومولد محمد المذكور سنة ست وسبعين وخمسمائة، وعبد المؤمن وبنوه جميعهم كانوا يسمون بأمير المؤمنين، وفي هذه السنة رحل عسكر الملك العادل مع ابنه الملك الكامل عن حصار ماردين.

ذكر الفتنة بفيروزكوه". <المختصر في أخبار البشر ٣٧٥/١>

١٠٨-"وفيها أو في أواخر سنة تسع عشرة وسبعمائة، جرى بين الفرنج الجنويين قتال شديد، وذلك بين قبيلتين منهم، يقال لإحدى القبيلتين إسبينيا، وللأخرى دوريا، حتى قتل منهم ما ينيف عن خمسين ألف نفر، وكان إحدى القبيلتين أصحاب داخل جنوة، والأخرى أصحاب خارج البلد إسبينيا - بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة من تحتها وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح ياء مثناة من تحتها. وفي آخرها ألف مقصورة - ودويار - بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الراء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وفي آخرها ألف والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

فيها في مستهل جمادى الأولى توفيت بحماة فاطمة خاتون بنت الملك المنصور صاحب حماة، وكانت كثيرة الإحسان.

وفيها عدى مهنا بن عيسى الفرات، وتوجه إلى أبي سعيد ملك التتر مستنصرا به على المسلمين، وأخذ معه تقدمة برسم التتر، سبعمائة بعير وسبعين فرسا وعدة من الفهود.

وفيها حضر رسول تمرتاش بن جوبان المستولي على بلاد الروم، بتقدمة إلى الأبواب الشريفة بديار مصر.

وفيها ورد مرسوم السلطان على مؤلف الأصل، يأمره الحضور ليسير معه في صيوده، قال أفسرت من حماة على البريد، وسبقت تقدمتي وحضرت لدى المواقف الشريفة، وهو نازل بالقرب من قليوب فبالغ في إدرار الصدقات علي.

وفيها رحل السلطان من الأهرام، وسار في البرية متصيدا حتى وصل إلى الحمامات وهي غربي الإسكندرية على مقدار يومين، ثم عاد إلى القاهرة.

وفيها دخل تمرتاش المذكور بعسكره إلى بلاد سيس، وأغار وقتل؛ فهرب صاحب سيس إلى قلعة إياس التي في البحر، وأقام تمرتاش ينهب ويخرب نحو شهر، ثم عاد إلى بلاد الروم.

وفيها عاد مؤلف الأصل من الخدمة الشريفة إلى حماة. وفيها توجه نائب الشام تنكز إلى الحجاز الشريف، وكان قد توجه من الديار المصرية الأدر السلطانية إلى الحج بتجمل وعظمة لم يعهد مثلها.

ذكر وفاة صاحب اليمن

وفيها ليلة الثلاثاء في ذي الحجة، توفي بمرض ذات الجنب بتعز، الملك لمؤيد هزبر الدين داود بن المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، فاتفق أرباب الدولة وأقاموا ولده علي، ولقب الملك المجاهد بسيف الإسلام بن داود المذكور، وهو إذ ذاك أول ما قد بلغ، ثم خرج عليه عمه الملك المنصور أيوب، ولقبه زين الدين، أخو عاود، في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة، فملك اليمن واعتقل ابن أخيه سيف الإسلام، وقعد المنصور في مملكة اليمن دون ثلاثة أشهر، ثم هجم جماعة من العسكر وأخرجوا سيف الإسلام وأعادوه إلى ملك اليمن، واعتقلوا عمه المنصور أيوب، وبقي أمر مملكة اليمن مضطربا غير منتظم الأحوال.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فيها وصل الأمير فضل بن عيسى صحبة الأدر السلطانية من الحجاز، داخلا عليهم مستشفعا بهم، فرضي عنه السلطان وأقره على إمرة العرب موضع محمد بن أبي بكر، أمير آل عيسى.

ذكر فتوح إياس

فبها وصل بعض العساكر المصرية والشامية والساحلية، وسار صحبتهم غالب عسكر حماة إلى حلب المحروسة، وانضم إليهم عسكرها، وتقدم عليهم نائب حلب الطنبغا. وأتموا السير حتى نازلوا إياس من بلاد سيس، وحاصروها وملكوها بالسيف، وعصت عليهم القلعة التي في البحر، فأقاموا عليها منجنيقا عظيما، وركب المسلمون إليها طريقين في البحر؛ إلى أن قاربوا القلعة، فهربت الأرمن منها، وأخلوها ولاقوا في القلعة نارا، وملك المسلمون القلعة نهار الأحد الحادي والعشرين من ربيع الآخر، وهدموا ما قدروا على هدمه، وعاد كل عسكر إلى بلده.

وفيها توجه أتامش الناصري رسولا إلى أبي سعيد ملك التتر، وعاد إلى القاهرة بانتظام الأمر واتفاق الكلمة.

وفيها وصل مؤلف الأصل تغمده الله برحمته، إلى خدمة السلطان، قال أوسرت في خدمة السلطان، إلى الأهرام، وحضر هناك رسول صاحب برشلونة وهو أحد ملوك الفرنج بجهات الأندلس، فقبل السلطان هديتهم وأنعم عليه أضعاف ذلك، ثم رحل من الأهرام وتوجه إلى الصعيد الأعلى وأنا معه، إلى أن وصلنا دندرة، وهي عن قوص مسيرة يوم، وعدنا إلى القاهرة.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فيها عاد الملك المؤيد إلى حماة من خدمة السلطان؛ بعد أن غمره بالأنعام والعطايا.

ذكر السنة الحمراء". <المختصر في أخبار البشر ٢/٢٤>

١٠٩-"في هذه السنة، رسم السلطان لي بالحضور إلى أبوابه الشريفة، لأكون في خدمته في صبوده، فخرجت من حماة يوم الاثنين رابع ذي القعدة، الموافق للحادي والعشرين من أيلول، وأتممت السير أنا وابني محمد حتى وصلنا إلى بلبيس ونزلنا على عيثة، وهي قرية خارج بلبيس من جهتها الجنوبية، فمرض ابني محمد المذكور مرضا شديدا، وأرسل السلطان إلي خيلا بسروجها لي ولابني ووصلني ذلك إلى بير البيضا، وأنا في شدة عظيمة من الخوف على ولدي، واستمر مرضه يتزايد، والتقيت بالسلطان وقبلت الأرض بين يديه يوم السبت، مستهل ذي الحجة بظاهر سرياقرس، ونزلنا بسرياقوس والسلطان يبالغ في الصدقة بأنواع التشاريف والخيول والمآكل، وأنا مشغول الخاطر، وأقمنا بسرياقوس بالعمائر التي أنشأها السلطان هناك، وأرسل السلطان أحضر رئيس الأطباء إذ ذلك. وهو جمال الدين إبراهيم بن أبي الربيع المغربي، فحضر إلى سرياقوس وبقي يساعدني على العلاج، ثم رحل السلطان من سرياقوس ودخل القلعة، وأرسل إلي حراقة، فركبت أنا وابني محمد فيها، وكان إذ ذاك يوم بحرانة يعني سابع أيام الرض، وهو يوم الخميس، سادس ذي الحجة، ونزلت بدار طقزتمر على بركة الفيل، وأصبح يوم الجمعة المرض منحطا ولله الحمد، فإنه أفسح بالبحران المذكور، وأقمت تحت ظل صدقات السلطان وبقي يحصل لي عوائق عن ملازمة خدمة السلطان بسبب مرض الولد، فإن الحمى بقيت تعاوده بعد كل قليل، والسلطان يتصدق ويعذرني في انقطاعي ويرسم لي بذلك رحمة منه وشفقة علي، وبقي عنده من مرض ابني أمر عظيم، وبقيت أتردد مع السلطان في هذه النوبة في الصيف في أراضي الجيزة، وأراضي المنوفية، حتى خرجت هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وكان أول المحرم من هذه السنة يوم الاثنين وكنا بالقاهرة كما تقدم، وخلع علي السلطان في هذا اليوم قبا مذهبا بطرز ذهب مصري، لم يعمل مثله في كبره وحسنه.

ذكر خروج السلطان إلى عند الأهرام

واستحضار رسل أبي سعيد ثم عدى السلطان إلى الجيزة ونزل عند الأهرام، واستحضر هناك رسل أبي سعيد، ووصلوا مبشرين بهروب جوبان ونصرة أبي سعيد عليه، واستقراره في الملك، وأنه مقيم على الصلح والمحبة، وقصدوا من السلطان استمرارالصلح، فاستحضر السلطان الرسل عند الأهرام في الدهليز الشريف وكان الدهليز جميعه جتره، وشقته من أطلس معدني ونخ مذهب عال، وكان ذلك يوم الأحد ثامن وعشرين لمحرم وثلاث عشر كانون الأول، وكان الرسل ثلاثة نفر، كبيرهم شيخ كأنه كردي الأصل يسمى أرش بغا، والثاني أياجي، والثالث برجا قرابة الأمير بدر الدين جنيكي، وكان يوما مشهودا، وأنزل السلطان الرسل في خيمة أعدها السلطان لهم، وأدر السلطان عليهم الإنعامات الوافرة، وبالغ في الإحسان إليهم، ثم إنه سفرهم وأنعم على كل من في صحبتهم من أتباعهم، وكانوا نحو مائة نفر، وسافر الرسل المذكورون من تحت الأهرام يوم الأربعاء مستهل صفر، ودخلوا القاهرة وتوجهوا منها عائدين إلى أبي سعيد، وهم مغمورون بصدقات السلطان، ثم إن السلطان دخل إلى القلعة يوم الأحد ثاني عشر صفر، وكانت غيبته نحو خمسة وثلاثين يوما، ثم خرجنا إلى سرياقوس يوم الخميس سلخ صفر، وفي يوم الجمعة غد النهار المذكور، خلع علي وعلى ابني محمد تشاريف حسنة فوق العادة، وكذلك أوصلنا بالحوائص الذهب المجوهرة، وبالقماش الفاخر مما يعمل للخاص الشريف بدار الطراز بالإسكندرية، ووصلني من الصناقر والصقور

والشواهين عدة كثير، ثم وصلني بعد ذلك كله بثلاثة آلاف دينار مصرية، ورسم لي بالدستور والعود إلى بلادي، فودعته عند بحر ابن منجا يوم السبت ثاني ربيع الأول، وسرت حتى دخلت حماة يوم الجمعة بعد الصلاة، ثاني وعشرين ربيع الأول من هذه السنة، الموافق الخامس شباط.

وفيها قبل دخولي حماة توفيت والدتي رحمها الله تعالى، يوم الخميس حادي وعشرين ربيع الأول، ورابع شباط، وكنت إذ ذاك قريب حمص، فلم يقدر الله لي أن أراها ولا حضرت وفاتها، وكانت من العبادة على قدم كبير.". <المختصر في أخبار البشر ٢٨/٢<

١١٠-"الهرمان بمصر، سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع كلما ارتفع دق وهما رخام ومرمر، والطول أربعمائة ذراع في عرض أربعمائة ذراع بذراع الملك، مكتوب عليهما بالمسند كل سحر وكل عجيب من الطب والنجوم، ويقال والله أعلم أنهما من بناء بطلميوس القلوذي الملك ومكتوب عليهما إني بنيتهما فمن كان يدعي قوة في ملكه فليهدمهما فإن الهدم أيسر من البناء وإذا خراج الدنيا لا يقوم بهدمهما، قال وإلى جانب الهرمين عشرة أهرام أصغر منهما، قال فحدثني إسماعيل بن يزيد المهلبي كاتب لؤلؤ غلام ابن طولون قال خرجنا مع أبي عبد الله الواسطي كاتب أحمد بن طولون إلى هرم من الأهرام الصغار ومعنا فعلة فوجدنا مقدار سطحه مربض عشرة أبعرة فتقدم بقلعه فقلع الساف الأول من حجارة فأفضى إلى رمل مكسر ثم قلع الساف الثاني فأفضى إلى الساف الثالث وفيه كوى منقورة فقلع الساف الثالث فنزل إلى صحن يكون مقداره أربعين ذراعا في أربعين ذراعا وفيه أربع نيمخانجات قبلية وشرقية وغربية وجنوبية وهي مسدودة بأبواب شبحات حجارة ففتحنا الشرقية فوجدنا فيها جرة جزع لها رأس جزع على صورة خنزير مملوءة مومياي، وفتحنا الغربية والجنوبية فوجدنا في كل واحد مثل ما وجدنا في الشرقية، إلا أن صور رءوس الجرار تختلف، وكان في الصحن ثلاثمائة وستون تمثالا على صور الناس شبيه بالمكفرة، ثم فتحت النيمخانجة القبلية فوجدنا فيها جرنا من حجر أصم أسود مطبق بمثله فعالجنا فتحه فكان مسدودا برصاص، فأوقدنا عليه حتى ذاب الرصاص وفتحنا فإذا فيه شيخ ميت وتحت رأسه لوح من جزع أبيض وقد صدعه النار التي اوقدنا على الجرن ولوحت أثوابا كانت على الميت فأخذنا اللوح وألفناه فوجدنا في جانب منه صورتين من ذهب إحداهما صورة رجل بيده حية والأخرى صورة رجل على حمار بيده عكاز، وفي الجانب الآخر صورة رجل على ناقة بيده قضيب فأخذنا ذلك أجمع وصرنا به إلى أحمد بن طولون فدعا بصانع فألف اللوح وأجمعنا على أن الصور موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين، وأخذ إحدى الجرار وأعطى أبا عبد الله الكاتب جرة واحدة وأعطاني واحدة فصرت بها إلى منزلي فأخذت عودا فحركت المومياي الذي فيها فجعل يتنفس بشيء فلم أزل أحتاله حتى أخرجته فإذا هو حواشي ثياب تدرج بعضها إلى بعض فجعلت أنشرها حتى انتهيت إلى قطعة من جلد ثور كانت تلك الحواشي ملفوفة عليها فنشرتها فلما بلغت إلى آخرها نقطت منها نقطة دم، فلا أدري ما كان ذلك والله أعلم.

وبناء رومية والإسكندرية يقال أنها بنيت في ثلاثمائة سنة، وأن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار إلا بخرق سود مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها، ومنارتها العجيبة على سرطان من زجاج في البحر، وكان فيها سوى أهلها ستمائة ألف من اليهود خولا لأهلها.

ومنف مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذ لها سبعين بابا، وجعل حيطان المدينة بالحديد والصفر، وفيها كانت الأنهار التي تجري من تحت سريره وهي أربعة .

وملعب فامية وتدمر وبعلبك ولد وباب جيرون.

وأسطوانتان بعين شمس من أرض مصر من بقايا أساطين كانت هناك، في رأس كل أسطوانة طوق من نحاس بقطر من إحداهما ماء من تحت الطوق إلى نصف الأسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع قطره في ليل ولا نهار، فموضعه من الأسطوانة أخضر رطب ولا يصل الماء إلى الأرض، وهو من بناء هوشهنك.

وقلعة سوس الأهواز وهي قلعة فوق قلعة ومثلها على بنائها قلعة السوس الأقصى وهما أيضا من بناء هوشهنك.

والروم تقول ما من بناء بالحجارة أبهى من كنيسة الرها ولا بناء بالخشب أبهى من كنيسة منبج لأنها بطاقات من خشب العناب، ولا بناء بالرخام أبهى من قسيان أنطاكية، ولا بناء بطاقات الحجارة أبهى من كنيسة حمص، وأنا اقول ما بناء بالجص والآجر أبهى من إيوان كسرى بالمدائن، قال البحتري:

وكأن الإيوان من عجب الصنعة جوب في جنب أرعن جلس

مشمخر تعلو له شرفات ... رفعت في رؤوس رضوى وقدس

ليس يدرى أصنع إنس لجن ... سكنوه أم صنع جن لإنس

وخورنق بهرام جور بالكوفة، قال الشاعر:

وبنت مجدها قبائل قحطا ... ن وأقوالها ببهرام جور". <المسالك والممالك - ابن خرداذبه ص/٣٨>

١١١-"وأما صفة مدنها وبقاعها: فإن مدينتها العظمى تسمى الفسطاط، وهي على النيل في شرقية شمالي النيل، وذلك أن النيل يجري موربا بين المشرق والجنوب، والبلد كله على جانب واحد، إلا أن في عدوة النيل أبنية قليلة تعرف بالجزيرة، وهي جزيرة يعبر من الفسطاط إليها على جسر في سفن، ويعبر من هذه الجزيرة إلى الجانب الآخر على جسر آخر، إلى أبنية ومساكن على الشط الآخر يقال لها الجيزة، والفسطاط مدينة كبيرة نحو الثلث من بغداد؛ومقداره نحو ثلثي فرسخ، والفسطاط على غاية العمارة والخصب، وبالفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب إليهم محالها، مثل بالكوفة والبصرة إلا أنها أقل من ذلك، وهي سبخة ومعظم بنائهم بالطوب طبقات، وأكثر السفل بها غير مسكونة، وربما بلغت طبقات الدار الواحدة ثماني طبقات، إلا في منها يسمى الموقف فإنها أصلب قليلا، وبها بناء مفترش وذلك بالحمراء على شط النيل، وبها مسجدان للجمعة: بنى أحدهما عمرو بن العاص في وسط الأسواق، والآخر بأعلى الموقف بناء أحمد بن طولون، وخارج مصر أبنية بناها أحمد بن طولون تكون زيادة على ميل، كان يسكنها جنده تسمى القطائع، كما كان بناء آل الأغلب خارج القيروان - الرقادة، وبها نخيل وثمار كثيرة، وزروعهم على ماء النيل، تمتد فتعم المزارع من حد أسوان إلى حد الإسكندرية وسائر الريف، فيقيم الماء من عند ابتداء الحر إلى الخريف، ثم ينصرف فيزرع ثم لا يسقى بعد ذلك، وأرض مصر لا تمطر ولا تثلج، وليس بالأرض مصر مدينة يجري فيها الماء دائما غير الفيوم، والفيوم هذه مدينة وسطة، يقال إن يوسف النبي عليه السلام اتخذ لهم مجرى يدوم لهم فيه الماء، وقوم بحجارة وسماه اللاهون. وأما النيل فإن ابتداء مائه لا يعلم، وذلك أنه

يخرج من مفازة من وراء أرض الزنج لا تسلك، حتى ينتهي إلى حد الزنج، ثم يقطع في مفاوز وعمارات أرض النوبة، فيجري على عمارات متصلة إلى أن يقع في أرض مصر، وهو نهر يكون عند امتداده أكبر من دجلة والفرات إذا جمعا، وماؤه أشد عذوبة وحلاوة وبياضا من سائر أنهار الإسلام، وفي هذا النهر يكون التمساح والسقنقور وسمكة يقال لها الرعادة، ولايستطيع أحد أن يقبض عليها وهي حية، حتى يرتعش وتسقط من يده، فإذا ماتت فهي كسائر السمك، وأما التمساح فإنه دابة من دواب الماء مستطيل الرأس، طول رأسه يكون نحوا من نصف طول بدنه، وله أنياب لا يعض على دابة ما كانت من سبع أو جمل إلا مده من الماء، وربما خرج من الماء فمشى في البر، وليس له في البر سلطان ولا يضر أحدا، وجلده يشبه السفن الذي تتخذ منه مقابض السيوف، لا يعمل السلاح فيه إلا تحت يديه ورجليه ومكان إبط، وأما السقنقور فإنه صنف من السمك، إلا أن له يدين ورجلين، ويتعالج به للجماع، ولا يكون في مكان إلا في النيل. وعلى حافات النيل من حد أسوان إلى أن يقع في البحر مدن وقرى منظومة متكاثفة، وأسوان هذه ثغر النوبة إلا أنهم مهادنون، وبصعيد مصر جنوبي النيل معدن الزبرجد في برية منقطعة عن العمارة، ولا يعلم في الأرض معدن له غير هذا، وفي شمال النيل جبل بقرب الفسطاط يسمى المقطم، فيه وفي نواحيه حجر الجماهن، ويمتد هذا الجبل إلى النوبة، وعند هذا الجبل بحذاء الفسطاط قبر الشافعي في جملة المقابر. وأما الإسكندرية فهي مدينة على شط البحر، كثيرة الرخام في الفرش والأبنية والعمد، وبها منارة قد أسست في الماء من صخر رفيع السمك جدا، تشتمل على زيادة من ثلاثمائة بيت، لا يصل المرتقى إليها إلا بدليل. ويسمى ما علا من النيل عن الفسطاط الصعيد، وما تسفل منه الريف، ومن حد الفسطاط في جنوبي النيل أبنية عظيمة يكثر عددها، مفترشة على سائر الصعيد، وبحذاء الفسطاط على نحو من فرسخين منها أبنية عظيمة، أكبرها اثنان ارتفاع كل واحد منهما أربعمائة ذراع، وعرضه أربعمائة ذراع، وطوله أربعمائة ذراع، وهو في صورة العمارة مربع الأسفل، ثم لا يزال يرتفع ويضيق حتى يصيرا أعلاه نحو مبرك جمل، وملئت بنيانه بكتابة يونانية، وفي داخله طريق يسير فيه الناس رجالة إلى قريب أعلاه، وفي هذين الهرمين طريق في باطن الأرض مخترق، وأصح ما سمعت في الأهرام أنها قبور الملوك الذين كانوا بتلك الأرض. وعرض العمارة على النيل من حد أسوان ما بين نصف يوم إلى يوم إلى أن تنتهي إلى الفسطاط، ثم تعرض فيصير عرضها من حد الإسكندرية إلى الحوف، الذي". <المسالك والممالك - الإصطخري ص/٢٠>

١١٢-"٨٤٣ و القياس الذي يعمل عليه في وقتنا هذا هو الذي اتخذه أسامة بن زيد التنوخي في خلافة سليمان بن عبد الملك، و هو أكبر المقاييس ذراعا «٣»، و هذا «٤» المقياس في الجزيرة التي تدعى جزيرة الصناعة بين الفسطاط و الجيزة، فيعبر «٥» من الفسطاط إلى الجزيرة على الجسر و من الجزيرة إلى الجيزة على جسر آخر، و الفسطاط على شرقي الجزيرة و الجيزة «٦» على غربيها. و العمل عند «٧» ترادف الرياح و كبر الموج و كثرة الماء على مقياس آخر لأحمد بن طولون. و قد كان عمر بن عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر اتخذ مقياسا قصير الذراع بحلوان «٨»، و هي فوق الفسطاط «٩»، فكان العمل عليه حتى «١٠» اتخذ أسمامة (بن زيد) «١١» هذا. و كان العمل قبل الإسلام و صدر الإسلام بمقياس صنعه يوسف الصديق «١٢» (عليه السلام)١»

لما بنى الأهرام لمعرفة زيادة النيل، و كان بمنف، (و لما يبن الفسطاط يومئذ) «١٤». و كانت دلوكة الملكة وضعت أيضا

مقياسا آخر بالصعيد ببلاد أخميم.

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٥٠٣

٨٤٤ و الترع التي في مصر أربع أمهات: ترعة ذنب التمساح و ترعة بلقينة «١» و خليج سردوس «٢» و خليج ذات «٣» الساحل. و تفتح هذه الترع في عيد الصليب لأربع عشرة من أيلول، و ليلة الغطاس بمصر لعشر يمضين «٤» من كانون الآخر، و هو أصفى ما يكون النيل، و حينئذ يتخذ النبيذ السواري «٥» بعد الغطاس، و يختزن الماء أهل تنيس و دمياط (سائر قرى) «٦» البحيرة.". <المسالك والممالك. البكري ٤١٣/١>

١١٣-"٨٥٩ و سئل عن ممالك الأحابيش التي على النيل فقال: لقد لقيت منهم «٣» ستين ملكا كل ملك منهم ينازع من يليه. قال: و لاستحكام النارية في بلادهم تغيرت الفضة ذهبا لحرارة الشمس و يبسها، و قد يطبخ الذهب المغربي بالملح و الزاج و الطوب فيرجع فضة خالصة بيضاء. و سئل عن منتهى النيل في أعلاه فقال: البحيرة التي لا يدرك قعرها «٤» و طولها (و عرضها و) «٥» هي تحت الموضع المسمى بالفلك المستقيم من الأفلاك، و هي الأرض التي الليل و النهار فيها متساويان (الدهر كله) «٦».

٨٦٠ و سئل عن الأهرام فقال: إنها قبور الملوك. كان الملك إذا مات وضع في حوض من «٧» حجارة، ثم يطبق عليه و يبنى «٨» له هرم على قدر ما يريدون و يوضع الحوض في وسط الهرم، و يضعون باب الهرم تحت الحوض، ثم يحفر له طريق في «٩» الأرض يعقدونه «١٠» أزجا. فقيل له: كيف بنيت هذه الأهرام الململسة «١١» و كيف كانوا يصعدون إليها و على أي شي ء كانوا يحملون

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٥١٢

هذه الحجارة التي لا يقدر «١» أهل زماننا أن يزحزحوا منها حجرا؟ فقال:

كانوا يبنون الهرم مدرجا ذا مراق، فإذا فرغوا منه نحتوه «٢»، و مع هذا كان لهم صبر و جلد ليس لمن بعدهم. قيل له: فما بال هذا القلم الذي «٣» على الأهرام و البرابي لا يفهم؟ فقال: تداول أهل مصر الأمم بعد الأمم فدرست كتابتهم الأولى. قيل: فمن كان أول من سكن مصر؟ قال: مصر بن بيصر «٤» و به سميت، و هو ابن حام بن نوح «٥».". <المسالك والممالك. البكري ٤٢١/١>

١١٤-"٨٧٧ و قد كان وقع إلى بعض من أغرى بحفر الحفائر و طلب الكنوز كتاب (ببعض الأقلام) «٨» السالفة فيه وصف كنز ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الأهرام، و أخبر الإخشيد محمد بن طغج فأذن في حفره، و ذلك سنة ثمان و عشرين و ثلاثمائة، فحفروا حفرة عظيمة إلى أن انتهوا إلى آزاج «٩» و أقباء و حجارة «١٠» مجوفة و صخور منقورة «١١» فيها تماثيل قائمة مختلفة الصور «١٢»، منها على صور الشيوخ و الشبان و النساء و الأطفال أجسامها (في نوع من) «١٣» الخشب و وجوهها ذهب و فضة و عيونها من أنواع الجواهر «١٤»، و كثرت في أجوافها رمم بالية و أجسام فانية «١٥». و التمثال على صورة من وضع في جوفه على اختلاف أسنانهم و تباين صورهم، و على «١٦»

جانب كل تمثال نوع من الآنية كالبراني «١٧» من الزمرد و الجواهر الغالية فيه بقية ما طلي به ذلك الميت من الطلاء، دواء مسحوق و أخلاط معمولة لا رائحة لها، فإذا وضعت

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٥٢٣

في النار تضوعت منها أرياح «١» طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من أنواع الطيب، و قد جعل بإزاء كل تمثال من المرمر و الرخام «٢» على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل. (و عليها أنواع من) «٣» الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملل، و زعم قوم من أهل الدراية أن لذلك القلم مذ فقد من أرض مصر أربعة آلاف سنة.

٨٧٨ و كان صلحاء مصر أعظم الناس علما و أجلهم بالكهانة حذقا، و كان حكماء اليونانيين يصفونهم بذلك و يشهدون لهم بالتقدم فيه «٤»، فيقولون: أخبرنا حكماء مصر بكذا و استفدنا منهم كذا. و كانوا يزعمون أن الكواكب هي التي تفيض عليهم العلوم و تخبرهم بالغيوب، و أنها هي التي علمتهم أسرار الطبائع و دلتهم على العلوم المكنونة، فعملوا الطلسمات المشهورة و النواميس الجليلة و ولدوا الولادات الناطقة و الصور المتحركة و عجائبهم ظاهرة و حكمتهم واضحة.". <المسالك والممالك. البكري ١/٤٣٠>

١١٥-"٨٨١ الذي بنى الأهرام و البرابي و استوسقت له مملكة مصر و انتقادت له الملوك سوريد «٢» بن سهلون، و بنى الأهرام صيانة لجثثهم و أجسامهم «٣»، و بنى الأفرونيات «٤» و بنى البرابي حفظا لعلومهم و آثارهم، و ذلك لما أنذروا له «٥» بأمر «٦» الطوفان المهلك للعالم. و كان سوريد قد أوتي من الحكمة و العلم ما لم يسبق إليه و كان يتعاهد من مصالح رعيته ما لم يتعاهد سواه، و كان ينفق على الضعفاء من بيت ماله. و اتخذ مرآة من أخلاط و أقامها على منار في وسط قصره، و كان ينظر فيها جميع الأمم و الممالك و الأقاليم و ما منها أخصب و ما منها أجدب و ينظر من قصد ناحيته و ما يجري للأمم «٧» من حروب أو غيرها. و تقدم إلى رأس الناظرين، و هم الكهان، أن ينظر ما يحدث في كل يوم و يجعله «٨» في كتاب. و كان أكثر اهتمامه بعمل الأدوية و العقاقير المؤلفة و الصنعة و النواميس «٩» و دفع المضار بالطلسمات و كل ما كان فيه صلاح للناس. و عمل صنما في صورة امرأة جالسة في حجرها «١٠» صبي ترضعه، فمن أصابها علة من النساء في عضو من بدنها مسحت ذلك المكان من الصنم فزال «١١» عنها ما تجده، و كذلك إن قل لبنها أو أبطأت «١٢» حيضتها مست فوق ركب الصنم، و إن كثر دمها مست أسفل الركب فينقص، و إن أصاب ولدها شي ء فعلت مثل ذلك بالصبي فيزول عنه، و إن عسرت ولادتها فمسحت «١٣» رأس الصبي سهلت ولادتها، و كذلك البكر يسهل

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٥٣٤

افتضاضها. و إذا قربت الزانية من هذه الصورة و وضعت يدها عليها ارتعدت يدها و لا تزال كذلك حتى تقلع عن فجورها. و لم تزل الصورة كذلك حتى أزالها الطوفان، و يقال إنها وجدت بعد الطوفان و إنهم عملوا بها بعد ذلك و عبدت و صورتها موجودة في جميع «١» برابي مصر باسمها «٢»، و كان اسمها بلهوية «٣».". <المسالك والممالك. البكري ١/٤٣٣>

١١٨-"٨٩٧ فلما وصلوا إلى آخر الفتح «٧» وجدوا خلفه مطهرة من حجر أخضر فيها مال على حول الدنانير العراض، وزن «٨» كل مثقال منها «٩» سبعة و عشرون مثقالا و ثلثا مثقال بمثقالنا «١٠». فقال: زنوه. فوزنوا الجملة فوجدوا فيها مالا عظيما «١١» معلوما. و كان المأمون (رحمه الله) «١٢» فطنا فقال: ارفعوا «١٣» إلي ما أنفقتم على فتحه. ففعلوا «١٤» فوجدوه موازنا لما وجدوا من المال فتعجب «١٥» من ذلك و من معرفتهم بالموضع الذي يفتح «١٦» منه على طول الزمان، و ازداد «١٧» يقينا في علم النجوم. فركب حتى دخله «١٨» و نظر إلى البيت فوجد «١٩» فيه صنما أخضر مادا يده و هو قائم، و نظر إلى الزلاقة و البئر، فأمر بنزولهما، فنزلوا من واحدة إلى واحدة حتى أفضوا إلى صنم أحمر و عيناه مجزعتان سوادا في بياض كأنهما حدقتا إنسان، فهالهم أمره و قدروا أن.

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٥٤٣

له حركة «١»، فخرجوا «٢» و عرفوه الحال و جراه ذلك على طلب مخاب كثيرة.

٨٩٨ و وجد المأمون طول كل هرم من الهرمين الكبيرين أربعمائة ذراع بالمالكي و كذلك عرض كل حائط من حيطانها. و يقال إنه ليس على وجه الأرض أرفع بناء من هذين الهرمين و هما غربي وسيم «٣» و لا في العالم حجر موضوع على حجر أعلى منهما. و يقال إن عمقهما في الأرض مثل ارتفاعهما فوق الأرض. و ذكر أن أبواب هذه الأهرام لا تفتح إلا بكلام و قرابين و بخورات، و الصابئة تحج إليها «٤» من حران.". <المسالك والممالك. البكري ٤٤١/١>

١٢٢-"٩٠٤ و كلما فسد من هذه الأفرونيات و تهدم و تغير مثل بربى بوصير و بربى سمنود و غيرهما من الهياكل يتركهم الاستقصاء في أخذ الطالع و صحته قبل وضع الأساس. و كذلك ما بقي منها فلقرب الطالع من الصحة لأن الذين بنوا هذه البرابي كانوا على بعد من الملك «٥» و لم يكونوا بحضرته «٦»، فيتقنون النظر كما اتفق في «٧» عمل الأهرام. و هم لا يشكون أنهم لما هدموا بربى سمنود فحملوا حجارته إلى أشتوم دمياط و وهبوا بقيته لبني الهندس أن اليوم الذي فرغ من هدم الحائط الغربي دخل حباسه الإسكندرية و خربها و كثرت الرمال حتى انقطع البحر في شهور الصيف و قل زكاء الزرع و كثر الفأر و الجراد و أشياء من الفساد (كثيرة.

٩٠٥ و يتحدث أهل سمنود عن هذا البربى بعجائب كثيرة) «٨» يطول شرحها، منها أن بعض من دخلها كتب على كتفه «٩» صورة من تلك الصور أعجبته، فانطبقت عينه حتى أتاه من كتب على كتفه «١٠» الصورة المحاذية لها فانفتحت عينه. قال الوصيفي: و أخبرني من أثق به أنه رأى فيها صورة شيطانين تحوط بهما سلسلة بكتابة، و هما يمسكان طرفيها و بينهما كتابة. (فأخذ

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٥٤٨

صورته) «١»، فكانت عنده إلى أن عرفه بعض من رآها عنده أنها حرز عظيم، و ذكر أنه لو جعل عليها لحما و جوع

كلبا أو شيئا من السباع و خلاه عليه لم يقرب منه. قال: فعجبت «٢» منه و امتحنت ذلك «٣» فوجدته كما ذكر.

٩٠٦ قال الوصيفي: و قد رأيت أنا في بربى أخميم صورة عقرب، فألصقت عليها شمعا و كانت عندي، فلم أتركها في موضع إلا انحاشت إليها «٤» العقارب، و إن كانت في تابوت اجتمعت تحته و حوله حتى «٥» كنت أتجافى عن حملها.

فطلبها بعض إخواني و دفعتها إليه و رجعت إلى أخميم، فوجدت الصورة قد نقرت و أفسدت.". <المسالك والممالك. البكري ٤٤٦/١>

١٢٣-"٩٣٥ ثم ملك أخوه شهلوق، و هو الذي رتب «٢» مراتب الناس و قسم ماء النيل أقساما، (و رتب على أهل كل صناعة رئيسا) «٣»، (و أقام سحرة لقسم) «٤» الطرقات على الوحش فلا يسلك بعضها طريق بعض، و أقام لجميع أسباب الضرر طلسمات بدفعها و لم يترك شيئا فيه خير و فضل إلا عمله.

فلما تفرغ من ذلك انفرد لجمع «٥» العلوم و تخليدها في الكتب و كنز الكنوز، و كنز خمسة و أربعين كنزا. و ملكهم مائة و تسع سنين.

٩٣٦ ثم ملك ابنه سوريد «٦» صاحب الأهرام، و قد تقدم ذكره.

و ملك بعده أخوه هرجيت «٧»، و هو أول من كسا الهرمين «٨» بألف ألف ثوب في عرض كثير و طول كبير إعظاما لأبيه و أخيه، و في زمنه ابتدأ عقم «٩» النساء لما تقارب من وقت «١٠» هلاك الأمة.

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٥٦٥

٩٣٧ و ملك بعده ابنه مناوش، فظلم و سفك الدماء و اغتصب مائة و سبعين امرأة و استخرج كثيرا من كنوز أبيه «١»، فبنى منها قصورا و رصعها «٢» بالجوهر و الياقوت «٣» و عمل فيها بركا صب فيها الجواهر و أرسل عليها المياه، و استجهل من مضى من آبائه، (و استعبد الناس) «٤» و استخف بالهياكل.

و في زمنه كان فرناس الذي كان يعد بألف رجل وحده «٥» و كان يقاتل أمة وحده «٦»، و كان من رجاله، (و قد وفد عليه) «٧» من بقية ولد آدم، و كان يختطف الرجل بيده فيضرب به الجماعة فيقتلهم معا. و أقام مناوش ملكا ثلاثا و ثلاثين سنة.

٩٣٨ و ملك بعده أخوه أفروس «٨» فترك الظلم و تحبب إلى الناس و عمل عجائب، منها قبة في الجنة التي كانت لنقراوش «٩» لطخها بلطوخات، فإذا كان الليل اشتعلت نارا ترى على البعد و اتقدت إلى الصبح، فإذا طلعت الشمس ارتفع ذلك الوقيد. و طلب النسل من ثلاثمائة امرأة فلم يقدر عليه لأن أرحام النساء عقمت. و في وقته شاع خبر نوح عليه السلام و إنكاره للأصنام.

و ملك أربعا و تسعين «١٠» سنة و لم يكن له ولد و لا أخ.". <المسالك والممالك. البكري ٤٦٢/١>

١٢٤-"٩٥٤ و بنى في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس، و قد جاز بها قوم ضلوا الطريق، فسمعوا بها عزيف الجن. و رأوا ضوء نيرانهم. و أقام مناوش ملكا تسعا و ثلاثين سنة و عهد إلى ابنه مرنيش، و كان مضعفا لم يعمل في وقته

أعجوبة، و بقي ملكا احدى عشرة سنة.

٩٥٥ و انتقل الملك إلى أشمون بن قفطيم أخي قفطويم، و كان ينزل الأشمونين «٣» سماها باسمه، و كان طولها اثني عشر ميلا في مثلها، و نقل إليها أهله و ولده.

و هو اتخذ الملاعب بأنصنا، و بنى البهنسا و غيرها من المدن و أكثر فيها «٤» من العجائب. و القبط تقول إنه أكثر ملوكهم أعجوبة و سحرا و أطول ملوكهم مدة، ملك ثمانمائة سنة (و ثلاثين سنة) «٥»، و انتزع قوم عاد الملك منه بعد ستمائة سنة «٦» (من ملكه) «٧»، فاستوبؤوا «٨» بلده و انتقلوا الى الدثنية من

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٥٧٦

طريق الحجاز الى وادي القرى، فعمروها و اتخذوا بها المنازل، فسلط الله «١» عليهم الذر فأهلكتهم. فعاد ملك مصر الى أشمون و بنى مدينة في المشرق في سفح الجبل سماها أوطيراطيس و جعل لها أربعة أبواب على كل باب منها «٢» طلسم، و أسكنها الروحانيين بسحره، فكانت تنطق إذا قصدها القاصد و تخبره بما يريد و لا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها. و جعل فيها شجرة يطلع فيها كل لون من الفاكهة، و منارا في وسطها طوله ثمانون ذراعا على رأسه «٣» قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي سبعة أيام، ثم تعود الى اللون الأول، فتكسو المدينة تلك الألوان. و أسكنها السحرة و كانت تعرف بمدينة السحرة- (و هي معنى أوطيراطس) «٤»- و منها كانت تخرج أصناف السحر. و هو أول من عمل النيروز إكراما للكواكب، و دفن في احد الأهرام الصغار القبلية.". <المسالك والممالك ـ البكري ٤٧٢/١>

١٢٥-"٩٧١ فخرج على دليقة (أيمين الأتريبي) «٥» يطلب ثأر خاله انداحس، فاستنصر بملك العمالقة صاحب الشام، فجد في نصره لفعل حوريا بقائده، و جرت بينه و بين دليقة حروب كثيرة و أخبار طويلة كان الظهور فيها لأيمين (لأجل ساحر) «٦» كان معهم من أهل قفط (لا يقوم له أحد) «٧» غلب بسحره دليقة.

فكان أصحاب دليقة إذا هرب أصحاب أيمين أظهر بسحره نارا تحول بينهم و بين أصحاب دليقة، و تسمع أصوات تفزع القلوب و تؤلم الأسماع. فلما أيقنت دليقة بالغلبة- و قد حسرها أيمين بقوص- سمت نفسها فهلكت.

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٥٨٥

٩٧٢ ثم ان أمير العمالقة غلب على مملكة مصر، و هو الوليد بن دومع العملقي، و أباد الامم حتى بلغ جبل القمر (الذي ينبعث النيل منه، و انما سمي جبل القمر) «١» لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خارج عن خط الاستواء، و بلغ هيكل الشمس فدخله و بلغ أرض الذهب، و هو «٢» قضبان نابتة، و هي «٣» آخر بلاد علوة. و استعبد الوليد القبط و ملكهم مائة و عشرين سنة. و ركب في بعض الأيام متصيدا، فوقص «٤» به فرسه فقتله، و دفن في بعض الأهرام «٥».". <المسالك والممالك ـ البكري ٤٨١/١>

١٢٨-"وكان من حق الدولة وسادات الأرض والقبائل تسخير الناس في الأعمال التي يريدون القيام بها بلا عوض ولا أجر ولا دفع مقابل عن العمل الذي يؤمرون القيام به. ونظام السخرة شائع معروف عند جميع الأمم. وقد كان معمولا به عند بعض الشعوب الى عهد قريب. فكان من حق الحكومة إكراه أتباعها وأخذهم بالقوة وسوقهم للقيام بأداء أي عمل تريده. وفي ضمن ذلك المباني العامة و القصور.

وبها تم انشاء معظم المباني الفخمة مثل الأهرام والمعابد، حيث لا يكلف العمل بهذه الطريقة الحكومة كثيرا، فالعمال مسخرون لا يدفع لهم شيء، وعليهم أداء عملهم بسرعة و حمل أكثر ما يمكن حمله،و الا انهالت عليهم سياط المراقبين.

ويدخل في هذه السخرة، السخرة العسكرية، أي القبض على أي شخص عند الحاجة وسوقه الى القتال، وذلك من غير مقابل أيضا. وقد كابد سواد الناس منها عنتا شديدا لفقرهم ولعدم وجود شيء عندهم تعتمد أسرهم عليه في،معيشتها إذا غاب المعيل أو مات، ولهذا لم يحارب المحاربون إلا قصرا وخشية ورهبة، وكانوا يهربون من هذه "السخرة" بالرغم مما قد يتعرض له الهارب من عقوبة شديدة قد تصل إلى القتل.

واجبات الدولة

واجبات الدولة كثيرة، فإن عليها ان تحفظ الأمن في الداخل، وتحمي الحدود من مهاجمة الأعداء لها، وتصد كل غزو يقع عليها، وعليها ان تحقق العدالة، وتقتص من الجناة وتعاقب المجرمين، وعليها أن تقيم الأبنية العامة وتفتح الطرق، إلى غير ذلك من الواجبات التي نعرفها عن الغاية من نشوء الحكومات.

ونحن لا نستطيع ان نتحدث في الزمن الحاضر عن جهاز حفظ الأمن الداخلي،أي جهاز "الشرطة" الذي تناط به مهمة القبض على المجرمين وتعقب اللصوص والقتلة وما إلى ذلك من شؤون لعدم ورود شيء عن هذا الموضوع في الكتابات.".

<المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨٣/٧>

١٢٩-"وهو في زعم أهل الأخبار "أخنوخ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش ابن شيت ين آدم". ومولده بمصر في مدينة "منف". ووصفوه وصفا كأنهم كانوا معه وقد شاهدوه وجالسوه، فقالوا: "كان عليه السلام رجلا آدم اللون تام القامة، أجلح، حسن الوجه، كث اللحية، مليح التخاطيط، تام الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، براق العين أكحل، متأنيا في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الفكرة، به حدة وعبسة، يحرك إذا تكلم سبابته". وكان كثير الأسفار. زار الهند، وجاء إلى فارس وبابل. وعرف ب "ارمس"عند اليونان. وهو "اسم عطارد. ويسمى عند اليونان أطرسمين". " استخرج سائر الصنائع والفلسفة والطب". وهو. الذي علم "اسقلبيوس"الطب.. وهو أول من تكلم في شيء من الطب على طريق التجربة وامام الطب، وأبو أكثر الفلاسفة.

"وأول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية، وان جده كيومرث، وهو آدم علمه ساعات الليل والنهار، وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه. وانه ألف لأهل زمانه كتبا كثيرة، وأشعارا موزونة وقواف معلومة بلغة أهل زمانه في معرفة الأشياء الأرضية والعلوية. وهو أول من أنذر بالطوفان، ورأى إن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار، وكان مسكنه صعيد مصر، تخير ذلك فبنى هناك الأهرام ومدائن التراب، وخاف ذهاب العلم

بالطوفان فبنى البرابي، وهو الجبل المعروف بالبرابر بأخميم وصور فيها جميع الصناعات وصناعها نقشا وصور جميع آلات الصناع،. وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده برسوم حرصا منه على تخليد العلوم لمن بعده، وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم".". <المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٢/٣٨>

١٣٤-"لا بد من وروده إلى دمشق، فقال: وهل في توجه السلطان إليه وقتاله مع شك؟ فقال له: لا بد من ذلك، فقال جرباش: فكيف إذا أعيش وأعود إلى منزلي، هذا مستحيل، رحمه الله تعالى.

٨٣٨؟ - جرباش من عبد الكريم ؟٨٦١هـ؟ - ١٤٥٦م جرباش بن عبد الله من عبد الكريم الظاهري، الأمير سيف الدين، أمير سلاح، وحمو السلطان الملك الظاهر جقمق ويعرف بقاشق.

حدثني من لقظه قال: اشترا الملك الظاهر برقوق في سلطنته الأولى وأعتقني، وأخرج لي خيلا قبل واقعة الناصري ومنطاش، ولما ملكا الديار المصرية وحبس الملك الظاهر برقوق بالكرك، وأراد منطاش أن يقبض على من بقى من مماليك برقوق، خرجت فارا إلى حماة، وخدمت عند نائبها محمد بن المهمندار إلى ان كان من أمر برقوق ما كان.

قلت: فعلى هذا يكون مولده في حدود السبعين وسبعمائة ببلاد الجاركس. ولما عاد الملك الظاهر برقوق إلى ملكه استمر جرباش هذا من جملة المماليك السلطانية إلى أن تأمر عشرة في الدولة الناصرية فرج، ثم صار في أواخر الدولة المؤيدية شيخ أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، واستمر على ذلك إلى أن أخلع عليه الملك الأشرف بحجوبية الحجاب بالديار المصرية، عوضا عن الأمير جقمق العلائي بحكم انتقاله إلى الأمير آخورية، بعد توجه الأمير قصروه من تمراز إلى نيابة طرابلس بع عزل الأمير إينال النوروزى عنها وقدومه إلى القاهرة على إقطاع قصروه المذكور من غير وظيفة، وذلك في يوم الخميس عشرين شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة، بعد أن شغرت وظيفة الحجوبية عن جقمق المذكور من جمادى الأولى من السنة المذكورةن واستمر في الحجوبية إلى يوم الإثنين خامس عشر شوال سنة تسع وعشرين وثمانمائة، وأخلع عليه بأمرة مجلس عوضا عن إينال الجكمى المنتقل إلى إمرة سلاح، بعد استقرار الأمير يشبك الساقي الأعرج أتابك العساكر بعد وفاة الأمير قجق الشعباني في شعبان من السنة، واستقر في الحجوبية من بعده الأمير قرقماس الشعباني المعروف بأهرام ضاغ يعنى جبل الأهرام لتكبره.

واستمر الأمير جرباش هذا على ذلك إلى أن خلع عليه باستقراره في نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير قصروه المنتقل إلى نيابة حلب بعد عزل جار قطلو عنها وقدومه إلى القاهرة على إمرة مائة وتقدمة ألف بها في يوم الخميس سابع جمادى الأولى سنة ثلاثين وثمانمائة.

فتوجه إلى طرابلس، وباشر النيابة بها مدة إلى أن عزل بالأمير طرباى المقيم بالقدس من جملة الأمراء البطالين، وطلب إلى القاهرة فقدمها في ثالث عشرين شهر رجب من سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، واستقر على عادته أولا أمير مجلس، عوضا

عن الأمير جار قطلو بحكم استقراره أتابك العساكر بالديار المصرية بعد موت الأتابك شبك الساقي الأعرج، فلم تطل مدة جرباش المذكور بالقاهرة وقبض عليه، وعلى الأمير قطج أحد مقدمي الألوف، فحمل قطج في الحديد إلى الإسكندرية، ونفى جرباش المذكور إلى ثغر دمياط بطالا، وأنعم بإقطاعه ووظيفته على الأتابك بيبغا المظفرى، وطلب من ثغر دمياط، وذلك في ثامن عشرين شوال سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة.

فدام بثغر دمياط مدة طويلة إلى أن طلبه الملك الأشرف إلى القاهرة ليستقر في نيابة غزة، فحضر إلى القاهرة واستعفى من ذلك، وطلب العود إلى دمياط، فأعفى، ورسم له بالعود إلى دمياط، فتوجه إليها، وأقام بالثغر إلى أن افتضت السلطنة إلى الملك الظاهر جقمق أرسل بطلبه فحضر إلى القاهرة، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف، وأخلع عليه بإمرة مجلس، وهذه ولايته لهذه الوظيفة ثالث مرة، عوضا عن يشبك السودوني بحكم انتقاله إلى إمرة سلاح بعد انتقال الأمير آقبغا التمرازي إلى الأتابكية بالديار المصرية، بعد عصيان الأتابك قر قماس الشعباني.

كل ذلك في سنة إثنتين وأربعين وثمانمائة، فاستمر على ذلك مدة طويلة، وتزوج الملك الظاهر بابنته زينتب، وحج غير مرة إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى إمرة سلاح بعد موت الأمير تمراز القرمشى في صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، وحج في السنة المذكورة أمير الرجبية، وصحبته الزيني عبد الباسط، وعاد إلى القاهرة واستتمر بها إلى أن أخرج السلطان الملك المنصور إقطاعه للأمير قراجا الخازندار في يوم الإثنين سادس عشر شهر صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة، واستقر الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس سلاح عوضا عنه.". <المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/٣٧٩>

١٣٥-"ورسم للملك العزيز بأن يقيم بقاعة البربرية من دور الحرم السلطاني، وأن يحتفظ به، ثم أخلع على الطواشي فيروز الجاركمى باستقراره زمام دار، عوضا عن الصفوى جوهر الجلباني اللالا، وشرع الملك الظاهر جقمق في الفنقة على المماليك السلطانية من يوم السبت ثامنه إلى أن انتهت النفقة فيهم، ثم خلع على الأمير قرقماس الشعبني المعروف بأهرام ضاغ، يعنى جبل الأهرام، بأتابكية العساكر بالديار المصرية عوضه، وعلى أقبغا التمرازي بإمرة سلاح، عوضا عن قرقماس المذكور، وعلى يشبك السودوني بإمرة مجلس، عوضا عن أقبغا، وعلى تمراز القرمشى باستقراره أمير آخور، عوضا عن جانم بحكم القبض عليه وحبسه بالإسكندرية؛ وعلى قراخجا باستقراره رأس نوبة النوب، عوضا عن تمراز القرمشى، وعلى تغرى بردى المؤذى البكلمشى بحجوبية الحجاب، عوضا عن يشبك السودوني، على أركماس الظاهري باستمراره في وظيفة الدوادارية، كل ذلك في يوم الخميس ثاني يوم سلطنته، وأنعم على عدة أخر بتقادم وطبلخانات وعشرات، يطول الشرح في ذكرهم، وتطاول كل وضيع إلى المرتبة العليا، ومشى ذلك لجماع منهم، بل لغالبهم.

واستمر الملك الظاهر في أمر ونهى وأخذ وعطاء إلى يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الآخر ركب السلطان إلى لعب الكرة بالحوش السلطاني، وحضر الأتابك قرقماس ولعب معه حتى انتهى، وأراد النزول إلى داره أسر بعض خواص السلطان إليه بأن قرقماس يريد إثارة فتنة، فلم يقبل السلطان كلامه، ونزل قرقماس إلى أن وصل تحت باب المدرج من القلعة أحاطوا به المماليك السلطانية، وطلبوا منه أن يتكلم مع السلطان في زيادة جوامكهم، ولزموه وطلبوا منه أن يركب معهم، فأراد أن يرجع إلى القلعة فما مكنوه من ذلك، وأخذوه إلى داره، وتلاحق بهم من المماليك الأشرفية جماعة، ولا زالوا به حتى وافقهم

على الركوب ومحاربة السلطان، فلبس سلاحه وركب على كره منه.
وهو كان يريد العصيان على السلطان، لكن بعد أيام، على غير هذا الوجه حتى يصلح أمره ويثق بمن يركب معه من الأعيان ويتهيأ لذلك، فلما غصبوه هؤلاء بالركوب في هذا اليوم، وحسن له بعض أعوانه ذلك، وحذره أنه اذا لم يركب في هذا اليوم لا يجتمع عليه أحد بعد ذلك أذا أراد الركوب، فأذعن، وسار ومعه جماعة كبيرة إلى الغاية، غير أنه منقبض الخاطر حتى وصل إلى الرميلة، ووقف تجاه باب السلسلة، وهو غير منشرح الصدر، لما رأى من خلف عسكره واختلاف أغراضهم، فكان منهم من يقول: الله ينصر الملك العزيز، ومنهم من يقول: الله ينصر السلطان، فكان قرقماس إذا سمع ذلك يقول: الله ينصر الحق، وتكرر ذلك في مسيرهم من بيته إلى أن وصل إلى الرميلة غير مرة، حتى أنه كشف رأسه وقال: الله ينصر الحق، فتطير من أصحابه من له خبرة بكشف رأسه، ثم سقطت درقته في الرميلة عن كتفه، فتزايد تطير الناس لذلك.
ولما وقف بالرميلة، أمر لبعض أعوانه بالمناداة بالقاهرة على لسانه: أنه من حضره إلى عنده من المماليك ينعم عليه بكيت وكيت، وأنه ينفق فيهم إذا صار الأمر إليه بمائتي دينار لكل مملوك، وبمجئ الزعر إليه، وأنه ينفق فيهم أيضا لكل واحد عشرين دينارا، فعظم جمعه، وتكاثفت عساكره،وبلغ السلطان خبره، فأسرع بنزوله إلى المقعد المطل على الرميلة من باب السلسلة ومعه نفر قليل جدا، ورسم بالمناداة: من كان من حزب السلطان فليحضر عند الأمير أقبغا التمرازي أمير سلاح في بيته، ثم بعث إلى الأمير أقبغا بأمره بأنه يجمع من حضر عنده من الأمراء وغيرهم ويسير بهم إلى الرميلة من جهة باب السلسلة لقتال قرقماس، فاجتمع على أقبغا المذكور عدة من أمراء الألوف وغيرهم، وساروا حتى وصلوا إلى صليبة طولون، استشارهم أقبغا من أين يتوصلوا إلى الرميلة، فإن وصلوا إلى صليبة ابن طولون، استشارهم أقبغا من أين يتوصلوا إلى الرميلة، فإن قرقماس بجموعه إلى الرميلة، فكيف التوصل إلى باب السلسلة منهم، فكثر الكلام في ذلك حتى وقع الانفاق أنهم يسيروا من سويقة منعم غارة إلى باب السلسلة، ففعلوا ذلك.". <المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/٣٨٦>

١٣٦-"وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وأخبارها عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان لنوح عليه السلام أربعة من الولد: سام، وحام، ويافث، ويخطون، وأن نوحا رغب إلى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الإجابة في ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فنادى ساما فأجابه يسعى وصاح سام في ولده فلم يجبه أحد منهم إلا ابنه أرفخشد فانطلق به معه حتى أتياه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرفخشد بن سام وسأل الله عز وجل أن يبارك في سام أفضل البركة وأن يجعل الملك والنبوة في ولد أرفخشد، ثم ناس حاما وتلفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم إليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعلهم عبيدا لولد سام، وكان مصر بن بنصر بن حام نائما إلى جنب جده فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى إلى نوح وقال: يا جدي قد أجبتك إذ لم يجبك جدي ولا أحد من ولده فاجعل لي دعوة من دعائك ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال: اللهم إنه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه الأرض المباركة التي هي أم البلاد، وغوث العباد التي نهرها أفضل أنهار الدنيا وأجعل فيها أفضل البركات، وسخر له ولولده الأرض وذللها لهم وقوهم عليها، ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه ولا أحد من ولده، فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرار الخلق، وعاش سام مباركا إلى أن

مات وعاش ابنه أرفخشد بن سام مباركا حتى مات وكان الملك الذي يحبه الله والنبوة والبركة في ولد أرفخشد بن سام وكان أكبر ولد حام: كنعان بن حام، وهو الذي حمل به في الرجز في الفلك فدعا عليه نوح فخرج أسود وكان في ولده الملك والجبروت والجفاء وهو: أبو السودان والحبش كلهم وابنه الثاني: كوش بن حام، وهو أبو السند والهند وابنه الثالث: قوط بن حام وهو: أبو البربر وابنه الأصغر الرابع: بنصر بن حام، وهو أبو القبط كلهم فولد بنصر بن حام أربعة: مصر بن بنصر وهو أكبرهم والذي دعا له نوح بما دعا له. وفارق بن بنصر، وماح بن بنصر، وقيل: ولد مصر أربعة: قفط بن مصر، وأشمن بن مصر، وأتريب بن مصر، وصا بن مصر، وعن ابن لهيعة وعبد الله بن خالد أول من سكن مصر بنصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد أن أغرق الله تعالى قومه وأول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بنصر بولده وهم: ثلاثون نفسا منهم أربعة أولاد له قد بلغوا وتزوجوا وهم: مصر، وفارق، وياح، وماح، وكان مصر أكبرهم فبنوا مصر، وكانت إقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم، ونقروا هناك منازل كثيرة، وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد، وغوث العباد، ونهرها أفضل الأنهار، ويجعل له فيها أفضل البركات ويسخر له الأرض ولولده ويذللها لهم ويقويهم عليها، فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها قالوا: وكان مصر بن بنصر مع نوح في السفينة لما دعا له وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر، وجميع إخوته إلى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر فلما قر قرار بنصر وبنيه بمصر قال لمصر إخوته فارق وماح وياح وبنوا بنصر قد علمنا أنك أكبرنا وأفضلنا وأن هذه الأرض التي أسكنك إياها جدك نوح، ونحن نضيق عليك أرضك، وذلك حين كثر ولده وأولادهم، ونحن نطلب إليك البركة التي جعلها فيك جدنا نوح أن تبارك لنا في أرض نلحق بها ونسكنها وتكون لنا ولأولادنا، فقال: نعم عليكم بأقرب البلاد إلي ولا تباعدوا مني فإن لي في بلادي مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسي فتكون لي ولولدي ولأولادهم، فحاز مصر بن بنصر لنفسه ما بين الشجرتين التي بالعريش إلى أسوان طولا، ومن برقة إلى أيلة عرضا، وحاز فارق لنفسه ما بين برقة إلى إفريقية، وكان ولده الأفارقة ولذلك سميت إفريقية، وذلك مسيرة شهر، وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى حد مصر إلى الجزيرة مسيرة شهر، وهو أبو قبط الشام، وحاز باح ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر إلى الشرق مسيرة شهر، وهو أبو قبط العراق، ثم توفي بنصر بن حام، ودفن في موضع دير أبي هرميس غربي الأهرام، فهي أول مقبرة قبر فيها بأرض مصر، وكثر أولاد مصر وكان الأكابر منهم قفط، وأتريب، وأشمن، وصا، والقبط من ولد مصر هذا ويقال: إن قبط أخو قفط، وهو بلسانهم". <المواعظ والاعتبار ١/٢٥>

١٣٧-"وقال عمرو بن العاص: ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة يعني إذا جمع الخراج مع الإمارة، وقال أحمد بن مدبر: تحتاج مصر إلى ثمانية وعشرين ألف ألف فدان، وإنما يعمر منها ألف ألف فدان، وقد كشفت أرض مصر، فوجدت غامرها أضعاف عامرها، ولو اشتغل السلطان بعمارتها لوفت له بخراج الدنيا. وقال بعضهم: إن خراج العراق لم يكن قط أوفر منه في أيام عمر بن عبد العزيز، فإنه بلغ ألف ألف درهم وسبعة عشر ألف ألف درهم، ولم تكن مصر قط أقل من خراجها في أيام عمرو بن العاص، وأنه بلغ اثني عشر ألف ألف دينار، وكانت الشامات بأربعة عشر ألف ألف سوى الثغور. ومن فضائل مصر: أنه ولد بها من الأنبياء موسى، وهارون، ويوشع عليهم السلام، ويقال: إن عيسى بن مريم

صلوات الله عليه أخذ على سفح الجبل المقطم، وهو سائر إلى الشام، فالتفت إلى أمه وقال: يا أماه هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ويذكر أنه ولد في قرية أناس من نواحي صعيد مصر وأنه كانت به نخلة يقال: إنها النخلة المذكورة في القرآن بقوله سبحانه وتعالى: " وهزي إليك بجذع النخلة " مريم٢٥، وهذا القول وهم، فإنه لا خلاف بين علماء الأخبار من أهل الكتاب، ومن يعتمد عليه من علماء المسلمين أن عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس، ودخل مصر من الأنبياء، إبراهيم خليل الرحمن، وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من هذا الكتاب. ودخلها أيضا يعقوب ويوسف والأسباط، وقد ذكر ذلك في خبر الفيوم، ودخلها أرميا، وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذي أثنى عليه الله جل جلاله في القرآن.

ويقال : إنه ابن فرعون لصلبه، وأظنه أنه غير صحيح، وكان منها جلساء فرعون الذين أبان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم في أمر موسى وهارون عليهما السلام، لما استشارهم فرعون في أمرهما فقال تعالى: " قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم " الشعراء ٣٤ – ٣٧، وأين هذا من قول أصحاب النمرود في إبراهيم صلوات الله عليه، حيث أشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم: " قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين " الأنبياء٦٨، ومن أهل مصر، امرأة فرعون التي مدحها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: " وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين " التحريم١١، ومن أهلها، ماشطة بنت فرعون وآمنت بموسى عليه السلام، فمشطها فرعون بأمشاط الحديد كما يمشط الكتان، وهي ثابتة على إيمانها بالله.

وقال صاعد اللغوي في كتاب طبقات الأمم: إن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى، وهو أول من تكلم في الجواهر العلوية، والحركات النجومية، وهو أول من ابتنى الهياكل، ومجد الله فيها، وأول من نظر في علم الطب، وألف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية، وقالوا: إنه أول من أنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تصيب الأرض من الماء، والنار فخاف ذهاب العلم، واندراس الصنائع فبنى الأهرام، والبرابي التي في صعيد مصر الأعلى، وصور فيها جميع الصنائع، والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده، وخيفة أن يذهب رسمها من العالم، وهرمس هذا هو: إدريس عليه السلام.

وقال أبو محمد الحسن بن إسماعيل بن الفرات في أخبار مصر: إن الخضر جاز البحر مع موسى عليه السلام، وكان مقدما عنده، وكان بمصر من الحكماء جماعة ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتدبيرهم، وكان من علومهم علم الطب، وعلم النجوم، وعلم المساحة، وعلم الهندسة، وعلم الكيمياء، وعلم الطلسمات، ويقال: كانت مصر في الزمن الأول يسير إليها طلاب العلوم لتزكو عقولهم، وتجود أذهانهم ويتميز عندهم الذكاء وتدق الفطنة.". <المواعظ والاعتبار ٣٤/١>

١٣٨-"ومن فضائل مصر: أنها تمير أهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر فرضة الدنيا يحمل خيرها إلى ما سواها، فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه إلى الحرمين واليمن والهند والصين وعمان والسند والشحر، وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم، والإفرنج، وسواحل الشام والثغور إلى حدود العراق، وثغر إسكندرية فرضة أقريطس وصقلية

وبلاد المغرب، ومن جهة الصعيد يحمل إلى بلاد الغرب والنوبة والبجة والحبشة والحجاز واليمن، وبمصر عدة من الثغور المعدة للرباط في سبيل الله تعالى وهي: البراس ورشيد والإسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتنيس والأشتوم والفرما والواردة والعريش وأسوان وقوص والواحات، فيغزى من هذه الثغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان. وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد، وبها النيل، والأهرام والبرابي والأديار والكنائس وأهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى أنه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسوره لاستغنى أهلها بما فيها عن جميع البلاد. وبمصر دهن البلسان الذي عظمت منفعته، وصارت ملوك الأرض تطلبه من مصر، وتعتني به وملوك النصرانية تترامى على طلبه، والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى أنه لا يتم تنصر نصراني إلا بوضع شيء من دهن البلسان في ماء المعمودية عند تغطيسه فيها، وبها السقنقور ومنافعه لا تنكر وبها النمس والعرس، ولهما في أكل الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل : لولا العرس والنمس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين، وبها السمكة الرعادة ونفعها في البرء من الحمى إذا علقت على المحموم عجيب، وبمصر حطب السنط، ولا نظير له في معناه فلو وقد منه تحت قدر يوما كاملا لما بقي منه رماد، وهو مع ذلك صلب الكسر سريع الاشتعال بطيء الخمود. ويقال: إنه أبنوس غيرته بقعة مصر فصار أحمر. وبها الأفيون عصارة الخشخاش، ولا يجهل منافعه إلا جاهل، وبها البنج وهو ثمر قدر اللوز الأخضر كان من محاسن مصر إلا أنه انقطع قبل سنة سبعمائة من الهجرة، وبها الأترج. قال أبو داود صاحب السير في كتاب الزكاة: شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا، ورأيت أترجة على بعير قطعتين، وصيرت مثل عدلين. قال المسعودي في التاريخ: والأترج المدور حمل من أرض الهند بعد الثلاثمائة من سني الهجرة، وزرع بعمان، ثم نقل منها إلى البصرة والعراق والشام، حتى كثر في دور الناس بطرسوس، وغيرها من الثغور الشامية، وفي أنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر، وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الأراهج الحمراء الطيبة، واللون الحسن الذي كان فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة وخاصية البلد. وفي مصر معدن الزمرد، ومعدن النفط والشب والبرام ومقاطع الرخام، ويقال: كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا، وأهل مصر يأكلون صيد بحر الروم، وصيد بحر اليمن طريا لأن بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم، والفرما، وذلك يوم وليلة، وهو الحاجز المذكور في القرآن قال تعالى : " وجعل بين البحرين حاجزا " النمل ٦١، قيل: هما بحر الروم، وبحر القلزم، وقال تعالى: " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان " الرحمن١٩. قال بعض المفسرين: البرزخ ما بين القلزم والفرما.

ومن محاسن مصر: أنه يوجد بها في كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من المأكول والمشموم دون ما عداه من بقية الشهور فيقال : رطب توت، ورمان بابه، وموزها تور، وسمك كيهك، وماء طوبة، وخروف امشير، ولبن برمهات، وورد برمودة، ونبق بشنس، وتين بؤنة، وعسل أبيب، وعنب مسرى، ومنها: أن صيفها خريف لكثرة فواكهه وشتاءها ربيع لما يكون بمصر حينئذ من القرظ والكتان.

ومن محاسنها: أن الذي ينقطع من الفواكه في سائر البلدان أيام الشتاء يوجد حينئذ بمصر. ومنها: أن أهل مصر لا يحتاجون في حر الصيف إلى استعمال الخيش والدخول في جوف الأرض كما يعانيه أهل بغداد، ولا يحتاجون في برد الشتاء إلى لبس الفرو، والاصطلاء بالنار الذي لا يستغني عنه أهل الشام. كما أنهم أيضا في الصيف غير محتاجين إلى استعمال الثلج، ويقال: زبرجد مصر، وقباطي مصر، وحمير مصر، وثعابين مصر، ومنافعها في الدرياق جليلة.". <المواعظ والاعتبار

<٣٥/١

١٣٩-"وقصدها ملك من المغرب. يقال له: سادوم في جيش عظيم إلى أن بلغ وادي هيبب، فأقبل كلكن وجللهم من سحره بشيء كالغمام شديد الحرارة، وهم تحته أياما لا يدرون أين يتوجهون، ثم ارتفع وصار. بمصر يعرفهم ما عمل وأمرهم، فخرجوا. فإذا بالقوم ودوابهم قد ماتوا فهابه جميع الكهنة وصوروه في سائر الهياكل وبنى هيكلا لزحل من صوان أسود في ناحية الغرب وجعل له عيدا.

وفي أيام دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع الذي يقال له عند القبط: دريموش، ظهر معدن فضة على ثلاثة أيام من النيل فأثاروا منه شيئا عظيما وعمل صنما على اسم القمر لأن طالعه كان برج السرطان، ونصبه على القصر الرخام الذي بناه أبوه في شرقي النيل، ونصب حوله أصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الأحمر، وعمل للصنم عيدا كلما دخل برج السرطان. ولما ولي اكسايس الملك بعد أبيه معدان بن معاديوس بن دارم بن دريموس وهو الفرعون السادس أقام أعلاما كثيرة حول منف، وجعل عليها أساطين يمشي من بعضها إلى بعض، وعمل برقودة وصا ومدائن الصعيد، وأسفل الأرض أعلاما، ومنائر للوقود، وطلسمات كثيرة، وعمل كودة من فضة ونقش عليها صورة الكواكب ودهنها بالدهن الصيني، وأقامها على منار في وسط منف، وعمل في هيكل أبيه روحاني زحل من ذهب أسود مدبر، وعمل في وقته ميزانا يعتبر به الناس كفتاه من ذهب، وعلاقته من فضة، وسلاسله من ذهب فكان معلقا في هيكل الشمس، وكتب على إحدى كفتيه: حق، والأخرى: باطل، وتحته فصوص قد نقش عليها أسماء الكواكب، فيدخل الظالم والمظلوم يأخذ كل منهما فصا من تلك الفصوص ويسمى عليه ما يريده، ويجعل أحد الفصين في كفة، والآخر في كفة، فتثقل كفة الظالم، وترتفع كفة المظلوم، ومن أراد سفرا أخذ فصين وذكر على أحدهما اسم السفر، وعلى الآخر الإقامة، وجعل كل واحد في كفة فإن ثقلا جميعا ولم يرتفع أحدهما على الآخر لم يسافر، وإن ارتفعا سافر، وإن ارتفع أحدهما أخر السفر، ثم سافر وكذا من عليه دين ومن له غائب أو ينظر في صلاح أمره وفساده.

ويقال: إن بخت نصر لما دخل إلى مصر حمل هذا الميزان معه فيما حمل إلى بابل، وجعله في بيت من بيوت النار. وعمل في أيامه تنورا أيضا يشوي فيه من غير نار، ويطبخ فيه بغير نار، وسكينا تنصب فإذا رآها شيء من البهائم أقبل حتى يذبح نفسه بها. وعمل ماء يستحيل نارا وزجاجا يستحيل هواء، وشيئا من النيرنجيات والنواسيس.

وأما البرابي فذكر ابن وصف شاه: أن سوريد الذي بنى الأهرام هو الذي بنى البرابي كلها، وعمل فيها الكنوز وزبر عليها علوما ووكل بها روحانية تحفظها ممن يقصدها.

وقال في كتاب الفهرست: وبمصر أبنية يقال لها: البرابي من الحجارة العظيمة الكبيرة، وهي على أشكال مختلفة، وفيها مواضع الصحن والسحق والحل والعقد والتقطير تدل على أنها عملت لصناعة الكيمياء، وفي هذه الأبنية نقوش وكتابات لا يدرى ما هي وقد أصيبت تحت الأرض فيها هذه العلوم مكتوبة في التوز، وهي صفائح الذهب والنحاس وفي الحجارة. وذكر الحسن بن أحمد الهمداني أن برابي مصر تنسب إلى براب بن الدرمسيل بن نحويل بن خنوخ بن قار بن آدم عليه السلام.

وذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، في كتاب الإشارات الباقية عن القرون الخالية: أن كنيسة في بعض قرى مصر قد

شاهدها الموثوق بقولهم المأخوذ برأيهم المأمون من جهتهم الرواية عنهم فيها سرداب ينزل إليه بنيف وعشرين مرقاة، وفيه سرير تحته رجل وصبي مشدودين في نطع وفوقه ثور رخام في جوفه باطية زجاج يدخلها قنينة من نحاس في جوفها فتيلة كتان توقد فيصب فيها زيت فلا يلبث إلا أن تمتلئ الباطية الزجاج زيتا، وتفيض إلى الثور الرخام، فينفق على تلك الكنيسة وقناديلها.

وذكر الجهاني: أنه صار إليه من وثق به ورفع الباطية عن الثور وأفرغ الزيت من الباطية والثور جميعا وأطفأ النار وأعادها جميعا إلا الزيت فإنه صب زيتا من عنده وأبدله فتيلة أخرى وأشعلها، فما لبث الزيت أن فاض إلى الباطية الزجاج ثم فاض إلى الثور الرخام من غير مدد ولا عنصر.

وذكر الجهاني: أنه إذا أخرج الميت من تحت السرير انطفأت النار، ولم يفض الزيت.". <المواعظ والاعتبار ١/٤٦>

١٤٠-"فركب عبد العزيز بن مروان، حتى أشرف على الموضع، فنظر إلى ما ظهر من ذلك فأسرع بعضهم، ووضع قدمه على درجة من نحاس ينتهي إلى ما هناك، فلما استقرت قدماه على المرقاة ظهر سيفان عاديان عن يمين الدرجة، وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا. فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود، وصفر الديك صفيرا عجيبا أسمع من كان بالبعد من هناك، وحرك جناحيه، وظهرت من تحته أصوات عجيبة، قد عملت بالكواكب والحركات إذا مال وقع على بعض تلك المرج شيء أو ماسها شيء انقلبت فتهاوى من هناك من الرجال إلى أسفل تلك الحفرة، وكان فيها ممن يحفر ويعمل وينقل التراب، وينظر ويحول ويأمر وينهي نحو ألف رجل. فهلكوا جميعا، فخرج عبد العزيز وقال: هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من هناك من التراب على من هلك من الناس. فكان الموضع قبرا لهم.

قال المسعودي: وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد اعتنى وأغرى بحفر الحفائر، وطلب الكنوز وذخائر الملوك والأمم السالفة المستودعة بطن الأرض ببلاد مصر، قد وقع إليهم كتاب ببعض الأقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الأهرام بأن فيه مطلبا عجيبا، فأخبروا الإخشيد محمد بن طفج بذلك فأمرهم بحفره، وأباحهم استعمال الحيلة في إخراجه، فحفروا حفرا عظيما إلى أن انتهوا إلى أزج وأقباء وحجارة مجوفة في صخرة منقورة فيها تماثيل قائمة على أرجلها من الخشب قد طلي بالأطلية المانعة من سرعة البلاء وتفرق الأجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال. أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد والزبرجد والفيروزج، ومنها ما وجوهها ذهب، وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا في أجوافها رمما بالية، وأجساما فانية، وإلى جانب كل تمثال منها نوع من الأبنية كالبراني وغيرها من المرمر والرخام، وفيه من الطلي الذي قد طلي منه ذلك الميت الموضوع في التماثيل الخشب والطلاء دواء مسحوق، وأخلاط معمولة لا رائحة لها، فجعل منه على النار شيء ففاح منه ريح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من أنواع الطيب. وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم، ومقادير أعمارهم، وتباين صورهم، وبإزاء كل تمثال تمثال من الحجر المرمر، أو من الرخام الأخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور. عليها أنواع من الكتابات لم يقف أحد على استخراجها من أهل الملل، وزعم قوم من أهل الدراية أن لذلك القلم منذ فقد

من أرض مصر. أربعة آلاف سنة، وفيما ذكرناه دلالة على أن هؤلاء ليسوا بيهود ولا نصارى ولم يؤدهم الحفر إلا لما ذكرناه من هذه التماثيل، وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة، وقد كان من سلف وخلف من ولاة مصر. من أحمد بن طولون وغيره، إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة، لهم أخبار عجيبة فيما استخرج في أيامهم من الدفائن، والأموال والجواهر، وما أصيب في هذه المطالب من القبور، وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا.". <المواعظ والاعتبار ١/٥١>

١٤١-"وركب أحمد بن طولون يوما إلى الأهرام، فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف، ومعهم المساحي والمعاول، فسألهم عن ما يعملون فقالوا: نحن قوم نطلب المطالب، فقال لهم: لا تخرجوا بعدها إلا بمشورتي أو رجل من قبلي وأخبروه أن في سمت الأهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم إليهم الرافقي وتقدم إلى عامل الجيزة في إعانتهم بالرجال والنفقات، وانصرف فأقاموا مدة يعملون حتى ظهر لهم، فركب أحمد بن طولون إليهم وهم يحفرون، فكشفوا عن حوض مملوء دنانير، وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربطية فأحضر من قرأه: فإذا فيه أنا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من غشه ودنسه فمن أراد أن يعلم فضل ملكي على ملكه فلينظر إلى فضل عيار ديناري على عيار ديناره، فإن مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته وبعد وفاته، فقال أحمد بن طولون: الحمد لله أن ما نبهتني عليه هذه الكتابة أحب إلي من المال، ثم أمر لكل من القوم المطالبية بمائتي دينار منه ولكل من الصناع بخمسة دنانير بعد توفية أجرة عمله، وللرافقي بثلثمانة دينار، ولنسيم الخادم بألف دينار وحمل باقي الدنانير، فوجدها أجود من كل عيار، وشدد من حينئذ في العيار بمصر. حتى صار عيار ديناره الذي عرف بالأحمدي أجود عيار، وكان لا يطلى إلا به.

ذكر هلاك أموال أهل مصر

قال الله عز وجل: " وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما " يونس٨٨، ٨٩، هذا دعاء من موسى عليه السلام، على فرعون وقومه من أهل مصر، لكفرهم أن يهلك الله أموالهم. قال الزجاج: طمس الشيء: إذهابه عن صورته.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعن محمد بن كعب القرظي أنهما قالا: صارت أموال أهل مصر ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا، وأثلاثا وأنصافا، فلم يبق معدن إلا طمس الله عليه فلم ينتفع به أحد بعدهم. وقال قتادة: بلغنا أن أموالهم وزروعهم صارت حجارة. وقال مجاهد: وعطية أهلكها الله تعالى حتى لا ترى يقال: عين مطموسة أي ذاهبة، وطمس الموضع: إذا عفا ودرس. وقال ابن زيد: صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شيء لهم حجارة. وقال محمد بن كعب : وكان الرجل منهم يكون مع أهله وفراشه وقد صارا حجرين. قال: وقد سألني عمر بن عبد العزيز، فذكرت ذلك فدعا بخريطة أصيبت بمصر، فأخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وإنها لحجارة.

وقال محمد بن شهاب الزهري: دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال : يا غلام ائتني بالخريطة. فجاء بخريطة نثر ما فيها، فإذا فيها دراهم ودنانير وتمر وجوز وعدس وفول. فقال: كل يا ابن شهاب فأهويت فإذا هو حجارة فقلت: ما هذا يا أمير

المؤمنين. قال: هذا مما أصاب عبد العزيز بن مروان في مصر إذ كان عليها واليا وهو مما طمس الله عليه من أموالهم.".
<المواعظ والاعتبار ١/٥٢>

١٤٢-"وأما ما يستأدى من أهل الذمة: فإنه كان يأخذ منهم عما يرد ويصدر معهم من البضائع في مصر والإسكندرية وأخميم خاصة دون بقية البلاد، ضرائب بتقرير في الديوان، وقد بطل ذلك أيضا.
وأما مقرر الجاموس ومقرر بقر الخيس ومقرر الأغنام: فإنه كان للسلطان من هذه الأصناف شيء كثير جدا فيؤخذ من الجاموس للديوان على كل رأس من الراتب في نظير ما يتحصل منه في كل سنة، من خمسة دنانير إلى ثلاثة دنانير، ومن اللاحق بحق النصف من الراتب، وأقل ما تنتج كل مائة خمسون إلى غير ذلك من ضرائب مقررة على الجاموس، وعلى أبقار الخيس، وعلى الغنم البيض، والغنم الشعاري، وعلى النحل، وقد بطل ذلك جميعه لقلة مال السلطان، وإعراضه عن العمارة وأسبابها، وتعاطي أسباب الخراب.
وأما المواريث: فإنها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم، من أجل أن مذهبهم توريث ذوي الأرحام، وأن البنت إذا انفردت استحقت المال بأجمعه، فلما انقضت أيامهم، واستولت الأيوبية، ثم الدولة التركية، صار من جملة أموال السلطان مال المواريث الحشرية، وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث، فتعدل فيها الوزارة مرة وتظلم أخرى.
وأما المكوس: فقد تقدم حدوثها، وما كان من الملوك فيها، والذي بقي منها إلى الآن بديار مصر يلي أمره الوزير، وفي الحقيقة إنما هو نفع للأقباط يتخولون فيه بغير حق، وقد تضاعفت المكوس في زمننا عما كنا نعهده، منذ عهد تحدث الأمير جمال الدين يوسف الإستادار في الأموال السلطانية، كما ذكر في أسباب الخراب.
وأما البراطيل: وهي الأموال التي تؤخذ من ولاة البلاد، ومحتسبيها وقضاتها وعمالها، فأول من عمل ذلك بمصر: الصالح بن رزيك في ولاة النواحي فقط، ثم بطل، وعمل في أيام العزيز بن صلاح الدين أحيانا، وعمله الأمير شيخون في الولاة فقط، ثم أفحش فيه الظاهر برقوق كما يأتي في أسباب الخراب.
وأما الحمايات والمستأجرات: فشيء حدث في أيام الناصر فرج، وصار لذلك ديوان ومباشرون، وعمل مثل ذلك الأمراء، وهو من أعظم أسباب الخراب كما يذكر في موضعه إن شاء الله تعالى.
ذكر الأهرام
اعلم أن الأهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا، منها بناحية بوصير شيء كثير، بعضها كبار، وبعضها صغار، وبعضها طين ولبن، وأكثرها حجر، وبعضها مدرج، وأكثرها مخروط أملس، وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر، عدة كثيرة كلها صغار هدمت في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على يد قراقوش، وبنى بها قلعة الجبل والسور المحيط بالقاهرة، ومصر والقناطر التي بالجيزة.
وأعظم الأهرام الثلاثة التي هي اليوم قائمة تجاه مصر، وقد اختلف الناس في وقت بنائها، واسم بانيها والسبب في بنائها، وقالوا في ذلك أقوالا متباينة، أكثرها غير صحيح، وسأقص عليك من نبأ ذلك ما يشفي، ويكفي إن شاء الله تعالى.
قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه الكاتب في أخبار مصر وعجائبها في أخبار سوريد بن سهلوق بن سرياق بن توميدون

بن بحرسان بن هوصال أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في مدينة أمسوس الآتي ذكرها عند ذكر مدائن مصر من هذا الكتاب، وهو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين إلى شداد بن عاد، والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم.

وسبب بناء الهرمين أنه كان قبل الطوفان بثلثمائة سنة، قد رأى سوريد في منامه، كأن الأرض انقلبت بأهلها، وكأن الناس قد هربوا على وجوههم، وكأن الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة، فغمه ذلك، ولم يذكره لأحد، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم، ثم رأى بعد ذلك بأيام كأن الكواكب الثابتة، نزلت إلى الأرض في صور طيور بيض، وكأنها تختطف الناس، وتلقيهم بين جبلين عظيمين، وكأن الجبلين قد انطبقا عليهم، وكأن الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة، فانتبه مرعوبا مذعورا، ودخل إلى هيكل الشمس، وتضرع ومرغ خديه على التراب وبكى، فلما أصبح، جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر، وكانوا مائة وثلاثين كاهنا، فخلا بهم وحدثهم ما رآه أولا وآخرا، فأولوه بأمر عظيم يحدث في العالم.".

<المواعظ والاعتبار ١/١٤٠>

١٤٥-"قال: ولما مات سوريد، دفن في الهرم، ومعه أمواله وكنوزه. وقالت القبط: إن سوريد هو الذي بنى البرابي، وأودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما ووكل بها روحانيات تحفظها ممن يقصدها، قال: وأما الأهرام الدهشورية، فيقال: إن شدات بن عديم هو الذي بناها من الحجارة التي كانت قد قطعت في زمن أبيه، وشدات هذا يزعم بعض الناس أنه شداد بن عاد، وقال: من أنكر أن يكون العادية دخلت مصر، وإنما غلطوا باسم شدات بن عديم، فقالوا: شداد بن عاد، لكثرة ما يجري على ألسنتهم شداد بن عاد، وقلة ما يجري على ألسنتهم شدات بن عديم، وإلا فما قدر أحد من الملوك يدخل مصر، ولا قوي على أهلها غير بخت نصر، والله أعلم.

وذكر أبو الحسن المسعودي في كتابه أخبار الزمان: ومن أباده الحدثان، أن الخليفة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، لما قدم مصر وأتى على الأهرام، أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها، فقيل له: إنك لا تقدر على ذلك؟ فقال: لابد من فتح شيء منه، ففتحت له الثلمة المفتوحة الآن بنار توقد وخل يرش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى أنفق عليها أموالا عظيمة، فوجدوا عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا، فلما انتهوا إلى آخر الحائط، وجدوا خلف الثقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب، وزن كل دينار أوقية، وكان عددها ألف دينار، فجعل المأمون يتعجب من ذلك الذهب ومن جودته، ثم أمر بجملة ما أنفق على الثلمة فوجدوا الذهب الذي أصابوه لا يزيد على ما أنفقوه، ولا ينقص فعجب من معرفتهم بمقدار ما ينفق عليه، ومن تركهم ما يوازيه في الموضع عجبا عظيما، وقيل: إن المطهرة التي وجد فيها الذهب كانت من زبرجد، فأمر المأمون بحملها إلى خزانته، وكان آخر ما عمل من عجائب مصر.

وأقام الناس سنين يقصدونه، وينزلون فيه الزلاقة التي فيه، فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك، فاتفق عشرون من الأحداث على دخوله، وأعدوا لذلك ما يحتاجون من طعام وشراب، وحبال وشمع ونحوه، ونزلوا في الزلاقة، فرأوا فيها من الخفاش ما

يكون كالعقبان يضرب وجوههم، ثم إنهم أدلوا أحدهم بالحبال، فانطبق عليه المكان، وحاولوا جذبه حتى أعياهم فسمعوا صوتا أرعبهم فغشي عليهم، ثم قاموا وخرجوا من الهرم، فبينما هم جلوس يتعجبون مما وقع لهم، إذ أخرجت الأرض صاحبهم حيا من بين أيديهم يتكلم بكلام لم يعرفوه، ثم سقط ميتا، فحملوه ومضوا به فأخذهم الخفراء وأتوا بهم إلى الوالي فحدثوه خبرهم، ثم سألوا عن الكلام الذي قال صاحبهم قبل موته، فقيل لهم: معناه: هذا جزاء من طلب ما ليس له، وكان الذي فسر لهم معناه بعض أهل الصعيد.

وقال علي بن رضوان الطبيب: فكرت في بناء الأهرام، فأوجب علم الهندسة العلمية ورفع الثقيل إلى فوق أن يكون القوم هندسوا سطحا مربعا، ونحتوا الحجارة ذكرا وأنثى، ورصوها بالجبس البحري إلى أن ارتفع البناء مقدار ما يمكن رفع الثقيل، وكانوا كلما صعدوا ضموا البناء حتى يكون السطح الموازي للمربع الأسفل مربعا أصغر من المربع السفلاني، ثم عملوا في السطح المربع الفوقاني مربعا أصغر بمقدار ما بقي في الحاشية ما يمكن رفع الثقيل إليه، وكلما رفعوا حجرا مهندما رصوه إليه ذكرا وأنثى، إلى أن ارتفع مقدار مثل المقدار الأول، ولم يزالوا يفعلون ذلك إلى أن بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها أن يفعلوا ذلك فقطعوا الارتفاع، ونحتوا الجوانب البارزة التي فرضوها لرفع الثقيل، ونزلوا في النحت من فوق إلى أسفل، وصار الجميع هرما واحدا.

وقياس الهرم الأول: بالذراع التي تقاس بها اليوم الأبنية بمصر، كل حاشية منه أربعمائة ذراع، يكون بالذراع السوداء التي طول كل ذراع منها أربعة وعشرون إصبعا خمسمائة ذراع، وذلك أن قاعدته مربع متساوي الأضلاع، والزوايا ضلعان منهما، على خط نصف النهار، وضلعان على خط المشرق والمغرب، وكل ضلع بالذراع السوداء خمسمائة ذراع، والخط المنحدر على استقامة من رأس الهرم إلى نصف ضلع المربع أربعمائة وسبعون ذراعا، يكون إذا تم أيضا، خمسمائة ذراع.". <المواعظ والاعتبار ١/١٤٣>

١٤٦-"وأحيط بالهرم، أربع مثلثات ومربع، وكل مثلث منها متساوي الساقين، كل ساق منه إذا تم خمسمائة وستون ذراعا، والمثلثات الأربعة تجتمع رؤوسها عند نقطة واحدة، وهي رأس الهرم إذا تم فيلزم أن يكون عموده أربعمائة وثلاثين ذراعا، وعلى هذا العمود مراكز أثقاله، ويكون تكسير كل مثلث من مثلثاته: مائة وخمسة وعشرين ألف ذراع، إذا اجتمع تكاسيرها كان مبلغ تكسير سطح هذا الهرم: خمسمائة ألف ذراع بالسوداء، وما أحسب على وجه الأرض بناء أعظم منه ولا أحسن هندسة ولا أطول، والله أعلم.

وقد فتح المأمون نقبا من هذا الهرم، فوجد فيه زلاقة تصعد إلى بيت مربع مكعب، ووجد في سطحه قبر رخام وهو باقي فيه إلى اليوم، ولم يقدر أحد يحطه، وبذلك أخبر جالينوس، أنها قبور. فقال في آخر الخامسة من تدبير الصحة بهذا اللفظ، وهم يسمون، من كان في هذا السن: الهرم، وهو اسم مشتق من الأهرام التي هم إليها صائرون عن قريب.

وقال الحوقلي في صفة مصر: وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير في ملك مسلم ولا كافر ولا عمل ولا يعمل لهما، وقرأ بعض بني العباس على أحدهما: إني قد بنيتهما فمن كان يدعي قوة في ملكه فليهدمهما، فالهدم أيسر من البنيان، فهم بذلك وأظنه المأمون أو المعتصم، فإذا خراج مصر لا يقوم به يومئذ، وكان خراجها على عهده بالإنصاف في

الجباية وتوخي الرفق بالرعية والمعدلة إذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع، أربعة آلاف ألف ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينار، والمقبوض على الفدان، دينارين، فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيئا.

وفي حد الفسطاط في غربي النيل أبنية عظام يكثر عددها مفترشة في سائر الصعيد تدعى: الأهرام، وليست كالهرمين اللذين تجاه الفسطاط، وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحد منهما: أربعمائة ذراع، وعرضه كارتفاعه، مبني بحجارة الكدان التي سمك الحجر، وطوله وعرضه من العشر أذرع إلى الثمان بحسب ما دعت الحاجة إلى وضعه في زيادته ونقصه، وأوجبته الهندسة عندهم لأنهما كلما ارتفعا في البناء ضاقا حتى يصير أعلاهما من كل واحد منهما مثل مبرك جمل، وقد ملئت حيطانهما بالكتابة اليونانية، وقد ذكر قوم أنهما قبران وليس كذلك، وإنما حمل صاحبهما على عملهما أنه قضى بالطوفان أنه يهلك جميع ما على وجه الأرض إلا ما حصن في مثلهما، فخزن ذخائره وأمواله فيهما، وأتى الطوفان، ثم نضب فصار ما كان فيهما إلى بيصر بن مصرايم بن حام بن نوح، وقد خزن فيهما بعض الملوك المتأخرين وجعلهما هراءه، والله أعلم.

وقال أبو يعقوب محمد بن إسحاق النديم الوراق في كتاب الفهرست: وقد ذكر هرمس البابلي قد اختلف في أمره فقيل: إنه كان أحد السدنة السبعة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة، وإنه كان لترتيب عطارد وباسمه سمي، فإن عطارد باللغة الكلدانية: هرمس، وقيل: إنه انتقل إلى أرض مصر بأسباب، وإنه ملكها وكان له أولاد منهم: طا، وصا، وأشمن، وأتريب، وقفط، وإنه كان حكيم زمانه، وإنه لما توفي دفن في البناء الذي يعرف بمدينة مصر: بأبي هرمس، ويعرفه العامة بالهرمين، فإن أحدهما قبره والآخر قبر زوجته، وقيل: قبر ابنه الذي خلفه بعد موته، وهذه البنية يعني الأهرام: طولها بالذراع الهاشمي، أربعمائة ذراع وثمانون ذراعا على مساحة أربعمائة وثمانين ذراعا، ثم ينخرط البناء فإذا حصل الإنسان في رأسه كان مقدار سطحه أربعين ذراعا، هذا بالهندسة وفي وسط هذا السطح، قبة لطيفة في وسطها شبيهة بالمقبرة، وعند رأس ذلك القبر صخرتان في نهاية النظافة والحسن وكثرة التلون، وعلى كل واحدة منهما شخصان من حجارة، صورة ذكر وأنثى، وقد تلاقيا بوجهيهما، وبيد الذكر لوح من حجارة فيه كتابة، وبيد الأنثى مرآة، والرف ذهب نقشه نقاش، وبين الصخرتين برنية من حجارة على رأسها غطاء ذهب، فلما قلع فإذا فيها شبيه بالنار بغير رائحة قد يبس، وفيها حقة ذهب فنزع رأسها، فإذا فيها دم عبيط ساعة قرعه الهواء جمد، كما يجمد الدم وجف، وعلى القبور أغطية حجارة، فلما قلعت إذا رجل نائم على قفاه على نهاية الصحة والجفاف بين الخلقة ظاهر الشعور، وإلى جنبه امرأة على هيئته، قال: وذلك السطح منقر نحو قامة كما يدور مثل المسمار ذات آزاج من حجارة فيها صور وتماثيل مطروحة وقائمة، وغير ذلك من الآلة التي لا تعرف أشكالها.". <المواعظ والاعتبار ١/١٤٤>

١٤٧-"وقال العلامة موفق الدين عبد اللطيف بن أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد بن علي بن سعد البغدادي المعروف بابن المطحن في سيرته، وجاء رجل جاهل عجمي، فخيل إلى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أن الهرم الصغير تحته مطلب، فأخرج إليه الحجارين وأكثر العسكر وأخذوا في هدمه، وأقاموا على ذلك شهورا، ثم تركوه عن عجز وخسران مبين في المال والعقل، ومن يرى حجارة الهرم يقول: إنه قد استوصل الهرم، ومن يرى الهرم لا يجد به إلا تشعيثا يسيرا، وقد أشرفت على الحجارين فقلت لمقدمهم: هل تقدرون على إعادته. فقال: لو بذل لنا السلطان عن كل

حجر ألف دينار لم يمكنا ذلك.

وقال أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب: وأما الأهرام فطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها أنواع من الكتابات بأقلام الأمم السالفة، والممالك الدائرة لا يدرى ما تلك الكتابة ولا المراد بها، وقد قال من عني بتقدير ذرعها: أن مقدار ارتفاع الهرم الكبير ذهابا في الجو نحو أربعمائة ذراع أو أكثر، وكلما صعد دق ذلك، والعرض نحو ما وصفنا، وعليها من الرسوم علوم وخواص وسحر وأسرار الطبيعة، وإن من تلك الكتابة مكتوبا، إنا بنيناها فمن يدعي موازاتنا في الملك، وبلوغ القدرة وانتهاء أمر السلطان فليهدمها وليزع رسمها فإن الهدم أيسر من البناء والتفريق أسهل من التأليف.

وقد ذكر أن بعض ملوك الإسلام شرع يهدم بعضها فإذا خراج مصر لا يفي بقلعها، وهي من الحجر والرخام، وأنها قبور لملوك، وكان الملك منهم إذا مات، وضع في حوض من حجارة، ويسمى بمصر والشام: الجرون، وأطبق عليه، ثم بني من الهرم على مقدار ما يريحون من ارتفاع الأساس، ثم يحمل الحوض، ويوضع وسط الهرم، ثم يقنطر عليه البنيان، ثم يرفعون البناء على المقدار الذي يرونه، ويجعل باب الهرم تحت الهرم، ثم يحفر له طريق في الأرض، ويعقد أزج طوله تحت الأرض مائة ذراع أو أكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب مدخله على ما وصفت، قال: وكان القوم يبنون الهرم من هذه الأهرام مدرجا ذا مراق كالدرج، فإذا فرغوا نحتوه من فوق إلى أسفل، فهذه كانت جبلتهم، وكانوا مع ذلك لهم قوة وصبر وطاعة.

وقال في كتاب البنية والأشراف: والهرمان اللذان في الجانب الغربي من فسطاط مصر هما من عجائب بنيان العالم، كل واحد منهما أربعمائة ذراع في سمك مثل ذلك، مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الأربع كل ركن من أركانهما يقابل ريحا منها فأعظمهما فيهما تأثيرا ريح الجنوب وهي: المريسي وأحد هذين الهرمين، قبر أعاديمون، والآخر قبر هرمس، وبينهما نحو ألف سنة وأعاديمون المتقدم، وكان سكان مصر وهم الأقباط يعتقدون نبوهما قبل ظهور النصرانية فيهم على ما يوجبه رأي الصابئين في النبوات لا على طريق الوحي، بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من أدناس هذا العالم، فاتحدت بهم مواد علوية، فأخبروا عن الكائنات قبل كونها، وعن سرائر العالم وغير ذلك، وفي العرب: من اليمانية من يرى أنهما قبر شداد بن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر، وهم العرب العارية من العماليق وغيرهم وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور أجساد طاهرة.

وذكر أبو زيد البلخي: أنه وجد مكتوبا على الأهرام بكتابتهم خط فعرب، فإذا هو: بني هذان الهرمان والنسر الوقع في السرطان، فحسبوا من ذلك الوقت إلى الهجرة النبوية، فإذا هو: ست وثلاثون ألف سنة شمسية مرتين، يكون اثنتين وسبعين ألف سنة شمسية.

وقال الهمداني في كتاب الإكليل: لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الغرق من القرى، قرية فيها بقية، سوى نهاوند وجدت كما هي اليوم لم تتغير، وأهرام الصعيد من أرض مصر.

وذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الألباب: أن الأهرام مربعة الجملة مثلثة الوجوه، وعددها ثمانية عشر هرما، في مقابلة مصر الفسطاط ثلاثة أهرام، أكبرها دورة ألفا ذراع في كل وجه خمسمائة ذراع، وعلوه خمسمائة ذراع، وكل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا في غلظ عشرة أذرع قد أحكم إلصاقه ونحته.". <المواعظ والاعتبار ١/١٤٥>

١٤٨-"ومنها عند مدينة فرعون يوسف، هرم أعظم، وأكبر دوره ثلاثة آلاف ذراع، وعلوه سبعمائة من حجارة، كل حجر خمسون ذراعا، وعند مدينة فرعون موسى أهرام أكبر وأعظم، وهرم آخر يعرف بهرم، مدون كأنه جبل، وهو خمس طبقات، وفتح المأمون الهرم الكبير الذي تجاه الفسطاط، قال: وقد دخلت في داخله، فرأيت قبة مربعة الأسفل مدورة الأعلى كبيرة في وسطها بئر عمقها، عشرة أذرع، وهي مربعة ينزل الإنسان فيها، فيجد في كل وجه من تربيع البئر بابا يفضي إلى دار كبيرة فيها موتى من بني آدم عليهم أكفان كثيرة أكثر من مائة ثوب على كل واحد، قد بليت بطول الزمان واسودت وأجسامهم مثلنا ليسوا طوالا، ولم يسقط من أجسامهم، ولا من شعورهم شيء، وليس فيهم شيخ، ولا من شعره أبيض، وأجسادهم قوية لا يقدر الإنسان أن يزيل عضوا من أعضائهم البتة، ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغثا لطول الزمان، وفي تلك البئر أربعة من الدور مملوءة بأجساد الموتى، وفيها خفاش كثير، وكانوا يدفنون أيضا جميع الحيوان في الرمال، ولقد وجدت ثيابا ملفوفة كثيرا مقدار جرمها، أكثر من ذراع، وقد احترقت تلك الثياب من القدم، فأزلت الثياب إلى أن ظهرت خرق صحاح قوية بيض من كتان أمثال العصائب فيها أعلام من الحرير الأحمر، وفي داخلها هدهد ميت لم يتناثر من ريشه، ولا من جسده شيء كأنه قد مات الآن.

وفي القبة التي في الهرم، باب يفضي إلى علو الهرم، وليس فيه درج عرضه نحو خمسة أشبار، يقال: إنه صعد فيها في زمان المأمون فأفضوا إلى قبة صغيرة فيها صورة آدمي من حجر أخضر كالدهنج، فأخرجت إلى المأمون، فإذا هي مطبقة، فلما فتحت وجد فيها جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له، وعند رأسه حجر ياقوت أحمر كبيضة الدجاجة يضيء كلهب النار فأخذه المأمون.

وقد رأيت الصنم الذي أخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار الملك بمصر في سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

وقال القاضي الجليل أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي: روي علي بن الحسن بن خلف بن قديد عن يحيي بن عثمان بن صالح عن محمد بن علي بن صخر التميمي قال: حدثني رجل من عجم مصر من قرية من قراها تدعى قفط، وكان عالما بأمور مصر وأحوالها وطالبا لكتبها القديمة ومعادنها، قال: وجدنا في كتبنا القديمة، قال: وأما الأهرام فإن قوما احتفروا قبرا في دير أبي هرميس، فوجدوا فيه ميتا في أكفانه، وعلى صدره قرطاس ملفوت في خرق فاستخرجوه من الخرق، فرأوا كتابا لا يعرفونه، وكان الكتاب بالقبطية الأولى، فطلبوا من يقرأه لهم، فلم يقدروا عليه، فقيل لهم: إن بدير القلمون من أرض الفيوم راهبا يقرأه، فخرجوا إليه، وقد ظنوا أنه في الضيعة، فقرأه لهم، وكان فيه: كتب هذا الكتاب في أول سنة من ملك ديقلطيانس الملك، وإنا استنسخناه من كتاب نسخ: في أول سنة من ملك فيلبش الملك، وإن فيلبش استنسخه من صحيفة من ذهب فرق كتابتها حرفا حرفا، وكان من الكتاب الأول، ترجمه له أخوان من القبط يقال لأحدهما: ايلو، والآخر: يرثا، وإن الملك فيلبس سألهما عن سبب معرفتهما بما جهله الناس من قراءته، فذكرا أنهما من ولد رجل من أهل مصر الأوائل لم ينج من الطوفان من أهل مصر أحد غيره، وكان سبب نجاته أنه أتى نوحا عليه السلام فآمن به، ولم يأته منأهل مصر غيره، فحمله معه في السفينة، فلما نضب ماء الطوفان أتى مصر، ومعه نفر من ولد حام بن نوح، وكان بها حتى هلك، فورث ولده علم كتاب أهل مصر الأول، فورثناه عنه كابرا عن كابر.

وكان تاريخه الذي مضى إلى أن استنسخه فيلبش، ألفا وثلثمائة واثنتين وسبعين سنة، وإن الذي استنسخه في صحيفة من

ذهب فرق كتابتها حرفا حرفا على ما وجده فيلبش، وإن تاريخه إلى أن استنسخه ألف وسبعمائة سنة وخمس وثمانون سنة.".
<المواعظ والاعتبار ١/١٤٦>

١٤٩-"وكان الكتاب المنسوخ: إنا نظرنا فيما تدل عليه النجوم، فرأينا أن آفة نازلة من السماء وخارجة من الأرض، فلما بان لنا الكون نظرنا ما هو فوجدناه ماء مفسدا للأرض وحيوانها ونباتها، فلما تم اليقين من ذلك عندنا قلنا لملكنا سوريد بن سهلوق: مر ببناء أفروشات وقبر لك وقبر لأهل بيتك، فبنى لهم الهرم الشرقي، وبنى لأخيه هو حيت الهرم الغربي، وبنى لابن هو حيت الهرم الملون، وبنيت أفروشات في أسفل مصر، وأعلاها فكتبنا في حيطانها علم غامض أمر النجوم وعللها والصنعة والهندسة والطلب، وغير ذلك مما ينفع ويضر ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا وكتابتنا، وإن هذه الآفة نازلة بأقطار العالم، وذلك عند نزول قلب الأسد في أول دقيقة من رأس السرطان، ويكون الكوكب عند نزوله إياها في هذه المواضع من الفلك الشمس والقمر في أول دقيقة من رأس الحمل، وقوريس في درجة وثمان وعشرين دقيقة من الحمل، وراويس في الحوت في تسع وعشرين درجة وثمان وعشرين دقيقة، واويس في الحوت في تسع وعشرين درجة وثلاث دقائق، وأفرد وبطر في الحوت في ثمان وعشرين درجة ودقائق، وهرمس في الحوت في سبع وعشرين ودقائق، والجوزهر في الميزان وأوج القمر في الأسد في خمس درجات ودقائق.
ثم نظرنا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر بالعالم. فأصبنا الكواكب تدل على أن آفة نازلة من السماء إلى الأرض وإنها ضد الآفة الأولى وهي نار محرقة أقطار العالم، ثم نظرنا متى يكون هذا الكون المضر. فرأيناه يكون، عند حلول قلب الأسد في آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشر من الأسد، ويكون إبليس معه في دقيقة واحدة متصلة بقوريس من تثليث الرامي، ويكون راويس مشتري في أول الأسد في آخر احتراقه، ومعه آويس في دقيقة، ويكون سليس في الدلو مقابلا لإيليس الشمس، ومعه الذنب في اثنتين وعشرين، ويكون كسوف شديد له مكث يوازي القمر، ويكون هرمس عطارد في بعده الأبعد أمامها مقبلين، أما إفرد وبطن فللاستقامة، وأما هرمس فللرجعة.
قال الملك: فهل عندكم من خبر توقفونا عليه غير هاتين الآفتين. قالوا: إذا قطع قلب الأسد ثلثي سدس أدواره لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف، فإذا استتم أدواره تحللت عقد الفلك، وسقط على الأرض، قال لهم: وأي يوم فيه انحلال الفلك؟ قالوا: اليوم الثاني من بدو حركة الفلك، فهذا ما كان في القرطاس.
فلما مات الملك سوريد بن سهلوق دفن في الهرم الشرقي، ودفن هوحيت في الهرم الغربي، ودفن كرورس في الهرم الذي أسفله من حجارة أسوان وأعلاه كدان. ولهذه الأهرام أبواب في أزج تحت الأرض طول كل أزج مائة وخمسون ذراعا. فأما باب الهرم الشرقي فمن الناحية البحرية، وأما باب أزج الهرم الموزر فمن الناحية القبلية. وفي الأهرام من الذهب وحجارة الزمرد ما لا يحتمله الوصف.
وإن مترجم هذا الكتاب من القبطي إلى العربي أجمل التاريخين إلى أول يوم من توت، وهو يوم الأحد طلوع شمسه سنة خمس وعشرين ومائتين من سني العرب، فبلغت أربعة آلاف وثلثمائة وإحدى وعشرين سنة لسني الشمس، ثم نظر كم مضى للطوفان إلى يومه هذا فوجده ألفا وسبعمائة وإحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوما وثلاث عشرة ساعة وأربعة أخماس

ساعة وتسعة وخمسين جزءا من أربعمائة جزء من ساعة، فألقاها من الجملة فبقي معه ثلثمائة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة أيام وعشر ساعات وأحد وعشرون جزءا من أربعمائة جزء من ساعة، فعلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والأيام والساعات والكسر من الساعة.

وأما الهرم الذي بدير أبي هرميس، فإنه قبر قرياس، وكان فارس أهل مصر، وكان يعد بألف فارس، فإذا لقيهم لم يقوموا به وانهزموا، وإنه مات فجزع الملك عليه جزعا بلغ منه، واكتأبت لموته الرعية، فدفنوه بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجا، وكان طينه الذي بني به مع الحجارة من الفيوم، وهذا معروف إذا نظر إلى طينه لم يعرف له معدن إلا بالفيوم وليس بمنف ووسيم له شبه من الطين.". <المواعظ والاعتبار ١٤٧/١>

١٥٠-"وأما قبر الملك صاحب قرياس هذا، فإنه الهرم الكبير من الأهرام التي في بحري دير أبي هرميس، وعلى بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد طول اللوح: ذراعان في ذراع وكله مملوء كتبا مثل كتب البرابي يصعد إلى باب الهرم بحرج بعضها صحيح لم ينخرم، وفي هذا الهرم ذخائر صاحبه من الذهب وحجارة الزمرد، وإنما سد بابه حجارة سقطت من أعاليه ومن وقف عليه رآه بيتا.

وقال ابن عفير عن أشياخه: أن جياد بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، ملك الإسكندرية، وكانت تسمى إرم ذات العماد، فطال ملكه، وبلغ ثلثمائة سنة.

وهو الذي سار وبنى الأهرام وزبر فيها: أنا جياد بن مياد بن شمر بن شداد الشاد بزراعة الواد المؤيد الأوتاد الجامع الصخر في البلاد المجند الأجناد الناصب العماد الكند الكناد تخرجه أمة اسم نبيها حماد آية ذلك إذا غشي بلد البلاد سبعة ملوك أجناس السواد تاريخ هذا الزبر ألف سنة وأربعمائة سنة عداد.

وقال ابن عفير وابن عبد الحكم: وفي زمان شداد بن عاد بنيت الأهرام فيما ذكر بعض المحدثين، ولم نجد عند أحد من أهل العلم من أهل مصر معرفة في الأهرام ولا خبر ثبت. وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم: ما أحسب الأهرام بنيت إلا قبل الطوفان، لأنها لو بنيت بعده لكان علمها عند الناس.

وقال عبد الله بن شبرمة الجرهمي: لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها جرهم من مكة بنت الأهرام واتخذت لها المصانع، وبنت فيها العجائب، ولم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن ذعر الخزاعي. وقال محمد بن عبد الحكم: كان من وراء الأهرام إلى المغرب أربعمائة مدينة سوى القرى من مصر إلى المغرب في غربي الأهرام.

وقال ابن عفير: ولم يزل مشايخنا من أهل مصر يقولون: الأهرام بناها شداد بن عاد وهو الذي بنى المغار، وجند الأجناد، فالمغار والأجناد هي: الدفائن، وكانوا يقولون بالرجعة، وإذا مات أحدهم دفن معه ماله كائنا ما كان، وإن كان صانعا دفن معه آلة صنعته، وكانت الصابئة تحج إلى الأهرام.

وقال أبو الريحان البيروتي في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية: والفرس والمجوس تنكر الطوفان، وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا: كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طمهورث ولكنه لم يعم العمران كله، ولم يتجاوز عقبة حلوان، ولم يبل ممالك الشرق، وأن أهل المغرب لما أنذر به حكماؤهم بنوا أبنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة، وإن آثار دماء الطوفان

وتأثيرات الأمواج كانت بينة على أنصاف الهرمين لم تتجا وزهما، انتهى.

ويقال: إن الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى: نهاوند، وجدت كما هي، وأهرام مصر وبرابيها وهي التي بناها هرميس الأول الذي تسميه العرب: إدريس، وكان قد ألهمه الله علم النجوم، فدلته على أنه سينزل بالأرض آفة وأنه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيها إلى علم، فبنى هو وأهل عصره الأهرام والبرابي وكتب علمه فيها.

وقال أبو الصلت الأندلسي في رسالته: وقد ذكر أخلاق أهل مصر، إلا أنه يظهر من أمرهم أنه كان فيهم طائفة من ذوي المعارف والعلوم، وخصوصا علم الهندسة والنجوم، ويدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة كالأهرام والبرابي، فإنها من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة، واستعجزت الأفكار الراجحة، وتركت لها شغلا بالتعجب منها والتفكر فيها، وفي مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري من قصيدته التي يرثي بها أباه:

تضل العقول الهبرزيات رشدها ... ولا يسلم الرأي القويم من الأفن

وقد كان أرباب الفصاحة كلما ... رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن". <المواعظ والاعتبار ١/١٤٨>

١٥١-"وأي شيء أعجب، وأغرب بعد مقدورات الله عز وجل، ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من أعظم الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل، ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع وتسعة عشر ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع طول كل ضلع منها: أربعمائة ذراع وستون، وهو مع العظم من أحكام الصنعة وإتقان الهندام، وحسن التقدير بحيث لم يتأثر إلى هلم جرا بعصف الرياح وهطل السحاب، وزعزعة الزلازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي على ما شاهدناه منهما. وقد ذكرت عجائب مصر وإن ما على وجه الأرض بنية إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار إلا الهرمان فأنا أرثي لليل والنهار منهما، وهذان الهرمان لهما إشراف على أرض مصر وإطلال على بطائحها، وإصعاد في جوفها وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبي بقوله شعر:

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن سكانها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع

واتفق يوما إنا خرجنا إليهما فلما طفنا بهما واستدرنا حولهما، كثر التعجب منهما فقال بعضنا:

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا ... على طول ما أبصرت من هرمي مصر

أنافا عنانا للسماء وأشرفا ... على الجو إشراف السماك أو النسر

وقد وافينا نشزا من الأرض عاليا ... كأنهما نهدان قاما على صدر

وزعم قوم: إن الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور.

ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر بنقبها، فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل، فوجدوا داخله مهاوي ومراقي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها، ووجدوا في أعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه، نحو من ثمانية أذرع، وفي وسطه حوض رخام مطبق، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية،

فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه، ويقال: إن النفقة على نقبة كانت عظيمة والمؤونة شديدة.

ومن الناس من زعم: أن هرمس الأول المدعو بالمثلث، بالنبوة والملك والحكمة، وهو الذي تسميه العبرانيون: خنوخ بن يزد بن مهلايل بن قينان بن آنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، وهو إدريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعم الأرض، فأكثر من بنيان الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يشفق عليه من الذهاب والمروس حفظا لها واحتياطا عليها.

ويقال: إن الذي بناها ملك اسمه: سوريد بن سهلوق بن سرياق، وقال آخرون: إن الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد، لرؤيا رآها، والقبط تنكر دخول العمالقة بلد مصر، وتحقق أن بانيها سوريد لرؤيا رآها، وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان، وقالوا: إنه بناهما في مدة ستة أشهر، وغشاهما بالديباج الملون، وكتب عليهما: قد بنيناهما في ستة أشهر قل لمن يأتي من بعدنا يهدمهما في ستمائة سنة، فالهدم أيسر من البنيان، وكسوناهما الديباج الملون، فليكسهما حصرا، فالحصر أهون من الديباج، ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين، مخطوطة من أعلاها إلى أسفلها بسطور متضايقة متوازية من كتابة بانيها، لا تعرف اليوم أحرفها ولا تفهم معانيها، وبالجملة الأمر فيها عجيب، حتى أن غاية الوصف لها والإغراق في العبارة عنها، وعن حقيقة الموصوف منها بخلاف ما قاله علي بن العباس الرومي، وإن تباعد الموصوفان وتباين المقصودان إذ يقول:

إذا ما وصفت امرأ لامرئ ... فلا تغل في وصفه واقصد

فإنك إن تغل تبد الظنو ... ن فيه إلى الغرض الأبعد

فيصغر من حيث عظمته ... لفضل المغيب على المشهد

ويقال: إن المأمون أمر من صعد الهرم الكبير أن يدلي حبلا فكان طوله ألف ذراع بالذراع الملكي، وهو ذراع وخمسان، وتربيعه أربعمائة ذراع في مثلها، وكان صعوده في ثلاث ساعات من النهار، وأنه وجد مقدار رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال.". <المواعظ والاعتبار ١/١٤٩>

١٥٤-"وكان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استقل بالملك بعد أبيه، سول له جهلة أصحابه أن يهدم هذه الأهرام فبدأ بالصغير الأحمر، فأخرج إليه النقابين والحجارين وجماعة من أمراء دولته وعظماء مملكته وأمرهم بهدمه، فخيموا عنده وحشروا الرجال والصناع، ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد الجهد، واستفراغ بذل الوسع الحجر والحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالأسافين وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والأشطان، فإذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف الجبال، وتزلزل الأرض ويغوص في الرمل فيتعبون تعبا آخر حتى يخرجوه، ويضربون فيه بالأسافين بعدما ينقبون لها موضعا، ويثبتونها فيه فيتقطع قطعا وتسحب كل قطعة على العجل حتى يلقي في ذيل الجبل، وهي مسافة قريبة، فلما طال ثواءهم، ونفدت نفقاتهم، وتضاعف نصبهم،

ووهت عزائمهم كفوا محسورين لم ينالوا بغية بل شوهوا الهرم، وأبانوا عن عجز وفشل، وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، ومع ذلك فإن الرائي لحجارة الهرم يظن أنه قد استؤصل فإذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء وإنما سقط بعض جانب منه، وحين ما شوهدت المشقة التي يجدونها في هدم كل حجر، سئل مقدم الحجارين فقيل له: لو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن تردوا حجرا واحدا إلى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم. فأقسم بالله إنهم ليعجزون عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك.

وبإزاء الأهرام مغاير كثيرة العدد. كبيرة المقدار عميقة الأغوار لعل الفارس يدخلها برمحه ويتخللها يوما أجمع ولا ينهيها لكبرها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها أنها مقاطع حجارة الأهرام.

وأما مقاطع حجارة الهرم الأحمر فيقال: إنها بالقلزم وبأسوان، وعند هذه الأهرام آثار أبنية جبابرة ومغاير كثيرة منقبة، وقلما ترى من ذلك شيئا إلا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول، ولله در الفقيه عمارة اليمني حيث يقول:

خليلي ما تحت السماء بنية ... تماثل في إتقانها هرمي مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما ... على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

تنزه طرفي في بديع بنائها ... ولم يتنزه في المراد بها فكري

أخذ هذا من قول بعض الحكماء، كل شيء يخشى عليه من الدهر إلا الأهرام فإنه يخشى على الدهر منها، وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب، ومات في سنة سبع وثمانين وثلثمائة:

انظر إلى الهرمين إذ برزا ... للعين في علو وفي صعد

وكأنما الأرض العريضة قد ... ظمئت لطول حرارة الكبد

حسرت عن الثديين بارزة ... تدعو الإله لفرقة الولد

فأجابها بالنيل يشبعها ... ريا وينقذها من الكمد

لكرامة المولى المقيم بها ... خير الأنام مقوم الأود

وقال سيف الدين بن جبارة:

لله أي عجيبة وغريبة ... في صنعة الأهرام للألباب

أخفت عن الأسماع قصة أهلها ... ونضت عن الأبداع كل نقاب

فكأنما هي كالخيام مقامة ... من غير ما عمد ولا أطناب

وقال آخر:

انظر إلى الهرمين واسمع منهما ... ما يرويان عن الزمان الغابر

وانظر إلى سر الليالي فيهما ... نظرا بعين القلب لا بالناظر

لو ينطقان لخبرانا بالذي ... فعل الزمان بأول وبآخر

وإذا هما بديا لعيني ناظر ... وصفا له أذني جواد عائر

وقال الإمام أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي:

ألست ترى الأهرام دام بناؤها ... ويفني لدينا العالم الإنس والجن

كأن رحى الأفلاك أكوارها على ... قواعدها الأهرام والعالم الطحن

وقال:

قد كان للماضين من ... سكان مصرهم

فالفضل عنهم فضلة ... والعلم فيهم علم

ثم انقضت أعلامهم ... وعلمهم واحتطموا

وانظر تراها ظاهرا ... باد عليها الهرم

وقال:

خليلي لا باقر على الحدثان ... من الأول الباقي فيحدث ثاني". <المواعظ والاعتبار ١/١٥٢>

١٥٥-"إلى هرمي مصر تناهت قوى الورى ... وقد هرمت في دهرها الهرمان

فلا تعجبا أن قد هرمت فإنما ... رماني بفقدان الشباب زماني

وعوجا بقرطاجنة فانظرا بها ... جنايتي العادين تنتحبان

وإيوان كسرى فانظراه فإنه ... يخبر كما بالصدق كل أوان

فلا تحسبا أن الفناء يخصني ... ألا كل ما فوق البسيطة فاني

ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني أنشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الأهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد:

أمباني الأهرام كم من واعظ ... صدع القلوب ولم يفه بلسانه

اذكرني قولا تقادم عهده ... أين الذي الهرمان من بنيانه

هن الجبال الشامخات تكاد أن ... تمتد فوق الأرض عن كيوانه

لو أن كسرى جالس في سفحها ... لأجل مجلسه على إيوانه

ثبتت على حر الزمان وبرده ... مددا ولم تأسف على حدثانه

والشمس في إحراقها والريح عن ... د هبوبها والسيل في جريانه

هل عابد قد خصها بعبادة ... فمباني الأهرام من أوثانه

أو قائل يقضي برجعي نفسه ... من بعد فرقته إلى جثمانه

فاختارها لكنوزه ولجسمه ... قبرا ليأمن من أذى طوفانه

أو أنها للسائرات مراصد ... يختار راصدها أعز مكانه

أو أنها وصفت شؤون كواكب ... أحكام فرس الدهر أو يونانه

أو أنهم نقشوا على حيطانها ... علما يحار الفكر في تبيانه

في قلب رائيها ليعلم نقشها ... فكر يعض عليه طرف بنانه

ذكر الصنم الذي يقال له أبو الهول

هذا الصنم بين الهرمين عرف أولا ببلهيب، وتقول أهل مصر اليوم أبو الهول. قال القضاعي: صنم الهرمين وهو بلهويه، صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط تسميه العامة بأبي الهول ويقال: بلهيب، ويقال: إنه طلسم للرمل، لئلا يغلب على إبليز الجيزة.

وقال في كتاب عجائب البنيان: وعند الأهرام رأس وعنق بارزة من الأرض في غاية العظم تسميه الناس: أبا الهول، ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض، ويقتضي القياس بالنسبة إلى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا، وفي وجهه حمرة ودهان يلمع عليه رونق الطراوة، وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما. وسئل بعض الفضلاء، عن عجيب ما رأى فقال: تناسب وجه أبي الهول، فإن أعضاء وجهه كالأنف والعين والأذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة، فإن أنف الطفل مثلا مناسب له، وهو حسن به حتى لو كان ذلك الأنف لرجل كان مشوها، وكذلك أنف الرجل لو كان لصبي لتشوهت صورته، وعلى هذا سائر الأعضاء فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس إلى الصورة وعلى نسبتها، والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ التناسب للأعضاء مع عظمها، وإنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه.

ويقابله في بر مصر قريبا من دار الملك: صنم عظيم الخلقة والهيئة متناسب الأعضاء كما وصف، وفي حجره مولود وعلى رأسه مأجور، الجميع صوان ماتع يزعم الناس أنه امرأة وأنها سرية أبي الهول المذكور، وهي بدرب منسوب إليها ويقال: لو وضع على رأس أبي الهول خيط ومد إلى سريته لكان على رأسها مستقيما.

ويقال: إن أبا الهول، طلسم الرمل يمنعه عن النيل، وإن السرية طلسم الماء يمنعه عن مصر.". <المواعظ والاعتبار ١/١٥٣>

١٥٦-"وقال ابن المتوج: زقاق الصنم، هو الزقاق الشارع، أوله بأول السوق الكبير بجوار درب عمار، ويعرف الصنم بسرية فرعون، وذكر أنه طلسم النيل لئلا يغلب على البلد. وقيل: إن بلهيب الذي عند الأهرام يقابله، وإن ظهر بلهيب إلى الرمل، وظهر هذا إلى النيل، وكل منهما مستقبل الشرق، وقد نزل في سنة إحدى عشرة وسبعمائة، أمير يعرف ببلاط في نفر من الحجارين والقطاعين وكسروا الصنم المعروف بالسرية، وقطعوه أعتابا وقواعد ظنا أن يكون تحته مال، فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة، فحفر تحتها إلى الماء فلم يوجد شيء، وجعل من حجرة قواعد تحتانية للعمد الصوان التي بالجامع المستجد بظاهر مصر المعروف: بالجامع الجديد الناصري، وأزيل عين هذا الصنم من مكانه، والله أعلم.

وفي زمننا، كان شخص يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، قام في نحو من سنة ثمانين وسبعمائة لتغيير أشياء من المنكرات، وسار إلى الأهرام وشوه وجه أبي الهول وشعثه، فهو على ذلك إلى اليوم، ومن حينئذ غلب الرمل على أراض كثيرة من الجيزة، وأهل تلك النواحي يرون أن سبب غلبة الرمل على الأراضي فساد وجه أبي الهول ولله عاقبة الأمور، وما أحسن قول ظافر الحداد:

تأمل هيئة الهرمين واعجب ... وبينهما أبو الهول العجيب

كعمار يبتن على رحيل ... بمحبوبين بينهما رقيب
وماء النيل تحتهما دموع ... وصوت الريح عندهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب ... تخلف فهو محزون كئيب
ويقال: إن أتريب بن قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح أوصى أخاه صا، عند موته، أن يحمله في سفينة ويدفنه بجزيرة في وسط البحر، فلما مات، فعل ذلك من غير أن يعلم به أهل مصر فاتهمه الناس بقتل أتريب، وحاربوه تسع سنين، فلما مضى من حربهم خمس سنين مضى بهم حتى أوقفهم على قبر أتريب، فحفروه فلم يجدوا به شيئا، وقد نقلته الشياطين إلى موضع أبي الهول، ودفنته هناك بجانب قبر أبيه وجده بيصر، فازدادوا له تهمة وعادوا إلى مدينة منف وتحاربوا فأتاهم إبليس، فدلهم على قبر أتريب حيث نقله، فأخرجوه من قبره، ووضعوه على سرير، فتكلم لهم الشيطان على لسانه حتى افتتنوا به وسجدوا له وعبدوه، فيما عبدوا من الأصنام، وقتلوا صا، ودفنوه على شاطئ النيل فكان النيل إذا زاد لا يعلو قبره، فافتتن به طائفة، وقال: قتل ظلما وصاروا يسجدون لقبره كما يسجد أولئك لأتريب، فعمد آخرون إلى حجر فنحتوه على صورة أشموم، وكان يقال له: أبو الهول، ونصبوه بين الهرمين، وجعلوا يسجدون له، فصار أهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابئة تعظم أبا الهول وتقرب إليه الديكة البيض وتبخره بالصندروس.
ذكر الجبال
اعلم أن أرض مصر بأسرها محصورة بين جبلين آخذين من الجنوب إلى الشمال قليلي الارتفاع، وأحدهما أعظم من الآخر، والأعظم منهما هو الجبل الشرقي المعروف بجبل لوقا، والغربي جبل صغير، وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق في بعض المواضع وتتسع في بعضها، وأوسع ما يكون بأسفل أرض مصر، وهذان الجبلان أقرعان لا يثبت فيهما نبات، كما يكون في جبال البلدان الأخر، وعلة ذلك: أنهما بورقيان مالحان لأن قوة طين مصر تجذب منهما الرطوبات الموافقة في التكوين، ولأن قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب، وكذلك مياه الآبار منهما مالحة، وهذان الجبلان يجففان ما يدفن فيهما، فإن أرض مصر بالطبع قليلة الأمطار. وجبل لوقا في مشرق أرض مصر يعوق عنها ريح الصبا، فعدمت مصر هذا الريح، ويعوق أيضا إشراق الشمس على أرض مصر إذا كانت على الأفق وتتعدد أسماء هذين الجبلين بحسب مواضعهما من الإقليم، فيطل على الفسطاط، وعلى القاهرة الجبل المقطم.
ذكر الجبل المقطم". <المواعظ والاعتبار ١/١٥٤>

١٥٧-"فلما صار برسم الرصد كمل، فحضر الأفضل، في نقل الحلقة من جامع الفيلة إلى المسجد الجيوشي، وقد أحضرت الصواري الطوال العظام، والسرياقات والمنحاتات من الإسكندرية وغيرها، وجمعت الأسطولية ورجال السودان، وبعض أصحاب الركاب والجند حتى أدلوه وحملوه على العجل إلى مسجد الرصد الجيوشي، وثاني يوم حضروا بأجمعهم حتى رفعوه إلى السطح وكملوه، وأقاموا الحلقة وجعلوا تحت أكتافها عمودين من رخام سبكوهما بالرصاص من أسفلهما وأعلاهما، حتى لا يرتخي ثقل النحاس، وجعل في الوسط عمود رخام وبأعلاه قطب العضادة مسبوك بالنحاس الكثير لتدور عليه العضادة، وعملت من نحاس، فما تمارست، ولا دارت فعملوها من خشب ساج وقطبها وأطرافها من نحاس صفائح ليخف

الدوران، ثم رصدوا بها الشمس بعد كلفة، وكانت الحلقة ترخي الدرجة والدقائق كل وقت للثقل.

فعمل عمود من نحاس فوق عمود الرخام ليمسك رخوها، وغلبوا بعد ذلك فكانت تختلف لشدة ما كانوا يحرروها بالشواقيل وعضادة الخشب، وتردد إليها الأفضل مع كبر سنه، وهو يرتعش، والقائد يحمله إلى فوق، ويقعد زمانا من التعب لا يتكلم ويده ترتعش، فرصدوا قدامه، وفي خلال ذلك قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة، وقيل للأفضل عن ابن قرقة: إنه أسرف في كبر الحلقة، وعظم مقدارها، فقال له الأفضل: لو اختصرت منها كان أهون، فقال: وحق نعمتك لو أمكنني أن أعمل حلقة تكون رجلها الواحدة على الأهرام، والأخرى على التنور فعلت، فكلما كبرت الآلة صح التحرير، وأين هذا في العالم العلوي، ثم أكثروا عليه، فعمل حلقة دونها في الموضع المهندم بالطوب الأحمر تحت المسجد الجيوشي، كان قطرها أقل من سبعة أذرع ودورها نحو أحد وعشرين ذراعا.

فلما كملت، قتل الأفضل، ولم ينفق من مال السلطان في الأجرة والمؤن، وما لا بد منه سوى نحو مائة وستين دينارا، فلما تمت الوزارة للمأمون البطالحي، أحب أن يكملها، ويقال له: الرصد المأموني المصحح، كما قيل للأول: الرصد المأموني الممتحن، فأخرج الأمر بنقل الرصد إلى باب النصر بالقاهرة، فنقل على الطريقة الأولى بالعتالين والأسطولية وطوائف الرجال، وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغداء جملة دراهم، فلما صار فوق العجل مضوا به على الخندق من وراء الفتح على المشاهد إلى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة، وتعبوا في دخوله من باب النصر تعبا عظيما لخوفهم أن يصدم فيتغير، فنصبوا الصواري على عقد باب النصر من داخل الباب، وتكاثر الرجال في جذب المياحين من أسفل، ومن فوق حتى وصل إلى السطح الكبير.

ثم نقلوه من السطح الكبير إلى السطح الفوقاني، وأوقفوا له العمد كما تقدم ذكره، ورصدوا بالحلقة الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجرف، فصح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط، ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة أذرع، وسبكت في فندق بالعطوفية من القاهرة، وكان الأمر فيها سهلا عندما لحقهم من العناء العظيم في الحلقة الكبيرة، والحلقة الوسطى، وتجرد المأمون لعملها، والحث فيها، وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين، ويحضر أبو جعفر بن جسنداي وأبو البركات بن أبي الليث صاحب الديوان وبيده الحل، والعقد فقال له المأمون: اطلع إليهم كل يوم وأي شيء طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة، وكان قصده ما أطمعوه فيه من أن يقال: الرصد المأموني المصحح، فلو أراد الله أن يبقي المأمون قليلا كان كمل جميع رصد الكواكب، لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة، وكان من جملة ما عدد من ذنوبه عمل الرصد المذكور، والاجتهاد فيه، وقيل: أطمعته نفسه في الخلافة بكونه سماه الرصد المأموني، ونسبه إلى نفسه، ولم ينسبه إلى الخليفة الآمر بأحكام الله.". <المواعظ والاعتبار ١/١٥٩>

١٥٨-"وملك بعده ابنه أفروس، وكان كأبيه في العلم والحكمة، ولما ملك أظهر العدل وأحسن السيرة ورد النساء اللاتي غصبن في أيام أبيه على أزواجهن، وعمل قبة طولها خمسون ذراعا في عرض مائة ذراع، وركب في جوانبها طيورا من صفر تصفر بأصوات مختلفة مطربة لا تفتر ساعة، وعمل في وسط مدينة أمسوس، منارا عليه رأس إنسان من صفر كلما مضى من النهار أو الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضي ساعة، وعمل منارا عليه قبة من صفر مذهب، ولطخها

بلطوخات، فإذا غربت الشمس في كل ليلة اشتعلت القبة نورا تضيء له مدينة أمسوس طول الليل، حتى يصير مثل النهار لا تطفئها الرياح ولا الأمطار فإذا طلع النهار خمد ضوءها وأهدى لبعض ملوك بابل مدهنا من زبرجد قطره خمسة أشبار.

ويقال: إنه وجد بعد الطوفان، وعمل في الجبل الشرقي صنما عظيما قائما على قاعدة وهو مصبوغ مصفر بالذهب ووجهه إلى الشمس يدور معها حتى تغرب، ثم يدور ليلا حتى يحاذي المشرق مع الفجر، فإذا أشرقت الشمس استقبلها بوجهه، وبنى بصحراء الغرب مدنا كثيرة، وأودعها كنوزا عظيمة، ونكح ثلثمائة امرأة ولم يولد له ولد، فإن الله تعالى، كان قد أعقم الأرحام لما يريد من إهلاك العالم بالطوفان، ووقع الموت في الناس والبهائم، ولما مات وضع في ناوس بالجبل الشرقي، ومعه أمواله وطلسم عليه.

وملك بعده أرمالينوس، فعمل أعمالا عجيبة وبنى مدنا ومصانع جدد الطلسمات، وكان له ابن عم يسمى: فرعان، وكان جبارا، فأبعده وجعله على جيش ساربه عنه، فقهر ملوكا وقتل أمما عظيمة، وغنم أموالا كثيرة، وعاد فشغفت به امرأة من نساء الملك، وما زالت به حتى اجتمع بها تآلفا، وأقاما على ذلك مدة، فخافا الملك أن يفطن بهما، فعملت المرأة لأرمالينوس سما في شرابه هلك منه.

وملك بعده ابن عمه فرعان بن مشور، فلم ينازعه أحد لشجاعته وسياسته، ولم تطل أعوامه حتى رأى قليمون الكاهن، كأن طيورا بيضاء قد نزلت من السماء، وهي تقول: من أراد النجاة فليلحق بصاحب السفينة، وكان عندهم علم بحدوث الطوفان من أيام سوريد وبنائه الأهرام، لأجل ذلك، واتخذ الناس سراديب تحت الأرض مصفحة بالزجاج قد حبست الرياح فيها بتدبير، وعمل منها فرعان لنفسه ولأهله عدة، فما كذب أن جمع أهله وولده وتلميذه ولحق بنوح عليه السلام، وآمن به وأقام معه حتى ركب في السفينة وجاء الطوفان في أيام فرعان، فأغرق أرض مصر كلها، وخرب عمائرها، وأزال تلك المعالم كلها، وأقام الماء عليها ستة أشهر، ووصل إلى أنصاف الهرمين العظيمين، وسيأتي خبر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكر محن مصر من هذا الكتاب.

ويقال: إن فرعان كان عاتيا متجبرا يغصب الأموال والنساء، وأنه كتب إلى الدرمثيل ابن لحويل ببابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام، وأنه استخف بالكهنة والهياكل، ففسدت في أيامه أرض مصر، ونقص الزرع وأجدبت النواحي لانهماكه في ضلاله وظلمه وإقباله على لهوه ولعبه، وإن الناس اقتدوا به ففشا ظلم بعضهم لبعض، وإنه لما أقبل الطوفان، وسحت الأمطار، قام سكران يريد الهرب إلى الهرم، فتخلخلت الأرض به، وطلب الأبواب فخانته رجلاه وسقط يخور، حتى هلك، وهلك من دخل الأسراب بالغم، والله تعالى أعلم.

ذكر مدينة منف وملوكها

هذه المدينة كانت في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلا من مدينة فسطاط مصر، وهي أول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان، وصارت دار المملكة بعد مدينة أمسوس التي تقدم ذكرها، إلى أن أخربها بخت نصر، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها " القصص١٥. قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب جامع البيان في تفسير القرآن، عن السدي: أنه قال: كان موسى عليه السلام حين كبر يركب، كمراكب فرعون، ويلبس مثل ما يلبس، وكان إنما يدعى: ابن فرعون، ثم إن فرعون ركب مركبا، وليس عنده موسى، فلما جاء موسى عليه

السلام قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في إثره فأدركه المقيل في أرض يقال لها: منف، فدخلها نصف النهار، وقد تغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد، وهي التي يقول الله جل ذكره: " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها " القصص ١٥،". <المواعظ والاعتبار ١/١٦٧>

١٦١-"وبعث بهرمس الحكيم، إلى جبل القمر الذي يخرج منه النيل، فعمل تماثيل النحاس، وعدل جانبي النيل، وكان قبله يفيض في مواضع وينقطع في مواضع وسار مغربا لينظر ما وراء ذلك، فوقع على أرض واسعة ينخرق فيها الماء والأشجار فبنى فيها منتزهات، وأقام بها وحول إليها عدة من أهله فعمروا تلك النواحي حتى صارت أرض الغرب كلها معمورة، ثم خالطتهم البربر، وجرت بينهم حروب كثيرة أفنتهم، فخربت تلك البلاد، ولم يبق منها إلا الواحات، ثم إن البودسير احتجب عن الناس، وصار يبرز وجهه من مقعده في النادر، وربما خاطبهم من حيث لا يرونه.

وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان: إن أول من تحقق بالكهانة وغير الدين وعبد الكواكب البودسير، وتزعم القبط أن الكواكب كانت تخاطبه، وأن له عجائب كثيرة منها: أنه استتر عن الناس عدة سنين من ملكه، وكان يظهر لهم وقتا بعد وقت مرة في كل سنة، وهو حلول الشمس في برج الحمل، ويدخل الناس إليه، فيخاطبهم، وهم يرونه فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة أمره، ثم بنيت له قبة من فضة مطلية بذهب، فصار يجلس في أعلاها، وله وجه عظيم فيخاطبهم.

فلما مات ملك بعده ابنه أرقليمون: وكان كاهنا ساحرا، فعمل أعمالا عظيمة منها: أنه كان يجلس في السحاب، فيرونه في صورة إنسان عظيم، وأقام مدة على ذلك، ثم إنه غاب عن أهل مصر، وصاروا بغير ملك، ثم رأوا صورة بحذاء جرم الشمس عند حلولها أول برج الحمل، فأمرهم أن يقلدوا الملك عديم بن قفطيم وأعلمهم أنه ما بقي يعود إليهم.

فولوا عليهم عديم بن قفطيم: وكان جبارا عظيما وهو أول من صلب بمصر، وذلك أن امرأة ورجلا زنيا، فصلبهما، وجعل ظهر كل منهما لظهر الآخر، وبنى أربع مدائن أودعها كنوزا عظيمة، وجعل عليها طلسمات، وعدة عجائب وعمل منارا على البحر الشرقي، وعليه صنم إلى الشرق حتى لا يغلب البحر على أرض مصر، وعمل قنطرة على النيل في أرض النوبة، وأقام ملكا مائة وأربعين سنة، ومات وعمره سبعمائة وثلاثون سنة.

وملك بعده ابنه شدات بن عديم: وهو الذي تسميه العامة: شداد بن عاد، وكان عالما كاهنا ساحرا ويقال: إنه هو الذي بنى الأهرام الدهشورية، وعمل أعمالا عظيمة وطلسمات عجيبة وبنى في الجانب الشرقي مدائن، وفي أيامه بنيت قوص وغزا الحبشة، وسباهم وأقام ملكا تسعين سنة، وهو أول من اتخذ الجوارح وصاد بها وولد الكلاب السلوقية، وعمل في بركة سيوط تماسيح منصوبة تنصب إليها التماسيح من النيل انصبابا، فيقتلها ويعلق جلودها في السفن، واتفق أنه طرد صيدا فكبابه فرسه في وهدة، فهلك.

وكان قد غضب على بعض خدمه فرماه من جبل عال، فتقطع، فرأى أنه يصيبه مثل ذلك، ولما هلك وضع في ناوس ودفنت معه أمواله وعمل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده، وكتب عليه: لا ينبغي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب، ولا يفعل

ما لا يجوز له فعله، فيجازي بعمله.

هذا ناوس بن شدات بن عديم، فعل ما لا يحل له فعله، فكوفئ عليه بمثله.

وملك بعده ابنه منقاوش: وكان حكيما فاضلا كاهنا، عمل أعمالا عجيبة، وبنى أشياء معجبة منها: أنه عمل هيكلا لصور الكواكب على ثمانية فراسخ من منف، وكنز من الأموال ما لا يحصى، وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح به على غيره، وسار في الجنوب يوما ثم سار مغربا يوما وبعض آخر، فانتهى في اليوم الثالث إلى جبل أسود، فعمل تحته أسرابا ومغاير، ودفن فيها أمواله وزبر عليها حتى أنه من كثرتها يقال: إنه دفن حمل اثني عشر ألف عجلة ذهبا وجواهر، وأقام أربع سنين يرسل في كل سنة عجلا كثيرة يدفنها، وبقيت آثار العجل ترى فيما بين منف والمغرب زمانا طويلا، وبنى هيكلا للقمر، ويقال: إنه هو الذي بنى مدينة منف لبناته، وكن ثلاثين بنتا، وأنه ألزم الناس بعمل الكيمياء، فكانوا لا يفترون عن عملها ليلا ولا نهارا، حتى اجتمع عنده مال عظيم وجوهر كثير، وهو الذي بنى مدينة عين شمس، وقسم خراج مصر أرباعا، جعل الربع للملك، والربع للجند، والربع ينفق في مصالح الأرض، والربع الرابع يدفن لحادثة تحدث، وهو الذي قسم أرض مصر على مائة وثلاثين كورة، وأقام ملكا إحدى وتسعين سنة ومات.". <المواعظ والاعتبار ١/١٧١>

١٦٤-"قال: وفي تلك الصحارى كانت منتزهات القوم، ومدنهم العجيبة، وكنوزهم إلا أن الرمال غلبت عليها، ولم يبق يملك ملك إلا وقد عمل للرمل طلسما لدفعه، ففسدت طلسماتها لقدم الزمان، قال: ولا ينبغي لأحد أن ينكر كثرة بنيانهم، ولا مدائنهم، ولا ما نصبوه من الأعلام العظام، فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم، وإن آثارهم لبينة مثل الأهرام والأعلام والإسكندرية، وما في صحارى الشرق والجبال المنحوتة التي جعلوا كنوزهم فيها، والأودية المنحوتة، ومثل ما بالصعيد من البرابي وما نقشوه عليها من حكمتهم، فلو تعاطى جميع ملوك الأرض أن يبنوا مثل الهرمين، ما تهيأ لهم، وكذلك أن ينقشوا بربا لطال بهم الأمد ولم يمكنهم.

وحكي عن قوم من البنائين في ضياع الغرب، أن عاملا عندهم عنف بهم، ففروا في صحراء الغرب، ومعهم زاد إلى أن تنصلح أحوالهم، ويرجعوا، فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض آخر قدموا إلى سفح جبل، فوجدوا عيرا أهليا قد خرج من بعض الشعاب، فتبعه بعضهم، فانتهى إلى مساكن وأشجار، ونخل ومياه تطرد وقوم هناك يرعون، ولهم مساكن، وكلمهم وأعجب بهم، فجاء إلى أصحابه، وقدم بهم على أولئك القوم، فسألوهم عن حالهم فأخبروهم، وأقاموا عندهم حتى صلحت أحوالهم وخرجوا ليأتوا بأهاليهم ومواشيهم، ويقيموا عندهم، فساروا مدة، وهم لا يعرفون الطريق، ولا يتأتى لهم العود فأسفوا على ما فاتهم.

وضل آخرون عن الطريق في الغرب فوقعوا على مدينة عامرة كثيرة الناس، والمواشي والنخل والشجر، فأضافوهم وأطعموهم وسقوهم وباتوا في طاحونة، فسكروا من الشراب، وناموا فلم ينتبهوا إلا من حر الشمس، فإذا هم في مدينة خراب ليس فيها أحد، فخافوا، وخرجوا، وظلوا يومهم سائرين إلى المساء، فظهرت لهم مدينة أكبر من الأولى، وأعمر وأكثر أهلا، وشجرا

ومواشي، فأنسوا بهم، وأخبروهم بخبر المدينة الأولى، فجعلوا يعجبون منهم، ويضحكون وانطلقوا بهم إلى وليمة لبعض أهل المدينة، فأكلوا وشربوا وعنوا بهم، حتى سكروا، فلما كان من الغد انتبهوا فإذا هم في مدينة عظيمة ليس فيها أحد وحولها نخل قد تساقط ثمره، وتكدس، فخرجوا وهم يجدون ريح الشراب، ومبادي الخمار، فساروا يوما إلى المساء وإذا راع يرعى غنما، فسألوه عن الطريق. فدلهم، فساروا بعض يوم من الغد، فوصلوا مدينة الأشمونين بالصعيد.

قال: وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلب عليها الجان، ومنها ما سترته عن العيون، فلا ينظر إليها أحد، وقال: إن البودسير بن قفطريم بن قبطيم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام في أيامه بنيت بصحراء الغرب منابر ومنتزهات، وحول إليها جماعة من أهل بيته، فعمروا تلك النواحي، وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عامرة كلها، وأقامت على ذلك مدة كثيرة، فخالطهم البربر، ونكحوا منهم، ثم تحاسدوا، فكانت بينهم حروب خربت فيها تلك الجهات، وبادت إلا بقية منازل تسمى: الواحات.

ذكر مدينة سنترية

ومدينة سنترية: من جملة الواحات بناها: مناقيوش باني مدينة إخميم، كان أحد ملوك القبط القدماء، قال ابن وصيف شاه: وكان في حزم أبيه، وحنكته تعظم في أعين أهل مصر، وهو أول من عمل الميدان وأمر أصحابه برياضة أنفسهم فيه.

وأول من عمل المارستان لعلاج المرضى، والزمنى، وأودعه العقاقير، ورتب فيه الأطباء، وأجرى عليهم ما يسعهم، وأقام الأمناء على ذلك، وصنع لنفسه عيدا، فكان الناس يجتمعون إليه فيه، وسماه عيد الملك في يوم من السنة، فيأكلون، ويشربون سبعة أيام، وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد، قد طوقت بالذهب، وألبست فاخر الثياب المنسوجة بالذهب، وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والزجاج والذهب، وفي أيامه بنيت: سنترية في صحراء الواحات، عملها من حجر أبيض مربعة، وفي كل حائط باب في وسطه شارع إلى حائط محاذ له، وجعل في كل شارع يمنة ويسرة أبوابا تنتهي طرقاتها إلى داخل المدينة.". <المواعظ والاعتبار ١/٢٩٥>

١٦٥-"قيل: سميت باسم قوص بن قفط بن أخميم بن سيفاف بن أشمن بن مصر، قال ابن وصيف شاه: سدان بن عديم، هو الذي بنى الأهرام الدهشورية من الحجارة التي قطعت في زمان أبيه، وعمل مصاحف النيرنجات، وهيكل أرمنت، وعمل في المدائن الداخلة من أنصنا هيكلا، وأقام فيه في أتريب، وهيكلا في شرقي الإسكندرية، وبنى في الجانب الشرقي مدائن، وفي أيامه بنيت قوص العالية، وأسكن فيها قوما من أهل الحكمة، وأهل الصناعات، وكان الحبش والسودان، قد عاثوا في بلده، فأخرج لهم، ابنه منقاوش في جيش عظيم، فقتل منهم، وسبى، واستعبد الذين سباهم، وصار ذلك سبة لهم، واقتطع معدن الذهب من أرضهم، وأقام ذلك السبي يعملون فيه، ويحملون الذهب إليه، وهو أول من أحب الصيد، واتخذ الجوارح، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية، وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة.

وقال الأدفوي في تاريخ الصعيد: وقوص بجانب قفط، حكى بعض المؤرخين: أنها شرعت في العمارة، وشرعت قفط في الخراب من سنة أربعمائة.

قيل: إنه حضر مرة قاضي قوص، فخرج من أسوان أربعمائة راكب بغلة إلى لقائه.

وفي شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة، أحضر إلى الملك الظاهر بيبرس فلوس، وجدت مدفونة بقوص، فأخذ منها فلس، فإذا على أحد وجهيه، صورة ملك واقف، وفي يده اليمنى ميزان، وفي اليسرى سيف، وعلى الوجه الآخر رأس فيه أذن كبيرة، وعين مفتوحة، وبدائر الفلس، كتابة، فقرأها راهب يوناني، فكان تاريخه، إلى وقت قراءته، ألفين وثلثمائة سنة، وفيه أنا غلياث الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن أطاع، والسيف في يساري لمن عصى، وفي الوجه الآخر، أنا غلياث الملك، أذني مفتوحة لسماع المظلوم، وعيني مفتوحة أنظر بها مصالح ملكي.

وقوص، كثيرة العقارب والسام أبرص، وبها صنف من العقارب القتالات، حتى إنه كان يقال بها أكلة العقرب لأنه كان لا يرجى لمن لسعته حياة، واجتمع بها مرة في يوم صائف على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا، وكان الواحد من أهلها إذا مشى في الصيف ليلا خارج داره، يأخذ بإحدى يديه مسرجة تضيء له، وبالأخرى مشك من حديد يشك به العقارب، ثم إنها تلاشت بعد سنة ثمانمائة.

فلما كانت الحوادث والمحن، مات بها سبعة عشر ألف إنسان في سنة ست وثمانمائة، وكانت من العمارة بحيث إنه تعطل منها في شراقي البلاد سنة ست وسبعين وسبعمائة، مائة وخمسون مغلقا، والمغلق عندهم بستان من عشرين فدانا فصاعدا، وله ساقية بأربعة وجوه، وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك، وهو كثير جدا.

ذكر مدينة أسنا

قال الأدفوي: وذكر أن أسنا في سنة حصل منها، أربعون ألف إردب تمر، واثنا عشر ألف إردب زبيب، وأسنا تشمل على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل، وقيل: إنه كان بها في وقت سبعون شاعرا.

ذكر مدينة أدفو

ومدينة أدفو يقال بالدال المهملة، ويقال أيضا بالتاء المثناة من فوق. قال الأدفوي: أخبرني الخطيب العدل أبو بكر خطيب أدفو: أن جمارة طرحت، ثلاثة شماريخ في كل شمروخ تمرة واحدة، وأنه قلع الجمارة بأصلها، ووزنها فجاءت خمسة وعشرين درهما، كلها بجريدها وخشبها، وذلك بأدفو.

ولما كان بعد سنة سبعمائة، حفر صناع الطوب، فظهرت صورة شخص من حجر شكل امرأة متربعة على كرسي، وعليها مثال شبكة، وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليوناني، رأيتها على هذه الحالة في مدينة أدفو.

إهناس

هي كورة من كور الصعيد يقال: إن عيسى ابن مريم عليه السلام، ولد بها، وإن نخلة مريم عليها السلام التي ذكرت في قوله تعالى: " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " مريم٢٥، لم تزل بها إلى آخر أيام بني أمية، والذي عليه الجماهرة أن عيسى عليه السلام إنما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس وبإهناس شجر البنج.

ذكر مدينة البهنسا

هذه المدينة في جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور البهنسية، وينسج المطرز والمقاطع السلطانية، والمضارب الكبار، والثياب المحبرة، وكان يعمل بها من الستور، ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا، وقيمة الزوج مائتا مثقال ذهب، وإذا

صنع بها شيء من الستور والأكسية، والثياب من الصوف أو القطن، فلا بد أن يكون فيها اسم المتخذ له مكتوبا على ذلك مضوا جيلا بعد جيل.". <المواعظ والاعتبار ٢٩٧/١>

١٦٦-"وقبط مصر، مجمعون على أن المسيح وأمه مريم كانا بالبهنسا، ثم انتقلا عنها إلى القدس.
وقال بعض المفسرين في قوله تعالى عن المسيح وأمه: " وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين " المؤمنون٥٠، الربوة، البهنسا، وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له: مناوش بن منقاوش.
قال ابن وصيف شاه: واستخلف مناوش الملك فطلب الحكمة مثل أبيه، واستخرج كتبها، وأكرم أهلها، وبذل فيهم الجوائز، وطلب الأغراب في عمل العجائب، وكان كل من ملوكهم يجهد جهده في أن يعمل له غريبة من الأعمال لم تعمل لمن كان قبله، وثبت في كتبهم، وزبر على الحجارة في تواريخهم.
وهو أول من عبد البقر من أهل مصر، وكان السبب في ذلك أنه اعتل، علة يئس منه فيها، فرأى في منامه صورة روحاني عظيم، يقول له: إنه لا يخرجك من علتك إلا عبادتك البقر، لأن الطالع كان وقت حلولها بك صورة ثور بقرنين، ففعل ذلك، وأمر بأخذ ثور أبلق حسن الصورة، وعمل له مجلسا في قصره، وسقفه بقبة مذهبة، فكان ينجره، ويطيب موضعه، وكل به سائسا يقوم به، ويكنس تحته، ويعبد سرا من أهل مملكته، فبرأ من علته.
وهو أول من عمل العجل في علته، فكان يركب عليها البيوت من فوقها قباب الخشب، وعمل ذلك من أحب من نسائه، وخدمه إلى المواضع، والمنتزهات، وكان البقر يجره، فإذا مر بمكان نزهة أقام فيه وإذا مر بمكان خراب أمر بعمارته، فيقال: إنه نظر إلى ثور من البقر الذي يجر عجلته أبلق حسن الشية، فأمر بترفيهه، وسوقه بين يديه إعجابا به، وجعل عليه جلا من ديباج، فلما كان في يوم وقد خلا في موضع صار إليه، وقد انفرد عن عبيده وخدمه، والثور قائم إذ خاطبه الثور، وقال له: لو رفهني الملك عن السير معه، وجعلني في هيكل وعبدني، وأمر أهل مملكته بعبادتي، كفيته جميع ما يريد، وعاونته على أمره، وقويته في مملكته، وأزلت عنه جميع علله، فارتا ع لذلك، وأمر بالثور، فغسل وطيب، وأدخل في هيكل، وأمر بعبادته، فأقام ذلك الثور يعبد مدة، وصار فيه آية وهو أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل إلا أطراف ورق القصب الأخضر في كل شهر مرة، فافتتن الناس به، وصار ذلك أصلا لعبادة البقر، وبنى مواضع كنز فيها كنوزا، وأقام عليها أعلاما، وبنى في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا، ودفن حولها كنوزا.
ويقال: إن هذه المدينة قائمة، وإن قوما، جازوا بها من نواحي الغرب، وقد ضلوا الطريق، فسمعوا بها، عزيف الجن، ورأوا ضوءا يتراءى بها، وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له، أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف، ويؤخذ من رأسه شعرات، ومن ذنبه ومن نحاتة قرونه وأظلافه، ويجعل في التمثال المذكور، وعرفهم أنه يلحق بعالمه، وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر أحمر، ويدفن في الهيكل، وينصب تمثاله عليه، وزحل في شرفه، والشمس تنظر إليه من تثليث القمر زائد النور، وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة، ففعلوا ذلك، وكللوه بجميع الأصناف من الجواهر، وجعلوا عينيه جزعتين، وغرسوا في الهيكل عليه شجرة بعدما دفنوه في الجرن الأحمر، وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا، حتى تمضي سبعة أيام، ثم تعود إلى اللون الأول، وكسوا الهيكل ألوان الثياب، وشقوا نهرا من النيل

إلى الهيكل، وجعل حوله طلسمات رؤوسها رؤوس القرود على أبدان اناس، كل واحد منها لدفع مضرة، وجلب منفعة، وأقام عند الهيكل، أربعة أصنام على أربعة أبواب، ودفن تحت كل صنم صنفا من الكنوز، وكتب عليها قربانها، وبخورها وأسكنها الشجرة، فكانت تعرف بمدينة الشجرة، ومنها كانت أصناف الشجر تخرج وهو أول من عمل النيروز بمصر، وفي زمانه بنيت البهنسا، وأقم بها أسطوانات وجعل فيما فوقها مجلسا من زجاج أصفر عليه قبة مذهبة إذا طلعت الشمس ألقت شعاعها على المدينة.

ويقال: إنه ملكهم ثمانمائة وثلاثين سنة، ودفن في أحد الأهرام الصغار القبلية، وقيل: في غربي الأشمونين، ودفن معه من المال والجوهر والعجائب شيء كثير، وأصناف الكواكب السبعة التي يرى الدفين والحية، وألف سرج ذهبا وفضة، وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج، وألف عقاقير لفنون الأعمال، وزبروا عليه اسمه ومدة ملكه، ووقت موته.".

<المواعظ والاعتبار ١/٢٩٨>

١٦٧-"وفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، ظهر بالأشمونين في واد بين جبلين، فساقي مربعة مملوءة ماء عذبا صافيا، فمشى شخص على حافتها طول يوم وليلة، فلم يبلغ آخرها.

ويقال: إنها من عمل سوريد باني الأهرام لتكون عدة لما كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان ناري، فردم هذا الوادي بعد ذلك خوفا من تلاف الناس.

يقول الشيخ الإمام محمد بن أحمد الغرياني: حدثني علي بن حسن بن خالد الشعري، ثلاث مرات لم يختلف قوله علي فيها، قال: حدثني رجل من فزارة، الساكنين بكورة البهنسا قال: خرجت أنا ورجل رفيق لي نرتاد البلاد، ونطلب الرزق في الأرض، وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة، فقطعنا الجبل الغربي من ناحية البهنسا، وسرنا متوكلين على الله تعالى، فأقمنا أياما، ونحن نمشي ما بين الغرب والجنوب، فوقعنا في واد كثير الشجر والنبات والماء والكلأ ليس فيه أنيس، وهو واد واسع في الطول والعرض، نحو يوم في الطول، ويوم في العرض، كله أعين وبساتين نخل وزيتون كثير الإبل والمعز، والذئب والضبع به كثير، والإبل به متوحشة، وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد أن كانت آنسة به، وليس بالوادي لا رائح، ولا غاد من الناس قال: فأخبرني أنهما أقاما بالوادي نحوا من شهرين أو ثلاثة، وإنهما رأيا في وسط الوادي، مدينة حصينة منيعة عالية السور شامخة القصور فإذا تقربا من سورها سمعا ضجيجا عظيما، وأصواتا مهولة مخوفة، ورأيا دخانا يرتفع إلى جو السماء، حتى يغطي سور المدينة، وجميع ما فيها، وإن تلك الإبل الوحشية عدت على رواحلهما الإنسية، فآذتها، وقتلتها فتحيل عند ذلك الرجلان الفزاريان بحيل، وفتلا حبالا وأشراكا شباكا من ليف النخل، وقيدا تلك الإبل الوحشية، وفتلا خوصا، وضفرا قفاصا من الخوص لزادهما، وملأها تمرا، وزللا من تلك الإبل الوحشية مكان رواحلهما عوضا عنها، وركباها متوجهين نحو الشرق، وحملا معهما من الجريد أعني جريد النخل ما يعرفان به الطريق التي بينهما وبينها، ويجعلان ذلك أمارات لمرورهما إليها، فكانا كلما مرا على شرف جعلا عليه، جريدتين علما، حتى وصلا إلى الجبل الغربي من مصر، فنزلا إلى البهنسا، فعرفا قومهما، وتحملا بأهاليهما، فلما علوا سطح الجبل الغربي، وجدا كل ما فرقاه من جريد النخل على رؤوس الآكام مجتمعا في مكان واحد في أعلى الجبل، فرجعا عند ذلك لأهاليهما، ومن معهم إلى أرض البهنسا، وهذا ما حدثني به، والله

أعلم.

ذكر مدينة الأشمونين

كانت من أعظم مدن الصعيد، يقال: إنها من بناء أشمون بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام.

وقال ابن وصيف شاه: كان أشمون أعدل ولد أبيه، وأرغبهم في صنعة تبقى، ويبقى ذكرها، وهو الذي بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملون وسط النيل، وتقول القبط: إنه بنى سربا تحت الأرض من الأشمونين إلى أنصنا تحت النيل، وقيل: إنه حفره، وعمله لبناته لأنهن كن يمضين إلى هيكل الشمس، وكان هذا السرب مبلط الأرض والحيطان والسقف بالزجاج الثخين الملون. وقيل: إن أشمون كان أطول إخوته ملكا.

وقال أهل الأثر: إنه ملك ثمانمائة سنة، وإن قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة من ملكه، وأقاموا تسعين سنة واستولوا على البلد، فانتقلوا إلى الدثينة من طريق الحجاز إلى وادي القرى، فعمروها، واتخذوا بها المنازل، والمصانع وسلط الله عليهم الذر، فأهلكهم، وعاد ملك مصر إلى أشموم.

ويقال: إنه عمل على باب الأشمونين أوزة من نحاس، فكان الغريب إذا جاء ليدخل المدينة، صاحت الأوزة وصفقت بجناحيها، فيعلم به فإن أحبوا منعوه، وإن أحبوا تركوه، وكثرت الحيات في وقته، فكانوا يصيدونها، ويعملون من لحومها، أدوية وترياقات، ثم ساقوها بسحرهم إلى وادي الحيات في جبال لوبية ومراقية، فسجنوها هناك.

وقال في كتاب هروشيش: إن أشمون بن قبط أول ملوك المصريين، وإنه كان في زمان شاروح بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وإن سني الدنيا صارت إلى زمان شاروح، ألفين وتسعمائة وخمس سنين يكون ذلك بعد الطوفان بستمائة وثلاث وستين سنة، وبها كانت فرهة الخيل، والبغال والحمير، وكان يعمل بها فرش القرمز الذي يشبه الأرمني.". <المواعظ والاعتبار ١/٢٩٩>

١٦٨-"وكان ينزل بأرض الأشمونين عدة بطون من بني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا بادية أصحاب شوكة، وكان معهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان خلفاء لهم، ومعهم بطن آخر يقال لهم: إن أباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان، ويزعمون أنهم من بني أمية صلبية، وكان معهم أيضا حلفاء لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ينزلون، أرض دلجة عند أشمون.

ذكر مدينة إخميم

ضبطها البكري: بكسر الهمزة، وإسكان الخاء، ثم ميم وياء وميم على بناء إفعيل، وهي في الجانب الشرقي من النيل، والذي بناها مناقيوش أحد ملوك القبط الأول.

قال ابن وصيف شاه: كان جلدا محتكما، فاستأنف العمارة وبنى القرى، ونصب الأعلام، وجمع الحكم، ومصاحف الملوك والحكماء، وعمل العجائب، وبنى لنفسه مدينة انفرد بها، وعمل عليها حصنا، ونصب عليه أربعة أعلام في كل ركن من أركانه علم، وبين تلك الأعلام ثمانون صنما من نحاس، وأخلاط في أيديهما السلاح، وزبر على صدرها آياتها.

وكان بمنف رجل من أولاد الكهنة من أعلم الناس بالسحر، وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع، وكان يعلم الغلمان السحر،

فإذا حذقوا علم غيرهم، فأمر الملك أن يبني له مدينة، ويحول إليها وهي إخميم، فملكهم مناقيوش نيفا وأربعين سنة ومات، فدفن في الهرم المحاذي لأطفيح، ومعه شيء كثير من المال والجوهر والآنية والتماثيل، وزبر عليه اسمه، والوقت الذي هلك فيه، قال: وذكر أهل إخميم: أن رجلا أتى من الشرق وكان يلزم البربا، ويأتي إليه كل يوم ببخور، وخلوق فيبخر، ويطيب صورة في عضادة الباب، فيجد تحتها دينارا، فيأخذه، وينصرف ففعل ذلك مدة حتى وشى به كلام له إلى عامل البلد، فقبض عليه، فبذل مالا وخرج عن البلد.

وكانت بربا إخميم من أعجب البرابي، وأعظمها قد بنيت لخزن برهم فإنهم قضوا على أهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرائن، لكنهم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: تكون نار فتحرق ماء على جميع وجه الأرض، وقال آخرون: بل يكون ماء، فعملوا هذه البرابي قبل الطوفان، وكان في هذه البربا صور الملوك الذين يملكون مصر، وكانت مبنية بحجر المرمر، وطول كل حجر منها، خمسة أذرع في سمك ذراعين، وهي سبعة دهاليز سقوفها حجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع مدهونة باللازورد، وغيره من الأصباغ التي يحسبها الناظر، كأنما فرغ الدهان منها الآن لجدتها، وكان كل دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة، وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيئات والمقادير، فيها رموز علوم القبط من الكيمياء، والسيمياء، والطلسمات، والطب والنجوم، والهندسة وغير ذلك، أودعوها تلك الصور.

وذكر ابن جبير في رحلته: أن طول هذه البربا مائتا وعشرون ذراعا، وسعتها مائة وسبعون ذراعا، وأنها قائمة على أربعين، سارية سوى الحيطان دور كل سارية خمسون شبرا، وبين كل ساريتين ثلاثون شبرا، ورؤوسها في نهاية العظم كلها منقشة من أسفلها إلى أعلاها، ومن رأس كل سارية إلى الأخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت، فيها ما فرعه ستة وخمسون شبرا طولا في عرض عشرة أشبار، وارتفاع ثمانية أشبار، وسطحها من ألواح الحجارة كأنها فرش واحد فيه التصاوير البديعة، والأصبغة الغريبة كهيئة الطيور والآدميين، وغير ذلك في داخلها وخارجها، وعرض حائط البربا ثمانية عشر شبرا من حجارة مرصوصة، كذا قاسها ابن جبير في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة.

ويقال: إن ذا النون عرف منها، علم الكيمياء، وما زالت هذه البربا قائمة إلى سنة ثمانين وسبعمائة، فخربها رجل من أهل إخميم يعرف: بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب علم الدين علي، ونال منها مالا، فلم تطل حياته، ومات، ومن حينئذ تلاشى أمر إخميم إلى أن خربت، وقد ذكر جماعة أن بربا إخميم كانت في هيئة غلام أمرد عريان، وإن قوما دخلوها مرة فتبعهم، وأخذ يضربهم ضربا وجيعا، حتى خرجوا هاربين، وحكى مثل ذلك عمن دخل الأهرام أيضا.". <المواعظ والاعتبار ٣٠٠/١>

١٦٩-"وقد حكي أن رجلا ألصق على صورة من بربا إخميم شمعة، فكان إذا تركها في موضع التجأت العقارب إليها، وإذا وضع الشمعة في تابوت اجتمعت العقارب حوله. ويقال: إنه كان في بربا إخميم شيطان قائم على رجل واحدة، وله يد واحدة، وقد رفعها إلى الهواء، وفي جبهته وحواليه كتابة، وله إحليل ظاهر ملتصق بالحائط، وكان يذكر أن من احتال، حتى ينقب على ذلك الإحليل حتى يخرجه، من غير أن ينكسر، ويعلقه على وسطه، فإنه لا يزال منغظا إلى أن ينزعه، ويجامع ما أحب، ولا يفتر ما دام معلقا عليه، وإن بعض من ولي إخميم اقتلعه، فوجد منه شيئا عجيبا من ذلك، وكانت

الأنطاع تجلب من إخميم، وبها تعمل.

ويقال: إنه كان بها اثنا عشر ألف عريف على السحرة، وكان بها شجر البنج، ويقال: إن الذي بنى بربا إخميم اسمه دومريا، وإنه جعل هذه البربا مثلا للأمم الآتية بعده، وكتب فيها تواريخ الأمم والأجيال ومفاخرهم التي يفتخرون بها، وصور فيها الأنبياء والحكماء، وكتب فيها من يأتي من الملوك إلى آخر الدهر، وكان بناؤه إياها والنسر برأس الحمل، والنسر يقيم عندهم في كل برج ثلاثة آلاف سنة.

قلت: والنسر في زماننا بآخر باب برج الجدي، فيكون على ذلك لهذه البربا منذ بنيت نحو الثلاثين ألف سنة. وذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الألباب: أن هذه البربا مربعة من حجارة منحوتة، ولها أربعة أبواب يفضي كل باب إلى بيت له أربعة أبواب كلها مظلمة، ويصعد منها إلى بيوت كالغرف على قدرها.

ذكر مدينة العقاب

قال المسعودي: مدينة العقاب غربي أهرام أبوصير بالجيزة على مسيرة خمسة أيام بلياليها للراكب المجد، وقد عور طريقها، وعمي المسلك إليها، والسمت الذي يؤدي نحوها، وفيها عجائب البنيان والجواهر، والأموال.

وقال ابن وصيف شاه: وكان الوليد بن دومع العمليقي، قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان، ويقهر ملوكها، فلما صار بالشام، وجه غلاما له يقال له: عون، فسار إلى مصر، وفتحها، ثم سار، فتلقاه عون ودخل مصر، فاستباح أهلها. ثم سنح له أن يقف على مصب النيل، فخرج في جيش كثيف، واستخلف عونا على مصر، وأقام في غيبته أربعين سنة، وإن عونا بعد سبع سنين من مسيرة تجبر، وادعى أنه الملك، وأنكر أن يكون غلام الوليد وإنما هو أخوه، وغلب بالسحر، وسبى الحرائر فمال الناس إليه، ولم يدع امرأة من بنات ملوك مصر، إلا نكحها، ولا مالا إلا أخذه وقتل صاحبه، وهو مع ذلك يكرم الكهنة، ويعظم الهياكل، فاتفق أنه رأى الوليد في منامه، وهو يقول له: من أمرك أن تتسمى باسم الملك؟ وقد علمت أنه من فعل ذلك استحق القتل، ونكحت بنات الملوك، وأخذت الأموال بغير واجب، ثم أمر بقدر ملئت زيتا، وأحميت حتى غلت، ونزع ثيابه ليلقيه فيها، فأتاه عقاب، فاختطفه، وحلق به في الجو، وجعله في هوة على رأس جبل، فسقط إلى واد فيه حمأة منتنة، فانتبه مرعوبا، وقص ذلك على كهنته، فقالوا: نحن نخلصك منه بأن تعمل عقابا وتعبده، فإنه الذي خلصك في نومك، فقال: أشهد لقد قال لي: اعرف لي هذا المقام، ولا تنسه، فعمل عقابا من ذهب، وجعل عينيه جوهرتين، ووشحه بالجوهر، وعمل له هيكلا لطيفا، وأرخى عليه ستور الحرير، وأقبلوا على تبخيره وقربانه، حتى نطق لهم، فأقبل عون على عبادته، ودعا الناس إلى ذلك، فأجابوه، ثم أمر فجمع له كل صانع بمصر، وأخرج أصحابه إلى صحراء الغرب لطلب أرض سهلة حسنة الاستواء يدخل إليها من مواضع صعبة، وجبال وعرة بحيث تقرب من مغيض الماء التي هي اليوم: الفيوم، وكانت مغيضا لماء النيل، حتى أصلحها يوسف عليه السلام ليجري الماء منها إلى المدينة، فخرجوا، وأقاموا شهرا يطوفون حتى وجدوا بغيته، فلم يبق بمصر فاعل، ولا مهندس، ولا أحد له بصر بالبناء، وقطع الصخور، ونحتها، إلا وجه إليها، وأنفذ ألف رجل من الجيش، وسبعمائة ساحر لمعاونتهم، وأنفذ معهم الآلات والأزواد على العجل وطريق هذه العجل إلى الفيوم في صحراء الغرب واضحة من خلف الأهرام.". <المواعظ والاعتبار ١/٣٠١>

١٧٠-"فلما تكامل له ما أراد من نحت الحجارة، خطوا المدينة فرسخين في مثلهما، وحفروا في الوسط بئرا جعلوا فيها تمثال خنزير من نحاس بأخلاط، ونصبوه على قاعدة نحاس، ووجهه إلى الشرق، وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته، وكان في شرفه، وذبحوا خنزيرا، ولطخوا التمثال بدمه في وجهه، وبخروه بشيء من شعره، وحشوا جوفه بدمه، وشعره وعظامه ولحمه ومرارته، وجعلوا في أذنيه من مرارته، وحرقوا بقية الخنزير، وجعلوا رماده في قلة من نحاس بين يدي التمثال، ونقشوه بآيات زحل، ثم شقوا في البئر من الجهات الأربع في كل جهة، سربا إلى حيطان المدينة، وعملوا على أفواهها منافس تجذب الهواء، وسدوا البئر من الجهات الأربع قبة على عمد مرتفعة على حيطان المدينة، وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من أبواب المدينة، وفصلوها بالطرقات والمنازل، وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديهما حراب، ووجوهها تجاه الأبواب، وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود، فوقه حجر أحمر، عليه حجر أصفر، من فوقه حجر أخضر، وفوق الجميع حجر أبيض يشف، وكلها مبنية بالرصاص المصبوب بين الحجارة، وفي قلوبها أعمدة من حديد على بناء الأهرام، وجعلوا طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين، وعلى رأس كل باب حصن بأعلاه، عقاب كبير من صفر وأخلاط، قد نشر جناحيه، وهو أجوف، وعلى كل ركن فارس بيده حربة، ووجهه إلى خارج المدينة، وساق الماء إلى الباب الشرقي ينحدر في صبه إلى الباب الغربي، ويخرج إلى صهاريج، وكذلك من الباب الجنوبي إلى الشمالي، وقرب للعقاب، عقبانا ذكورا، واجتلب الرياح إلى أفواه التماثيل، فصار يسمع لها أصوات هائلة، ووكل بها أرواحا تمنع الداخل إليها، إلا أن يكون من أهلها.

ونصب العقاب الذي يتعبد له تحت القبة في وسط المدينة على قاعدة بأربعة أركان على كل ركن، وجه شيطان، وجعلها على عمود يديرها، فكان العقاب يدور إلى الجهات، فيقيم في كل جهة ربع السنة، فلما تم ذلك نقل إلى المدينة الأموال والجواهر التي بمصر من عهد الملوك، والتماثيل والحكم، وتراب الفضة والعقاقير والسلاح، وحول إليها كبار السحرة والكهنة، وأصحاب الصنائع، والتجار وقسم المساكن بينهم، فلا يختلط أهل صناعة بسواهم وعمل بها ربضا لأصحاب المهن والزراعة، وعقد على تلك الأنهار قناطر يمشي عليها الداخل إلى المدينة، وجعل الماء يدور حول الربض، ونصب عليها أعلاما وحرسا، ثم غرس وراء ذلك مما يتصل بالبرية النخل والكرم، وجميع أصناف الشجر على أقسام مقسومة، ومن وراء ذلك كله مزارع الغلات من كل جهة، كل ذلك خوفا من الوليد.

قال: وبين هذه المدينة، وبين منف ثلاثة أيام، وكان يقيم فيها ويخرج إليها، ثم يعود إلى منف وكان لها أربعة أعياد في السنة، وهي: الأوقات التي يتحول العقاب فيها، فلما تم لعون ذلك، اطمأن قلبه، إلى أن وافى إليه كتاب الوليد من النوبة يأمره بحمل الأزواد، ونصب الأسواق، فوجه إليه في البر والبحر، بما أراد وحول أهله ومن اصطفاه من بنات الملوك والكبراء إلى المدينة. فلما قرب الوليد، خرج إليها وتحصن فيها، واستخلف على منف، فقدم الوليد، وقد سمع ما فعله عون، فغضب، وهم أن يبعث إليه جيشا، فعرف بخبر المدينة ومنعتها، وخبر السحرة، فكتب إليه أن يقدم عليه، ويحفره عاقبة التخلف، فأجابه ما على الملك مني مؤنة ولا تعرض، ولا عيب في بلده لأبي عبده، وأنا له ردء في هذا المكان من كل عدو يأتيه من الغرب، ولا أقدر على المسير إليه لخوفي منه، فليقرني الملك بحالي كأحد عماله، وأوجه إليه ما يلزمني من خراجه وهداياه، وبعث إليه بأموال جليلة، وجوهر نفيس، فكف عنه، وأقام الوليد بمصر حتى مات.

ذكر مدينة الفيوم

اعلم: أن موضع الفيوم كان مغيض ماء النيل، فلما ولي السيد يوسف الصديق عليه السلام تدبير، أمور مصر عمرها. قال ابن وصيف شاه: ثم ملك الريان بن الوليد، وهو فرعون وسف، والقبط تسميه: نهر أوش، فجلس على سرير الملك، وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا متمكنا، فوعد بالجميل، وأسقط عن الناس خراج ثلاث سنين، وفرق المال في الخاص والعام.". <المواعظ والاعتبار ١/٣٠٢>

١٧١-"قال الحجر اليوسفي: والحجر اليوسفي جدار مبني بالطوب، والجير المعروف عند المتقدمين بالصاروج، وهو الجير والزيت، وبناؤه من جهة الشمال إلى الجنوب، ويتصل من نهايته من الجنوب بجدار بناؤه مثل بنائه على استقامة من الغرب إلى الشرق، ويحصره ميلان منه في نهايته، وطوله مائتا ذراع بذراع العمل، ويتصل بهذا الجدار على طول ثمانين ذراعا منه من جهة الغرب نهاية الجدار الأعظم من الجنوب.

وفائدة بناء الجدار الأعظم رد الماء إذا انتهى إلى حدود اثنتي عشرة ذراعا إلى مدينة الفيوم، وطول ما يتصل منه الجدار الذي من جهة الغرب إلى الشرق، ثم يتصل بالميل، ثم ينخفض من حدود هذا الميل إلى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خمسون ذراعا، وبعدما بين هذين الميلين، وهو المنخفض مائة ذراع وعشرة أذرع، ومقدار المنخفض منه، أربعة أذرع، وهذا المنخفض هو الذي يسد بجسر من حشيش يسمى لبشا، وعرض ما يجري عليه الماء، وهو موضع اللبش وما قابله إلى جهة الشرق، أربعون ذراعا، وعليه مسك اللبش الثاني، ويتصل بهذا الميل إلى جهة الشمال، ما طوله ثلثمائة واثنان وسبعون ذراعا، ثم يتصل به على نهاية هذا الطول، جدار يمر على استقامته إلى الحجر مبني بالحجر طوله على استقامته إلى جهة الشرق، مائة ذراع، ثم ينخفض أيضا من حيث يتصل بهذا الجدار ما طوله، عشرون ذراعا، وقدر المنخفض منه ذراعان.

وهذا المنخفض أيضا يسد بجسر حشيش يسمى: اللكبد، وطول بقية الجدار إلى نهايته من جهة الشمال، مائة وستة وثلاثون ذراعا، وقبالة هذا بطوله منه مبلط، وفيه قناطر مبنية بالحجر كانت قديما ترد الماء إلى اليوم من الخليج القديم الذي عنده السدود اليوم، وكان عليها أبواب، وعدتها عشر قناطر قديمة، فيكون جميع ذرع الجدار الأعظم من نهايته، سبعمائة واثنين وسبعين ذراعا بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب إلى الشرق، ويمر هذا الجدار الأعظم من كلتا جهتيه جميعا، حتى يتصل بالجبل، فتوجد آثاره في القيظ مرورا على غير استقامة، وعرضه مختلف، وكلما انتهى إلى سطحه، قل عرضه، وعرض أعلاه مع الظاهر من أسفله جميعا ستة عشر ذراعا، وفيه منافس يخرج منه الماء، وهي برابخ زجاج ملوثة بشبه المينا وأزرق وسليماني.

وهو من العجائب الحسنة في عظم البناء وإتقانه، لأنه من الأبنية اللاحقة بمنارة الإسكندرية، وبناء الأهرام، فمن معجزته أن النيل يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام إلى هذه الغاية، وما تغير عن مستقره، ويدخل الماء من هذا البحر في هذا الزمان إلى مدينة الفيوم من خليجها الأعظم ما بين أرض الضيعتين المعروفتين، بدمونة واللاهون، ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما سيحا، ومنه شرب كرومها بالدواليب على أعناق البقر، وإن قصر النيل عن الصعود إلى سوادها، سقيت منه على أعناق البقر وزرعت، وينتهي في الخليج الأعظم إلى خليج يعرف بخليج الأواسي، وليس عليه رسم في سد ولا فتح ولا

تعديل، وينتهي إلى الضيعة المعروفة ببياض، فيملأ بركها وغيرها من البرك، وللبرك مقاسم يصل إلى كل مقسم منها لغايته، ومقدار شرب ما عليه، وينتهي إلى الضيعة المعروفة بالأوسية الكبرى، فمنه شربها من مقسمين لها، وبرسمها باب، ومنه يشرب نخلها وشجرها، وعلى هذا الحد طاحونة تعمل بالماء.

ثم ينتهي إلى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بمرطينة منها مقسم لها، ومقسم لقبالات عدة، والمقسم الثالث يسقي أحد أحياء النخل، وبهذا الحي أسواق وبساتين قد خربت، وجميز دائر به، وكان بها بيوت في أقنية النخل، ثم ينتهي إلى حي ثان على ضفة الأول، ثم ينتهي إلى الضيعة المعروفة بالجوبة، فيملأ بركها وينتهي إلى ثلاثة مقاسم في صف، وفوقها خليج معطل ويشرب من هذه المقاسم عدة ضياع، ثم ينتهي الماء من هذا الخليج إلى البطس، وهو نهايته، وعلى الخليج الأعظم بعد هذا أباليز شربها منه من أفواه لها سيحا، فإذا نضب ماء النيل، نصب على أفواهها برسم صيد السمك شباك.

ثم ينتهي الخليج الأعظم على يمنة من يريد الفيوم إلى خليج يعرف: بخليج سمسطوس. منه شرب سمسطوس وغيرها، وأباليز كثيرة تجاوز الصحراء من المشرق منه، ومن قبليه، وهي ما بين هذا الخليج، وخليج الأواسي. ثم ينتهي الخليج الأعظم أيضا إلى: خليج ذهالة. ومنه شرب عدة ضياع وعليه يزرع الأرز وغيره.". <المواعظ والاعتبار ١/٣١١>

١٧٢-"وكان قد اتخذ لنفسه من ولد الحوف وشناترة الضياع قوما معروفين بالشجاعة، والبأس لهم خلق عظيم تام، وعظم أجسام، وأدر عليهم الأرزاق، ووسع لهم في العطاء، وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق، وأذية الناس بخدمته، وألبسهم الأقبية، وجواشن الديباج، وصاغ لهم المناطق العراض الثقال، وقلدهم السيوف المحلاة يضعونها على أكتافهم، فإذا مشوا بين يديه، وموكبه على ترتيبه، ومضت أصناف العسكر وطوائفه تلاهم السودان، وعدتهم ألف أسود لهم درق من حديد، محكم الصنعة، وعليهم أقبية سود، وعمائم سود، فيخالهم الناظر إليهم بحرا أسود يسير، لسواد ألوانهم، وسواد قيابهم، ويصير لبريق درقهم وحلي سيوفهم والبيض التي تلمع على رؤوسهم من تحت العمائم زي بهج، فإذا مضى السودان قدم خمارويه، وقد انفرد عن موكبه، وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحف به، وكان تام الظهر، ويركب فرسا تاما، فيصير كالكوكب إذا أقبل لا يخفى على أحد، كأنه قطعة جبل في وسط المختارة، وكان مهابا ذا سطوة، وقد وقع في قلوت الكافة أنه متى أشار إليه أحد بإصبعه، أو تكلم أو قرب من، لحقه مكروه عظيم، فكان إذا أقبل كما ذكرنا لا يسمع من أحد كلمة، ولا سعلة ولا عطسة، ولا نحنحة ألبتة، كأنما على رؤوسهم الطير، وكان يتقلد في يوم العيد سيفا بحمائل، ولا يزال يتفرج ويتنزه ويخرج إلى مواضع لم يكن أبوه يهش إليها، كالأهرام، ومدينة العقاب، ونحو ذلك لأجل الصيد، فإن كان مشغوفا به لا يكاد يسمع بسبع، إلا قصده، ومعه رجال عليهم لبود، فيدخلون إلى الأسد ويتناولونه بأيديهم من غابه عنوة، وهو سليم فيضعونه في أقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع، وهو قائم فإذا قدم خمارويه من الصيد سار القفص، وفيه السبع بين يديه، وكانت حلبة السباق في أيامهم تقوم مقام الأعياد، لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان، والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام، والعدد الكاملة، فيجلس الناس لمشاهدة ذلك، كما يجلسون في الأعياد وتطلق الخيل من غايتها، فتمر متفاوتة يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق.

قال القضاعي: المنظر بناه أحمد بن طولون في ولايته لعرض الخيل، وكان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربعة التي منها

هذا العرض، ورمضان بمكة، والعيد كان بطرسوس، والجمعة ببغداد، فبقي من هذه الأربعة، شهر رمضان بمكة، والجمعة ببغداد، وذهبت اثنتان، قال كاتبه: وقد ذهبت الجمعة ببغداد أيضا بعد القضاعي، بقتل هولاكو للخليفة المستعصم، وزوال شعائر الإسلام من العراق، وبقيت مكة شرفها الله تعالى، وليس في شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه أنه من عجائب الإسلام، لما تكامل عز خمارويه، وانتهى أمره بدأ يسترجع منه الدهر ما أعطاه، فأول ما طرقه موت خطيبته بوران التي من أجلها بنى بيت الذهب، وصور فيه صورتها وصورته، كما تقدم، وكان يرى الدنيا لا تطيب له إلا بسلامتها وبنظره إليها، وتمتعه بها فكدر موتها عيشه، وانكسر انكسارا بان عليه، ثم إنه أخذ في تجهيز ابنته، فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة، فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس إلا حمله معها، فكان من جملته: دكة أربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة، ومائة هون من ذهب.

قال القضاعي: وعقد المعتضد النكاح على ابنته، يعنى ابنة خمارويه: قطر الندى، فحملها أبو الجيش خمارويه مع عبد الله بن الخصاص، وحمل معها ما لي ير مثله، ولا يسمع به، ولما دخل إليه ابن الخصاص يودعه، قال له خمارويه: هل بقي بيني وبينك حساب؟ فقال: لا، فقال: انظر حسابك، فقال: كسر بقي من الجهاز، فقال: أحضروه، فأخرج ربع طومار فيه سبت ذكر النفقة، فإذا هي أربعمائة ألف دينار، قال محمد بن علي المادراني، فنظرت في الطومار، فإذا فيه وألف تكة الثمن عنها عشرة آلاف دينار، فأطلق له الكل.". <المواعظ والاعتبار ١/٤٠٠>

١٧٤-"وقد أدركت فندق مسرور الكبير في غاية العمارة، تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم، وكان فيه أيضا مودع الحكم الذي فيه أموال اليتامى والغياب، وكان من أجل الخانات وأعظمها، فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمورلنك، وتلاشت أحوال إقليم مصر، قل التجار وبطل مودع الحكم، فقلت مهابة هذا الخان وزالت حرمته وتهدمت عدة أماكن منه، وهو الآن بيد القضاة.

فندق بلال المغيثي

هذا الفندق فيما بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية، أنشأه الأمير الطواشي أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثي، أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك، كان حبشي الجنس، حالك السواد، خدم عدة من الملوك، واستقر لالا الملك الصالح علي بن الملك المنصور قلاوون، وكان معظما إلى الغاية، يجلس فوق جميع أمراء الدولة، وكان الملك المنصور قلاوون إذا رآه يقول: رحم الله أستاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب، أنا كنت أحمل شارموزة هذا الطواشي حسام الدين كلما دخل إلى السلطان الملك الصالح حتى يخرج من عنده، فأقدمها له، وكان كثير البر والصدقات وله أموال جزيلة، ومدحه عدة من الشعراء، وأجاز على المديح، وتجاوز عمره ثمانين سنة، فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاون لقتال التتر في سنة تسع وتسعين وستمائة سافر معه، فمات بالسوادة ودفن بها، ثم نقل منها بعد وقعة شقحب إلى تربته بالقرافة فدفن هناك، وما برح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الأموال صناديق المال، ولقد كنت أدخل فيها فإذا بدائرة صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير، لا يفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسط، وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجلد وصفه، فلما أنشأ الأمير الطواشي زين الدين مقبل الزمام الفندق بالقرب منه، وأنشأ الأمير قلمطاي الفندق بالزجاجين،

وأخذ الأمير يلبغا السالمي أموال الناس في واقعة تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة، تلاشى أمر هذا الفندق وفيه إلى الآن بقية.

فندق الصالح

هذا الفندق بجوار باب القوس الذي كان أحد بابي زويلة، فمن سلك اليوم من المسجد المعروف بسام بن نوح يريد باب زويلة، صار هذا الفندق على يساره، وأنشأه هو وما يعلوه من الربع، الملك الصالح علاء الدين علي بن السطلان الملك المنصور قلاون، وكان أبوه لما عزم على المسير إلى محاربة التتر ببلاد الشام، سلطنه وأركبه بشعار السطلنة من قلعة الجبل في شهر رجب سنة تسع وسبعين وستمائة، وشق به شارع القاهرة من باب النصر إلى أن عاد إلى قلعة الجبل، وأجلسه على مرتبته، وجلس إلى جانبه، فمرض عقيب ذلك ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان، فأظهر السلطان لموته جزعا مفرطا وحزنا زائدا، وصرخ بأعلى صوته واولداه، ورمى كلوتته عن رأس إلى الأرض وبقي مكشوف الرأس إلى أن دخل الأمراء إليه وهو مكشوف الرأس يصرخ واولداه، فعندما عاينوه كذلك ألقوا كلوتاتهم عن رؤوسهم وبكوا ساعة، ثم أخذ الأمير طرنطاي النائب شاش السلطان من الأرض وناوله للأمير سنقر الأشقر، فأخذه ومشى وهو مكشوف الرأس، وباس الأرض وناول الشاش للسلطان، فدفعه وقال: ايش أعمل بالملك بعد ولدي، وامتنع من لبسه، فقبل الأمراء الأرض يسألون السلطان في لبس شاشه، ويخضعون له في السؤال ساعة حتى أجابهم وغطى رأسه، فلما أصبح خربت جنازته من القلعة ومعها الأمراء من غير حضور السلطان، وصاروا بها إلى تربة أمه المعروفة خاتون، قريبا من المشهد النفيسي، فواروه وانصرفوا، فلما كان يوم السبت ثانية، نزل السلطان من القلعة وعليه البياض تحزنا على ولده، وسار ومعه الأمراء بثياب الحزن إلى قبر ابنه وأقيم العزاء لموته عدة أيام.

خان السبيل

هذا الخان خارج باب الفتوح، قال ابن عبد الظاهر: خان السبيل بناه الأمير بهاء الدين أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي خادم أسد الدين شيركوه، وعتيقه لأبناء السبيل والمسافرين بغير أجرة، وبه بئر ساقية وحوض.

وقراقوش هذا: هو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما، وبنى قلعة الجبل، وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام، وعمر بالمقس رباطا، وأسره الفرنج في عكا وهو واليها، فافتكه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعشرة آلاف دينار، وتوفي مستهل رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة، ودفن بسفح الجبل المقطم من القرافة.". <المواعظ والاعتبار ٢٤٨/٢<

١٧٧-"الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي في شعبان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وبلغت النفقة على بنائه ستة آلاف دينار، وإنما قيل له جامع الفيلة لأن في قبلته تسع قباب في أعلاه ذات قناطر، إذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيلة، كالتي كانت تعمل في المواكب أيام الأعياد، وعليها السرير وفوقها المدرعون أيام الخلفاء، ولما

كمل أقام في خطابته الشريف الزكي أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن علي الحسيني الأفطسي النسابة الكاتب الشاعر الطرابلسي، بعد صرفه من قضاء الغربية، فلما رقى المنبر أول خطبة أقميت في هذا الجامع قال: بسم الله الحمد لله، وأرتج عليه فلم يدر ما يقول، وكان هناك الشيخ أبو القاسم علي بن منجب بن الصيرفي الكاتب، وولده مختص الدولة أبو المجد، وأبو عبد الله بن بركات النحوي، ووجوه الدولة. فلما أضجر من حضر نزل عن المنبر وقد حم، فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف إلى داره فاعتل ومات. وكان قد ولي قضاء عسقلان وغيرها، ثم قدم إلى مصر فولي الحكم بالمحلة، وولي ديوان الأحباس، وكان أحد الأعيان الأدباء العارفين بالنسب، ومن الشعراء المجيدين والنحاة اللغويين، ولد بطرابلس الشام في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، وقدم إلى القاهرة في سنة إحدى وخمسمائة، ومدح الأفضل، ومات في سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وخمسمائة وقد ترشح للنقابة بمصر ولم ينلها مع تطلعه إليها، وذيل كتاب أبي الغنائم الزيدي النسابه، ومن شعره بديها، وقد نام مع جاريته على سطوح فطلع القمر عليهما فارتاعا من كشف الجيران عليهما:

ولما تلاقينا وغاب رقيبنا ... ورمت التشكي في خلو وفي سر

بداضوء بدرف افترقنا لضوئه ... فيا من رأى بدرا ينم على بدر

وأهل المطالب يذكرون أن الأفضل وجد بموضع الصهريج مطلبا، فختم عليه أشهراإلى أن نقله وعمله صهريجا وبنى عليه هذا المسجد، وهذا الشرف الذي عليه جامع الفيلة منظرة في غاية الحسن، لأن في قبليه بركة الحبش وبستان الوزير المغربي والعدويةودير النسطورية وبئر أبي سلامة، وهي بئر مدورة برسم الغنم، وبئر النعش، كان يستقي منها أصحاب الزوايا، وهي بجوار عفصة الصغرى، وهي بئر أبي موسى بن أبي خليد، وسميت بئر النعش لأنها على هيئة النعش، وماؤها يهضم الطعام وهو أصح الأمواه، وشرقي هذا الجبل: جبل المقطم والجبانة والمغافر والقرافة وآخرالأكحول وريحان ورعين والكلاع والأكسوع، وغربي هذا الجبل: المعشوق والنيل وبستان اليهودي إلى القبلة، وطموه والأهرام وراشدة، وبحري هذا الجبل بستان الأمير تميم، وقنطرة خليج بني وائل، وديرا لمعدلين، وعقبة يحصب، ومجرى قسطنطين، والشرف وغير ذلك. وهذا الجامع لا تقام فيه اليوم جمعة ولا جماعة لخراب ما حوله من القرافة وراشدة، وينزل فيه أحيانا طائفة من العرب بإبلهم يقال لهم المسلمية، وعما قليل يدثر كما دثر غيره.

جامع المقياس

هذا الجامع بجوار مقياس النيل من جزيرة الفسطاط أنشأه .

الجامع الأقمر". <المواعظ والاعتبار ٣/١١>

١٧٨-"ويروى أنه لما كثر روث الدواب فى السفينة شكوا من ذلك الى نوح فأوحى الله اليه أن اعصر ذنب الفيل فلما عصره وقع منه خنزير وخنزيره فصارا يأكلان الروث ثم خلق الله من عطسة الخنزير فأرا وفأرة ثم تناسل الفيران فصاروا يقرضون فى جوانب السفينة فشكا أهل السفينة من ذلك فسلط على الفيران النانير وهى القطط فصاروا يأكلونها أكلا ذريعا حتى أفنوها عن آخرها فمن ذلك اليوم صارت العداوة بين القطط والفأر قال ابن وصيف شاه لم يكن فى ملوك مصر أغنى من سور يد ومما وقع له أنه رأى فى منامه قبل وقوع الطوفان بثلاثمائة سنة كأن السماء قد انقلبت على الأرض حتى

صارت كالجوبة وكأن الكواكب قد تساقطت والشمس والقمر قد قربا من العالم ورأى طيورا بيضاء تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين وكأن الدنيا سوداء مظلمة وكأن الناس قد اجتمعوا عليه من صعيد واحد وهم يستجيرون به فلما رأى ذلك استيقظ من منامه وهو مرعوب خائف فلما أصبح استدعى الكهنة وهم مائة رجل وكانوا لا يقضون أمرا إلا بالنجوم والطوالع فاختلى بهم وقص عليهم الرؤيا فقالوا ان رؤياك سماوية يهلك بها جميع العالم وجميع من على وجه الأرض فقال لهم الملك خذوا الاتفاع من الكواكب فلما نظروا فى ذلك قالوا وجدنا القمر فى برج السرطان وهو مقارب للسماك فيكون الهلاك فى أمر من طوفان وان هذه الآفة مائية سماوية فقال لهم انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا له نعم تأتى اليها وتقيم البلاد خرابا مدة طويلة فقال لهم الملك انظروا هل تعود بلادنا عامرة أحسن مما كانت عليه قالوا نعم تعود أحسن مما كانت عليه فعند ذلك أمر سوريد ببناء هذه الأهرام وقد جعل أساسها مقدار ارتفاعها عن الأرض وقال نجعلها نواويس لنا وقبورا لأجسادنا ثم نقل اليها أشياء كثيرة من الأموال والجواهر وآلات السلاح والتماثيل العجيبة والأوانى الغريبة التى هى من سائر المعادن وكتب عليها الطلاسم والعلوم الفلكية التى تخبر بما سيحدث من الامور الى آخر الزمان ومن يملك البلاد من الملوك المسلمين والكافرين وأخبرت الكهنة أن هذا الطوفان لا يقيم كثيرا على وجه الأرض بل نحو أربعين يوما فبنى الاهرام وحبس فيها الهواء بتقدير وتدبير الحكمة وادخر ما ذكرناه من الأموال وغير ذلك وقال ان كنا ننجو من هذا الطوفان نعود الى ملكنا فنجد أموالنا كما هى باقية وان متنا فتكون هذه الاهرام قبورا لأجسادنا حرزا تصونها من البلى فصنع كل واحد من وزرائه وحكمائه وأرباب دولته هرما لتكون حرزا لأجسادهم من الطوفان قال المسعودى فى مروج الذهب ان فى كل هرم منها سبع بيوت على عدد الكواكب السيارة وفى تلك البيوت عدة أصنام من الذهب مرصعة بالجواهر الفاخرة وفى آذانهم درر قدر بيضة الدجاج وفى كل هرم ناووس من الرخام الاخضر وفيه جثة صاحبه مطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وترجمته ومدة ملكه وذكروا أن لهذه الاهرام مكانا ينفذ الى صحراء الفيوم وهى على مسيرة يومين من الاهرام ومما حكى عن الشهاب الحجازى قال خرجنا من الجامع الأزهر أحد عشر نفرا فى طلب الاهرام وكان معنا عدة سلب طوال على حمار فلما وصلنا الى الأهرام دخلنا الى الهرم الكبير المفتوح ووقفنا على رأس البئر الذى به فتجرد منا شخص وكان يدعى الشجاعة فربطناه من وسطه بسلبة من تلك السلب التى معنا وأدليناه فى البئر فنفد السلب الذى معنا جميعه ولم ينته الى قعر البئر فربطنا فى السلب شاش عمائمنا فانقطع الشاش فهوى الشخص الى قعر البئر ولم نعلم له خبرا فرجعنا متأسفين عليه وخائفين على أنفسنا بسببه فدخلنا فى خفية الى القاهرة ولم نعلم أحدا من الناس بحالنا فبينما نحن فى الجامع بعد مضى أسبوع واذا نحن بصاحبنا الذى سقط فى البئر قد دخل علينا وهو فى غاية الغضب فلما دخل فى باب الجامع وقرب منا سقط بيننا وغشى عليه فلما أفاق استحكيناه عما كان من أمره بعد سقوطه فى البئر فقال لما انتهى بى السقوط نزلت على علية أعطتنى ليانة فقد حت بالزناد الذى كان معى وأوقدت شمعة ومشيت فى ذلك فوجدت من زبل الوطاويط شيئا كثيرا ورأيت أشخاصا وأشباحا طوالا واقفين على عكاكيز فقربت من واحد منهم وهززته فانقض الى الأرض هباء منثورا فأخذت عكازته من يده ومشيت فاذا أنا بباب أمامى ودهليز فأخذت أمشى فى ذلك الدهليز وقد زادنى الخوف والفزع ووجدت هناك عظاما بالية ورؤسا وجماجم كبارا على". <بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٥٧>

١٧٩-"قدر البطيخ الكبير وبينما أنا أمشى فى ذلك الدهليز واذا بشئ يمشى قدامى فتأملته فاذا هو ثعلب فتبعته حتى خرج من ثقب فرأيت منه ضوء الدنيا فأردت أن أخرج منه فلم أستطع فحفرت بتلك العكازة التى معى فاتسع ذلك الثقب قليلا فخرجت فلما رأيت نفسى على وجه الأرض وقعت مغشيا على فلم أدر أين أنا من البلاد واذا أنا بانسان يقول قم أيها الرجل فان القفل راح وخلاك فقلت أى مكان أنا فيه. قال فى صحراء الفيوم فقمت وركبت مع القفل وكنت لما خرجت من الثقب وجدت العكازة التى معى ذهبا جيدا فلما أغمى على فقدتها واختفى عنى ذلك المكان الذى خرجت منه فتحيرت من ذلك واذا بقائل يقول لا تطمع فى عود العكازة اليك فتوجهت صحبة القفل ودخلت القاهرة انتهى قال أبو الريحان البيروتى فى كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية ان الهرم الكبير الشرقى موكل به صنم من جزع أبيض وأسود له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسى من ذهب وبيده حربة فاذا دنا منه أحد صوت عليه صوتا عاليا فيخرج الذى يدنو منه على وجهه ولا يبرح عنه حتى يموت مكانه والهرم الغربى موكل به صنم من حجر الصوان وهو جالس على كرسى من ذهب وعلى رأسه شبه حية وقد تطوق بها فمن دنا منه وثبت عليه تلك الحية وتطوقت على عنقه حتى تقتله ثم تعود الى مكانها والهرم الصغير المكسو بحجر الصوان موكل به صنم من حجر البهت فمن نظر اليه يجذبه حتى يلتصق به فلا يبرح عن مكانه حتى يموت. قال المسعودى لما فرغ سوريد من عمارة تلك الأهرام وكل بها جماعة من الروحانيين وذبح لها الذبائح لتمنع من أرادها بسوء فوكل بالهرم الشرقة غلاما أمرد مصفر اللون. وهو عريان وله أسنان كبار ووكل بالهرم الغربة امرأة عريانة بادية عن فرجها تضحك فى وجه الانسان حتى يدنو منها فتستهويه فيذهب عقله ووكل بالهرم الصغير الملون شخصا فى يده مبخرة وعليه ثياب الرهبان وهو يبخر حول هذا الهرم. وذكر جماعة من أهل الجيزة أنهم يرونه مرارا عديدة وهو يطوف حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس فاذا دنوا منه يغيب عنهم واذا بعدوا عنه يظهر لهم عن بعد. وأما ما نقله محمد بن عبد الكريم أن فى أحد هذين الهرمين قبر أخى ديمون وفى الآخر قبر هرمس. وكانا من حكماء اليونان وكان أخو ديمون أقدم من هرمس وكانت الصابئة يحجون اليها من أقطار الأرض ويحملون اليها الأموال الجزيلة على طريق النذر. وكان وراء هذه الأهرام من جهة الغرب أربعمائة مدينة عامرة غير القرى. وأما ما نقله أبو الحسن المسعودى فى مروج الذهب حيث قال ان سوريد لما فرغ من بناء هذه الأهرام كساها الديباج الملون من أعلاها الى أسفلها، وعمل لها عيدا يحضره أرباب دولة مدينته وكتب على جابنها هذا بناء سوريد بن شهلوق قد بناها فى ستين سنة فمن يدع قوة فى ملكه فليهدمها فى ستمائة سنة وان الهدم أيسر من البناء فهو الصحيح. وقيل ان الخليفة المأمون لما فتح الباب الذى فى الهرم الكبير وجد به قطعة من المرجان وهى كالوح وفيها مكتوب هذا بناء سوريد الى آخره كتابته بالقلم القديم. قال ولما دخل الأستاذ أبو الطيب مصر رأى الاهرام فأنشد يقول البطيخ الكبير وبينما أنا أمشى فى ذلك الدهليز واذا بشئ يمشى قدامى فتأملته فاذا هو ثعلب فتبعته حتى خرج من ثقب فرأيت منه ضوء الدنيا فأردت أن أخرج منه فلم أستطع فحفرت بتلك العكازة التى معى فاتسع ذلك الثقب قليلا فخرجت فلما رأيت نفسى على وجه الأرض وقعت مغشيا على فلم أدر أين أنا من البلاد واذا أنا بانسان يقول قم أيها الرجل فان القفل راح وخلاك فقلت أى مكان أنا فيه. قال فى صحراء الفيوم فقمت وركبت مع القفل وكنت لما خرجت من الثقب وجدت العكازة التى معى ذهبا جيدا فلما أغمى على فقدتها واختفى عنى ذلك المكان الذى خرجت منه فتحيرت من ذلك واذا بقائل يقول لا تطمع فى عود العكازة اليك فتوجهت صحبة

القفل ودخلت القاهرة انتهى قال أبو الريحان البيروتى فى كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية ان الهرم الكبير الشرقى موكل به صنم من جزع أبيض وأسود له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسى من ذهب وبيده حربة فاذا دنا منه أحد صوت عليه صوتا عاليا فيخرج الذى يدنو منه على وجهه ولا يبرح عنه حتى يموت مكانه والهرم الغربى موكل به صنم من حجر الصوان وهو جالس على كرسى من ذهب وعلى رأسه شبه حية وقد تطوق بها فمن". <بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٥٨>

١٨٠-"دنا منه وثبت عليه تلك الحية وتطوقت على عنقه حتى تقتله ثم تعود الى مكانها والهرم الصغير المكسو بحجر الصوان موكل به صنم من حجر البهت فمن نظر اليه يجذبه حتى يلتصق به فلا يبرح عن مكانه حتى يموت. قال المسعودى لما فرغ سوريد من عمارة تلك الأهرام وكل بها جماعة من الروحانيين وذبح لها الذبائح لتمنع من أرادها بسوء فوكل بالهرم الشرقة غلاما أمرد مصفر اللون. وهو عريان وله أسنان كبار ووكل بالهرم الغربة امرأة عريانة بادية عن فرجها تضحك فى وجه الانسان حتى يدنو منها فتستهويه فيذهب عقله ووكل بالهرم الصغير الملون شخصا فى يده مبخرة وعليه ثياب الرهبان وهو يبخر حول هذا الهرم. وذكر جماعة من أهل الجيزة أنهم يرونه مرارا عديدة وهو يطوف حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس فاذا دنوا منه يغيب عنهم واذا بعدوا عنه يظهر لهم عن بعد. وأما ما نقله محمد بن عبد الكريم أن فى أحد هذين الهرمين قبر أخى ديمون وفى الآخر قبر هرمس. وكانا من حكماء اليونان وكان أخو ديمون أقدم من هرمس وكانت الصابئة يحجون اليها من أقطار الأرض ويحملون اليها الأموال الجزيلة على طريق النذر. وكان وراء هذه الأهرام من جهة الغرب أربعمائة مدينة عامرة غير القرى. وأما ما نقله أبو الحسن المسعودى فى مروج الذهب حيث قال ان سوريد لما فرغ من بناء هذه الأهرام كساها الديباج الملون من أعلاها الى أسفلها، وعمل لها عيدا يحضره أرباب دولة مدينته وكتب على جانبها هذا بناء سوريد بن شهلوق قد بناها فى ستين سنة فمن يدع قوة فى ملكه فليهدمها فى ستمائة سنة وان الهدم أيسر من البناء فهو الصحيح. وقيل ان الخليفة المأمون لما فتح الباب الذى فى الهرم الكبير وجد به قطعة من المرجان وهى كالوح وفيها مكتوب هذا بناء سوريد الى آخره كتابته بالقلم القديم. قال ولما دخل الأستاذ أبو الطيب مصر رأى الاهرام فأنشد يقولنا منه وثبت عليه تلك الحية وتطوقت على عنقه حتى تقتله ثم تعود الى مكانها والهرم الصغير المكسو بحجر الصوان موكل به صنم من حجر البهت فمن نظر اليه يجذبه حتى يلتصق به فلا يبرح عن مكانه حتى يموت. قال المسعودى لما فرغ سوريد من عمارة تلك الأهرام وكل بها جماعة من الروحانيين وذبح لها الذبائح لتمنع من أرادها بسوء فوكل بالهرم الشرقة غلاما أمرد مصفر اللون. وهو عريان وله أسنان كبار ووكل بالهرم الغربة امرأة عريانة بادية عن فرجها تضحك فى وجه الانسان حتى يدنو منها فتستهويه فيذهب عقله ووكل بالهرم الصغير الملون شخصا فى يده مبخرة وعليه ثياب الرهبان وهو يبخر حول هذا الهرم. وذكر جماعة من أهل الجيزة أنهم يرونه مرارا عديدة وهو يطوف حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس فاذا دنوا منه يغيب عنهم واذا بعدوا عنه يظهر لهم عن بعد. وأما ما نقله محمد بن عبد الكريم أن فى أحد هذين الهرمين قبر أخى ديمون وفى الآخر قبر هرمس. وكانا من حكماء اليونان وكان أخو ديمون أقدم من هرمس وكانت الصابئة يحجون اليها من أقطار الأرض ويحملون اليها الأموال الجزيلة على طريق النذر. وكان وراء هذه الأهرام من جهة الغرب أربعمائة مدينة

عامرة غير القرى. وأما ما نقله أبو الحسن المسعودى فى مروج الذهب حيث قال ان سوريد لما فرغ من بناء هذه الأهرام كساها الديباج الملون من أعلاها الى أسفلها، وعمل لها عيدا يحضره أرباب دولة مدينته وكتب على جانبها هذا بناء سوريد بن شهلوق قد بناها فى ستين سنة فمن يدع قوة فى ملكه فليهدمها فى ستمائة سنة وان الهدم أيسر من البناء فهو الصحيح. وقيل ان الخليفة المأمون لما فتح الباب الذى فى الهرم الكبير وجد به قطعة من المرجان وهى كالوح وفيها مكتوب هذا بناء سوريد الى آخره كتابته بالقلم القديم. قال ولما دخل الأستاذ أبو الطيب مصر رأى الاهرام فأنشد يقول

أين الذى الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتصدع

وأما ما قالت الشعراء فى وصف الاهرام فمن ذلك قول القائل

انظر الى الهرمين واسمع منهما ... مايرويان عن الزمان الغابر

وانظر الى سير الليالى فيهما ... نظرا بعين القلب لا بالناظر

لوينطقان لخبرانا بالذى ... فعل الزمان بأول وبآخر

وقال آخر:". <بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٥٩>

١٨١-"انتهى ومن هنا نرجع الى ما كنا فيه قال ثم أوحى الله الى نوح يانوح اذا فار التنور من بيت ابنك سام فاركب فى السفينة. وكان سام أكبر أولاده وهو يومئذ ابن ثلثمائة سنة. وكان متزوجا بإمرأة تسمى رحمة فجاء نوح الى بيت ابنه سام وقال يارحمة ان مبدأ الطوفان يكون من هذا التنور الذى تخبزين فيه فاذا رأيت التنور قد فار فأسرعى الى من وقتك وأخبرينى وكان هذا التنور من حجر أسود فلما كان يوم الجمعة لعشر مضين من رجب كانت رحمة تخبز فى التنور فلما كان آخر رغيف واذا بالماء قد فار وهو قوله تعالى (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور) الآية فلما رأت رحمة ذلك صاحل الله أكبر قد جاء ما وعد الله به من العذاب وقد صدق نبى الله نوح فبادرت رحمة الى نوح وأخبرته بفوران التنور فقال نوح لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وكان نوح قد جهز ما كان يحتاج اليه فى السفينة حتى علف الدواب والطير فلما أعلمته رحمة بذلك أتى الى بيت ابنه سام فرأى الماء يفور من التنور قد ملأ صحن الدار وهو يخرج من الباب كانهر العظيم فلما رأى ذلك توجه الى السفينة وهو ينادى ياقوم النجاة النجاة فأتوا الى السفينة وكانت عدتهم أربعين امرأة وأربعين رجلا ثم ان نوحا قال لابنه كنعان (اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين). وقد أخبر الله عنه انه غير صالح. قال وهب بن منبه ان كنعان بن نوح غرق قبل أن يصل الى الجبل قال ابن عباس لما فار التنور فتحت أبواب السماء بالمطر من غير سحاب وأظلمت الدنيا ظلمة شديدة فكانت ملائكة الغضب تضرب بأجنحتها على وجه الشمس فكانت السماء تقول لولا الحد الذى حده الله تعالى لغاض الماء الى الأرض السابعة وكان الرجل يمشى فى الطرقات والماء ينبع من تحت رجليه وكانت المرأة قائمة فى بيتها فينبع الماء من تحتها وهو يفور ويغلى كغليان القدور وصار الماء ينبع من سائر أقطار الأرض فلما فار الماء فى مدينة أمسوس وكانت يومئذ كرسى مملكة الملك سوريد وسمع صريخ العالم ركب فى عظماء قومه ووقف على جبل عال ليرى أحوال الناس

وهو متفكر فى هذا الماء فلم يشعر إلا والماء يفور من تحت حافر فرسه فرجع الى قصره فما صار فى قصره إلا والماء صار له موج عظيم كالجبال وما بقى بظهر الأرض من شئ. قال وهب بن منبه كان مبدأ الطوفان من الكوفة وبها فار التنور. وأما نوح فانه ركب السفينة هو وأهله وقد تقدم ذكر ذلك. ويروى أن عوج بن عنق لما رأى هذه الأهوال أتى الى السفينة ووضع يده عليها فقال له نوح ما تريد ياعدو الله فقال له عوج لا بأس عليك يانبي الله دعنى أمش مع السفينة حيث مشت فأضع يدى عليها وأستأنس بها من الفزع وأسمع تسبيح الملائكة فأوحى الله الى نوح لا تخش من عوج ودعه يمش مع السفينة حيث سارت ثم ان نوحا أغلق أبواب السفينة (وقال اركبو فيها بسم الله مجريها ومرساها) فصارت تمشى بهم بين أمواج كالجبال وقد قال الله تعالى (انا لما طغى الماء حملناكم فى الجاية). ويروى أن الله تعالى لما أرسل الطوفان رفع البيت المعمور الذى كان أنزله فى زمن آدم وكان من ياقوتة حمراء فلما طغى الماء رفعه الله تعالى الى السماء. وسمى البيت المعمور العتيق لأنه صار عتيقا من الطوفان فلما سارت السفينة أتت الى مكان الكعبة وطافت به سبعا ثم أتت الى مكان بيت المقدس فزارته وكانت السفينة لا تمر بنوح على مكان حتى تنادى يانوح هذا مكان كذا وكذا فطافت به من المشرق الى المغرب وكان حول السفينة تسعون ألف ملك يحفضونها من العذاب المنزل فكانت تجرى فى الماء كجرى القمر فى الفلك فلم تكن الا ساعة يسيرة حتى ارتفع الماء فوق رؤس الجبال مقدار أربعين ذراعاوعم الأرض والجبال ولم يبق على وجه الأرض ذو روح غير أهل السفينة وعوج بن عنق إلا هلك ولم تبق مدينة ولا قرية الا خربت ولم يبق أثر إلا الأهرام والبرابى فنها كانت محكمة البناء ومن النوادر الغريبة ما رواه الثعلبي فى أخبار الطوفان ان إمرأة حملت ولدا صغيرا مرضعا ولم يكن فى القوم من الاطفال غيره فلما ارتفع الماء حملت ابنها على عنقها وهربت وصعدت الى جبل عال لتعتصم به من الماء فلما غشيها الماء حملت ابنها على عنقها فلما بلغ الماء فمها رفعته بيدها الى أعلى رأسها فلما غمرها". <بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٦١>

١٨٢-"وبها الأهرام القديمة المعجزة البناء الغريبة المنظر البديعة الإنشاء كأنها القباب المضروبة قامت في جو السماء، ولا سيما الاثنان منها يقصر الجو بهما سموا واتساعا ارتفاعها مائة ذراع بالذراع الكبيرة من أحد أركانها إلى الركن الثاني ثلاثمائة خطوة وست وستون خطوة وأقيمت من الصخر العظام تركيبها بديع الإلصاق، وهي محدودة الأطراف لا سبيل إلى الصعود إليها إلا على خطر ومشقة فتلقى أطرافها المحدودة كأوسع ما يكون بين الرحاب لو رام أهل الأرض بناءها لا عجزهم ذلك وبها كان يجعل الطعام في أيام يوسف عليه السلام، وعلى النيل رجل مبني من صخرة فيه علامات لخروج النيل في زيادته ونقصانه وقد وكل به قوم يتعاهدونه فإذا خرج سقى جميع ضياعهم ومزارعهم وهم يزرعون على ذلك السقي ولا يحتاج زرعهم إلى سقي آخر بقدرة السميع العليم، ومخرج النيل من جبل القمر ولا يكاد يتوصل إليه أحد لبعد المشقة وطول المسافة وفي كتاب الاكتفاء ما نصه، وكان عمرو بن العاص يقول ولآية مصر جامعة تعدل الخلافة وقال نيل مصر سيد الأنهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فإذا أراد الله أن يجريه أمر الأنهار فأمدته بمائها وفجر له الأرض عيونا فإذا انتهت جريته إلى ما أراد الله سبحانه أوحى كل ماء ان يرجع إلى عنصره انتهى، ثم جلنا من مصر في أعظم المصر، وحللنا منها اكرم المحل واسنى القطر، واجتليناها أوضح من البدر عند الفجر وأعطر من الزهر غب القطر فنسي كل ذي غربة وطنه وود ان لو قطع فيها عمره وزمنه وكفاك منها قول القائل:

لعمرك ما مصر بمصر وإنما ... هي الجنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان والحور عينها ... وروضتها الفردوس والنيل كوثر". <تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ص/٣٤>

١٨٣-"وفيها توفي صاحب خلاط بدر الدين أقسنقر هزارديناري وقد تقدم ذكر ملكه الخلاط في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ولما توفي هزارديناري استولى على خلاط بعده خشداشه قتلغ وكان مملوكا أرمني الأصل من سناسنة فملك خلاط نحو سبعة أيام ثم اجتمع عليه الناس وأنزلوه من القلعة ثم وثبوا عليه فقتلوه فلما قتل قتلغ اتفق كبراء الدولة فأحضروا محمد بن بكتمر من القلعة التي كان معتقلا فيها واسمها أرزاس وأقاموه في مملكة خلاط ولقبوه الملك المنصور وقام بتدبير أمره شجاع الدين قتبز الدوادار وكان قتلغ المذكر قفجاقي الجنس دوادار الشاهر من سكمان بن إبراهيم واستقر ابن بكتمر كذلك إلى سنة اثنتين وستمائة فقبض على أتابكه قتلغ المذكور وحبسه ثم قتله فخرج عليه مملوك شاهرمن يقال له عز الدين بلبان فاتفق العسكر مع بلبان المذكور وقبضوا على محمد بن بكتمر وحبسوه ثم خنقوه ورموه من سور القلعة إلى أسفل وقالوا : وقع واستمر بلبان في مملكة خلاط دون سنة وقتله بعض أصحاب طغريل بن قليج أرسلان شاه صاحب أرزن وقصد طغريل المذكور أن يتسلم خلاط فلم يجبه أهلها إلى ذلك وعصوا عليه فعاد إلى أرزن ثم وصل الملك الأوحد أيوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وتسلم خلاط وملكها قريب ثمان سنين حسبما ذكر ذلك في سنة أربع وستمائة إن شاء الله تعالى .
ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة
ذكر وفاة العزيز صاحب مصر
في هذه السنة في منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان قد طلع إلى الصيد فركض خلف ذئب فتقنطر وحم سابع المحرم في جهة الفيوم فعاد إلى الأهرام وقد اشتدت حماه ثم توجه إلى القاهرة فدخلها يوم عاشوراء وحدث به يرقان وقرحة في المعا واحتبس طبعه فمات في التاريخ المذكور .
". <تاريخ أبي الفداء ٢/٣٥٠>

١٨٤-"وفيها في شوال الموافق لتشرين الثاني شرعت في عمارة القبة وعمل المربع والحمام على ساقية نخيلة بظاهر حماة وفرغت العمارة في المحرم من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وجاء ذلك من أنزه الأماكن .
وفيها أو في أواخر سنة تسع عشرة وسبعمائة جرى بين الفرنج الجنويين قتال شديد وذلك بين قبيلتين منهم يقال لإحدى القبيلتين إسبينيا وللأخرى دوريا حتى قتل منهم ما ينيف عن خمسين ألف نفر وكان إحدى القبيلتين أصحاب داخل جنوة والأخرى أصحاب خارج البلد إسبينيا - بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة من تحتها وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح ياء مثناة من تحتها .
وفي آخرها ألف مقصورة - ودويار - بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الراء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وفي

آخرها ألف والله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

فيها في مستهل جمادى الأولى توفيت بحماة فاطمة خاتون بنت الملك المنصور صاحب حماة وكانت كثيرة الإحسان .

وفيها عدى مهنا بن عيسى الفرات وتوجه إلى أبي سعيد ملك التتر مستنصرا به على وفيها حضر رسول تمرتاش بن جوبان المستولي على بلاد الروم بتقدمة إلى الأبواب الشريفة بديار مصر .

وفيها ورد مرسوم السلطان على مؤلف الأصل يأمره الحضور ليسير معه في صيوده قال أفسرت من حماة على البريد وسبقت تقدمتي وحضرت لدى المواقف الشريفة وهو نازل بالقرب من قليوب فبالغ في إدرار الصدقات علي .

وفيها رحل السلطان من الأهرام وسار في البرية متصيدا حتى وصل إلى الحمامات وهي غربي الإسكندرية على مقدار يومين ثم عاد إلى القاهرة .

وفيها دخل تمرتاش المذكور بعسكره إلى بلاد سيس وأغار وقتل فهرب صاحب سيس إلى قلعة إياس التي في البحر وأقام تمرتاش ينهب ويخرب نحو شهر ثم عاد إلى بلاد الروم .

وفيها عاد مؤلف الأصل من الخدمة الشريفة إلى حماة .

". <تاريخ أبي الفداء ٣/١٩٥>

١٨٥-"وفيها وصل مؤلف الأصل تغمده الله برحمته إلى خدمة السلطان قال أوسرت في خدمة السلطان إلى الأهرام وحضر هناك رسول صاحب برشلونة وهو أحد ملوك الفرنج بجهات الأندلس فقبل السلطان هديتهم وأنعم عليه أضعاف ذلك ثم رحل من الأهرام وتوجه إلى الصعيد الأعلى وأنا معه إلى أن وصلنا دندرة وهي عن قوص مسيرة يوم وعدنا إلى القاهرة .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

فيها عاد الملك المؤيد إلى حماة من خدمة السلطان بعد أن غمره بالأنعام والعطايا .

فيها جدبت الأرض بالشام من دمشق إلى حلب وانحبس القطر ولم ينبت شيء من الزراعات إلا القليل النادر واستسقى الناس في هذه البلاد فلم يسقوا وأما السواحل التي من طرابلس إلى اللاذقية وجبل اللكام فإن الأمطار مازالت تقع في هذه النواحي فاستوت زراعاتهم .

وفيها مات قاضي القضاة الشافعي بدمشق المعروف بابن صقر وهو نجم الدين أحمد وولى مكانه جمال الدين المعروف بالزرعي .

وفيها عزل السلطان كريم الدين بن عبد الكريم عن منصبه واستعاد منه ما كان عنده من الأموال وأرسله إلى الشوبك فأقام بها وولى مكانه أمين الملك عبد الله .

وفيها رسم السلطان لمؤلف الأصل أن لا يرسل قوده نظرا في حاله بسبب محل البلاد فأرسلت عدة يسيرة من الخيل التي كنت حصلتها فتصدق علي بتشريف كامل على عادتي وستين قطعة إسكندري وخمسين ألف درهم وألف مكوك حنطة .

وفيهما حضرت رسل أبي سعيد ملك التتر ورسل نائبه جوبان وتوجهوا إلى الأبواب الشريفة بالقاهرة ثم عادوا إلى بلادهم .
وفيها وصلت الملكة بنت أبغا واسمها قطلو وفي خدمتها عدة كثيرة من التتر وتوجهت إلى الحج ورسم السلطان ورتب لها في الطرقات الإقامات الوافرة .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة

فيها تقدم السلطان بإبطال المكوس والضرائب عن سائر أصناف الغلة بجميع الشام فأبطل وكان ذلك جملة تخرج عن الإحصاء .

". <تاريخ أبي الفداء ٣/١٩٧>

١٨٦-"ذكر خروج السلطان إلى عند الأهرام ثم عدى السلطان إلى الجيزة ونزل عند الأهرام واستحضر هناك رسل أبي سعيد ووصلوا مبشرين بهروب جوبان ونصرة أبي سعيد عليه واستقراره في الملك وأنه مقيم على الصلح والمحبة وقصدوا من السلطان استمرارالصلح فاستحضر السلطان الرسل عند الأهرام في الدهليز الشريف وكان الدهليز جميعه جتره وشقته من أطلس معدني ونخ مذهب عال وكان ذلك يوم الأحد ثامن وعشرين لمحرم وثلاث عشر كانون الأول وكان الرسل ثلاثة نفر كبيرهم شيخ كأنه كردي الأصل يسمى أرش بغا والثاني أياجي والثالث برجا قرابة الأمير بدر الدين جنيكي وكان يوما مشهودا وأنزل السلطان الرسل في خيمة أعدها السلطان لهم وأدر السلطان عليهم الإنعامات الوافرة وبالغ في الإحسان إليهم ثم إنه سفرهم وأنعم على كل من في صحبتهم من أتباعهم وكانوا نحو مائة نفر وسافر الرسل المذكورون من تحت الأهرام يوم الأربعاء مستهل صفر ودخلوا القاهرة وتوجهوا منها عائدين إلى أبي سعيد وهم مغمورون بصدقات السلطان ثم إن السلطان دخل إلى القلعة يوم الأحد ثاني عشر صفر وكانت غيبته نحو خمسة وثلاثين يوما ثم خرجنا إلى سرياقوس يوم الخميس سلخ صفر وفي يوم الجمعة غد النهار المذكور خلع علي وعلى ابني محمد تشاريف حسنة فوق العادة وكذلك أوصلنا بالحوائص الذهب المجوهرة وبالقماش الفاخر مما يعمل للخاص الشريف بدار الطراز بالإسكندرية ووصلني من الصناقر والصقور والشواهين عدة كثير ثم وصلني بعد ذلك كله بثلاثة آلاف دينار مصرية ورسم لي بالدستور والعود إلى بلادي فودعته عند بحر ابن منجا يوم السبت ثاني ربيع الأول وسرت حتى دخلت حماة يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني وعشرين ربيع الأول من هذه السنة الموافق الخامس شباط .

". <تاريخ أبي الفداء ٣/٢٠٦>

١٨٧-"فكما عنيت فاطمة بجامع القرويين خير عناية فقد عنيت الأخيرة بالجامع الآخر لفاس (جامع الاشياخ) فجددت عمارته، وأنفقت عليه من إرثها من أبيها الشيء الكثير، لتبرهن على أصالة المرأة المسلمة وثمار حسن تربيتها اليافعة.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

في أيام بني زناته:...

وظل جامع القرويين بفاس على ما بنته السيدة فاطمة الفهرية، ردحا من الزمن إلى أن زالت دولة الادارسة من المغرب، وقامت دولة بني زناتة، وتوطد حكمهم، فكان مما عملوه أن الأمير أحمد ابن أبي بكر وسع الجامع من الشرق مسافة خمسة عقود، ومن الشمال مسافة أربعة عقود فأعطت هذه الزيادة لجامع القرويين مزيدا من الاتساع والجمال.

إضافة إلى أن هذا الأمير أعاد بناء المئذنة الجميلة فأصبح كل ضلع من أضلاعها نحو خمسة أمتار، وارتفاعها أربعة أمثال قاعدتها أي حوالي عشرين مترا، وجعل بابها من جهة الجنوب، وبناها من الحجر المنحوت المحكم وركب على رأسها فوق القبة التي تختم المئذنة تفاحات حجرية صغيرة مموهة بالذهب تنتهي تبركا بسيف الإمام ادريس الثاني الذي أنشأ عدوة القرويين وكساها بالقاشاني فاكتسبت جمالا يأخذ بالألباب.

الدور المريني:

وقد أعيد ترميم هذه المئذنة وتجديدها عام ٦٨٨هـ على يد السلطان المريني أبي يعقوب يوسف بن عبدالحق، الذي أمر قاضيه على فاس أبا عبدالله بن أبي الصبر بإصلاحها وتبييضها من أموال أعشار الروم، فأتقن هذا القاضي كسوتها بالجص والجيار وسمر المسامير الكبيرة بين أحجارها ليثبت التلبيس والبناء، ثم صقلها بعد ذلك حتى أصبحت كالمرآة المصقولة لمعانا وملاسة.

كما أتقن نوافذ المئذنة المتخذة فيها لإنارة داخلها، وزينها بشرافات على هيئة الأهرام حتى غدت عروسا مجلية على علو شاهق وسط فاس الجميلة.

وجهود طيبة للمرابطين:". <تاريخ المساجد الشهيرة ص/١٠٧>

١٩٠-"... وقال جماعة من أهل التاريخ : الذي بنى الأهرام سوريد بن سلهوق (١) ، وكان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة ، وسبب ذلك أنه رأى في منامه كأن الأرض انقلبت بأهلها ، وكأن الناس هاربون على وجوههم ، وكأن الكواكب تساقطت ، ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة ؛ فأغمه ذلك ، وكتمه ، ثم رأى بعد ذلك كأن الكواكب الثابتة نزلت إلى الأرض في صور طيور بيض ، وكأنها تخطف الناس ، وتلقيهم من جبلين عظيمين ، وكأن الجبلين انطبقا عليهم ، وكأن الكواكب النيرة مظلمة ؛ فانتبه مرعوبا ، فجمع رؤوس الكهنة من جميع أعمال مصر ، وكانوا مائة وثلاثين كاهنا ، وكبيرهم يقال له أفليمون ، فقص عليهم الرؤيا ، فأخذوا [في] (٢) ارتفاع الكواكب، وبالغوا في / استقصاء ذلك ، فأخبروا بأمرالطوفان ٢أ قال : أويلحق أرضنا هذا ؟ قالوا : نعم ، وتخرب ، وتبقى عدة سنين ، فأمر عند ذلك ببناء الأهرام ، وأمر بأن يعمل لها مسارب ، يدخل منها النيل إلى مكان بعينه ، ثم يفيض إلى مواضع من أرض المغرب ، وأرض الصعيد ، وملأها طلسمات ، وعجائب ، وأموالا وخزائن ، وغير ذلك ، وزبر فيها جميع ما قالته الحكماء ، وجميع العلوم النافعة الغامضة ، والنواميس ، وأصناف العقاقير ومنافعها ومضارها ، وعلم الطلسمات ، والحساب ، والهندسة ، والطب ، وكل

ذلك مفسر لمن يعرف كتابتهم ولغاتهم ، فلما أمر ببنائها قطعوا الاسطوانات العظام ، والبلاطات الهائلة ، وأحضروا الصخور من ناحية أسوان، فبنى بها أساس الأهرام الثلاثة ، وشدها بالرصاص والحديد ، وجعل أبوابها تحت الأرض أربعين ذراعا ، وجعل ارتفاع كل واحد مائتي ذراع بالملكي ، وهي خمسمائة ذراع بذراعنا الآن ، وجعل ضلع كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع ، وكان ابتدأ بناءها في طالع سعيد ، فلما فرغ من

---

(١) في الروض المعطار : سهلون ، وفي نهاية الأرب : سهلوق ، وفي المستطرف سهراق بالقاف .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية". <تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/٢>

١٩١-"بنائها كساها ديباجا ملونا من فوق إلى أسفل ، وعمل لها عيدا أحضر فيه أهل مملكته كلهم ، ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا مملوءة بالأموال الجمة ، والألات ، والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة ، وآلات الحديد الفاخرة ، والسلاح الذي لا يصدأ ، والزجاج الذي ينطوي ، ولا ينكسر ، والطلسمات الغريبة ، وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة ، والسموم القاتلة ، وغير ذلك / وجعل في الهرم الشرقي ٢ ب أصناف القباب الفلكية ، والكواكب ، وما عمل أجداده من القباب والتماثيل والدخن التي يتقرب بها إليها ومصافحها ، وجعل في الهرم الملون (١) أخبار الكهنة في توابيت من صوان أسود ، ومع كل كاهن مصفحة ، وفيها عجائب صنعته ، وسيرته وعمله ، وما عمل في وقته ، وما كان ، وما يكون من [أول] (٢) الزمان إلى آخره ، وجعل لكل هرم خازنا ، فخازن الهرم الغربي صنم من حجر صوان واقف ، ومعه شبه حربة ، وعلى رأسه حية مطوقة من قرب منه وثبت عليه من ناحية قصده ، وطوقت على عنقه فتقتله ، ثم تعود إلى مكانها ، وجعل خازن الهرم الشرقي صنما من جزع أسود ، وله عينان براقتان ، وهو جالس على كرسي ، ومعه شبه حربة إذا نظر إليه ناظر سمع من جهته صوتا يفزع قلبه ، فيخر على وجهه ، ولا يبرح حتى يموت ، وجعل خازن الهرم الملون صنما من حجر البهت على قاعدة ، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلصق به ، ولا يفارقه حتى يموت .
وذكرالقبط في كتبهم أن عليها كتابة منقوشة ، تفسيرها بالعربية : أنا سوريد الملك ، بنيت الأهرام في وقت كذا وكذا ، وتممت بناءها في ست سنين ، فمن أتى بعدي ، وزعم أنه مثلي فليهدمها في ستمائة سنة ، وقد علم أن الهدم أيسر من البناء ، وكسوتها عند فراغها الديباج ، فليكسها الحصر .

---

(١) في معجم البلدان : الهرم المؤزر

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية .". <تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/٣>

١٩٢-"... ولما دخل الخليفة المأمون مصر ، ورأى الأهرام أحب أن يعلم ما فيها ، فأراد فتحها ، فقيل له : إنك لا تقدر على ذلك ، فقال : لا بد من فتح شيء منها، / ففتحت له الثلمة المفتوحة الأن بنار توقد ، وخل يرش، وحدادين ٣ أ يسقون الحديد ويحدونه (١) ، ومنجنيقات ، يرمى بها ، وأنفق عليها مالا عظيما ، حتى انفتحت ، فوجد عرض

الحائط عشرين ذراعا ، فلما انتهوا إلى آخر الحائط ، وجدوا خلف الثقب مطهرة من زبرجد أخضر فيها ألف دينار ، وزن كل دينار أوقية من أواقينا ، فتعجبوا من ذلك ، ولم يعرفوا معناه ، فقال المأمون : ارفعوا إلي حساب ما أنفقتم على فتحها ، فرفعوه ؛ فإذا هو قدر الذي وجدوه ، لا يزيد ولا ينقص ، ووجدوا داخله بئر مربعة في تربيعها [أربعة] (٢) أبواب ، يفضي كل باب منها إلى بيت فيه أموات بأكفانهم ، ووجدوا في رأس الهرم بيتا فيه حوض من الصخر ، وفيه صنم كالآدمي من الدهنج (٣) ، وفي وسطه إنسان عليه درع من ذهب ، مرصع بالجواهر ، وعلى صدره سيف لا قيمة له ، وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة ، ضوؤه كضوء النهار ، وعليه كتابة بقلم الطير ، لا يعلم أحد في الدنيا ما هي ، ولما فتحه المأمون أقام الناس سنين يدخلونه ، وينزلون [من الزلاقة التي] (٤) فيه [فمنهم من يسلم ، ومنهم من يموت] (٥) .

وعليهما (٦) جميع الأقلام السبعة : اليونانية ، والعبرانية ، والسريانية ، والسندية والحميرية والرومية والفارسية .

---

(١) في حسن المحاضرة : وحدادين يحدون الحديد ويحمونه .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية .

(٣) الدهنج: حصى أخضر تحلى به الفصوص؛ وفي التهذيب: تحك منه الفصوص، قال: وليس من محض العربية اللسان (دهنج)

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية .

(٦) أي على الهرمين .". <تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/٤>

١٩٣-"... وحكى من دخل الهرم أنه وجد فيه قبرا ، وأن فيه مهالك ، وربما خرج الإنسان في سراديب إلى الفيوم .

... وحكى بعض شيوخ مصر أن بعض من يعرف لسان اليونانية حل بعض الأقلام التي عليها ﷺ فإذا هي: (بنى هذا الهرمان ، والنسرالواقع في السرطان) . قال : / ومن ذلك الوقت إلى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ستة وثلاثون ٣ ب ألف سنة ، وقيل : اثنان وسبعون ألفا .

... ولما دخل أحمد بن طولون [مصر ، حفر على أبواب] (١) الأهرام فوجدوا في الحفر قطعة مرجان مكتوب عليها سطور باليونانية ، فأحضر من يعرف ذلك القلم ، فإذا هي أبيات شعر ، فترجمت ، فكان فيها :

أنا من بنى الأهرام في مصر كلها ومالكها قدما بها والمقدم

تركت بها آثار علمي وحكمتي على الدهر لا تبلى ولا تتثلم

وفيها كنوز جمة وعجائب وللدهر لين مرة وتهجم

وفيها علومي كلها غير أنني أرى قبل هذا أن أموت فتعلم

ستفتح أقفالي وتبدو عجائبي وفي ليلة في آخر الدهر تنجم

ثمان وتسع واثنتان وأربع وسبعون من بعد المئين فتسلم

ومن بعد هذا جزء تسعين برهة وتلقى البرابي صخرها وتهدم

تدبر فعالي في صخور قطعتها ستبقى وأفنى قبلها ثم تعدم

فجمع ابن طولون الحكماء وأمرهم بحساب هذه المدة ، فلم يقدروا على تحقيق ذلك ، فأيس من فتحها .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية". <تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/٥>

١٩٤-"... وقال صاحب مناهج الفكر (١) : ومن المباني التي يبلي الزمان ، ولا تبلى ، وتدرس معالمه وأخباره ، وأخبارها ومعالمها لا تدرس ولا تبلى ، الأهرام التي بأعمال مصر ، وهي أهرام كثيرة ، يقال إن بانيها سوريد بن سلهوق بن سرياق (٢) قبل الطوفان ؛ لرؤيا رآها ؛ فقصها على الكهنة ، فنظروا فيما تدل عليه الكواكب النيرة من أحداث تحدث في العالم، وأقاموا مراكزها في وقت المسيلة ، فدلت على أنها نازلة من السماء / تحيط بوجه الأرض ، فأمر حينئذ ببناء ٤ أ البرابي (٣)

---

(١) لمحمد بن إبراهيم بن يحيي بن علي الأنصاري جمال الدين الكتبي الأديب المشهور المعروف بالوطواط ولد في ذي الحجة سنة ٦٣٢ وكان أديبا ماهرا عارفا بالكتب وجمع مجامع أدبية وهو صاحب الرسائل المشهورة المعروفة بعين الفتوة ومرآة المروءة ، وله كتاب مناهج الفكر ومباهج العبر وكتاب الدرر والغرر وله حواش على الكامل لابن الأثير في التاريخ مفيدة . الدرر الكامنة / الموسوعة الشعرية .

(٢) في حسن المحاضرة : سهلوق بن شرقيان .

(٣) البرابي : هي بيوت حكمة القبط يقال أنه كان لكل كورة من كور مصر بربأة، يجلس فيها كاهن على كرسي من ذهب. ومن أعجب البرابي وأعظمها "بربأة إخميم". وهي مبنية بحجر المرمر، طول كل حجر خمسة أذرع في سمك ذراعين. وهي سبعة دهاليز، سقوفها حجارة، طول كل حجر منها ثمانية عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع، مدهونة باللازورد وسائر الأصباغ، يخالها الناظر إليها كأنما فرغ الدهان منها. يقال أن كل دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة. وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيئات والمقادير، يقال أنها رموز على علوم القبط، وهي: الكيمياء والسيمياء، والطلمسات، والطب. أودعوها هذه الصور. ويقال أن ذا النون المصري العابد فك منها علم الكيمياء. نهاية الأرب / الموسوعة الشعرية ..". <تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/٦>

١٩٥-"والأهرام العظام ، وصور فيها صور الكواكب ودرجها ، وما لها من الأعمال ، وأسرار الطبائع ، والنواميس ، وعمل الصنعة .

ويقال أن هرمس المثلث [الموصوف] (١) بالحكمة هو الذي يسميه العبرانيون أخنوخ ، وهو إدريس عليه السلام ، استدل

من أحوال الكواكب على كون الطوفان ، فأمر ببناء الأهرام ، وإيداعها الأموال ، وصحائف العلوم ، وما يخاف عليه من الذهاب والدثور .

... وكل هرم منها مربع القاعدة ، مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع ، وسبعة عشر ذراعا ، يحيط به أربعة سطوح (٢) متساويات الأضلاع ، كل ضلع منها أربعمائة ذراع ، وستون ذراعا ، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع في مثلها ، ويقال أنه كان عليه حجر شبه المكبة ، فرمته الرياح العواصف ، وهو مع هذا العظم من إحكام الصنعة ، وإتقان الهندسة ، وحسن التقدير ، بحيث [أنه لم يتأثر] (٣) إلى الآن بعصف الرياح ، وهطل السحاب ، وزعزعة الزلازل ، وهذا البناء ليس من حجارته ملاط إلا ما يتخيل أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين ، أو ورقة ، ولا يتخلل بينهما الشعرة ، وطول الحجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين .

ويقال إن بانيها جعل لها أبوابا على أدراج مبنية بالحجارة في الأرض ، طول كل حجر منها عشرون ذراعا ، وكل باب من حجر واحد ، يدور بلولب ، إذا أطبق لم يعلم أنه باب ، يدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت ، كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة ، وكلها مقفلة بأقفال كاهنية ، وحذاء كل بيت صنم من ذهب / مجوف ، إحدى يديه على فيه ، في جبهته ٤ ب كتابة بالمسند إذا قرئت انفتح فوه ، فيؤخذ منه مفتاح ذلك القفل ، فيفتح به .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية.

(٢) كتب : أربع سطحات ، وما أثبتناه من نهاية الأرب / الموسوعة الشعرية .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية". <تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/٧>

١٩٦-"والقبط تزعم أنها قبور ، فالهرم الشرقي قبر سوريد الملك ، والغربي قبر أخيه هوجيت ، والهرم الملون قبر أفريبون بن هوجيت .

والصابئة تزعم أن أحدها قبر شيت ، والأخر قبر هرمس (١) ، والملون قبر صاب بن هرمس ، وإليه تنسب الصابئة ، وهم يحجون إليها ، ويذبحون عندها الديكة والعجول السود ، ويبخرون بدخن .

ولما فتحه المأمون ، فتح إلى زلاقة ضيقة من الحجر الصوان الأسود الذي لا يعمل فيه الحديد ، بين حاجزين ملتصقين بالحائط ، قد نقر في الزلاقة [حفر] (٢) ، حتى يتمسك الصاعد بتلك الحفر ، ويستعين بها على المشي في الزلاقة لكيلا يزلق ، وأسفل الزلاقة بئر عظيم بعيدة القعر .

ويقال إن أسفل البئر أبواب يدخل منها إلى مواضع كثيرة، وبيوت ، ومخادع ، وعجائب .

وانتهت بهم الزلاقة إلى موضع مربع ، في وسطه حوض من حجر صلد مغطى ، فلما كشف عنه غطاؤه لم يجد فيه إلا رمة بالية .

وقال ابن فضل الله في المسالك : قد أكثر الناس من القول في سبب بناء الأهرام ، فقيل : هياكل للكواكب ، وقيل : قبور ومستودع مال وكتب ، وقيل ملجأ من الطوفان ، وقال وهو أبعد ما قيل فيها ؛ لأنها ليست شبيهة بالمساكن .

قال : كانت الصابئة تأتي فتحج بالواحد ، وتزور الآخر ، ولا تبلغ به مبلغ الأول في التعظيم .
قال: وأما أبو الهول فهو صنم بقرب الهرم الكبير في وهدة منخفضة ، وعنقه أشبه شيء برأس راهب حبشي ، على وجهه صباغ أحمر / لم يحل على طول الأزمان، يقال إنه طلسم يمنع الرمل عن المزارع (٣) . ٥ أ
قال : وسجن يوسف شمالي الأهرام على بعد منه ، في ذيل خرجه من جبل في طرف الحاجز (٤) .

---

(١) كتب : موسى ، وما أثبتناه من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية .
(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية
(٣) في المسالك : المزدرع .
(٤) في المسالك : الهاجر .". <تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/٨>

١٩٧-"وقال بعضهم : ذكر عبد الله بن سراقة [أنه] (١) لما نزلت العماليق مصر حين أخرجتها جرهم من مكة ، بنت الأهرام، واتخذت بها المصانع، وبنت بها العجائب ، ولم تزل بمصر إلى أن أخرجها مالك بن ذعر الخزاعي ، وقال سعيد بن عفير : لم تزل مشايخ مصر يقولون : الأهرام بناها شداد ، وكانوا يقولون بالرجعة ، فكان أحدهم إذا مات دفن معه ماله كله ، وإن كان صانعا دفن معه آلته .
وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : كان من وراء الأهرام إلى الغرب أربعمائة مدينة من مصر إلى الغرب في غربي الأهرام .
وقال ابن المتوج في كتابه من عجائب مصر : ما بجانبها الغربي من البنيان المعروف بالأهرام ، وعددها ثمانية عشرهرما منها ثلاثة بالجيزة مقابل الفسطاط .
ولما فتح المأمون أحدها انتهى إلى لوح مغطى بلوح من رخام مملوء من ذهب ، واللوح مكتوب فيه أسطر ، فطلب من يقرؤها فإذا فيه : عمرنا هذا الهرم في ألف يوم ، وأبحنا لمن يهدمه في ألفي يوم، والهدم أسهل من البنيان ، وجعلنا في كل جهة من جهاته من المال بقدر ما يصرف على الوصول إليه ، لا يزيد ولا ينقص .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من حسن المحاضرة / الموسوعة الشعرية .". <تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/٩>

١٩٨-"(من الطويل)
خليلي ما تحت السماء بنية تماثل في بنيانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفي في بديع بنائها ولم يتنزه في المراد بها فكري
... وقال ظافر الحداد (١) : (من الوافر)

تأمل هيئة الأهرام وانظر وبينهما أبو الهول العجيب

كعمار يبتن على رحيل لمحبوبين بينهما رقيب

وماء النيل بينهما دموع وصوت الريح عندهما نحيب

ودونهما المقطم وهو يحكي ركاب الركب أنزلها اللغوب

/ وظاهر سجن يوسف مثل صب تخلف وهو محزون كئيب ٦ب

... وقال ابن الساعاتي (٢) : (من الكامل)

ومن العجائب والعجائب جمة جاءت عن الإكثار والإسهاب

هرمان قد هرم الزمان وأدبرت أيامه وتزيد حسن شباب

لله أي بنية أزلية تبغي السماء بأطول الأسباب

وكأنما وقفت وقوف تبلد أسفا على الأيام والأحقاب

كتمت عن الأيام فصل خطابها وغدت تشير به إلى الألباب

---

(١) ظافر الحداد : - ٥٢٩ هـ / - ١١٣٤ م

ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي أبو نصر الحداد. شاعر، من أهل الإسكندرية، كان حدادا. له (ديوان شعر - ط)، ومنه في الفاتيكان (١٧٧١ عربي) نسخة جميلة متقنة وفي خزانة الرباط (٩٨٠د) مخطوطة ثانية مرتبة على الحروف. توفي بمصر. الموسوعة الشعرية .

(٢) ابن الساعاتي : ٥٥٣ - ٦٠٤ هـ / ١١٥٨ - ١٢٠٧ م

علي بن محمد بن رستم بن هردوز، أبو الحسن، بهاء الدين بن الساعاتي. شاعر مشهور، خراساني الأصل، ولد ونشأ في دمشق. وكان أبوه يعمل الساعات بها. قال ابن قاضي شهبة: برع أبو الحسن في الشعر، ومدح الملوك، وتعانى الجندية وسكن مصر. وتوفي بالقاهرة. وأخوه الطبيب ابن الساعاتي (٦١٨ هـ ١٢٢١ م) له: (مقطعات النيل- خ)، (ديوان شعر- ط) في مجلدين. الموسوعة الشعرية .". <تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/١٣>

١٩٩-"... وقال سيف الدين بن جبارة (١) : (من الكامل)

لله أي غريبة و عجيبة في صنعة الأهرام للألباب

أخفت عن الأسماع قصة أهلها وجلت عن الإبداع كل نقاب

فكأنما هي كالخيام مقامة من غير ما عمد ولا أطناب

... وقال بعضهم (٢) : (من الوافر)

تبين أن صدر الأرض مصر ... ونهداها من الهرمين شاهد

فوا عجبا وقد ولدت كثيرا ... على هرم وذاك النهد ناهد

والحمد لله تعالى وحده

وصلى الله على سيدنا

محمد وآله

وصحبه

وسلم .

---

(١) وردت هذه الأبيات في نهاية الأرب منسوبة إلى سيف الدين بن جبارة ، وفي النجوم الزاهرة لسعد الدين بن جبارة ، والصواب سيف الدين . الموسوعة الشعرية .

(٢) لم أتمكن من معرفة القائل .". <تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/١٤>

٢٠٠-"الجيزة

بلدة وموقع غربي نهر النيل على الضفة الغربية كان يقابل الفسطاط وقد أضحى اليوم بعض أحياء القاهرة وفيه آثار هامة منها الأهرام المشهورة وأبو الهول . ينسب إليها كثير من العلماء .". <تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير ١/١٥٤>

٢٠٧-"الجيزة: وهي مدينة عظيمة على ضفة النهر الغربية ذات قرى ومزارع، وبها خصب كثير وخير واسع، وبها القناطر التي لم يعمل مثلها وهي أربعون قوسا على سطر واحد، وبها الأهرام التي هي من عجائب الدنيا لم يبن على وجه الأرض مثلها في إحكامها وإتقانها وعلوها، وذلك أنها مبنية بالصخور العظام وكانوا حين بنوها يثقبون الصخر من طرفيه ويجعلون فيه قضيبا من حديد قائم ويثقبون الحجر الآخر وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص ويجعلونه في القضيب بصنعة هندسية حتى كمل بناؤها، وهي ثلاثة أهرامات، ارتفاع كل هرم منها في الهواء مائة ذراع بالملكي، وهو خمسمائة ذراع بالذراع المعهود بيننا، وضلع كل هرم من جهاته ذراع بالملكي. وهي مهندسة من كل جانب محددة الأعالي من أواخر طولها على ثلثمائة ذراع. يقولون إن داخل الهرم الغربي ثلاثين مخزنا من حجارة صوان ملونة مملوءة بالجواهر النفيسة والأموال الجمة والتماثيل الغريبة والآلات والأسلحة الفاخرة التي قد دهنت بدهان الحكمة فلا تصدأ أبدا إلى يوم القيامة. وفيه الزجاج الذي ينطوي ولا ينكسر، وأصناف العقاقير المركبة والمفردة والمياه المدبرة. وفي الهرم الشرقي الهيئات الفلكية والكواكب، منقوش فيها ما

كان وما يكون في الدهور والأزمان إلى آخر الدهر. وفي الهرم الثالث أخبار الكهنة في توابيت صوان مع كل كاهن لوح من ألواح الحكمة وفيه من عجائب صناعاته وأعماله. وفي الحيطان من كل جانب أشخاص كالأصنام تعمل بأيدها جميع الصناعات على المراتب. ولكل هرم منها خازن. وكان المأمون لما دخل الديار المصرية أراد هدمها فلم يقدر على ذلك فاجتهد وأنفق أموالا عظيمة حتى فتح في أحدها طاقة صغيرة، يقال إنه وجد خلف الطاقة من الأموال قدر الذي أنفقه لا يزيد ولا ينقص، فتعجب من ذلك وقال:

انظر إلى الهرمين واسمع منهما ... ما يرويان عن الزمان الغابر

لو ينطقان لخبرانا بالذي ... فعل الزمان بأول وبآخر

وقال غيره:

خليلي ما تحت السماء بنية ... تناسب في إتقانها هرمي مصر

بناء يخاف الدهر منه ... وكل على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

وقال آخر:

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه، ما يومه، ما المصرع ؟

تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتصرع

الفيوم: وهي مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام، ولها نهر يشقها. ونهرها من عجائب الدنيا، وذلك أنه متصل بالنيل وينقطع منه في أيام الشتاء وهو يجري على العادة. ولهذه المدينة ثلثمائة وستون قرية عامرة آهلة، كلها مزارع وغلال. ويقال إن الماء في هذا الوقت أخذ أكثرها. وكان يوسف عليه السلام قد جعلها على عدد أيام السنة فإذا أجدبت الديار المصرية كانت كل قرية تقوم بأهل مصر يوما، وبأرض الفيوم بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك زائدة الوصف، وبها من قصب السكر شيء كثير، ويقال إنه كان على الفيوم وإقليمها كلها سور واحد.

سخا: مدينة حسنة، ولها إقليم واسع، بجامعها حجر أسود عليه طلسم بقلم الطير، إذا أخرج ذلك الحجر من الجامع دخله العصافير، وإذا دخل إليه خرجت العصافير.

وأما أنصنا والأشمونان وأبو صير: فمدن أزلية وبها آثار عجيبة وأعلام هائلة. ويقال إن سحرة فرعون كانوا من مدينة أبي صير، وبها الآن بقية منهم.

وأما أسيوط وأخميم ودندرا: فمدن أزلية بها آثار عجيبة وأعلام هائلة.

وزماخر: وهي مدينة حسنة كثيرة الفواكه يقرب منها جبل الطليمون وهو يأتي من جهة المغرب فيعترض مجرى نهر النيل، والماء ينصب إليه بقوة حتى يمنع المراكب فلا يقدرون على الجواز عليه إلى أسوان. ذكروا أن كرهية الساحرة كانت ساكنة بأعلى هذا الجبل في قصر عظيم، وكانت تتكلم على المراكب المقلعة في البحر فتقف.". <خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/١٧>

٢٠٨-"ولمصرالقرافة العظيمة الشأن في التبرك بها. وقد جاء في فضلها أثر أخرجه القرطبي وغيره، لأنها من جملة الجبل المقطم الذي وعد الله أن يكون روضة من رياض الجنة. وهم يبنون بالقرافة القباب الحسنة، ويجعلون عليها الحيطان فتكون كالدور، ويبنون بها البيوت، ويرتبون القراء يقرأون ليلا ونهارا بالأصوات الحسان. ومنهم من يبني الزاوية والمدرسة إلى جانب التربة، ويخرجون كل ليلة جمعة إلى المبيت بأولادهم ونسائهم، ويطوفون على الأسواق بصنوف المآكل. ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام، وعليه رباط ضخم عجيب البناء، على أبوابه حلق الفضة وصفائحها أيضا. كذلك، وهو موفى الحق من الإجلال والتعظيم. ومنها تربة السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام. وكانت مجابة الدعوة مجتهدة في العبادة. وهذه التربة أنيقة البناء، مشرقة الضياء، عليها رباط مقصود. ومنها تربة الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، وعليها رباط كبير. ولها جراية ضخمة. وبها القبة الشهيرة البديعة الإتقان، العجيبة البنيان، المتناهية الإحكام، المفرطة السمو، وسعتها أزيد من ثلاثين ذراعا. وبقرافة مصر من قبور العلماء والصالحين ما لا يضبطه الحصر. وبها عدد جم من الصحابة، وصدور السلف والخلف رضي الله تعالى عنهم، مثل عبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن عبد العزيز، وأصبغ بن الفرج، وابني عبد الحكم، وأبي القاسم بن شعبان، وأبي محمد عبد الوهاب. لكن ليس لهم بها اشتهار، ولا يعرفهم إلا من بهم عناية. والشافعي رضي الله عنه ساعده الجد في نفسه وأتباعه وأصحابه في حياته ومماته، فظهر من أمره مصداق قوله:

الجد يدني كل أمر شائع ... والجد يفتح كل باب مغلق

ذكر نيل مصر

ونيل مصر يفضل أنهار الأرض عذوبة مذاق واتساع قطر وعظم منفعة. والمدن والقرى بضفتيه منتظمة، ليس في المعمور مثلها. ولا يعلم نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل. وليس في الأرض نهر يسمى بحرا غيره. قال الله تعالى: " فإذا خفت عليه فألقيه في اليم " فسماه يما وهو البحر. وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل ليلة الإسراء إلى سدرة المنتهى، فإذا في أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان. فسأل عنها جبريل عليه السلام فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. وفي الحديث أيضا النيل والفرات وسيحون وجيحون كل من أنهار الجنة. ومجرى النيل من الجنوب إلى الشمال خلافا لجميع الأنهار. ومن عجائبه أن ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الأنهار وجفوفها، وابتداء نقصه حين زيادة الأنهار وفيضها. ونهر السند مثله في ذلك، وسيأتي ذكره. وأول ابتداء زيادته في حزيران وهو يونيه، فإذا بلغت زيادته ستة عشر ذراعا تم خراج السلطان. فإن زاد ذراعا كان الخصب في العام والصلاح التام، فإن بلغ ثمانية عشر ذراعا أضر بالضياع، وأعقب الوباء. وإن نقص ذراعا عن ستة عشر نقص خراج السلطان، وإن نقص ذراعين استسقى الناس، وكان الضرر الشديد. والنيل أحد أنهار الدنيا الخمسة الكبار، وهي النيل والفرات والدجلة وسيحون وجيحون. وتماثلها أنهار خمسة أيضا: نهر السند ويسمى ينج اب ونهر الهند ويسمى الكنك، وإليه تحج الهنود. وإذا حرقوا أمواتهم رموا برمادهم فيه. ويقولون هو من الجنة. ونهر الجون بالهند أيضا، ونهر اتل بصحراء قفجق، وعلى ساحله مدينة السرا، ونهر السرو بأرض الخطا، وعلى ضفته مدينة خان بالق، ومنها ينحدر إلى مدينة الخنسا ثم إلى مدينة الزيتون بأرض الصين، وسيذكر ذلك كله في مواضعه ان شاء الله. والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام ولا يعبر نهر منها إلا في

السفن شتاء وصيفا. وأهل كل بلد لهم خلجان تخرج من النيل فإذا مد أترعها ففاضت على المزارع.
ذكر الأهرام والبرابي". <رحلة ابن بطوطة ص/١٦>

٢٠٩-"وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور. وللناس فيها كلام كثير، وخوض في شأنها، وأولية بنائها. ويزعمون أن العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت من هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ويسمون اخنوخ وهو ادريس عليه السلام. وأنه أول من تكلم في الحركات الفلكية، والجواهر العلوية، وأول من بنى الهياكل، ومجد الله تعالى فيها، وأنه أنذر الناس بالطوفان، وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات، ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة. ويقال: إن دار العلم والملك بمصر مدينة منف ، وهي على بريد من الفسطاط. فلما بنيت الإسكندرية انتقل الناس إليها، وصارت دار العلم والملك. إلى أن أتى الإسلام فاختط عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط، فهي قاعدة مصر إلى هذا العهد. والأهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت، متناهي السمو مستدير متسع الأسفل، ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها، ولا تعلم كيفية بنائها. ومما يذكر في شأنها أن ملكا من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤيا هالته، وأوجبت عنده أنه بنى تلك الأهرام بالجانب الغربي من النيل، لتكون مستودعا للعلوم، ولجثث العلوم، ولجثث الملوك، وأنه سأل المنجمين هل يفتح منها موضع، فأخبروه أنها تفتح من الجانب الشمالي، وعينوا له الموضع الذي تفتح منه، ومبلغ الإنفاق في فتحه. فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه ينفق في فتحه، واشتد في البناء، فأتمه في ستين سنة. كتب عليها بنينا هذه الأهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة، فإن الهدم أيسر من البناء. فلما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها، فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل فلج في ذلك، وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي فكانوا يوقدون عليها النار، ثم يرشونها بالخل، ويرمونها بالمنجنيق، حتى فتحت الثلمة التي بها إلى اليوم، ووجدوا بإزاء النقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما أنفق في النقب، فوجدهما سواء. فطال عجبه من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا.
ذكر سلطان مصر
وكان سلطان مصر على عهد دخولي إليها الملك الناصر أبا الفتح محمد بن المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي. وكان قلاوون يعرف بالألفي لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهبا وأصله من قفجق. وللملك الناصر رحمه الله السيرة الكريمة والفضائل العظيمة. وكفاه شرفا انتماؤه لخدمة الحرمين الشريفين، وما يفعله في كل سنة من أفعال البر التي تعين الحجاج من الجمال التي تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء، وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشي في الدربين المصري والشامي. وبنى زاوية عظيمة بسرياقص خارج القاهرة. لكن الزاوية التي بناها مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين وكهف الفقراء والمساكين، خليفة الله في أرضه القائم من الجهاد بنفله وفرضه أبو عنان أيد الله أمره، وأظهره، وسنى له الفتح المبين وبسره، بخارج حضرته العلية المدينة البيضاء حرسها الله لا نظير لها في المعمور، في إتقان الوضع وحسن البناء والنقش في الجص، بحيث لا يقدر أهل المشرق على مثله. وسيأتي ذكر ما عمره أيده الله من المدارس والمرستان والزوايا ببلاده حرسها الله وحفظها بدوام ملكه.

ذكر بعض أمراء مصر". <رحلة ابن بطوطة ص/١٧>

٢١٠-"وللسلطان أيضا بمواضع أخر بنيان والأعلاج يخدمونه فيه، ومن يمكن استخدامه من المسلمين في مثل هذه المنفعة العامة مرفه عن ذلك كله ولا وظيفة في شيء من ذلك على أحد.

مارستان المجانين

ومما شاهدناه أيضا من مفاخر هذا السلطان المارستان الذي بمدينة القاهرة. وهو قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا أبرزه لهذه الفضيلة تأجرا واحتسابا وعين قيما من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة واقامتها على اختلاف أنواعها. ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى. وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية، فيقابلون من الأغذية والاشربة بما يليق بهم.

وبازاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى. ولهن أيضا من يكفلهن. ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت محابس للمجانين.

ولهم أيضا من يتفقد في كل يوم أحوالهم ويقابلها بما يصلح لها. والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعناء بها والثابرة عليها غاية التأكيد. وبمصر مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينه.

مسجد ابن طولون

وبين مصر والقاهرة المسجد الكبير المنسوب أبي العباس أحمد بن طولون، وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان، جعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر. ومن أعجب ما حدثنا به أحد المتخصصين منهم أن السلطان جعل أحكامهم إليهم ولم يجعل يدا لأحد عليهم. فقدموا من أنفسهم حاكما يمتثلون أمره ويتحاكمون في طوارئ أمورهم عنده، واستصحبوا الدعة والعافية، وتفرغوا لعبادة ربهم، ووجدوا من فضل السلطان أفضل معين على الخير الذي هم بسبيله.

مآثر السلطان ومفاخره

وما منها جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد ولا روضة من الروضات المبنية على القبور ولا محرس من المحارس ولا مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان يعم جميع من يأوي إليها ويلزم السكنى فيها، تهون عليه في ذلك نفقات بيوت الاسوال.

ومن مآثره الكريمة المعربة عن اعتنائه بأمور المسلمين كافة أنه أمر بعمارة محاضر ألزمها معلمين لكتاب الله، عز وجل، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم.

ومن مفاخر هذا السلطان وآثاره الباقية المنفعة للمسلمين القناطر التي شرع في بنائها بغربي مصر، وعلى مقدار سبعة أميال منها، بعد رصيف أبتدئ به من حيز النيل بازاء مصر كأنه جبل ممدود على الأرض، تسير فيه مقدار ستة أميال حتى يتصل بالقنطرة المذكورة، وهي نحو الأربعين قوسا من أكبر ما يكون من قسي القناطر. والقنطرة متصلة بالصحراء التي يفضي منها الإسكندرية، له في ذلك تدبير عجيب من تدابير الملوك الحزمة اعدادا لحادثة تطرأ من عدو يدهم جهة ثغر الإسكندرية

عند فيض النيل وانغمار الأرض به وامتناع سلوك العساكر بسببه. فأعد ذلك مسلكا في كل وقت إن احتيج ذلك. والله يدفع عن حوزة المسلمين كل متوقع ومحذور بمنه.

ولاهل مصر في شأن هذه القنطرة إنذار من الإنذارات الحد ثانية يرون أن حدوثها يذان باستيلاء الموحدين عليها وعلى الجهات الشرقية، والله أعلم بغيبه، لا إله سواه.

معجزة البناء وبمقربة من هذه القنطرة المحدثة الأهرام القديمة، المعجزة البناء، الغريبة المنظر، المربعة الشكل، كأنها القباب المضروبة قد قامت في جو السماء، ولا سيما الاثنان منها، فانهما يغص الجو بهما سموا، في سعة الواحد منها من أحد أركانه الركن الثاني ثلاث مئة خطوة وست وستون خطوة. قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة. وركبت تركيبا هائلا بديع الإلصاق دون أن يتخللها ما يعين على إلصاقها، محددة الأطراف في رأي العين، وربما أمكن الصعود إليها على خطر ومشقة فتلفى أطرافها المحددة كأوسع ما يكون من الرحاب، لورام أهل الأرض نقض بنائها لأعجزهم ذلك.

للناس في أمرها اختلاف: فمنهم من يجعلها قبورا لعاد وبنيه، ومنهم من يزعم غير ذلك. وبالجملة فلا يعلم شأنها إلا الله عز وجل.". <رحلة ابن جبير ص/٨>

٢١١-"ولأحد الكبيرين منها باب يصعد إليه على نحو القامة من الأرض أو أزيد ويدخل منه بيت كبير سعته نحو خمسين شبرا وطوله نحو ذلك. وفي جوف ذلك البيت رخامة طويلة مجوفة شبه التي تسميها العامة البيلة يقال أنها قبر والله أعلم بحقيقة ذلك.

ودون الكبير هرم سعته من الركن الواحد الركن الثاني مئة وأربعون خطوة.ودون هذا الصغير خمسة صغار وثلاثة متصلة والاثنان على مقربة منها متصلان.

وعلى مقربة من هذه الأهرام بمقدار غلوة صورة غريبة من حجر قد قامت كالصومعة على صفة آدمي هائل المنظر، وجهة الأهرام وظهره القبلة مهبط النيل، تعرف بأبي الأهوال.

وبمدينة مصر المسجد الجامع المنسوب لعمر بن العاص رضي الله عنه. وله أيضا بالإسكندرية جامع آخر هو مصلى الله عليه وسلم الجمعة للمالكيين. بمدينة مصر آثار من الخراب الذي أحدثه الإحراق الحادث بها وقت الفتنة عند اتساخ دولة العبيديين، وذلك سنة أربع وستين وخمس مئة، وأكثرها الآن مستجد والبنيان بها متصل. وهي مدينة كبيرة والآثار القديمة حولها، وعلى مقربة منها ظاهرة تدل على عظمة اختطا طها فيما سلف.

روضة النيل

وعلى شط نيلها مما يلي غربيها، والنيل معترض بينهما، قرية كبيرة حفيلة البنيان تعرف بالجيزة. لها كل يوم أحد سوق من الأسواق العظيمة يجتمع إليها.

ويعترض بينها وبين مصر جزيرة فيها مساكن حسان وعلالي مشرفة وهي مجتمع اللهو والنزهة، وبينها وبين مصر خليج من النيل يذهب بطولها نحو الميل ولها مخرج له. وبهذه الجزيرة مسجد جامع يخطب فيه. ويتصل بهذا الجامع المقياس الذي يعتبر فيه قدر زيادة النيل عند فيضه كل سنة. واستشعار ابتدائه في شهر يونيه، ومعظم انتهائه أغشت، وآخره أول شهر أكتوبر.

وهذا المقياس عمود رخام أبيض مثمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهو مفصل على اثنتين وعشرين ذراعا مقسمة على أربعة وعشرين قسما تعرف بالأصابع. فإذا انتهى الفيض عندهم أن يستوفي الماء تسع عشرة ذراعا منغمرة فيه فهي الغاية عندهم في طيب العام. وربما كان الغامر منه كثيرا بعموم الفيض. والمتوسط عندهم ما ستوفى سبع عشرة ذراعا، وهو الأحسن عندهم من الزيادة المذكورة.

والذي يستحق به السلطان خراجه في بلاد مصر ست عشرة ذراعا فصاعدا، وعليها يعطي البشارة الذي يراعي الزيادة في كل يوم والزيادة في أقسام الذراع المذكورة ويعلم بها مياومة حتى تستوفي الغاية التي يقضي بها. وان قصر عن ست عشرة ذراعا فلا مجبى للسلطان في ذلك العام ولا خراج.

وذكر لنا أن بالجيزة المذكورة قبر كعب الأحبار رضي الله عنه. وفي صدر الجيزة المذكورة أحجار رخام قد صورت فيها التماسيح، فيقال: إن بسببها لا تظهر التماسيح فيما يلي البلد من النيل مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا، والله أعلم بحقيقة ذلك.

عدل صلاح الدين

ومن مفاخر هذا السلطان المزلفة من الله تع وآثاره التي أبقاها ذكرا جميلا للدين والدنيا: إزالته رسم المكس المضروب وظيفة على الحجاج مدة دولة العبيديين. فكان الحجاج يلاقون من الضغط في استيدائها عنتا مجحفا ويسامون فيها خطة خسف باهظة. وربما ورد منها من لافضل لديه على نفقته ولا نفقة عنده فيلزم أداء الضريبة المعلومة، وكانت سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية التي هي خمسة عشر دينارا مؤمنية على كل رأس، ويعجز عن ذلك، فيتناول بأليم العذاب بعيذاب. كاسمها مفتوحة العين.". <رحلة ابن جبير ص/٩>

٢١٢-"وإنشاء القواعد الجوية في النقب واستخدام المطارات المصرية في سيناء بالإضافة إلى أطماعهم في بترول سيناء وأسماك بحيرة البردويل وتصريحاتهم عن المشاركة في بناء الأهرامات. ولم يبق من الوقاحة إلا أن يطالبوا بالمنطقة الشرقية من أرض مصر التي أقاموا فيها أربعمائة وثلاثين عاما، كانوا بعدها عملاء لدولة فارس حين غزت مصر في عهد قمبيز.

... عاشرا: وبيت المقدس الذي ينازعك عليه رئيس وزراء العدو كانت تحت السيادة المصرية لعدة قرون. ورسائل تل العمارنة في مصر، وهي من أشهر الرسائل الدبلوماسية في التاريخ حافلة بالأوامر المصرية الصادرة عن فرعون مصر إلى الحاكم المصري في بيت المقدس.

... حادي عشر: وفي ما كتبه عالم المصريات الشهير المؤرخ الأمريكي برستد أقطع الدلائل أن فلسطين كلها كانت ولاية مصرية وأن الملك سليمان الحكيم كان أحد عمال فرعون مصر، وحين زوجه ابنته أقطعه بعض مدن فلسطين مهرا لها.

... ثاني عشر: وهذه الحجج الدينية والتاريخية التي نسردها بصورة سريعة ليست خروجا عن الصدد. بل إنها في صميم الموضوع لأن رئيس وزراء العدو كان يجادل سيادتكم في كامب ديفد بحججه الدينية والتاريخية. ولا يبقى علينا إلا أن يكون إيماننا بالحق العربي موازيا على الأقل لإيمان اليهود بباطلهم.

... ثالث عشر: إن لبيت المقدس مقاما رفيعا في صميم الدين الإسلامي فإن فيه أولى القبلتين وثالث الحرمين وهو موطن

الإسراء والمعراج وكان من أمجاد مصر أنها أنفقت خراجها لسبع سنوات على عمارة المسجد الأقصى الذي يعتبر من أروع ما أبدعه الفن الإسلامي، على حين أن هيكل". <صفحات من القضية العربية ص/٣٤>

٢١٣-"... هنالك مثل قديم نجده في أسفار التوراة حيث يقول عن العبرانيين بأنهم قد أقاموا في مصر أربعمائة وثلاثين عاما ولكنهم آثروا العزلة عن الشعب المصري مع أنهم احتلبوا خيراته وتبوأوا مكان الصدارة في حياته العامة وظلوا يعتبرون أنفسهم "متغربين" كما ورد في نص التوراة مع أنهم لو اندمجوا في حياة الشعب المصري كما فعل آلاف الآلاف من الناس من بعدهم عبر تاريخ مصر الطويل، لاستراح العالم من قيام إسرائيل وما جرته من ويلات وكوارث، كان من جملتها أن جنح الدكتور لويس عوض للتنديد بالقومية العربية والتيئيس من الوحدة العربية.

... أما المثل الحديث عن الظاهرة الفريدة التي تمثل الفكر السياسي للدكتور لويس عوض فإننا نجده في طائفة يهودية معروفة في فلسطين وهي أقلية ضئيلة للغاية لا تعترف بوجود إسرائيل، لأن إسرائيل حسب عقيدتها ، لا تقوم إلا بإرادة الله، لا بإرادة الشعب اليهودي.. وبهذا أصبحت هذه الطائفة مغتربة بين أهلها، وأرجو ألا أكون قد ظلمت الدكتور لويس عوض في هذين المثالين، فإن النتيجة المنطقية لأطروحاته أن مصر ليست عربية، وأن الشعب المصري ليس عربيا، وبالتالي، فإن الدكتور لويس عوض لا يعتبر نفسه عربيا.. ولا أظنني في حاجة لأن أعتذر للدكتور عوض عن هذا الذي أقوله فيه، فإن الذي أقوله هو ما يقوله عن نفسه. ويقينا فإنني مستعد للاعتذار إليه والإعراب له عن التحية والإكبار إذا كتب لنا في الأهرام بأن مصر عربية وطنا وشعبا ودولة.. وأنه مواطن عربي مع الملايين الأربعين من أبناء مصر الذين يعتزون بعروبتهم سواء بسواء.

... وإذا كنا لا نفرض العروبة على أحد فإن من حقنا أن نتمنى على الدكتور لويس عوض ألا يخلع العروبة عن أحد وهو يؤكد في مقاله أن لا". <صفحات من القضية العربية ص/١٠٨>

٢١٤-"... يقينا أن الدكتور عوض ليس بقادر أن يأتينا بشجرة نسب على ورق البردى تثبت أصل المصريين القدماء، وتبين مواطنهم التي سبقت وجودهم على ضفاف وادي النيل، وأنه من باب الإعجاز أن نطلب ذلك، وإن كانت أرض مصر قد شهدت كثيرا من المعجزات في القرون الغابرة..

... وليس هذا الإشكال منطبقا على مصر وحدها دون غيرها، فإن أحدا من الدول المائة والخمسين التي تضمها الأمم المتحدة أعجز من أن يثبت أصل الشعب والأمة التي ينتمي إليها لا عن طريق الجغرافيا ولا التاريخ ولا عن طريق علوم الأنساب، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا!!

الفراعنة

... وليت الدكتور عوض يدلنا على سجل أحد المتاحف العالمية نستطيع أن نستخرج منه شهادة ميلاد أية أمة تبين الأم والأب ، وموطن الميلاد .. إن ذلك مستحيل .. لأنه غير موجود .

ولن يجد الدكتور عوض مخرجا له من هذه الاستحالة بأن يقول بأن الفراعنة هم أقدم الأجداد للشعب المصري، فإن الفراعنة على عظمتهم وجبروتهم لا يستطيعون أن يسعفوا الدكتور عوض والسبب بسيط للغاية، وإن كان الخطأ الشائع حول موضوع الفراعنة يحجب الحقيقة الصادقة.

... السبب البسيط والحقيقة الصادقة، أن الفراعنة ليسوا شعبا ولا أمة، ولا قبيلة، وأرجو أن يسمع هذا كل مواطن مصري، وكل مواطن عربي، وأرجو أن يصل هذا الكلام إلى كل بيت في دنيا العرب عن طريق الأهرام..

... ولقد أصبحت كلمة "الفراعنة" أحد المحاور التي يدور حولها النقاش كلما ثار الجدل حول عروبة مصر.. وكم وكم قيل وكتب أن المصريين ليسوا". <صفحات من القضية العربية ص/١١٢>

وفي يوم الثلاثاء نودي على جميع الالضاشات بالخروج إلى الوطاق وكذلك المقيمون بالقلعة فتكدر الناس لذلك واختفوا في الدور ولبس كثير منهم ملابس الفقهاء والمجاورين وسبب ذلك عدم قدرتهم على الخروج من غير مصرف فإذا خرج فقير الحال لا يجد ما يأكله ولا ما ينفقه عياله في غيبته ولا يفيده إلا مقاساة الجوع والبرد والغربة والمشقة

وفي يوم الاحد حادي عشره نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة وهم في أسوأ حال من العري والجوع ونهبت جميع أحمال أمير الحاج وأحمال التجار وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم واسر العرب جميع النساء بالاحمال وكان أمرا شنيعا جدا ثم ان الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحاج الشامي فتكلم مع العرب في أمر النساء فأحضروهن عرايا ليس عليهن إلا القمصان وأجلسوهن جميعا في مكان وخرجت الناس افواجا فكل من وجد امرأته أو أخته أو أمه او بنته وعرفها اشتراها ممن هي في اسره وصارت المرأة من نساء العرب تسوق الاربعة من الجمال والخمسة باحمالها فلا تجد مانعا وسبب ذلك كله رعونة أمير الحاج فأنه لما اراد أن يتوجه بالحجاج إلى المدينة ارسل إلى العرب فحضر إليه جماعة من أكابرهم فدفع لهم عوائد سنتين وقسط البواقي على السنين المستقبلة بموجب الفرمان وحجز عنده اربعة أشخاص رهائن فبدا له أن كواهم بالنار في وجوههم فبلغ ذلك أصحابهم فقعدوا للحجاج في الطريق فبلغ أمير الحاج ذلك فذهب من طريق أخرى فوجدهم رابطين فيها ايضا فقاتلوه قتالا هينا ففر هاربا وترك الحجاج والعرب فنهبوا حملته وقتلوا مماليكه ولم يبق معه إلا القليل فهرب بمن بقي معه واختفى عن الحجاج ثلاثة أيام ولم يره أحد وفعلت العرب في الحجاج ما فعلوه واخذوا ما أخذوه فلم ينج منهم إلا من طال عمره وسلم نفسه او افتداها ". <عجائب الآثار ١٢/٢>

٢٢١-"وأما أنصنا(١) والأشمونان(٢) وأبو صير(٣): فمدن أزلية وبها آثار عجيبة وأعلام هائلة. ويقال إن سحرة فرعون كانوا من مدينة أبي صير، وبها الآن بقية منهم.

وأما أسيوط وأخميم ودندرا: فمدن أزلية بها آثار عجيبة وأعلام هائلة.

وزماخر: وهي مدينة حسنة كثيرة الفواكه يقرب منها جبل الطليمون وهو يأتي من جهة المغرب فيعترض مجرى نهر النيل، والماء ينصب إليه بقوة حتى يمنع المراكب فلا يقدرون على الجواز عليه إلى أسوان. ذكروا أن كرهية الساحرة كانت ساكنة بأعلى هذا الجبل في قصر عظيم، وكانت تتكلم على المراكب المقلعة في البحر فتقف

---

(١) أنصنا : كورة من مصر في الصعيد شرقي النيل ، خرجت علماء نسبوا إليها.

(٢) الأشمونين Hermopolis : كانت الأشمونين مدينة هامة من اقدم مدن مصر وكان اسمها باللغة المصرية القديمة خمنو وتكتب بالهيروغليفية ومعناها ثمانية وذلك نظرا لعدد آلهتها الثمانية وأكبرهم توت المرموز إليه بطير اللقلق وقد تطورت الكلمة فصارت تكتب باللغة القبطية ويذكر كتاب صبح الاعشى أن أقليم الأشمونين كان ممتدا من تلا بالمنيا إلي أخميم بسوهاج .

(٣) أبو صير : كانت تعتبر أبو صير موقع المنسيين من ملوك الأسرة الخامسة. وبالرغم من تعدد الآثار الخاصة بهم، لم يحظ هؤلاء الملوك بنفس الشهرة التى حظى بها أسلافهم وتقع أبوصير في شمال منطقة سقارة، ويوجد بها بقايا معابد الشمس، والأهرامات وبعض مقابر كبار رجال الدولة من الأسرة الخامسة ونذكر من هذه الآثار، هرم نفر افر المميز. فبالرغم انه فى حالة سيئة وغير مكتمل إلا أنه تم العثور على قطع هامة بداخله، منها مجموعة تماثيل لملوك الدولة القديمة.". <عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٥٩>

٢٢٢-"قال بيبرس في تاريخه: وفي هذه السنة وصل رسول من جهة الملك طقطا اسمه قرقجي، فأكرم غاية الإكرام، وأنزل بمنظرة الكبش في خير مقام، وتفرج في الجيزة والأهرام، ثم أعيد جوابه، وجهز إلى مرسله بأنواع التحف والهدايا، وسفر الأمير سيف الدين بلبان الصرخدي صحبته رسولا من الباب العزيز.

وقال صاحب النزهة: وصل رسول طقطاي ومعه هدية وتحف، وكان قد حمل مماليك وجواريا كثيرة، فمات أكثرهم فب البحر وبقي منهم قليل، ولما حضر قدم بعضهم وباع بعضهم، ومن جملة مضمون كتابه: أن السلطان يركب بعسكره وهو أيضا يركب بعسكره ويأخذون بلاد قازان وعسكره بينهم، ويكون لكل منهما مكان يصل إليه خيله، وكتب السلطان في جوابه: أن الله عز وجل كفاهم أمر غازان، وأن أخاه قد سير إليه رسولا فسأله الصلح، وأنه أسلم واتبع الدين المحمدي والشريعة الإسلامية.

ومنهم: جماعة وصلوا من جهة أبي يعقوب المريني صاحب الغرب، وفيهم رسول سمي علاء الدين أيدغدي الشهرزوري، أصله من أولاد الشهرزورية الذين نفيوا إلى المغرب في الدولة الظاهرية، وحضر صحبته من جهة صاحب المغرب المذكور هدايا جليلة، وتحف كثيرة، وخيل عربية، وبغال مغربية، وجمال وقماش، وجملة كثيرة من الذهب العين على سبيل الإمداد

والهدية، ووصل معه ركب كبير فيه من المغاربة خلق كثير لقصد الحجاز الشريف، ولما كان أوان الحج حج الرسول المذكور، وحجوا معه جميعا، وعادوا إلى مرسله في سنة خمس وسبعمائة.

وفي النزهة: وكان علاء الدين أيدغدي المذكور من أصحاب الأمير بهاء الدين يعقوبا أمير الأكراد الشهرزورية، ولما حصل له العبور إلى مصر مسك يعقوبا في الدولة الظاهرية هو وجماعة من أكابرهم، فهرب هذا الرجل مع جماعة من الأكراد إلى بلاد البحيرة، ثم دخلوا إلى الإسكندرية، وكان معه شيء من المال، واجتمع بجماعة من المغاربة وعاشرهم إلى أن أخذوا له بضائعا تصلح للمغرب، وركب معهم في مركب هو وأصحابه، ولما وصلوا إلى أبي يعقوب المريني عرفوه بحاله، فأكرمه وقربه، فوجده كافيا للأمور، فتعاظم عنده في تلك المدة إلى أن مكنه في التحدث في الوزارة، وسار فيها سيرة حسنة، وعرف أخلاق المغاربة لطول مدته عندهم، وكان وقت دخوله إليهم شابا، ثم سأل المريني ان يحج ويقضي فرضه، فأنعم له بذلك، وجهز أيضا صحبته جماعة من أهله وأقاربه، وتبعتهم جماعة كثيرة، وسير صحبته خيلا وبغالا، وتحفا سنية تصلح للملوك، وأخذ الوزير أيضا صحبته ما يليق به، ولما دخل على السلطان أكرمه وقربه وأمر بإنزالهم في الميدان، ورتب لهم كل ما يحتاجون إليه، ورسم للوزير والمباشرين أن يجهزوهم بكل ما أمكن.

ومنهم متملك دنقلة وبلاد النوبة واسمه أياي، وصل إلى مصر وأحضر معه هدية من الرقيق والهجن والجمال والأبقار والشب والسنباذج، وأنزل بدار الضيافة، وقبلت هداياه، وشرف بالخلع الملوكية والتشاريف السلطانية، وسأل أن يجرد معه عسكرا لينهض به على إعداده، فجرف معه جماعة من أجناد الأمراء وجند الولايات وعربان الصعيد، وجعل سيف الدين طقصبا الذي كان والي قوص مقدما عليهم.

وقال صاحب النزهة: وجردوا من مصر نحوا من ثلاثمائة فارس من جند الحلقة والأمراء، فخرجوا إلى أن وصلوا في المركب والبر أيضا إلى قوص، وأقاموا إلى أن اكتمل الجند والعرب، ورحل طقصبا بالعسكر جميعه وصحبتهم ملك دنقلة، فبلغه خبر هروب صاحب دنقلة صحبته جماعة كثيرة من السودان، وعلم أنه لا ينال طائلا، واتفق مع الملك، ورجع بالعسكر إلى مصر.

ومنهم: جماعة من التتر نحو مائتي فارس وصلوا في جمادى الأولى منها بنسائهم وأولادهم وأموالهم، ودخلوا دمشق تاسع الشهر، وقيل: إن فيهم أربعة من السلاحدارية للملك قازان.". <عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ص/٤٥٥>

٢٢٧-"وقال الأمير أبو الوفاء المبشر بن فاتك في كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم إن أسقليبيوس هذا كان تلميذ هرمس، وكان يسافر معه، فلما خرجا من بلاد الهند وجاءا إلى فارس، خلفه ببابل ليضبط الشرع فيهم، قال وأما هرمس هذا فهو هرمس الأول، ولفظه أرمس، وهو اسم عطارد، ويسمى عند اليونانيين أطرسمين، وعند العرب أدريس، وعند العبرانيين أخنوخ، وهو ابن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليهم السلام، ومولده بمصر في مدينة

منف منها، قال وكانت مدته على الأرض اثنتين وثمانين سنة، وقال غيره ثلاثمائة وخمسا وستين سنة، قال المبشر ابن فاتك وكان عليه السلام رجلا آدم اللون، تام القامة، اجلح، حسن الوجه، كث اللحية، مليح التخاطيط، تام الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، براق العين أكحل، متأنيا في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الفكرة، به حدة وعبسة، يحرك إذا تكلم سبابته.

وقال غيره إن اسقليبيوس كان قبل الطوفان الكبير، وهو تلميذ أغاثوذيمون المصري، وكان أغاثوذيمون أحد أنبياء اليونانيين والمصريين، وتفسير أغاثوذيمون السعيد الجد، وكان اسقليبيوس هذا هو البادئ بصناعة الطب في اليونانيين، علمها بنيه وحذر عليهم أن يعلموها الغرباء.

وأما أبو معشر البلخي المنجم فإنه ذكر في كتاب الألوف أن اسقليبيوس هذا لم يكن بالمتأله الأول في صناعة الطب ولا بالمبتدئ بها، بل أنه عن غيره أخذ، وعلى نهج من سبقه سلك، وذكر أنه كان تلميذ هرمس المصري، وقال إن الهرامسة كانوا ثلاثة أما هرمس الأول وهو المثلث بالنعم فإنه كان قبل الطوفان، ومعنى هرمس لقب كما يقال قيصر وكسرى، وتسميه الفرس في سيرها اللهجد، وتفسيره ذو عدل، وهو الذي تذكر الحرانية نبوته؛ وتذكر الفرس أن جده كيومرث وهو آدم، ويذكر العبرانيون أنه اخنوخ وهو بالعربية أدريس.

قال أبو معشر هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية، وإن جده كيومرث وهو آدم علمه ساعات الليل والنهار، وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها؛ وأول من نظر في الطب وتكلم فيه، وأنه ألف لأهل زمانه كتبا كثيرة بأشعار موزونة وقواف معلومة بلغة أهل زمانه في معرفة الأشياء الأرضية والعلوية، وهو أول من أنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار، وكان مسكنه صعيد مصر، تخير ذلك فبنى هناك الأهرام ومدائن التراب، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي وهو الجبل المعروف بالبرابر بأخميم وصور فيها جميع الصناعات وصناعها نقشا وصور جميع آلات الصناع، وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده برسوم حرصا منه على تخليد العلوم لمن بعده، وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم، وثبت في الأثر المروي عن السلف أن أدريس أول من درس الكتب، ونظر في العلوم، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ورفعه الله مكانا عليا.

وأما هرمس الثاني فإنه من أهل بابل، سكن مدينة الكلدانيين وهي بابل، وكان بعد الطوفان في زمن نزيربال الذي هو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش، وكان بارعا في علم الطب والفلسفة، وعارفا بطبائع الأعداد، وكان تلميذه فيثاغورس الأرثماطيقي، وهرمس هذا جدد من علم الطب والفلسفة وعلم العدد ما كان قد درس بالطوفان ببابل، ومدينة الكلدانيين هذه مدينة الفلاسفة من أهل المشرق، وفلاسفتهم أول من حدد الحدود، ورتب القوانين.

وأما هرمس الثالث فإنه سكن مدينة مصر وكان بعد الطوفان، وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم وكان طبيبا فيلسوفا وعالما بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات المؤذية، وكان جوالا في البلاد طوافا بها، عالما بنصبة المدائن وطبائعها وطبائع أهلها، وله كلام حسن في صناعة الكيمياء نفيس يتعلق منه إلى صناعات كثيرة، كالزجاج والخرز والغضار وما أشبه ذلك، وكان له تلميذ يعرف باسقليبيوس، وكان مسكنه بأرض الشام.

رجع الكلام إلى ذكر اسقليبيوس". <عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص/١٢>

٢٢٨-"فقال : يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية اعلموا أن ملككم عقيم وبلدكم عظيم وهذه بلاد الفراعنة ممن كان قبلكم وقد ملكها عدة ملوك ممن احتوى على الأقاليم وملكها مثل الملك المعظم من آل حمير ومثل مستفان والبستق والملحان وهو بأني هذه الأهرام ونمروذ بن كنعان ولقمان بن عاد وذي القرنين الملك العظيم وانقضى ملكهم منها ورجع إلى سبأ وأرضها وحضرموت وقصر عمان ثم تولى هذه الأرض القبط من آبائكم وأجدادكم أطسليس وبلينوس والريان بن الوليد وهو الذي استخلص يوسف لنفسه والوليد وهو المكنى بفرعون وبعدهم طبلهاوس ثم جدي راعيل ثم أبي المقوقس وجميع ملوك الأرض تحسدنا على ملك مصر وهؤلاء العرب الطماعة وليس في العرب أطمع منهم فإني أراكم قد كسلتم وفشلتم عن لقائهم فطمعوا فيكم وفي ملككم كما طمعوا في ملك الشام وانتزعوه من أيدي القياصرة فقاتلوا عن أموالكم وحريمكم وأولادكم وأما أنا فواحد منكم واعلموا أن الملك المقوقس قد أمرني بلقاء هؤلاء العرب وقال : إنه لا يظهر إليهم حتى أرى ما يظهر من قومي وأرباب دولتي فما تقولون وما الذي اجتمع عليه رأيكم .

فقالوا : أيها الملك إنما نحن عبيد هذه الدولة وغلمانها فإنها قد استعبدت رقابنا بنعمتها وإحسانها ونحن نقاتل لمحبتها فإما أن نرزق النصر من المسيح وإما أن نموت فنستريح .

قال : فشكر قولهم وخلع على أكابرهم وقال لهم : اخرجوا واضربوا خيامكم ظاهر البلد مع القوم وطاولوهم بالمبادرة إلى أن يأتي إلينا نجدة من ملك النوبة والبجاوة فأجابوا إلى ذلك وأمروا غلمانهم بأن يضربوا الخيام خارج البلد فضربوها مما يلي النور والرصد .

قال ابن إسحق : وفي ليلتهم تلك جاءتهم الأخبار بأنه وقع بين ملك النوبة وملكالبجاوة حرب وأنه ما يجيبكم منهم أحد وأخرجوا للملك أرسطوليس سرادقا معظما وسط جيش القبط .". <فتوح الشام ٢/٨٢>

٢٢٩-"حدثنا ابن أبي مريم عن العطاف بن خالد قال وكانت الإسكندرية بيضاء تضيء بالليل والنهار وكانوا إذا غربت الشمس لم يخرج أحد منهم من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راع يرعى على شاطئ البحر فكان يخرج من البحر شيء فيأخذ من غنمه فكمن له الراعي في موضع حتى خرج فإذا جارية فتشبث بشعرها ومانعته عن نفسها فقوي عليها فذهب بها إلى منزله فأنست بهم فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس فسألتهم فقالوا من خرج منا اختطف فهيأت لهم الطلسمات فكانت اول من وضع الطلسمات بمصر في الإسكندرية

حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا إسماعيل بن عياش عن هشام بن سعد المديني قال وجد حجر بالإسكندرية مكتوب فيه ثم ذكر مثل حديث ابن لهيعة سواء وزاد فيه وكنزت في البحر كنزا على اثني عشر ذراعا لن يخرجه احد حتى تخرجه أمة محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾

حدثنا محمد بن عبد الله البغدادي عن داود عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة إلى نصف النهار بمنزلة العجين فإذا انتصف النهار اشتد قال وفي زمان شداد بن عاد بنيت الأهرام كما ذكر عن بعض

المحدثين ولم أجد عند أحد من أهل المعرفة

من أهل مصر في الأهرام خبرا يثبت وفي ذلك يقول الشاعر كامل

حسرت عقول اولي النهى الاهرام

واستصغرت لعظيمها الاحلام

ملس منيفة البناء شواهق

قصرت لعال دونهن سهام

لم ادر حين كبا التفكر دونها

واستوهمت لعجيبها الاوهام

اقبور املاك الاعاجم هن ام

هذه طلاسم رمل ام اعلام

". <فتوح مصر وأخبارها ص/٤٩>

٢٣٢-"١- رفع عمر بلدنا العزيز والحبيب مصر الغالية كنانة الله في أرضه من ٧,٠٠٠ عام فقط إلى ٧٠,٠٠٠ عام، وذلك هو عمرها الحقيقي الذي يريدون إخفاءه، حيث يؤمن اليهود بأن ظهور آدم كان منذ ٧,٠٠٠ عام فقط، فكيف تكون هنالك حضارة توافق الروايات الإسلامية التي توضح بأن ظهور آدم كان منذ ١٠٠,٠٠٠ عام !؟ (أفهمتم أول خيط للعبة الكبرى ؟)

٢- ورود ذكر قوم عاد بالقرآن وعدم ورود ذكر لهم بالتوراة والإنجيل، لذا يستميتون لطمس حقيقة وجود تلك الحضارة تاريخيا للاستمرار في الإدعاء بأن القرآن كتاب أساطير، وهذا البحث يثبت صدق القرآن وبالتالي إمامته للتوراة والإنجيل. (أءدركتم أن الحرب دينية في الأساس ؟)

٣- تثبيت ملكية الأهرام للمصريين بما لا يدع أدنى مجال للشك (لأن ثبوت بناء عمالقة من قوم عاد طول الواحد منهم ١٥ مترا للأهرام يفسر سبب تصاميم ومكونات تلك الأهرام والمعابد ذات الصخور العملاقة وقدرتهم على التعامل بها وسبب النوافذ العالية بالمعابد ... إلخ. وسيدحضد تماما ادعاء اليهود بأنهم استطاعوا تشييد الأهرام حيث لا مقارنة نهائيا)

٤- كشف نوعية جديدة من بعض عملاء اليهود في مصر الذين يلقنوننا ما يأمرهم بهم أسيادهم من اليهود ويغسلون عقولنا منذ الصغر بأن الفراعنة هم البناة (كيف بنوها ؟ لا ندري ..)

أردت أن أبدء بتوضيح أهداف نشر هذا البحث في المقدمة مباشرة حتى تتضح مدى فائدته لمصر

ترى عزيزي القارئ ما هو مكسب مصر عندما يعلم العالم بأن مصر سبعين ألف سنة حضارة وليست سبعة آلاف فقط ؟ وأنها احتضنت أول وأعظم حضارة في التاريخ حقا، وأن أهلها كانوا عمالقة ارتفاع الواحد منهم يناهز ١٥ مترا في السماء".
<كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٢>

٢٣٣-"لقد كان لي تجارب سابقة أن أعلنت الحق، فإذا بهم يشتمون ويسبون ويسفهون ؟ ويتسائلون من وابن من هذا ؟ ويستهزئون هو كل من هب ودب حيفتي ؟ من يكون مقارنة بعلماء الآثار الكبار ؟
رغم أن علماء الآثار الكبار هؤلاء فشلوا في إقناعنا بنظرياتهم المتعددة والمتضاربة
ورغم أن الله عز من قائل يقول:
١- ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ﴾ الإسراء : ٢٠
٢- ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ النور : ٣٥
٣- ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ البقرة : ٢١٢
وفي الولايات المتحدة برع توماس أديسون كأعظم مخترع في العالم (١,٠٩٣ اختراع) رغم نشأته كبائع جرائد، فلا سخروا منه ولا تهكموا عليه، لأن الأصل في البحث وليس في الباحث، وهي عادتنا منذ القدم كما استنكر كفار قريش الرسالة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ الزخرف : ٣١

ولكنها السنة الكونية الأزلية
﴿ والعصر / إن الإنسان لفي خسر / إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ العصر : ٣
المؤمن لابد أن يتمسك بالحق ويعلن عنه، ولكنه سيقابل العديد من الأذى ممن يفضلون الباطل، فعليه أن يتمسك بالصبر

محمد سمير عطا

http://www.msatta.com/Aad.html - أعلى

سؤال دائم
بداية، ما هو سر الجدل الدائم والعميق حول حقيقة بناة الأهرام والمعابد والمسلات المصرية بالذات دونا عن غيرها من آثار العالم أجمع ؟ من هم ؟ متى بنوها ؟ لماذا أقاموها ؟ والسؤال الأهم من كل ما سبق هو كيف شيدوها ؟
فلماذا الجدل حول الآثار المصرية فقط وبالذات دونا عن آثار العالم أجمع ؟". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٤>

٢٣٤-"لو المسألة مجرد الحقد على مصر والطمع فيها فالدول الاستعمارية استعمرت ونهبت جميع دول العالم، والمسألة أن انتشار المباني المذهلة شديدة العملقة بمصر وتسيدها لجميع المباني العملاقة بالعالم يشد النظر إليها حيث يتسائل جميع مهندسي العالم (كيف تم تشييدها ؟)

لقد ذكر لي أحد علماء أوربا في ألمانيا وهو دكتور مهندس في مجال صواريخ الفضاء (أعلى مستوى من الثقافة العالمية ومن أنبغ من قابلت في حياتي على الإطلاق) عندما وجهت له سؤالا حول رأيه في الأهرام فرد قائلا: ذلك هو اللغز الهندسي الحقيقي الأوحد على وجه الأرض، لقد وصلنا المريخ، وغصنا في أعماق المحيطات، واستخدمنا الميكروبات، واستعملنا الذرة ووو، سور الصين العظيم بناه الملايين وكل ما يحتاجه هو عمال كثيرون، برج بيزا المائل سيقع بعد فترة، لكننا لا نفهم كيف يمكن لأهل الماضي أن يبنوا مثل تلك الأهرام ذات الصخور العملاقة التي لا يستطيعون التعامل بها سواء تشذيب أو نقل أو رفع !!

http://www.msatta.com/Aad.html - أعلى

معلومات حول طبيعة الآثار المصرية العملاقة

حجم الحجر المستخدم في تشييد تلك المباني يصل في بعض الأحيان إلى عشرات الأمتار المكعبة !!

العدد التقريبي لحجارة الهرم الأكبر وحده هو ٢,٣ مليون صخرة !! ولضخامة العدد، لو تم استخدام صخور الهرم الأكبر وحده لبنت سور يحيط بالعالم بارتفاع ٣٠ سنتيمتر، أو يحيط بكامل فرنسا بارتفاع ٣ أمتار، أو بحدود مصر حاليا بارتفاع ١,٥ متر

متوسط وزن الحجر بالهرم الأكبر هو ٢,٥ طن (ألفين وخمسمائة كيلوجرام !!)

سقف الحجرة الرئيسية بالهرم الأكبر (والتي يزعمونو أنها تخص خوفو) يقدر وزنه ما بين ١٥ حتى ٣٥ طن !!

أثقل حجر هو رأس أبو الهول المنحوت من صخرة واحدة ويقدر وزنه بألف طن (مليون كيلوجرام) !!!! وهو يحتاج لسبعة طائرات جامبو لتحريكه !!". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٥>

٢٣٥-"المسافات بين موقع تقطيع الحجارة وأماكن التشييد تبدأ من ٣٥ كيلومتر بالمعادي ووصلت في بعض الأحيان إلى ٦٥٠ كيلومتر من أسوان !!

ارتفاع البناء وصل إلى ١٦٣ متر !!

فهل يعقل أن كل ذلك تم بدون أية أجهزة متقدمة أو آلات تكنولوجية أو معدات متفوقة، وإنما كما يزعم علماء المصريات بالحبال والثيران والعمالة اليدوية للفراعنة الذين يماثلونا في الحجم !! (لو كانوا هم حقا البناة) والأغلبية تريح نفسها عناء

التفكر في ذلك اللغز القابع أمامنا جميعا، فالبعض يرى أن الفراعنة كانوا معجزين !! والبعض الآخر يتساهل ويزعم أنه ربما كان لديهم آلات وأجهزة وأدوات أخفوها ولا ندري عنها شيئا !! والأكثرية تريح نفسها وتقر بألا دخل لها !! وكأن الموضوع بسيط وغير هام، رغم أنه آية أمامنا ولغز حقيقي من وراءه دلائل عديدة هامة

الهرم، اللغز الحقيقي

من هنا نفهم أن المباني المصرية هي لغز بكل ما تعنيه الكلمة، ومعجزة بكل المقاييس، أما باقي الأعاجيب السبع كما يطلقون عليها فلا تعدو كونها عملا رائعا ولكن ليس معجزا، فسور الصين العظيم مبني من حجارة صغيرة وأعجوبته فقط في احتياجه لعدد كبير من البشر وهو ما يتوفر في الصين على مر الزمان، ولكنه لا يرقى لكونه إعجازا لا يمكن محاكاته من جديد، أما برج بيزا المائل في إيطاليا فهو نتاج فشل مهندسيهم، وسيقع في يوم من الأيام وأعجوبته في أنه لم يقع سريعا وإنما استهلك وقتا كبيرا ليس إلا، فتلك عجيبة ولكنها ليست معجزة، وهكذا ... أما الهرم الأكبر فلا يمكن محاكاته حتى ولو بأحدث الأجهزة التقنية المتوفرة اليوم !! لذلك فهو معجز بكل المقاييس.

القدرة على بناء الأهرامات

هل الوازع الديني للفراعنة (إن كانوا هم البناة) يمكنهم من البناء ؟

بمعنى لو افترضنا أن الوازع الديني للفراعنة يحثهم على السفر للقمر فهل يستطيعون ؟". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٦>

٢٣٦-"وهل البناء سواء تم بالحب والرضا كما يزعم علماء هيئة الآثار المصرية أو بالسخرة كما يزعم اليهود كفيل برفع حجارة تصل أوزانها بالأطنان ؟؟

إن هذا الحجر المعجز بالنسبة لنا لم يكن إلا طوبة بالنسبة لقوم عاد، أما بالنسبة للفراعنة ذوي الأحجام المماثلة لنا فهو مستحيل تماما، خاصة أنه لم يكن لديهم من أدوات وأجهزة ومعدات ما يمكنهم حتى من تقطيع الحجارة، فما بالنا بشطفها ونقلها ورفعها ! وحيث أن الفراعنة لم يدعوا أنهم بناة الأهرام وبالتالي لم يصفوا أي وصف لكيفية البناء، فبرز كل مدعي ليزعم طريقة البناء ويطرح نظرية من خياله، وتعددت نظرياتهم التي لا تفلح للتطبيق العملي إلا في أفلام الكرتون للأطفال، ولو كان الفراعنة هم بناة الأهرام فلم تكن لتتعدد النظريات وإنما كان هنالك علم يقيني واحد فقط

نظريات حقيقة بناة الأهرام

رقم

النظرية

سببها

نقضها

١

الفراعنة هم البناة

وجودهم كحضارة على أرض مصر وأنهم بنوها بسبب الوازع الديني عبادة لملكهم بالحب والرضا

لا يمكن عمليا وعلميا أن يشيدوا تلك المباني

٢

اليهود هم البناة

لاضطهاد بني إسرائيل في مصر وأنهم بنوها بالسخرة

أيضا لا يمكن عمليا وعلميا أن يشيدوا تلك المباني.

كما تفوح رائحة السرقة لأهداف سياسية

كما أن الأهرام بنيت قبل موسى أي قبل اضطهاد اليهود وتشغيلهم بالسخرة كما يزعمون

٣

زنوج أفريقيا هم بناة الأهرام

قالها مايكل جاكسون

سرقة × سرقة

٤

الجن هم البناة

حيث ورد بالقرآن أنهم كانوا يبنون المباني الضخمة كقصور لسيدنا سليمان ،والتي لا يستطيع الإنسان بناءها

تلك المباني كانت في مملكة سليمان في الشام وليست في مصر

٥

أهل المريخ والأطباق الطائرة هم البناة

حيث لا يستطيع بشر تشييد تلك المباني العملاقة العجيبة

لا يوجد دليل واحد، كما أن تلك المباني تشير إلى عصر حجري وليس تقني، ولا مواد أو معادن بها

٦

الله هو باني الأهرام

يدعي ذلك جماعة الأوجاركيس". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٧>

٢٣٧-"لا تعليق على ذلك العبث الديني الذي لم ينزل الله به من سلطان

٧

تكوينات طبيعية

إذ يعجز البشر عن تشييد تلك الأبنية

واضح أنها مباني وليست هضابا أو جبالا أو براكين

٨

كتل أسمنتية

قالها باحث يمني لم يزر مصر ويرى الأهرام على الطبيعة

تندرج ضمن المحاولات المستميتة لتفسير تشييد الأهرامات عن طريق الفراعنة

٩

عن طريق البالونات

أعلنتها باحثة أمريكية إذ لا يمكن رفع تلك الحجارة في ذلك الزمن

وهل يرفعها البالونات ؟؟

وهل اخترع الفراعنة بالونات ؟

تندرج أيضا ضمن المحاولات المستميتة لتفسير تشييد الأهرامات عن طريق الفراعنة

نظريات أساليب بناء الأهرام المنسوبة للفراعنة

نقضها

النظرية

رقم

بالتجريب العملي هذا مستحيل وليت أي واحد يجرب ذلك بنفسه مع مجموعة من المتطوعين.

فكيف يرفعون الحجارة فوق الزلاجات الخشبية ؟

وكيف لا تغرز تلك الزلاجات في الرمال أو تنكسر على الصخور ؟

أسلوب النقل كان عن طريق عدد من العمالة مستخدمين الثيران لتجر الحجارة بعد ربطها بالحبال ووضعها على زحافات خشبية !!

١

غير موجودة ولم يخترعها الفراعنة وأقصى ما كانوا يملكون هو الشادوف، ولو قمنا بتجريب عملي لانكسرت تلك الأوناش الخشبية المزعومة.

فهل يستطيع ونش خشبي رفع حجر يزن ١٠٠ طن لارتفاع ١٦٣ متر ؟؟

أسلوب الرفع عن طريق أوناش خشبية عملاقة !!

٢

أي مرتفع من الرمال له حد أعلى وبعده تنهار الرمال من الجوانب

والهرم الأكبر ارتفاعه ١٦٣ متر على هضبة ارتفاعها ٣٠ متر

فهل يمكن لمصاطب رملية أن ترتفع إلى ١٩٣ متر ؟ وبفرض لو كان الأمر كذلك لاحتجنا لتغطية القاهرة الكبرى بالرمال ! بمعنى أن بناء المصاطب وإزالتها أصعب من بناء الهرم نفسه

ثم نستفهم عن عدم غرز تلك الحجارة في تلك المصاطب الرملية الصاعدة ؟

أما تلك الأهرام المدفونة فلماذا لم تكتمل ويزال من حولها الرمال ؟ ببساطة لأنه توقف البناء فيها لهلاك قوم عاد بريح صرصر عاتية أودت بحضارتهم فجأة". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٨>

٢٣٨-"أسلوب آخر للرفع عن طريق ردم كل دور تم بناءه بالرمال ثم الصعود على الردم لبناء الدور الذي يليه

(ظهرت نظرية أسلوب المصاطب الرملية بسبب اكتشاف أهرامات لم يكتمل بناءها مدفونة في الرمال)

٣

هراء ودجل واستخفاف، فلماذا كانوا يستخدمون الخيول ويحاربون بها ؟

بل وينهزمون في بعض المعارك !!

ولماذا قلاعهم من الطين ؟؟

ولماذا لهم قصور للحكام وبيوت لعامة الشعب هزيلة وقبيحة من الطين ؟

استخدم الفراعنة السحر لرفع الحجرة الثقيلة بأصبع واحد

٤

هراء ودجل واستخفاف، لا ينقص سوى القول أن لهم بيوت في الكواكب الأخرى بالمرة

فصل الجاذبية الأرضية

٥

هراء ودجل واستخفاف، فالمسألة لا تتعدى قوى الجاذبية الأرضية لتماسك هذا الشكل الهرمي الثقيل جدا

لصق حجارة الأهرام بأسلوب تفريغ الهواء

٦

قارن عزيزي القارئ هل يمكن لعاقل أن يقر بأن الفراعنة هم بناة الأهرام ؟

البعض يقول ربما كانوا معجزين !! فهيا إذا ندعي أنهم سافروا للقمر ونبرر بأنهم ربما كانوا معجزين أيضا !!

إن إصرارنا أن الفراعنة بإمكاناتهم المتواضعة شيدوا تلك الأهرامات المعجزة يعرض أهراماتنا المصرية للسرقة لكل من ادعى ذلك، وقد كان.

آراء علمية جادة ومحايدة

يري العديد من الأثريين في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا من الذين يبحثون عن الحقيقة البحتة بغض النظر عن الخلفيات الدينية أو السياسية أو المصالح المادية، أن هنالك حضارة موغلة في القدم السحيق من الماضي والبعيد جدا كانت متفوقة بصورة مجهولة السبب والكيفية، وأغلب الظن أنها حضارة قارة أطلنطيس المفقودة، وعندما غرقت فر من نجى منهم لمصر، وهم الذين شيدوا تلك المباني المدهشة، وبعد اندثارهم بأحقاب طويلة ورث الفراعنة تلك المباني، فسكنوها من خلفهم ونقشوا عليها ما يحلو لهم.". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٩>

٢٣٩-"وقد أكد العديد من علماء الجيولوجيا بأن تحليل الترسبات على جسد أبي الهول تدل كمية مياه هائلة أذابت الكثير من على جسده، مما يدل أنه عاصر العصر المطير الذي انتهت حقبته منذ ما يناهز ١١,٠٠٠ عام، وهو ما يعني أنه بكل حال من الأحوال لا يمت للفراعنة بصلة.

http://www.msatta.com/Aad.html - أعلى

غموض خطير للغاية في هيئة الآثار المصرية

لقد طالب العديد من هؤلاء العلماء المحايدين بالتنقيب في بعض المواقع الأثرية خاصة تحت يد أبي الهول اليمنى، ولكن طلباتهم دائما تقابل بالرفض من هيئة الآثار المصرية !! وفي ذلك ما يدل على أن هناك أسرارا مضروب حولها تعتيم هائل، وإلا لسمحوا لهم حتى ينكشف كذبهم، فتلك البعثات المحايدة لن تهدم الأهرامات، ولا تطلب البحث في أماكن عسكرية وسرية، ولكن هيئة الآثار المصرية لا تسمح للمنقبين المستقلين إلا إذا بصموا سلفا على كل ما تمليه هيئة الآثار المصرية مسبقا والتي تستقي معلوماتها وأوامرها من جهات خارجية مشبوهة لا تعترف إلا بتأريخات اليهود أمثال هيرودوت ومانتيون وديورانت ولانجستر وهامرتن ووو ... لتأكيد أن الفراعنة هم بناة تلك الأبنية العملاقة، بماذا ؟ بالحبال والثيران !!

لذا فإنني أتهم هيئة الآثار المصرية والقائمين عليها بأنهم أول من يعرضون الآثار المصرية للتشويه وعدم التصديق، وبذلك يسمحون للخبثاء بالإدعاء بأنهم هم البناة، ويضحكون العالم كله علينا

ولا مجال هنا الآن للحديث عن انخفاض سعر الآثار المصرية المهربة في الخارج مقارنة بآثار الدول الأخرى رغم أنها الأعظم والأهم وذلك لكثرة عرضها للبيع !! حيث تسرق بالألوف !!

ما هو دور علماء هيئة الآثار بالضبط ؟

والعجيب في علماء هيئة الآثار أنهم يفتون في كل شئ ويؤكدون على كل شئ

رغم أن كل دورهم ينحصر في كشف الأثر وترجمة نقوشه فقط". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/١٠>

٢٤٠-"وكل ما ينقصهم معرفته هو أن السبب الغامض لقوة تلك الحضارة الجبارة التي تعد أعتى الحضارات قاطبة يتلخص في عملقة أجساد شعبها، إذ لم يكن هناك تقدم تقني والمباني كلها حجرية ولا يوجد أثر لجهاز أو معدن أو أي مادة غريبة، حيث مكنتهم قوتهم الجسدية بسبب حجمهم الضخم من تكسير وشطف ونقل ورفع وترصيص تلك الحجارة العملاقة

والدلائل كثيرة وشديدة الوضوح

فانظروا إلى حجم مكونات الأبنية من الحجارة العملاقة

إن أي مبنى يجب أن يتم تشييده من مكونات يمكن التعامل بها ويسهل استعمالها

ولم تستخدم الحوائط الجاهزة إلا بعد اختراع أوناشنا الحالية

فإن عطل الونش توقف البناء

وبناة الأهرام لن يكونوا بالغباء أن يقطعوا أحجار تعجزهم وترهقهم

لذا فالمكونات ضخمة تتناسب تماما معهم

فتلك الحجارة العملاقة بالنسبة لنا ما هي إلا طوب عادي بالنسبة لقوم عاد العمالقة

ولاحظوا النوافذ المرتفعة بمعابد الصعيد

تذكروا أحجام التماثيل الضخمة من بشر وكباش وصقور

حضاراتنا الآن تشيد التماثيل الضخمة للتعظيم، لكن تبقى مكونات البناء صغيرة في حجمنا، أما الحجم الضخم للتماثيل المصرية فلم يكن للتعظيم وإنما تماثل لأحجامهم، والدليل هو حجم الحجارة المشيد منها التمثال

وهنا نسأل سؤالا بديهيا: أين هي أبنية قوم عاد التي تركها الله لنا عبرة لنتعظ ؟

هل يعقل أن تدفن في الرمال أو تتهدم في وقت يظهر غيرها من المباني الوضيعة في كل أنحاء العالم ؟ والقرآن يشير إلى بقائها صراحة ﴿ وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم ﴾ العنكبوت : ٣٨ ، ﴿ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾ الأحقاف : ٢٥

ومن خلال بحث عميق ومنصف ومحايد، يتضح هنا أن الأهرام والمعابد المصرية هي أبنية قوم عاد الحقيقية، وكذلك التماثيل العملاقة المسلات والأساطين". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/١٣>

٢٤١-"فالدلائل القرآنية والهندسية والتاريخية والجغرافية والطبية تكاد تنطق بل و تصرخ جميعها من فرط وضوحها وضوح الشمس لتشير بتلك الحقيقة المدوية، والأدلة على ذلك لا تعد ولا تحصى، منها على سبيل المثال الآتي:

١- بعض الدلائل الدينية

- ﴿ عاد / إرم ذات العماد / التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ الفجر : ٦-٧-٨، بمعنى (عاد / بناة الأهرام أصحاب المسلات / التي لم يبنى مثلها في العالم) .

- ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون / وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾ الشعراء :١٢٨- ١٢٩، بمعنى أتبنون بكل مرتفع

من الأرض بناء ضخم كالجبل بلا فائدة (تلك الأوصاف الثلاثة مجتمعة بالأهرام)، وتسكنون في مساكن مشيدة قوية كأنكم خالدون (مساكن الصعيد التي اتخذها الفراعنة من بعد معابد)

٢- بعض الدلائل الهندسية

حجم الحجر المستخدم في تشييد تلك المباني يبدأ من متر مكعب ويصل في بعض الأحيان إلى عشرات الأمتار المكعبة !!

وزنه يصل أحيانا إلى ألف طن (مليون كيلوجرام) !!

المسافات بين موقع تقطيع الحجارة وأماكن التشييد وصلت في بعض الأحيان إلى ٦٥٠ كيلومتر !!

ارتفاع البناء وصل إلى ١٦٣ متر !!

كل ذلك بدون أية أجهزة أو آلات، وإنما كما يزعم علماء المصريات ويضحكون العالم كله علينا بالحبال والثيران والعمالة اليدوية للفراعنة الذين يماثلونا في الحجم !!

لذا يعكف أصحاب المصالح الخاصة في تخيل العديد من النظريات حول كيفية بناء الفراعنة للأهرامات، وهو في الحقيقة أكبر دليل على عدم بناء الفراعنة للأهرامات وإلا لكانت هناك نظرية واحدة فقط !!

أما قوم عاد فكانوا عمالقة يصل طول الواحد منهم إلى ١٥ مترا كما ورد بالعديد من الروايات الإسلامية، وبتناسب القوى مع الحجم كان ذلك الحجر المعجز بالنسبة لنا مجرد طوبة بالنسبة لهم

٣- بعض الدلائل الفنية". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/١٤>

٢٤٢-"أ- أين قصور ملوك الفراعنة ؟ لماذا لا يتحدث عنها أحد ؟ أو بالأحرى لماذا يخفونها ؟ السبب أنها مبنية من طين !! فهل يعقل أن هؤلاء الكفار الذين ادعوا الألوهية يشيدون قبورا غاية في الروعة مثل الأهرامات كما يزعمون الآن ويسكنون في بيوت حقيرة من الطين ؟

ب_ لماذا تم بناء القلاع الفرعونية الخمسة بسيناء من الطين ؟ هل يعقل أن نركب سيارات من صاج ونصنع دبابات من ورق ؟ ألم يكن من المفترض أن تشيد القلاع من أقوى ما يملكون ؟

ت- كل حضارات العالم تبدأ أبنيتها هزيلة ثم تتقدم، إلا الأهرام بدأت بأبنية عملاقة مذهلة ثم تدهورت وانحدرت إلى أهرام طينية فاشلة (للتغطية على تلك النقطة قاموا بالادعاء بأن هرم سقارة كان للتجريب الأول، لكن الدلائل الأثرية جميعها تشير إلى تدهور البناء على مر العصور)

ث- لماذا توجد مقابر على شكل أهرامات بالجيزة وأخرى كهوف بالوادي الغربي بالأقصر ؟ ألم يتفكر أحد في ذلك ؟ إن المسألة ببساطة أن الأهرام ليست مقابر بكل المقاييس

٦- بعض الدلائل اللغوية

فيما يخص كلمة إرم المختلف فى تفسيرها ، والتى وردت فى القرآن الكريم، فقد كتب د. رمضان عبد التواب رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس، وعضو المجمع العلمى للغة العربية فى كتابه (التطور اللغوي . مظاهره وعلله وقوانينه) عن تطوير الكلمات ، بإنه كثيرا ما تم تبديل الحروف لأسباب متعددة على رأسها التسهيل فى النطق.
وقد ذكر بالأخص تبديل حرف الهمزة إلى حرف الهاء ، وبخاصة أكثر إذا كانت الهمزة فى أول الكلمة، وإن القبائل العربية القديمة تخلصت فى كثير من الكلمات التى تبدأ بالهمزة وحولتها إلى حروف أخرى أكثرها كان حرف الهاء.". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/١٦>

٢٤٣-"وسبب تغيير الهمزة هو التسهيل ، أما سبب ترشيح الهاء غالبا هو أن الهاء يعتبر الحرف الثانى والأخير فى الأصوات الحنجرية التى تشتمل فقط على حرفي الهمزة والهاء ، وقد بين توزيع الحروف في جدول خاص ، واستشهد فى ذلك أيضا بآراءابن منظور والدكتور إبراهيم أنيس
ومن هذا المنطلق نستشهد فيما ذهبنا إليه من أن كلمة إرم التى وردت فى القرآن الكريم واختلف العلماء فى تفسيرها هي هي كلمة هرم بكسر الهاء والتى تعني فى اللغة العربية الشئ كبير الحجم، وأيضا تطلق لكبير العمر، وهي هي كلمة هرم بفتح الهاء بعد تسهيلها فى اللغة العربية المصرية العامية ، وبناء عليه فالتفسير السليم للآيات يكون كالتالي:
﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد / إرم ذات العماد / التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ الفجر : ٦-٧-٨
﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ﴾ = ألم تر كيف عاقب الله قوم عاد
﴿ إرم ذات العماد ﴾ = بناة الأهرام ذات القمم العالية المدببة
﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ = التى لا يوجد لها مثيل فى العالم كله

٧- بعض الدلائل الأثرية
أ- عدم نقش الفراعنة أسلوب بناء الأهرامات رغم نقشهم لجميع جوانب حياتهم من غذاء أو عادات .. إلخ، فذلك مما يدل على أنهم ليسوا البناة، لذلك يعلن مسئولوا هيئة الآثار كل يوم عن نظريات جديدة لكيفية بناء الأهرام !!
ب- من المذهل أيضا اعتراف الفراعنة أنفسهم بأن بناة الأهرام قوم غيرهم ذوو قوة فريدة، وذلك في نص البريشتا المنحوت على تمثال الإله القرد تحوتي حتب والذي نصه كالآتي: [قوة ذراع الواحد من بناة الأهرام بألف رجل].
ت- وضوح فشو سرقة المباني بين الملوك المتعاقبة، وقد اشتهروا ببراعتهم في السرقة من بعضهم البعض، فكل ملك يشطب على من قبله ويدعي أنه هو الباني والمالك.
ث- ادعاءهم الألوهية يوضح كذبهم في كل شئ.". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/١٧>

٢٤٤-"ج- عدم ورود ذكر لرسل الله يوسف وموسى يوضح مدى عدم الأمانة في تدوين النقوش
ح- من خلال ٣١ أسرة فرعونية لم يشيد الأهرام سوى ٣ أسر فقط !! ماذا يعني ذلك ؟

٨- بعض الدلائل التاريخية

أكثر من ٤٥ عالم إسلامي ما بين صحابي ومؤرخ أعلنوا أن بناة الأهرام هم قوم عاد، بدءا من قتادة وانتهاء بالمقريزي، واستدلوا تاريخيا على ذلك حيث أن شداد أولاد عاد هم من نسل قفطايم بن مصرايم مؤسسي مصر من أبناء سام بن نوح، فكيف يكونون في اليمن جميعهم ؟؟ فسام بن نوح لجأ إلى مصر بعد الطوفان ولم يلجأ إلى جزيرة العرب كما أشيع زورا وتدليسا حتى أن زاوية سام بن نوح لا تزال موجودة بمنطقة الجمالية خلف الحسين في القاهرة بمصر، وشداد أولاد عاد مصريون ١٠٠ ٪ لأنهم من نسل قفطايم بن مصرايم مؤسسا مصر، فكون شداد اولاد عاد مصريون وسكنوا مصر فبالتالي أبنيتهم المعجزة بمصر وليست باليمن، وقد كانت توصف أبنيتهم بأنها أشبه بأبراج الحمام ضديدة الضخامة !! أليست تلك هي الأهرامات ؟

ملاحظة: قفطايم ينسب له كل مصري، حيث تبدل الاسم إلى الآتي:

قفط (مازالت توجد قرية قفط في صعيد مصر)

ثم تحولت إلى قبط (كل مصري هو قبطي وليس النصراني فقط)

ثم تحولت إلى جبت (في اللغة اللاتينية)

ثم إلى إيجبت (في اللغة الإنجليزية)

ومن المؤرخين الذين ذكروا أن قوم عاد كانوا مصريين وأنهم بناة الأهرام المصرية ما يلي:". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/١٨>

٢٤٥-"ت وجود وادي نهري ﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ الأحقاف : ٢٤

ث وجود آثار عملاقة فريدة من نوعها في العالم أجمع ﴿ عاد / إرم ذات العماد / التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ الفجر : ٦-٧-٨، ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون ﴾ الشعراء : ١٢٨، آية تعني شئ معجز يبهر الغير ولم يخلق مثلها في البلاد، وفي التفاسير أنهم كانوا يشيدون أبنية ضخمة كالجبال يعجز غيرهم تقليدها (قارن بين هندسة الأهرام ودقتها وبين الحجارة العملاقة في باقي العالم مثل حجارة المين هاير في بريطانيا وحجارة بوردو العملاقة ... إلخ.)

فمصر يجتمع بها ثلاثية ١- الهضاب الرملية ٢- والوادي ٣- والآثار الدالة عليهم". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٢٢>

٢٤٦-"اكتشفنا أن كل الحياة في الماضي كانت عملاقة، من ديناصورات وماموث وأشجار ... وهكذا الإنسان ذاته كان عملاقا، فالإنسان في الماضي كان عملاقا كما أشارت جميع الروايات الإسلامية بناء على أحاديث سيدنا محمد ﴿ خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا في السماء، ولا يزال الخلق ينقص من بعد حتى الآن ﴾ و أيضا ﴿ تدخلون الجنة على هيئة أبيكم آدم ستون ذراعا في السماء ﴾. (ارتفاع آدم كان ٦٠ ذراع وهو ما يناهز ٣٦ متر، يقارب مبنى مكون من ١٢ طابقا)
وعلى زمان قوم عاد تصاغر الارتفاع وكان الطول يناهز ١٥ متر (انظر لأحجام التماثيل التي خلفوها لنا، إنها تحاكيهم تماما، والدليل على عدم التكبير والتفخيم كتماثيل اليوم أنها مبينة من حجر عملاق)
وبدون أجهزة تقنية، لا يمكن سوى لعماليق بناء تلك الأساطين المهولة
فمن هنا ينكشف لنا سر الأعمار المديدة الطويلة لأهل الماضي، إذ مكث سيدنا نوح في قومه ٩٥٠ سنة، فكقاعدة (لها بعض الاستثناءات) يتناسب الحجم مع العمر، انظر لأعمار الحشرات على سبيل المثال مقارنة بأعمار الحيوانات

١٥- بعض شواهدهم
في وادي الملوك بالبر الغربي بمدينة الأقصر، مدون باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية على المقبرة رقم ١٤ ما يلي:
[تلك هي مقبرة الملكة تاوسرت وست – نخت وهي ملكة حكمت مصر سنة ١٢٥ قبل الميلاد، تزوجت من الملك سيبتاح ثم توفى، فتزوجت من الملك سيتي الثاني وبعد وفاتها استولى على مقبرتها الملك ست – نخت وقام بتغيير الكثير من الخراطيش وصور الأشخاص داخل المقبرة ونسبها لنفسه]
أنصدق هؤلاء الذين يدعون الألوهية ويزعمون لهم بناء الأهرام ؟". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٢٥>

٢٤٩-"أتبنون بكل ريع آية تعبثون ﴾ الشعراء : ١٢٨، احتج سيدنا هود على قومه عاد لانشغالهم عن التفكر في الله الخالق الحق وبناؤهم صروحا ضخمة كالجبال فوق المرتفعات والهضاب الرملية بلا فائدة، حيث أن تقديسهم لنجم الشعرى هو عمل كفري، وقد كشف العلماء اليوم أن ترتيب الأهرامات الثلاثة بهذا الشكل غير المنتظم بالنسبة لنا واختلاف أحجامهم إنما يتفق وترتيب وأحجام نجوم مجموعة أوريون الثلاثة (الشعرى)، بل حتى ما زعم علماء اليوم بأنه أنبوب تهوية الغرفة الرئيسية بالهرم اتضح أنه مرصد يتعامد تماما على نجم الشعرى في يوم محدد من كل عام، لذلك قال الله رب العالمين ﴿ وأنه هو رب الشعرى / وأنه أهلك عادا الأولى ﴾ النجم : ٤٩-٥٠

وبالطبع فالأهرام كما هو واضح ليست مقامة كمقابر للفراعنة، حيث لم يوجد بداخلها مومياوات ولا نقوش ولا ذهب، كما نتعجب لماذا لم تبن جميع المقابر هرمية حيث يوجد مقابر الملوك بالبر الغربي لمدينة الأقصر". <كتاب قوم عاد هم

بناة الاهرام الحقيقيين ص/٣٠>

٢٥٠-"ولم يكن للفراعنة في بناء الصروح والأساطين المصرية أي دور سوى نسبها لأنفسهم، أما الآية التي تقول ﴿ وفرعون ذي الأوتاد ﴾ الفجر : ١٠، فتذكر لنا الخوازيق التي كان يدقها المجرم فرعون في الأرض لربط أذرع خصومه فيها وربط أرجلهم في الخيول، ثم يضرب الخيول بالسياط بقوة فتجري ممزعة وممزقة أجساد خصومه، فتلك هي أوتاد فرعون، وليست الأوتاد بمعنى الأهرام كما يفسر البعض خطأ وزورا وتأويلا وبهتانا، وحيث أن الهرم ليس له وتد، فيدعون أن الهرم يشبه شكل الوتد بالمقلوب !! استخفاف رخيص وتأويل خطير للقرآن، ففي الحديث الشريف (القرآن مثاني يفسر بعضه بعضا)، فلولا أكملوا الآيات ﴿ وفرعون ذي الأوتاد / الذين طغوا في البلاد / فأكثروا فيها الفساد / فصب عليهم ربك سوط عذاب / إن ربك لبالمرصاد ﴾ الفجر :١٠- ١٤

من هم الفراعنة ؟ وهل نحن كمصريين أحفاد هؤلاء الملعونين في جميع الكتب السماوية؟
بعد رسو سفينة نوح على جبل الجودي (جبل أرارات في تركيا – ويقال جدة بالحجاز) توجه سام بن نوح إلى مصر (وربما عاد إليها فربما كان نوح بمصر)، ومازالت حتى يومنا هذا زاوية سام بن نوح موجودة بمنطقة الجمالية بالقاهرة، وكان من نسله مصرايم مؤسس مصر الدولة، ثم خلفه ابنه قفطايم الذي ينسب له كل الشعب المصري كأقباط أيا كان دينهم، واستمر حكم الملوك الأقباط (المصريين) مدة من الزمان ﴿ كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ﴾ يوسف : ٧٦، فعهد يوسف لم يكن كما يدعون عهد فرعوني وإنما كان عهد ملوك". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٣١>

٢٥١-"وٍغم أ، الفراعنة ملعونين في الكتب السماوية جميعها، إلا انهم يمجدونهم من أجل محو الهوية العربية وبالتالي الإسلامية
العديد من الأساطير تروج لتأليه لفراعنة وتفخيمهم وتعظيمهم
تزيين كل شئ بصورهم وصور آلهتهم
إطلاق لقب فرعون على كل من أحرز عمل بطولي، حتى لو كان هدف في ماتش كرة !!
وفي الكرنفالات يلبس الرجال والنساء ملابس الفراعنة
ونسوا ما قال رسول الله في الحديث الشريف (من أحب قوما حشر معهم)، أيضا (من تشبه بقوم حشر معهم)
ومن المثير بعض الأحاديث التي وردت عن ابن عساكر: (لا تقوم الساعة حتى يمجد فرعون) وأيضا (لا تقوم الساعة حتى يظهروا بزة فرعون) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في عصر كما قال عنه رسول الله (سيعود الإسلام غريبا كما بدأ)، رغم أن الفراعنة هم أكفر وأفجر خلق الله على مر التاريخ ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم

الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ غافر : ٤٦

ولم يسم الله اسم فرعون للدلالة عن كل من سلك مسلكه من السابقين واللاحقين، وقد علمنا أن الفراعنة جميعهم قدسوا الجعران وألهوا الحكام ووو، اللهم إلا قلة قليلة كتمت إيمانها كابن عم فرعون (مؤمن آل فرعون) وزوجة فرعون (آسيا بنت مزاحم) .. ثم نجد من يستغل تلك الاستثناءات الضئيلة للادعاء بأن الفراعنة كانوا مؤمنين وموحدين متعللين بمناداة أخناتون بالتوحيد رغم علمهم أنه طالب الشعب بتوحيده هو ذاته لكسر نفوذ الكهنة وليس بتوحيد الله !!

كيف كان يبني الفراعنة ؟
هناك تفاوتا هائلا بين بناء الأهرام والمباني الطينية، سواء في الأسلوب أو الهندسة أو الإمكانيات أو المواد، الجميع يعلم تمام العلم أن الفراعنة كانوا يبنون بالطين اللبن، فكيف ينسب المغرضون الأبنية الحجرية العملاقة لهم ؟؟ إنهم يريدون محو حقيقة قوم عاد بضم آثارهم للفراعنة حيث لا يستطيعون هدمها". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٣٣>

٢٥٢-"فمن الناحية الهندسية لا يمكن أن يجتمع ذلك الطرازين في عصر واحد، وقد استغرب عالم الآثار الفرنسي ميشال فوتمان أسباب التخلف الشديد للبناء الطيني الفرعوني الذي كان يعد الأكثر تخلفا عن الحضارات المعاصرة له من جيرانه، في وقت يوجد على أرض مصر أعجب وأقوى أبنية في العالم على مر التاريخ كله

أما من الناحية الدينية فالله سبحانه وتعالى يقرر في كتابه الحكيم أن الفراعنة لا يستطيعون البناء إلا بالطين إذ قال ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ القصص : ٣٨
فما كانوا يستطيعون البناء من الحجارة وإنما من الطين
ولم يكن بمقدورهم تسلق الأهرام آنئذ حيث كانت لا تزال مكسوة بطبقة حجرية جيرية ملساء
وفي الأصل ما كان هذا الطلب إلا استهزاء بموسى، وذلك من أجل استخفاف قومه الفاسقين لأنه أعلم إنسان بأن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام على حق ٢٠٠ ٪
أيضا تقول الآية ﴿ ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ الأعراف : ١٣٧، وكلمة يعرشون تعني أبنيتهم الطينية ذات أسقف من جذوع النخل
أما من الناحية الأثرية، فكل حضارة تبدأ من الصفر وتتطور إلى الأفضل، إلا أنه لوحظ أن الأبنية المصرية كان سلمها للأسفل، فبدأت بأهرامات عظيمة وأخذت في التدهور من حيث الحجم والأسلوب إلى أن وصلت إلى أهرامات طينية !!
مما يوضح تصاغر حجم البناة حتى قلدهم الفراعنة بأهرامات طينية مسخة

من هو خوفو ؟ وهل يوجد ملك فرعوني في الحقيقة اسمه خوفو ؟". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٣٤>

٢٥٣-"بدأت القصة عندما كانت تتنزل قصص القرآن على سيدنا محمد ، فاتهمه اليهود المجرمين بأنه ينقل نصها من التوراة، يزيد وينقص فيها !! فكان رده أن المصدر واحد (وهو الله) ولكنهم هم المحرفون، وعندما نزلت قصص حضارتي ثمود وعاد (حضارات ما بين نوح وإبراهيم لم تذكر بالتوراة وبالتالي لا يعرفها اليهود) استنكر اليهود ذلك، وفي غزوة تبوك أثناء السير عبر شمال الحجاز، مر الرسول وجيشه على كهوف حضارة ثمود فقال لجيشه (أسرعوا ولا تشربوا حتى لا يصيبكم ما أصاب ثمود)، (تم تحليل الماء الآن بتلك المنطقة وتبين بقايا إشعاعات نووية به)، المهم أن الرسول حدد موقع حضارة ثمود، وعندما توفاه الله لم يكن أخبر بموقع حضارة قوم عاد (حتى يكشفها الله الآن بأنها أهرامات مصر وذلك عندما يعجز جميع مهندسي العالم بفشلهم في معرفة كيفية بناء الأهرام سواء بواسطة الفراعنة أو غيرهم)، فسارع اليهود وادعوا بأسطورية القرآن، حيث لا توجد تلك المباني العملاقة الضخمة المهولة العجيبة المتفردة التي ذكرها القرآن بأن الله تركها لنا من قوم عاد عبرة وعظة بأن من كانوا أشد منا أهلكهم الله، ولكنهم فهموا فورا أنها أهرام مصر، وحيث لا يستطيعون هدمها فقد عمدوا على تزوير تلك الحقيقة، فنسبوها للفراعنة وأبعدوا الأنظار فيما يخص قوم عاد إلى اليمن، حيث أنها كانت أكبر تجمع لليهود العرب، فأطلق شعراءهم هنالك التغني والمديح في قوم عاد الذين سكنوا اليمن، ففرح أهل اليمن بذلك من أجل نيل هذا الشرف العظيم باحتضان أعتى وأقوى حضارات التاريخ في بلادهم، ولكن بدون دليل أثري واحد !!

* وحيث أن قوم عاد تم ذكرهم في القرآن الكريم ولم يرد لهم ذكرا ولا حتى إشارة في التوراة، فذلك يعني أن ظهور أي دليل على وجود قوم عاد يعني إمامة القرآن للتوراة ومن بعده الإنجيل

ويعني ذلك كل مايلي:

١- أن القرآن ليس كتاب أساطير كما زعموا بسبب ذكر حضارة قوم عاد به". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٣٧>

٢٥٤-"٢- أن القرآن منزل من الله سبحانه وتعالى

٣- أن التوراة والإنجيل تابعين للقرآن وهو إمامهم

٤- وأن الإنسان ليس أصله قردا كما يزعم بعض العلماء وإنما بشرا جميلا هو آدم أبو البشر

٥- وأن سيدنا آدم يتجاوز عمره مائة ألف عام وليس سبعة آلاف فقط كما يزعم التلمود اليهودي

٦- وأن الإنسان في الماضي كان عملاقا كما أشارت جميع الروايات الإسلامية بناء على أحاديث سيدنا محمد التي ذكرتها

سالفا

الدور الخبيث لليهود

إنهم أول من يعلمون الحق، ولكنهم يخفونه رغبة في استمرار زعم أنهم شعب الله المختار وأنهم على حق في كل شئ، وأن على العالم كله أن يخدمهم بناء على ذلك، فذلك هو منى مناهم، وقد عمد اليهود على تزوير الحقائق التاريخية كعادتهم لإدراكهم استحالة هدم الأهرام، والله يحذرهم ويحذرنا منهم على مر الدوام ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ البقرة : ٤٢

وقد اتبعوا الآتي:

١- أطلقوا اسم صحراء الأحقاف على إحدى صحراوات اليمن التي قطنها أكبر نسبة من اليهود العرب، فاستقبل ذلك أهل اليمن البسطاء بالترحاب ليتشرفوا به من دون أن يدركوا المكيدة التي تحاك بالمسلمين أجمع

٢- نشروا الأشعار التي تمجد قوم عاد باليمن، رغم عدم وجود أي أثر لهم هناك في وقت تبقى آثار سبأ ومعين ظاهرة وواضحة للعيان !! مما جعل ابن عباس وقتادة والضحاك يرفضون وجود قوم عاد باليمن وقالوا قولتهم الشهيرة (وهل يستدل على الأثر بالشعر ؟) بمعنى أن الأثر يستدل عليه بالأثر وليس بأبيات شعر، وكل غرض اليهود هو إبعاد النظر عن مصر".

<كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٣٨>

٢٥٥-"٣- أرسلوا نابليون بونابرت الصهيوني (أعلن في فرنسا قبل غزواته أنه قادم لإنشاء إسرائيل الكبرى) وهو زوج اليهودية الخائنة (جوزفين) والذي موله هو الثري اليهودي البريطاني روتشيلد (من أجل إنشاء إسرائيل الكبرى) ولكن قطعت بريطانيا الطريق على نابليون كي لا تكون له إمبراطورية تابعة له في الشرق الأوسط تهدد تجارة بريطانيا مع وعد بأن تكون هي صاحبة فضل إنشاء إسرائيل كما حدث في وعد بلفور، ومن مخططات نابليون في الطريق لتحقيق إسرائيل الكبرى تثبيت أن كل الآثار تخص اللصوص الفراعنة حتى لا تنكشف حقيقة قوم عاد ويعلم الجميع بزيف الصهيونية وإمامة القرآن الكريم، فهل يعقل أن غاز يصطحب معه سفنا محملة بالمطابع والعلماء من أول الغزو ؟ هل أحب الفراعنة رغم أنه نصراني متزوج من يهودية ؟ أم من أجل سواد عيون المصريين !! وما لم يفلح في عمله تكفلت به بريطانيا، إنهم اليهود الذين يحركون العالم بعد أن علو علو آخر الزمان الموعودين به قبل أن يمحقهم الله على أيد المسلمين عم قريب بإذن الله رب العالمين

٤- ومن بعده عملت البعثات الأثرية في مصر (جميعهم جواسيس - كما تكرر مع لجنة اليونيسكوم في العراق) من أجل هدف واحد فقط هو إخفاء أي دليل يؤكد وجود قوم عاد في مصر، والبحث والنبش في شرق الدلتا عسى أن يجدوا أدلة

تثبت قرى لبني إسرائيل حتى تكون مسمار جحا الذي يدخلون به مصر حتى نهر النيل فيقيموا دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات كما يأملون (لعنهم الله جميعا).

اليهود ضربوا خمسة عصافير بحجر واحد

١- اتهام القرآن بأنه كتاب أساطير، حيث لم نكتشف مساكن قوم عاد العملاقة حتى الآن لا في اليمن ولا غيرها، رغم أن الأهرام تسد عين الشمس كما يقولون

٢- عدم إثبات وجود بشر يفوق عمرهم ٧,٠٠٠ عام كما في تفسير التلمود لديهم أن عمر آدم ٧,٠٠٠ عام فقط (حتى لا ينفضحوا بأنهم أهل هراء وتخاريف)". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٣٩>

٢٥٦-"٣- تقليص عمر الحضارة المصرية من ٧٠,٠٠٠ عام إلى ٧,٠٠٠ عام نكاية بمصر الكنانة التي يحقدون عليها كل الحقد

٤- عدم عملقة أهل الماضي، إذ أن في ذلك تفرد إعجازي للإسلام

٥- ادعاء أنهم هم بناة الأهرام (استدراجا للشعب المصري حتى يثيروه فنتمسك بأن الفراعنة هم البناة – منتهى الخبث والمكر والحيلة).

وإليكم نصا من بروتوكولات حكماء صهيون في المحضر رقم ستة عشر:

" سوف نهدم دعائم التعليم الجامعي الآن، ونعيد كتابة التاريخ لنحذف منه كل إساءة موجهة لتاريخنا اليهودي "

(من كتاب نهاية اليهود ص ١٣ – أ. أبو الفداءى محمد عزت، دار الاعتصام – القاهرة ١٩٩٦م)

وهم يسيطرون على علم الآثار أكثر من سيطرتهم على المال والإعلام والسياسة

وتصور عزيزي القارئ أن كلية الآثار تدرس لنا ما ورد على ألسنة اليهود أمثال هيرودوت ولانجستر ومانتيون وديودورنت وهامرتن وغيرهم ... !! ووتجاهل تأريخات المسلمين من الصحابة والعلماء التابعين أمثال حبر الأمة ابن عباس والضحاك وقتادة والمقريزي والنويري والحميري والكرماني ...

لماذا ؟ هل اليهود بشر وما عاداهم حيوانات ؟

البعثة الأمريكية العجيبة

هنالك بعثة أمريكية ادعت أنهم اكتشفوا مدينة إرم بصحراء السعودية، وقد حددوا موقعها بانها مدينة أوبار جنوب الرياض ١٣٠ كيلومتر حيث استخرجوا قلعة من تحت الرمال

السعودية من جانبها نفت رسميا تلك الفرية بأن مدن قوم عاد هي أوبار

وبالنظر إلى القلعة التي استخرجوها نجد أنها مبنية من طوب صغير الحجم، وحجمها إجمالا بحجم فيلا من عصرنا الحالي !!

فهل تلك هي ﴿ عاد / إرم ذات العماد / التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ الفجر : ٦-٧-٨ ؟؟

فاتجهوا لسلطنة عمان وادعوا أنهم اكتشفوا عن طريق الأقمار الصناعية أنهارا وأودية تحت الرمال، واستخرجوا أعمدة من تحت الرمال

سلطنة عمان من جانبها أيضا نفت أيضا رسميا تلك الفرية". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٤٠>

٢٥٩-"تدليس آخر لتأليه الفراعنة ونسج الخيال حولهم وتصديق أكاذيب الفراعنة المتألهين، يدعي رمسيس الثاني أنه صاحب أحد التماثيل في أبي سنبل، تتعامد الشمس عليه مرتين في العام يمثلان ذكرى ميلاده وتتويجه !!

ولكن لماذا تم ذلك لرمسيس الثاني فقط ولم يقلده باقي الملوك ؟

لا جواب !!

أفلا نعلم أن الشمس تتعامد مرتين على أي مكان ذهابا وإيابا في الصيف والشتاء بين مدارين أكبر من مداري الجدي والسرطان، أما تلك التواريخ فهل هي حقا تواريخ ميلاد وتتويج هذا الفرعون ؟ إذا سئلت الكثير من النساء عن أعمارهن لردوا بنصف العمر الحقيقي، فما بالنا بملك كذاب لا يحاسبه أحد ويدعي الألوهية، أغلب الظن أنه هو المجرم الأكبر فرعون موسى، هذا الملك المخادع زعم أنه انتصر في معركة قادش في لبنان ضد الملك موالاتاي ملك الحيثيين رغم أنه لم يحرر لبنان من قبضتهم وخسر ثلث جيشه وجرح في المعركة وفر هاربا مع من بقي من جنوده، ثم عاد يدون على صروح قوم عاد التي ينسبها لنفسه أنه انتصر انتصارا عظيما على الأعداء !! فعلا ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾ الزخرف : ٥٤

الجدير بالذكر أنه قد كشف أخيرا عن تعامد الشمس مرتين على أبي الهول أيضا !!

فسارعت هيئة الآثار بنفي تعمد الفراعنة لذلك، لأن تلك الحقيقة ستؤدي إلى تركيز الناس على هذا الأمر فيتضح أن أي شئ تتعامد الشمس عليه مرتين كل عام .. وعندما رأى فرعون تعامد الشمس بوضوح مرتين في العام على ذلك التمثال أعجبته الفكرة، ومن يستطيع تكذيبه ؟

ثم تبنتها هيئة الآثار، والآن إذا افتضح أمرها واتضح أيضا تعامد الشمس على أبي الهول فسيعني أنه لا علم لهم بشيء، بل الحقيقة أنه إذا وضعت أي ماسورة في وضع رأسي لمدة عام يمكنك تسجيل تعامد المشس بالتمام عليها مرتين ذهابا وإيابا حسب فصول العام ..

اختراع وهم قصة " قرية بناة الأهرام " !!". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٤٤>

٢٦٢-". هيئة الآثار المصرية تمد للبعثة البولندية أحقية الترميمات فى معبد حتشبسوت بدلا من ٤ سنوات منذ عام ١٩٦١م إلى ٣٥ عاما حتى ١٩٩٦م !! ويعترف وزير الثقافة / فاروق حسني أن البعثة غيرت تماما فى شكل المعبد ونقلت أعمدته و.... و..... و.....

. مثال: أحد السعاة تم صرف ١٤٠٠ جنية مكافآت له فى عام واحد !!

. عشرات الآلاف من القطع الأثرية المصرية فى متاحف ومنازل أثرياء العالم !!!

. باحثة يونانية تزعم العثورعلى مقبرة الكسندر الاكبر فى سيوة، ويبصم وراءها دكاترة الآثار ، وأمام تلفزيونات العالم كله، يتضح كذب الادعاء ، وتحظى مصر بفضيحة مدوية فى الأوساط العالمية

. المخالفات المالية الكثيرة نسمع بها ، والغسيل القذر نراه ، عند كل تغيير وظيفي !!

. رئيس هيئة الآثار المصرية ينشر إعلانا ضخما عن إنجازاته فى صحيفة قبرصية !! من أموال من ؟ ولماذا ؟

[مجلة اخر ساعة . العدد٣٢٣٦. بتاريخ٣٠/١٠/١٩٩٦م . ص٢٧]

هؤلاء ماذا قالوا ؟

١- الدكتور أحمد فخري في كتابه الأهرامات المصرية: (كبير وشيخ الاثاريين / وشهد شاهد من أهلها)

- نحن لا نكاد نعرف شيئا عن الهرم الأكبر خلال أيام الدولة الوسطى، بل لم تصل إلينا وثيقة قديمة تجعلنا نجزم بشئ !! وساد الصمت نفسه خلال أيام الدولة الحديثة ولم نسمع شيئا عن الهرك الأكبر !! (ص ١٤٧)

- ويتسائل معظم زائري الهرم الأكبر والدهشة تملك عليهم نفوسهم: كيف بني هذا الهرم ؟ فلو طلبنا من المهندسين المعماريين الآن أن يشيدوا هرما مثله تماما فمن المرجح أنهم سيتراجعون ويحجمون، بالرغم مما يتيسر لهم من الآلات والأجهزة الحديثة !! (ص ١٧٤)

١- عالم الآثار البريطاني فرديناند ديبوني: (خبير بريطاني في المصريات لأكثر من ٦٠ عاما)
" أستطيع أن أجزم أنني الوحيد الذي يعرف مصر أكثر من المصريين أنفسهم، لقد أكدت دراساتي وبحوثي أن المصريين عاشوا في هذا البلد منذ ما يقارب من مليوني سنة قبل الفراعنة ".
("). <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٤٨>

٢٦٧-"http://www.msatta.com/Aad.html - أعلى
بناء الأهرام وأحجامها وتوزيعها إشارة لنجم الشعرى الذي قدسه قوم عاد

http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht٤٧.jpg

http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht٤٨.jpg
http://www.msatta.com/Aad.html - أعلى
http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht٤٩.jpg

http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht٥٠.jpg
http://www.msatta.com/Aad.html - أعلى
أين الممرات التي بحجم الفراعنة داخل الأهرام ؟

http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht٥١.jpg
http://www.msatta.com/Aad.html - أعلى
أكذوبة المصاطب الرملية

http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht٥٢.jpg
http://www.msatta.com/Aad.html - أعلى
http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht٥٣.jpg
http://www.msatta.com/Aad.html - أعلى

اضمحلال الأهرام بدلا من تطورها !!

.jpg٥٤http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht

.jpg٥٥http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht

أعلى – http://www.msatta.com/Aad.html

.jpg٥٦http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht

أعلى – http://www.msatta.com/Aad.html

.jpg٦٤http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht

أعلى – http://www.msatta.com/Aad.html

ما هو عدد الأهرامات بالضبط ؟

.jpg٦٥http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht

أعلى – http://www.msatta.com/Aad.html

عناد وتكبر في هيئة الآثار المصرية

.jpg٦٦http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht

أعلى – http://www.msatta.com/Aad.html

.jpg٦٧http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht

أعلى – http://www.msatta.com/Aad.html

.gif٦٨http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht

أبو الهول

دليل عظيم على قوم عاد

.jpg٦٩http://www.msatta.com/images/images/Aad.ht

أعلى – http://www.msatta.com/Aad.html". <كتاب قوم عاد هم بناة الاهرام الحقيقيين ص/٦٣>

٢٦٨–"كان التفكير في شق قناة السويس من أيام محمد علي باشا ؛ لكنه لذكائه رفض ذلك (خوفا من أن تجر قناة السويس على مصر ويلات التدخل الأجنبي) . (١٠٠ عام على الثورة العرابية ، مركز الأهرام للدراسات ، ص١٧).

(توفي محمد علي عام ١٨٤٩، وكانت مصر قد دخلت مرحلة تاريخية جديدة في حياتها السياسية والثقافية، وقد حاول خلفاؤه الاستمرار في النهضة، على أن سياسة الإسراف والتبذير التي اتبعها هؤلاء، ثم القروض المالية التي استدانوها من الأجانب فتحت الباب أمام التدخل الأجنبي في شون البلاد الداخلية). (تاريخ العرب الحديث ، زاهية قدورة ، ص ٣٥٣).

(في عهد سلطة سعيد باشا كانت مصر بلا جدال أكثر بلاد الشرق رخاء) . (تاريخ مصر قبل الاحتلال البريطاني وبعده ، تيودور روذستين ، ص ٤٤). بسبب أن الحرب توقفت

(من أغلاط سعيد أنه .. هو الذي منح امتياز شق قناة السويس بشروط مجحفة لمصر . وقناة السويس سلاح ذو حدين ؛ فإذا استطاعت مصر حمايتها واستغلالها كانت لمصر خيرا وبركة ، أما إذا كانت بابا نفتحه للأجانب ، ونجلب بسببه استعمار مصر والسيطرة عليها لصالح الدول القوية التي تستعمل القناة ، فلا كانت القناة) .(موسوعة التاريخ الإسلامي ، د أحمد شلبي ، ٥ / ٤١١) .

(". <كيف احتل الإنجليز مصر ص/٩>

٢٦٩-"تربى تربيته الأولى في النمسا، ثم بعد ذلك في باريس، وهناك تعلم وأتقن اللغة الفرنسية، وبهرته باريس وما فيها من جمال وفتنة، ومن هناك نشأت ميوله الباريسية التي لازمته طوال حياته، وجعلته بعد أن تولى الحكم يسعى في أن يجعل القاهرة باريسا ثانية) . (١٠٠ عام على الثورة العرابية ، مركز الأهرام للدراسات ، ص١٦).

(وضع مجهوده في إعطاء مصر قشور الحضارة ومظاهرها) . (مذكرات الزعيم أحمد عرابي ، ص ٥-٦).

(أخذ إسماعيل يعمل في ما في وسعه الجهد من أجل صبغ البلاد بالصبغة الأوربية، فشجع الاستثمارات الأجنبية وأخذ يرعاها) . (١٠٠ عام على الثورة العرابية ، مركز الأهرام للدراسات ، ص١٦).

(كان إسماعيل في مصر قد أعلن أن مصر قطعة من أوربا، وأقام المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية بديلا للقضاء الإسلامي، وكان القضاء في عهد إسماعيل موحى به من الاستعمار الفرنسي نقلا من نظامهم في الجزائر...) . (اليقظة الإسلامية .. ، أنور الجندي ، ص ١٦٣) .

(كان إسماعيل .. قد تلقى دراساته الأولى في باريس ؛ فأعجب بالحضارة الأوربية أيما إعجاب ، وحين تولى الحكم أراد أن يجعل مصر قطعة من أوربا . والمعروف عنه أنه كان مولعا بالإسراف والبذخ ؛ حتى أغرق مصر بالديون) . (لمحات اجتماعية .. ، علي الوردي ، ٢/٥١) .

(في عهده – أي إسماعيل – ازدهرت الماسونية ، ودخلها الكثير من علماء مصر وأعيانها) . (لمحات اجتماعية .. ، علي الوردي ، ٣/٣٦٤) .

(استطاع النفوذ الاستعماري استغلال إسماعيل في مرحلة ضعفه وديونه، والضغط عليه لفتح الطريق أمام التغريب، وقد كان إسماعيل باشا هو أول من حمل لواء التغريب، حين أعلى كلمته التي ما تزال لها دلالتها "إن مصر قطعة من أوربا) . (

اليقظة الإسلامية ..، أنور الجندي ، ص ١٩٣) .". <كيف احتل الإنجليز مصر ص/١١>

٢٧٠-"ترك إسماعيل مصر مثقلة بالديون وترك موارد البلاد ومرافقها في قبضة الشركات الأجنبية تستغلها لحسابها.).(كشف الستار ، أحمد عرابي ، ص ح).

صندوق الدين (أول هيئة رسمية أوربية أنشئت لفرض التدخل الأجنبي في شئون مصر) . (١٠٠ عام على الثورة العرابية ، مركز الأهرام للدراسات ، ص٣٣).

(أنشئ صندوق الدين مايو ١٨٧٦ وكان بمثابة حكومة أجنبية مطلقة التصرف في مصر) . (الثورة العرابية ، صلاح عيسى ، ص ٧٢) .

(بدأ هذا التدخل ماليا، ولكنه يطوي في ثناياه عوامل التدخل السياسي) . (١٠٠ عام على الثورة العرابية ، مركز الأهرام للدراسات ، ص٣١).

(وجدت كل من إنجلترا وفرنسا في الديون الكبيرة التي تورط فيها الخديو إسماعيل فرصة ذهبية للتدخل في شئون مصر الداخلية، والسيطرة على اقتصادها) . (الثورة العرابية وأثرها .. ، محمد المرشدي ، ص ٥٠)

(إن قروض إسماعيل من فرنسا عندما زادت تدخلت بريطانيا لكي تلفت نظر الباب العالي إلى ممارسة سلطته في منعه من الاقتراض، وكانت تهدف بذلك إلى إحباط خطة فرنسا للتسلط على مصر). (الثورة العرابية ، صلاح عيسى ، ص ٩١) .

(هذا البذخ نتجت عنه القروض التي عقدها إسماعيل والتي كانت فرصة حقيقية للتدخل الأجنبي في شئون مصر الداخلية) . (تاريخ مصر الحديث ، فرغلي تسن ، ص ٢٥٣).

(إن مشروع قناة السويس كان من العوامل الرئيسة التي أثقلت الخزينة المصرية، وجعلتها ترزح تحت أعباء مالية قاسية) . (تاريخ العرب الحديث ، زاهية قدورة ، ص ٣٥٤).

(". <كيف احتل الإنجليز مصر ص/١٣>

٢٧١-"ثم إن إسماعيل باشا رأى منهم أنهم صاروا يتدخلون في أكثر الأمور، ويريدون أن لا يفعل شيئا إلا بإطلاعهم ومعرفتهم، فخاف من اتساع الأمر وسلب الملك منه، فأراد أن يجعل له عصبية من أهالي مصر، وأن يشكل منهم مجالس، ويكون أعضاؤها من العلماء ووجوه الأهالي والعمد من مشايخ البلدان، فشرع في ذلك ليكون الأمر بيدهم صورة، وأنه لا يفعل شيئا إلا بمشورتهم؛ ليدفع بذلك تغلب الإنكليز والفرنسيين وتسلطهم، ففطنوا لذلك، فسعوا في خلعه..) (خلاصة الكلام .. ، دحلان ، ص ٦٥) .

هـ - هجرة الأجانب إلى مصر :

(كان من الطبيعي أن يكون لسياسة إسماعيل المذكورة أثر كبير في زيادة مجيء الأجانب إلى مصر للاستفادة من هذه الفرص، وللمشاركة في المشاريع الجديدة، وأعمال التعمير) . (١٠٠ عام على الثورة العرابية ، مركز الأهرام للدراسات ،

ص١٧).

(من محاولاتهم لتحقيق الاستعمار الشامل: تشجيع هجرة الأوربيين إلى مصر؛ ومنهم كثير من الإنجليز والفرنسيين، حتى يكونوا عونا لهم في احتلال البلاد). (الثورة العرابية وأثرها .. ، محمد المرشدي ، ص ٥١-٥٢)

(كان من الطبيعي مع زيادة أعداد الأجانب في مصر وتزايد جالياتهم، ووضوح نفوذهم السياسي أن يفرضوا أنفسهم على خريطة السلطة في مصر، وأن يكون لهم دولا تحمي مصالحهم وتدافع عنهم، بل وتدافع عن استلابهم للبلاد..) . (تاريخ مصر الحديث ، فرغلي تسن ، ص ١٥٩).

(من أخطر الأمور التي أسفر عنها إنشاء هذه المحاكم – فضلا عن اختصاصاتها- أن أغلبية القضاة كانوا من الأجانب، وأنهم كانوا يرأسون الدوائر..) . (تاريخ مصر الحديث ، فرغلي تسن ، ص ١٦١).

و – حركة أحمد عرابي :

(أدركت الطبقة الممتازة من الأمة ! أن إصلاح هذا النظام إنما يكون بقيام الدستور، وإنشاء مجلس نيابي يوطد مبادئ العدل والحرية، ويتحقق فيه معنى الرقابة على الحكام، ويحول دون ارتكاب المظالم...).(مصر المجاهدة ..، عبدالرحمن الرافعي ، ١٥)."‏. <كيف احتل الإنجليز مصر ص/١٦>

٢٧٢-"وبتاريخ ٣٠\تموز\سنة ١٩٢٨ م شارك الشيخ علي النقي زغيب بمناسبة أربعين الفقيد سعيد سليمان حيدر وقدم في رثائه صور الحياة الاجتماعية وضمنها الحكمة والنظرة الواقعية للموت وأن الموت قادم لا محالة مهما امتد العمر بالإنسان فلا بقاء إلا للخالق عز وجل وكما عدد محاسن الفقيد وواسى أقاربه ومدح أبناءه فقال :

مضى قبلنا دهر طويل وأجيال فصالوا على الدنيا وبالرغم قد زالوا

فأين الألى قادوا الجيوش ومهدوا وأين الألى نالوا من العز ما نالوا

و أين الألى شادوا ببعل هيكلا لهيبتها تعنوا ملوك و أقيان

ومن شيد الأهرام حصنا من الردى فما رد عنه حادث الدهر سربال

ديارهم أمست بابا وقوضت حصونهم إلا رسوم وأطلال

وكم من ملوك بعد عز ومنعة عليهم تراب اللحد أصبح ينهال

أحاديث ترويها الرواة كأنها على مسرح التمثيل للناس تمثال

فيا أيها الدهر احتكم كيفما تشاء فبعد "سعيد" ليس تعظم أحوال

لقد هانت الأرزاء جنب رزئه ولم يبق للراجين يا دهر آمال

وما مات من كانت أياديه جمة تحدث عنها مدة الدهر أجيال

يخلد ذكر المرء حسن مقاله وإن فنيت منه عظام و أوصال

وله قصيدة ثانية قالها يوم مأتم الفقيد سعيد سليمان حيدر فوصفه بخسوف البدر ، وجبلا تزلزل ، وقبره ضم أكرم سيد .

_والشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد صادق رثى عمه الشيخ علي النقي زغيب مفتي بعلبك وقاضيها سنة ١٩٣٧ م ،

فقال :

لقد جل فينا الخطب واستفدح الأمر وجلت رزايانا وشيمتنا الصبر

قضى حاكم البعل النزيه وأصبحت عليه الصفاح أبيض تندب والسمر

إذا جف ماء البحر حزنا لرزئه ودكت رواسي الأرض وانخسف البدر

عرى هيكل الشمس المنيع لفقده من الحزن زلزال وزعزعه الذعر

غدت بعلبك اليوم ثكلى حزينة تنادي تداعي المجد بل قوض الفخر

غدا اليوم لبنان الكبير مفجعا تعزيه بغداد ومن بعده مصر

ورثى الشيخ مصطفى اليحفوفي فقال الشيخ محمد باقر زغيب :

أمسى كئيبا حزين القلب لبنان مذ فاجأ المصطفى للموت سلطان". <لكود القشعم ٣٥٨/١>

٢٧٣-"ومن شيد الأهرام حصنا من الردى فما رد عنه حادث الدهر سربال

ديارهم أمست يابا وقوضت حصونهم إلا رسوم وأطلال

وكم من ملوك بعد عز ومنعة عليهم تراب اللحد أصبح ينهال

أحاديث ترويها الرواة كأنها على مسرح التمثيل للناس تمثال

فيا أيها الدهر احتكم كيفما تشاء فبعد "سعيد" ليس تعظم أحوال

لقد هانت الأرزاء جنب رزئه ولم يبق للراجين يا دهر آمال

وما مات من كانت أياديه جمة تحدث عنها مدة الدهر أجيال

يخلد ذكر المرء حسن مقاله وإن فنيت منه عظام و أوصال

وله قصيدة ثانية قالها يوم مأتم الفقيد سعيد سليمان حيدر فوصفه بخسوف البدر ، وجبلا تزلزل ، وقبره ضم أكرم سيد . وجمال طبيعة بعلبك في بساتينها الغناء وارفة الظلال ، ومياهها العذبة التي تنحدر في سواقيها المرصعة بالحصى ، ملتوية في مروجها الخضراء ، تستعير خيوطها الذهبية من أشعة الشمس نهارا والفضة من قمرها ليلا ، غناها شيخنا الشاعر علي زغيب كلما جمعه مجلس أنس مع أحبة أمثال : الشاعر خليل مطران والشاعر إلياس فياض والأديب يوسف الغندور المعلوف ، فقال بتاريخ ١٤\حزيران \سنة ١٩٢٤ م قصيدة منها هذه الأبيات :

إذا غنت الأطيار في طياتها ترى الغصن مهتزا كأن له آذانا

إذا مجلس من بعدنا ضم سادة وهاموا بمن همنا فقد أخذوا عنا

ففي البيت الأول صور لنا لوحة تعج بحركة الطيور وتغريدها على الأشجار وكأنها غانيات تطرب لها أغصان الأشجار ، وفي قصائد أخر ، سحره كما سحر أمثاله من الشعراء ، مخترعات العصر التي شاهدوها ، كالسفينة والقطار والطائرة والمنطاد التي استعاروا لها شبيها من الطبيعة وصوروها بلوحات تعج بالحركة .". <لكود القشعم ٢١٦/٢>

٢٧٨-"... وبخصوص مداخل القاهرة من ناحية الأهرام والجيزة، فقد أمر الخديو بتعبيدها(١) وإعدادها لسير المركبات حتى يتمكن ضيوف مصر من ملوك أوربا وأمرائها من الذهاب إلى أهرامات الجيزة راكبين عرباتهم المذهبة دون عناء أو مشقة.

---

(١) اهتم الخديوي إسماعيل بهذه المنطقة منذ عام ١٨٦٣ م عندما زار السلطان عبد العزيز مصر وأراد مشاهدة الأهرام، ثم قام بتطويرها مرة ثانية تمهيدا لزيارة الملكة أوجيني وبعض ضيوف مصر أثناء افتتاح قناة السويس.". <مجلة التاريخ العربي ص/٣٨٩٥>

٢٨٢-"»تهتم بالوطن العزيز وترتجي

وتود للوطنيين شأنا في التقدم

وعليك مع مسك الختام تحية

إنقاذه من ورطة الأخطار

والتقدم منية الأحرار

من خلك الأوفى أبي جندار«(١)

... ومن الجوانب الهامة التي كشف عنها الجزولي النقاب أن محمد بوجندار كان يخصه بالاطلاع على جريدة "الأهرام":

... لم تكن "الأهرام" تصل إلا للإدارة العامة ومنها إلى بوجندار... الذي كان يكرمني بها، وما أدراك ما "الأهرام"! أعظم جريدة مصرية يمكن لإنسان متطلع أن يطلع منها على عالم ذلك العصر الذي خرج من الحرب منهوك القوى

---

(١) ... المصدر نفسه، ص. ٧٥.". <مجلة التاريخ العربي ص/١٢٢٦٢>

٢٨٣-"متفكك الأوصال مرتبك الأفكار تتجاذبه المؤامرات والمؤتمرات... فكنت أجد فيها من اللذة والمنفعة والاطلاع على ماجريات الأحوال ما لا يقدر قدره إلا من يساير العالم في سيره المتشوف للاطلاع على ما يجري في بحره

وبره(١).

... وعن طريق "الأهرام" تابع بوجندار وخاصته الحروب التركية . اليونانية التي خلدها الجزولي في أشعاره وسجل تجاوب المغاربة مع انتصارات مصطفى كمال أتاتورك.

... أبدى محمد بوجندار اهتماما كبيرا بالتراث المخطوط وحرص على الاستفادة منه في تأليف العديد من المؤلفات،

---

(١) ... المصدر نفسه، ص. ٧٠.". <مجلة التاريخ العربي ص/١٢٢٦٣>

٢٨٩-"يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم، ثم يحفر له طريق في الأرض بعقد أزج، فيكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراع وكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب يدخل منه على ما وصفت، فقيل له: فكيف بنيت هذه الأهرام المملسة؟ وعلى أي شيء كانوا يصعدون ويبنون؟ وعلى أي شيء كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التي لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد إلا بجهد إن قدروا؟ فقال: كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراقي كالدرج، فإذا فرغوا منه نحتوه من فوق إلى أسفل، فهذه كانت حيلتهم، وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة. فقيل له: ما بال هذه الكتابة التي على الأهرام والبرابي لا تقرأ؟ فقال: دثر الحكماء وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم، وتداول أرض مصر الأمم، فغلب على أهلها القلم الرومي، وأشكال الأحرف للروم، والقبط تقرؤه على حسب تعارفها إياه، وخلطها الأحرف الروم بأحرفها، على حسب ما ولوا من الكتابة بين الرومي والقبطي الأول؟ فذهبت عنهم كتابة آبائهم.

فقيل له: فمن أول من سكن مصر؟ قال: أول من نزل هذه الأرض مصر بن بيصر بن حام بن نوح، ومر في أنساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم، وتفرقهم في الأرض.

فقيل له: أتعرف بمصر مقاطع رخام؟ قال: نعم في الجانب الشرقي من الصعيد جبل رخام عظيم كانت الأوائل تقطع منه العمد وغيرها، وكانوا يجلون ما عملوا بالرمل بعد النقر، فأما العمد والقواعد والرؤوس التي قسميها أهل مصر الأسوانية، ومنها حجارة الطواحين، فتلك نقرها الأولون بعد حدوث النصرانية بمئين من السنين، ومنها العمد التي بالإسكندرية، والعمود الذي بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله، وقد رأيت في جبل أسوان أخا لهذا العمود قد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل، ولم ايحك ما ظهر منه، وإنما كانوا ينتظرون أن يفصل من الجبل ثم يحمل إلى حيث يريد القوم.

وسئل عن مدينة العقاب، فقال: هي غربي أهرام بوصير الجيزة وهي على خمسة أيام بلياليها للراكب المجد، وقد وعرت طريقها وعميت المسالك إليها، والسمت الذي يؤدي نحوها، وذكرها فيها من عجائب البنيان والجواهر والأموال والعلة التي

لها سميت مدينة العقاب، ووصف مدينة أخرى غربي أخميم من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفة، وذكر من شأن هذه المدينة الأخرى عجائب من الأخبار، وزعم أن بينها وبين إخميم من أرض الصعيد مسيرة ستة أيام.
وسئل عن النوبة وأرضها، فقال: هم أصحاب إبل وبخت، وبقر وغنم، وملكهم يستعد الخيل العتاق، والأغلب من ركوب عوامهم البراذين، ورميهم بالنبل عن قسيئ عربية، وعنهم – أخذ الرمي أهل الحجاز واليمن وغيرهم من الغرب، وهم الذين يسميهم العرب رماة الحدق، ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة، وأرضهم كأنها جزء من أرض اليمن، وللنوبة أترج كأكبر ما يكون بأرض الإسلام، وملوكهم تزعم أنهم من حمير، وملكهم يستولى على مقرا ونوبة وعلوة، وراء علوة أمة عظيمة من السودان تدعى بكنة وهم عراة كالزنج، وأرضهم تنبت الذهب، وفي مملكة هذه الأمة يفترق النيل فيتشعب منه خليج عظيم، ثم يخضر الخليج بعد انفصاله من النيل، وينحدر الأكثر إلى بلاد النوبة، وهو النيل لا يتغير، فلذا كان في بعض الأزمنة انفصل الأكثر من الماء في ذلك الخليج، وابيض الأكثر، واخضر الأقل، فيشق ذلك الخليج في أوديا وخلجان وأعماق مأنوسة حتى يخرج إلى جلاسق والجنوب، وذلك على ساحل الزنج، ومصبه في بحرهم.". <مروج الذهب ١/١٥٥>

٢٩٠–"قال المسعودي: وأخبرني غير واحد من بلاد أخميم من صعيد مصر، عن أبي الفيض في النون بن إبراهيم المصري الإخميمي الزاهد، وكان حكيماً، وكانت له طريقة يأتيها ونحلة يعضدها، وكان ممن يقرأ عن أخبار هذه البرابي ودارها وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور، قال: رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته، فإذا هو احفروا العبيد المعتقين، والأحداث المغترين والجند المتعبدين، والنبط المستعربين قال: ورأيت في بعضها كتاباً تدبرته فإذا فيه يقدر المقدور والقضاء يضحك وزعم أنه رأى في آخره كتابة وتبينها بذلك القلم الأول فوجدها:
تدئر بالنجوم ولمست تدري ... ورب النجم يفعل ما يريد
وكانت هذه الأمة التي أتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في أحكام النجوم مواظبة على معرفة أسرار الطبيعة، وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم أن طوفاناً سيكون في الأرض، ولم تقطع بأن ذلك الطوفان ما هو: أنار تأتي على الأرض فتحرق ما عليها، أو ماء فيغرقها، أو سيف يبيد أهلها؟ فخافت دثور العلوم وفناءها بفناء أهلها، فاتخذت هذه البرابي، واحدها بربا، ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة، وجعلت بنيانها نوعين: طيناً، وحجر أو فرزت ما يبنى بالطين مما يبنى بالحجر، وقالت: إن كان هذا الطوفان نارا استحجر ما يبنى من الطين وانحرق، وبقيت هذه العلوم، وإن كان الطوفان الوارد ماء أذهب ما يبنى بالطين، ويبقى ما يبنى بالحجارة، وإن كان الطوفان سيفا بقي كلا النوعين ما هو بالطين وما هو بالحجر، وهذا على ما قيل – والله أعلم – كان قبل الطوفان، وقيل: إن ذلك كان بعد الطوفان لرأن الطوفان الذي كانوا يرقبونه ولم يتيقنوا أنار هو أم ماء أم سيف، كان سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيتها وملك نزل عليها فأباد أهلها ومنهم من رأى أن ذلك الطوفان كان وباء عم أهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير، وذكر وأنثى، كالجبال العظام، وهي المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر بأبي الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض في كهوف وغير ان ونواوشى، ومواضع كثيرة من الأرض لا يدرى من أي الأمم هم، فلا النصارى تخبر عنهم أنهم من أسلافهم، ولا اليهود تقول عنهم إنهم من أوائلهم، ولا المسلمون يدرون

من هم ولا تاريخ ينبئ عن حالهم، عليهم أثوابهم، وكثيرا ما يوجد في تلك الروابي والجبال من حليهم، والبرابي ببلاد مصر بنيان قائم عجيب: كالبربا المتخفة بأنصناء من صعيد مصر، وهو أحد الموصوفين منها، والبربا التي ببلاد أخميم، والبربا التي ببلاد سمنود، وغير ذلك.

الأهرامات أيضا

والأهرام وطولها عظيم، وبنيانها عجيب، عليها أنواع من الكتابات بأقلام الأمم السالفة، والممالك الداثرة، لا يحرى ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها، وقد قال من عنى بتقدير ذرعها: إن مقدار ارتفاع ذهابها في الجو نحو من أربعمائة ذراع، أو كثر، وكلما علا به الصعداء دق ذلك، والعرض نحو ما وصفنا، عليها من الرسوم ما ذكرنا، وإن ذلك علوم وخواص وسحر وأسرار للطبيعة، وإن من تلك الكتابة مكتوب: أنا بنيناها فمن يدعى موازنتنا في الملك وبلوغنا في القدرة وانتهاءنا من السلطان فليهدمها، وليزل رسمها؟ فإن الهدم أيسر من البناء، والتفريق أيسر من التأليف، وقد ذكر أن بعض ملوك الإسلام شرع في هدم بعضها فإذا خراج مصر وغيرها من الأرض لا يفي بقلعها، وهي من الحجر والرخام، والغرض في كتابنا هذا الإخبار عن جمل الأشياء وجوامعها، لا عن تفصيلها وبسطها، وقد أتينا على سائر ما شاهدناه حسا في مطافاتنا الأرض والممالك، وما نمي إلينا خبرا من الخواص وأسرار الطبيعة من الحيوان والنبات والجماد في عجائب البلدان والآثار والبقاع، في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب.". <مروج الذهب ١/١٦٠>

٢٩١-"عمود من الذهب على أعلاه ديك من الذهب عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا، وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد، بزاتنه على صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود، فأمر له عبد العزيز بنفقه ألوف من الدنانير لأجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه، وكان هنالك تل عظيم، فاحتفروا حفرة عظيمة في الأرض، والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر، فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك، وأوسع في النفقة، وكثر من الرجال، ثم انتهوا في حفرهم إلى ظهور رأس الديك، فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الياقوت وشدة نوره ولمعان ضيائه، ثم بانت قوائمه، وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع من الأحجار والرخام، وقناطر مقنطرة، وطاقات على أبواب معقودة، ولاحت منها تماثيل وصور أشخاص من أنواع الصور والذهب وأجربة من الأحجار قد أطبقت عليها أغطيتها وشبكت، وقيد ذلك بأعمدة الذهب؟ فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع، فنظر إلى ما ظهر من ذلك، فأسرع بعضهم فوضع قدمه على درجة منسبكة من نحاس تنتهي إلى ما هنالك، فلما استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين المرجة وشمالها، فالتفتا على الرجل.، فلم يدرك حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا، فلما استقر جسمه على بعض المرج اختز العمود وصفر الديك تصفيرا عجيبا سمعه من كان بالبعد من هنالك، وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة، وقد عملت باللوالب والحركات، إذا ما وقع على بعض تلك المرج شيء أو ماسها تهافت من هنالك من الرجال إلى أسفل تلك الحفيرة، وكان ممن يحفر ويعمل وينقل التراب ويبصر ويتحرك ويأمر وينهى نحو ألف رجل، فهلكوا جميعاً، فجزع عبد العزيز، وقال: هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النيل، نعوذ بالله منه! وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من التراب على من هلك من الناس، فكان الموضع قبرا لهم.

قال المسعودي: وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب، ومن قد أغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والأمم السالفة المستودعة بطن الأرض ببلاد مصر، وقع إليهم كتاب ببعض الأقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على أفرع يسيرة من بعض الأهرام المقدم ذكرها. بأن فيه مطلباً عجيبا، فأخبروا الإخشيد محمد بن طغج بذلك، فأذن لهم في حفره، وأباحهم استعمال الحيلة في إخراجه، فحفروا حفراً عظيما إلى أن انتهوا إلى أزج وأقباء وحجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالأطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الأجزاء، والصور مختلفة: منها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد والفيروزج والزبرجد، ومنها ما وجوهها ذهب وفضة، فكسروا بعض تلك التماثيل، فوجدوا في أجوافها رمماً بالية، وأجساما فانية، وإلى جانب كل تمثال منها نوع من الآنية كالبرابي وغيرها من الآلات من المرمر والرخام، وفيه نوع من الطلاء الذي قد طلي منه ذلك الميت الموضوع في تمثال الخشب، وما بقي من الطلاء متروك في ذلك الإناء، والطلاء دواء مسحوق وأخلاط معمولة لا رائحة لها، فجعل منه على النار، ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من الأنواع التي للطيب، وقد جعل كل تمثال من الخشب على، صورة من فيه من الناس على اختلاف أسنانهم، ومقادير أعمارهم، وتباين صورهم، وبازاء كل تمثال من هذه التماثيل تمثال من الحجر المرمر، أو من الرخام الأخضر، على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور، وعليها أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملل، وزعم قوم من ذوي الدراية منهم أن لذلك القلم، من حين فقد من الأرض – أعني أرض مصر – أربعة آلاف سنة، وفيما ذكرناه دلالة على أن هؤلاء ليسوا بيهود ولا بنصارى، ولم يؤدهم الحفر إلا إلى ما ذكرنا من هذه التماثيل، وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة.

وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر إلى أحمد بن طولون وغيره إلى هذا الوقت – وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة – أخبار عجيبة، فيما استخرج في أيامهم من الدفائن والأموال والجواهر، وما أصيب في القبور من المطالب والخزائن، وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من تأليفنا، وتقدم من تصنيفنا، و بالله التوفيق.". <مروج الذهب ١/١٦٣>

٢٩٤–"الأعظم – وهو سد يأجوج ومأجوج – وقد تنازع الناس في كيفية بنائه كتنازعهم في أرم ذات العماد على ما ذكرنا آنفا، وكيفية بناء الأهرام الذي بأرض مصر وما عليها من الكتابة المرسومة، وما بصعيد مصر من البرابي المصنوعة، وبغير أرض الصعيد من بلاد مصر، وأخبار مدينة العقاب، وما ذكر الناس فيها، وكونها في وهاد مصر وأنها في جهة الواحات مما يلي المغرب والحبشة، وخبر العمود الذي ينزل منه الماء في فصل من السنه بأرض عاد، وأخبار النمل الذي على قدر الذئاب والكلاب، وقصة أرض الذهب التي حذاء سجلماسة من أرض المغرب، ومن هنالك من وراء النهر العظيم، ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم، وتركهم المتاع، وغدؤ الناس إلى أمتعتهم فيجدون أعمدة الذهب وقد تركت إلى جنب كل متاع من تلك الأمتعة، فإن شاء مالك المتاع أختار الذهب وترك المتاع، وإن شاء أخذ متاعه وترك الذهب، وإن أحب الزيادة ترك الذهب والمتاع، وهذا مشهور بأرض المغرب بسجلماسة، ومنها يحمل التجار الأمتعة إلي ساحل هذا النهر، وهو

نهر عظيم واسع الماء، وكذلك بأقاصي خراسان مما يلي بلاد الترك من أقاصي ديارهم أمة تتبايع على مثل هذا الوصف منغير مخاطبة ولا مشاهدة، وهم هنالك على نهر عظيم أيضا، وخبر البئر المعطلة والقصر المشيد، وذاك ببلاد الشحر من بلاد الأحقاف بين اليمن وحضرموت، والبئر وما فيها من الخرق واتصالها بالقرى والفضاء من أعلاها وأسفلها وما قاله الناس في تأويل هذه الآية فيها، وهل المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أم غيره؟ وأخبار مخاليف اليمن، وهي القلاع والحصون كقلعة نحل وغيرها، وأخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته من عجيب الهياكل والكنائس، والعمود الذي عليه السودانية من النحاس وما يحمل إليها من الزيتون في أي أمه بالشام وغيره، ويحمل ذلك الطائر المعروف بالسودانية في مخالبه ومنقاره؛ فيطرحونه في تلك، السودانية النحاس، فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك، على حسب ما ذكرنا في أخبار الطلسمات عن بلينوس وغيره في كتابنا أخبار الزمان ثم أخبار البيوت السبعة التى ببلاد الأندلس وخبر مدينة الصفر وقبة الرصاص التي بمفاوز الأندلس، وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول إليها، ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك بن مروان في نزوله عليها، وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها، وإخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا إلى نعيم الدنيا والآخرة، وخبر المدينة التي أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشي في أطراف مفاوز الهند، وما كان من أخبار ملوك الهند وعدم وصولهم إليها، وما يجري من وادي الرمل نحوها، وما ببلاد الهند من الهياكل المتخذة للأصنام التي على صورة البدرة المتقدم ظهورها في قديم الزمان بأرض الهند، وخبر الهيكل المعظم الذي ببلاد الهند المعروف بالدري، وهذا عند الهند يقصد من البلدان الشاسعة وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوار لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند، وخبر الهيكل الذي فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند، وخبر سندان كسرى ببلاد قرماسين من أعمال الدينور من ماه الكوفة، وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وبدائع ما فيه من الخلق من الحيوان وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا، وكذلك ما خص به كل بلد من أنواع الفواكه دون غيره من البلدان، في الإسلام وغيره من الممالك، وما بان به أهل كل بلد من اللباس والأخلاق دون غيرهم، وما انفردوا به من أنواع الأغذية والمآكل والمشارب والشيم، وعجائب كل بلد، وذكرنا أخبار البحار وما قيل في اتصال بعضها ببعض وتغلغل مياهها، وما يحدث في كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجواهر دون غيوه – من البحار، كتكون المرجان ببحر المغرب وعدمه من غيره، ووجود اللؤلؤ في البحر الحبشي دون غيره.

محاولات قديمة لوصل بحر الروم بالبحر الأحمر". <مروج الذهب ١/٢٧٢>

٢٩٥-"ما عابه أن بز عنه ثيابه ... فالسيف أهول ما يرى مسلولا

ومن ذلك دار الأنماط. وكانت بفسطاط مصر، يباع بها قماش النساء، وفاخر اللباس والأمتعة. تجلب إليها من كل أرض. وكان يجلس على حوانيتها أهل الفراغ واللهو. من عجائب المباني، وغرائب الآثار.

وحكى ابن ظافر أن ابن قلاقس جلس بمصر فيها مع جماعة، فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك. وهي شمس تحت سماء النقاب، وغصن في أوراق الشباب. فحدقوا إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب، والمريض إلى الطبيب. فجعلت تتلفت تلفت الظبي المذعور، أفرقه القانص فهرب، وتثنى تثني الغصن الممطور، عانقه النسيم فاضطرب. فسألوه العمل في وصفها.

فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطان الأزدي القيرواني:

أعرضن لما أن عرضن فإن يكن ... حذرا فأين تلفت الغزلان

ثم صنع:

لها ناظر في ذرى ناضر ... كما ركب السن فوق القناة

لوت حين ولت لنا جيدها ... فأي حياة بدت من وفاة

كما ذعر الظبي من قانص ... فمر وكرر في الالتفات

ثم صنع:

ولطيفة الألفاظ لكن قلبها ... لم أشك منه لوعة إلا عتا

كلمت محاسنها فود البدر أن ... يحضى ببعض صفاتها أو ينعتا

قد قلت لما أعرضت وتعرضت ... يا مؤيسا يا مطعما قل لي متى

قالت: أنا الظبي العزيز وإنما ... ولى وأوجس خيفة فتلفتا

ومن ذلك الأهرام بمصر. وأجلها الهرمان بجيزة مصر. وقد أكثر الناس القول في سبب ما بنيا له. فقيل: " هياكل للكواكب " . وقيل: " قبور ومستودع مال وكتب " . وقيل: " ملجأ من الطوفان " . وهو أبعد ما قيل فيها. لأنها ليست شبيهة بالمساكن.

وأقربها إلى الصحة " والله أعلم " إما هياكل كواكب، وإما مواضع قبور. ولقد فتح أكبرها في زمن المأمون، حين قدم مصر. فلم يظهر منه ما يدل على ما وضع له. وعلى ألسنة الناس أنه وجد ذهبا فوزنه، وحسب مقدار ما أنفقه، فوجدهما سواء بسواء، لا يزيد أحدهما على الآخر بشيء، لعلمهم السابق أنه سينفق عليه مثل هذا المقدار. فوضع هذا المقدار بإزاء ما ينفق عليه. ووجدت هذا في كثير من الكتب. فراجعت التواريخ الصحيحة والكتب المسكون إليها، فلم أجد المأمون وجد بها شيئا ولا استفاد زائدا عما يعلم الناس به علما.

وأدل الأدلة على أحدها هيكل بعض الكواكب، أن الصابئة كانت تأتي حقيقة تحج الواحد وتزور الآخر، ولا تبلغ به مبلغ الأول في التعظيم. والله أعلم بحقيقة أمورها وجلية أحوالها.

وهي أشكال لهبية. كأن كل هرم لهبة سراج. آخذة في أسافلها على التربيع مسلوبة في عمود الهواء، آخذة في الجو حتى إلى التثليث. لولا استدارة سفل أبلوج السكر لشبهناها به. ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعا لبعض الكواكب لمناسبة اقتضته.

ولقد أصعدت غير مرة، مارا على الأهرام بجميع بلاد الجيزة، ورأيت منها ما دثر بعضه، وما دثر كله. فإذا هي مصفحة البناء، شيئا على شيء، لا فسحةفي أوساطها، كما تكون ساحات الدور بين الجدران. وإنما هي بناء ماتصق على بناء، بعضها فوق بعض. ووجدت بعض الأهرام مبنية بالطوب. وهذا أكبر دليل على أنها لم تتخذ ملجأ من الطوفان.

فأما مقدار الهرمين المشار إليهما، في ارتفاعهما ومساحة أقطارهما، فإنه مذكور في الكتب ذكرا مستوعبا لم أحققه بالقياس. وأبى لي تحقيقي في هذا الكتاب أن أذكره بمجرد التقليد، مع إمكان التحقيق، مع كثرة ترددي عليها، وسكني في القاهرة في

جوارها. ولعذر مانع في وقت هذا التأليف، قعدت عن معاودتها بالنظر والتحقيق.
على أن الهدم قد شرع في قلع هذه الآثار، ونقل أحجارها إلى الأبنية والمساكن. نبه لها الدهر طرفا غافيا، وقلبا غافلا، فأصبحت هاوية الأركان، تابعة السكان. فلقد صدق عليها المتنبي قوله:
أين الذي الهرمان من بنيانه؟ ... من قومه؟ ما يومه؟ ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن سكانها ... حينا ويدركه الفناء فتتبع". <مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ص/٧٤>

أومة بفتح أوله وثانيه اسم مدينة في آخر بلاد زويلة السودان من جهة الفزان بينها وبين زويلة ثمانية أيام

أون بالفتح ثم السكون والنون موضع في قول بعض الأعراب أيا أثلتي أون سقى الأصل منكما مسيل الربى والمدجنات رباكما فلو كنتما بردي لم أكس عاريا ولم يلق من طول البلى خلقاكما ويا أثلتي أون إذا هبت الصبا وأصبحت مقرورا ذكرت فناكما أونبة بالفتح ثم السكون وفتح النون وباء موحدة وهاء قرية في غربي الأندلس على خليج البحر المحيط بها توفي أبو محمد أحمد بن علي بن حزم الإمام الأندلسي الظاهري صاحب التصانيف

أونيك بالضم ثم السكون ونون مكسورة وياء ساكنة وكاف قلعة حصينة في كورة باسين من أرض أرزن الروم عندها كانت الوقعة التي كسر فيها ركن الدين بن قلج أرسلان

أوه بفتحتين قرية بين زنجان وهمذان منها الشيخ الصالح الزاهد أبو علي الحسن بن أحمد بن يوسف الأوقي لقيته بالبيت المقدس تاركا للدنيا مقبلا على قراءة القرآن مستقبلا قبلة المسجد الأقصى وسمعت عليه جزءا وكتبت عنه وسألته عن نسبه فقال أنا من بلد يقال له أوه فقال لي السلفي الحافظ ينبغي أن تزيد فيه قافا للنسبة فلذلك قيل لي الأوقي وسمع السلفي وغيره ولقيته في سنة ٦٤٢

أويش بالضم ثم الفتح وياء ساكنة وشين معجمة قرية قرب سمنود على بحر دمياط من ديار مصر

باب الهمزة والهاء وما يليهما

إهاب بالكسر موضع قرب المدينة ذكره في خبر الدجال في صحيح مسلم قال بينهما كذا وكذا يعني من المدينة كذا جاءت الرواية فيه عن مسلم على الشك أو يهاب بكسر الياء عند الشيوخ كافة وبعض الرواة قال بالنون نهاب ولا يعرف هذا الحرف في غير هذا الحديث

إهالة بكسر أوله موضع في شعر هلال بن الأشعر المازني فسقيا لصحراء الإهالة مربعا وللوقبى من منزل دمث مثر وفي أبيات ذكرت في فليج

أهجم بضم الجيم موضع

الأهرام جمع هرم وهي أبنية عظيمة مربعة الشكل كلما ارتفعت دقت تشبه الجبل المنفرد فيها اختلاف ذكر بباب الهاء من هذا الكتاب في هرم

أهر بالفتح ثم السكون وراء مدينة عامرة كثيرة الخيرات مع صغر رقعتها من نواحي أذربيجان بين أردبيل وتبريز ويقال لأميرها ابن بيشكين ". <معجم البلدان ١/٢٨٣>

٢٩٨-" فالغر فالكروان فالفارور إذ بشجيك في طيرانه المتحلق أشهدت حرب الطير في غيطانه لما تجوق منه كل مجوق والزمج والغضبان في رهط له ينحط بين مرعد ومبرق ورأيت للبازي سطوة موسر ولغيره ذل الفقير المملق كم قد صبوت بغرتي في شرتي وقطعت أيامي برمي البندق وخلعت في طلب المجون حبائلي حتى نسبت إلى فعال الأخرق ومهاجر ومنافر ومكابر قلق الفؤاد به وإن لم يقلق لو عاين التفاح حمرة خده لصبا إلى ديباج ذاك الرونق يا حامل السيف الغداة وطرفه أمضى من السيف الحسام المطلق لا تقطعن يد الجفاء حبائلي قطع الغلام العود بالإستبرق

دير الوليد بالشام لا أدري أين هو إلا أن مفسري قول جرير قالوا إياه أراد بقوله لما تذكرت بالديرين أرقني صوت الدجاج وضرب بالنواقيس

دير ونا قال العمراني هو موضع بمصر

دير هرمس بكسر ويضم بمنف من أرض مصر وعنده هرم قيل إن فيه مدفونا رجلا كان يعد بألف فارس على ما ذكروه وهو غربي الأهرام المشهورة وذكرته في الأهرام

دير هزقل بكسر أوله وزاي معجمة ساكنة وقاف مكسورة وأصله حزقيل ثم نقل إلى هزقل وفي هذا الموضع كان قصة الذين قال الله عز و جل فيهم ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم لحزقيل في هذا الموضع وقد ذكرت المواضع بتمامها في داوردان وفي البطائح فأغنت عن الإعادة وهو دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم ويقال إنه المراد بقوله تعالى أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ذكره بعض المفسرين قال وعندها أحيا الله حمار عزير عليه السلام حدث أبو بكر الصولي عن الحسين بن يحيي الكاتب قال غضب أبو عباد ثابت ابن يحيى كاتب المأمون يوما على بعض كتابه فرماه بدواة كانت بين يديه فلما رأى الدم يسيل ندم وقال صدق الله عز و جل والذين إذا ما غضبوا هم يتجاوزون فبلغ ذلك المأمون فانتبه وعتب عليه وقال ويحك أنت أحد أعضاد المملكة وكتاب الخليفة ما تحسن تقرأ آية من كتاب الله فقال بلى يا أمير المؤمنين إني لأقرأ من سورة واحدة ألف آية وأكثر فضحك المأمون وقال من أي سورة قال من أيها شئت فازداد ضحكه وقال قد شئت من سورة الكوثر وأمر بإخراجه من ديوان الكتابة فبلغ ذلك دعبلا الشاعر فقال أولى الأمور بضيعة وفساد أمر يدبره أبو عباد خرق على جلسائه فكأنهم حضروا لملحمة ويوم جلاد فكأنه من دير هزقل مفلت حرد يجر سلاسل الأقياد ". <معجم البلدان ٢/٥٤٠>

٢٩٩-" سبع وعشرين درجة ودقائق والجوزهر في الميزان وأوج القمر في الأسد في خمس درج ودقائق ثم نظرنا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر بالعالم فاحتسبنا الكواكب فإذا هي تدل على أن آفة من السماء نازلة إلى الأرض وأنها ضد الآفة الأولى وهي نار محرقة لأقطار العالم ثم نظرنا متى يكون هذا الكون المضر فرأيناه يكون عن حلول قلب الأسد في

آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشرة من الأسد ويكون إيليس وهو الشمس معه في دقيقة واحدة متصلة بستورنس وهو زحل من تثليث الرامي ويكون المشتري وهو زاويس في أول الأسد في آخر احتراقه ومعه المريخ وهو آرس في دقيقة ويكون سلين وهو القمر في الدلو مقابلا لإيليس مع الذنب في اثنتين وعشرين ويكون كسوف شديد له بثلث سلين القمر ويكون عطارد في بعده الأبعد أمامها مقبلين أما الزهرة فللاستقامة وأما عطارد فللرجعة قال الملك فهل عندكم من خبر توقفوننا عليه غير هذين الاثنين قالوا إذا قطع قلب الأسد ثلثي سدس أدواره لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف فإذا استتم أدواره تحللت عقود الفلك وسقط على الأرض قال لهم ومتى يكون يوم انحلال الفلك قالوا اليوم الثاني من بدو حركة الفلك فهذا ما كان في القرطاس فلما مات سوريد دفن في الهرم الشرقي ودفن هوجيب في الهرم الغربي ودفن كرورس في الهرم الذي أسفله من حجارة أسوان وأعلاها كدان ولهذه الأهرام أبواب في آزاج تحت الأرض طول كل أزج منها مائة وخمسون ذراعا فأما باب الهرم الشرقي فمن الناحية البحرية وأما باب الهرم الغربي فمن الناحية الغربية وأما باب الهرم المؤزر فمن الناحية القبلية وفي الأهرام من الذهب وحجارة الزمرد ما لا يحتمله الوصف وإن مترجم هذا الكتاب من القبطي إلى العربي أجمل التاريخات إلى أول يوم من توت الأحد وطلوع شمسه سنة خمس وعشرين ومائتين من سني العرب فبلغت أربعة آلاف وثلثمائة وإحدى وعشرين سنة لسني الشمس ثم نظركم مضى من الطوفان إلى يومه هذا فوجده ثلاثة آلاف وتسعمائة وإحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوما فألقاها من هذه الجملة فبقي معه ثلثمائة وتسع وتسعون سنة وخمسة أيام فعلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين وحكى ابن زولاق ومن عجائب مصر أمر الهرمين الكبيرين في جانبها الغربي ولا يعلم في الدنيا حجر على حجر أعلى ولا أوسع منها طولها في الأرض أربعمائة ذراع في أربعمائة وكذلك علوها أربعمائة ذراع وفي أحدهما قبر هرمس وهو إدريس عليه السلام وفي الآخر قبر تلميذه أغاتيمون وإليهما تحج الصابئة قال وكانا أولا مكسوين بالديباج وعليهما مكتوب وقد كسوناهما بالديباج فمن استطاع بعدنا فليكسهما بالحصير قال وقال حكيم من حكماء مصر إذا رأيت الهرمين أن الإنس والجن لا يقدرون على عمل مثلهما ولم يتولهما إلا خالق الأرض ولذلك قال بعض من رآهما ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فإني أرحم الدهر منهما قال عبيد الله مؤلف هذا الكتاب وقد رأيت الهرمين وقلت لمن كان في صحبتي غير مرة إن الذي يتصور في ذهني أنه لو اجتمع كل من بأرض مصر من أولها إلى آخرها على سعتها وكثرة أهلها وصمدوا بأنفسهم عشر سنين مجتهدين لما أمكنهم أن يعملوا مثل الهرمين وما سمعت بشيء تعظم عمارته فجئته إلا ورأيته دون ". <معجم البلدان ٥/٤٠٠>

٣٠٠-" صفته إلا الهرمين فإن رؤيتهما أعظم من صفتهما قال ابن زولاق ولم يمر الطوفان على شيء إلا وأهلكه وقد مر عليهما لأن هرمس وهو إدريس عليه السلام قبل نوح وقبل الطوفان وأما الهرم الذي بدير هرميس فإنه قبر قرباس وكان فارس مصر وكان يعد بألف فارس فإذا لقيهم وحده لم يقوموا له وانهزموا وإنه مات فجزع عليه الملك والرعية ودفنوه بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجا وبقي طينه الذي بني به مع الحجارة من الفيوم وهذا معروف إذا نظر إلى طينه لم يعرف له معدن إلا بالفيوم وليس بمنف ووسيم له شبه من الطين وقال ابن عفير وابن عبد الحكم وفي زمان شداد بن عاد بنيت الأهرام فيما ذكر عن بعض المحدثين ولم نجد عند أحد من أهل العلم من أهل مصر معرفة في الأهرام ولا خبرا ثبت إلا أن

الذي يظن أنها بنيت قبل الطوفان فلذلك خفي خبرها ولو بنيت بعده لكان خبرها عند الناس ولذلك يقول بعضهم حسرت عقول ذوي النهى الأهرام واستصغرت لعظيمها الأحلام ملس منبقة البناء شواهق قصرت لغال دونهن سهام لم أدر حين كبا التفكر دونها واستوهمت بعجيبها الأوهام أقبور أملاك الأعاجم هن أم طلسم رمل كن أم أعلام وقال ابن عفير لم تزل مشايخ مصر يقولون إن الأهرام بناها شداد بن عاد وهو الذي بنى المغار وجند الأجناد والمغار والأجناد هي الدفائن وكانوا يقولون بالرجعة فكان إذا مات أحدهم دفنوا معه ماله كائنا ما كان وإن كان صانعا دفنت معه آلته وذكر أن الصابئة تحجها ومن عجائب مصر الهرمان إذ ليس على وجه الأرض بناء باليد حجر على حجر أطول منهما وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضعان ولذلك قيل ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فإني أرحم الدهر منهما وعلى ركن أحدهما صنم كبير يقال إنه بلهيت ويقال إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على كورة الجيزة وإن الذي طلسمه بلهيت وسبب تطلسمه أن الرمال غربية وشمالية كثيرة متكاثفة فإذا انتهت إليه لا تتعداه وهو صورة رأس آدمي ورقبته ورأسا كتفيه كالأسد وهو عظيم جدا حدثني من رأى نسرا عشش في أذنه وهو صورة مليحة كأن الصانع فرغ منه عن قرب وهو مصبوغ بحمرة موجودة إلى الآن مع تطاول المدة وتقدم الأعوام قال المعري تضل العقول الهبرزيات رشدها ولا يسلم الرأي القويم من الأفن وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن وقال أبو الصلت وأي شيء أعجب وأغرب بعد مقدورات الله عز و جل ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم من أعظم الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع ونحو سبعة عشر ذراعا تحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا وهو مع هذا العظم من إحكام الصنعة وإتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر إلى هلم جرا بتضاعف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط ". <معجم البلدان ٥/٤٠١>

٣٠١-" من الجانب الغربي على ما شاهدناه منهما قال واتفق أن خرجنا يوما فلما طفنا بهما وكثر تعجبنا منهما تعاطينا القول فيهما فقال بعضنا يعني نفسه بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا على طول ما أبصرت من هرمي مصر أطافا بأعنان السماء وأشرفا على الجو إشراف السماك أو النسر وقد وافيا نشزا من الأرض عاليا كأنهما ثديان قاما على صدر قال وزعم قوم أن الأهرام الموجودة بمصر قبور الملوك العظام آثروا أن يتميزوا بها عن سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور ولما وصل المأمون إلى مصر أمر بنقبهما فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد في داخله مهاو ومراق يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد في أعلاها بيت مكعب طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية فأمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه وفي سفح أحد الهرمين صورة آدمي عظيم مصبغة وقد غطى الرمل أكثرها وهي عجيبة غريبة وفيها يقول ظافر الحداد الإسكندري تأمل بنية الهرمين وانظر وبينهما أبو الهول العجيب كعماريتين على رحيل لمحبوبين بينهما رقيب وماء النيل تحتهما دموع وصوت الريح عندهما نحيب قال ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالحكمة وهو الذي يسميه العبرانيون أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم وهو إدريس النبي عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون

الطوفان فأمر ببنيان الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم إشفاقا عليها من الذهاب والدروس وحفظا لها واحتياطا عليها وقيل إن الذي بناها سوريد بن سهلوق بن سرياق وقال البحتري في قصيدة ولا بسنان بن المشلل عندما بنى هرميها من حجارة لابها وذكر قوم أنه قد كتب على الهرمين بالمسند إني بنيتهما فمن يدعي قوة في ملكه فليهدمهما فإن الهدم أيسر من البناء وذكر أن حجارتهما نقلت من الجبل الذي بين طرا وحلوان وهما قريتان من مصر وأثر ذلك باق إلى الآن

هرمز بضم أوله وسكون ثانيه وضم الميم وآخره زاي قال الليث هرمز من أسماء العجم قال والشيخ هرمز يهرمز وهرمزته لوكه لقمة في فيه لا يسيغها فهو يديرها في فيه وهرمز مدينة في البحر إليها خور وهي على ضفة ذلك البحر وهي على بر فارس وهي فرضة كرمان إليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخراسان ومن الناس من يسميها هرموز بزيادة الواو

وهرمز أيضا قلعة بوادي موسى عليه السلام بين القدس والكرك

هرمزجرد ناحية كانت بأطراف العراق غزاها المسلمون أيام الفتوح

هرمزغند الغين معجمة ونون من قرى مرو على خمسة فراسخ منها ينسب إليها عبد الحكم بن ". <معجم البلدان ٥/٤٠٢>

٣٠٢-"و انظر بالمشاهدة إيوان كسرى و ما أقتدر فيه الفرس حتى أنه عزم الرشيد على هدمه و تخريبه فتكاءد عنه و شرع فيه ثم أدركه العجز و قصة استشارته ليحيي بن خالد في شأنه معروفة فانظر كيف تقتدر دولة على بناء لا تستطيع أخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم و البناء في السهولة. تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين و انظر إلى بلاط الوليد بدمشق و جامع بنى أمية بقرطبة و القنطرة التي على واديها كذلك بناء الحنايا لجلب الماء إلى قرطاجنة في القناة الراكبة عليها آثار شرشال بالمغرب و الأهرام بمصر و كثير من هذه الآثار الماثلة للعيان يعلم منه اختلف الدول في القوة و الضعف و اعلم أن تلك الأفعال للأقدمين إنما كانت بالهندام و اجتماع الفعلة و كثرة الأيدي عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل و المصانع و لا تتوهم ما تتوهمه العامة أن ذلك لعظم أجسام الأقدمين عن أجسامنا في أطرافها و أقطارها فليس بين البشر في ذلك كبير بون كما نجد بين الهياكل و الآثار و لقد ولع القصاص بذلك و تغالوا فيه و سطروا عن عاد و ثمود و العمالقة في ذلك أخبارا عريقة في الكذب من أغربها ما يحكون عن عوج بن عناق رجل من العمالقة الذين قاتلهم بنو إسرائيل في الشام زعموا أنه كان لطوله يتناول السمك من البحر و يشويه إلى الشمس و يزيدون إلى جهلهم بأحوال البشر الجهل بأحوال الكواكب لما اعتقدوا أن للشمس حرارة و أنها شديدة فيما قرب منها و لا يعلمون أن الحر هو الضوء و أن الضوء فيما قرب من الأرض أكثر لانعكاس الأشعة من سطح الأرض بمقابلة الأضواء فتتضاعف الحرارة هنا لأجل ذلك و إذا تجاوزت مطارح الأشعة المنعكسة فلا حر هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجاري السحاب و أن الشمس في نفسها لا حارة و لا باردة و أنما هي جسم بسيط مضيء لا مزاج له.". <مقدمة ابن خلدون ١/٢٣٦>

٣٠٣-"فإذا وجدنا بناء تضعف قوتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا أن القدرة التي أسسته مفرطة القوة و أنها ليست أثر دولة واحدة و هذا مثل ما وقع للعرب في إيوان كسرى لما اعتزم الرشيد على هدمه و بعث إلى يحيى بن خالد و هو في محبسه يستشيره في ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل و اتركه ماثلا يستدل به على عظم ملك آبائك الذين سلبوا الملك لأهل ذلك الهيكل فاتهمه في النصيحة و قال أخذته النعرة للعجم و الله لأصر عنه و شرع في هدمه و جمع الأيدي عليه و اتخذ له الفؤس و حماه بالنار و صب عليه الخل حتى إذا أدركه العجز بعد ذلك كله وخاف الفضيحة بعث إلى يحي يستشيره ثانيا في التجافي عن الهدم فقال لا تفعل و استمر على ذلك لئلا يقال عجز أمير المؤمنين و ملك العرب عن هدم مصنع من مصانع العجم فرفعها الرشيد و أقصر عن هدمه و كذلك اتفق للمأمون في هدم الأهرام التي بمصر و جمع الفعلة لهدمها فلم يحل بطائل و شرعوا في نقبه فانتهوا إلى جو بين الحائط و الظاهر و ما بعده من الحيطان و هنالك كان منتهى هدمهم و هو إلى اليوم فيما يقال منفذ ظاهر و يزعم الزاعمون أنه وجد ركازا بين تلك الحيطان والله أعلم. و كذلك حنايا المعلقة إلى هذا العهد تحتاج أهل مدينة تونس إلى انتخاب الحجارة لبنائهم أو تستجيد الصناع حجارة تلك الحنايا فيحاولون على هدمها الأيام العديدة و لا يسقط الصغير من جدرانها إلا بعد عصب الريق و تجتمع له المحافل المشهورة شهدت منها في أيام صباي كثيرا والله خلقكم وما تعملون.
الفصل الخامس فيما تجب مراعاته في أوضاع المدن و ما يحدث إذا غفل عن المراعاة". <مقدمة ابن خلدون ٤٦٩/١>

٣٠٤-"علم فيها. من الكثرة و الوفور فاعلم أن الأموال من الذهب و الفضة و الجواهر و الأمتعة إنما هي معادن و مكاسب مثل الحديد و النحاس و الرصاص و سائر العقارات و المعادن. و العمران يظهرها بالأعمال الإنسانية و يزيد فيها أو ينقصها و ما يوجد منها بأيدي الناس فهو متناقل متوارث و ربما انتقل من قطر إلى قطر و من دولة إلى أخرى بحسب أغراضه. و العمران الذي يستدعي له فإن نقص المال في المغرب و أفريقية فلم ينقص ببلاد الصقالبة و الإفرنج و إن نقص في مصر و الشام فلم ينقص في الهند و الصين. و إنما هي الآلات و المكاسب و العمران يوفرها أو ينقصها، مع أن المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات و يسرع إلى اللؤلؤ و الجوهر أعظم مما يسرع إلى غيره. و كذا الذهب و الفضة و النحاس و الحديد و الرصاص و القصدير ينالها من البلاء و الفناء ما يذهب بأعيانها لأقرب وقت. و أما ما وقع في مصر من أمر المطالب و الكنوز فسببه أن مصر في ملكة القبط منذ آلاف أو يزيد من السنين و كان موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب و الفضة و الجواهر و اللآلئ على مذهب من تقدم من أهل الدول فلما انقضت دولة القبط و ملك الفرس بلادهم نقروا على ذلك في قبورهم فكشفوا عنه فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف: كالأهرام من قبور الملوك و غيرها. و كذا فعل اليونانيون من بعدهم و صارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد. و يعثر على الدفين فيها كثيرا من الأوقات. أما ما يدفنونه من أموالهم أو ما يكرمون به موتاهم في الدفن من أوعية و توابيت من الذهب و الفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها. فلذلك عني أهل مصر بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها و استخراجها. حتى أنهم حين ضربت المكوس على الأصناف آخر الدولة ضربت على أهل المطالب. و صدرت ضريبة على من يشتغل بذلك من الحمقى و المهوسين فوجد بذلك المتعاطون من أهل الأطماع الذريعة إلى الكشف عنه و الذرع

باستخراجه و". <مقدمة ابن خلدون ٢/٢٤>

٣١٣-"هرمس الثالث المصري والصحيح الذي دلت عليه الأخبار وتواترت أن هذا هو الثالث وهو الذي سمى المثلث بالحكمة لأنه جاء ثالث الهرامسة الحكماء والبابلي هو الثاني فافهم ذلك ترشد إن شاء الله وهذا رجل من حكماء مصر بعد الطوفان وكان فيلسوفا جوالا إلا في البلاد قديم العهد عالما بالبلاد ونصبها وطبائع أهلها وله. كتاب جليل في صناعة الكيمياء. وكتاب في الحيوانات ذوات السموم وهو من علماء هذا الإقليم وأمة إقليم مصر من الأمم المذكورة وكانوا أهل ملك عظيم وهز قديم في الدهور الخالية والأزمان السالفة دل على ذلك آثارهم وعمائرهم وهياكلهم وبيوت علمهم الموجود أكثرها في الإقليم إلى يومنا هذا وهي آثار أجمع أهل الأرض أنه لا مثل لها في إقليم من الأقاليم فأما ما كان قبل الطوفان فجهل خبره وبقي أثره مثل الأهرام والبرابي والمغائر المنحوتة في جبال الإقليم إلى غير ذلك من الآثار الموجودة وأما بعد الطوفان فقد صار أهل الإقليم أخلاطا من الأمم قبطي ورومي ويوناني وعمليقي إلا أن الغلبة والكثرة للقبط وإنما خفي على الناس أنسابهم فاقتصر من التعريف بهم على نسبتهم إلى وضعهم من بلد مصر وحد بلاد مصر في الطول من برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى أيلة من ساحل الخليج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ومسافة ذلك قريب من أربعين يوما وحدها في العرض من مدينة أسوان التي بأعلى نيل مصر وما سامتها من أرض الصعيد الأعلى المتاخم لأرض النوبة إلى مدينة رشيد وما حاذاها من مساقط النيل في البحر الرومي وما اتصل بذلك ومسافته قريب من ثلاثين يوما وكان أهل مصر في سالف الزمان صابئة تعبد الأصنام وتدبر الهياكل ثم تنصرت عند ظهور دين النصرانية ولم تزل على ذلك إلى أن فتحها المسلمون فأسلم بعضهم وبقي سائرهم على دينهم أهل ذمة إلى اليوم وكان لقدماء أهل مصر الذين كانوا قبل الطوفان عناية بأنواع العلم وبحث على غوامض الحكم وكانوا يرون أنه كان في عالم الكون والفساد قبل نوع الإنسان أنواع كثيرة من الحيوانات على صور غريبة وتراكيب شاذة ثم كان نوع الإنسان تغلب على تلك الأنواع حتى أفنى أكثرها وشرد بقيتها إلى القفار والفلوات فمنهم الغيلان والسعالى وأمثال ذلك وذلك مما ذكره عنهم الوصيفي في تاريخه المؤلف في أخبارهم وزعم جماعة من العلماء أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن هرمس الأول الساكن لصعيد مصر الأعلى وهو الذي يسميه العبرانيون أخنوخ النبي بن يادر بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم هو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم على ما تقدم ذكر في أول الكتاب وقالوا أه أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية وأول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وأول من نظر في علم الطب وألف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية وقالوا أنه أول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى

الأهرام والبرابي في صعيد مصر الأعلى وصور فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا منه على تخليدها لمن بعده خيفة أن يذهب رسمها من العالم والله أعلم.". <أخبار العلماء بأخيار الحكماء ص/١٤٩>

٣١٦-"<٣٣٠> وتفض سلاما يتردد إليه تردد أمواج البحر في انحداره وصعوده وتبث ثناء لا يزال بين خفق ألويته وبنوده وتبدي إلى العلم الكريم أنه ورد ركابنا الشريف إلى محل ملكه ومجرة فلكه ومجرى فلكه فوجدنا النيل المبارك قد جعل الأرض لجه وأرخى نقاب تياره على وجه كل محجه وارتفع إلى أن جعل على هضبات السحاب مقره وزاد إلى أن كاد يمازج نهر المجره وبعث سرايا مقدماته فتحصنت في كل فج وفجوه وانعطف حول أزرار الأهرام كالعروه وشرب دم المحل فهو من تحت حباب القلوع كالقهوه واتصف بصفات الأولياء فبينا هو في أقصى الجنوب إذا هو في أقصى الشمال والأرض للرجل الصالح خطوه وأصبح في طلب تخليقه مجدا وأعد للجدب من تياره سابغة وعداء علندى ومرق كالسهم في خليجه من قسي قناطره وخنق المحل بعبراته في محاجره وبشر أن آلاف الأموال أضعاف ما فيه من الأمواج وخبرت رقاعه أنه لم يبق فيها محتال ولا محتاج فأكمل الستة عشرة ذراعا وكتبت إليه أجوبة كثيرة عن الأمير سيف الدين تنكز منها ما هو جواب على مشمش كافوري أهداه في باكورة السنة ومنها ما هو عن رخام ملون أهداه وغير ذلك وهي في الجزء الثامن عشر من التذكرة التي لي محمد بن إسماعيل بن أسعد وقيل ابن أحمد بن علي بن منصور بن محمد بن الحسين الشيباني الأمير ﷺ". <أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق ٤/٣٣٠>

٣١٧-"""""""" صفحة رقم ٤٥ """"""

وأمر بإتمام بناء الجامع الذي ابتدأ بعمارته العزيز على يد وزيره يعقوب بن كلس خارج باب الفتوح من القاهرة ، فقدرت النفقة عليه أربعين ألف دينار ، فابتدى بعمله .

وفي خامس عشر من شهر رجب ضرب عنق أبي طاهر محمود بن النحوي الناظر في أعمال الشام لكثرة تجبره وعسفه بالناس .

وفي غرة شعبان جمع في الجامع الجديد بظاهر باب الفتوح .

وقطع الحاكم الركوب في الليل .

ورد إلى أولاد فهد بن إبراهيم سروجهم المحلاة وأمروا بالركوب بها . وأطلق من اعتقل من الكتاب النصارى .

وصلى الحاكم في رمضان بالناس أجمعين بعد ما خطب ؛ وصلى صلاة عيد الفطر وخطب على الرسم . وأكثر من الحركة في شهري رمضان وشوال إلى دمنهور والأهرام وغيرهما .

وسافر الحاج للنصف من ذي القعدة . وأما الشام فإنه لما مات جيش بن الصمصامة في شهر ربيع الآخر سنة تسعين ولي دمشق شيخ من المغاربة يقال له فحل بن تميم ، فلبث شهورا ومات ؛ فقدم عند الحاكم على ابن جعفر بن فلاح فنزل

على دمشق ليومين بقيا من شوال ، وأقام بها غير منبسط اليد". <اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ٢/٤٥>

٣١٨-"... ... صدق الشرع ولا تركن إلى

... ... رجل يرصد بالليل زحل

... ... حارت الأفكار في قدرة من

... ... قد هدانا سبلنا عز وجل

... ... كتب الموت على الخلق فكم

... ... فل من جمع وأفنى من دول

... ... أين نمرود وكنعان ومن

... ... ملك الأمر وولي وعزل

... ... أين عاد أين فرعون ومن

... ... رفع الأهرام من يسمع يخل

... ... أين من سادوا وشادوا وبنوا

... ... هلك الكل ولم تغنى القلل

... ... أين أرباب الحجا أهل النهى

... ... أين أهل العلم والقوم الأول

... ... سيعيد الله كلا منهم

... ... وسيجزي فاعلا ما قد فعل

... ... أي بني اسمع وصايا جمعت

... ... حكما خصت بها خير الملل

... ... أطلب العلم ولا تكسل فما

... ... أبعد الخير على أهل الكسل

... ... واحتفل للفقه في الدين ولا

... ... تشتغل عنه بمال أو خول

... ... واهجر النوم وحصله فمن

... ... يعرف المطلوب يحقر ما بذل

... ... لا تقل قد ذهبت أربابه

... ... كل من سار على الدرب وصل

... ... في ازدياد العلم إرغام العدى

... ... وجمال العلم يا صاح العمل

... ... أنا لا أختار تقبيل يد

... ... قطعها أجمل من تلك القبل

... ... واترك الدنيا فمن عادتها

... ... تخفض العالي وتعلي من سفل

... ... قيمة الإنسان ما يحسنه

... ... أكثر الإنسان منه أو أقل

... ... إن نصف الناس أعداء لمن

... ... ولي الأحكام هذا إن عدل

... ... قصر الآمال في الدنيا تفز

... ... فدليل العقل تقصير الأمل

... ... غب وزر غبا تزد حبا فمن

... ... أكثر الترداد أضناه الملل

... ... حبك الأوطان عجز ظاهر

... ... فاغترب تلق عن الأهل بدل

... ... فبمكث الماء يبقى آسنا

... ... وسرى البدر به البدر اكتمل(١)

" سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك"

أهم المراجع والمصادر

١ . تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الإعلامي بيروت.

٢ . تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي، محمد أحمد النظر، دار البداية، عمان الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.١٤٢٦هـ.

---

(١) ديوان ابن الوردي صـ٢٧٧ إلى ٢٨٠.". <السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت ص/٢٥٥>

٣١٩-" وأما شيخاه المزني والربيع فالمزني قد تقدم ذكره في طبقة الزرقاني وأما الربيع فهو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء المؤذن المصري صاحب الإمام الشافعي وراوي أكثر كتبه قال الشافعي في حقه الربيع راويتي وقال ما أخذ مني أحد ما أخذ مني الربيع

وكان يقول يا ربيع لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك وقال دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه وعنده البويطي والمزني وابن عبد الحكم فنظر إلينا ثم قال أما أنت يا أبا يعقوب يعني البويطي فتموت في حديدك وأما أنت يا مزني فسيكون لك في مصر هنات وهنات لتذكرن زمانا تكون فيه أقيس أهل زمانك وأما أنت يا ابن عبد الحكم فنسترجع إلى مذهب مالك وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب فلما مات صار كل منهم إلى ما قاله الشافعي حتى كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق

توفي الربيع هذا بمصر يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومئتين وقد شرك هذا في الاسمية وصحبة الشافعي ربيع آخر هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود الأعرج الأزدي بالولاء نسبا الجيزي بلدا فاتفقا في الكنية والاسمية والأبوة واختلفا بالأجداد تسمية ونسبة كما هو مشاهد فالجيزي نسبة إلى الجيزة بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها زاي ثم هاء بلدة قبالة مصر يفصل بينهما عرض النيل والأهرام البناء المشهور في حدها وكان الربيع هذا قليل الرواية عن الشافعي وجل روايته عن عبد الله بن عبد الحكم وكان ثقة روى عنه أبو داود والنسائي وكانت وفاته بمصر في ذي الحجة سنة ست وخمسين

". <السلوك في طبقات العلماء والملوك ١/٢٢٧>

٣٢٠-"كتابة تاريخ شامل لمصر وهو "حسن المحاضرة"، وكتابة تاريخ لمدينة أسيوط وسمه بـ "المضبوط في أخبار أسيوط" علما بأن السيوطي لم يسافر إلى أسيوط وهي مدينة آبائه وأجداده ، إلا أنه كتب تاريخا لها وفاء لذكرهم(١) ، وألف رسالة في الأهرام، وتاريخا لجزيرة الروضة بمصر وسمه بـ "كوكب الروضة"(٢) ، والروضة محل إقامته وسكناه، وربما كان قوله في نعت هذا التاريخ دالا على تعلقه الشديد بأرض مصر التي لم يغادرها سوى مرة واحدة في حياته وذلك لأداء المفروضة والمجاورة عند البيت العتيق، يقول:

كتابي الكوكب المفدى

ألفاظه المشتهاه تحكي ... دقت معان به عزيزه

من حسنها روضة وجيزه(٣)

تأليف الأجزاء المفردة في أشهر وأهم الجوامع والمدارس والزوايا والخوانق القائمة بمصر حتى عصر السيوطي، مثل: "جزء في جامع عمرو" و"جزء في جامع ابن طولون" و"جزء في المدرسة الصلاحية" و"جزء في الزواية الخشابية" و"جزء في الخانقاه الصلاحية"(٤).

خص مصر برحلتين من رحلاته الثلاث، هما: "الرحلة الفيومية" و"الرحلة الدمياطية"(٥).

وظف ما تنبته أرض مصر من رياحين وخضروات، وما تكنه من معادن وأحجار ثمنية توظيفا فنيا في مقاماته سواء في إجراء الحوار على ألسنتها أو تسميتها، فعلى سبيل المثال وسم إحدى مقاماته بـ "الزمردية" وهو كما يذكر نقلا عن الكندي: "بمصر معدن الزمرد، وليس في الدنيا زمرد إلا معدن بمصر، ومنها يحمل إلى سائر الدنيا"(٦).

---

(١) ٤. انظر: السيوطي، التحدث:١٦/٢. وانظر السيوطي: فهرست مؤلفاتي:٤٨.

(٢) ٥. انظر: السيوطي، فهرست مؤلفاتي:٤٢.

(٣) ١. انظر: الداوودي، ترجمة السيوطي:٩٢ظ.

(٤) ٢. انظر: السيوطي، فهرست مؤلفاتي :٤٧-٤٨.

(٥) ٣. انظر: المصدر السابق:٤٩.

(٦) ٤. السيوطي، حسن المحاضرة:٣٢٧/٢.". <السيوطي ورسالته فهرست مؤلفاتي ص/١٤>

٣٢١-". [جزء في الخانقاه] البيبرسية يسمى: حسن النية وبلوغ الأمنية في الخانقاة الركنية(١). [جزء في الخانقاه الشيخونية(٢). [جزء في] أخبار أسيوط يسمى المضبوط(٣). المكنون في ترجمة ذي النون(٤). تحفة الكرام بأخبار الأهرام(٥)

---

(١) ١ . ذكره السيوطي، التحدث:١٢١/٢، وفيه: حسن النبة وبلوغ الأمنية في الخانقاه الركنية". وفي الأصل:"والبيبرسية"، وفي(ش)،(ل): "جزء في الخانقاه البيبرسية"، وفي (ظ):"جزء في الخانقاه السوسية يسمى حسن النية وبلوغ الأمنية"، وفي (ظ): "جزء في الخانقاه الشيخونية البيبرسية يسمى حسن النية وبلوغ الدلالة ون الخانقاه الملوكية" والمثبت ما ورد في (هـ) وهي خانقاه بناها الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري سنة ٧٠٦هـ، انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار:٤١٦/٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة:٢٦٥/٢.

(٢) ٢ . لم يذكر في مصادر كتب السيوطي. وفي الأصل: "والشيخونية" والمثبت ما ورد في بقية النسخ.

(٣) ٣ . ذكره السيوطي، التحدث:١١٤/٢،١٦، حسن المحاضرة:٣٤٤/١؛ وحاجي خليفة، كشف الظنون:١٧١٢/٢؛ والبغدادي، هدية العارفين:٥٤٣/١؛ والخازندار، دليل مخطوطات السيوطي:٢٥٠. وفي الأصل:"أخبار أسيوط"، وفي (ل): " جزء في أخبار أسيوط يسمى المربوط" والمثبت ما ورد في بقية النسخ.

(٤) ٤ . ذكره حاجي خليفة، كشف الظنون:١٨١٢/٢؛ والبغدادي، هدية العارفين:٥٤٣/١؛ والخازندار، دليل مخطوطات السيوطي:٢٤٢. وطبع بتحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة،١٩٩٢م، بعنوان: " المكنون في مناقب ذي النون" وفي الأصل: "المكنون". وبعدها في ش:"آخر ما نقلت من خط شيخنا المؤلف، علقه الفقير أحمد الحمصي الأنصاري. الشافعي بالقاهرة بدرب الخرشتف لصيق باب سر البرقوقية في يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة عام ثلاثة وتسع مائة".

(٥) ٥ . ذكره حاجي خليفة، كشف الظنون:١/٣٧٢؛ والبغدادي، هدية العارفين:١/٥٣٧. ومنه عدد من النسخ، انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ق٦(١٠-١١)٦٧٨؛ دليل مخطوطات السيوطي:٢٤٧. وطبعت بدراسة وتحقيق: سامي جاهين، القاهرة، مكتبة ابن سينا، القاهرة،١٩٩٢م.". <السيوطي ورسالته فهرست مؤلفاتي ص/٦٩>

٣٢٢-"استفتى على من عارضه في تدريس حديث بالقدس وجمع ذلك في جزء سماه معتدي المقادسة وأفتوه بتفسيق الناظر والمعارض ثم بسبس بعد دهر طويل مع من عارض المنفرد بذلك في الديار المصرية جميعه لمن لا يحسن حديثا ولا قديما وفي إيراد أشباه هذا طول، وراسل ابن قريبه بعد كوائن الشاميين معه أن يسأل المقر الزيني بن مزهر أن يكتب إلى كل من المالكي والحنبلي أن شيخنا فلانا يعني نفسه ما فارقناه إلا عن كراهة منا لفراقه ومحبة عظيمة لقربه وجميع الأعيان بالقاهرة والصلحاء راضون عنه متألمون لفراقه وقد اختاركم على بقية الناس واختار بلدكم على بقية البلاد فلما وصل إليكم أرسل بالثناء عليكم وقال كثيرا من ذلك وهو ممن يشكر على القليل نحن نعرف ذلك منه وقد بلغنا في هذه الأيام أن داء الحسد دب إلى بعض الناس فصار يتكلم فيه بعض السفلة ونحن نعرفه من خمسين سنة ونعرف أنه لا يشاحن أحدا في دنيا بل هو مشتغل بحاله فلا يتكلم فيه إلا متهم في دينه وهم الرعاع والجهلة كما قال الشافعي أو الإمام علي رضي الله عنه: " والجاهلون لأهل العلم أعداء " فكان المظنون بكم أن تردعوا من يتكلم فيه غاية الردع من غير طلب منه لذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من يريد تألم عالم إنما يريد بذلك هدم السنة والمعروف من عادته أنه إذا تكلم أحد فيه يصبر ويحتسب فإذا فعل هو المندوب وجب على الناس الذب عنه وكيف لا وأغلب أحواله سمعية في نفع أصحابه لا سيما الشاميين ما كان إلا كهفا لهم كانوا يترددون إليه لما كانوا محتاجين إليه وهو في بلد العز لينتفعوا به فأقل ماله عندهم أن يفعلوا معه ما كان يفعل معهم وأهون من ذلك تركه وما هو عليه من نفع عباد الله بالتدريس والتذكري بالميعاد ونحو هذا، فإنه أي كتاب الزيني ينفع غاية النفع قال وإن كان معه كتاب البرهاني يعني الإمام الكركي زاد نفعه ولا تظهر أني كتبت إليك في هذا الأمر إلا لضرورة بل استفدته من حاملها إلى أن قال وليكن الكتاب إليهما مع ثقة يوصله إليهما لا إلى العبد يعني نفسه ولكن ترسل إلي بالإعلام بجميع معنى الكتاب انتهى بحروفه. فانظر وتعجب واعلم بالكذب فيه في غير ما موضع نسأل الله السلامة. ومن عنوان نظمه قوله في قصيدة أنشدناها على الأهرام الجبل بالجيزة:

إنا بنو حسن والناس تعرفنا ... وقت النزال وأسد الحرب في حنق

كم جئت قفرا ولم يسلك به بشر ... غيري ولا أنس إلا السيف في عنقي

وقوله مما هو حجة عليه:

ما بال قلبك قد زادت قساوته ... فما تزال بأدنى الغيظ منتقما

فاكظمه عفوا وأحسن راحما أبدا ... فرحمة الله مخصوص بها الرحما

وقوله أيضا وهو حجة عليه:

إن رمت عيشا صافيا ازمانا ... فاعمل بهذي الخمس تعظم شانا

اصفح تحبب واصبر واكتم الش ... حناء قد أوصى بها عثمانا

وقوله في الكمال بن البارزي:

وعاذل قال الكمال حاصل ... بفرد شيخ للبيب الفائز

فقلت أعيان الزمان الكل يا ... شيخي تتمات الكمال البارزي

وقوله نحوه أيضا:

إذا عاب العذول علي فعلى ... وقال إلى متى هذا التغالي

تطوف الأرض تجمعها شيوخا ... أقول له لتحصيل الكمال

إبراهيم بن عمر بن زيادة الاتكاوي. يأتي فيمن جده محمد.". <الضوء اللامع ٦٨/١>

٣٢٣-"أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إبراهيم ولي الدين أبو زرعة ابن الجمال البارنباري المصري الشافعي سبط داود بن عثمان بن محمد بن عبد الهادي السبتي ويعرف بابن البارنباري. ولد في سنة ثمان وعشرين وثمانمائة بمصر ونشأ بها فحفظ القرآن وكتبا منها المنهاج، واشتغل عند البهاء بن القطان والشهاب بن مبارك شاه الأول في الفقه والثاني في العربية وصحب البرهان المتبولي وغيره، وحج مرتين وكتب عن شيخنا الإملاء بل وسمع بأخرة على جماعة كعمه النور علي والبدر النسابة وهاجر القدسية، وناب في القضاء عن المناوي في سنة أربع وخمسين فمن بعده واستقر به العز الكناني سنة سبعين في مشيخة الآثار وكذا استقر به الزين زكريا في قضاء دمياط بعد الصلاح بن كميل وحمد في ذلك كله لعقله ومداراته وخبرته وسياسته مع فضيلة وتواضع، وقد تردد إلي كثيرا وسمعته ونحو علو الأهرام يحكي عن جده لأمه وكان من الصالحين أنه سمعه يحكي عن أبيه عن جده عن ولي الله أبي العباس السبتي أنه قال يصلي العشاء بجامع عمرو في مصر كل ليلة مائة رجل من رجال القيروان وقابس وبعرفات والصبح ثمانون منهم. وتصدر بجامع عمرو ثم رغب عنه وأقرأ بعض الطلبة وكتب على مختصر أبي شجاع مطولا ومختصرا وشرع في شرح على المنهاج. ومات هو بدمياط في ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة تسع وثمانين ودفن بتربة تجاه فتح الأسمر رحمه الله وإيانا.

أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن هاشم بن محمد بن عبد الله الشهاب الصنهاجي - نسبة لقبيلة بالغرب - السكندري المولد والمنشأ القاهري الحسيني الدار المالكي المقرئ والد محمد الآتي ويعرف بابن هاشم. ولد في يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثمانين وسبعمائة بثغر الاسكندرية وحفظ بها القرآن وصلى به والعمدة والرسالة لابن أبي زيد وغالب المختصر الفرعي لابن الحاجب وجميع مفتاح الغوامض في أصول الفرائض للصردي وألفية ابن مالك وعرض على قريبه الشريف العلامة الشهاب أحمد بن محمد بن مخلوف الحسيني السكندري المالكي وأجازه بل وبحث عليه في مبادئ ابن الحاجب الفرعي ويقال أنه ممن أخذ عن الفاكهاني وأذن له في الإفتاء والتدريس وكذا أخذ الفقه أيضا عن الشمس محمد بن يوسف الأنصاري المسلاتي المالكي وانتفع به جدا والبدر الدماميني والنحو عن الجمال القرافي النحوي بحسينية القاهرة وتلا بالسبع على الزين عبد الرحمن العسلوني التونسي الفكيري نزيل الثغر والنور علي بن محمد اللخمي السكندري المرخم ثم ارتحل سنة ست وتسعين إلى القاهرة للحج فقرأ بالسبع أيضا على الفخر البلبيسي إمام الأزهر ربع حزب وحج ثم عاد إلى بلده ثم استوطن القاهرة من سنة تسع وثمانمائة مع دخوله بلده في كل سنة ولقي ابن الجزري بالقاهرة سنة تسع وعشرين فقرأ عليه

الفاتحة والي المفلحون بالسبع من طريقي الشاطبية والتيسير والتمس منه نظرا فأجابه نظما أيضا وطلب الحديث من كبرة من سنة سبع وعشرين فما بعدها فسمع على الكمال بن خير وأبي الطيب محمد بن أحمد بن علوان التونسي الشهير بابن المصري والواسطي والزركشي والطبقة ولازم شيخنا وكان عظيم الاغتباط به وقبل ذلك على ابن خمسين، وبرع في القرآت وتصدى لها فانتفع به جماعة وممن أخذ عنه الشهاب بن أسد والشهاب المنيحي، وكتب عنه ولده البقاعي وولي مشيخة البساصية بالثغر وأم بجامع كمال من الحسينية. وكان خيرا وقورا عليه سكينة وعنده فضل جيد وتنقيب كثير لحقائق ما يرد عليه من المسائل وسلامة فطرة جدا ودين متين مقرئا حسن التأدية بالقرآن اعتنى بالنظم فنظم متوسطا. مات في ليلة سابع عشري ذي القعدة سنة خمس وخمسين بالاسكندرية رحمه الله وإيانا.

أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن وجيه بن مخلوف بن صلح بن جبريل بن عبد الله الشهاب أبو حامد بن القطب أبي البركات الشنشي ثم المحلي ثم القاهري الشافعي الماضي حفيده أحمد بن علي والآتي ولده وأبوه ويعرف بابن قطب. ولد سنة أربع وثمانين وسبعمائة بالمحلة ونشأ بها ثم قدم القاهرة فحفظ القرآن والتنبيه وعرضه واشتغل يسيرا وسمع مع أبيه على قريبه النور الهوريني الشفا، وتكسب بالشهادة في ميدان القمح وغيره وقاسى فاقة ثم ناب في القضاء عن شيخنا إلى أن مات في سادس ذي الحجة سنة إحدى وأربعين بعد أن أخذ عنه بعض الطلبة.". <الضوء اللامع ١/٣٦٣>

٣٢٤-"٥٧٤ - عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد العز أبو فارس وأبو الخير ابن صاحبنا النجم أبي القسم الهاشمي المكي الشافعي ويعرف كسلفه بابن فهد، وأمه عائشة ابنة العفيف عبد الله بن محمد بن علي العجمي الأصل. ولد في الثلث الأخير من ليلة السبت سادس عشري شوال سنة خمسين وثمانمائة بمكة في غيبة والده بالقاهرة وسمى عليا أبا الخير ثم غير لكون أبيه رأى في منامه قائلا يقول له جاءك ذكر فسمه عبد العزيز أبا فارس؛ ونشأ فحفظ القرآن وأربعي النووي والارشاد مختصر الحاوي لابن المقرىء والنخبة لشيخنا وألفية النحو والوردية والجزومية كلاهما في النحو أيضا وعرضها بتمامها على أبيه وجده وكذا عرض على العادة ما عدا النخبة والأخيرين على جماعة من أهل بلده ومن القادمين إليها كالبامي وابن القصبي المالكي وكتب إجازته نظما ثم حفظ أيضا غالب ألفية الحديث وجانبا من المنهاج الأصلي؛ واعتنى به والده فاستجاز له خلقا منهم شيخنا وأحضره وأسمعه على كثيرين من المكيين كأبي الفتح المراغي والزين الأميوطي والزمزمي وغيرهم بها وبأماكن منها كمنى وجل ذلك معي؛ ولما ترعرع قرأ بنفسه؛ وتوجه غير مرة للزيارة النبوية وسمع فيها بطيبة من جماعة، وارتحل في سنة سبعين من البحر فأكثر بالديار المصرية من القراءة والسماع ومما أخذه عن الشمني في البحث بعض شرحه لنظم أبيه للنخبة وعن البقاعي في متنها مع شيء حاذى به متن إيساغوجي، وسمع بمصر والجيزة وعلو الأهرام وغيرها من أماكنها وكذا بجدة في مجيئه ولما انتهى أربه سافر في أول السنة التي تليها إلى البلاد الشامية فسمع في توجهه بالخانقاه السرياقوسية وزار القدس والخليل وسمع بالقدس وبغزة ونابلس ودمشق وصالحيتها وبعلبك وحماة وحلب وغيرها من جماعة، واجتهد في كل ذلك وتميز في الطلب واستمد مني ثم عاد فيها إلى بلده مع الركب ثم رجع من البحر أيضا في سنة خمس وسبعين وقرأ علي في بحث ألفية الحديث مع غيرها من تصانيفي وحضر عندي في الاملاء وغيره بل وقرأ على الشرف عبد الحق السنباطي كتابه الارشاد ثم سمعه عليه إلا اليسير في مجاورته، وكان أحد القراء في تقسيم

المنهاج على السراج العبادي ولكن لم يتهيأ اكماله وقرأ على الشمس الجوجري قطعة من أول شرحه على الارشاد وكتبه بخطه وعلى الزيني زكريا في المتن وكان جل قصده من هذه القدمة الدراية ورجع إلى بلده ثم سافر منها للدراية أيضا إلى الشام في موسم السنة التي تليها وزار المدينة في توجهه وقرأ في دمشق على الزين خطاب قطعة من أول الارشاد وكذا على المحب البصروي وكان قد أخذ عنه بمكة أيضا وحضر دروس أولهما مع قليل من دروس التقي بن قاضي عجلون هناك؛ ووصل منها إلى حلب ورجع لمصر أيضا ثم لبلده مع الركب ثم دخل القاهرة أيضا مع الركب في سنة أربع وثمانين فلازمني في السماع والقراءة وكان مما قرأه على قطعة كبيرة من أول شرحي لألفية الحديث وجميع شرح النخبة وحضر كثيرا من مجالس الاملاء بل واستملى بعضها وأكمل الربع الأول من شرح الجوجري للارشاد عليه وحضر عنده تقسيم التنبيه إلا يسيرا وتقسيم جميع ألفية ابن مالك سوى مجلسين أو ثلاثة بل هو ممن لازمه حين مجاورته بمكة حتى سمع عليه شرح الشذور له وغالب متن البهجة وكذا لازم إمام الكاملية في الفقه وغيره وقرأ عليه غالب الوردية في النحو ومما أخذه عن العبادي في القدمة الرابعة في الروضة أو الخادم، ورجع مع الحاج فيها إلى بلده فأقام ملازما للاشتغال والاقبال على شأنه، ولما جاورت سنة ست وثمانين والتي تليها أكثر من ملازمتي بحيث قرأ على ما كان في كتب والده من تصانيفي وهو شيء كثير وحصل هو أيضا أشياء قرأها وأكمل سماع شرحي للألفية مع تكرر كثير منه له وكذا سمع علي ومني غير ذلك وممن لازم ببلده في الفقه والتفسير عالم الحجاز البرهان بن ظهيرة وفي الفقه فقط مع أصوله والفخر أخوه والنور الفاكهي أخذ عنه المنهاج وكان أحد القراء في تقسيمه وقرأ عليه الربع الأول من الارشاد بل حضر عنده في النحو وغيره وقرأ على يحيى العلمي المالكي المنهاج الأصلي مرتين وألفية ابن مالك وتوضيحها لابن هشام وحضر عنده في الجمل للخونجي وسمع جميع التوضيح والألفية مرتين إلا اليسير على المحيوي المالكي وقبل ذلك أخذ في النحو عن أبي الوقت المرشدي ثم بأخرة عن الشريف". <الضوء اللامع ٢/٣٤٣>

٣٢٥-"دع عنك هذا فالمؤيد لا يمكنه القبض علينا وخلفه مثل نوروز فلم يعجبه هذا ورام الرجوع فقوي عليه قرقماس وقدما القاهرة وتوجه تغرى بردى لغزة فرحب بهما المؤيد وبالغ في تعظيمهما وأجلس دمرداش على الميسرة وهذا تحته ثم خلع عليهما وجهز سرا من قبض على تغرى بردى ثم بادر للقبض على الآخرين وسجنهما حتى قدم الآخر ثم بعث بهذين فحبسا بإسكندرية وقتل تغرى بردى في شوال سنة ست عشرة وكذا قتل قرقماس بإسكندرية في السنة وأخر عمهما إلى أن قتله في سنة ثماني عشرة، وكان قرقماس شابا جميلا لطيف الذات شجاعا كريما مفرطا فيهما بحيث أن المؤيد لما رأى على بعض مماليكه حين عرضهم سلارى مفرى بوشق من إنعام سيده امتنع من استخدام أحد منهم قائلا: ماذا أفعل أنا بعد هذا أو نحو هذا؛ منهمكا في اللذات يقول الشعر بالتركي ويحب سماع الملاهي والمطربات وهو والد قجماس الماضي قريبا، وستأتي حكاية في يحيى بن أحمد بن عمر بن العطار لهذا وتحتاج إلى تحقيق.

قرقماس الشعباني الظاهري برقوق ثم الناصري ويعرف بقرقماس أهرام ضاغ يعني جبل الأهرام لتكبره. أصله من كتابية الظاهر ثم ملكه ابنه فأعتقه وعمله خاصكيا ثم صار في دولة المؤيد من الدوادارية الصغار ثم تأمر بعده عشرة ثم دوادارا ثانيا مع إمرة طبلخاناه، ودام إلى سنة ست وعشرين فأنعم عليه بتقدمة وتوجه لمكة مع علي بن عنان كالشريك له في إمرتها وأقام

بها نحو سنة تخمينا، وطلب إلى القاهرة على إمرته إلى أن خلع عليه في منتصف شوال سنة تسع وعشرين بالحجوبية الكبرى فباشرها بحرمة زائدة وعظمة وبطش في الناس بحيث هابه كل أحد؛ وسافر مع السلطان إلى آمد فلما رجع وذلك في سنة سبع وثلاثين استقر به في نيابة حلب بعد قصروه المنتقل لنيابة الشام فباشرها على عادته ثم صرف حين ظهر جانبك الصوفي من الروم وقدم القاهرة مسرعا على النجب في سنة تسع وثلاثين على أقطاع جقمق العلائي ووظيفته إمرة سلاح إلى أن تجرد في جماعة أمراء إلى أرزنكان سنة إحدى وأربعين فكان حضورهم بالطلب حين ترشح جقمق للسلطنة فقام معه حتى تسلطن ذاك وعمل هذا عوضه أتابكا فلم يلبث إلا أياما ووثب عليه وكان ما شرح في الحوادث، وآل أمره إلى أن جرح في وجهه بالنشاب وفر عنه غالب أصحابه ثم انهزم واختفى من يوم الأربعاء رابع ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين ولم يلبث أن قبض عليه في يوم الجمعة سادسه ثم قيد وجهز إلى إسكندرية من الغد فحبس بها إلى خامس رجب وعقد له مجلس بالقصر وأقيمت البينة عند القاضي المالكي على منصوب عن قرقماس هو الشهاب بن يعقوب نقيب شيخنا بحكم غيبته بإسكندرية بخروجه على السلطان بعد مبايعته وخلفه له وإشهاره السلاح فحكم عليه بموجب الشهادة فقيل له: فما يجب عليه قال: يتخير السلطان في ذلك فجهز بريدي بأن يقرأ عليه المحضر ويعذر له فيه فقرئ عليه وأمر بقتله بسيف الشرع فضربت عنقه وذلك بإسكندرية في يوم الاثنين ثاني عشره وهو ابن نيف وخمسين سنة؛ وكان أميرا ضخما متعاظما متكبرا ظالما مع تدبير ومكر وشجاعة وإقدام وكونه يتفقه ويتحفظ بعض المسائل ويظهر التدين ولتكبره وتعاظمه وعدم بشاشته سر العامة بإمساكه وإتلافه، وقد أشار شيخنا لترجمته في حوادث رجب وغيرها من أنبائه، وقال في ترجمة جارقطلي من سنة سبع وثلاثين منه: ومن الاتفاق الغريب أن رفيقا لي رأى لما كنا في سفرة آمد قبل أن ندخل حلب وذلك في رمضان أن الناس اجتمعوا فطلبوا من يؤم بهم فرأوا رجلا ينسب إلى صلاح فسألوه أن يؤم بهم فقال: بل يؤم بكم قرقماس ففي الحال حضر قرقماس فتقدم فصلى بهم فقدرت ولايته لها بعد بدون سنة، وقد ترجمه ابن خطيب الناصرية وغيره.
قرقماس المعلم. مات في التجريدة.
قرقمش الظاهري برقوق ويعرف بالأعور. ترقى في أيام الفتن وتقلب الدور حتى صار مقدما بعد موت شيخ ثم كان ممن انضم مع جانبك الصوفي وأجاب برسباي حين قال له: كن معنا لا معه بقوله:". <الضوء اللامع ٢٧٦/٣>

٣٢٦-"وكذا تدرب في الطلبة بمستمليه مفيد القاهرة الزين رضوان العقبي وأكثر من ملازمته قراءة وسماعا وبصاحبه النجم عمر بن فهد الهاشمي وانتفع بإرشاد كل منهم وأجزائه وإفادته، بل كتب شيخه من أجله إلى دمياط لمن عنده المعجم الصغير للطبراني بإرساله إليه حتى قرأه عليه لكون نسخته قد انمحى الكثير منها وما علم أنه في أوقاف سعيد السعداء إلا بعد؛ ولم ينفك عن ملازمته ولا عدل عنه بملازمة غيره من علماء الفنون خوفا على فقده ولا ارتحل إلى الأماكن النائية، بل ولا حج إلا بعد وفاته، لكنه حمل عن شيوخ مصر والواردين إليها كثيرا من دواوين الحديث وأجزائه بقراءته وقراءة غيره في الأوقات التي لا تعارض أوقاته عليه غالبا سيما حين اشتغاله بالقضاء وتوابعه حتى صار أكثر أهل العصر مسموعا وأكثرهم رواية، ومن محاسن من أخذ عنه من عنده الصلاح بن أبي عمر وابن أميلة وابن النجم وابن الهبل والشمس بن المحب والفخر بن بشارة وابن الجوخي والمنيجي والزيتاوي والبياني والسوقي والطبقة، ثم من عنده القاضي العز بن جماعة والتاج السبكي

وأخوه البهاء والجمال الأسنائي والشهاب الأذرعي والكرماني والصلاح الصفدي والقيراطي والحراوي ثم الحسين التكريتي والأميوطي والباجي وأبو البقاء السبكي والنشاوري وابن الذهبي ابن العلائب والآمدي والنجم بن الكشك وأبو اليمن بن الكويك وابن الخشاب وابن حاتم والمليجي وابن رزين والبدر بن الصاحب ثم السراج الهندي والبلقيني وابن الملقن والغراقي الهيثمي والأبناسي والبرهان بن فرحون وهكذا حتى سمع من أصحاب أبي الطاهر بن الكويك والعز بن جماعة وابن خير، ثم من أصحاب الولي العراقي والوي وابن الجزري ثم من يليهم؛ وقمش وأخذ عمن دب ودرج، وكتب العالي والنازل حتى بلغت عدة من أخذ عنه بمصر والقاهرة وضواحيها كإنبابة والجيزة وعلو الأهرام والجامع العمري وسرياقوس والخانقاه وبلبيس وسفط الحناء ومنية الرديني وغيرها زيادة على أربعمائة نفس؛ كل ذلك وشيخه يمده بالأجزاء والكتب والفوائد التي لا تنحصر وربما نبهه على عوال لبعض شيوخ العصر ويحضه على قراءتها. وشكا إليه ضيق عطن بعضهم فكاتبه يستعطفه عليه ويرغبه في الجلوس معه ليقرأ ما أحبه.

وبعد وفاة شيخه سافر لدمياط فسمع بها من بعض المسندين وكتب عن نفر من المتأدبين، ثم توجه في البحر لقضاء فريضة الحج وصحب والدته معه فلقي بالطور والينبوع وجدة غير واحد أخذ عنهم، ووصل لمكة أوائل شعبان فأقام بها إلى أن حج، وقرأ بها من الكتب الكبار والأجزاء القصار ما لم يتهيأ لغيره من الغرباء حتى قرأ داخل البيت المعظم وبالحجر وعلو غار ثور وجبل حراء وبكثير من المشاهد المأثورة بمكة وظاهرها كالجعرانة ومنى ومسجد الخيف على خلق كأبي الفتح المراغي والبرهان الزمزمي والتقي بن فهد والزين الأميوطي والشهاب الشوائطي وأبي السعادات بن ظهيرة وأبي حامد بن الضياء وزيادة على ثلاثين نفسا فمنهم من يروي عن البهاء بن خليل والكرماني والأذرعي النشاوري والجمال الأميوطي وابن أبي المجد والتنوخي وابن صديق والعراقي والهيثمي والأبناسي والمجدين اللغوي وإسماعيل الحنفي ومن لا أحصره سوى من أجاز له فيها وهم أضعاف ذلك، وأعانه عليه صاحبه النجم بن فهد بكتبه وفوائده ونفسه ودلالته على الشيوخ وكذا بكتب والده ثم انفصل عنها وهو متعلق الأمل بها. وقرأ في رجوعه بالمدينة الشريفة تجاه الحجرة النبوية على البدر عبد الله بن فرحون وبغيره من أماكنها على الشهاب أحمد بن النور المحلى وأبي الفرج المراغي في آخرين ثم ينبوع أيضا وعقبة أيلة وقبل ذلك برابغ وخليص.

ورجع للقاهرة فأقام بها ملازما السماع والقراءة والتخريج والاستفادة من الشيوخ والأقران غير مشتغل بما يعطله عن مزيد الاستفادة إلى أن توجه لمنوف العليا فسمع بها قليلا وأخذ بفيشا الصغرى عن بعض أهلها، ثم عاد لوطنه فارتحل إلى الثغر السكندري وأخذ عن جمع من المسندين والشعراء بها وبأم دينار ودسوق وفوة ورشيد والمحلة وسمنود ومنية عساس ومنية نابت والمنصورة وفارسكورود نجيه والطويلة ومسجد الخضر. ودخل دمياط فسمع بها.". <الضوء اللامع ٤/٦٦>

٣٣١-"الإمام محمد بن عبد الوهاب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم أما بعد :-

لقد أذن الله سبحانه وتعالى بظهور دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثاني الهجري ، بعد أن أطبقت الجهالة على الأرض و خيمت الظلمات على البلاد ، وانتشر الشرك والضلال والابتداع في الدين ، وانطمس نور الإسلام ، و خفي منار الحق والهدى ، و ذهب الصالحون من أهل العلم فلم يبق سوى قلة قليلة لا يملكون من الأمر شيئا ، واختفت السنة وظهرت البدعة ، وترأس أهل الضلال والأهواء ، وأضحى الدين غريبا والباطل قريبا ، حتى لكأن الناظر إلى تلك الحقبة السوداء المدلهمة ليقطع الأمل في الإصلاح و يصاب بيأس قاتل في أية محاولة تهدف إلى ذلك .

للمزيد من أخبار هذه الحقبة راجع كتاب عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٤٨/١ ١٠٥) .

ولكن الله عز وجل قضى بحفظ دينه وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكان من رحمته تبارك وتعالى بهذه الأمة أن يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه . انظر الحديث في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٦٠٦) في كتاب الملاحم .

فكان الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بتوفيق الله عز وجل هو مجدد القرن الثاني عشر الهجري وهو أمر في حكم المتفق عليه . انظر من قال من العلماء بهذا في كتاب : عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (١٩/١ ٢١) .

و يمكننا القول إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعد البداية الحقيقية لما حدث في العالم الإسلامي من يقظة جاءت بعد سبات طويل ، و ما تمخض عنها من صحوة مباركة ورجعة صادقة إلى الدين .

إن الدعوة السلفية التي دعا إليها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري لم تكن سوى الدعوة التي نادى بها المصلح العظيم والإمام المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في القرن الثامن الهجري ، و هي نفس الدعوة التي أوذي من أجلها إما أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله في القرن الثالث الهجري ، و هي تعني باختصار الرجوع إلى الإسلام كما أنزل على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، و فهم الصحابة والتابعون وتابعوهم من أهل القرون المفضلة ، عقيدة و شريعة و سلوكا .

وهي الدعوة التي تكفل الله بحفظها ووعد من حملها بالظهور والنصر إلى قيام الساعة مهما خذلها المتخاذلون وخالفها الخصوم والمناوئون وأخبر بذلك سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس) . البخاري مع الفتح (٦٣٢/٦) .

إننا اليوم لتمر علينا أيام حالكة الظلام ، ظلام يحجب عن معظم الناس الرؤية الواضحة في التصور : فليس هناك فرق لدى العامة بين ما يقوله الله تعالى وبين ما يقوله الجهلاء من بني البشر ، وظلام في التلقي ، فهذا يتلقى عن داعية القومية ، وذاك ينادي بالوطنية وثالث يرفع عقيرته مناديا بالعدالة الاجتماعية ، ورابع يعبد الرأسمالية والديمقراطية .

وكثير ممن يزعمون أنهم من علماء الدين وقد أضلهم الله على علم نراهم يرقصون ويترنحون ما بين قبر البدوي ومقام الحسين

، وغيره مما عرف بالعتبات المقدسة ، و إذا ما أراد أحدهم أن يؤلف كتابا عن إمام من أئمة الابتداع والتخريف ، ذهب إلى قبره يستشيره في تأليف هذا الكتاب .

وآخر نراه يتحدث في كل مناسبة بأن تلاميذه يصافحون رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة و ليس في المنام ، وإذا ما زار أحدهم المدينة النبوية ، دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حفل غذاء أو عشاء ، يحضره كبار الصحابة والتابعين وأولياء الله .

أما حديث التلاميذ عن شيخهم المعمم ففيه العجب العجاب ، فإن الواحد منهم يقول : إنه إذا هم بمعصية يرى صورة شيخه أمامه محذرا متوعدا له ، فيخشاه ويتراجع عن معصيته خوفا من شيخه وليس خشية من الله ، وهذا ليس افتراء منا على الشيخ ، فهو يتحدث في دروسه العامة بهذا وبأكثر منه .

وإذا كان هذا شأن المنسوبين إلى العلم ، فماذا ننتظر من دهماء الناس ؟! إن عبادة الآلهة من دون الله مازالت قائمة وإن تغيرت الأسماء وتباينت الألفاظ ، فالقومية بدلا من اللات ، والوطنية بدلا من هبل ، و الديمقراطية بدلا من العزى .

والعواصم العربية مزدحمة بالأصنام ، فهذه الأهرامات ، وهذا صنم الزعيم فلان ، وهذا تمثال للعامل ، وذاك وثن للجندي المجهول .. وهي أصنام أشد خبثا وشركا من أصنام الجاهلية ، إذ إن أصنام الجاهلية ، بدائية وساذجة ، أما هذه الأصنام فالواحد منها يكلف مليونا أو أكثر من ذلك ، لأنه قد صنع من معدن البرونز الثمين .. وفي هذا الليل الذي أرخى سدوله وزادت ظلمته وتباعد فجره ، تفتقد الأمة إلى أمثال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

نسب الشيخ و سيرته ..

ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، كثير من المؤرخين والأدباء والكتاب وأصحاب التراجم والعلماء .. كثرة لم تقع إلا للأعلام المجددين ، بل لو استقرأنا عدد التراجم للعلماء والأعلام في جميع الميادين الإسلامية من بعد عصره ؛ لوجدنا أن ترجمة الشيخ تأخذ أعلى رقم من بين هذه التراجم ، وقل أن تجد كتاب تاريخ أو تراجم لأهل عصره أو ليقظة المسلمين الحديثة وحاضر العالم الإسلامي ، أو لآل سعود على الخصوص ؛ إلا وتجد للشيخ ترجمة أو شيئا منها .

نسبه

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

أما والدة الشيخ محمد رحمه الله ؛ فهي بنت محمد بن عزاز بن المشرفي الوهيبي التميمي ، فهي من عشيرته الأدنين . انظر : علماء نجد خلال ستة قرون للبسام (١/٢٦) .

فيقال : (المشرفي) نسبة إلى جده مشرف وأسرته آل مشرف ، ويقال : (الوهيبي) نسبة إلى جده وهيب جد الوهبية ،

والوهبية يجتمعون في محمد بن علوي بن وهيب ، و هم بطن كبير من حنظلة ، و حنظلة بيت من بيوت بني تميم الأربعة الكبار . ويقال : (التميمي) نسبة إلى تميم أبي القبيلة الشهيرة ، والتي ورد فيها ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب العتق (١٢٢/٣) وفي كتاب المغازي (١١٥/٥- ١١٦) ومسلم في فضائل الصحابة برقم (١٩٨) عن أبي هريرة واللفظ هنا لمسلم : عن أبي زرعة قال : قال أبو هريرة : لا أزال أحب بني تميم من ثلاث سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (هم أشد أمتي على الدجال) ، قال : وجاءت صدقاتهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (هذه صدقات قومنا) ، قال وكانت سبية منهم عند عائشة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أعتقيها ؛ فإنها من ولد إسماعيل) .

و يتضح من سرد نسب الشيخ المتقدم أنه يلتقي مع نسب الرسول صلى الله عليه وسلم في إلياس بن مضر .

ولا أريد أن أتوسع في الحديث عن أسرة الشيخ رحمه الله حتى لا يخرج الموضوع عن أصله ، و من أراد التوسع في ذلك فليراجع الكتب التالية : عنوان المجد لابن بشر (٢٢/١ ٢٣ ، ٦٢ - ٦٣) و علماء نجد للبسام (٣١٠/١ - ٣١١) و الدكتور العثيمين في كتابه الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٤) .

مولده ونشأته العلمية

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة و خمس عشرة (١١١٥ هـ) ، من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، في بلدة العيينة على الصحيح . انظر : روضة الأفكار لابن غنام (٢٥/١) .

تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين ، و كان حاد الفهم وقاد الذهن ذكي القلب سريع الحفظ ، قرأ على أبيه في الفقه ، و كان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام ، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه ، و جد في طلب العلم وأدرك و هو في سن مبكرة حظا وافرا من العلم ، حتى إن أباه كان يتعجب من فهمه ويقول : لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام . انظر : روضة ابن غنام (٢٥/١) وعنوان المجد لابن بشر (٦/١) .

وهكذا نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشأة علمية ؛ فأبوه القاضي كان يحثه على طلب العلم و يرشده إلى طريق معرفته ، ومكتبة جده العلامة القاضي سليمان بن علي بأيديهم ، و كان يجالس بعض أقاربه من آل مشرف وغيرهم من طلاب العلم ، و بيتهم في الغالب ملتقى طلاب العلم وخواص الفقهاء سيما الوافدين باعتباره بيت القاضي ، ولا بد أن يتخلل اجتماعاتهم مناقشات ومباحث علمية يحضرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

أثر البيئة في توجيه الشيخ علميا

لقد أبصر الشيخ البيئة من حوله بواقعها والناس في حياتهم ويدنهم على الغالب في تناقض وتصادم مع ما نشأ عليه من علم وما عرفه من الحق على بد أبيه ومن خلال مطالعته لكتب المحققين من علماء السلف الصالح ، فما تعلمه في واد ، والواقع الجاري من الناس على العموم والغالب في واد آخر .

ذلك أن البيئة في نجد على الخصوص كما هو سائر البلاد الأخرى على العموم بيئة جاهلية بيئة خرافة وبدعة امتزجت بالنفوس فأصبحت جزءا من عقيدتها إن لم تكن هي عقيدتها .
ولاشك أن بيئة هذه عقيدتها مناقضة لما نشأ عليه الشيخ ولما تربى وتعلمه .. فكان لابد أن يخرج إلى هذه البيئة يعاملها بمقتضى سنة الله في خلقه ، والشيخ بين أمرين :
إما أن يستسلم للبيئة ويصبح مثل الآخرين ، وإما أن يصمم على محاربة الخرافة المنتشرة .. لكن قد اختار الشيخ رحمه الله على أن يقوم لله قومة انصدعت لها جبال الجاهلية وتقطعت بها غيوم الباطل و شبهاته ، فعزم على تنحية البدع من الحياة التي حوله ، و إيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين ، والعمل على نشر الإسلام والنور من الكتاب والسنة وسيرة الصالحين .

رحلة الشيخ وطلبه للعلم

هنا توجه الشيخ للرحلة في طلب العلم ؛ للتسلح بسلاح ماض قاطع ؛ فإن إنكار الشيخ لهذه الأمور الشائعة جعلته في مواجهة مع علماء السوء وتلبيساتهم وشبهاتهم ، وتأليب العامة عليه ، و تهتمهم إياه بالانحراف والجهل ، فكان كل ذلك يزيد من حرصه على تحصيل العلم وإدراك الحق ؛ فلابد أن يرحل في طلب العلم وتحقيق ما شرح الله له صدره من حقيقة هذا الدين القيم .
رحل الشيخ إلى مكة والمدينة والبصرة غير مرة ، طلبا للعلم .. ولم يتمكن من الرحلة إلى الشام وعاد إلى نجد يدعوهم إلى التوحيد . راجع حول موضوع رحلات الشيخ المختلفة في طلب العلم و شيوخه الذين أخذ عنهم ، كتاب : عقيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/١٣٣ ١٧٤) .
ولم يثبت أن الشيخ رحمه الله قد تجاوز الحجاز والعراق والأحساء في طلب العلم ، أما ما تجاوز الحد من أنه سافر إلى الشام كما ذكره خير الدين الزركلي في الأعلام ، وإلى فارس وإيران و قم وأصفهان كما يذكره بعض المستشرقين ونحوهم في مؤلفاتهم المعروفة بالأخطاء و مجانبة الحقيقة ، فهذه الأشياء غير مقبولة ؛ لأن حفيد الشيخ ابن حسن وابنه عبد اللطيف بن ابن بشر نصوا على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتمكن من السفر إلى الشام ، أما ما يذكر من أنه سافر إلى فارس و غيرها من البلاد ، فإن أغلبهم قد اعتمدوا على كتاب لمع الشهاب لمؤلف مجهول ، قال علامة الجزيرة حمد الجاسر : ولا تفوت الإشارة إلى أن كثيرا ممن كتبوا عن الشيخ محمد رحمه الله انخدعوا بما جاء في كتاب لمع الشهاب ، .. إلى أن قال : وهذا الكتاب الذي لا يصح التعويل عليه .. وبالإجمال ؛ فقد حرص مترجمو الشيخ محمد على تدوين كل ما يتصل برحلاته وبأسماء العلماء الذين تلقى العلم عنهم ، وبذكر البلاد التي زارها ، ويكادون يتفقون على عدم صحة ما ورد في كتاب لمع الشهاب من ذلك . انظر : مجلة العرب (ج ١٠ ، السنة الرابعة ، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ ، (ص ٩٤٣ ٩٤٤) .
أم ما زعم أن الشيخ درس اللغتين الفارسية و التركية ، والحكمة الإشراقية والفلسفة والتصوف ولبس جبة خضراء في أصفهان ؛ فليس بثابت ، بل إنه أمر باطل و يستبعد .. وليس في مؤلفات الشيخ وآثاره ما يدل على شيء من هذا .. ثم إن من

ذكر ذلك عن الشيخ كان ممن انخدع بمثل كتاب لمع الشهاب . وقد رد على هذه الفرية العلامة حمد الجاسر انظر : نفس المرجع السابق (ص ٩٤٤) .

بعد مضي سنوات على رحلة الشيخ رحمه الله في طلب العلم ، عاد إلى بلدة حريملاء التي انتقل إليها والده بعد أن تعين عليها أمير جديد يلقب بخرفاش بن معمر والذي لم يرق له بقاء الشيخ عبد الوهاب في القضاء ، فعزله عنه ، فغادرها الشيخ عبد الوهاب إلى حريملاء وتولى قضاءها وأقام بها . فأقام الشيخ محمد بعد عودته من رحلته العلمية في حريملاء مع أبيه يدرس عليه ويدعو إلى التوحيد و يبين بطلان دعوة غير الله . انظر : الدرر السنية (٥/١٢) .

لقد ابتلي الشيخ رحمه الله .. فصبر على البلاء و ثبت حتى جاوز الامتحان والابتلاء ، و ما ذلك إلا تأييد الله له بروح منه وتقويته لإيمانه .. وأمثلة ذلك في حياته كثيرة ..

و لنأخذ مثلا من أحوال الشيخ التي وقعت له ؛ ففي حالة إخراجه من العيينة طريدا منها كان سبب إخراجه رحمه الله من العيينة هو أن ابن معمر خاف من حاكم الإحساء من أن يقطع عنه المعونة ، فأخرج الشيخ رحمه الله من العيينة وتوجه إلى الدرعية ، فكان ابن معمر ممن آثر الدنيا على الدين وباع العاجل بالآجل لما تعارض في صدره أمر صاحب الإحساء وأمر الله تعالى - ، قد افتقد كل حظ من حظوظه الدنيوية المباحة ؛ افتقد ثقة الأمير وثقة الناس من حوله به و بما يدعو إليه من عقيد السلف الصالح ، وافتقد المسكن و المكانة و جميع الحظوظ النفسية والغايات الدنيوية ومشى وحيدا أعزل من أي سلاح ليس بيده إلا مروحة من خوص النخيل ، لكن كان على ثقة من ربه ، والله قد قوي إيمانه حتى صغر في ميزانه أمر صاحب الأحساء وخذلان ابن معمر له وفراق الوطن والمال والأهل والزوجة والمسكن وما بقي لديه سوى الإيمان القوي بصحة عقيدة السلف الصالح ، و حسن الظن بالله .. لقد سار من العيينة إلى الدرعية يمشي راجلا ليس معه أحد في غاية الحر في فصل الصيف لا يلتفت عن طريقه ويلهج بقوله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث يحتسب ﴾ و يلهج بالتسبيح .. فلما وصل الدرعية قصد بيت ابن سويلم العريني ، فلما دخل عليه ؛ ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من محمد بن سعود ، فوعظه الشيخ وأسكن جأشه وقال : سيجعل الله لنا ولك فرجا و مخرجا . انظر : عنوان المجد لابن بشر (١/١١) .

ثم انتقل الشيخ إلى دار تلميذ الشيخ ابن سويلم الشيخ أحمد بن سويلم ، و هناك بدأ التزاور بين خصائص أهل العلم من الدرعية ولما علموا بثبات دعوة الشيخ و أنها على سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يشيروا على ابن سعود بنصرته ، فهابوه ، فأتوا إلى زوجته موضي بنت أبي وهطان من آل كثير و أخيه ثنيان .. وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به و ينهى عنه ، فوقر في قلوبهما معرفة التوحيد وقف الله في قلوبهما محبة الشيخ . روضة ابن غنام (١/٣) .

دخل محمد بن سعود على زوجته فأخبرته بمكان الشيخ وقالت له هذا الرجل ساقه الله إليك و هو غنيمة فاغتم ما خصك الله به ، فقبل قولها ثم دخل على أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشاروا عليه مساعدته و نصرته .. أراد أن يرسل إليه ، فقالوا : سر إليه برجلك في مكانه وأظهر تعظيمه والاحتفال به ، لعل الناس أن يكرموه ويعظموه ، فذهب محمد بن سعود إلى مكان الشيخ و رحب به وأبدى غاية الإكرام والتبجيل وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده .. قال : أبشر ببلاد خير

من بلادك وأبشر بالعزة والمنعة ، فقال الشيخ : وأنا أبشرك بالعزة والتمكين وهذه كلمة لا إليه إلا الله من تمسك بها وعمل بها ونصرها ؛ ملك بها البلاد والعباد ، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وأنت ترى نجدا وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم بعض ؛ فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك . عنوان المجد (١/١١ ١٢) .

و هكذا تم اللقاء التاريخي وحصلت البيعة المباركة على ذلك .. و أخذ الشيخ رحمه الله بالدعوة والجهاد في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله ..

ونتجاوز بعض الأمور من حياة الشيخ رحمه الله .. لأن الهدف من سرد هذه الأحداث ليس فقط طرح سيرة الشيخ أو ذكرها مفصلة .. وإنما الغاية والهدف هو الوصول إلى الحقيقة والتي نادى بها الشيخ رحمه الله .. ورد الشبه التي ألصقت بالدعوة وبصاحبها ..

أما عن عقيدة الشيخ رحمه الله فهي عقيدة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .. عقيدة الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان .. عقيدة أئمة الهدى .. أبي حنيفة والشافعي و مالك وأحمد وابن عيينة والثوري وابن المبارك والبخاري وسلم وأبي داود وسائر أصحاب السنن وأهل الفقه وأثر رحمهم الله ..

يقول رحمه الله : ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم .. بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي أوصى بها أول أمته وآخرهم وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلها على الرأس والعين .. ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي ، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقول إلا الحق . انظر للمزيد عن عقيدة الشيخ الإمام رحمه الله كتاب : عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للدكتور : صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود .

أما عن مؤلفات الشيخ فهي كثيرة جدا نذكر بعضا منها

قام الشيخ رحمه الله تعالى بتأليف عدد من الكتب والرسائل المهمة ، و قد امتازت مؤلفات الشيخ رحمه الله بالأسلوب القرآني المحض و أدلته كلها مأخوذة من القرآن والسنة ، و ذو أسلوب واضح لا يوجد فيه أي تعقيد ، إلا أن اللغة ليست عالية جدا كما نشاهدها عند ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) وابن القيم (ت ٧٥٦ هـ) .

و قد عرفنا من مؤلفات الشيخ الكتب التالية :-

١- كتاب التوحيد : و هذه الرسالة هي من أشهر مؤلفاته ، و الاسم الكامل هذا الكتاب هو : كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد . و ذكر فيه الشيخ حقيقة التوحيد و حدوده ، و الشرك و مفاسده .

٢- كتاب كشف الشبهات : ونستطيع أن نسميه تكملة لكتاب التوحيد ، والحقيقة أن جميع كتب الشيخ تتعلق بالتوحيد و يمكن أن يقال أنها كلها تكملة لكتاب التوحيد .

٣- كتاب الأصول الثلاثة : و هي معرفة الرب ، و معرفة دين الإسلام ، و معرفة الرسول ، و هذه هي الأصول الثلاثة التي وضحت في هذه الرسالة في أسلوب جذاب .

٤- كتاب شروط الصلاة و أركانها : و قد شرحت هذه الرسالة شروط الصلاة وهي : الإسلام ، والعقل ، التميز ، رفع الحدث و إزالة النجاسة ، و ستر العورة و دخول الوقت واستقبال القبلة ، والنية ، و ذكرت أركان الصلاة و واجباتها .

٥- كتاب القواعد الأربع : حيث ذكر في هذه الرسالة بعض نواحي التوحيد على طريقة مؤثرة و سهلة .

٦- كتاب أصول الإيمان : و بين أبواب مختلفة من الإيمان بالأحاديث ، و يظهر من عبارة في البداية ، أن بعض أولاد الشيخ قد أضاف إليها ، و نصها : و قد زاد فيه بعض أولاده زيادة حسنة .

٧- كتاب فضل الإسلام : و قد وضح فيه مفاسد البدع و الشرك ، كما وضح شروط الإسلام .

٨- كتاب الكبائر : ذكر فيه جميع أقسام الكبائر ، واحدة و احدة ، مفصلة في أبواب ، و قد دعمت الأبواب كلها بنصوص الكتاب والسنة .

٩- كتاب نصيحة المسلمين : و هذا كتاب مستقل قد جمع فيه أحاديث تتعلق بجميع نواحي التعليمات الإسلامية .

١٠- كتاب ستة مواضع من السيرة : و هي رسالة مختصرة توضح ستة أحداث من السيرة النبوية ، والمواضع الستة هي :

أ - ابتداء نزول الوحي .

ب - تعليم التوحيد و الرد على الكفار .

ج- قصة تلك الغرانيق العلى .

د- ختام أبي طالب .

ه منافع الهجرة و عظاتها .

و- قصة الارتداد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

١١- كتاب تفسير الفاتحة : و هو تفسير موجز جدا لسورة الفاتحة .

٢١- كتاب مسائل الجاهلية : و ذكر فيه الشيخ مائة و إحدى و ثلاثين مسألة خالف الرسول صلى الله عليه وسلم فيها معتقدات أهل الجاهلية .

٣١- كتاب تفسير الشهادة : و هو تفسير لكلمة لا إله إلا الله ، و قد ذكر فيها أهمية التوحيد في أسلوب آخاذ و واضح .

٤١- كتاب تفسير لبعض سور القرآن : و هي مجموعة لبعض تعليقات الشيخ على آيات و سور مختلفة من القرآن و قد استنبط عشرات من المسائل من آية واحدة ، و هذه هي أهم مزاياها .

٥١- كتاب السيرة : و هو ملخص من كتاب السيرة لابن هشام .

٦١- الهدي النبوي : و هو ملخص لكتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم رحمه الله .

و للشيخ عدة رسائل صغيرة أخرى غير ما ذكرنا ، و لا أرى حاجة إلى ذكرها ، و توجد بعض هذه الرسائل في كتاب روضة الأفكار المجلد الأول الفصل الثالث والرابع . وانظر أيضا حول مؤلفات الشيخ كتاب : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه (ص ١٣٥-١٤٤) . ونظر أيضا كتاب : عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٩١ ٢٣٥) ،

وقد فصل في خلالها القول في هذه الكتب و تحدث أيضا عن الكتب التي نسبت إلى الشيخ مثل كتاب : أحكام تمني الموت ، و كتاب :نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين ، كذلك رسالة : أوثق عرى الإيمان .

وفاته الشيخ رحمه الله

في عام ست ومئتين وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم (١٢٠٦ هـ) توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، قال ابن غنام في الروضة (١٥٤/٢) : كان ابتداء المرض به في شوال ، ثم كان وفاته في يوم الاثنين من آخر الشهر .

وكذا قال عبد الرحمن بن قاسم في الدرر السنية (٢٠/١٢) ، أما ابن بشر فيقول : كانت وفاته آخر ذي القعدة من السنة المذكورة . عنوان المجد (٩٥/١) . وقول ابن غنام أرجح ؛ لتقدمه في الزمن على ابن بشر ومعاصرته للشيخ وشهوده زمن وفاته وتدوينه لتاريخه .

وكان للشيخ من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة ، وتوفي ولم يخلف دينارا ولا درهما ، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم . انظر : روضة ابن غنام (١٥٥/٢) .

للمزيد عن حياة الشيخ و سيرته انظر الكتب التالية

محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن عبد الغفور عطار ، و داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز سيد الأهل ، و سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب لأمين سعيد ، و الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي ، و الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور عبد الله الصالح العثيمين ، والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ لعبد الله بن سعد الرويشد ، والشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته للدكتور عبد الله يوسف الشبل ، و محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه لمسعود عالم الندوي و دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية لأحمد بن عبد العزيز الحصين .. هذا عدا المصادر الأصلية مثل : تاريخ ابن غنام ، وتاريخ ابن بشر و تاريخ ابن عيسى ..

أما الرسائل الجامعية فقد كتب فيه على سبيل المثال : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي ، رسالة دكتوراه للدكتور أحمد بن عطية الزهراني من قسم العقيدة في جامعة أم القرى ، و عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ، رسالة دكتوراه للدكتور صالح بن عبد الله العبود ، من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .. و رسالة دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد للأستاذ عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ، رسالة ماجستير .. و رسالة الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة للأستاذ علي بن بخيت الزهراني ، رسالة ماجستير تحدث في الباب الرابع من رسالته عن الصحوة الإسلامية وكان موضوع الفصل الأول لهذا الباب هو أثر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي و هو فصل مهم وقيم ..

المصدر : موقع شبكة سحاب السلفية". <المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ص/٣٠٢>

٣٣٦-"ويقال: إن هرمس المثلث الموصوف، بالحكمة وهو الذي تسميه العبرانيون خنوخ وهو إدريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يخاف عليه الذهاب والدثور؛ وكل هرم منها ارتفاعه ثلاثمائة ذراع وسبعة عشر ذراعا، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع، كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع في مثلها. ويقال: إنه كان عليه حجر شبه المكبة فرمته الزياح العواصف، وطول الحجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين. ويقال: إن لهما أبوابا مقبية في الأرض، وكل باب من حجر واحد يدور بلولب إذا أطبق لم يعلم أنه باب، يدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت، كل بيت على اسم كوكب من الكواكب السبعة، وكلها مقفلة بأقفال حديد؛ وحذاء كل بيت منها صنم من ذهب مجوف إحدى يديه على فيه، وفي جبهته كتابة بالمسند إذا قرئت انفتح فوه، فيوجد فيه مفاتيح ذلك القفل فيفتح بها. والقبط يزعمون أنهما والهرم الصغير قبور ملوكهم وأكابرهم.

ولما ولي المأمون الخلافة وورد مصر أمر بفتح واحد منها ففتح بعد عناء، طويل، واتفق لسعادته أنه وقع النقب على مكان يسلك منه إلى الغرض المطلوب وهو زلاقة ضيقة من الحجر الصوان المانع الذي لا يعمل فيه الحديد بين حاجزين ملتصقين بالحائط، قد نقر في الزلاقة حفر يتمسك السالك بتلك الحفر ويستعين بها على المشي في الزلاقة لئلا يزلق، وأسفل الزلاقة بئر عظيمة بعيدة القعر، ويقال: إن أسفل البئر أبواب يدخل منها إلى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع وعجائب، وانتهت بهم الزلاقة إلى موضع مربع في وسطه حوض من حجر مغطى، فلما كشف عنه غطاؤه لم يوجد فيه إلا رمة بالية، فأمر المأمون بالكف عما سواه. وهذا الموضع يدخله الناس إلى وقتنا هذا. ويقال: إن المأمون أنفق على النقب جملة اختلف المؤرخون في كميتها. فلما انتهى به النقب إلى الموضع المربع المذكور وجد فيه جاما من زمرد مغطى، فكشف فوجد فيه ذلك المقدار الذي أنفقه من غير زيادة على ذلك - واستمر ذلك إلجام في ذخائر الخلفاء إلى وقعة هولاكو ببغداد - فقال: الحمد لله الذي رد علينا ما أنفقناه.

وقيل: إن الأمير أحمد بن طولون سأل بعض علماء الأقباط المعمرين - ممن رأى الرابع عشر من ولد وللي - عن الأهرام؛ فقال: إنها قبور الملوك، كان الملك منهم إذا مات وضع في حوض حجارة يسمى أبجرون، ثم يبنى عليه الهرم، ثم يقنطر عليه البنيان والقباب، ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم، ثم يجعل له طريق في الأرض بعقد أزج، فيكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراع أو أكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب مدخله على ما وصفت ؛ فقيل له: كيف بنيت هذه الأهرام المملسه، وعلى أي شيء كانوا يصعدون ويبنون، وعلى أي شيء كانوا يضعون الآلات ويحملون الحجارة العظيمة التي لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد إلا بجهد؛ فقال: كان القوم يبنون الهرم مدرجا فإذا فرغوا منه نحتوه من فوق إلى أسفل، قلت: وهذا أصعب من الأول قال: فكانت هذه حيلتهم، وكانوا مع هذا

لهم قمر وصبر وطاعة لملوكهم ديانة؛ فقيل له: ما بال هذه الكتابة التي على الأهرام والبرابي لا تقرأ؛ قال: فصب الحكماء الذين كان هذا قلمهم، وتداول أرض مصر الأمم، فغلب على أهلها القلم الرومي كأشكال أحرف القبط والروم؛ فالقبط تقرؤه على حسب تعارفها إياه وخلطها لأحرف الروم بأحرفها على حسب ما ولدوا من الكتابة بين الرومي والقبطي الأول، فذهب عنهم كتابة آبائهم السالفة وصاروا لا يعرفونها، وهي هذه الكتابة التي على الأهرام وغيرها. انتهى أمر الهرم. وقد نظم عمارة اليمني فيهما فقال: الطويل،

خليلي ما تحت السماء بنية ... تماثل في إتقانها هرمي مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما ... على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

تنزه طرفي في بديع بنائها ... و لم يتنزه في المراد بها فكري

وقال سعد الدين بن جبارة في المعنى: الكامل

لله أي غريبة و عجيبة ... في صنعة الأهرام للألباب

أخفت عن الأسماع قصة أهلها ... ونضت عن الإبداع كل نقاب". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١/١٥>

٣٣٧-"فكأنما هي كالخيام مقامة ... من غير ما عمد ولا أطناب

وبالقرب من الأهرام صنم على صورة إنسان تسميه العامة أبا الهول لعظمه، والقبط يزعمون أنه طلسم للرمل الذي هناك لئلا يغلب على أرض الجيزة.

وأما السحرة الذين كانوا بمصر في زمان فرعون فكانوا، كما ذكر يزيد بن أبي حبيب، اثني عشر ساحرا رؤساء، وتحت يد كل ساحر منهم عشرون عريفا، تحت يد كل عريف منهم ألف من السحرة؛ فكان جميع السحرة مائتي ألف وأربعين ألفا ومائتين واثنين وخمسين إنسان بالرؤساء والعرفاء.

وعن محمد بن المنكدر: كان السحرة ثمانين ألفا، فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقوم بأمر الله، فخر الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سجدا، فاتبعهم العرفاء واتبع العرفاء من بقي؛ قالوا: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، وكانوا من أصحاب موسى ولم يفتتن أحد منهم مع من افتتن من بني إسرائيل في عبادة العجل.

ما بمصر من الأعاجيب والمباني

فبها عمود مدينة عين شمس الذي تسميه العامة مسلة فرعون. وبها صدع أبي قير، وهو موضع في الجبل يجتمع إليه في يوم مخصوص في السنة جميع جنس الطير، وبالجبل طاقة يدخل فيها كل طير يأتي إليه ثم يخرج من وقته حتى ينتهي إلى آخر الطير فتقبض عليه ويموت فيها. وبها مجمع البحرين وهو البرزخ، وهما بحر الروم والصين، والحاجز بينهما مسيرة ليلة واحدة ما بين القلزم والفرما. وبها ما ليس في غيرها، وهو حيوان السقنقور والنمس ولولاه أكلت الثعابين أهلها؛ وهو كقنافذ سجستان لأهلها. وبها دهن البلسان، وليس ينبت عرقه إلا بمصر خاصة. وبها معدن الذهب والزمرد، وليس في الدنيا معدن زمرد سواه. وبها معدن النفط والشب والبرام والرخام. وبها الأفيون، وهو عصارة الخشخاش؛ وقيل: بها سائر المعادن ؛ وبها الأبنوس. وبها أحجر السنباذج الذي يقطع به سائر الأحجار؛ وأشياء غير ذلك سكتنا عنها خوف الإطالة.

وأما مصر تلك الأيام فكانت مبانيها وأماكنها في غير مصر الآن. وموضع مصر قديما هي البقعة الآن الخراب عند حدرة ابن قميحة والكيمان التي عند قبر القاضي بكار إلى المشهد النفيسي.
وأما قطائع ابن طولون فيأتي ذكرها في ترجمته وبيان أماكنها. قال الشريف النسابة الثقة محمد بن أسعد الجواني في كتابه المسمى النقط لمعجم ما أشكل من الخطط: سمعت الأمير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالصمصام يقول: في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة حدثني القاضي أبو الحسن علي بن الحسين الخلعي عن القاضي القضاعي أبي عبد الله أنه قال: كان في مصر من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد، وثمانية آلاف شارع مسلوك، وألف ومائة وسبعون حماما ؛ وأن أبا الحسن بن حمزة الحسني ذكر أنه عرض له دخول حمام سالم الذي عند درب سالم في أول القرافة، يعني حمام جنادة بن عيسى المعافري الذي عند مصبغة الحفارين المعروفة بفسقية ابن طولون – قلت: وفسقية ابن طولون هي عند المقبرة الكبيرة على يسرة المتوجه إلى القرافة بالقرب من قبر القاضي بكار – قال: وإنه ما وصل إليه إلا بعد عناء من الزحام، وإنه كانت قبالة الحمام في كل يوم جمعة خمسمائة درهم. قلت: وكانت الخمسمائة درهم يوم ذاك نحو اثنين وأربعين د ينارا إلا ثلثا، لأن الدينار كان صرفه يوم ذاك اثني عشر درهما. انتهى كلام الشريف.
قلت: وذهبت تلك الأماكن بأجمعها عند خراب قطائع ابن طولون لما أخربها محمد بن سليمان الكاتب، لا سيما لما بنيت القاهرة في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، على ما يأتي ذكر ذلك في ترجمة جوهر القائد.
وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الأربع فقد تجدد ذلك كله في الدولة التركية، ومعظمه في دولة ابن قلاوون محمد، على ما يأتي بيان ذلك في ترجمته، لأننا نذكر كل مكان تجدد في أيام سلطانه كما شرطناه في أول هذا الكتاب.
محاسن مصر". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١/١٦>

٣٣٨-"وبلغ رزق الجيش المصري في أيام خمارويه في السنة تسعمائة ألف دينار؛ وكان مصروف مطبخ خمارويه في كل شهر ثلاثة وعشرين ألف دينار، وهذا سوى مصروف حرمه وجواريه وما يتعلق بهن. وكان خمارويه قد آتخذ لنفسه من مولدي الحوف وسائر الضياع قوما معروفين بالشجاعة وشدة البأس؛لهم خلق تام وعظم أجسام، وأجرى عليهم الأرزاق ووسع لهم في العطاء، وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق وأذية الناس بخدمته، وألبسهم الأقبية من الحرير والديباج وصاغ لهم المناطق وقلدهم بالسيوف المحلاة يضعونها على أكتافهم إذا مشوا بين يديه وسماهم أ المختارة " ؛ فكان هؤلاء يقاتلون أمام جند خمارويه أضعاف ما يقاتله الجند. وكان إذا ركب خمارويه ومضى الحجاب بين يديه ومشى موكبه على ترتيبه ومضت أصناف العسكر وطوائفه، تلاهم السودان وعدتهم ألف أسود لهم درق من حديد محكمة الصنعة وعليهم أقبية سود وعمائم سود، فيخالهم الناظر إليهم بحرا أسود يسير على وجه الأرض لسواد ألوانهم وسواد ثيابهم ، ويصير لبريق درقهم وحلي سيوفهم والخوذ التي على رؤوسهم من تحت العمائم زي بهج إلى الغاية؛ فإذا مضى السودان قدم خمارويه وقد آنفرد عن موكبه وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم، وخواصه تحف به. وكان خمارويه طويل القامة ويركب فرسا تاما فيصير كالكوكب، إذا أقبل لا يخفى على أحد كأنه قطعة جبل. وكان خمارويه مهيبا ذا سطوة، قد وقع في قلوب الناس أنه متى أشار إليه أحد بيده أو تكلم أو قرب منه لحقه ما يكره؛ وكان إذا سار في موكبه لا يسمع من أحد كلمة ولا سعلة ولا

عطس ولا نحنحة البتة كأنما على رؤوسهم الطير؛ وكان يتقلد في يوم العيد سيفا بحمائل، ولا يزال يتفرج ويتنزه ويخرج إلى المواضع التي لم يكن أبوه يخرج إليها كالأهرام ومدينة العقاب ونحو ذلك لأجل الصيد، فإنه كان مشغوفا به، لا يكاد يسمع بسبع إلا قصده ومعه رجال عليهم بود فيدخلون إلى الأسد ويتناولونه بأيديهم من غابته عنوة وهو سليم، فيضعونه في أقفاص من خشب محكمة الصنعة تسع الواحد من السباع وهو قائم ؛ فإذا قدم خمارويه من الصيد سار القفص وفيه السبع أ بين يديه. وكانت حلبة السباق في أيامه تقوم عند الناس مقام الأعياد لكثرة الزينة وركوب سائر الجند والعساكر بالسلاح التام والعدد الكاملة ، ويجلس الناس لرؤية ذلك كما يجلسون في الأعياد. قلت: والتشبيه أيضا بتلك الأعياد لا بأعياد زماننا هذا، فإن أعيادنا الآن كالمآتم بالنسبة لتلك الأعياد السالفة. انتهى.

وقال القض اعي: وكان أحمد بن تطولون بنى المنظر لعرض الخيل. قال: وكان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربع ؛ والأربع العجائب: منها كان عرض الخيل بمصر، ورمضان بمكة، والعيد بطر سوس، والجمعة ببغداد. ثم قال القض اعي: وقد ذهب أثنتا من الأربع: عرض الخيل بمصر، والعيد بطرسوس. انتهى.". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٨٦/١>

٣٣٩-"وفيها توفي عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبو الفرج بن أبي قحافة، الشيخ الإمام الحافظ الواعظ المفسر العلامة جمال الدين أبو الفرج القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي؛ صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم: كالتفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ والطب وغير ذلك. مولده ببغداد سنة عشر وخمسمائة تقريبا بدرب حبيب. وتوفي أبوه وله ثلاث سنين.

قلت: وفضل الشيخ جمال الدين وحفظه وغزير علمه أشهر من أن يذكر هنا، والمقصود أن وفاته كانت في ليلة الجمعة بين العشاءين في داره بقطفتا ودفن من الغد، وكانت جنازته مشهودة، وكثر أسف الناس عليه، ولم يخلف بعده مثله.

قال ابن خلكان: وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد، وكتب بخطه كثيرا، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا إنه جمعت الكراريس التي كتبها، وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل. ويقال: إنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت. انتهى كلام ابن خلكان باختصار.

ومن شعره:

يا صاحبي إن كنت لي أو معي ... فعج إلى واعي الحمى نرتع

وسل عن الوادي وسكانه ... وانشد فؤادي في ربا المجمع

حي كثيب الرمل رمل الحمى ... وقف وسلم لي على لعلع

واسمع حديثا قد روته الصبا ... تسنده عن بانة الأجرع

وآبك فما في العين من فضله ... ونب فدتك النفس عن مدمعي

وله:

رأيت خيال الظل أعظم عبرة ... لمن كان في أوج الحقيقة راق

شخوص وأشكال تمر وتنقضي ... وتفنى جميعا والمحرك باق

وفيها توفي الأمير بهاء الدين قراقوش ابن عبد الله، الأسمي الخادم الخصي المنسوب إليه حارة بهاء الدين بالقاهرة داخل باب الفتوح، وهو الذي بنى قلعة الجبل بالقاهرة، والسور على مصر والقاهرة، والقنطرة التي عند الأهرام وغير ذلك؛ وكان من أكابر الخدام، من خدام القصر، وقيل إن أصله من خدام العاضد، وقيل إنه من خدام أسد الدين شيركوه وهو الأصح. واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين، وكان صلاح الدين يثق به ويعول عليه في مهماته. ولما افتتح عكا من الفرنج سلمها إليه؛ ثم لما استولوا عليها أخذ أسيرا، ففداه صلاح الدين بعشرة آلاف دينار؛ وقيل: بستين ألف دينار.

قال ابن خلكان: " والناس ينسبون إليه أحكاما عجيبة في ولايته نيابة مصر عن صلاح الدين، حتى إن الأسعد بن مماتي له فيه كتاب لطيف سماه: " الفاشوش في أحكام قراقوش " . وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منه، والظاهر أنها موضوعة؛ فإن صلاح الدين كان يعتمد في أحوال المملكة عليه، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه. وكانت وفاته في مستهل رجب. وفيها توفي محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله أبو عبد الله، الإمام العلامة عماد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالعماد الكاتب، وبابن أخي العزيز. ولد بأصبهان سنة تسع عشرة وخمسمائة وبها نشأ. وقدم بغداد مع أبيه وبها تفقه، واشتغل بالأدب وبرع في الإنشاء، وخدم الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة، وكان أحد كتابه. ثم قدم دمشق أيام نور الدين الشهيد واتصل به وخدمه. وكان فاضلا حافظا لدواوين العرب، وله عدة مصنفات، منها: " خريدة القصر في شعراء العصر " وغير ذلك وكان القاضي الفاضل يقول: العماد الكاتب كالزناد الوقاد يعني أن النار في باطنه كامنة، وظاهره فيه فترة. وكانت وفاة العماد بدمشق في يوم الاثنين غرة شهر رمضان. ودفن عند مقابر الصوفية عند المنيبع. وقيل إن العماد اجتمع بالقاضي الفاضل يوما في موكب السلطان فسارا جميعا، وقد انتشر الغبار لكثرة الفرسان ما سد الفضاء فتعجبا من ذلك، فأنشد العماد في الحال:

أما الغبار فإنه ... مما أثارته السنابك". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢/١٧٥>

٣٤٠-"وعاد بتخاص إلى سلار وبيبرس وعرفهم شدة تعصب العامة للسلطان؛ فبعث الأمراء عند ذلك ثانيا إلى السلطان بأنهم مماليكه وفي طاعته، ولا بد من إخراج الشباب الذين يرمون الفتنة بين السلطان والأمراء، فامتنع السلطان من ذلك وآشتد، فما زال به بيبرس الدوادار وبرلغي حتى أخرج منهم جماعة وهم: يلبغا التركماني، وأيدمر المرقبي، وخاص ترك؛ فهددهم بيبرس وسلار ووبخاهم وقصد سلار أن يقيدهم، فلم توافق الأمراء على ذلك رعاية لخاطر السلطان؛ فأخرجوا إلى القدس من وقتهم على البريد. ودخل جميع الأمراء على السلطان وقبلوا الأرض ثم قبلوا يده فخلع على الأمير بيبرس وسلار. ثم سأل الأمراء السلطان أن يركب في أمرائه إلى الجبل الأحمر حتى تطمئن قلوب العامة عليه ويعلموا أن الفتنة قد خمدت، فأجاب لذلك. وبات ليلته في قلق زائد وكرب عظيم لإخراج مماليكه المذكورين إلى القدس. ثم ركب بالأمراء من الغد إلى

قبة النصر تحت الجبل الأحمر، وعاد بعد ما قال لبيبرس وسلار: إن سبب الفتنة إنما كان من بكتمر الجوكندار؛ وذلك أنه رآه قد ركب بجانب الأمير بيبرس الجاشنكير وحادثه، فتذكر غدره به، فشق عليه ذلك. فتلطفوا به في أمره، فقال: " والله ما بقيت لي عين تنظر إليه؛ ومتى أقام في مصر لا جلست على كرسي الملك أبدا " ؛ فأخرج من وقته إلى قلعة الصبيبة، واستقر عوضه أمير جاندار الأمير بدر الدين بكتوب الفتاح. فلما مات سنقرشاه بعد ذلك آستقر بكتمر الجوكندار في نيابة صفد عوضه فنقل إليها من الصبيبة. وآجتاز السلطان بخانقاه الأمير بيبرس الجاشنكير داخل باب النصر فرآها في ممره، وكان قد نجز العمل منها في هذه الأيام، وطلع السلطان إلى القلعة وسكن الحال، والأمراء في حصر من جهة العامة من تعصبهم للسلطان، والسلطان، في حصر بسبب حجر الأمراء عليه وإخراج مماليكه من عنده. وآستمر ذلك إلى أن كان العاشر من جمادى الآخرة من سنة ثمان وسبعمائة عدى السلطان الجيزة وأقام حول الأهرام يتصيد عشرين يوما، وعاد وقد ضاق صدره وصار في غاية الحصر من تحكم بيبرس الجاشنكير وسلار عليه، وعدم تصرفه في الدولة من كل ما يريد، حتى إنه لا يصل إلى ما تشتهي نفسه من المأكل لقلة المرتب له! فلولا ما كان يتحصل له من أملاكه وأوقاف أبيه لما وجد سبيلا لبلوغ بعض أغراضه؛ وطال الأمر عليه سنين، فأخذ في عمل مصلحة نفسه وأظهر أنه يريد الحج بعياله، وحدث بيبرس وسلار في ذلك يوم النصف من شهر رمضان فوافقاه عليه، وأعجب البرجية خشداشية بيبرس سفره لينالوا أغراضهم، وشرعوا في تجهيزه؛ وكتب إلى دمشق والكرك وغزة برمي الإقامات، وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير، فتهيأ ذلك. وأحضر الأمراء تقادمهم له من الخيل والجمال في العشرين من شهر رمضان فقبلها منهم وشكرهم على ذلك. وركب في خامس عشرين شهر رمضان من القلعة يريد السفر إلى الحج، ونزل من القلعة ومعه جميع الأمراء؛ وخرج العامة حوله وحاذوا بينه وبين الأمراء، وهم يتباكون حوله ويتأسفون على فراقه ويدعون له إلى أن نزل بركة الحجاج. وتعين للسفر مع السلطان من الأمراء: عز الدين أيدمر الخطيري الأستادار، وسيف الدين آل ملك الجوكندار، وحسام الدين قرا لاجين أمير مجلس، وسيف الدين بلبان أمير جاندار، وعز الدين أيبك الرومي السلاح دار، وركن الدين بيبرس الأحمدي، وعلم الدين سنجر الجمقدار، وسيف الدين تقطاي الساقي، وشمس الدين سنقر السعدي النقيب، ومن المماليك خمسة وسبعون نفرا. وودعه سلار وبيبرس بمن معهم من الأمراء وهم على خيولهم من غير أن يترجلوا له، وعاد الأمراء.". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢/٤٣٤>

٣٤١-"ولما حضر من تجرد من الأمراء إلى الديار المصرية حضر معهم الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك الذي ولي نيابة الشام بعد كراي المنصوري، فقبض السلطان عليه وعلى الأمير بيبرس الدوادار نائب السلطان صاحب التاريخ، وعلى سنفر الكمالي، ولاجين الجاشنكير وبينجار وألدكز الأشرفي، ومغلطاي المسعودي وسجنوا بالقلعة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وذلك لميلهم إلى قراسنقر والأفرم. ثم خلع السلطان على تنكز الحسامي الناصري بنيابة دمشق دفعة واحدة عوضا عن آقوش نائب الكرك، وتنكز هذا هو أول من رقاه من مماليكه إلى الرتب السنية. ثم استقر بسودي الجمدار في نيابة حلب، واستقر تمر الساقي المنصوري في نيابة طرابلس.

ثم إن السلطان عزل مهنا بأخيه فضل ورسم بأن مهنا لايقيم بالبلاد. ثم قبض السلطان على الأمير بيبرس المجنون وبيبرس

العلمي وسنجر البرواني وطوغان المنصوري وبيبرس التاجي، وقيدوا وحملوا من دمشق إلى الكرك في سادس ربيع الآخر من السنة. ثم أمر السلطان في يوم واحد ستة وأربعين أميرا، منهم طبلخاناه تسعة وعشرون، وعشروات سبعة عشر، وشقوا القاهرة بالشرابيش والخلع. ثم في يوم الاثنين أول جمادى الأولى خلع السلطان على مملوكه أرغون الدوادار بنيابة السلطنة بالديار المصرية عوضا عن بيبرس الدوادار بحكم القبض عليه. ثم خلع السلطان على بلبان طرنا أمير جاندار بنيابة صفد عوضا عن بهادر آص، وأن يرجع بهادر آص إلى دمشق أميرا على عادته أولا. ثم ركب السلطان إلى الصيد ببر الجيزة وأمر جماعة من مماليكه، وهم: طقتمر الدمشقي، وقطلوبغا الفخري المعروف بالفول المقشر، وطشتمر البدري المعروف بحمص أخضر.

ثم ورد على السلطان الخبر بحركة خربندا ملك التتار، فكتب السلطان إلى الشام بتجهيز الإقامات، وعرض السلطان العساكر وأنفق فيهم الأموال، وابتدأ بالعرض في خامس عشر شهر ربيع الآخر، وكمل في أول جمادى الأولى، فكان يعرض في كل يوم أميرين من مقدمي الألوف، وكان يتولى العرض هو بنفسه، ويخرج الأميران بمن أضيف إليهما من الأمراء ومقدمي الحلقة والأجناد، ويرحلون شيئا بعد شيء من أول شهر رمضان إلى ثامن عشرينه حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر.

ثم خرج السلطان في ثاني شوال ونزل مسجد التبن خارج القاهرة ورحل منه في يوم الثلاثاء ثالث من شوال، ورتب بالقلعة نائب الغيبة الأمير سيف الدين، أيتمش المحمدي الناصري. فلما كان ثامن شوال قدم البريد برحيل التتار ليلة سادس عشرين رمضان من الرحبة وعودهم إلى بلادهم بعد ما أقاموا عليها من أول شهر رمضان. فلما بلغ السلطان ذلك فرق العساكر في قاقون وعسقلان وعزم السلطان، على الحج ودخل دمشق في تاسع عشر شوال، وخرج منها في ثاني ذي القعدة إلى الكرك، وكان قد، أقام بدمشق أرغون النائب للنفقة على العساكر وغير ذلك من الأعمال، وكلف الوزير أمين الملك ابن الغنام بجمع المال اللازم، وتوجه السلطان من الكرك إلى الحجاز في أربعين أميرا، فحج وعاد إلى دمشق في يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وكان لدخوله دمشق يوم مشهود، وعبر دمشق على ناقة وعليه بشت من ملابس العرب بلثام وبيده حربة، فأقام بدمشق خمسة عشر يوما وعاد إلى مصر، فدخلها يوم ثاني عشر صفر.

ثم عمل السلطان في هذه السنة أعني سنه ثلاث عشرة وسبعمائة الروك بدمشق، وندب إليه الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة.

ثم إن السلطان تجهز إلى بلاد الصعيد ونزل من قلعة الجبل في ثاني عشرين شهر رجب من السنة ونزل تحت الأهرام بالجيزة، وأظهر أنه يريد الصيد، والقصد السفر للصعيد وأخذ العربان لكثرة فسادهم. وبعث عدة من الأمراء حتى أمسكوا طريق السويس وطريق الواحات فضبط البرين على العربان، ثم رحل من منزلة الأهرام إلى جهة الصعيد وفعل بالعربان أفعالا عظيمة من القتل والأسر، ثم عاد إلى الديار المصرية فدخلها في يوم السبت عاشر شهر رمضان. وكان ممن قبض عليه السلطان مقداد بن شماس، وكان قد عظم ماله، حتى كان عدة جواريه أربعمائة جارية، وعدة أولاده ثمانين.". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢/٤٨٥>

٣٤٢-"ثم أفرج السلطان عن الأمير علم الدين سنجر الجاولي بعد أن اعتقل ثماني سنين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما، فكان فيها ينسخ القرآن وكتب الحديث.

وفي سنة ثمان وعشرين أيضا عزم السلطان على أن يجري النيل تحت قلعة الجبل ويشق له من ناحية حلوان، فبعث الصناع صحبة شاد العمائر إلى حلوان، وقاسوا منها إلى الجبل الأحمر المطل على القاهرة، وقدروا العمل في بناء الواطي حتى يرتفع وحفر العالي ليجري الماء إلى تحت قلعة الجبل من غير نقل ولاكلفة. ثم عادوا وعرفوا السلطان ذلك، فركب، وقاسوا الأرض بين يديه، فكان قياس ما يحفر اثنتين وأربعين ألف قصبة حاكمية لتبقى خليجا يجري فيه ماء النيل شتاء وصيفا بسفح الجبل، فعاد السلطان وقد أعجبه ذالك وشاور الأمراء فيه فلم يعارضه فيه أحد إلا الفخر ناظر الجيش، فإنه قال: بمن يحفر السلطان هذا الخليج، قال: بالعسكر، قال: والله لو اجتمع عسكر آخر فوق العسكر السلطاني وأقام سنين ما قدروا على حفر هذا العمل، فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال، ثم هل يصح أولا فالسلطان لايسمع كلام كل أحد ويتعب الناس ويستجلب دعاءهم ونحو ذلك من القول، فرجع السلطان عن عمله.

وفيها أفرج السلطان عن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية بشفاعة الأمير جنكلي بن البابا. وفي يوم الاثنين سابع عشر، جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة رسم السلطان بردم الجب الذي كان بقلعة الجبل لما بلغ السلطان أنه شنيع المنظر شديد الظلمة كره الرائحة وأنه يمر بالمحابيس فيه شدائد عظيمة، فردم وعمر فوقه طباق للمماليك السلطانية. وكان هذا الجب عمل في سنة إحدى وثمانين وستمائة في أيام الملك المنصور قلاوون. ثم في السنة المذكورة رسم السلطان للحاجب أن ينادي بألا يباع مملوك تركي لكاتب ولا عامي، ومن كان عنده مملوك فليبعه، ومن عثر عليه بعد ذلك أن عنده مملوكا، فلا يلوم إلا نفسه. وفيها عرض السلطان مماليك الطباق وقطع منهم مائة وخمسين، وأخرجهم من يومهم ففرقوا بقلاع الشام.

وفيها قتل الأمير تنكز نائب الشام الكلاب ببلاد الشام فتجاوز عدتها خمسة آلاف كلب.

ثم خرج السلطان إلى سرياقوس في سابع عشرين من ذي الحجة على العادة في كل سنة، وقدم عليه الأمير تنكز نائب الشام في أول المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة وبالغ السلطان في إكرامه ورفع منزلته، وقد تكرر قدوم تنكز هذا إلى القاهرة قبل تاريخه غير مرة، ثم عاد إلى نيابته بدمشق في رابع عشر المحرم.

ثم في عشرين المحرم المذكور وصل إلى القاهرة الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة، فبالغ السلطان أيضا في إكرامه ورفع منزلته وخلع عليه.

ثم سافر السلطان في تاسع صفر إلى بلاد الصعيد للصيد على عادته، ومعه المؤيد صاحب حماة، ثم عاد بعد أيام قليلة لتوعك بدنه من رمد طلع فيه، وأقام بالأهرام بالجيزة أياما، ثم عاد وسافر إلى الصعيد حتى وصل إلى هو، ثم عاد إلى مصر في خامس شهر ربيع الآخر، وسافر في ثامنه المؤيد صاحب حماة إلى محل ولايته بعد أن غاب مع السلطان هذه الأيام الكثيرة.". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٣/٢>

٣٤٣-"ومات السلطان الملك الصالح إسماعيل في ليلة الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة، وقد بلغ من العمر نحو عشرين سنة، فكتم موته. وقام شعبان إلى أمه ومنع من إشاعة موت أخيه، وخرج إلى أصحابه وقرر معهم أمره. فخرج طشتمر ورسلان بصل إلى منكلي بغا ليستعطفوا الأمير أرقطاي والأمير أصلم. وكان النائب والأمراء علموا من العصر أن السلطان في النزع، اتفقوا على النزول من القلعة إلى بيوتهم بالقاهرة. فدخل الجماعة على أرقطاي ليستميلوه لشعبان فوعدهم بذلك. ثم دخلوا على أصلم فأجابهم، وعادوا إلى شعبان، وقد ظنوا أن أمرهم تم. فلما أصبحوا نهار الخميس خرج الأمير أرغون العلائي والأمير ملكتمر الحجازي وتمر الموساوي وطشتمر طلليه ومنكلي بغا الفخري وأسندمر وجلسوا بباب القلة، فأتاهم الأمير أرقطاي والأمير أصلم والوزير نجم الدين محمود والأمير قماري الأستادار وطلبوا النائب فلم يحضر إليهم؛ فمضوا كلهم إلى عنده، وآستدعوا الأمير جنكلي بن البابا، وآشتوروا فيمن يولوه السلطنة؛ فأشار جنكلي أن يرسل إلى المماليك السلطانية ويسألهم من يختاروه " فإن من أختاروه رضيناه سلطانا " ، فعاد جوابهم مع الحاجب أنهم رضوا بشعبان سلطانا؛ فقاموا جميعا ومعهم النائب إلى داخل باب القلة. وكان شعبان تخيل من دخولهم عليه وجمع المماليك وقال: " من دخل علي وجلس على الكرسي قتلته بسيفي هذا! وأنا أجلس على الكرسي حتى أبصر من يقيمني عنه " . فسير أرغون العلائي إليه، وبشره وطيب خاطره، ودخل الأمراء إليه وسلطنوه ولقب بالملك الكامل سيف الدين شعبان حسب ما يأتي ذكره في أول ترجمته. ولنرجع إلى بقية ترجمة الملك الصالح إسماعيل.

وكان الملك الصالح سلطانا ساكنا عاقلا قليل الشر كثير الخير، هينا لينا بشوشا؛ وكان شكلا حسنا حلو الوجه أبيض بصفرة وعلى خده شامة. ولم يكن في أولاد الملك الناصر خير منه. رتب دروسا بمدرسة جده المنصور قلاوون، وجدد جماعة من الخدام بالحرم النبوي، حسب ما ذكرناه في وقته. وله مآثر كثيرة بمكة، واسمه مكتوب على رباط السدرة بحرم مكة. ولم يزل مثابرا على فعل الخير حتى توفي. ولما مات رثاه الشيخ صلاح الدين الصفدي بقوله:

مضى الصالح المرجو للبأس والندى ... ومن لم يزل يلقى المنى بالمنائح

فيا ملك مصر كيف حالك بعده ... إذا نحن أثنينا عليك بصالح

وكان الملك الصالح محببا للرعية على مشقة كانت في أيامه من كثرة التجاريد إلى قتال أخيه الملك الناصر أحمد بالكرك، وكانت السبل مخيفة. وشغف مع ذلك بالجواري السود، وأفرط في محبة " اتفاق " العوادة وفي العطاء لها؛ وقرب أرباب الملاهي، وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمطربين، حتى كان إذا ركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام ركبت أمه في مائتي امرأة الأكاديش، بثياب الأطلس الملون، وعلى رؤوسهن الطراطير الجلد البرغالي المرصعة بالجوهر واللآلىء، وبين أيديهن الخدام الطواشية، من القلعة إلى السرحة. ثم تركب حظاياه الخيول العربية ويتسابقن؛ ويركبن تارة بالكامليات الحرير ويلعبن بالكرة؛ وكانت لهن في المواسم والأعياد وأوقات النزهة أمور من هذا النموذج. وآستولى الخدام والطواشية في أيامه على أحوال الدولة، وعظم أمرهم بتحكم كبيرهم عنبر السحرتي لالاة السلطان؛ وآقتنى عنبر السحرتي البزاة والسناقر، وصار يركب إلى المطعم، ويتصيد بثياب الحرير المزركشة؛ وآتخذ له كفا للصيد مرصعا بالجوهر. وعمل له خاصكية وخداما ومماليك تركب في خدمته، حتى ثقل أمره على أكابر أمراء الدولة، فإنه أكثر من شراء الأملاك والتجارة في البضائع، كل ذلك لكونه لالا السلطان. وأفرد له ميدانا يلعب فيه بالكرة؛ وتصدى لقضاء الأشغال وقصده الناس فصارت الإقطاعات

والرزق والوظائف لا تقضى إلا بالخدام والنساء.

وكان متحصل الدولة في أيام الملك الصالح قليلا ومصروف العمارة كثيرا.

وكان مغرما بالجلوس بقاعة الدهيشة، لا سيما لما ولدت منه " اتفاق " العوادة ولدا ذكرا، عمل لها فيه مهما بلغ الغاية التي لا توصف؛ ومع هذا كانت حياته منغصة وعيشته منكدة لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة.". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٣/١٠٩>

٣٤٤-"وقال ولده أبو العز طاهر بن حسن بن حبيب في المعنى أيضا: الطويل،

ألا قل لمن يبغي ظهور سيادة ... تملكها الزهر الكرام بنو الزهرا

لئن نصبوا للفخر أعلام خضرة ... فكم رفعوا للمجد ألوية حمرا

وقال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني الحنفي - تغمدة الله تعالى - في المعنى أيضا: الطويل،

لآل رسول الله جاه ورفعة ... بها رفعت عنا جميع النوائب

وقد أصبحوا مثل الملوك برنكهم ... إذا ما بدوا للناس تحت العصائب

قلت: وبهذه الفعلة يدل على حسن اعتقاد الملك الأشرف المذكور في آل بيت النبوة وتعظيمه لهم، ولقد أحدث شيئا كان الدهر محتاجا إليه، ولا ألهم الله تعالى الملوك ذلك من قبله، ولله در القائل: كم ترك الأول للآخر.

وفي أول سنة أربع وسبعين وسبعمائة استقر الأمير ألجاي اليوسفي أمير سلاح أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن منكلي بغا الشمسي بحكم وفاته - إلى رحمة الله تعالى - وأخلع عليه أيضا بنظر البيمارستان المنصوري، فعند ذلك عظم قدر ألجاي المذكور من كونه زوج أم السلطان وصار أتابك العساكر، وبهذا استطال ألجاي في المملكة، فإنه قبل زواجه بأم السلطان خوند بركة كان من جملة الأمراء المقدمين لا غير انتهى.

ثم أخلع السلطان على الأمير كجك من أرطق شاه باستقراره أمير سلاح برانيا عوضا عن ألجاي اليوسفي المذكور. وأستقر يلبغا الناصري شاد الشراب خاناه عوضا عن كجك. واستقر تلكتمر الجمالي خازندارا عوضا عن يلبغا الناصري.

ثم توجه السلطان إلى سرحة الأهرام بالجيزة، وعاد بعد أيام، وعند عوده إلى قلعة الجبل أخلع على الطواشي سابق الدين مثقال مقدم المماليك السلطانية قباء حرير أزرق صاف بطرز زركش عريض أسوة بالأمراء الخاصكية، وهذا شيء لم يلبسه مقدم قبله. وكان السلطان الملك الأشرف قبل ذلك قد استجد في كل سنة عند طلوعه من هذه السرحة، وهي توجه السلطان إلى ربيع الخيل، أن يلبس الأمراء الخاصكية مقدمي الألوف أقبية حرير بفرو سمور بأطواق سمور بطرز زركش، والطبلخانات والعشرات أقبية حرير بطرز زركش منها ما هو بفرو قاقم ومنها ما هو بفرو سنجاب.

ثم بعد ذلك نزل السلطان في يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة سنة أربع وسبعين، ووالدته معه وهي متمرضة، إلى الروضة تجاه مصر القديمة بمنظرة الأمير طشتمر الدوادار، فأقام فيها يوم الثلاثاء والأربعاء وصحبته جميع الأمراء، وطلع يوم الخميس إلى القلعة. واستمرت أم السلطان متمرضة إلى أن ماتت في ذي الحجة وهي في عصمة ألجاي اليوسفي، وصلى عليها ابنها السلطان الملك الأشرف، ودفنت بمدرستها التي عمرتها بخط التبانة خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير. ووجد عليها ولدها

الملك الأشرف وجدا عظيما، لأنها كانت من خيار نساء عصرها دينا وخيرا وصدقة ومعروفا. ومن الاتفاق العجيب بعد موتها البيتان اللذان عملهما الأديب شهاب الدين السعدي الأعرج وتفاءل بهما على ألجاي اليوسفي وهما: الكامل،

في مستهل العشر من ذي الحجة ... كانت صبيحة موت أم الأشرف

فالله يرحمها ويعظم أجرها ... ويكون في عاشور موت اليوسفي

فكان الأمر على ما ذكر، وهذا من الاتفاق الغريب، وهو أنه لما ماتت خوند بركة المذكورة، واستهلت سنة خمس وسبعين، وقع بين الملك الأشرف وبين زوج أمه ألجاي اليوسفي كلام من أجل التركة المتعلقة بخوند بركة المذكورة، وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس المحرم من السنة المذكورة. وكثر الكلام بين السلطان وبين ألجاي اليوسفي، حتى غضب ألجاي، وخرج عن طاعة الملك الأشرف، ولبس هو ومماليكه آلة الحرب، ولبست مماليك السلطان أيضا. وركب السلطان بمن معه من أمرائه وخاصكيته، وباتوا الليلة لابسين السلاح إلى الصباح. فما كان نهار الأربعاء سابع المحرم كانت الوقعة بين الملك الأشرف شعبان وبين زوج أمه الأتابك ألجاي اليوسفي، فتواقعوا إحدى عشرة مرة، وعظم القتال بينهما حتى كانت الوقعة الحادية عشرة انكسر فيها ألجاي اليوسفي وانهزم إلى بركة الحبش.". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٠٥/٣>

٣٤٥-"ثم قبض الناصري على الطواشي بهادر الشهابي مقدم المماليك كان الذي كان الملك الظاهر عزله من التقدمة ونفاه إلى طرابلس، فحضر مع الناصري من جملة أصحابه، فاتهم أنه أخفى الملك الظاهر برقوقا، فنفي إلى المرقب وختم على حواصله، ونفي معه أسنبغا المجنون.

وفي ثاني عشرة سجن محمود الأستدار وهو مقيد بالزردخاناه.

وفيه ألزم الأمير الكبير يلبغا الناصري حسين بن الكوراني الوالي بطلب الملك الظاهر برقوق، وخشن عليه في الكلام بسببه، فنزل ابن الكوراني من وقته وكرر النداء عليه بالقاهرة ومصر، وهدد من أخفاه بأنواع العذاب والنكال. هذا وقد كثر فساد التركمان أصحاب الناصري بالقاهرة، وأخذوا النساء من الطرقات ومن الحمامات، ولم يتجاسر أحد على منعهم.

وفيه قلع العسكر السلاح من عليهم ومن على خيولهم، وكانوا منذ دخولهم وهم بالسلاح إلى هذا اليوم.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة غمز على الملك الظاهر برقوق من بيت أبي يزيد. وأمره أنه لما نزل بالإسطبل بالليل سار على قدميه حتى وصل إلى بيت أبي يزيد أحد أمراء العشرات واختفى بداره ولم يعرف له خبر، وكثر الفحص عليه من قبل الناصري وغيره وهجم في مدة اختفائه على بيوت كثيرة فلم يقف له أحد على خبر. وتكرر النداء عليه والتهديد على من أخفاه، فخاف الملك الظاهر من أن يدل عليه فيؤخذ غصبا باليد فلا يبقى عليه، فأرسل أعلم الأمير ألطنبغا الجوباني بمكانه، فتوجه إليه الجولاني واجتمع به وأخذه وطلع به إلى الناصري على ما سنذكره.

وقيل غير ذلك، وهو أنه لما نزل الملك من الإسطبل السلطاني ومعه أبو يزيد المذكور لا غير، تبعه نعمان مهتار الطشتخاناه إلى الرميلة، فرده الملك الظاهر، ومضى هو وأبو يزيد حتى قربا من دار أبي يزيد، فتوجه أبو يزيد قبله، وأخلى له دارا، ثم عاد إليه وأخفاه فيها.

ثم أخذ الناصري يتتبع أثر الملك الظاهر برقوق حتى سأل المهتار نعمان عنه، فأخبره أنه نزل ومعه أبو يزيد، وأنه لما تبعه رده

الملك الظاهر فعند ذلك أمر الناصري حسين بن الكوراني بإحضار أبي يزيد المذكور، فشدد في طلبه، وهجم بيوتا كثيرة، فلم يقف له على خبر، فقبض على جماعة من أصحاب أبي يزيد وغلمانه وقررهم فلم يجد عندهم علما به ومازال يفحص على ذلك حتى دله بعض الناس على مملوك أبي يزيد، فقبض عليه وقبض ابن الكوراني على امرأة المملوك وعاقبها فدلته على موضع أبي يزيد وعلى الملك الظاهر، وأنهما في بيت رجل خياط بجوار بيت أبي يزيد فمضى ابن الكوراني إلى البيت، وبعث إلى الناصري يعلمه، فأرسل إليه الأمراء.

وقيل غير ذلك، وجه آخر، وهو أن السلطان الملك الظاهر لما نزل من الإسطبل كان ذلك وقت نصف الليل من ليلة الاثنين المقدم ذكرها، فسار إلى بحر النيل، وعدى إلى بر الجيزة ونزل عند الأهرام، وأقام هناك ثلاثة أيام ثم عاد إلى بيت أبي يزيد المذكور، فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة فحضر مملوك أبي يزيد إلى الناصري وأعلمه أن الملك الظاهر في بيت أستاذه، فأحضر الناصري في الحال أبا يزيد، وسأله عن الملك الظاهر فاعترف أنه عنده فأخذه ألطنبغا الجوباني وسار به إلى البيت الذي فيه الملك الظاهر برقوق، فأوقف أبو يزيد الجوباني بمن معه، وطلع هو وحده إلى الملك الظاهر وحدثه الخبر ثم أذن أبو يزيد للجوباني، فطلع، فلما رآه الملك الظاهر برقوق قام له وهم بتقبيل يديه، فاستعاذ بالله الجوباني من ذلك، وقال له: يا خوند، أنت أستاذنا ونحن مماليكك، وأخذ يسكن روعه، حتى سكن ما به.

ثم ألبسه عمامة وطيلسانا وأنزله من الدار المذكورة، وأركبه، وأخذه. وسار من صليبة ابن طولون نهارا، وشق به بين الملأ من الناس إلى أن طلع به إلى الإسطبل السلطاني بباب السلسلة حيث هو سكن الأمير الكبير يلبغا الناصري، فأجلس بقاعة الفضة من القلعة. وألزم أبو يزيد بمال الملك الظاهر الذي كان معه، فأحضر كيسا وفيه ألف دينار، فأنعم به الناصري عليه، وأخلع عليه ورتب الناصري في خدمة الملك الظاهر مملوكين وغلامه المهتار نعمان، وقيد بقيد ثقيل، وأجرى عليه من سماطه طعاما بكرة وعشيا ثم خلع الناصري على الأمير حسام الدين حسن الكجكني باستقراره في نيابة الكرك عوضا عن مأمور القلمطاوي.

ورسم بعزل مأمور، وقدومه إلى مصر أمير مائة ومقدم ألف بها.". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٩٦/٣>

٣٤٦-"وفيه قتل الأمير سيف الدين قرقماس بن عبد الله الشعباني الناصري المعروف بأهرام ضاغ، بثغر الإسكندرية، حسبما يأتي ذكره. كان أصله من كتابية الملك الظاهر برقوق، فيما أظن، ثم أخذه الملك الناصر فرج وأعتقه، وجعله خاصكيا. ثم صار دوادارا في الدولة المؤيدية شيخ، من جملة الأجناد، إلى أن أمره الأمير ططر عشرة؛ ثم صار أمير طبلخاناه ودوادارا ثانيا في أوائل الدولة الأشرفية، وأجلس النقباء على بابه، وحكم بين الناس - ولم يكن ذلك بعادة: أن يحكم الدوادار الثاني بين الناس - ثم أنعم عليه الملك الأشرف برسباي بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية في سنة ست وعشرين، وتولى الدوادارية الثانية بعده جانبك الخازندار الأشرفي. ثم وجهه الأشرف برسباي إلى مكة المشرفة شريكا لأميرها الشريف عنان بن مغامس بن رميثة الحسني، فأقام بمكة مدة، ثم عاد إلى القاهرة، بعد أن أعيد الشريف حسن بن عجلان إلى إمرة مكة؛ ومات حسن، وتولى ابنه الشريف بركات.

وقدم قرقماس المذكور إلى مصر، على إمرته، أمير مائة ومقدم ألف. ودام على ذلك سنين، إلى أن استقر حاجب الحجاب

بالديار المصرية، بعد الأمير جرباش الكريمي قاشق، بحكم انتقال جرباش إلى إمرة مجلس؛ فباشر الحجوبية بحرمة زائدة وعظمة وبطش في الناس بحيث هابه كل أحد وصار يخلط في حكوماته ما بين ظلم وعدل، ولين وجبروت، إلى أن استقر في نيابة حلب بعد الأمير قصروه من تمراز الظاهري برقوق، بحكم انتقاله إلى نيابة دمشق بعد موت الأمير جارقطلو، في حدود سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، فباشر نيابة حلب مدة تزيد على السنة، وعزل عنها، بعد أن أبدع في المفسدين بها، وأشيع الخبر عنه بالخروج عن الطاعة.

وقدم إلى القاهرة على النجب، بطلب من السلطان، وخلع عليه باستقراره أمير سلاح، بعد الأمير جقمق العلائي صاحب الترجمة، بحكم انتقال جقمق للأتابكية، عوضا عن إينال الجكمي، بحكم استقرار الجكمي في نيابة حلب عوضا عن قرقماس المذكور، فاستمر أمير سلاح مدة. وتجرد إلى البلاد الشامية مقدم العساكر، ومعه سبعة أمراء من مقدمي الألوف، في سنة إحدى وأربعين، وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك الأشرف وغيره من هذا الكتاب؛ وإنما نذكره هنا ثانيا لينتظم سياق الكلام مع سياقه.

ومات الملك الأشرف في غيبته، ثم قدم القاهرة مع رفقته، وقد ترشح الأتابك جقمق للسلطنة، وسكن باب السلسلة من الإسطبل السلطاني، وكان حريصا على حب الرئاسة. فلما رأى أمر جقمق قد استفحل كاد يهلك في الباطن، وما أمكنه إلا الموافقة، وقام معه حتى تسلطن، ثم وثب عليه حسبما تقدم ذكره، بعد أربعة عشر يوما من سلطنة الملك الظاهر جقمق، وقاتله، وانكسر بعد أمور حكيناها في أصل هذه الترجمة، وهرب ثم ظهر وأمسك وحبس بسجن الإسكندرية، إلى أن ضربت رقبته بالشرع في ثغر الإسكندرية، في يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة.

وكان قرقماس أميرا ضخما شجاعا مقداما عارفا بفنون الفروسية، وعنده مشاركة بحسب الحال؛ إلا أنه كان فيه ظلم وعسف وجبروت. وكان مع شجاعته وإقدامه لا ينتج أمره في الحروب، لعدم موافقة رجليه ليديه؛ فإنه كان إذا دخل الحرب، يبطل عمل رجليه في تمشية الفرس، لشغله بيديه، وهو عيب كبير في الفارس؛ وشهر ذلك عن جماعة من الأقدمين من فرسان الملوك، مثل الأتابك إينال اليوسفي، ويونس بلطا نائب طرابلس وغيرهما - انتهى.

ومعنى " أهرام ضاغ " أي جبل الأهرام؛ سمي بذلك قديما لتكبره وتعاظمه.

وتوفي القاضي علم الدين أحمد بن تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن كمال الدين محمد بن قاضي القضاة علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدر الإخنائي المالكي، أحد فقهاء المالكية، ونواب الحكم بالقاهرة، في يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان، وكان مشكور السيرة عفيفا عما يرمي به قضاة السوء. وتوفي قاضي قضاة دمشق المالكية محيي الدين يحيى بن حسن بن محمد الحيحاني المغربي في يوم الأربعاء حادي عشر ذي القعدة، وكان دينا عفيفا حسن السيرة في أحكامه.

وتوفي السيد الشريف أحمد بن حسن بن عجلان، المكي الحسني، بعدما فارق أخاه الشريف بركات بن حسن، وسار إلى اليمن، فمات بزبيد.". <النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٤/٣١٩>

٣٤٧-"وتوجه إلى حلب ثم إلى طرابلس وأقام بها مدة و...ثم عاد إلى دمشق وأقام بها مدة،ثم توجه إلى مصر وحضر بين يدي السلطان الملك الناصر على الأهرام وولاه تدريس المدرسة الأمينية بدمشق وحضر إليها على البريد.

وهو مجموع متناسب الحسن أخلاقه حسنة وشكالته تامة مليحة ووجاهته رائعة المنظر.

جمع كتاب الأحكام وجوده في ست مجلدات وتناولته منه وأجازني رواية ما له تسميعه بديوان الإنشاء بدمشق في المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة،وتلا بالسبع على الكفري وسمع بمصر والإسكندرية وحلب وأم بدار الحديث ثم بمسجد الكنيسة ودرس بالقوصية.

الشيخ محمد الغزي محمد بن علي بن محمد شمس الدين أبو عبد الله المصري مولدا الغزي منشأ.

سألته عن مولده فقال:في سنة خمس وثمانين وست مائة،اقام بغزة مدة وبدمشق مدة وبمصر وبصفد وحماة وحلب وخالط الناس وعاشر،فيه خفة روح وكيس وظرف وينظم الشعر الجيد ويكتب الخط المنسوب ويعرف النجامة والأسطرلاب والرمل.

أنشدني غير مرة بدمشق وصفد وبالقاهرة وحماة جملة كثيرة من شعره،ونادم الملك الأفضل صاحب حماة فيما أظن وقربه وأدناه وحنا عليه ورتب له الدراهم والخبز واللحم.

ومن شعره نقلته من خطه وأنشدنيه من لفظه:

بأبي غزال غزل هدب جفونه ... يكسو الضنى صبا أذيب بصده

يروي حديث السقم جسم محبه ... عن جفنه عن خصره عن عهده

وأنشدني ما نقلته من خطه له:

ما رأى الناس قبل قامة حبي ... وعذاريه حول محمر خد

غصنا أنبت البنفسج والآ ... س سياجا على حديقة ورد

وأنشدني له من لفظه ونقلته من خطه:

ونيل كم أنال منى وأمنا ... وكم أهدى إلى سر مسره

تخال مراكبا تختال فيه ... نجوما سائرات في مجره

وأنشدني من لفظه ومن خطه نقلت مواليا:

عاينت من ذنب هجرو بالوفا مغفور ... في النهر يسبح وحظو بالبها موفور

شبهت من فوق جسمو شعرو المضفور ... ألف من المسك في صفحه من الكافور

وأنشدني من لفظه ومن خطه نقلت:

باكر إلى رشف خمره تنعش المحرور ... مع من تحب وقلبك منشرح مسرور

أما ترى الليل شمر ذيلو المجرور ... والورد بالطل فتح جيبو المزرور

وأنشدني أيضا ومن خطه نقلت:

حبي الذي خالقو بالحسن قد مدوا ... حتى سما وتجاوز في الصفه حدو

رمان نهدو عقد في غصن من قدو ... وما انطفا جلنارو الغض في خدو

وأنشدني أيضا ومن خطه نقلت:

وهيفاء وطفاء فتانة ... يلذ التهتك والوجد فيها

إذا سكر الناس من خمرة ... فسكري ما زال من خمر فيها

وأنشدني أيضا ومن خطه نقلت:

انظر إلى تخييل أخياطها ... في كاسها يا أحسن الناس

لو لم تكن شمسا لما أظهرت ... أشعة في أفق الكاس

وأنشدني أيضا ومن خطه نقلت:

أتشكى مع البعاد إليكم ... برقيق العتاب فرط اشتياقي

فكأني الورقاء من فرقة الإلف تلهث بالسجع في الأوراق

شمس الدين السروجي محمد بن علي بن ايبك السروجي الشيخ الإمام شمس الدين.

سألته عن مولده فقال:في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مائة بالديار المصرية:عرض القرآن وهو ابن تسع سنين وارتحل إلى دمشق وحلب وغيرها من بلاد الشام مرات،وأخذ عن الشيخ فتح الدين والشيخ أثير الدين ومن عاصره من أشياخ العلم وصار من الحفاظ،أتقن المتون وأسماء الرجال وطبقات الناس والوقائع والحوادث وضبط الوفيات والمواليد ومال إلى الأدب وحفظ من الشعر القديم والمحدث جملة وكتب الأجزاء والطباق وحصل ما يرويه عن أهل عصره في البلاد التي ارتحل إليها،ولم أر بعد الشيخ فتح الدين رحمه الله تعالى من يقرأ أسرع منه ولا أفصح.

وسألته عن أشياء من تراجم الناس ووفياتهم وأعصارهم وتصانيفهم فوجدته حفظة مستحضرا لا يغيب عنه ما حصله،وهذا الذي رأيته منه في هذه السن القريبة كثير على من علت سنه من كبار العلماء ومع ذلك فله ذوق الأدباء وفهم الشعراء وخفة روح الظرفاء.

توفي رحمه الله تعالى بحلب ليلة ثامن من شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وسبع مائة ودفن ثاني يوم بكرة الجمعة.". <الوافي بالوفيات ٢/٢٩>

٣٤٨-"إخاء تعالى أن يكون أخوة ... وقربى وداد لا تقاس إلى قربى

ومن شعر المنازي:

غزال قده قد رطيب ... تليق به المدائح والنسيب

جهدت فما أصبت رضاه يوما ... وقالوا: كل مجتهد يصيب

ومنه:

ومبتسم بثغر كالأقاحي ... وقد لبس الدجى فوق الصباح

له وجه يدل به وعين ... يمرضها فيكسر كل صاح

وتثني عطفه خطرات دل ... إذا لم تثنه نشوات راح

يميل مع الوشاة وأي غصن ... رطيب لا يميل مع الرياح

شرف الدين التيفاشي

أحمد بن يوسف بن أحمد، هو الشيخ شرف الدين التيفاشي - بالتاء ثالثة الحروف وبعدها ياء آخر الحروف وفاء وبعدها ألف وشين معجمة قبل ياء النسبة - القيسي. له كتاب كبير إلى الغاية وهو في أربع وعشرين مجلدة جمعه في علم الأدب وسماه فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب، ورتبه وجمع فيه من كل شيء وتعب عليه إلى الغاية. ولم أقف عليه لكن رأيت الذي اختصره منه الفاضل جلال الدين محمد بن المكرم وسماه سرور النفس بمدارك الحواس الخمس وهو كتاب جيد وجمع جيد يدل على فضل جامعه. قال ابن سعيد في المشرق في أخبار أهل المشرق هو مقر بأنه استعان في هذا الكتاب المذكور بالخزائن الصاحبية.

قلت: هو الصاحب محيي الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى الجزري، لأنه عند وروده من الغرب وما اتفق عليه في البحر من سلب ماله وكتبه أتى إلى الصاحب فآواه وأقام عنده مدة.

وللتيفاشي مجلد جيد في معرفة الجواهر. وتوفي شرف الدين التيفاشي بالقاهرة سنة إحدى وخمسين وستمائة.

ومن شعره:

ويوم سرقناه من الدهر خلسة ... بل الدهر أهداه لنا متفضلا

أشبهه بين الظلامين غرة ... لحسناء لاحت بين فرعين أرسلا

ومنه:

نبه نديمك إن الديك قد صخبا ... والليل قوض من تخييمه الطنبا

والفجر في كبد الليل السقيم حكى ... سر المتيم عن إخفائه غلبا

كأنه بظلام الليل ممتزجا ... سمراء تفتر أبدت مبسما شنبا

كأنما الفجر زند قادح شررا ... في فحمة الليل لاقى الفحم والتهبا

كأن أول فجر فارس حملت ... راياته البيض في إثر الدجى فكبا

كأن ثاني فجر غرة وضحت ... تسيل في وجه طرف أدهم وثبا

ومنه في الزلزلة:

أما ترى الأرض في زلزالها عجبا ... تدعو إلى طاعة الرحمن كل تقي

أضحت كوالدة خرقاء مرضعة ... أولادها در ثدي حافل غدق

قد مهدتهم مهادا غير مضطرب ... وأفرشتهم فراشا غير ما قلق

حتى إذا أبصرت بعض الذي كرهت ... مما يشق من الأولاد في خلق

هزت بهم مهدها شيئا تنهنههم ... ثم استشاطت وآل الطبع للخرق

فصكت المهد غضبي فهي لافظة ... بعضا على بعضهم من شدة النزق

ومنه في النار:

كأنما نارنا وقد خمدت ... وجمرها بالرماد مستور

دم جرى من فواخت ذبحت ... من فوقه ريشهن منثور

ومنه في الأهرام:

قد كان للماضين من ... أرباب مصر همم

فالفضل عنهم فضلة ... والعلم فيهم علم

إن انقضت أعلامهم ... وعلمهم وانصرموا

فاليوم مصر عدم ... إن كان يرجى العدم

وانظر تراها ظاهرا ... باد عليها الهرم

قلت: شعر متوسط، والمقطوع الذي في النار جيد إلى الغاية. وكان سمعه قد صم فاتفق أن اجتمع يوما بسيف الدين المشد وتوهم أنه سمع منه كلاما لا يليق به، فعاتبه فقال المشد أبياتا يعرض بذكر كتابيه المسالك وفصل الخطاب:

أيها العالم الذي زين العص ... ر بما حازه من الآداب

والذي أعجز الأفاضل كالجا ... حظ فبما أتى به والصابي

أنت تدري بأن سمعك، والل ... ه المعافي، في غاية الإضطراب". <الوافي بالوفيات ٣/١٢٥>

٣٥١-" وفيها استقر القاضي برهان الدين بن جماعة في قضاء الشافعية عوضا عن أبي البقاء السبكي

وكان ابتداء ذلك أن القاضي برهان الدين الأخناي بحث مع أبي البقاء فقال له أبو البقاء : لو كان مالك حيا لناظرته في هذه المسألة أو نحو ذلك فزبره البرهان وقال : لو غيرك قالها لأوقعت فيه الفعل وتفارقا . فاتفق أن السلطان عزل أبا البقاء عقب ذلك عزلا فاحشا فاستقر في الأذهان أن ذلك ببركة الإمام مالك وكانت صورة عزله أنه حضر دار العدل على العادة في ذلك الوقت فجاء شخص إلى أبي البقاء فأسر إليه كلاما ثم التفت إلى رفقته من القضاة فقال لهم : إن السلطان عزله وأمره بلزوم بيته ففعل ذلك واستمر المنصب شاغرا إلى أن وصل الخطيب برهان الدين بن جماعة في خامس جمادى الآخرة وكان برهان الدين حين عزل أبو البقاء بدمشق زائرا لأهله من ربيع الأول ورجع بعد خمسين يوما بعد أن فوض له النائب نظر القدس والخليل فخالفه البريدي في الطريق فأمره النائب بلحاقه إلى القدس فلحقه فخطب في السادس عشر من جمادى الآخرة خطبة بليغة تعرض فيها لتوديعهم فأبكاهم وتوجه على البريد فلما اجتمع بالسلطان عرض عليه المنصب فاشترط شروطا كثيرة فالتزم له السلطان بها ولبس الخلعة وركب مع الحجاب والقضاة على العادة ومشى معه الجاي اليوسفي والامير الكبير إلى باب القلعة وركب في حشمة عظيمة وأبهة زائدة فراح الناس إلى تهنئته حتى القاضي المعزول فرحا منه به لعلمه برياسته وحسن سياسته . وقرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيري وأجازنيه : كان منكلي بغا نائب السلطنة يعظم القاضي بهاء الدين السبكي . ولما عزل كان في الصيد فلما بلغه لم يسهل به فلما عاد من الصيد اجتمع به بهاء الدين

فأشار إليه أن يستقر قاضي الشام فامتنع فغضب منه وكان منكلي بغا يبغض المعزى لما يعتمده من تناول الرشوة فكان يحب عزله فلما لم يوافقه بهاء الدين غضب منه فعزله من تدريس الفقه بالمنصورية وعزل ابنه بدر الدين من تدريس الحديث بالقبة وكان استقر فيه بعد موفق الدين وقرر في الفقه شمس الدين التبريزي في الحديث ابن مرزوق التلمساني فلما مات واستقر الجاي ناظر المارستان أعادهما إلى الوظيفتين وكان منكلي بغا يقوم في حق القاضي بهاء الدين القيام التام حتى أنه لما عزل طلب أمين الحكم وألزم بعمل المحاسبة وكشف المودع وندب بدر الدين بن الخشاب للتنقيب على تصرف بهاء الدين فحضر منكلي بغا يوم الموعد إلى المدرسة الصالحية وكشف المودع بحضرته فلم يظهر على بهاء الدين شيء

وفيها في أواخر شهر رجب قرر القاضي بهاء الدين أبو البقاء في قضاء الشام عوضا عن كمال الدين المعزى فبلغه ذلك فسافر إلى الحج ثم استعفى أبو البقاء فأعفى وأرسلت إلى المعزى خلعة الاستمرار فبلغه ذلك بعد أن وصل إلى بصرى وأن البريدي واصل إليه بخلعة الاستمرار فترك الحج ولاقى البريدي ولبس الخلعة واستمر في قضاء دمشق

وفيها أراد السراج الهندي قاضي الحنفية أن يساوي قاضي الشافعية في لبس الطرحة وتولية القضاة في البلاد وتقرير مودع الأيتام فأجيب إلى ذلك فاتفق أنه توعك عقب ذلك وطال مرضه إلى أن مات في رجب ولم يتم له الذي أراده واستقر عوضه صدر الدين بن التركماني

وفيها استجد الملك الأشرف عند طلوعه من سرحة الأهرام أن يلبس الأمراء الكبار أقبية حرير بسمور وأطرزة مزركشة عراض ومن دونهم بأقبية حرير بقاقم ومن دونهم بسنجاب والجميع بأطرزة متفاوتة وألحق مقدم المماليك وهو يومئذ سابق الدين مثقال بكبار الخاصكية في ذلك وهو أول من وقع له ذلك من مقدمي المماليك . وفيها كملت عمارة حمام منجك ببصرى ومدرسة زين الدين الأسعردي بدمشق . وفيها أحدثت خطبة بخان السلطان العتيق بدمشق . وفيها تنازع عماد الدين الحسباني وشهاب الدين الزهري فقهاء الشام في تدريس الجاروخية وكان زين الدين الجعفري قد نزل عنها للعماد فباشرها ثم انتزعها منه الزهري ثم استعادها العماد واستقرت معه ". <انباء الغمر ص/٣>

٣٥٢-" وفي رابع عشري شهر ربيع الآخر هبت ريح برقة تحمل ترابا أصفر إلى الحمرة وذلك قبل غروب الشمس فاحمر الأفق جدا بحيث صار من لا يدري السبب يظن أن بجواره حريقا وصارت البيوت كلها ملأى ترابا ناعما جدا يدخل في الأنوف وفي جميع الأمتعة ثم لما تكاملت غيبوبة الشفق أسود الأفق وعصفت الريح وكانت مقلقة فلو قدر أنها كانت تصل إلى الأرض لكان أمرا مهولا وكثر ضجيج الناس في الأسواق والبيوت بالذكر والدعاء والاستغفار إلى أن لطف الله تعالى بادرار المطر فتحولت الريح جنوبية باردة ولم تهب هذه الريح منذ ثلاثين سنة وهي ريح هائلة عاصفة سوداء مظلمة فانتشرت حتى غطت الأهرام والجيزة والبحرواشتدت حتى ظن كل أحد أنها تقتلع الأبيات والأماكن فدامت تلك الليلة ويوم الأربعاء إلى العصر وكانت سببا في هيف الزرع بالوجه القبلي وغلاء سعر القمح

وفي ربيع الآخر قدم أخو رميثة بن محمد بن عجلان يخطبان إمرة مكة عوضا عن عمهما حسن بن عجلان ظنا منهما طرد القياس في عقيل ومقبل فانعكس عليهما الأمر فقبض عليهما وحبسا وقرر قرقماش الشعباني وعلى بن عنان في إمرة مكة وسافرا معا . وفيه وصل تاني بك البجاسي نائب حلب فسلم على السلطان وهرع الناس للسلام عليه ثم خلع

عليه وأعيد إلى إمرته وتوجه ثالث جمادى الأولى . وفيه وقع بين نائب دمشق وقاضيها الشافعي نجم الدين ابن حجي تشاجر وادعى أن القاضي أشار عزل نفسه وتولد من ذلك شر كبير سيأتي ذكره وورد الخبر بأن الجراد وقع بالمدينة فأفسد الزرع بها وجرد الخوص من النخل وقاسوا منه شدة عظيمة

وفي أوائل ما نقلت الشمس إلى الثور بعد أن اشتد الحر جدا عاد البرد الشديد حتى كان نظير الذي كان والشمس في برج القوس وهذا من العجائب وبعد يومين أمطرت السماء مطرا غزيرا في معظم الليل واستمر البرد قدر أسبوع

وفي اليوم الثامن عشر من حلول الشمس الثور أمطرت السماء مطرا شديدا غزيزا واستمر إلى أن أكثر الوحل في الطرقات كأعظم ما يكون في الشتاء مع الرعد الكثير والبرق وقد تلف بذلك ما في المقائي من الزروع والنبات شيء كثير وغلا السعر بسبب ذلك ويقال إنها أمطرت بمدينة المحلة من البرد الكبار ما يتعجب منه وهبت ريح شديدة بمدينة أنبابة فهدمت بسببها بيوت كثيرة وقلعت أصول نخل وشجر

وفيه كائنة سرور المغربي المالكي كان قدم من تونس إلى الإسكندرية وصار يذكر الناس ويقع في حق بعض الرؤساء فتعصبوا عليه ومنعه نائب الحكم من الكلام فدخل القاهرة فسعى في عزل القاضي فتعصب كاتب السر للقاضي فخرج سرور إلى الحج ثم عاد فرفع إلى السلطان أنه رأى النبي صلى الله عليه و سلم في المنام وبين يديه خمسة أنفس مسلسلين رأسهم كاتب السر ابن الكويز وأنه مد يده إلى عيني ابن الكويز ففقاهما وقال له : أفسدت شريعتي !

وسعى في عزل الناظر والقاضي فأمر بإحضارهما فأما الناظر فذب عنه صهره ناظر الخاص وأما القاضي فحضر وصودر على مال وكتب سرور لبعض أصحابه بالإسكندرية كتابا يخبر فيه أن النائب والناظر والقاضي عزلوا بسبب كلامه فيهم فبلغ ذلك النائب فكاتب السلطان في أمره وحط عليه فتعصب له بعض الأكابر فأمر السلطان بنفي سرور من الإسكندرية فوكل به بالقاهرة وأخرج مهانا إلى الإسكندرية ثم أنزل في مركب إلى الغرب فتوجه إليها فوصل إلى صاحب تونس وأخذ منه كتابا بالشفاعة فيه فلما وصل إلى الإسكندرية قبض عليه النائب وسجنه وألزمه بالعود إلى الغرب فاتفق أن الذي كان أرسل إلى الإسكندرية يحفظها من الفرنج كما سأذكره بعد لما حصل الأمن من الفرنج قرر نائبها وهو آقبغا التمرازي وصرف النائب الذي كان بها وهو أسندمر النوري وخلص سرور من الشدة بذلك وافرج عنه وأرسل النائب الكتاب الذي استصحبه إلى السلطان فسكن الأمر خصوصا بعد موت ابن الكويز ". <انباء الغمر ص/٥١٤>

٣٥٣-"قال أبو الحسين بن المنادي: وحدثنا علي بن داود قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثني الليث بن سعد قال: حدثني أبو قبيل المعافري عن عبد الله بن عمرو أنه قال فيما كان يسأل عنه من الملاحم: إن رجلا من أعداء المسلمين بالأندلس يقال له ذو العرف يجمع من قبائل الشرك جمعا عظيما، فيعرف من بالأندلس أنه لا طاقة لهم به فيهرب أهل القوة من المسلمين في السير فيجوزون إلى طنجة، ويبقى ضعفة المسلمين وجماعتهم ليس لهم سفن يجوزون فيها، فيبعث اللهم لهم وعلا يبين لهم الأرض في البحر فيجوزون فلا يبطن الماء أظلافه فيفطن له الناس، فيقول بعضهم لبعض اتبعوا الوعلة، فيجوز الناس كلهم على أثره، ثم يرجع البحر قلا على ما كان عليه قبل ذلك، ثم يجوز العدو في المراكب، فإذا أحسسهم أهل إفريقية هربوا كلهم من إفريقية ومعهم من كان بالأندلس من المسلمين حتى يقتحون الفسطاط هربا من ذلك

العدو حتى ينزلوا فيما بين ترنوط إلى الأهرام مسيرة خمسة برد، فيصلون هنالك تترى، فتخرج إليهم راية المسلمين على الجسر فينصرهم الله عليهم فيهزمونهم ويقتلونهم إلى نوبية مسيرة عشر ليال من النيل، فيوقد أهل الفسطاط بعجلهم وأداتهم سبع سنين وينقلب ذو العرف من أهل القتل ومعه كتاب قد كتب له وأمر أن لا ينظر فيه حتى يقدم مصر، فينظر فيه وهو منهزم، فيجد فيه ذكر الإسلام، وأنه يؤمر بالدخول فيه إذا قرأ ذلك الكتاب، فيسأل الأمان على نفسه وعلى من أجابه إلى الإسلام الذين انفلتوا معه من القتل، فيسلم ويصير مع المسلمين ثم يأتي في العام الثاني رجل من الحبشة يقال له اسيس وقد جمع جمعا، فيهرب المسلمون من أسوان حتى لا يبقى فيها ولا فيما دونها أحد من المسلمين إلا دخل الفسطاط فينزل اسيس بجيشه مدفا على رأس بريد من الفسطاط، فتخرج إليهم راية من المسلمين على الجسر فينصرهم الله عليهم، فيقتلونهم ويأسرونهم حتى يباع الأسود بعباءة.

قال الليث بن سعد: قال أبو قبيل: فالفارس يومئذ خير من كذا وكذا راجلا، يغير على فرسه فيصيب لأهله الشاة والطعم يغيثهم به.

قال الليث بن سعد: فقلنا لأبي قبيل: قدر ماذا؟ فقال: قدر ما يأتيهم أعراب على قعدانهم مدادا لهم يخرج الراكب يومئذ من عدن أبين فلا يجد لراحلته كلأ حتى يرد الشام فإذا اجتمع المسلمون بالشام ساروا إلى الروم، فالتقوا بالأعماق من أرض قنسرين فاقتتلوا، وأنزل الله على الفريقين الصبر ورفع عنهم النصر، قال أبو قبيل: فيقتل ثلث المسلمين، فهم من خيار شهداء المسلمين، ويهرب ثلث فيخسف بهم ويبقى ثلث.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بدمشق قال: أخبرنا الحافظ أبو القاسم بن الحسن قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم الحنائي قال الحافظ: وحدثنا أبو البركات الخضر بن شبل بن عبد الواحد الحارثي الفقيه عنه قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقريء قال: حدثنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر المري قال: أخبرنا أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السلمي قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عمير بن يوسف بن جوصاء قال: حدثنا أبو عامر موسى بن عامر بن عمارة بن حريم المقريء قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثني سعيد بن عبد العزيز أن من أدرك من علمائنا كانوا يقولون: يخرجون أهل مصر من مصرهم إلى ما يلي المدينة، ويخرج أهل فلسطين والأردن إلى مشارق البلقاء وإلى دمشق ويخرج أهل الجزيرة وقنسرين وحمص إلى دمشق وذلك ما كان حدثنا به سعيد عن مكحول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بالغوطة مدينة يقال لها دمشق.". <بغية الطلب في تاريخ حلب ١/١٤٠>

٣٦١-"أظهر له العداوة والحسد وبلغ غاية جهده في اضمحلال هذا الرجل وبذل أموالا كثيرة لمن يقتله أو يسمه فلم يقدر له ذلك ومن عداوته له أنه عزم جهان كير أعظم سلاطين الهند لمقاتلته وعهد إليه أن يبذل له في كل مرحلة مائة ألف هن والهن بضم الهاء نحو دينار ذهبا فأرسل جهان كير بعساكر وخيل وأفيال ضاق عنها الفضاء وجرى على مراد الله القدر وأقبل عادل شاه بعساكر من الجانب الثاني وأيقن كل من عند الملك عنبر بالهلاك فجمع من عنده من السادة الأشراف والعرب وطلب منهم أن يجتمعوا للدعاء كل يوم وبذل الخزائن للعساكر وأقل بعساكره على القتال ثابتين ثبات الجبال وحمل بمن معه فقتلوا خلائق لا يحصون وأسروا من وزراء جهان كير وعادل شاه أربعين أو يزيدون ورجع الملك عنبر ظافرا منصورا ثم بعد ذلك جرد الحمام سيفه عليه ومزق جلباب ملكه وتوفي في سنة خمس وثلاثين وألف وأكثر الناس والضعفاء والفقراء والأرامل والأيتام من البكاء حول جنازته ويقال أنه لم يعهد عند أهل الهند مثل ذلك اليوم ودفن بالروضة وهي موضع بالقرب من دولة آباد وعمل على قبره قبة عظيمة وللناس فيه اعتقاد عظيم وتحترمه الملوك والسلاطين ومن استجار بقبره لا يقدر أحد أن يناله بمكروه ورثاه الشعراء والفضلاء بأحسن المراثي وعمل الأدباء لعام وفاته تواريخ نظما ونثرا ومن أحسنها نثرا قول بعضهم الجنة مثواه وكان موته بالسم وبعد موت الملك عنبر فوض السلطان برهان نظام شاه تدبير مملكته إلى عبد العزيز فتح خان أكبر أولاد الملك عنبر وجعله أمير الأمراء وكان شجاعا مقداما كبيرا سخيا لكنه قليل التدبير مبذر لا يصغي لقول مشير وارتكب الأمر الفظيع فكان حجاج زمانه ووقع بسببه فتن ثم تضعضع الزمان وآل ذلك إلى حصاد العلم والدين إلى أن رماهالدهر عن قوس وزارته ثم خربت تلك الديار وذهبت بهجتها وخلقت ديباجتها قال الشلي قلت وقد تكرر ذكر الدكن في هذه الترجمة وقد يتشوف إلى الوقوف على معرفته من لا له معرفة بحقيقته وتفاصيل أمره تحتاج إلى تأليف كبير ولا يحتمل هذا المحل إلا اليسير فلنذكره بطريق الإجمال لضيق المجال ومجمل ذلك أنه إقليم عظيم من أقاليم الهند التي هي أم الدنيا كثير الحصون والقلاع حسن الهواء كثير الأمطار والأنهار والبساتين أعدل الأقطار وفيه حصون وقلاع في غاية الاستحكام والإتقان وكل قصر شامخ له شرف في السماء باذخ تحاكي الأهرام في إحكام البنيان عالية البناء تسامي السماء وهي الروضة المورقة والغيضة المونقة وقلاعها مشحونة بآلات الحرب ولامدافع الكبار مملوءة بالمكاحل الكثيرة حصينة الحصار وأهل حرفة أحذق الفطناء وأفطن الحذاق فما من صنعة إلا ومن مشربهم مطلعها وما من حكمة إلا وعندهم شرفها وإليهم منزعها وما من حرفة توجد إلا وجدتها فيهم وما من عمل يعرف إلا اجتني من مغانيهم ومن أحسن بلاد الهند بلدة بيجافور وفيها وقف على عادل للسادة والعرب أوقف عليها أراض تصرف غلقها للسادة والعرب وفي هذه البلدة وهي محل السلطنة مكان عظيم الشان محكم البنيان تحته بركة كبيرة كأنما عناها الشاعر بقولهظهر له العداوة والحسد وبلغ غاية جهده في اضمحلال هذا الرجل وبذل أموالا كثيرة لمن يقتله أو يسمه فلم يقدر له ذلك ومن عداوته له أنه عزم جهان كير أعظم سلاطين الهند لمقاتلته وعهد إليه أن يبذل له في كل مرحلة مائة ألف هن والهن بضم الهاء نحو دينار ذهبا فأرسل جهان كير بعساكر وخيل وأفيال ضاق عنها الفضاء وجرى على مراد الله القدر وأقبل عادل شاه بعساكر من الجانب الثاني وأيقن كل من عند الملك عنبر بالهلاك فجمع من عنده من السادة الأشراف والعرب وطلب منهم أن يجتمعوا للدعاء كل يوم وبذل الخزائن للعساكر وأقل بعساكره على القتال ثابتين ثبات الجبال وحمل بمن معه فقتلوا خلائق لا يحصون وأسروا من وزراء جهان كير وعادل شاه أربعين أو يزيدون ورجع الملك عنبر ظافرا منصورا ثم بعد ذلك

جرد الحسام سيفه عليه ومزق جلباب ملكه وتوفي في سنة خمس وثلاثين وألف وأكثر الناس والضعفاء والفقراء والأرامل والأيتام من البكاء حول جنازته ويقال أنه لم يعهد عند أهل الهند مثل ذلك اليوم ودفن بالروضة وهي موضع بالقرب من دولة آباد وعمل على قبره قبة عظيمة وللناس فيه اعتقاد عظيم وتحترمه الملوك والسلاطين ومن استجار بقبره لا يقدر أحد أن يناله بمكروه ورثاه الشعراء والفضلاء بأحسن المراثي وعمل الأدباء لعام وفاته تواريخ نظما ونثرا ومن أحسنها نثرا قول بعضهم الجنة مثواه وكان موته بالسم وبعد موت الملك عنبر فوض السلطان برهان نظام شاه تدبير مملكته إلى عبد العزيز فتح خان أكبر أولاد الملك عنبر وجعله أمير الأمراء وكان شجاعا مقداما كبيرا سخيا لكنه قليل التدبير مبذر لا يصغي لقول مشير وارتكب الأمر الفظيع فكان حجاج زمانه ووقع بسببه فتن ثم تضعضع الزمان وآل ذلك إلى حصاد العلم والدين إلى أن رماهالدهر عن قوس وزارته ثم خربت تلك الديار وذهبت بهجتها وخلقت ديباجتها قال الشلي قلت وقد تكرر ذكر الدكن في هذه الترجمة وقد يتشوف إلى الوقوف على معرفته من لا له معرفة بحقيقته وتفاصيل أمره تحتاج إلى تأليف كبير ولا يحتمل هذا المحل إلا اليسير فلنذكره بطريق الإجمال لضيق المجال ومجمل ذلك أنه إقليم عظيم من أقاليم الهند التي هي أم الدنيا كثير الحصون والقلاع حسن الهواء كثير الأمطار والأنهار والبساتين أعدل الأقطار وفيه حصون وقلاع في غاية الاستحكام والإتقان وكل قصر شامخ له شرف في السماء باذخ تحاكي الأهرام في إحكام البنيان عالية البناء تسامي السماء وهي الروضة المورقة والغيضة المونقة وقلاعها مشحونة بآلات الحرب ولامدافع الكبار مملوءة بالمكاحل الكثيرة حصينة الحصار وأهل حرفة أحذق الفطناء وأفطن الحذاق فما من صنعة إلا ومن مشربهم مطلعها وما من حكمة إلا وعندهم شرفها وإليهم منزعها وما من حرفة توجد إلا وجدتها فيهم وما من عمل يعرف إلا اجتني من مغانيهم ومن أحسن بلاد الهند بلدة بيجافور وفيها وقف على عادل للسادة والعرب أوقف عليها أراض تصرف غلقها للسادة والعرب وفي هذه البلدة وهي محل السلطنة مكان عظيم الشان محكم البنيان تحته بركة كبيرة كأنما عناها الشاعر بقوله". <خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٢/٢٦٤>

٣٧١-"وجلس على تخت السلطنة سنة خمس وعشرين وثمانمائة، وظهر في أيامه رجل وادعى أنه ابن السلطان يلدرم، واسمه مصطفى الذي فقد في فتنة تيمور، فظهر تزويره فصلبوه في برج قلعة أدرنة. وفتح في زمنه سمندرة ومورة. ثم إنه بحسن اختياره أقعد ولده محمدا الآتي بعده واختار التقاعد ببلدة مغنيسا مدة.

ثم قامت عليه طائفة الينيشرية، فأرسلوا إلى مغنيسا وأتوا بوالده منها، وأجلسوه ثانيا على سرير السلطنة.

فلما توفي أجلس ابنه السلطان محمد على تخت السلطنة، وعمره ثمانية عشر عاما، وعاش تسعا وخمسين سنة، وكان ملكا عظيما مطاعا، عين للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا، وللشرفاء مثلها في كل عام، وكانت مدة سلطنته إحدى وثلاثين عاما.

قال ابن تغري بردي في تاريخه: لم يكن في زمانه شرقا ولا غربا مثله في غزو الكفار أهلك الله على يده الملك قزال، عظيم ملوك الفرنج؛ في عام ثمانية وأربعين وثمانمائة، وكانت وقعة عظيمة مشهورة هلك فيها من الفريقين ما يزيد على عشرين ألفا، كانت طوائف الكفار اجتمعوا من كل ناحية في هذه الوقعة، وعزموا على استئصال ثغور الإسلام خصوصا بيت المقدس، فلما التقى الجمعان ظهر أن طائفة الكفار فوق عدد المسلمين بأضعاف مضاعفة، فلما وقع الحرب ظهرت الغلبة على المسلمين.

فأرسل الله تعالى ريحا عاصفا بتراب عظيم على جانب الكفار فأدبروا وركب المسلمون أكتافهم قتلا وأسرا، وغنموا غنائم جزيلة لا حد لها ولا عد، من النقود والخيول والسلاح وغير ذلك، ومحاسنه كثيرة ومآثره شهيرة.

ثم تولى السلطان

محمد خان فاتح القسطنطينية ابن مراد

مولده: عام خمس وثلاثين وثمانمائة، جلوسه أولا بفراغ من والده له في عام سبع وأربعين وثمانمائة، وتقاعد والده بولاية مغنيسا إلى نيف وخمسين، فقامت طائفة الينيشرية واجتمعت على عود السلطان مراد خان لصغر ولده محمد المذكور، فعاد السلطان مراد مدة يسيرة ثم أدركته الوفاة.

واستقر السلطان محمد المذكور في الملك عام وفاة والده الموافق لسنة ست وخمسين وثمانمائة.

ثم إن السلطان محمد سلك طريق العدل وأقام نظام الملك، وأظهر أبهة السلطنة وذلك جميعه ببركة والده ونفع ما جمعه له من المال والرجال، والمدن الواسعة، والأمصار النافعة، وهابته الملوك ودخلت في طاعته أكابر الممالك وأعيانها، فملك تسعة سلاطين أربعة من المسلمين وخمسة من النصارى، أما المسلمون فسلطان ولاية قرمن، وسلطان كرميا، وسلطان النكا، وسلطان اسفنديار، وفتوحاته مشهورة.

وكان من أعظم سلاطين آل عثمان وأقواهم اجتهادا، له غزوات كثيرة لا تحصى، من أعظمها: فتح القسطنطينية في اليوم الحادي والخمسين من حصارها، وهو الرابع والعشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة، وله كرامات عجيبة واثار بديعة، وكانت مدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة. ولما افتتح القسطنطينية صلى في أكبر كنائسها وهي أيا صوفية صلاة الجمعة وهي باقية تسامي قباب السماء وتحاكي في الاستحكام متين الأهرام، فما وهت ولا وهنت كبرا ولا هرما.

دام سلطانه إلى أن مات سنة ست وثمانين وثمانمائة.

ثم تولى السلطان

بايزيد ابن السلطان محمد

وجلس في سنة ست وثمانين وثمانمائة، وافتتح الفتوحات:

وفي أيامه في سنة ثمان وثمانين أو خمس وتسعين وثمانمائة ظهر من بلاد العجم شاه إسماعيل ابن حيدر الصفوي وكان له

ظهور عجيب وفتك في البلاد، وسفك دماء العباد، فأظهر مذهب الرفض والإلحاد، وغير اعتقاد أهل العجم إلى الانحلال والفساد بعد الصلاح والسداد. وأخرب ممالك العجم، وأزال من أهلها حسن الاعتقاد، والله تعالى يفعل في ملكه ما أراد، وتلك الفتنة باقية إلى الآن في جميع البلاد.

وظهر من أتباع شاه إسماعيل المذكور ببلاد الروم شخص ملحد زنديق، يقال له: سلطان قولي. أهلك الحرث والنسل، وعم بالفساد والقتل، فأرسل السلطان وزيره الأعظم على باشا بعسكر كثير إلى قتال هذا الطاغي وأمده بجيش عظيم لقطع جاذرة هذا الباغي فاستشهد علي باشا في ذلك القتال، ووفد بأكفان شهادته على الكبير المتعال، وانكسر الشيطان فولى المفسد التعيس وعسكره جنود إبليس، وأسكن الله تلك الفتنة بعد ما أطلقت، وكفى الله شر أولئك الأشرار بعد أن عظمت محنتهم وعمت.". <سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٣١٦/٢>

٣٧٢-"وقال يحيى بن معين: رأيت بمصر ثلاث عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن عفير.

قلت: حسبك أن يحيى إمام المحدثين انبهر لابن عفير.

وقال أبو سعيد بن يونس: كان سعيد من أعلم الناس بالأنساب، والأخبار الماضية، وأيام العرب، والتواريخ، كان في ذلك كله شيئا عجيبا، وكان مع ذلك أديبا فصيحا، حسن البيان، حاضر الحجة، لا تمل مجالسته، ولا ينزف علمه.

قال: وكان شاعرا مليح الشعر، وكان عبد الله بن طاهر الأمير، لما قدم مصر رآه، فأعجب به، واستحسن ما يأتي به، وكان يلي نقابة الأنصار والقسم عليهم، وله أخبار مشهورة. (٥٨٥/١٠)

ثم ذكر مولده، ثم قال: وحدثني محمد بن موسى الحضرمي، حدثنا علي بن عبد الرحمن، حدثنا سعيد بن كثير بن عفير، قال:

كنا بقبة الهواء عند المأمون، فقال لنا: ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول: ﴿أليس لي ملك مصر...﴾ [الزخرف: ٥١]!

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي ترى بقية ما دمر، قال تعالى: ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ [الأعراف: ١٣٧].

قال: صدقت.

ثم أمسك.

وقال ابن يونس في مكان آخر من (تاريخه): هذا حديث أنكر على سعيد بن عفير، فما رواه عن ابن لهيعة غيره.

قال: وكذا أنكر عليه حديث آخر، رواه عن ابن لهيعة.

قلت: من كان في سعة علم سعيد، فلا غرو أن ينفرد، ثم ابن لهيعة ضعيف الحديث، فالنكارة منه جاءت.

مات سعيد: لسبع بقين من رمضان، سنة ست وعشرين ومائتين. (٥٨٦/١٠)". <سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع] ٩٠/٢٠>

٣٧٣-"وآخر نراه يتحدث في كل مناسبة بأن تلاميذه يصافحون رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة و ليس في المنام ، وإذا ما زار أحدهم المدينة النبوية ، دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حفل غداء أو عشاء ، يحضره كبار الصحابة والتابعين وأولياء الله .

أما حديث التلاميذ عن شيخهم المعمم ففيه العجب العجاب ، فإن الواحد منهم يقول : إنه إذا هم بمعصية يرى صورة شيخه أمامه محذرا متوعدا له ، فيخشاه ويتراجع عن معصيته خوفا من شيخه وليس خشية من الله ، وهذا ليس افتراء منا على الشيخ ، فهو يتحدث في دروسه العامة بهذا وبأكثر منه .

وإذا كان هذا شأن المنسوبين إلى العلم ، فماذا ننتظر من دهماء الناس ؟! إن عبادة الآلهة من دون الله مازالت قائمة وإن تغيرت الأسماء وتباينت الألفاظ ، فالقومية بدلا من اللات ، والوطنية بدلا من هبل ، و الديمقراطية بدلا من العزى .

والعواصم العربية مزدحمة بالأصنام ، فهذه الأهرامات ، وهذا صنم الزعيم فلان ، وهذا تمثال للعامل ، وذاك وثن للجندي المجهول .. وهي أصنام أشد خبثا وشركا من أصنام الجاهلية ، إذ إن أصنام الجاهلية ، بدائية وساذجة ، أما هذه الأصنام فالواحد منها يكلف مليونا أو أكثر من ذلك ، لأنه قد صنع من معدن البرونز الثمين .. وفي هذا الليل الذي أرخى سدوله وزادت ظلمته وتباعد فجره ، تفتقد الأمة إلى أمثال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

نسب الشيخ و سيرته ..". <سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب ص/٣>

٣٧٤-"٣٣٢ بعقله لم سلم إليه عكا وغيرها وكانت له رغبة في الخير وآثار حسنة قال ابن شبهة أسر في عكا ففداه السلطان بستين ألف دينار وهو الذي بنى قلعة القاهرة والسور على مصر والقاهرة والقنطرة التي عند الأهرام وله مع المصريين وقعات عجيبة حتى صنفوا له كتاب الفافوش في أحكام قراقوش انتهى وفيها الكراني أبو عبد الله محمد بن أبي زيد بن أحمد الأصبهاني الخباز المعمر توفي في شوال وقد استكمل مائة عام وسمع الكثير من الحداد ومحمود الصيرفي وغيرهما وكران محلة معروفة بأصبهان وفيها العماد الكاتب الوزير العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني ويعرف بابن أخي العزيز ولد سنة تسع عشرة بأصبهان وتفقه ببغداد في مذهب الشافعي علي ابن الرزاز واتقن الفقه والخلاف والعربية وسمع من علي بن الصباغ وطبقته وأجاز له ابن الحصين والفراوي ثم تعاني الكتابة والترسل والنظم ففاق الأقران وحاز قصب السبق وولاه ابن هبيرة نظر واسط وغيرها ثم قدم دمشق بعد الستين وخمسمائة وخدم في ديوان الإنشاء فبهر الدولة ببديع نثره ونظمه وترقي إلى أعلى المراتب ثم عظمت رتبته في الدولات الصلاحية وما بعدها وصنف التصانيف الأدبية وختم به هذا الشأن وكانت بينه وبين القاضي الفاضل مطارحات ومداعبات قال يوما للقاضي الفاضل سر فلا كبابك الفرس وكانا تلاقيا في الطريق وإنما أراد انه يقرأ طردا وعكسا فأجابه الفاضل في الحال دام علا العماد وهو أيضا يقرأ طردا وعكسا واجتمعا يوما في مجلس السلطان وقد انتشر الغبار لكثرة الفرسان فأنشد العماد) أما الغبار فأنه * مما أثارته النسابك)". <شذرات الذهب - ابن العماد ٤/٣٧٩>

٣٧٥-"٣٤٥ ورجاله وحاصرها خمسين يوما أشد الحصار وضيق على من فيها من الكفار الفجار وسل على أهلها سيف الله المسلول وتدرع بدرع الله الحصين المسبول ودق باب النصر والتأييد ولج من قرع بابا ولج ولج وثبت على متن الصبر إلى أن أتاه الله تعالى بالفرج ونزلت عليه ملائكة الله القريب الرقيب بالنصر العزيز من الله تعالى والفتح القريب ففتح اصطنبول في اليوم الحادي والخمسين من أيام محاصرته وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى في أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهي أياصوفيا وهي قبة تسامي قبة السماء وتحاكي في الاستحكام قبب الأهرام ولا وهت ولا وهنت كبرا ولا هرما وقد أسس في اصطنبول للعلم أساسا راسخا لا يخشى على شمسه الأفول وبنى بها مدارس كالجفان لها ثمانية أبواب سهلة الدخول وقنن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول فجزاه الله خيرا عن الطلاب ومنحه بها أجرا وأكبر ثواب فإنه جعل لهم أيام الطلب ما يسد فاقتهم ويكون به من خمار الفقر إفاقتهم وجعل بعد ذلك مراتب يترقون إليها ويصعدون بالتمكم والاعتبار عليها إلى أن يصلوا إلى سعادة الدنيا ويتوسلون بها أيضا إلى سعادة العقبى وأنه رحمه الله تعالى استجلب العلماء الكبار من أقصى الديار وأنعم إليهم وعطف بإحسانه إليهم كمولانا علي القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الكوراني وغيرهم من علماء الإسلام وفضلاء الأنام فصارت اصطنبول بهم أم الدنيا ومعدن الفخار والعليا واجتمع فيها أهل الكمال من كل فن فعلماؤها إلى الآن أعظم علماء الإسلام وأهل حرفها أدق الفطناء في الأنام وأرباب دولتها هم أهل السعادة العظام فللمرحوم المقدس قلادة منن لا تحصى في أعناق المسلمين لا سيما العلماء الأكرمين انتهى ملخصا أي واستقر بعده في المملكة ابنه الأكبر أبو يزيد يلدرم ومعناه البرق". <شذرات الذهب - ابن العماد ٧/٣٤٤>

٣٧٦-" بعقله لما سلم إليه عكا وغيرها وكانت له رغبة في الخير وآثار حسنة قال ابن شهبة أسر في عكا ففداه السلطان بستين ألف دينار وهو الذي بنى قلعة القاهرة والسور على مصر والقاهرة والقنطرة التي عند الأهرام وله مع المصريين وقعات عجيبة حتى صنفوا له كتاب الفافوش في أحكام قراقوش انتهى

وفيها الكراني أبو عبد الله محمد بن أبي زيد بن أحمد الأصبهاني الخباز المعمر توفي في شوال وقد استكمل مائة عام وسمع الكثير من الحداد ومحمود الصيرفي وغيرهما وكران محلة معروفة بأصبهان

وفيها العماد الكاتب الوزير العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني ويعرف بابن أخي العزيز ولد سنة تسع عشرة بأصبهان وتفقه ببغداد في مذهب الشافعي علي ابن الرزاز واتقن الفقه والخلاف والعربية وسمع من علي بن الصباغ وطبقته وأجاز له ابن الحصين والفراوي ثم تعاني الكتابة والترسل والنظم ففاق الأقران وحاز قصب السبق وولاه ابن هبيرة نظر واسط وغيرها ثم قدم دمشق بعد الستين وخمسمائة وخدم في ديوان الإنشاء فبهر الدولة ببديع نثره ونظمه وترقي إلى أعلى المراتب ثم عظمت رتبته في الدولات الصلاحية وما بعدها وصنف التصانيف الأدبية وختم به هذا الشأن وكانت بينه وبين القاضي الفاضل مطارحات ومداعبات قال يوما للقاضي الفاضل سر فلا كبابك الفرس وكانا تلاقيا في الطريق وإنما أراد انه يقرأ طردا وعكسا فأجابه الفاضل في الحال دام علا العماد وهو أيضا يقرأ طردا وعكسا واجتمعا يوما في مجلس السلطان وقد انتشر الغبار لكثرة الفرسان فأنشد العماد

(أما الغبار فإنه ** مما أثارته السنابك)

". <شذرات الذهب في أخبار من ذهب. مفهرس ٤/٣٣٢>

٣٧٧-" ورجاله وحاصرها خمسين يوما أشد الحصار وضيق على من فيها من الكفار الفجار وسل على أهلها سيف الله المسلول وتدرع بدرع الله الحصين المسبول ودق باب النصر والتأييد ولج ومن قرع بابا ولج ولج وثبت على متن الصبر إلى أن أتاه الله تعالى بالفرج ونزلت عليه ملائكة الله القريب الرقيب بالنصر العزيز من الله تعالى والفتح القريب ففتح اصطنبول في اليوم الحادي والخمسين من أيام محاصرته وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى في أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهي أياصوفيا وهي قبة تسامي قبة السماء وتحاكي في الاستحكام قبب الأهرام ولا وهت ولا وهنت كبرا ولا هرما وقد أسس في اصطنبول للعلم أساسا راسخا لا يخشى على شمسه الأفول وبنى بها مدارس كالجفان لها ثمانية أبواب سهلة الدخول وقنن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول فجزاه الله خيرا عن الطلاب ومنحه بها أجرا وأكبر ثواب فإنه جعل لهم أيام الطلب ما يسد فاقتهم ويكون به من خمار الفقر إفاقتهم وجعل بعد ذلك مراتب يترقون إليها ويصعدون بالتمكن والاعتبار عليها إلى أن يصلوا إلى سعادة الدنيا ويتوسلون بها أيضا إلى سعادة العقبى وأنه رحمه الله تعالى استجلب العلماء الكبار من أقصى الديار وأنعم إليهم وعطف بإحسانه إليهم كمولانا علي القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الكوراني وغيرهم من علماء الإسلام وفضلاء الأنام فصارت اصطنبول بهم أم الدنيا ومعدن الفخار والعليا واجتمع فيها أهل الكمال من كل فن فعلماؤها إلى الآن أعظم علماء الإسلام وأهل حرفها أدق الفطناء في الأنام وأرباب دولتها هم أهل السعادة العظام فللمرحوم المقدس قلادة منن لا تحصى في أعناق المسلمين لا سيما العلماء الأكرمين انتهى ملخصا أي واستقر بعده في المملكة ابنه الأكبر أبو يزيد يلدرم ومعناه البرق

". <شذرات الذهب في أخبار من ذهب. مفهرس ٧/٣٤٥>

٣٧٨-"قناطر الجيزة وقلعة المقسى: ومن العمارات والمنشآت الحربية التي شادها الأمير بهاء الدين قناطر الجيزة الواقعة تحت الجسر الموصل بين النيل والأهرام تجاه مدينة مصر (١)، وذكر أنه هدم الأهرام الصغيرة المبعثرة في الجيزة وأخذ أحجارا لبناء القناطر (٢) ، ومنها قلعة المقسى وهي عبارة عن برج كبير بناه الأمير بهاء الدين في محل قنطرة الخلفاء بجوار الجامع في نهاية سور القاهرة عند باب البحر ومحلها اليوم المكان القائم عليه عمارتا الأوقاف وراتب باشا المجاورتان لجامع أولاد عنان في الجهة البحرية الشرقية بميدان باب الحديد (٣) .
توليته على عكا وترميم سورها: في شهر المحرم من سنة خمس وثمانين وخمسمائة (٥٨٥هـ) سار القائد صلاح الدين إلى عكا وأقام بها يصلح أحوالها : ورتب فيها الأمير بهاء الدين قراقوش وأمر بعمارتها وعمارة سورها (٤) . وسيأتي الحديث بإذن الله عن عكا وما حدث بها.

(١) المصدر نفسه ص ٢٧.

(٢) شذرات الذهب (٣٣١/٤ – ٣٣٢) حكم قراقوش ص ٢٨.

(٣) النجوم (٣٩/٤) حكم قراقوش ص ٢٨.

(٤) حكم قراقوش ص ٢٩.". <صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ٣٠/٢>

٣٧٩-"وكان صلاح الدين يروي له ذلك فاعتمد عليه ولم يكن يخرج عن رأيه وهو الذى بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التى بالجيزة على طريق الأهرام وهى آثار دالة على علوالهمة وعمر بالمقيس رباطا وعلى باب الفتوح بظاهر القاهرة خان السبيل وله وقف كبير لا يعرف مصرفه وكان حسن المقاصد جميل النية ولما أخذ صلاح الدين عكاش الفرنج سلمها إليه ثم لما عادوا واستولوا عليها حصل أسيرا فى أيديهم ويقال أنه أفتك بعشرة آلاف دينار والناس ينسبون إليه أحكاما عجيبة فى ولايته حتى أن ابن الخطيب الملقب بالمهذب القاضي كان ناظر الداواوين بالديار المصرية واسمه أسعد ابن الخطيب ونظم سيرة صلاح الدين بن أيوب ونظم كليله ودمنه وله ديوان شعره توفي سنة ست وست مائة وعمره اثنتان وستون سنة صنف جزء لطيفا سماه الفاشوش فى حكم قراقوش وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها والظاهر أنها موضوعة فإن صلاح الدين كان معتمدا عليه فى مملكته وأموره ولولا وثوقه عليه ما فوضها إليه وتوفي فى رجب سنة سبع وسبعين وخمس مائة ودفن بالقرافة فى تربته المعروفة به بسفح المقطم رحمه الله تعالى قلت رأيت قبره وزرته وهو قريب من قبر عقبة بن عامر الجهني الصحابي رضي الله عنه

فائدة أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول المعروف بالصولي الشطرنجي أحد الأدباء واحد وقته فى لعب الشطرنج والناس يضربون به المثل فى ذلك فيقولون لمن يبالغون فى حسن لعبه فلان يلعب الشطرنج مثل الصولي ورأيت خلقا كثيرا يعتقدون أن الصولي المذكور هو الذى وضع الشطرنج وهو غلط فإن الذى وضعه صعصعة بن داهل الهندي وكان أردشير ابن بابل أول ملوك الفرس الأخيرة قد وضع النرد ولذلك قيل له النردشير

." <طبقات الحنفية ٤٤٤/١>

٣٨٠-"

٧٢٠ النسائي بالفتح والهمزة والنسوي نسبة إلى نسا مدينة بخراسان منهم من ينسب إليها نسوي هكذا ذكره السمعاني فى النسوي وذكر فى النسا أنها مدينة بخراسان يقال لها نسا وينسب إليها النسوي

٧٢١ النشأي بلدة غربية فسطاط مصر قريبة من الأهرام نسبة نصر بن جزء ابن عتاب تقدم وهى بفتح النون والشين المعجمة

٧٢٢ النصروي بفتح النون وسكون الصاد وفى آخرها الراء والواو بياء آخر الحروف إمام كبير أحد من شرح القدوري كذا رأيته بياء آخر الحروف ولم يذكر السمعاني هذه النسبة وذكر النصروي بواو قبل الياء آخر الحروف وأنها نسبة إلى نصرويه وهو جد المنسب إليه

٧٢٣ النصيري بفتح النون وكسر الصاد وسكون الياء وفى آخرها راء نسبة إلى قبيلة وجد ومحلة ببغداد نسبة إسحاق بن عبد الله بن إسحاق أبو يعقوب وابنه تقدم رحمة الله عليهم

٧٢٤ النضري عبد الله بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن النضر بن حكيم المروزي أبو العباس الحاكم تقدم والنسبة بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء

٧٢٥ النفيعي نسبة مسلم بن سلامة بن شبيب تقدم رحمه الله تعالى

". <طبقات الحنفية ٢/٣٥٢>

٣٨١-"وعشية إعداد الحملة كانت قد تشابكت مصالح البرجوازية الفرنسية بقيمها ومثلها الفكرية حيث توالت خطابات القنصل الفرنسي في مصر آنذاك تحث حكومته على احتلال بلاد النيل لأنها بلد زراعي خصب لا يملكه أحد كما تهيأ له وقال عنها: منها سوف تجني فرنسا أرباحا طائلة، وكتب مفكرون فرنسيون عن ضرورة تحرير المصريين من المماليك إلى جانب تحريرهم من الجهل ثم إعادة النور إلى بلادهم.

في هذه الظروف وفي هذا المناخ الفكري استنبت الفرنسيون فكرة الحملة، فبالإضافة إلى القوة العسكرية التي تجاوزت أربعين ألفا من الجنود اصطحب نابليون معه علماء مؤهلين ومجهزين بكافة الاختصاصات الزراعية والأثرية والتاريخية والهندسية.. الخ اختمرت في رؤوسهم جميعا أفكار الثورة الفرنسية في الحرية والإخاء والمساواة واحترام الفرد.

كان نابليون ضابطا سياسيا لامعا ومتنورا واعيا مدركا لمصالح فرنسا مخلصا لطبقته المتوسطة ملما بأهداف الحملة ومراميها الاستعمارية والعلمية أعد نفسه ليكون على خير ما يمكن أن يكون عليه القائد في بلد له خصوصية دينية واجتماعية ولغوية، لذلك.. ومنذ البدء قرأ كتبا تتحدث عن تاريخ العرب وعاداتهم الاجتماعية واطلع على مبادئ الدين الإسلامي وفي طريقه إلى مصر استحصل على نسخة من القرآن الكريم.

وعلى هذه الأسس الاستعمارية والثقافية أقلعت الحملة من ميناء مرسيليا لتحتل الإسكندرية في الثاني من تموز عام ١٧٩٨ وبذلك //تنهي عزلة مصر وبلاد الشام عن العالم دامت ثلاثة قرون//(١) ثم شقت الحملة طريقها إلى القاهرة فوصلتها بعد عشرين يوما وبعد أن كانت المقاومة الشعبية قد اعترضت طريقها وكبدتها خسائر في معركة الأهرامات التي قادها المماليك.".
<عبد الله النديم سيرة عطرة ... وحياة حافلة ص/٢٨>

٤٤٨-"م، ورئيسا للاتحاد المصري للمصارعة، ورئيسا لاتحاد المعاقين من ١٩٨٣ - ١٩٩٠ م، وحكما دوليا في ألعاب القوى، وترأس تحرير مجلة اللجنة الأولمبية، كما تولى السكرتارية العامة لمجلة "الشباب".

وله عدة مؤلفات، منها ثلاثة كتب أدبية، وثمانية كتب أدبية مترجمة، وأربعة كتب رياضية للفتيان، وخمسة كتب رياضية مترجمة للأطفال (٣).

ومن عناوين كتبه:

الموسوعة الرياضية - القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤١١ هـ.

نجيبة العسال

(٠٠٠ - ١٤١١ هـ) (٠٠٠ - ١٩٩١ م)

أديبة من مصر.

قدمت نحو (١٧) عملا أدبيا ما بين رواية وقصة قصيرة، مركزة فيها على

---

(٣) الفيصل ع ٢٠١ (ربيع الأول ١٤١٤ هـ).". <تكملة معجم المؤلفين ص/٦١١>

٤٥٠-""الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي" "الحب المثالي عند العرب"، "حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة"، "ذو الرمة شاعر الحب والصحراء"، "دراسات في القرآن والحديث"، "دراسات في الشعر الجاهلي"، "تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي"، "تاريخ الشعر العربي في العصر العباسي"، "مناهج البحث الأدبي"، ديوان شعر بعنوان "نداء القمم" (١).

يوسف صالح الشيباني

(١٣١٥ - ١٣٩٨ هـ) (١٨٩٨ - ١٩٧٨ م)

طبيب، كيميائي، صيدلي.

تخرج من جامعات باريس وليون واستراسبورغ، وحاز الجائزة الأولى

---

(١) الفيصل ع ٢٢٠ (شوال ١٤١٥ هـ) ص ١٢١ - ١٢٢، الأهرام ع ٣٩٥٠٠ - ٢٨/ ١٤١٥/٨ هـ، مجلة الفيصل ع ١٤٥ ص ١١٤، آفاق الثقافة والتراث ع ٨ ص ١١٦.". <تكملة معجم المؤلفين ص/٦٤٢>

٤٥٢-"شفيق. - القاهرة: مطبعة المعارف ومكتبتها، ١٩٣٩ م.

- تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠) /هـ. أ. ل. فشر (ترجمة بالاشتراك). - ط ٢. - القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٢ هـ.

- القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم/آرثر كيستلر (ترجمة). - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١١ هـ.

- قيام وسقوط الإمبراطورية الرومانية (ترجمة بالاشتراك مع آخرين).

بالإضافة إلى تأليفه كتبا مدرسية (١).

أرول كونكور

(١٣٥٧ - ١٤٠٤ هـ) (١٩٣٨ - ١٩٨٣ م)

كاتب اجتماعي، باحث إسلامي.

ولد في مدينة قيرشهر

---

(١) الأهرام (٢٧/ ٣/ ١٩٩٢ م).". <تكملة معجم المؤلفين ص/٦٥٨>

٤٥٥-"حسين فوزي (٣)

حمد بن إبراهيم الحقيل

(١٣٣٨ - ١٤١٥ هـ) (١٩٢٠ - ١٩٩٥ م)

أديب، عالم، مؤرخ.

ولد في المجمعة بالسعودية. تلقى علومه الأولية ببلدته، ثم على عدد من العلماء. عين إماما لقصر الحكومة بالمجمعة عام ١٣٥٣ هـ، ثم إماما ومرشدا ومفتيا للجيش السعودي الذي جهز لمحاربة اليهود في فلسطين عام ١٣٨٨ هـ. وهو كاتب يعنى بالتاريخ والأنساب والأدب (٤).

---

(٣) يزاد في هوامشه: أيام من شبابهم ٩١، الأهرام ع ٣٧١٤٦ (٩/ ١/١٤٠٩ هـ) والعدد الذي يليه، الجمهورية ع ١٢٦٥٧ (١١/ ١/١٤٠٩ هـ)، المصور ع ١٤٠٩ هـ)، اليوم ع ٤٤٥٩ (١٤/ ١٢/١٤٠٥ هـ).

(٤) معجم الكتاب والمؤلفين في السعودية ص ٤٠، من أحداث وأخبار الجزيرة العربية ص ١٨٥.". <تكملة معجم المؤلفين ص/٦٦٧>

٤٦١-"السماعيبتو: طريقتن جديدتون لي التهجأتي والكتابتي!

وكانت وفاته في لندن، وصلي عليه في مسجد ريجنت بارك.

عبد المحسن صالح

(٠٠٠ - ١٤٠٦ هـ) (٠٠٠ - ١٩٨٦ م)

باحث في العلوم البحتة والتطبيقية.

كان أستاذا لعلم الميكروبات بجامعة الإسكندرية. عميق النظر في أسرار العلوم ودقائقها، يبسط ما هو معقد بأسلوب سهل لطيف، بل وبأسلوب فكه أحيانا كثيرة، مما جعله ذا مكانة فريدة بين أقرانه العلماء الأكاديميين، وسلك في ذلك منهج "تأديب" العلم، و"تعليم" الأدب.

وكتب في موضوعات علمية وتاريخية وجغرافية (١).

من بين كتبه العلمية

---

(١) الأهرام ع ٣٦٣٣٩ (٢٩/ ٩/١٤٠٦ هـ).". <تكملة معجم المؤلفين ص/٧٠٣>

٤٦٢-"عمر عبد الفتاح التلمساني (٣)

يضاف إلى ما كتب فيه:

عمر التلمساني ... وداعا. -[القاهرة: د. ن]، ٢١١ ص.

عمر يحيى

(١٣٢٠ - ١٣٩٩ هـ) (١٩٠٢ - ١٩٧٩ م)

أديب، شاعر، لغوي، مدرس.

ولد في حماة. درس الأدب العربي في ثانويات حلب، والنحو والعروض في جامعتها، وقد نفاه الفرنسيون إلى البحرين، ومن هناك نفوه إلى الهند، ثم عاد إلى سورية ..

من مؤلفاته:

- البراعم: شعر. - حلب. المطبعة العلمية، ١٩٣٦، ٢١٥ ص.

- الوافي بالعروض

---

(٣) يضاف إلى مصادر ترجمته: الأهرام ع ٣٦٣٣٠ (٢٠/ ٩/ ١٤٠٦ هـ)، الأخبار ع ١٠٦١٧ (٢٠/ ٩/ ١٤٠٦ هـ)، الجمهورية ع ١١٨٣٩) (٢٠/ ٩/ ١٤٠٦ هـ)، عكاظ ع ٧٢٨١) (١٨/ ٩/ ١٤٠٦ هـ).". <تكملة معجم المؤلفين ص/٧٠٧>

٤٧٠-"١١٩ - تحفة الآثار في الأدعية والأذكار (ذكر بالهدية).

١٢٠ - تحفة الأبرار بنكت الأذكار (ذكر بكشف الظنون وبالهدية).

١٢١ - تحفة الأنجاب بمسألة السنجاب (طبعت بالحاوي ج ١ ص ١٣).

١٢٢ - تحفة الجلساء برؤية الله تعالى للنساء (طبعت بالحاوي ج ٢ ص ٣٤٨).

١٢٣ - تحفة الحبيب بنحاة مغني اللبيب (ذكر بالهدية).

١٢٤ - تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء (ذكر بالهية وحسن المحاضرة وكشف الظنون).

١٢٥ - تحفة الكرام بأخبار الأهرام (ذكر بكشف الظنون وبالهدية).

١٢٦ - تحفة المجالس وأنس المجالس (مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٦ هـ).

١٢٧ - تحفة المجتهدين في أسماء المجددين (مخطوطة في ورقة واحدة برقم ٨٢٦٠ ح بدار الكتب).

١٢٨ - تحفة المذاكر في المنتقى من تاريخ ابن عساكر (ذكر بحسن المحاضرة والهدية).

١٢٩ - تحفة النابه بتلخيص المتشابه (ذكر بحسن المحاضرة وبالهدية).

١٣٠ - تحفة الناسك بنكت المناسك (ذكر بكشف الظنون وبالهدية).

١٣١ - تحفة النجبا في قولهم: هذا بسرا أطيب منه رطبا (ذكر بكشف الظنون وبالهدية).

١٣٢ - تخريج أحاديث شرح العقائد (ذكر بحسن المحاضرة).

١٣٣ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (القاهرة المطبعة الخيرية، مخطوط برقم ٧ مصطلح حديث- قولة بدار الكتب).

١٣٤ - تذكرة المؤتسي فيمن حدث ونسي (ذكر بحسن المحاضرة وبالهدية).

١٣٥ - التذنيب في الزوائد على التقريب (ذكر بالكشف وبالهدية).

١٣٦ - التذييل والتذنيب على نهاية الغريب (ذكر بالهدية).

١٣٧ - ترجمان القرآن في التفسير المسند (القاهرة ١٣١٤ هـ، عدة مجلدات).

١٣٨ - ترجمة النووي والبلقيني (ذكرت بحسن المحاضرة وبالكشف والهدية).

١٣٩ - تزيين الأرائك بإرسال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملائك (طبعت بالحاوي ج ٢". <جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي ص/٣٨٨>

٤٧١-"٧٠٩٨ - (ز): محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم بن عمر بن سلمان الشريف الإدريسي المغربي الأصل الفاوي المولد.

نزيل القاهرة.

قدم أبوه فولد له هذا بفاو من صعيد مصر في رمضان سنة ثمان وستين ونشأ بمصر. -[٣٠٩]-

وسمع من البوصيري، وابن ياسين والأرتاحي وعبد المجيب بن زهير وفاطمة بنت سعد الخير في عدد كثير وسمع بالإسكندرية، وغيرها وتصدر بالفخرية بالقاهرة.

أخذ عنه الدمياطي والشريف الحسيني وأحمد بن يوسف الأربلي وأبو صادق بن الرشيد العطار وآخرون.

قال القطب: كان إماما عالما ومحدثا حافظا عارفا بالتاريخ والأدب والحديث والنسب. وله كتاب "المفيد في ذكر من دخل الصعيد" وكتاب في الأهرام جيد.

وذكره ابن مسدي في معجمه وقال: ذكر لي أنه من ولد إدريس بن إدريس الحسني ورأيت الطاعن عليه بمصر في ذلك وكان متسامحا في باب الرواية متساهلا فيه إلى الغاية وقد سمعت منه فوائد من أصل سماعه وربما حسن حاله بأخرة في تصاريفه.

وأنشد له:

ولم أر علما كالحديث فنونه ... تطول إذا عددتهن وتكثر

ويحسب قوم أنه النقل وحده ... ونقل شروری منه عندي أيسر وشروری: بفتح المعجمة والراء وسكون الواو بعدها راء مقصورة جبل معروف.

وكانت وفاة المذكور في صفر سنة أربع وأربعين وست مئة.". <لسان الميزان ت أبي غدة ٣٠٨/٧>

٤٧٢-"٧٩- من وسائل دفع الغربة،تأليف سلمان بن فهد العودة،ط دار ابن الجوزي-الدمام-الطبعة الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٨٠- النحو الوافي،تأليف عباس حسن،ط دار المعارف-القاهرة-الطبعة الثالثة-بدون تاريخ.

٨١- نصر بلا حرب،تأليف ريتشارد نيكسون،إعداد وتقديم محمد عبد الحليم أبو غزالة،الناشر مركز الأهرام للترجمة والنشر-القاهرة-الطبعة الثالثة (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٨٢- الهجرة إلى العنف،عادل حمودة،ط سينا للنشر-القاهرة-الطبعة الأولى (١٩٨٧م).

٨٣- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،للشيخ عبد العزيز بن باز،ط دار عالم الكتب-الرياض-بإشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة بالمملكة العربية السعودية-الطبعة الأولى (١٤١١هـ).

٨٤- وحي القلم،لمصطفى صادق الرافعي،ط دار الكتاب العربي-بيروت-بدون تاريخ.

فهرس

الموضوع الصفحة

٤٧٣-" [ص ٩٧] ٢٨٤٦ - (أول الرسل آدم) إلى بنيه وكانوا مؤمنين فعلمهم شرائع علم الله (وآخرهم محمد) صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى ﴿ وخاتم النبيين ﴾ فلا نبي بعده (وأول أنبياء بني إسرائيل موسى) بن عمران (وآخرهم عيسى) بن مريم (وأول من خط بالقلم) أي كتب ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود (إدريس) قيل سمي به لكثرة درسه كتاب الله وأبطله الزمخشري بأنه لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد العلمية فكان منصرفا فمنعه من الصرف دليل العجمة وهذا الحديث صريح في إبطال زعم الكلبي أن أول من وضع الخط نفر من طيء قيل وأول من كتب بالعربي إسماعيل وما ذكر هنا من أن أول من خط إدريس جرى عليه جمع وذكر آخرون منهم كعب الأحبار أن أول من كتب آدم كتب سائر الكتب قبل موته بثلاث مئة سنة في طين ثم طبخه فلما غرقت الأرض في زمن نوح بقيت الكتابة فأصاب كل قوم كتابهم وبقي الكتاب العربي إلى أن خص به إسماعيل فأصابه وتعلم العربية ذكره الماوردي وقال : كانت العرب تعظم قدر الخط وتعده من أجل نفع حتى قال عكرمة : بلغ فداء أهل بدر أربعة آلاف حتى إن الرجل ليفادى به على أن يعلم الخط لخطره وجلالته عندهم . <فائدة> قال ابن فضل الله : كان إدريس يسمى هرمس المثلث كان نبيا وحكيما وملكا ووزيرا . قال أبو معشر : هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية وأول من عمل الكيمياء وأول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وأول من نظر في الطب وتكلم فيه وأنذر بالطوفان وكان يسكن صعيد مصر فبنى هناك الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصناعات وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده حرصا منها على تخليدها بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ثم رفعه مكانا عليا

(الحكيم) الترمذي (عن أبي ذر) وفيه عمرو بن أبي عمر أورده الذهبي في الضعفاء وقال : قال ابن عدي : مجهول وإبراهيم بن هشام الغساني قال أبو حاتم غير ثقة ونقل ابن الجوزي عن أبي زرعة أنه كذبه ويحيى بن يحيى الغساني خرجه ابن حبان ذكره كله الذهبي ". <فيض القدير ٣/٩٧>

٤٧٦-"باب ما جاء في عذاب القبر

قال البخاري رحمه الله: [باب ما جاء في عذاب القبر].

وهذا الباب نجعله في وجوه أهل الضلال الذين ينكرون عذاب القبر، حتى كتب أحدهم يقول: خدعوك عندما قالوا: عذاب

القبر.
حتى استهزأ بعضهم من عذاب القبر.
أسأل الله أن يريه عذاب القبر، فهذا استهزاء بالشرع، ولذلك بوب البخاري في صحيحه ما جاء في عذاب القبر، ولفقهه العام جاء بآيات من القرآن قبل الأحاديث ليبين أن عذاب القبر ثبت بالقرآن، وهؤلاء يقولون: لا يوجد في القرآن عذاب القبر، ونحن نؤمن إيمانا جازما بقول نبينا صلى الله عليه وسلم، فقد كان يستعيذ في كل صلاة من عذاب القبر.
قال البخاري رحمه الله: [﴿إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون﴾ [الأنعام:٩٣]، قال: هو الهوان، ﴿سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ [التوبة:١٠١]].
قال المفسرون: سنعذبهم مرتين، مرة في الدنيا ومرة في القبر، ثم يردون إلى عذاب عظيم في الآخرة.
قال البخاري رحمه الله: [﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر:٤٥ - ٤٦]].
ولم يأت البخاري هنا بقوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ [السجدة:٢١].
و (من) بمعنى البعض، فهنا سيذوقون بعض العذاب الأدنى، والبعض الآخر في القبر، وسيكون العذاب الأكبر في الآخرة، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة المحيا، ومن فتنة الممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال، ومن عذاب جهنم وعذاب القبر).
فكان يستعيذ في كل صلاة من عذاب القبر، وقد مر على قبرين فقال: (هذان يعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة بين الناس).
وقال: (لولا ألا تدافنوا -أي: يدفن بعضكم بعضا- لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر).
فالأدلة على عذاب القبر لا حصر لها من القرآن والسنة.
وهؤلاء الذين يكتبون في إنكار عذاب القبر كتبهم تباع في الأسواق، ولقد رأيت كتابا يباع مع موزع الأهرام عنوانه: هذا عذاب القبر خرافة.
والأمة لا ترد على هذا الكتاب، وكيف أعطي ترخيصا بالطبع وهذا الكلام يناقض القرآن والسنة وأقوال العلماء من سلف الأمة؟ ولكن مؤلف الكتاب يفهم بطريقته الخاصة.
قال البخاري رحمه الله: [من حديث البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أقعد المؤمن في قبره، أوتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ [إبراهيم:٢٧]).
وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (اطلع النبي صلى الله عليه وسلم على أهل القليب فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقيل له: تدعو أمواتا؟ فقال: وما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون).
ومن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقوله حق، وقد قال الله: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ [النمل:٨٠])].
ومن حديث عائشة رضي الله عنها: (أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب

القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر؟ فقال: نعم عذاب القبر.
قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما يصلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر).
زاد غندر: (عذاب القبر حق)].
أي أن امرأة يهودية قالت لـ عائشة: أعاذك الله من عذاب القبر، فقد كانت اليهودية تعلم أن في القبر عذابا وعائشة لا تعلم أن في القبر عذابا، فسألت عائشة رسول الله عن عذاب القبر.
فقال: عذاب القبر حق.
قالت عائشة: (فما رأيته صلى صلاة إلا واستعاذ بالله من عذاب القبر).
صلى الله عليه وسلم.
اللهم إنا نسألك أن تؤمننا من عذاب القبر يا رب العالمين!". <شرح صحيح البخاري - أسامة سليمان ١٥/٨>

٤٧٧-"شرح حديث أبي هريرة في الوفاء بالبيعة للإمام الأول فالأول
قال: [حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر - ابن بشار لقبه بندار، وابن جعفر لقبه غندر، وغندر أي: مشاغب- حدثنا شعبة عن فرات القزاز -وفرات هو ابن أبي عبد الرحمن تميمي كوفي- قال: عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين] أبو حازم الذي يروي عن أبي هريرة في طبقة التابعين هو سلمان مولى عزة، وأبو حازم الذي يروي عن سهل بن سعد الساعدي في نفس الطبقة من طبقات التابعين هو سلمة بن دينار، وكثير من الناس يهم بين الاثنين.
الكنية أبو حازم، وأحدهما: يروي عن أبي هريرة وهو سلمان مولى عزة.
والثاني: يروي عن سهل بن سعد وهو سلمة بن دينار.
قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين].
ومعنى قاعدت.
أي: جالسته، تلقى على يديه العلم خمس سنوات.
[فسمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي)].
أعظم أمة على وجه الأرض أرسل الله تعالى إليهم أنبياء هم بنو إسرائيل، ليس هذا لفضلهم ولا لمكانتهم، بل هذا لكفرهم وعنادهم، إذ أقام الله تعالى عليهم الحجة لكثرة بعث الأنبياء والمرسلين؛ حتى لا يظن بنو إسرائيل أن هذا من باب الشرف لهم، وإنما هذا لعلم الله تعالى الأزلي فيهم أنهم أهل جحود وأهل غدر، وما نجا منهم نبي من الأنبياء، فقتلوا البعض وسبوا البعض، ونشروا البعض، وغير ذلك مما كان من بني إسرائيل مع أنبيائهم.
قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي).
وفي هذا: جواز أن يقول الرجل عن الميت: هلك.
وهلك بمعنى: مات.
وإذا كان الهلاك يصح إطلاقه على موت الأنبياء، فمن باب أولى يصح إطلاقه على من دونهم، كلما مات نبي خلفه أرسل

الله تعالى إليهم نبيا آخر، ولا يفهمن أحد من هذا النص أن النبوة بالاستخلاف، كالذين تربوا في أمريكا على يدي رشاد رشدي وغيرهم من الملاحدة يفهمون من هذا النص أن النبوة بالاكتساب والاستخلاف، ويعتمدون على ظواهر بعض النصوص ومنها هذا النص: (كلما هلك نبي خلفه آخر) أي أخلفه الله تعالى بآخر، ولم يخلف هو غيره.

وما سمعنا أن أحدا قط قال بأن النبوة مكتسبة إلا أصحاب العقائد المنحرفة.

قال عليه الصلاة والسلام: [(وإنه لا نبي بعدي)].

إن أحد المنحرفين المصريين كان دكتورا في كلية الزراعة جامعة الزقازيق، سافر إلى أميركا وغير بطاقته الشخصية وسمى نفسه (لا) في البطاقة، ثم بعد مدة من الزمان ادعى النبوة، فلما نوفس في ذلك وقال له المناظر: النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا نبي بعدي) قال: وأنا (لا) فالنبي قد بشر بأني نبي من بعده، ثم غير اسمه بعد فترة من هذه المناقشة وادعى الإلهية.

ومعلوم أنه ما من ساقطة في الأرض إلا ولها لاقطة، فقد تبعه على هذه الدعوة الفاسدة الباطلة أحمد صبحي منصور، وأنتم تقرءون له في الأهرام والأخبار دائما، ظهر ليساند الإله الجديد، فإنه أول ما ادعى رشاد رشدي النبوة ذهب إليه هناك، وكان بينهم من الاتفاق ما يؤهل إلى أن يكون رشاد رشدي إلها، وأن يكون أحمد صبحي منصور نبي ذلك الزمان، فلما حدثت بينهما الخصومة والخلاف فضح كل منهما الآخر، فهلك رشاد رشدي ورجع أحمد صبحي منصور إلى مصر بخفي حنين، لم تثبت له النبوة ولم تثبت له الإلهية، وثبتت له القدم الراسخة في الإلحاد والإجرام، فصار يطعن في ثوابت الإسلام في الليل والنهار على صفحات الجرائد.

قال: [(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر)] أي: لا نبي بعدي، ولكن يقوم بمهمة النبي في سيادة أمور الناس خلفاء، وهؤلاء الخلفاء كثرة كاثرة، كلما هلك خليفة أو عزل لكفره جاء غيره؛ لأن الإمام إذا كفر وجب عزله وتنصيب غيره.

قال: [(وستكون خلفاء فتكثر.

قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟! قال: فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم)] (فوا) من الوفاء.

أي: يجب عليكم أن تفوا ببيعة الأول، ولا تبايعوا من ظهر في وجود الإمام الأول، فإنما البيعة تعقد لإمام واحد، وهذا الإمام يعين الولاة والأمراء من باطنه، فتجب طاعة الولاة والأمراء والسلاطين في شتى أصقاع بلاد المسلمين؛ نظرا لوجوب طاعتهم للإمام العام، فإذا كان الخليفة مثلا في تركيا أو في العراق أو في المدينة أو في مصر أو في المغرب، فيجب عليه أن يعين ولاة على كل بقاع المسلمين: ولاة للصلاة، ولاة للجهاد، ولاة للسياسة، ولاة للقضاء، وغير ذلك مما يصلح". <شرح صحيح مسلم - حسن أبو الأشبال ٤/٢١>

٤٧٨-"الرد على شبهة هدم الأصنام في أفغانستان

Q هناك شبهة في أمر هدم الأصنام التي يفعلها إخواننا في أفغانستان وهي: (لماذا لم يهدم الصحابة عند دخول مصر أبا الهول؟) وجزاكم الله خيرا.

A هم يقولون القطعة التي ذهبت من أنف أبي الهول إنما هي بسبب فعل الحملة الفرنسية لما دخلت مصر، أرادت أن تتخلص من الأصنام؛ لأن هذا شرك.

هم يقولون في التاريخ المزور: إن الحملة الفرنسية لم تأت إلا لتكتشف حجر رشيد، وهذا تزوير في وجه التاريخ، والمعلومة التي يجب أن تعرفها تماما: هي أن الفرنسيين نصارى، ربما يقدسون أبا الهول، ويعتبرونه إلها معبودا.

فهل يتصور أن يقوموا عليه ويجدعوا أنفه، أو يكسروه، أو يدفنوه؟ إن الذي فعل ذلك هم أوائل المسلمين لما دخلوا مصر، تعرضوا لهدم الأهرامات كما تعرضوا لتكسير وتحطيم أبي الهول، لكن هذه المحاولات لم تتم.

تصور أن هذه القطعة من الحجارة التي كسرت كانت بعد محاولات استمرت ثلاثة أشهر، فكيف بتحطيم أبي الهول كله؟ بل كيف بتحطيم الأهرامات كلها؟ فهذا أمر بلا شك يذهب الغالي والنفيس في دولة في طور تكوينها، فأيهما أولى: ترك ذلك وبناء الدولة؟ أما تخريب الدولة من الداخل بإنفاق اقتصادها وأموالها في تكسير حجر، ليس معبودا في ذلك الوقت؟ بلا شك أن المصالح والمفاسد تقول: بناء الدولة مقدم.

الرد الثاني: أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما نزل مصر، كان موطنه في الفسطاط -أي: مصر القديمة- ولم يكن هناك بلد تسمى الجيزة، وكانت من الفسطاط إلى الأهرامات صحراء قاحلة لا زرع فيها ولا ماء، فـ عمرو بن العاص رضي الله عنه اعتبر أن بعد الأهرامات وبعد أبي الهول وعدم اكتراث واهتمام الناس بزيارة هذه الأماكن أمر يشرع معه تأخير تكسير مثل هذه الأصنام، ولذلك هل ثبت أن صنما من الأصنام كان في المدينة وتركه عمرو؟ هل كان هناك صنم في البنيان والعمران وتركه عمرو بن العاص ومن معه من المسلمين؟ فهذا رد عن الشبهة في تكسير الأصنام في مصر.

أما حكم ما يفعله إخواننا هناك في هذا المعبود المزيف، فهو أمر مشروع اتفاقا، ومن نطح في ذلك فإنما ينطح فيه بهوى أو خوف، وإن كان توقيت ذلك عندي فيه نظر، لكن هذا النظر يدفعه أن هؤلاء ممكنون في أفغانستان فلم التأخير إذا؟ وهذا الصنم إنما يعبد من دون الله عز وجل، ولذلك أرى من الحكمة أنهم هدموا هذا الصنم ولم يهدموا القباب والقبور مع أنها تعبد من دون الله هناك.

وحجتهم في ذلك: أن القباب تحتاج إلى فترة لتعليم الناس؛ لأنهم درجوا على الصلاة في هذه المساجد التي بها قبور، أما (بوذا) فإنه يعبد من بعض أهل البلد، ومن القادم من الخارج خصيصا؛ لأنه عندهم إله.

أما المقبورون فإنهم لا يمثلوا هذه الدرجة عند من اتخذهم، أو توسل بهم، أو غير ذلك وإن كانت كل هذه مظاهر من مظاهر الشرك.

تصور لو أنك في بيتك وقد اتخذ ولدك حجرا يعبده من دون الله عز وجل فإنك ممكن حينئذ من تكسير هذا الإله.

ولو أنك تخلفت عن هذا ولم تفعل أثمت بذلك، لأنك ممكن، فهؤلاء رأوا أنهم ظاهرون ممكنون، وأنهم أصحاب نجدة.

وقد اتخذ القوم إلها في بلدهم يعبد من دون الله عز وجل، فلما علموا ذلك من أنفسهم قاموا فاقتلعوا هذا الإله من جذوره، ودمروه تدميرا، فجزاهم الله تبارك وتعالى على ما صنعوا خيرا.

أما الشبهة أن هذا أمر يعطي صورة سيئة عن الإسلام للعالم كله، فهذا كلام لا يقوله إلا الملاحدة أو الجهلة من المسلمين؛ لأن الشريعة لو طبقت في العالم كله إلا في بلاد أوروبا وأمريكا وكسر وهشم بوذا لكانت نفس الشبهة باقية وقائمة، تردد

حتى على ألسنة بعض المتدينين في مصر بلد الإسلام، وبلد الأزهر.

ونرد عليهم بأن النبي عليه الصلاة والسلام لما رجع إلى مكة فاتحا كسر الأصنام؛ لأنه قادر ممكن، ولأن الدولة صارت دولة إسلامية، والبلد فتح فما الحجة في تأخير تكسير ثلاثمائة وستين صنما حول الكعبة تعبد من دون الله عز وجل؟ فقد كسرها النبي عليه الصلاة والسلام وهو يتلو قول الله عز وجل: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ [الإسراء:٨١].

أي: ضعيف لا أوتاد له، ولا أساس له.

فلماذا لم يقل المشركون الذين لم يدخلوا في الإسلام بعد في ذلك الوقت: إن فعل محمد وأصحابه بهذه الأصنام يعطي صورة سيئة عن الإسلام، وعن الدين الجديد؟ فمرد هذه الشبهة إلى العلمانيين والملاحدة في هذا البلد، أو في غيره من البلدان.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى الله على نبينا محمد.". <شرح صحيح مسلم - حسن أبو الأشبال ١٤/٦٨>

٤٧٩-" وقالوا : إنه أول من تكلم في الأجرام العلوية والحركات النجومية وأول من بنى الهياكل وعبد الله تعالى فيها وأول من نظر في الطب وألف لأهل زمانه قصائد في البسائط والمركبات وأنذر بالطوفان ورأى أنه آفة سماوية تلحق الأرض فخاف ذهاب العلم فبنى الأهرام التي في صعيد مصر الأعلى وصور فيها جميع الصناعات والآلات ورسم صفات العلوم والكمالات حرصا على تخليدها ثم كان الطوفان وانقرض الناس فلم يبق علم ولا أثر سوى من في السفينة من البشر وذلك مذهب جميع الناس إلا المجوس فإنهم لا يقولون بعموم الطوفان

ثم أخذ يتدرج الاستئناف والإعادة فعاد ما اندرس من العلم إلى ما كان عليه مع الفضل والزيادة فأصبح مؤسس البينان مشيد الأركان لا زال مؤيدا بالملة الإسلامية إلى يوم الحشر والميزان . والله تعالى أعلم . (١ / ١٦٥) ". <أبجد العلوم ١/١٦٤>

٤٨٠-" باشا على اللسان الفارسي يشتمل على النصائح للوزراء والتفسير الفارسي وشرح السنمية وحاشية الوقاية وحاشية شرح العقائد وغير ذلك

توفي سنة خمس وسبعين وثمانمئة

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

للقاضي البيضاوي في الطوالع

أنوار العاشقين

لأحمد تيجان وهو الشيخ أحمد بن الكاتب أخو الشيخ محمد صاحب الكتاب المعروف بالمحمدية ذكر فيه من مبدأ العالم إلى وفاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ما ذكر في التفاسير والأحاديث والاثار الصحية والأحمد المذكور مدفون في مدينة كليبولي

أنوار علوم الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام

للسيد أبي جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي

الأوائل

للعسكري وهو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال العسكري ومن تصانيفه الصناعتين والتلخيص في اللغة وجمهرة الأمثال وشرح الحماسة ولحن الخاصة والأوائل ونوادر الواحد والجمع وتفسير القرآن والدرهم والدينار والاستئناس وغير ذلك

توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمئة

". <أسماء الكتب ص/٦٢>

"٤٨١-

٣١ أمين بن إبراهيم الشميل الكفرشيمي اللبناني

من تلامذة كرنيليوس فنديك وهو الآن سنة ١٨٩٦ م يمارس مهنة الأفوكاتية في مصر القاهرة له مصنفات جليلة منها

١ المبتكر وهو يشتمل على خمس مقامات وست وعشرين قصيدة في الأوهام والآمال والأحلام وفيه شرح سبع درجات حياة الإنسان ولغته طلية جلية لا تكلف فيها وأفكاره عالية ط في بيروت سنة ١٨٦٧ م

٣٢ إلياس ديب مطر

له العقود الدرية في تاريخ المملكة السورية طبعت في بيروت في ١٩٢ صح سنة ١٨٧٤ م وهي تاريخ بر الشام القديم والحديث مع وصف مدنه وجباله

٣٣ طنوس بن يوسف الشدياق الحدثي الماروني اللبناني

والحدث قرية على مسافة ساعة ونصف من بيروت له أخبار الأعيان في جبل لبنان في ثلاثة أقسام القسم الأول جغرافية لبنان القسم الثاني نسبة عشائر المناصب والأعيان من أمراء ومشايخ من الموارنة والدروز والإسلام والمتاولة القسم الثالث أخبار الولاة في لبنان وهم أمراء المردة والتنوخيين والقيسيين والمعنيين وبني سيفا الأكراد والشهابيين والإرسلانيين واللمعيين ابتدأ فيه من سنة مائة بعد الميلاد وانتهى إلى سنة ١٨٥٥ م وقال أنه

". <اكتفاء القنوع ص/٤٢٧>

٤٨٤-"[جزء في الخانقاه] البيبرسية يسمى: حسن النية وبلوغ الأمنية في الخانقاة الركنية (١) . [جزء في الخانقاه الشيخونية (٢) . [جزء في] أخبار أسيوط يسمى المضبوط (٣) . المكنون في ترجمة ذي النون (٤) . تحفة الكرام بأخبار الأهرام (٥) .

---

(١) ١ . ذكره السيوطي، التحدث:١٢١/٢، وفيه: حسن النبة وبلوغ الأمنية في الخانقاه الركنية". وفي الأصل:"والبيبرسية"، وفي(ش)،(ل): "جزء في الخانقاه البيبرسية"، وفي (ظ):"جزء في الخانقاه السوسية يسمى حسن النية وبلوغ الأمنية"، وفي (ظ): "جزء في الخانقاه الشيخونية البيبرسية يسمى حسن النية وبلوغ الدلالة ون الخانقاه الملوكية" والمثبت ما ورد في (هـ) وهي خانقاه بناها الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري سنة ٧٠٦هـ، انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار:٤١٦/٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة:٢٦٥/٢.

(٢) ٢ . لم يذكر في مصادر كتب السيوطي. وفي الأصل: "والشيخونية" والمثبت ما ورد في بقية النسخ.

(٣) ٣ . ذكره السيوطي، التحدث:١١٤/٢،١٦، حسن المحاضرة:٣٤٤/١؛ وحاجي خليفة،كشف الظنون:١٧١٢/٢؛ والبغدادي، هدية العارفين:٥٤٣/١؛ والخازندار، دليل مخطوطات السيوطي:٢٥٠. وفي الأصل:"أخبار أسيوط"، وفي (ل): " جزء في أخبار أسيوط يسمى المربوط" والمثبت ما ورد في بقية النسخ.

(٤) ٤ . ذكره حاجي خليفة،كشف الظنون:١٨١٢/٢؛ والبغدادي، هدية العارفين:٥٤٣/١؛ والخازندار، دليل مخطوطات السيوطي:٢٤٢. وطبع بتحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة،١٩٩٢م، بعنوان: " المكنون في مناقب ذي النون" وفي الأصل: "المكنون". وبعدها في ش:"آخر ما نقلت من خط شيخنا المؤلف، علقه الفقير أحمد الحمصي الأنصاري. الشافعي بالقاهرة بدرب الخرشتف لصيق باب سر البرقوقية في يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة عام ثلاثة وتسع مائة".

(٥) ٥ . ذكره حاجي خليفة،كشف الظنون:٣٧٢/١؛ والبغدادي، هدية العارفين:٥٣٧/١..ومنه عدد من النسخ، انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ق٦(١٠-١١)٦٧٨؛ دليل مخطوطات السيوطي:٢٤٧. وطبعت بدراسة وتحقيق: سامي جاهين، القاهرة، مكتبة ابن سينا، القاهرة،١٩٩٢م.". <رسالة فهرست مؤلفاتي في علوم اللغة السيوطي ص/٦٩>

http://www.almeshkat.net/books/archive/books/touhfa.zip

تحفة الفقهاء – ج ٠٠١ – علاء الدين أبو منصور محمد بن أحمد السمرقندي

.pdf٠١٧٦٩٠/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

تحفة الفقهاء – ج ٠٠٣ – علاء الدين أبو منصور محمد بن أحمد السمرقندي

.pdf٠١٤٦٥٨/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

تحفة القادم – ابن الأبار

-www.al-٠٠١٢١٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=
mostafa.com.pdf

تحفة القراء فيما جري علي العترة النبوية في مسيرها إلى الشام – علي بن حسين الدبيسي

.pdf٠١٤٤٦٣/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

التحفة القلبية في بعض المثلثات اللغويه – القليوبي

.pdf٠٠١٢٩١/gap.phpfile=m٣data/arabic/depot/http://al-mostafa.info

تحفة الكرام مخبر الأهرام – السيوطي

.pdf٠٠١٠٢٢/gap.phpfile=m٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفه – السخاوي

-www.al-٠٠١٥٥٦http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=
mostafa.com.pdf

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتكاليين برتغاليين – زين الدين بن عبدالعزيز بن زين الدين بن علي بن أحمد المعبري – اعتناء شمس الله القادري

.pdf٠٠٢١٨٠/gap.phpfile=i٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

تحفة المجتهدين في أسماء المجددين مخطوط – ابن عباس السيوطي مالك بن إنس

.pdf٠٠٣٢١٠/gap.phpfile=m٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب – الأنصاري

-www.al-٠٠١٤٨٦http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=
mostafa.com.pdf". <فهرس مكتبة المصطفى مع الروابط ١/٣٨٦>

٤٩٥–"قبول الآخر فكر واقتناع وممارسه – ميلاد حنا

.pdf٠٠٣٣٢٤/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم – ارثر كيستلر – أحمد نجيب هاشم

.pdf٠١١٩٨٧/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي ١٨٠٠ - ١٩٥٨ - جون فريديريك وليمسن - مير بصري

.pdf٠٠١٧١١/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

القتال هو الطريق -كمال عدوان - تقديم وتعليق عصام محمد علي عدوان

.pdf٤٩٩http://www.arabicebook.com/FreeBooks/arabicebook_

قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام - محمد منير ادلبي

.pdf٠٠٧٧٦٤/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

القتل بدون مقدم اتعاب - دونالد روس

-www.al-٠٠٧٠٢٩/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot
mostafa.com-src-www.liilas.com.pdf

القدر - جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض الفريابي

-www.al-٠٠٠١٤١http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=
mostafa.com.pdf

القدر في ضوء الكتاب والبيئه - محمد فتح الله كولن - إحسان قاسم الصالحي

.pdf٠٠١١٥٠/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

القدر وما ورد في ذلك من الآثار - عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي

-www.al-٠٠٠١٤٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=
mostafa.com.pdf

القدرات العقلية خصائصها وقياسها - إبراهيم وجية محمود

.pdf٠٠٠٥٠٦/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

القدس - عبدالحميد الكاتب

.pdf٠١١٩١٩/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

القدس - مكتبة الأهرام للبحث العلمي

.pdf٠١٨٩٧٠/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

القدس - هنري كتن - إبراهيم الراهب". <فهرس مكتبة المصطفى مع الروابط ٣/١٦٣>

٤٩٦-"http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=٢.pdf٠١٥١٤٢

مآثر الانافة في معالم الخلافه - ج ٠٠٣ - أحمد بن علي بن أحمد الفرازي القلقشندي - عبدالستار أحمد فراج

.pdf٠٠٢١٥٥/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

ماثيماتيكا الرياضيات باستخدام الكومبيوتر - رأفت رياض رزق الله

.pdf٠٠١٦٧٤/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

ماجدولين أو تحت ظلال الزيزفون - ألفونس كار - المنفلوطي كار

.pdf٠١٣٦١٨/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

مادحة أهل الغيب مادحة الغيب مخطوط -

.pdf٠٠٣٤٥٨/gap.phpfile=m٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المادي - النصرية لمشاهير العلوم الأزهريه - نصر الحويحي الشافعي

.pdf٠٠٠٨٦٦/gap.phpfile=i٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المادية الإسلامية وأبعادها - عبدالمنعم محمد خلاف

.pdf٠١٦١٣٥/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المادية والثورة دراسات فلسفيه - جان بول سارتر

.pdf٠٠٩٨٦٨/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المادية والليبراليه - هاني المرعشلي

.pdf٠٠٧٢١٧/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد - محمد عمارة

.pdf٠٠٩١٩٠/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

ماذا بعد عاصفة الخليج رؤية عالمية لمستقبل الشرق الأوسط - مركز الأهرام للترجمة والنشر - مصر

.pdf٠٠٤٧١٤/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - ابو الحسن الندوي

-www.al-٠٠١٢٠٨http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=
mostafa.com.pdf

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - ابو الحسن الندوي

."pdf٠٠٦٣http://al-mostafa.info/data/arabic/gap.phpfile=nc/other/ <فهرس مكتبة المصطفى مع الروابط ٣/٢٩٥>

٤٩٧-"متون الأهرام - جمال الغيطاني

.pdf٠٠٩٥٧٧/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المتون والشروح والحواشي والتقريرات في التأليف النحوي - عبدالله بن عويقل السلمي

http://www.almeshkat.net/books/archive/books/altalef alnhawi.zip

متى تقوم الساعه - مصطفى مراد صبحي

.pdf٠١٨٥٠٥/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

متى ينتصر المسلمون - عبدالعزيز بن عبدالرحمن المسند

.pdf٠١٧٦٢٧/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المثال الشارح مدخل لتعليم التفلسف - محمد سعيد أحمد زيدان - حليم فريد تادرس

.pdf٠٠٨٧٥٢/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المثقف والسلطة دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر - محمد الشيخ

.pdf٠٠٨٣٠٩/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المثقفون العرب وإسرائيل - جلال أمين

.pdf٠١٨٨٩٦/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المثقفون في السياسة والمجتمع نموذج الأطباء في سورية من أواخر القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين - عبدالله حنا

.pdf٠١٥٢٣٥/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المثل الأعلى في الأنبياء - خوجة كمال الدين - امين محمود الشريف

.pdf٠١٦٧٨٧/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المثل الأعلى للشباب المسلم - أنور الجندي

.pdf٠١٩٩١٤/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر - ابن الأثير

http://www.almeshkat.net/books/archive/books/almathal alsaeer.zip

مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - ليلي حسن سعدالدين

.pdf٠١٥٣٤٢/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ابن الأثير ضياء الدين". <فهرس مكتبة المصطفى مع الروابط ٣/٣٠٦>

٤٩٨-"مشروع موسوعة الحديث النبوي الشريف ورجالة الدليل التصنيفي - همام عبدالرحيم سعيد

.pdf٠١٢١٠١/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

مشروع هضبة الأهرام أخطر اعتداء علي مصر - نعمات أحمد فؤاد

.pdf٠٠٦٤١٧/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

مشروعية الجهاد الجماعي نسخة معدلة - عبدالرحمن بن عبدالخالق

.zip٢٤http://www.salafi.net/zip/book

مشروعية الجهاد الجماعي نسخة معدلة - عبدالرحمن بن عبدالخالق

.zip٢٤http://www.salafi.net/zip/book

مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية وقبول الولايات العامة في ظل الأنظمة المعاصرة - عبدالرحمن بن عبدالخالق

.zip١١http://www.salafi.net/zip/book

المشعوذون – هاري وبستر

.pdf٠١٦٦٧٤/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

مشكاة الأنوار – ابو حامد الغزالي – ابو العلا عفيفي

.pdf٠٠٩٥٢٧/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

مشكاة الأنوار – ابو حامد الغزالي
http://al-mostafa.info/data/arabic/gap.phpfile=nc/mishkat-kurdi.pdf
مشكاة الأنوار – ابو حامد الغزالي
http://www.almeshkat.net/books/archive/books/meshkat alanwar.zip
مشكاة الأنوار في لطائف الأخبار للتحديد إلى سنن السيد المختار مشكاة الأنوار الكبير مخطوط – الغزالي علاء الدين علي بن محمد المصري

.pdf٠٠٢٢٣٣/gap.phpfile=m٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

مشكاة الصلاه – صلاح الدين محمد إلياس البرني القادري الفاروقي

.pdf٠٠١٩٩٧/gap.phpfile=i٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

مشكاة المصابيح – محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي – مراجعة الألباني

-www.al-٠٠٠٥٥٧http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=
mostafa.com.pdf
المشكاة فيم يصح ولا يصح في الصلاه – ابو عبدالرحمن القاضي". <فهرس مكتبة المصطفى مع الروابط ٣/٤٤١>

٤٩٩–"الملف الوثائقي للمشير محمد عبدالحليم أبو غزاله – ج ٠٠١ – مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم

.pdf٠٠٩٨٧٦/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الملف الوثائقي للمشير محمد عبدالحليم أبو غزاله – ج ٠٠٢ – مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم

.pdf٠٠٥٢٨٢/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الملف الوثائقي للمغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود – ج ٠٠٣ – مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم

.pdf٠٠٩٣٥٤/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الملف الوثائقي للمغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود – ج ٠٠٦ – مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم

.pdf٠١٢٢٦٩/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الملف الوثائقي للمغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود – ج ٠٠٧ – مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم

.pdf٠١٠٨٠١/gap.phpfile=٢depot/http://al-mostafa.info/data/arabic

الملف الوثائقي للمغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود – ج ٠٠٩ – مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم

.pdf٠٠١٦٠٥/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الملف الوثائقي للمغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود - ج ٠١٠ - مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم

.pdf٠٠٢٧٠٧/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الملفات السرية للحكام العرب - ساندرا مكي - عادل عبدالصبور

.pdf٠١٠١٠٢/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

ملفات المعارضة الدولية المعارضة السورية كما لم تتحدث من قبل - تمام البرازي

.pdf٠٠٢٥٨٩/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الملك ابن سعود والجزيرة العربيه - فان درمولين - ويسي اي سي درمولين

.pdf٠١٩٥٩٤/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الملك أحمد فؤاد الثاني الملك الأخير وعرش مصر - عادل حمودة". <فهرس مكتبة المصطفى مع الروابط ٣٦/٤>

٥٠٢-" تواريخ مصر

منها : أخبار خططها

فأول من صنف فيها - على ما قاله المقريزي - : أبو عمر : محمد بن يوسف الكندي

المتوفى : سنة ست وأربعين ومائتين

ثم كتب القضاعي

وسماه : (المختار)

فدثر ما ذكراه ولم يبق إلا لمع بما حل بمصر من سني الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين وأربعمائة إلى أربع وستين من الغلاء والوباء فمات أهلها وخربت ديارها

ثم جمع : تلميذه أبو عبد الله : محمد بن بركات النحوي

المتوفى : سنة عشرين وخمسمائة

ثم كتب : الجواني

وسماه : (النقط لمعجم ما أشكل من الخطط)

فنبه فيه : على معالم قد جهلت

وسيأتي ذكرها

ثم كتب : ابن المتوج

وسماه : (اتعاظ المتأمل)

فبين : أحوالها إلى سنة بضع وعشرين وسبعمائة وقد دثر بعده معظم ذلك

ثم كتب : ابن عبد الظاهر أيضا

وسماه : (الروضة البهية الزاهرة)

وسيأتي

ثم صنف : المقريزي

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)

فأوعب وأجاد

وسيأتي أيضا

ومنها : (تاريخ ملوكها)

للشيخ تقي الدين : أحمد بن عبد القادر المقريزي المذكور

المتوفى : سنة ٨٤٥ ، خمس وأربعين وثمانمائة

وهو : تاريخ كبير مقفى

في تراجم : أهل مصر والواردين إليها

قال صاحب (النجوم الزاهرة) : لو كمل هذا التاريخ على ما اختاره لجاوز الثمانين مجلدا

وله : (عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط)

يأتي

و (اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء)

وهما : يشتملان على ذكر من ملك مصر وما كان في أيامهم من : الحوادث منذ : فتحت إلى أن : زالت الدولة الفاطمية

وألف : (السلوك لمعرفة دول الملوك)

في ذكر من ملك بعدهم من : الأكراد والأتراك والجراكسة وما وقع في أيامهم

وذيل السلوك : المسمى : (بحوادث الدهور)

لتلميذه الأمير جمال الدين : يوسف بن تغري بردي

المتوفى : سنة ٨٧٤ ، أربع وسبعين وثمانمائة

وله : (النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة)

وهو كبير جدا

يأتي كلها

ومنها : (تاريخ مصر)

لعز الملك : محمد بن عبيد الله المسبحي الحراني

المتوفى : سنة ٤٢٠ ، عشرين وأربعمائة

وهو كبير

في اثني عشر مجلدا

واختصره : تقي الدين الفاسي

والذيل عليه :

لابن الميسر

و (تاريخ مصر)

لجمال الدين : علي بن يوسف القفطي الوزير

المتوفى : سنة ست وأربعين وستمائة

ولقطب الدين : عبد الكريم بن محمد بن عبد النور بن المنير الحلبي

المتوفى : سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

في بضع عشر مجلدا

ولم يكمله

و (تاريخ مصر)

لمحمد بن عبد الحكم هو : محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري الشافعي

المتوفى : سنة ٢٦٨

و (تاريخ مصر)

لابن أبي طي : يحيى بن حميد الحلبي

المتوفى : سنة ثلاثين وستمائة

ومنها تاريخان :

لابن يونس : عبد الرحمن بن أحمد الصدفي

المتوفى : سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

أحدهما : وهو كبير لأهل مصر

والآخر : وهو صغير للغرباء الواردين إليها

و (الذيل عليهما)

لأبي القاسم : يحيى بن علي الحضرمي ابن الطحال

المتوفى : سنة ست عشرة وأربعمائة

وذيله أيضا :

الحسين بن إبراهيم بن زولاق

المتوفى : سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

وله : (كتاب الخطط)

استقصى فيه : أخبار مصر

وذكره ابن خلكان ولم يذكره المقريزي

و (تاريخ أعيان مصر)

لعلي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المنجم

المتوفى : سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

ومنها : (١ / ٣٠٦) (الرسالة المصرية)

لأبي الصلت : أمية بن عبد العزيز الأندلسي

المتوفى : سنة تسع وعشرين وخمسمائة

ذكر فيها : من اجتمع بهم من أهل مصر وما شاهده من آثارها

ومنها : (كشف الممالك)

لابن شاهين

وقال في المجلد الثاني من (كشف الممالك) : هو تأليف : خليل بن شاهين الظاهري

ومختصره المسمى : (بالزبدة)

و (سجع الهديل في أخبار النيل)

للتيفاشي

و (عقود الجواهر فيمن ولي بمصر)

لابن دانيال

و (نزهة الناظرين)

مختصر : في أخبار ملوكها

و (نزهة المقلتين في أخبار الدولتين : الفاطمية والصلاحية)

يأتي كل منها : في محالها

ومنها : (الانتصار لواسطة عقد الأمصار)

لابن دقماق صارم الدين : إبراهيم بن محمد

المتوفى : سنة تسع وثمانمائة

ومنتخبه المسمى : (بالدرة المضية في فضل مصر والإسكندرية)

و (أخبار مصر)

للموفق البغدادي

و (أشرف الطرف)

لابن مرزوق

و (الإنصاف بالدليل في أوصاف النيل)

لابن الدريهم

سبق كلها

ومنها : (النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية)

و (تفريج الكربة لدفع الطلبة)

لابن أبي السرور

و (فرائد السلوك في الخلفاء والملوك)

للباعوني

وذيله : (الإشارة الوفية)

لابن أخيه

و (بدائع الزهور في وقائع الدهور)

لابن إياس

و (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة)

للسيوطي

و (تحفة الكرام بأخبار الأهرام)

له : أيضا

و (در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة)

له أيضا

لخصه من : (كتاب محمد بن ربيع الجيزي)

وزاد عليه

كلها يأتي أيضا

ومنها : (الإعلام بمن ولي بمصر في الإسلام)

للحافظ : ابن حجر

و (تواريخ قضاة مصر)

سبق ذكر كلها

ومنها : (تاريخ القاهرة)

لأبي الحسن الكاتب

و (تاريخ مصر)

تركي

لصالح بن جلال الرومي

المتوفى : سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة

و (تاريخ مصر)

لإبراهيم بن وصيف شاه

ذكر فيه : الخليفة والأنبياء ثم إقليم مصر وعجائبها

أوله : (الحمد لله الذي أنشأ جميع الموجودات من العدم . . . الخ)

وله : تاريخ آخر مختصر

سماه : (جواهر البحور ووقائع الدهور)

ومن تواريخ مصر :

تاريخ سيوط والإسكندرية وأسوان وتواريخ الصعيد . . . وغير ذلك مما شذ عن إحاطة قلم الفقير ولا ينبئك مثل خبير ".
<كشف الظنون ١/٣٠٤>

٥٠٣-" تحفة الكرام بأخبار الأهرام

للشيخ جلال الدين : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

المتوفى : سنة ٩١١ ، إحدى عشرة وتسعمائة ". <كشف الظنون ١/٣٧٢>

٥٠٤-" حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

لجلال الدين : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

المتوفى : سنة ٩١١ ، إحدى عشرة وتسعمائة

ذكر فيه ثمانية وعشرين كتابا من

الكتب المؤلفة في أخبار مصر فلخصها وأورد ملوكها ومن دخلها من الأنبياء عليهم السلام والحكماء ثم ذكر الأهرام والإسكندرية ومن دخلها من الصحابة والتابعين ثم ذكر أعيانها من كل صنف ثم ملوك مصر ونوابها في الدولة الإسلامية وعساكرهم

وما فيها من الجوامع والمدارس والنيل وما قيل فيها من الأشعار ". <كشف الظنون ١/٦٦٧>

٥٠٥-" نشق الأزهار في عجائب الأقطار

لمحمد بن إياس الحنفي

المتوفى : سنة ٩٣٠

أخذه من : (تواريخ الأمم)
وذكر فيه : أغرب ما سمعه وأعجب ما رآه من عجائب مصر وأعمالها وما صنعت الحكماء فيها
وذكر : طرفا يسيرا من ملوكها القدماء ومن أخبار النيل والأهرام
وابتدأ فيه : بذكر طرف يسير من أخبار الفلك وعلم الهيئة ". <كشف الظنون ٢/١٩٥٣>

٥١٠-"وحكى الوصيفي في كتابه الذي ألفه في أخبار مصر أن أهلها في الزمن السابق كانوا يعتقدون أن هذا العالم، الذي هو عالم الكون والفساد أقام برهة من الدهر خاليا من نوع الإنسان، وأن تلك الأنواع مختلفة على خلق فاذة، وهيئات شاذة، ثم حدث نوع الإنسان فنازع تلك الأنواع فغلبها واستولى عليها، وأفنى أكثرها قتلا، وشرد ما بقي منها إلى القفار، وأن تلك المشردة هي الغيلان والسعالي وغير ذلك، مما حكاه من اعتقاداتهم المستحيلة، وتصوراتهم الفاسدة، وتوهماتهم النافرة. إلا أنه يظهر من أمرهم أنه كان فيهم طائفة من ذوي المعرف والعلوم، خصوصا بعلم الهندسة والنجوم. ويدل على ذلك ما خلفوه من الأشغال البديع المعجزة، كالأهرام والبرابي، فإنها من الآثار التي حيرت الأذهان [الثاقبة، واستعجزت الأفكار الراجحة]، وتركت لها شغلا بالتعجب منها، والتفكر فيها. وفي مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري في قصيدته التي يرثي بها أباه: تضل العقول الهبرزيات رشدها ولا يسلم الرأي القويم من الأفن
وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسنا عدوه من صنع الجن
وأي شيء أعجب وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته، من القدرة على بناء جسم [جسيم] من أعظم الحجارة، مربع القاعدة مخروط الشكل، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع ونحو سبعة عشر ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساوية الأضلاع، طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا وهو مع هذا العظم، من إحكام الصنعة وإتقانها، في غاية من حسن التقدير بحيث لم يتأثر إلى هلم جرا بعصف الرياح وهطل السحاب، وزعزعة الزلازل. وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي، على ما شاهدناه منهما.
". <نوادر المخطوطات />

٥١١-"نوادر المخطوطات عبد السلام هارون الصفحة : ٧
واتفق أن خرجنا يوما إليهما،فلما أطفنا بهما واستدرنا حولهما كثر تعجبا منهما، فتعاطينا القول فيهما، فقال بعضنا:
بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا على طول ما أبصرت من هرمي مصر
أنافا عنانا للسماء وأشرفا عل الجو إشراف السماء أو النسر
وقد وافيا نشزا من الأرض عاليا كأنهما نهدان قاما على صدر
وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام، آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم، كما تميزوا عنهم في حياتهم، وتوخوا

أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهر، وتراخي العصور.
ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر بنقبها، فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد، وعناء طويل، فوجدوا داخله مهاوي ومراقي يهول أمرها، ويعسر السلوك فيها، ووجدوا في أعلاها بيتا مكعبا، طول كل من أضلاعه نحو من ثمانية أذراع، وفي وسطه حوض رخام مطبق، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية، قد أتت عليها العصور الخالية، فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه. ويقال: إن النفقة على نقبه كانت عظيمة، والمؤونة شديدة.
". <نوادر المخطوطات />

٥١٢-"ومن الناس من زعم أن هرمس الأول، المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة،وهو الذي يسميه العبرانيون خنوع بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو إدريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعم الأرض، فأكثر من بنيان الأهرام، وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يشفق عليه من الذهاب والدروس، حفظا لها، واحتياطا عليها. ويقال: إن الذي بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق. وقال آخرون: إن الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد، لرؤيا رآها. والقبط تنكر دخول العمالقة بلد مصر، وتحقق أن بانيهما سوريد، لرؤيا رآها، وهي أن آفة تنزل من السماء، وهي الطوفان. وقالوا إنه بناهما في مدة ستة أشهر، وغشاهما بالديباج الملون، وكتب عليهما: "قد بنيناهما في ستة أشهر، قل لمن يأتي من بعدنا يهدمهما في ستمائة سنة، فالهدم أيسر من البنيان، وكسوناهما الديباج الملون فليكسوهما حصرا، فالحصر أهون من الديباج".
ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاها إلى أسفلها بسطور متضايقة متوازية، من كتابة بانيها، لا تعرف اليوم أحرفها،ولا تفهم معانيها. وبالجملة الأمر فيها عجيب، حتى إن غاية الوصف لها والإغراق في العبارة عن حقيقة الموصوف منها، بخلاف ماقاله على بن العباس الرومي، وإن تباعد الموصوفان،وتباين المقصودان، إذ يقول: إذا ماوصفت أمرأ لامرئ فلا تغل في وصفه واقتصد
فإنك إن تغلو تغلو الظنو ن فيه إلى الغرض الأبعد
فيصغر من حيث عظمته لفضل المغيب على المشهد
وكذلك أمر البرابي، كبربا إخيم، وبربا سمنود، وبربا دندرا، فإن فيها من الإحكام وجودة الشكل وحسن التصوير، ما يدل على أن عمارها ذوو عقول راجحة، وأنه قد كانت لهم بالحكمة عناية بالغة، لاسيما بصناعة الهندسة والنجوم.
". <نوادر المخطوطات />

٥١٣-"الإعتضاء في دعاء الأعضاء. أعيان الأعيان. علام النصر في مسألة البروز على النهر. إغانة المستغيث في حل بعض إشكالات الحديث. الأسفار عن قلم الأظفار.الأس في من رأس في الكس من المطايبات. لإفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه. الافتراض في رد الاعتراض. الإفصاح في أسماء النكاح. الإفصاح بزوائد القاموس على الصحاح. الاقتراح في أصول النحو. الإفصاح على تلخيص المفتاح. الاقتناص في مسألة التملص. آكام العقيان في أحكام الخصيان. الإكليل

في استنباطك التنزيل. إلقام الحجر لمن زكي سباب أبي بكر وعمر. الإلماع في الأتباع. الوية النصر في خصيص بالقصر. آمالي على الدرة الفاخرة. آمالي على القرآن. آمالي المطلقة. الأناقة في رتبة الخلافة. أنباء الأذكياء لحياة الأنبياء. الانتصار بالواحد القهار. إنجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد. أنشاب الكتب في أنساب الكتب. الأنصاف في تمييز الأوقاف. أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب. أنوار الحلك في لعكان رؤية النبي والملك. الأوج في خبر عوج. الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء. الأنوار السنية في تاريخ الخلفاء والملوك بمصر السنية. الباحة في السباحة. البارع في إقطاع الشارع. البارق في قطع يد السارق. الباهر في حكم النبي صلعم في الباطن والظاهر. بدائع الزهور في وقايع الدهور. البدر الذي إنجلي في مسألة الولا. البدور السافرة في أمور الآخرة. البحر الذي زخر في شرح نظم الدرر. بذل المسجد في سؤال المسجد. بذل المجهود لخزانة محمود. بذل الهمة في طلب براءة الذمة. برد الظلال في تكرار السؤال. البرق الوامض في يائية ابن الفارض. بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للضلال. بسط الكف في إتمام الصف. بشرى الكئيب بلقاء الحبيب. بغية الرائد في الذيل على مجمع الزوائد. بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة. بلبل الروضة مقامة. البرهان في علامة مهدي آخر الزمان. بشرى العبس في حكم البيع والديور والكنائس. بلغة المحتاج في مناسك الحاجز بلوغ المأمول في خدمة الرسول. بما رواه الواعون في أخبار الطاعون. البهجة المضية في شرح الألفية لابن مالك. بهجة الناظر ونزهة الخاطر. تأخير الظلامة إلى يوم القيامة. تاريخ الخلفاء. تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية. التبر الذائب في الأفراد والغرائب. التبري من معرة المعري. تبييض الصحيفة بمناقب الإمام أبي حنيفة. التثبيت عند التبييت. التحبير في علوم التفسير. تجريد العناية في تخريج أحاديث الكفاية. التحدث بنعم الله تعالى. تحذير الخواص من أكاذيب القصاص التحرير شرح الأعمى والبصير على الألفية. تحرير المنقول وتهذيب الأصول. تحفة الآثار في الأدعية والأذكار. تحفة الأبرار بنكت الأذكار. تحفة الإيجاب بمسألة السنجاب. تحفة الآثار في الأدعية والأذكار. تحفة الجلساء برؤية الله تعالى للنساء. تحفة الحبيب بنجاة مغنى اللبيب. تحفة الثابه في تلخيص المتشابه. تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء. تحفة القريب في الكلام على مغنى اللبيب. تحفة الكرام بأخبار الأهرام. تحفة المذاكر المنتخب من تاريخ ابن عساكر. تحفة المهتدين بأسماء المجددين. تحفة الناسك بنكت المناسك. التحفة الظريفة في السيرة الشريفة. تحفة النجبا في قولهم هذا بسرا أطيب منه رطبا. التخبير في علوم التفسير. تخريج أحاديث المواقف في الكلام. تدريب الراوي في شرح تقريب النووي. تذكرة في العربية. تذكرة المؤتسي بمن حدث ونسي. التذنيب في الزوائد على التقريب. التذييل والتذنيب على نهاية الغريب. ترجمان القرآن. ترجمة النووي والبلقيني. تزيين الأرائك في إرسال نبينا إلى الملائك. تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك. الترصيف على شرح التصريف. تسمية الأشياء. تسميط. تشنيف الأسماع بأحكام السماع. تشنيف السمع بتعديد السبع. تشييد الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان. التصحيح لصلاة التسابيح. التضلع بمعنى التقنع. الظريف في التصحيف. تعريف الأعجم بحروف المعجم. التعريف بآداب التأليف. تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المئة. التعظيم والمنة في أن أبوي النبي صلعم في الجنة. التعلل والإطفاء لنار لا تطفي. تعليقة على سنن الكبيرة. تعليقة المنيفة على مسند أبي حنيفة. تعليق الشص في حلق اللص. تفسير الجلالين في النصف الأخير. تفسير الفاتحة. تقريب القريب في الحديث. تقرير الإسناد في". <هدية العارفين ١/٢٧٩>

٥١٤-"العيدروسي: محيي الدين عبد القادر بن شيخ ابن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروسي أبو بكر اليمني الحضرمي ثم الهندي ولد سنة ٩٨٧ وتوفي سنة ١٠٣٨. من تصانيفه. إتحاف إخوان الصفا بشرح تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء إتحاف الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزة. إرشاد الغني والفقير إلى فضل التقشف والرضا باليسير. أسباب النجاة والنجاح في أذكار المساء والصباح. أنموذج اللطيف في أهل بدر الشريف. بغية المستفيد بشرح تحفة المريد. تعريف الأحباء بفضائل الأحياء. جواهر الأحياء وإمدادات الأولياء. الجوهر المتلألئ في كلام الشيخ عبد الله في الغزالي. حدائق الخضرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة. الحواشي الرشيقة على العروة الوثيقة. خدمة السادة بني العلوي باختصار العقد النبوي. الدر الثمين في بيان المبهم من الدين. الروض الأريض والفيض المستفيض في ديوان شعره. الزهر الباسم من روض. صدق الوفاء بحق الإخاء. عقد اللآل بفضائل الآل. غاية القرب في شرح نهاية الطلب. فتح الله الجواد بشرح عذبتني بالمطل منها سعاد. الفتح القدسي في تفسير آية الكرسي الفتوحات القدسية في الخرقة العيدروسية. قرة العين في مناقب الولي عمر بن محمد با حسين. المنتخب المصفي في أخبار مولد المصطفى صلعم. منح الباري بختم البخاري. المنهاج إلى معرفة المعراج. النفخة العثبرية يف شرح البيتين العدنية. النور السافر عن أخبار القرن العاشر. صفوة الصفوة في بيان حكم القهوة. الروض الناضر فيمن اسمه عبد القادر.

القادري: الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد الرزاق بن السيد عقيلة القادري المتوفى في حدود سنة ١٠٤٠ أربعين وألف له إيقاع الاستماع لجواز الاستماع صنفه سنة ١٠٣٤.

ابن قضيب ألبان: عبد القادر بن محمد محيي الدين السيد أبو الفيض نقيب حلب المعروف بابن قضيب ألبان الصوفي الأديب ولد سنة ٩٧١ وتوفي بحلب سنة ١٠٤٠ من تصانيفه تائية عارض بها تائية ابن الفارض. حديقة اللآل في وصف الآل. ذات العماد في أخبار أم البلاد. شرح أسماء الله الحسنى. شعائر المشاعر في ديوان شعره. عقيدة أرباب الخواص. الفتوحات المدنية. الكواكب الضوئية في شرح أحاديث النبوية. المقاصد القصائد البائية. المواقف الإلهية. ناقوس الطباع في أسرار السماع. نفحة ألبان. نهج السعادة في التصوف وغير ذلك.

وهبي يماني: عبد القادر بن عثمان المتخلص بوهبي وأيضا بقدري من أهل بيغا من بلاد الروم قطن مصر ثم سافر إلى اليمن صنف. تفسير القرآن بالتركية ثلاث مجلدات سماه بالمجلد الأول تفسير القرآن وتنوير العرفان وفي الثالث تنزيل الفرقان. ملستان العشاق وبستان المشتاق. كنج معاني وكنز نهائي لوهبي يماني وهو شرح المثنوي فرغ منها سنة ١٠٤٠. ترجمة الجامع الصغير موجود في الحمدية. شرح الدردرية فرغ منها سنة ١٠٦٥ موجود في مكتبة عاشر أفندي.

قدري جلبي: عبد القادر بن عبد الله العينتابي الكاتب المعروف بقدري جلبي متولي الأوقاف المتوفى سنة ١٠٨٢ له ديوان شعره تركي.

ابن ميمي البصري: عبد القادر بن أحمد بن علي ابن ميمي البصري الحنفي المتوفى سنة ١٠٨٥ صنف حاشية على تلويح التفتازاني. رسالة في التصريف. رسالة في العروض. رسالة في المنطق. وري الزند في الجزر والمد. يتيمة العصر في المد والجزر.

نقيب زاده: عبد القادر بن يوسف بن سنان بن الشيخ محمد الحلبي المعروف بنقيب زاده القاضي بعسكر روم أيلي المتخلص بقدري ولد سنة ١٠١٤ وتوفي سنة ١٠٨٥ صنف الفتاوى ويسمى أيضا واقعات المفتين مطبوع بمصر في مجلد.

البغدادي: عبد القادر بن عمر البغدادي ثم المصري الأديب اللغوي ولد سنة ١٠٣٠ وتوفي سنة ١٠٩٣ له حاشية على شرح قصيدة بانت سعاد. شرح الشاهدي في اللغة الفارسية. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب في شرح شواهد شرح الألفية الكافية لرضي الدين الأستراباذي يف أربع مجلدات مطبوع بمصر. شرح شواهد مغني اللبيب. شرح الكعبية. مقصد المرام في عجايب الأهرام. وغير ذلك.

ابن عبد الهادي: عبد القادر بن بهاء الدين بن نبهان ابن جلال الدين الدمشقي المعروف بابن عبد الهادي الشافعي الأديب توفي سنة ١١٠٠ صنف اختصار همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي. شرح إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة. شرح رسالة الوضعية لابن هشام.". <هدية العارفين ٣١٨/١>

٥١٥-"ابن النجار: محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله ابن محاسن الحافظ محب الدين أبو عبد الله البغدادي المعروف بابن النجار الأديب المؤرخ الشافعي ولد سنة ٥٧٨ وتوفي سنة ٦٤٣ ثلاث وأربعين وستمائة. صنف من الكتب أخبار المشتاق إلى أخبار العشاق. الأزهار في أنواع الأشعار. إظهار نعمة الإسلام وإشهار نقمة الأجرام منظومة سينية في حكام اعل الذمة. أنساب المحدثين. تاريخ مدينة الإسلام في الذيل على تاريخ الخطيب في ثلاثمائة جزء. جنة الناظرين في معرفة التابعين. الدرة الثمينة في أخبار المدينة. ذيل تاريخ ابن ماكولا. روضة الأوليا في مسجد ايليا. الزهر في محاسن شعر أهل العصر. سلوة الوحيد. الشافي في الطب. شرح حرز الأماني للشاطبي. شرح المفصل للزمخشير. العقد القائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق. العوالي في الحديث. عيون الفوائد سنة أسفار. غرر الفوائد. القمر المنير في المسند الكبير ذكر فيه كل صحابي وماله من الحديث. الكمال في معرفة الرجال. كنز الأنام في معرفة السنن والأحكام. المتفق والمفترق. المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال ذيل به تاريخ ابن ماكولا. معجم الشيوخ. مناقب الإمام الشافعي. نزهة الطرف في أخبار أهل الظرف. نزهة الورى في أخبار أم القرى وغير ذلك.

الدمشقي: محمد بن عب الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي ضياء الدين الحافظ أبو عبد الله المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ولد سنة ٥٦٩ وتوفي سنة ٦٤٣ ثلاث وأربعين وستمائة. من تصانيفه أحاديث الحروف والصوت. الأحكام في الفقه. الإرشاد في بيان ما أشكل من المرسل في الإسناد. الاستدلال على مشايخ النيل لابن عساكر. أطراف الموضوعات لابن الحوزي. الأمر باتباع السنن واجتناب البدع. تحريم الغيبة. الحكايات المستطرقة. دلائل النبوة. والإلهيات. سير المقادسة مجلدات. شفاء العليل. صفة أهل الجنة والنار. طرق حديث الحوض النوي. فضائل أعمال مجلد. فضائل الجهاد. فضائل الشام ثلاث مجلدات. فضائل القرآن مجلد. فوائد سمو المختار في الحديث. كتاب الأمراض والكفارات والطب والرقيات. المختارة في الحديث تسعين جزأ. مسند فضالة بن عبيد. مناقب أصحاب الحديث. موافقات الأئمة الخمسة الحفاظ. النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الأثم والعقاب رضوان الله عليهم وغير ذلك.

الأخسيكثي: محمد بن محمد بن عمر حسام الدين الأخسيكثي " بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وكسر السين المهملة وفتح الكاف والثاء المثلثة من بلاد فرغانة " الفقيه الحنيف المتوفى سنة ٦٤٤ أربع وأربعين وستمائة. من تصانيفه المنتخب في أصول لمذهب مشهور عند العلماء.

الأدريسي: محمد بن عبد العزيز الأدريسي الشريف جمال الدين الغاوي ولد سنة ٥٦٨ وتوفي سنة ٦٤٥ خمس وأربعين وستمائة بمصر. من تصانيفه أنوار علوم العلام في الكشف عن أسرار الأهرام المفيد في أخبار صعيد.

الصعيدي: محمد بن محمد بن علي بن همام الدين الصعيدي تقي الدين أبو الفتح المصري الشافعي المتوفى سنة ٦٤٥ خمس وأربعين وستمائة. له سلاح المؤمن في الأدعية والأذكار.

الخونجي: محمد بن ناماور ويقال ماماء ورد بن عبد الملك افضل الدين أبو عبد الله الشافعي القاضي بمصر ولد سنة ٥٩٠ وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٦ ست وأربعين وستمائة.له من الكتب أدوار الحميات في الطب. الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق. شرح مقالة ابن سينا في النبض. كشف الأسرار عن غوامض الأفكار في المنطق. مقالة في الحدود والرسوم. الموجز في المنطق وغير ذلك.

شمس التبريزي: شمس الدين محمد بن علي بن ملك داد التبريزي الصوفي المتخلص بشمس صاحب جلال الدين الرومي المتوفى سنة ٦٥٤ خمس وأربعين وستمائة. له ديوان شعره فارسي.

الأزدي: الحافظ أبو عبد الله محمد بن عتيق بن علي التجبي الغرناطي المعروف بالأزدي ولد سنة ٥٦٣ وتوفي في حدود سنة ٦٤٦ ست وأربعين وستمائة. صنف أنوار المصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح. الدرر المكللة في الفرق بين الحروف المشكلة. المسالك النورية في العلامات الصوفية. مطالع الأنوار في شمائل المختار. منهاج العلل في صناعة الجدل. النكت الكافية في الاستدلال على مسائل الخلافية.". <هدية العارفين ٢/١٠>

"ملس منبقة البناء شواهق ... قصرت لغال دونهن سهام

لم أدر حين كبا التفكر دونها ... واستوهمت لعجيبها الأوهام

أقبور أملاك الأعاجم هن أم ... طلسم رمل كن أم أعلام

وزعم بعضهم أن الأهرام بمصر قبور ملوك عظام بها، آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم، كما تميزوا عنهم في حياتهم، وأرادوا أن يبقى ذكرهم بسبب ذلك على تطاول الدهور.

وذكر محمد بن العربي الملقب بمحيي الدين: ان القوم كانوا على دين التناسخ، فاتخذوا الأهرام علامة لعلهم عرفوا مدة ذهابهم ومجيئهم إلى الدنيا بعلامة ذلك.

ومن الناس من يزعم أن هرمس الأول الذي يسميه اليونانيون أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم، عليه السلام، وهو ادريس، علم بطوفان نوح إما بالوحي أو بالاستدلال على ذلك من أحوال الكواكب، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم إشفاقا عليها من الدروس، واحتياطا عليها وحفظا لها.

ومن عجائب مصر أبو الهول. وهو صورة آدمي عظيمة مصنعة، وقد غطى الرمل أكثره. يقال: انه طلسم للرمل لئلا يغلب على كورة الجيزة، فإن الرمال هناك كثيرة شمالية متكاثفة، فإذا انتهت إليها لا تتعداه، والمرتفع من الرمل رأسه وكتفاه. وهو

عظيم جدا، وصورته مليحة كأن الصانع الآن فرغ منه. وقد ذكر من رأى أن نسرا عشش في أذنه وهو مصبوغ بالحمرة؛ قال ظافر الإسكندري:

تأمل بنية الهرمين وانظر ... وبينهما أبو الهول العجيب

كمثل عمارتين على رحيل ... لمحبوبين بينهما رقيب

وماء النيل تحتهما دموع ... وصوت الريح عندهما نحيب." <آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٢٦٩>

"وقال حياة النفس في الحكمة. وقال اجتنبوا مصاحبة الأشرار. وقال لا تحسدوا الناس على مواتاة الخط فإن استمتاعهم به قليل. وقال من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء. قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل الهرامسة ثلاثة أولهم هرمس الذي كان قبل الطوفان ومعني هرمس لقي كما يقال قيصر وكسرى وتسميه الفرس في سيرها ابهجل وتذكر الفرس إن وجد جيومرت وتسميه العبرانيون خنوخ وهو عندهم إدريس أيضا قال أبو معشر وهو أول من تحكم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وهو أول من نظر في الطب وتكلم فيه وألف لأهل زمانه قصائد موزونة وأشعارا معلومة في الأشياء الأرضية والعلوية وهو أول من أنذر بالطوفان وذلك أنه رأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار وكان مسكنه صعيد مصر تخير ذلك فبنى هياكل الأهرام ومدائن البرابي وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي وصور فيها جميع الصناعات وصانعيها نقشا وصور جميع آلات الصناع وأشار إلى صفات العلوم برسوم لمن بعده خشية أن يذهب رسم تلك العلوم وثبت في الأثر المروي عن السلف أن إدريس أول من درس الكتب ونظر في العلوم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خاط الثياب ولبسها ورفعه الله إليه مكانا عليا وحكى عنه أبو معشر حكايات شنيعة أتيت بأخفها وأقربها لتقضي كلام ابن جلجل.

أمون الملك الحكيم هذا لقب له واسمه الحقيقي بسيلوخس وهو أحد الملوك الأربعة الذين أخذوا الحكمة عن هرمس الأول وكان هرمس قد ولاه ربع الأرض وكان أمون هذا معدودا في الحكماء إلا أنه لم يخرج من كلامه شيء إلى العربية ولما ولاه رمس الملك أوصاه بوصايا خرج بعضها وترجم أنه قال فمنه أنه قال أول ما أوصيك به تقوى الله عز وجل وإيثار طاعته ومن توليه أمور الناس فيجب عليه أن يكون ذاكرا ثلاثة أشياء أولها أن يده تكون على قوم كثير والثاني أن الذين يده مطلقة عليهم أحرار لا عبيد والثالث أن سلطانه لا يلبث." <أخبار العلماء بأخيار الحكماء القفطي، جمال الدين ص/١٢>

"الخاتون بنت عمه سنجر وكان لها مكرما محبا معظما واتفق أن مرضت وماتت فجزع جزءا شديدا ولما عاين أبو البركات ذلك الجزع من محمود خاف على نفسه من القتل إذ هو الطبيب فأسلم طلبا لسلامة نفسه.

هرمس الثاني هذا هو هرمس الثاني بلا شك وهو هرمس البابلي شهدت التواريخ بذلك من أهل بابل سكن مدينة الكلدانيين وهو كلوذا وينسبون إليها كلدانيا على خلاف الأصل وكان بعد الطوفان وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمروذ بن كوش وكان بارعا في علم الطب والفلسفة وعارفا بطبائع الأعداد وكان تلميذ فيثاغورس لارثماطيقي وهرمس هذا جدد من علم الطب والفلسفة وعلم العدد وما كان قد درس بالطوفان ببابل ذكر ذلك أبو معشر ومدينة الكلدانيين هذه مدينة الفلاسفة من أهل المشرق وفلاسفتهم أول من حدد الحدود ورتب القوانين وهم فلاسفة الفرس حذاق.

هرمس الثالث المصري والصحيح الذي دلت عليه الأخبار وتواترت أن هذا هو الثالث وهو الذي سمى المثلث بالحكمة لأنه

جاء ثالث الهرامسة الحكماء والبابلي هو الثاني فافهم ذلك ترشد إن شاء الله وهذا رجل من حكماء مصر بعد الطوفان وكان فيلسوفا جوالا إلا في البلاد قديم العهد عالما بالبلاد ونصبها وطبائع أهلها وله. كتاب جليل في صناعة الكيمياء. وكتاب في الحيوانات ذوات السموم وهو من علماء هذا الإقليم وأمة إقليم مصر من الأمم المذكورة وكانوا أهل ملك عظيم وهز قديم في الدهور الخالية والأزمان السالفة دل على ذلك آثارهم وعمائرهم وهياكلهم وبيوت علمهم الموجود أكثرها في الإقليم إلى يومنا هذا وهي آثار أجمع أهل الأرض أنه لا مثل لها في إقليم من الأقاليم فأما ما كان قبل الطوفان فجهل خبره وبقي أثره مثل الأهرام والبرابي والمغائر المنحوتة في جبال الإقليم إلى غير ذلك من الآثار الموجودة وأما بعد الطوفان فقد صار أهل الإقليم أخلاطا من الأمم قبطي ورومي ويوناني وعمليقي إلا أن الغلبة والكثرة للقبط وإنما خفي على الناس أنسابهم فاقتصر من التعريف بهم على نسبتهم إلى وضعهم من بلد مصر وحد بلاد مصر في الطول من برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى أيلة من ساحل الخليج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ومسافة ذلك قريب من أربعين يوما." <أخبار العلماء بأخيار الحكماء القفطي، جمال الدين ص/٢٥٩>

"وحدها في العرض من مدينة أسوان التي بأعلى نيل مصر وما سامتها من أرض الصعيد الأعلى المتاخم لأرض النوبة إلى مدينة رشيد وما حاذاها من مساقط النيل في البحر الرومي وما اتصل بذلك ومسافته قريب من ثلاثين يوما وكان أهل مصر في سالف الزمان صابئة تعبد الأصنام وتدبر الهياكل ثم تنصرت عند ظهور دين النصرانية ولم تزل على ذلك إلى أن فتحها المسلمون فأسلم بعضهم وبقي سائرهم على دينهم أهل ذمة إلى اليوم وكان لقدماء أهل مصر الذين كانوا قبل الطوفان عناية بأنواع العلم وبحث على غوامض الحكم وكانوا يرون أنه كان في عالم الكون والفساد قبل نوع الإنسان أنواع كثيرة من الحيوانات على صور غريبة وتراكيب شاذة ثم كان نوع الإنسان تغلب على تلك الأنواع حتى أفنى أكثرها وشرد بقيتها إلى القفار والفلوات فمنهم الغيلان والسعالى وأمثال ذلك وذلك مما ذكره عنهم الوصيفي في تاريخه المؤلف في أخبارهم وزعم جماعة من العلماء أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن هرمس الأول الساكن لصعيد مصر الأعلى وهو الذي يسميه العبرانيون أخنوخ النبي بن يادر بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم هو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم على ما تقدم ذكر في أول الكتاب وقالوا أه أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية وأول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وأول من نظر في علم الطب وألف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية وقالوا أنه أول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي في صعيد مصر الأعلى وصور فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا منه على تخليدها لمن بعده خيفة أن يذهب رسمها من العالم والله أعلم.

وكان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب الفلسفة من العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وخاصة علم الطلسمات والنيرانجيات والمرائي المحرقة والكيمياء وغير ذلك وكانت دار العلم والملك بمصر في قديم الدهر مدينة منف وهي بالقبطية مافة وهي على اثني عشر ميلا من الفسطاط فلما بنى الإسكندر مدينة الإسكندرية رغب الناس في عمارتها لحسن هوائها وطيب مائها فكانت دار الحكمة بمصر إلى أن تغلب عليها المسلمون واختط عمرو ابن." <أخبار العلماء بأخيار الحكماء القفطي، جمال الدين ص/٢٦٠>

"وتفض سلاما يتردد إليه تردد أمواج البحر في انحداره وصعوده، وتبث ثناء لا يزال بين خفق ألويته وبنوده، وتبدي إلى العلم الكريم أنه ورد ركابنا الشريف إلى محل ملكه، ومجرة فلكه، ومجرى فلكه، فوجدنا النيل المبارك قد جعل الأرض لجه، وأرخى نقاب تياره على وجه كل محجه، وارتفع إلى أن جعل على هضبات السحاب مقره، وزاد إلى أن كاد يمازج نهر المجره، وبعث سرايا مقدماته، فتحصنت في كل فج وفجوه، وانعطف حول أزرار الأهرام كالعروه، وشرب دم المحل فهو من تحت حباب القلوع كالقهوه، واتصف بصفات الأولياء، فبينا هو في أقصى الجنوب إذا هو في أقصى الشمال، والأرض للرجل الصالح خطوه، وأصبح في طلب تخليقه مجدا، وأعد للجدب من تياره سابغة وعداء علندى، ومرق كالسهم في خليجه من قسي قناطره، وخنق المحل بعبراته في محاجره، وبشر أن آلاف الأموال أضعاف ما فيه من الأمواج، وخبرت رقاعه أنه لم يبق فيها محتال ولا محتاج، فأكمل الستة عشرة ذراعا.

وكتبت إليه أجوبة كثيرة عن الأمير سيف الدين تنكز، منها ما هو جواب على مشمش كافوري أهداه في باكورة السنة، ومنها ما هو عن رخام ملون أهداه وغير ذلك، وهي في الجزء الثامن عشر من " التذكرة " التي لي.

محمد بن إسماعيل بن أسعد

وقيل: ابن أحمد بن علي بن منصور بن محمد بن الحسين الشيباني، الأمير." <أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٣٣٠/٤>

"تناءى الذي أهوى فمت صبابة ... فقال عجيب كل أمرك في الهوى

صبرت لطرفي إذ رمتك سهامه ... ولم تتصبر إذ رمتك يد النوى

وقوله:

بأسياف الجفون قتلت نفسا ... مبرأة عن الشكوى زكية

فما أقوى جفونك وهي مرضى ... وأقدرها على قتل البرية

وقوله:

جاء بقد قد ثنته الصبا ... ورنحت أعطافه السامية

ومذ غدا في لينه واحدا ... كانت له ريح الصبا ثانية

وقوله:

يا قلب صبرا على الفراق ولو ... روعت ممن تحب بالبين

وأنت يا دمع أن أبحت بما ... أخفيت وجدا سقطت من عيني

وقوله:

لولا شفاعة شعره في صبه ... ما كان زار ولا أزال سقاما

لكن تطاول في الشفاعة عنده ... وغدا على أقدامه يتراما

وقوله:

قالوا علا نيل مصر في زيادته ... لقد بلغ الأهرام حين طما

فقلت هذا عجيب في بلادكم ... إن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقوله:

لجود قاضي القضاة أشكو ... عجزي عن الحلو في صيامي

والقطر أرجو ولا عجيب=فالقطر يرجى من الغمام وقوله:

قلت له إذ هز لي ذقنه ... ولام فيمن همت في عشقها

تذكر إذ غنت فنادى نعم=فقلت وا شوقي إلى حلقها وقوله:

مللت كتابا أخلق الدهر جلده ... وما أحد في دهره بمخلد

إذا عاينت كتبي الجديدة حاله ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ومن محاسن الشيخ زين الدين بن الوردي:

يا سائلي تصبرا ... عن لثم فيه لا تسل

ما تستحي تبدلني ... بالصبر عن ذاك العسل

وقوله:

ومليح إذا النحاة رأوه ... فضلوه على بديع الزمان

برضاب عن المبرد يروي ... ونهود تروي عن الرماني

وقوله:

قالت إذا كنت تهوى ... أنسي وتخشى نفوري

صف ورد خدي وإلا ... أجور ناديت جوري

وقوله:

ضممتها عند اللقا ضمة ... منعشة للكلف الهالك

قالت تمسكت وإلا فما ... هذا الشذا قلت بأذيالك

وقوله:

وأغيد يسألني ... ما المبتدأ والخبر

مثلهما لي مسرعا ... فقلت أنت القمر

وقوله:

مهفهف القد إذا ما انثنى ... يقول لا تخش من الرد

ما أنت حملي يا كثيب النقا ... ولست يا غضن النقا قدي

لو نلت من خديه تقبيلة ... تزين الريحان بالورد

وقوله:

هويت أعرابية ريقها ... عذب ولي فيها عذاب مذاب

رأسي من شيبان والطرف من ... نبهان والعذال فيها كلاب

وقوله:

تقويم قدك مال يا من يغره ... در يقصر دونه التقويم

إني لأبكي من جفاك ولي أب ... وثغر يضحك منه وهو يتيم

وقوله:

قلت لفرا فرى أديمي ... وزاد صدأ وزاد هجرا

قد فر صبري وفر نومي ... قال نعم مذ عشقت فرا

وقوله:

ووعدت أمس بأن تزور فلم تزر ... فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا

ي مهجة في النازعات وعبرة ... في المرسلات وفكرة في هل أتى

ومن أغراضه اللطيفة قوله في صديق له بالمعرة يقال له شمس:

لي بالمعرة شمس ... رضاه غير مرادي

فلا تذموه اني ... أدري بشمس بلادي

وقوله:

يا شمس أشعلت شمعا ... عليك عشر الأصابع

رغما لمن قال قبلي ... الشمع في الشمس ضائع

ومنه قوله في آل النصيبي بحلب:

فؤادي إلى آل النصيبي مائل ... وودي لهم في محضري ومغيبي

فبيني وبين القوم تجانس ... إذا طاب أصل الورد كان نصيبي

وقوله:

لي صاحب واسمه سراج ... ما قر لي عنده قرار

لسانه محرق لقلبي ... إن لسان السراج نار

وقوله:

مرض الفؤاد وصح ودي فيهم ... وأقام تذكاري وصبري نازح

إنسان عيني كم سهادا كم بكا ... يا أيها الإنسان إنك كادح

وقوله:

يا آل بيت النبي بذلت ... في حبكم روحه فما غبنا

من جاء عن بيته يحدثكم ... قولوا له البيت والحديث لنا

وقوله:

من ولي الحسبة يصبر على ... تعرض الواقف والسائر

فليس يحظى بالمنى والغنى ... فيهم سوى المحتسب الصابر

زوجة مجد الدين والداها ... في أخذ عرض المجد أشبهاها." <أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٣٧٠>

"القصد الأسمي في ذكر شئ مما يتعلق بجملة الاسما - لأحمد بن احمد البرلسي الشهير بزروق ص أعانة المتوجه اوله الحمدلله الذي أودع أسراره في أسمائه الخ.

المقصد الإسني في الإشارات فيما وقع في القرآن باللسان الشريف من الأسما - للشيخ الأكبر محيي الدين محمد ابن عربي ص الاستمساك.

المقصد الإسني في شرح الأسماء الحسنى - لإبراهيم ابن علي الكفعمي الشيعي ص البلد الأمين.

مقصد ألأمة من مسند الأئمة - لنشانجي زاده الرومي محمد ص حصول المرام.

المقصد الحسن في الحديث - للقاضي أحمد بن يحي حابس اليمني الزيدي المتوفى سنة ١٠٦١ إحدى وستين وألف.

المقصد السامى القدر فيما يدعو به الداعي ليلة القدر - لشمس الدين محمد بن محمد البكري ص الأحاديث المحذرات

مقصد الطالب في شرح قصيدة ابن الحاجب - مر.

مقصد الطالب ومنتهى المطالب - للشريف عبد الرحيم ابن محمد شريف المتوفى سنة..أوله الحمدلله الذي سخر الشمس والقمر دابتين [١] الخ ألفه ببغداد سنة ١١٦٥ خمس وستين ومائة وألف.

(من كتب لونده) مقصد المرام في عجايب الأهرام - لعبد القادر البغدادي نزيل مصر ص خزانة الأدب أوله الحمدلله رب العالمين مرتب على

ستة فصول ذكر فيه الأهرام والحجر المسمى بأبي الهول في مجلد لطيف.

مقصد الواصلين إلى أصول الواصلين في أصول الدين - لابن المطهر الحلي ص الأبحاث المفيدة المقصد الوافي شرح الكافي في علمي العروض والقوافي - تأليف عبد الله بن محمد الحسيني الطبرى المكى التوفى سنة..أوله نحمدك اللهم يا كافي المهمات يوم الجزاء الخ.

المقصدين في حل النسبتين - للسيد فيض الله بن محمد

---

[١] هذا سهو من القلم والصحيح (دائبين)." <إيضاح المكنون البابانى ٥٤٦/٤>

"إحداهما لأنها أقرب إلى واقعة الاجتماعي (١) ، أو أنكرهما معا في بعض الأحايين، ولجأ إلى الأسطورة المطلقة اللاتاريخية (أورفيوس، أدونيس، أوزوريس، فينيق، عشتار؟ الخ) .

ومن الواضح أيضا؟ وهذا من البدهيات الممهورة بالسذاجة - أن الماضي حضورا حتميا لا تستطيع أية ثورة أن تنفيه؟ لأنه أرسخ من " الأهرام " وأكثر سموقا واستعصاء على الهدم - وأبرز شاهد على ذلك هو اللغة وغير خاف " أن الشاعر الحديث لا يريد أن ينكر اللغة، وإلا لم يكن شاعرا عربيا؟ بكل ما يحمله هذا الوصف من مميزات لغوية - ولكنه إنما يعني التحول بها، إلى مستوى يحقق ذاتيته، ويطبع على تاريخ اللغة ختمه، ويفرده بدور يبدو فيه وجوده شاهقا في تيار الزمن (مرة أخرى مشكلة الزمن) ، وأنا؟ مع احترامي للمحافظين - لا أجد في هذا أية تنكر للتراث؟ كما تمثله اللغة - إذ اللغة في مستواها الأولي أداة للتفاهم؟ هذا حق - ولكنها في مستواها الآخر، أو في مستوياتها الأخرى، محض رموز، ابتداء من المستوى الجبري وانتهاء بالمستوى الشعري، ومن حق الشاعر أن يختار الشكل التعبيري الذي يظنه صالحا، مفهوما كان أو غير مفهوم؟ لأن عملية الفهم لا تدخل في نطاق المستوى المختار، وإنما تدخل في نطاق الطبقة التي

---

(١) لا ريب في أن عددا من الشعراء المحدثين ينتمي إلى الأقليات العرقية والدينية والمذهبية في العالم العربي، وهذه الأقليات تتميز - عادة - بالقلق والدينامية ومحاولة تخطي الحواجز المعوقة والالتقاء على أصعدة أيديولوجية جديدة، وفي هذه المحاولة يصبح التاريخ عبئا والتخلص منه ضروريا، أو يتم اختيار " الأسطورة الثانية " لأنها تعين على الانتصاف من ذلك التاريخ بإبراز دور تاريخي مناهض.." <اتجاهات الشعر العربي المعاصر إحسان عباس ص/١٣٩>

"باشا على اللسان الفارسي يشتمل على النصائح للوزراء والتفسير الفارسي وشرح السنمية وحاشية الوقاية وحاشية شرح العقائد وغير ذلك

توفي سنة خمس وسبعين وثمانمئة

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

للقاضي البيضاوي في الطوالع

أنوار العاشقين

لأحمد تيجان وهو الشيخ أحمد بن الكاتب أخو الشيخ محمد صاحب الكتاب المعروف بالمحمدية ذكر فيه من مبدأ العالم إلى وفاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ما ذكر في التفاسير والأحاديث والاثار الصحية والأحمد المذكور مدفون في مدينة كليبولي

أنوار علوم الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام

للسيد أبي جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي

الأوائل

للعسكري وهو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيي بن مهران أبو هلال العسكري ومن تصانيفه الصناعتين والتلخيص في اللغة وجمهرة الأمثال وشرح الحماسة ولحن الخاصة والأوائل ونوادر الواحد والجمع وتفسير القرآن والدرهم والدينار والاستئناس وغير ذلك

توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمئة." <اسماء الكتب المتمم لكشف الظنون رِياض زَادَه ص/٦٢>

"«جواب الآفاق، ومحالف الإباق «١» ، ومنفق سعد «٢» الشعر كل الإنفاق؛ رفع ببلده «٣» للأدب راية لا تحجم، وأصبح فيها يسوي ويلجم؛ فإن نسب، جرى ونظم نظم الجمان المحامد، وإن أبن ورثى غبر في وجوه السوابق وحثا. ولما اتفق كساد سوقه، وضياق حقوقه، أخذ بالحزم، وأدخل على حروف علائه عوامل الجزم، يسقط على الدول سقوط الغيث، ويحل كناس الظبا وغاب الليث، شيع العجائب، وركض النجائب، فاستضاف بصرام، وشاهد البرابي والأهرام، ورمى بعزمته الشآم، فاحتل ثغوره المحوطة، ودخل دمشق، وتوجه الغوطة، ثم عاجلها بالعراق، فحيا بالسلام مدينة السلام، وأورد بالرافدين رواحله، ورأى اليمن وسواحله، ثم عدل إلى الحقيقة عن المجاز، وتوجه إلى شأنه الحجاز، فاستلم الركن والحجر، وزار القبر الكريم لما صدر، وتعرف بمجتمع الوفود بملك السود، فغمره بإرفاده، وصحبه إلى بلاده، فاستقر بأول أقاليم العرض، وأقصى ما يعمر من الأرض، فحل بها محل الحمر في الغار، والنور في سواد الأبصار؛ وتقيد بالإحسان، وإن كان غريب الوجه واليد واللسان. وصدرت عنه رسائل أثناء إغرابه، تشهد بجلالة آدابه، وتعلق الإحسان بأهدابه» .

نثره: فمن ذلك ما خاطب به أهل غرناطة بلده؛ وقد وصل إلى مراكش:

«سلام ليس دارين شعاره، وحلق الروض والنضير به صداره، وأنسى نجدا شمه الزكي وعراره، جر ذيله على الشجر فتعطر، وناجى غصن البان فاهتز لحديثه وتأطر، وارتشف الندى من ثغور الشقائق، وحيا خدود الورد تحت أردية الحدائق، طربت له النجدية المستهامة، فهجرت صباها ببطن تهامة، وحن ابن دهمان لصباه، وسلا به التميمي عن رياه، وأنسى النميري ما تضوع برقيب من بطن نعماه، واستشرف السمر والبان، وتخلق بخلوقة الآس والظيان «٤» ، حتى إذا راقت أنفاس تحياته ورقت، وملكت نفائس النفوس واستشرقت، ولبست دارين في ملائها، ونظمت الجوزاء في عقد ثنائها، واشتغل بها الأعشى عن روضه ولها، وشهد ابن برد شهادة أطراف المساويك لها، خيمت في ربع الجود بغرناطة ورقت، وملأت دلوها إلى عقد ركبه، وأقبلت منابت شرقها عن غربه، لا عن عرفه؛ هناك تترى لها صدور المجالس تحمل صدورا، وترائب المعالي تحلي عقودا نفيسة وجذورا، ومحاسن الشرف تحاسن." <الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١/١٧١>

"تلك الأهواء والأهرام، دفنه «١» الملك الغصاب، بعد أن قدست الأنصاب، وأخفى «٢» الأثر فلا يصاب، أو تكون الأنوار هنالك تتجسم، والحظوظ تعين وتقسم، والحقائق تحد وترسم، أو تتوالد بتلك المغارات يوسانيا وروسم. أنا ما «٣» ظننت بأن تثور من أجم الأقلام أسود، وتعبث بالسويداوات من نتائج اليراع والدواة لحاظ سود. من قال في الإنسان عالما صغيرا فقد ظلمه، كيف والله بالقلم علمه، ورفع في العوالم علمه.

لقد درت حلمات تلك الأقلام «٤» من رسل غزير، وما كان فحل تلك الأقلام بزير، ولا سلطان تلك الطباع المديدة الباع ليستظهر بوزير. إنما هي مشاكي كمال «٥» أوقدها الله وأسرجها، وملكات في القوة رجحها «٦» مرجح القوة فأبرزها إلى العقل وأخرجها.

وأحر بها أن تحط بذرى «٧» المدارك الإلهية رحالها، وتترك إلى الواجب الحق محالها، فتتجاوز أوحالها، مستنيرة بما أوحي لها. إيه بنية، أقسم برب البنية، وقاسم الحظوة السنية، لقد فزت من نجابتكم عند التماح إجابتكم بالأمنية، فما أبالي بعدها بالمنية. وقاه الله عين الكمال من كمال، صان سروجه من إهمال «٨» ، واكتنفه بالمزيد من غير «٩» يمين وشمال، كما سوغ الفقير مثلي إلى فقرها زكاة جمال «١٠» ، لا زكاة جمال. ولعمري، وما عمري علي بهين، ولا الحلف في مقطع الحق بمتعين، لقد أحقب «١١» منها إلي ثلاث كتائب، قادها النصر جنائب، ألفاتها العصي، ونوناتها القسي، وغاياتها المرام القصي «١٢» ، ورقومها الحلق «١٣» ، وجيادها قد فشا فيها البلق، بحيث لا استظهار للشيخ إلا بشعب سدر «١٤» ، ولا افتراس إلا لمرقة «١٥» قدر، ودريد هذا الفن يحمل في خدر: [الكامل]

سلت علي سيوفها أجفانه ... فلقيتهن من المشيب «١٦» بمغفر

فلولا تقدم العهد بالسلم، لخيف من كلمها وقوع الكلم. أما إحداهن ذات القتام «١٧» ، والدلج بالإعتام، المستمد سوادها الأعظم من مسك الختام، فعللت «١٨»." <الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٥٣١/٤>

"يمضي فيصف المحكمة الشرعية حين وصلها عيسى بن هشام مع صاحبه على هذا النمط:

"ولما وصلنا إلى هذه المحكمة وجدنا ساحتها مزدحمة بالمركبات، تجرها الجياد الصاهلات، وبجانبها الراقصات من البغال والحمير، عليها سرج الفضة والحرير، فحسبناها مراكب للعظماء والأمراء، في بعض مواكب الزينة والبهاء، وسألنا: لمن هذي الركاب؟ فقيل لنا: إنها لجماعة الكتاب، فقلنا: سبحان الملك الوهاب، ومن يرزق بغير حساب. ونحونا نحو الباب، في تلك

الرحاب، فوجدنا عليه شبحا حنت ظهره السنون، فتخطته رسل المنون، قد اجتمع عليه العمش والصمم، ولج به الخرف والسقم. وعلمنا أنه حارس بيت القضاء، من نوازل القضاء. ثم صعدنا في السلم فوجدناه مزدحما بأناس، مختلفي الأشكال والأجناس، يتسابون ويتشاتمون، ويتلاكمون ويتلاطمون، ويبرقون ويرعدون، ويتهددون ويتوعدون، وأكثرهم آخذ بعضهم بتلابيب بعض، يتصادمون بالحيطان ويتساقطون على الأرض. وما زلنا نزاحم على الصعود في الدرج، والعمائم تتساقط فوقنا وتتدحرج، حتى من الله علينا بالفرج، ويسر لنا المخرج، في وسط الجمع المتلاصق، والمأزق المتضايق".

وواضح أن هذا الوصف يعتمد إلى حد ما على محاولة الإغراب باللفظ الفصيح والسجع، وكأن المويلحي يحتال للمواقف، حتى يعرض مهارته البيانية على طريقة بديع الزمان والحريري في مقاماتهما، وله في ذلك طرائف كأن يصف روضا من الرياض أو يصف الأهرام أو يصف الصباح، وفيه يقول:

"جلسنا نتجاذب أطراف الحديث، من قديم في الزمان وحديث، إلى أن صارت الليلة في أخريات الشباب، واستهانت بالإزار والنقاب، ثم دب المشيب في فودها، وبان أثر الوضح في جلدها، فعبثت بالعقود والقلائد، من الجواهر والفرائد، ونزعت من صدرها كل منثور ومنظوم، من درر الكواكب ولآلئ النجوم، وألقت بالفرقدين من أذنيها، وخلعت خواتيم الثريا من يديها، ثم إنها مزقت جلبابها، وهتكت حجابها. وبرزت للناظرين عجوزا شمطاء." <الأدب العربي المعاصر في مصر شوقي ضيف ص/٢٤٠>

"الصخر المحبب وكان الهرم مغطى بطبقة من الجرانيت فوقها أخرى من الحجر الجيري المصقول ووضع الملاط بين الأحجار في غاية الدقة حتى كان الناظر إلى الهرم يكاد يظنه صخرة واحدة"١.

فليس من شك أن كاتب هذه القطعة.

١- قد اختار هذه الحقائق أو المعارف لأهميتها في تاريخ الأهرام.

٢- ثم رتبها هذا الترتيب الذي رأيته فعرض لسبب البناء، ولهذا الوصف الذي يطابق سر هذا البناء، ثم انتقل إلى ذكر هذه الأفكار التفصيلية المتصلة بالبناء.

٣- وأخيرا عبر عنه بهذه العبارة السهلة الكاشفة، وهذا هو الأسلوب العلمي الذي يتخذ وسيلة لنشر المعارف وتغذية العقل دون أن تطغى شخصية الكاتب فيه.

وأحيانا يقف الكاتب عند هذه الحقائق والمعارف ولا يجعل قصده الفذ تغذية العقل بالأفكار، وإنما يعرف هذه الحقائق، ويختار أهمها وأبرزها الذي يستطيع أن يجد فيه مظهرا لجمال ظاهر أو خفي أو معرضا لعظة واعتبار أو داعيا لتفكير وتأثير ثم يفسر ما اختار تفسيرا خاصا به، بما يخلع عليه من نفسه المتعجبة أو المتعظة، الراضية أو الساخطة، ثم يحاول نقل هذا الانفعال -أو إثارة مثله- إلى نفوس القراء والسامعين ليكونوا معجبين أو مغتبطين، راضين أو ساخطين، وبذلك يدخل في

الأسلوب هذا العنصر الجديد الذي يصور الشعور وهو الخيال. وهنا نرى الأسلوب الأدبي كما قيل في الأهرام:

---

١ تاريخ مصر إلى الفتح العثماني ص١٦، ١٧.." <الأسلوب أحمد الشايب ص/٥٧>

""ولما وقفت بنا الركاب في ساحة الأهرام، وقفنا هناك موقف الإجلال والإعظام، قبالة ذلك العلم الذي يطاول الروابي والأعلام، والهضبة التي تعلو الهضاب والآكام والبنية التي تشرف رضوى وشمام، وتبلى ببقائها جدة الليالي والأيام، وتطوى تحت ظلالها أقواما بعد أقوام، وتفنى بدوامها أعمار السنين والأعوام، خلقت ثياب الدهر وهي لا تزال في ثوبها القشيب، وشابت القرون وأخطأ قرنها وخط المشيب، ما برحت ثابتة تناطح مواقع النجوم، وتسخر بثواقب الشهب والرجوم" ١.

موضوع النصين واحد، هو وصف الأهرام إلا أننا رأينا في عبارات القطعة الثانية خواص لا نجدها في عبارات الأولى سواء في هذه الكلمات الجزلة الفخمة البريئة من المصطلحات العلمية، والتحديد الدقيق، وفي هذه الجمل المختارة القوية المسجوعة، وهذه الصور المتتابعة تشابيه واستعارات فالهرم مرة جبل، وأخرى حرب الدهر، وثالثة فتاة شابة خالدة الشباب.. وأخيرا هذه الموسيقى العامة الفخمة التي هي في الحقيقة صوت هذا الانفعال النفسي الذي ملك على الكاتب شعوره الباطني ففاض على قلمه ألفاظا وعبارات. هذا الإعجاب هو -هنا- ما منح الأسلوب صفته الأدبية، وأيدي شخصية الكاتب في هذا الموقف فإذا بها تكبر الأهرام، تعجب بقوة الإنسان، ثم تدل على درس للأدب القديم واعتزاز بهذه الصنعة اللفظية والجزالة اللغوية والصور البيانية القديمة. وهذا الإعجاب -باعتباره انفعالا- تعجز اللغة العادية عن تصويره؛ لأنها وضعت بأزاء الأفكار لتعبر عن هذا الفعل الهادئ المحدود، أما الانفعال فهو قوة تعوزه لغة خاصة به وهي التي يحتال لها الأديب فيؤلفها -مستعينا بالخيال- من

---

١ حديث عيسى بن هشام: ص٤٠٥ طبعة ثانية.." <الأسلوب أحمد الشايب ص/٥٨>

"رزين فاهم كما تمتاز بالجزالة والقوة ما دامت تعبر عن عاطفة قوية حية، فكانت كل منهما موسيقى صادقة لمعناها.

٦- ومن ناحية التكرار لا ترى في الأسلوب العلمي تكرار الفكرة وترديدها، ولكن الأسلوب الأدبي يأخذ المعنى الواحد ويعرضه علينا في عدة صور بيانية مختلفة، تمثل الإجلال والإعظام، ثم انظر إلى فكرة الضخامة تجدها مرة في صورة علم، وأخرى في صورة هضبة، وثالثة فوق الجباب والهضاب، وكذلك فكرة الخلود تجدها مصورة عدة صور، والخلاصة أن بين الأسلوبين فرقا في المصدر والغاية والوسيلة، ونورد لك هنا ما قال شوقي في الأهرام ليكون مثالا تطبيقيا.

"ما أنت يا أهرام؟ أشواهق أجرام أم شواهد إجرام، وأوضاع معالم أم أشباح مظالم؟ وجلائل أبنية وآثار، أم دلائل أنانية واستئثار؟ وتمثال منصب من الجبرية أم مثال صاح من العبقرية؟ يا كليل البصر عن مواضع العبر، قليل من البصر بمواقع الآيات الكبر: قف ناج الأحجار الدوارس وتعلم فإن الآثام مدارس، هذه الحجارة حجور لعب عليها الأول، وهذه الصفائح صفائح ممالك ودول، وذلك الركام، من الرمال، غبار أحداج وأحمال، من كل ركب ألم ثم مال. في هذا الحرم درج عيسى صبيا، ووقعت بين يديه الكواكب جثيا، وههنا جلال الخلق وثبوته، ونفاذ العقل وجبروته، ومطالع الفن وبيوته، ومن هنا

نتعلم أن حسن الثناء، مرهون بإحسان البناء"١.

هذا هو الأصل العملي للأسلوبين والفرق بينهما.

---

١ أسواق الذهب ص٦٩.." <الأسلوب أحمد الشايب ص/٦٠>

"جـ- وأما ناحية الاختلاف فتقوم على اعتبار أن النثر تغلب عليه صفة الإفادة والشعر تسوده صفة التأثير؛ فمهما يكن النثر أدبيا فنيا فإنه ينزع دائما إلى طبيعته التقريرية وأصله العقلي النافع الذي يظهر واضحا في النثر العلمي في حين أن الشعر مهما يكن عقليا فإنه يتشبث دائما بطبيعته الرمزية وأصله الموسيقي الجميل الذي تسمعه حماسة قوية، ونسيبا رقيقا، ووصفا جميلا، ورثاء حزينا، حتى قيل: إن الفكرة أصل في النثر والعاطفة مساعد، وعكس ذلك في الشعر حيث تتصدر العاطفة متكئة على حقيقة تسندها وتبعث فيها الصدق والقوة والبقاء، وعلى ناحية الخلاف الشكلية هذه تقوم المظاهر التي تتراءى في أسلوب الشعر، وهي ظواهر تميزه كما لا كيفا، أي أنها ترى الشعر بدرجة أسمى مما ترد في النثر الأدبي.

ولنذكر لأسلوب الشعر هذا المثال من قول شوقي في الأهرام:

قف ناج أهرام الجلال وناد ... هل من بناتك مجلس أو ناد

نشكو ونفزع فيه بين عيونهم ... إن الأبوة مفزع الأولاد

ونبثهم عبث الهوى بتراثهم ... من كل ملق للهوى بقياد

ونبين كيف تفرق الإخوان في ... وقت البلاء تفرق الأضداد

إن المغالط في الحقيقة نفسه ... باغ على النفس الضعيفة عاد

قل للأعاجيب الثلاث مقالة ... من هاتف بمكانهن وشاد

لله أنت! فما رأيت على الصفا ... هذا الجلال، ولا على الأوتاد

لك كالمعابد روعة قدسية ... وعليك روحانية العباد

أسست من أحلامهم بقواعد ... ورفعت من أحلاقهم بعماد." <الأسلوب أحمد الشايب ص/٦٣>

"تلك الرمال بجانبيك بقية ... من نعمة وسماحة ورماد١

وقبل الكلام في الخواص اللفظية نلاحظ أن الانفعال الذي تبعثه هذه الأبيات يتوزع بين الحزن في القسم الأول والإعجاب في الثاني.

وذلك لأن القصيدة قيلت في الحفاوة بأديب سوريا الأستاذ أمين الريحاني أيام الاضطرابات التي شملت بلاد الشرق العربي عقب الحرب العظمى، وكانت "مصر" مسرحا لكثير منها فشكا شاعرنا ذلك في مطلع قصديته.

ولعل الإعجاب أسبق انفعال إلى النفس حين ترى الأهرام؛ فبدا واضحا في الأبيات الأخيرة وهذا الاعجاب أحسسته من قبل عند المويلحي، وعند شوقي آخر كلمته المنثورة الواردة في الفصل السابق، ومع ذلك فإنك ترى في النثر المذكور ميلا إلى استخراج العظات والعبر وإلى إيراد الحقائق التاريخية، وبيان اختلاف الرأي فيما تدل عليه الأهرام من مجد ينسب إلى الفراعنة أو ظلم نال المصريين، على أن هذه النماذج النثرية من النوع الذي علا وأخذ يقرب من الشعر حتى كاد ينسى

طبيعته الأولى ويعود شعرا منثورا.

وأول ما يلقانا بعد ذلك هذه العبارات الموسيقية التي تمتاز بالوزن والقافية، ورقة الكلمات أو جزالتها، وتخير التراكيب وتجنب الفضول والابتذال، حتى عادت العبارات أصلح للأسلوب الشعري الجامع بين التهذيب وقوة التأثير.

وهذا القدر الذي ذكرناه يسمح لنا أن نتقدم قليلا، فنذكر الخواص الآتية على أنها أشد ظهورا في الشعر وأقوى به اتصالا:

---

١ الشوقيات ج١ ص٢٢٩.." <الأسلوب أحمد الشايب ص/٦٤>

"١- فالوزن أخص ميزات الشعر وأبينهما في أسلوبه ويقوم على ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتاد والفواصل، وعن ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها، فأبيات شوقي المذكورة آنفا قائما على هذه التفعيلة -متفاعلن- فلما كررت ثلاث مرات كان الشطر، ولما كررت ستا كان البيت أو الوزن الذي يسمى في علم العروض -بحر الكامل- والقصيدة كلها من هذا الوزن.

وللشعر العربي أوزان -أو بحور- أساسية بلغ عددها ستة عشر بحرا عدا ما استحدث من أوزان مخترعة فصيحة وعامية، منها الطويل، والبسيط، والمديد، والوافر، والهزج، والسريع والخفيف، والمجتث، والرمل، كما هو موضح في علم العروض.

وليس معنى ذلك أن النثر خال من الوزن مطلقا، فلا نزال نحس فيه وزنا أيضا وإن كان أقل من وزن الشعر ظهورا وانتظاما، فهو في النثر مظهر لقوة العبارة وجمالها تجده في الخطابة ذات العبارة المقسمة المفصلة، وفي الوصف الرائع الرقيق والتقرير الواضح، فإذا رجعت إلى نثر شوقي مثلا في الأهرام تراءى لك هذا الوزن النثرى واضحا في عبارته المقسمة: "ما أنت يا أهرام، أشواهق أجرام؟ أم شواهد إجرام؟ وأوضاح معالم أم أشباح مظالم؟ " فتجد شواهد إجرام على مثال شواهد إجرام وكلاهما على وزن: فواعل أفعال، وهكذا في الباقي، واقرأ هذه الأسطر لطه حسين متمثلا معانيها بين أخذ ورد، وجذب ودفع، واستعجال وحماسة وتحد واستفزاز، تحس هذه التيارات النفسية واضحة متتابعة في موسيقى هذه العبارة: "والشعوبية، ما رأيك فيهم، وفيما يمكن أن يكون لهم من الأثر القوي في انتحال الشعر والأخبار؟ " فالكلمة الأولى تقوم وحدها مقام تفعيلة والاستفهام بعدها تفعيلة أخرى تمهيدية وليتها عبارة منسقة انتهت بهم بهذا الوقف والقافية." <الأسلوب أحمد الشايب ص/٦٥>

"من وحدة القافية في القصيدة وترك النثر حيلة السجع، فلا زال هناك حسن الانتهاء آخر البيت أو الفقرة وفيه يجب أن تتوافر نغمة ملائمة قد تتحقق بحروف الوصل أو الخروج أو الردف التي تجعل الوقف لينا رشيقا كقول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

فالوصل هو هذه الواو المولدة عن إشباع حركة العين في "تنفع" وهي علامة الراحة وحسن الانتهاء؛ ومن ذلك ما ورد في آخر رسالة للجاحظ كتبها إلى قليب المغربي يعاتبه: "والله يا قليب لولا أن كبدي في هواك مقروحة، وروحي بك مجروحة، لساجلتك هذه القطيعة، وماددتك حبل المصارمة، وأرجو الله تعالى أن يديل صبري، من جفائك، فيردك إلى مودتي، وأنف القلا راغم، فقد طال العهد بالاجتماع، حتى كدنا نتناكر عند اللقاء".

٣- كذلك كلمات الشعر يجب أن تكون منتقاة، غير مبتذلة، تدل بجرسها وبمعناها على ما تصور من أصوات، وألوان، أو

نزعات نفسية، وبذلك يحاول الشعر أن يكتسب صفة الموسيقى والرسم وبخاصة حين تحكي الكلمات صوت الطبيعة أو الحركة، أو تكون ذات صفة حسية، فقد رأيت في وصف الأهرام كلمات الروعة، والجلال، والقدسية والروحانية، وإذا قرأت لابن المعتز قوله يصف سحابة:

وسارية لا تمل البكا ... جرى دمعها في خدود الثرى

فلما دنت جلجلت في السما ... ء رعد أجش كجرس الرحا

رأيت كلمات: الخدود وتقدح وبرق وهندية وجلجلت وأجش وجرس الرحا، التي تعد كلمات لونية وصوتية صادقة في نقل ما تعرض له من أوصاف.." <الأسلوب أحمد الشايب ص/٦٧>

"التاريخ أو أسلوبه العقلي فتقع في ثلاث مراحل: جمع الوثائق التاريخية، ونقدها لتعرف قيمتها، وصلاحيتها للتصديق، ثم تفسيرها تفسيرا معتمدا على طبيعتها وعلى الخيال المكمل، وعلى ما قد ينفع من أصول العلم الحديثة كعلم النفس، والاجتماع، والجغرافيا.

أما الأسلوب اللفظي، فيجب أن يكون واضحا جميلا، كما يذكر ذلك بعد، ومع هذا فنذكر هنا بعض الخواص الشديدة الاتصال بالكتابة التاريخية:

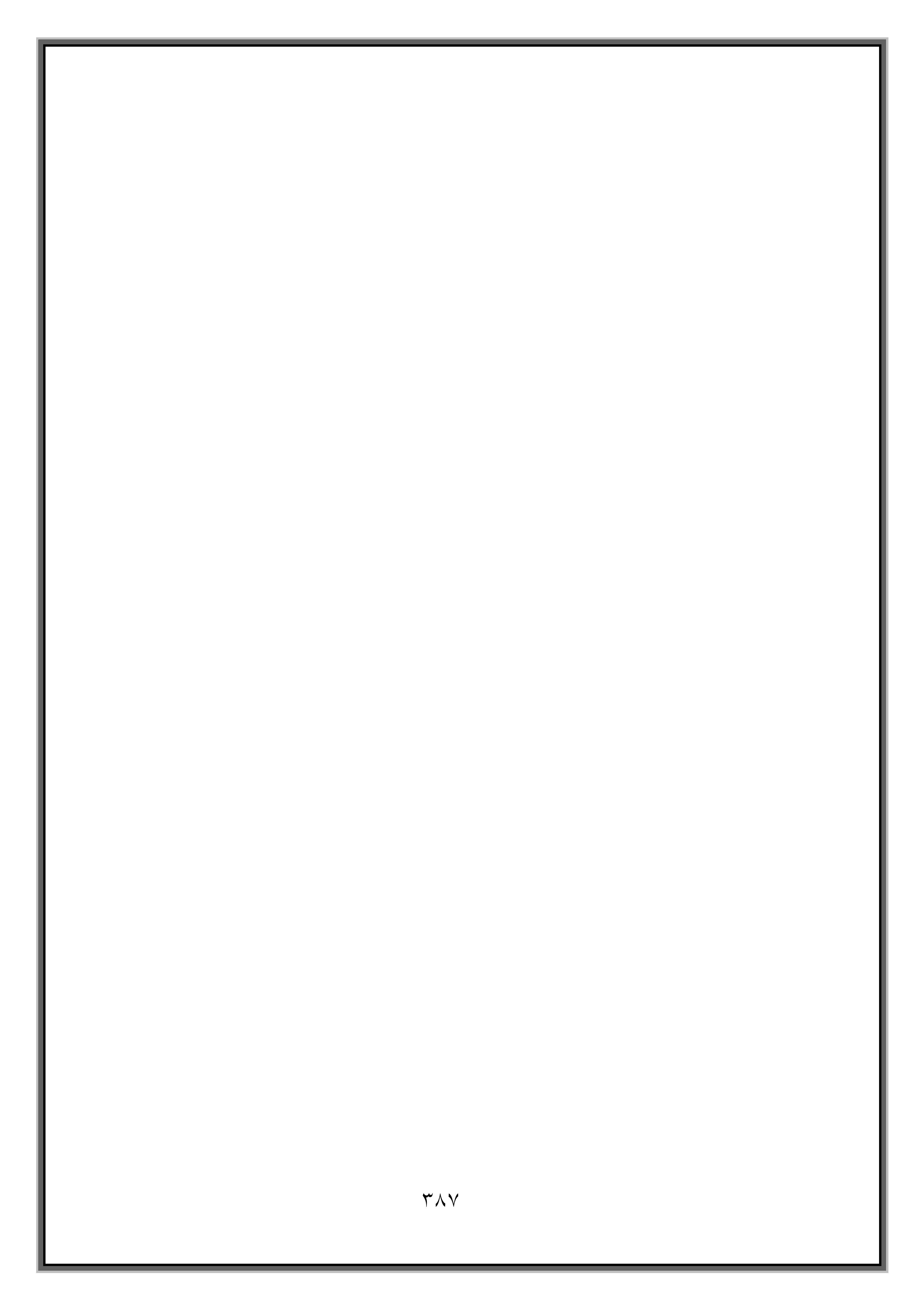
١- يجب على المؤرخ أن يحرص على استعمال المصطلحات التاريخية في مواضعها، فإنها تحدد المعاني والعصور، وتصل بين الكاتب وسواه وتريحه من عناء التفصيل والتكرار ما دامت هذه المصلحات ألفاظا مقررة تشبه الحدود وعلامات الطريق، مثل الجاهلية والعصر العباسي، وعصر النهضة والقرون الوسطى والميلاد والهجرة وعصر الأهرام.

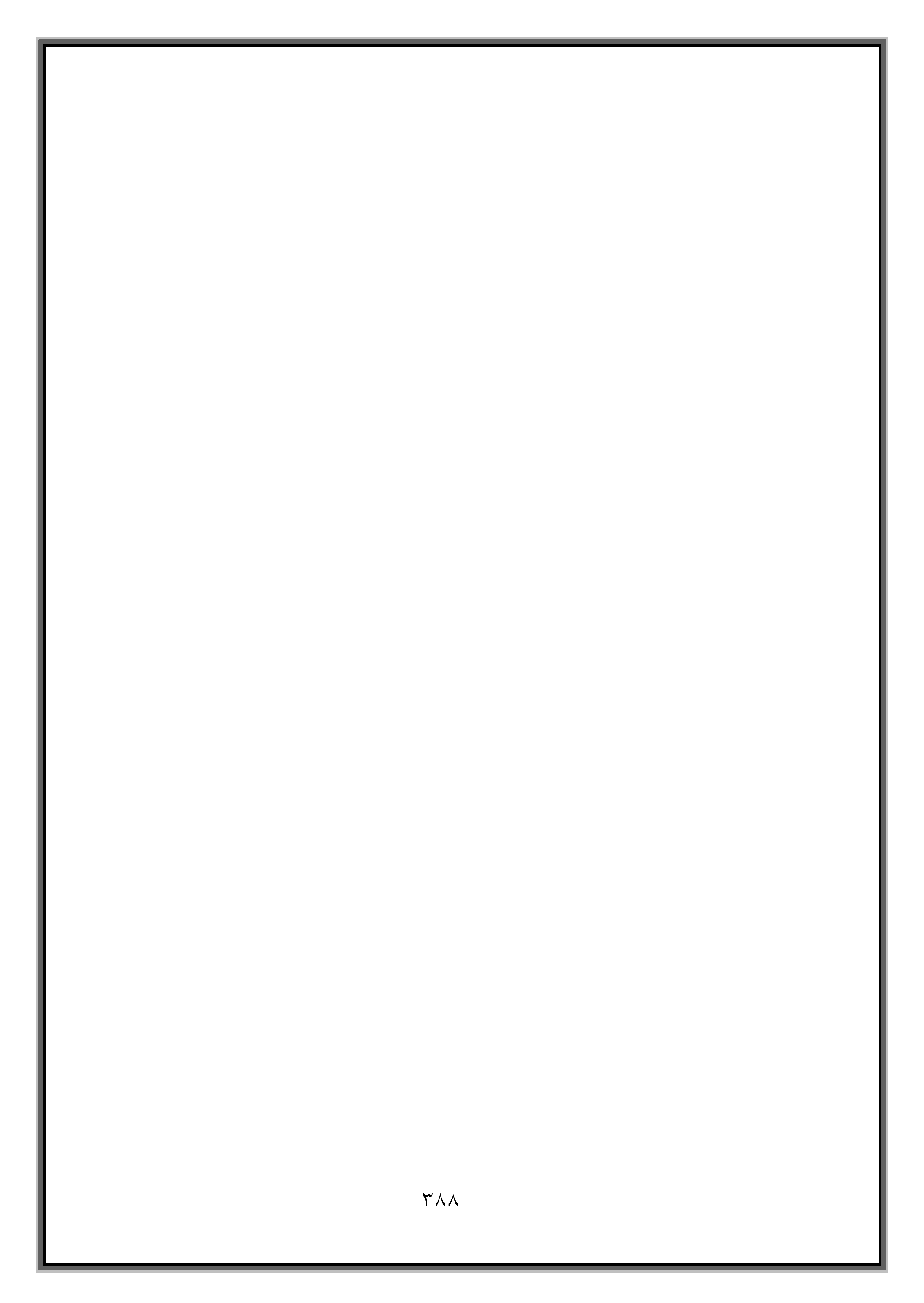
٢- يجب أن يكون واضحا في منهجه وآرائه وعباراته فلا تكرار ولا صنعة؛ إذ إن النثر العلمي يرفض التكرار، ويمقت التكلف لما في ذلك من الغموض، وضياع المعنى، وتنفير القراء الذين ينتظرون الحقائق التاريخية منطقية واضحة.

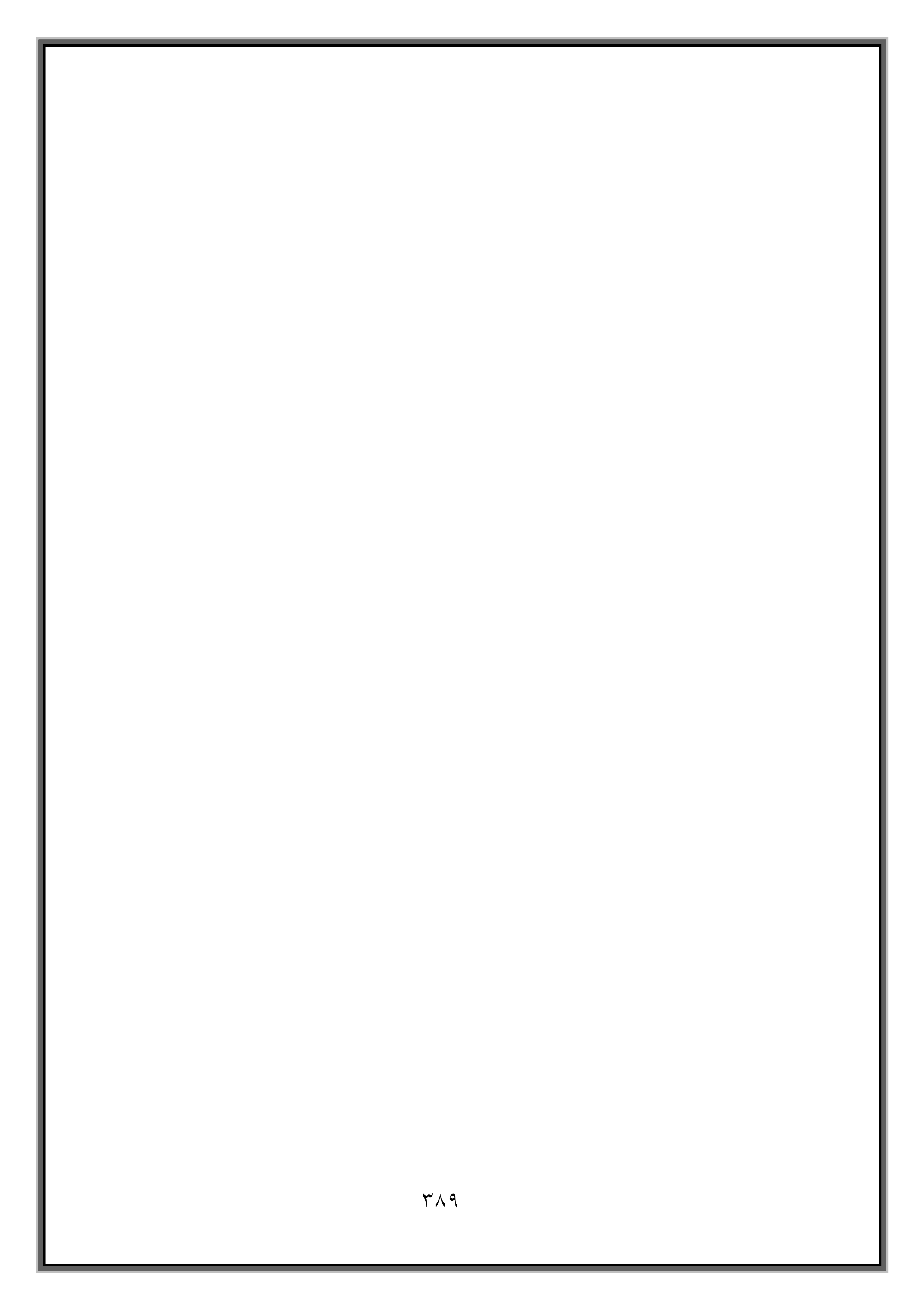
٣- ليحذر المؤرخ أن يتخذ التاريخ معرضا للخطب والمواعظ؛ لأن التاريخ كالرواية تؤخذ العظة منه بطريق غير مباشر. على أن ذلك يعد نقلا للتاريخ من دائرة النثر العلمي إلى مجال النثر الأدبي الخالص وذلك خلط واضطراب لا يليق بالكاتب البليغ.

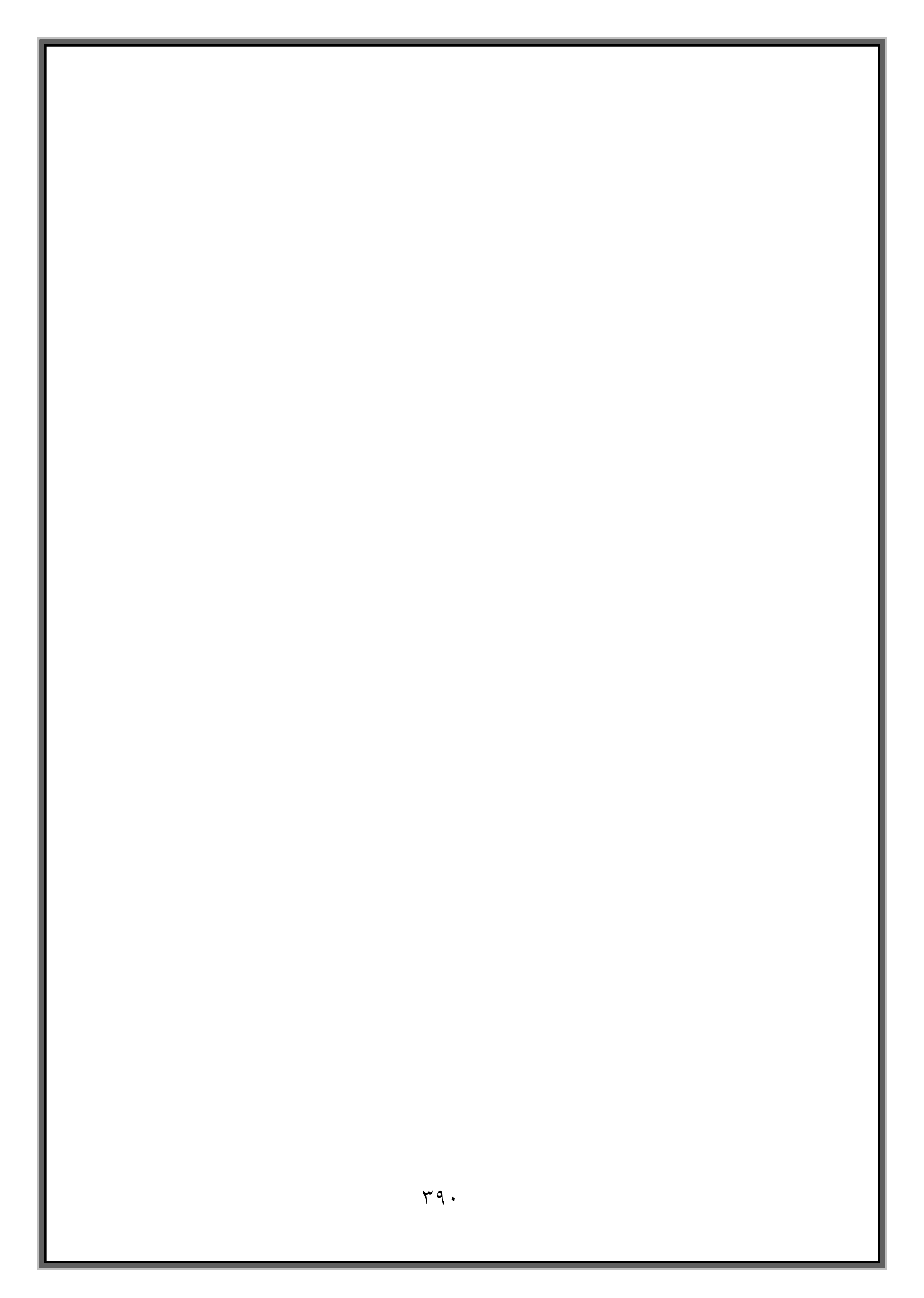
٤- ولما كان التاريخ بعث الماضي من ناحية، ونقدا فلسفيا من ناحية أخرى، كان أسلوبه وسطا بين العلمي الدقيق والأدبي الرقيق، لا يسلم من مظاهر القصص أو الروايات حتى لا يجف ويثقل، ولا يخلو من النقد والتقرير ليؤدي مهمته الرئيسية. لذلك يقصر فيه الوصف والحوار والاقتباس وإن ظهرت آثار العاطفة والخيال في عبارته الجامعة بين الوضوح والجمال.

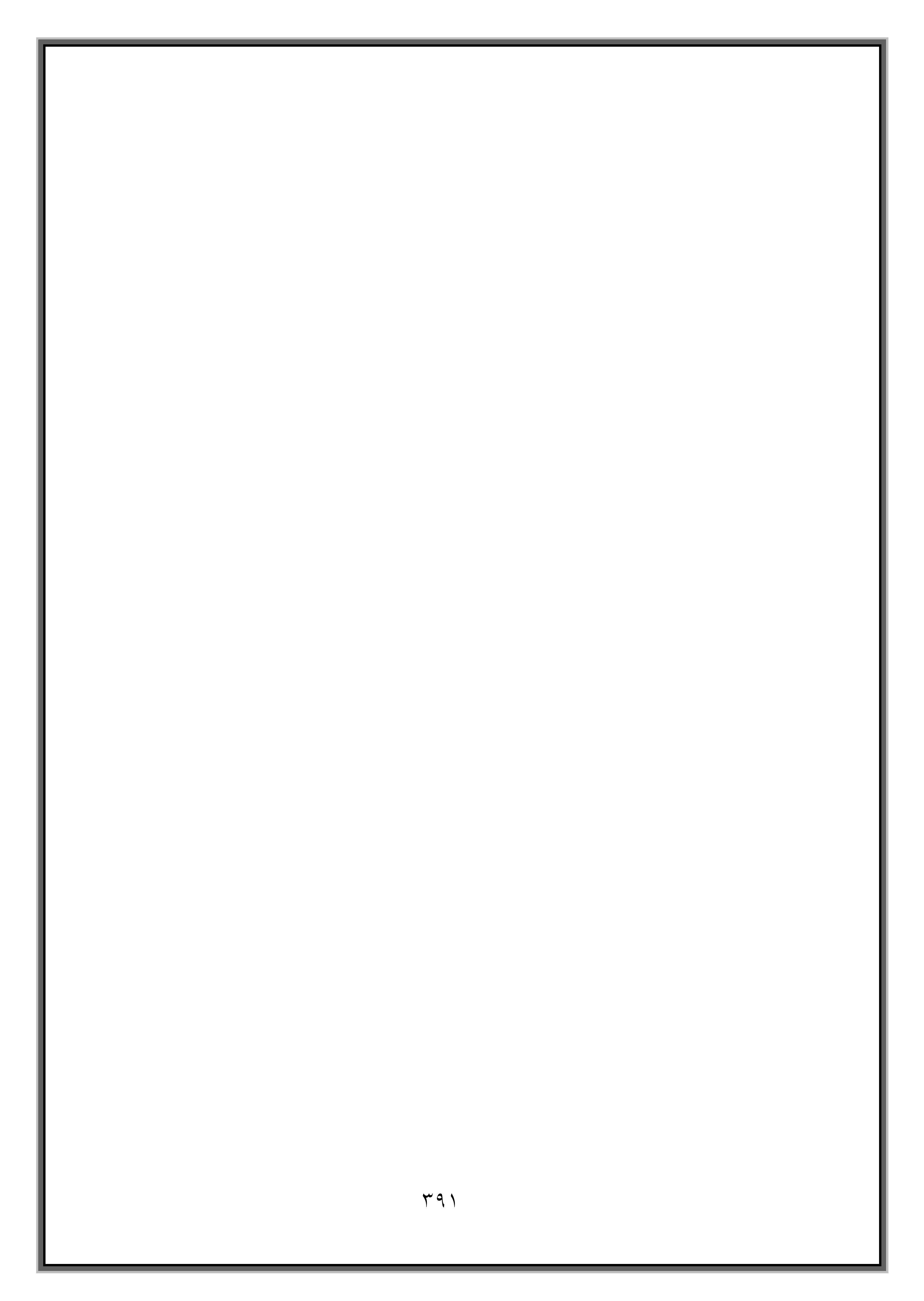
ومن أمثلة الكتب التاريخية: في الأدب الجاهلي لطه حسين، وفجر الإسلام، وضحاه لأحمد أمين، وتاريخ الأمم الإسلامية للخضري.." <الأسلوب أحمد الشايب ص/٩٧>

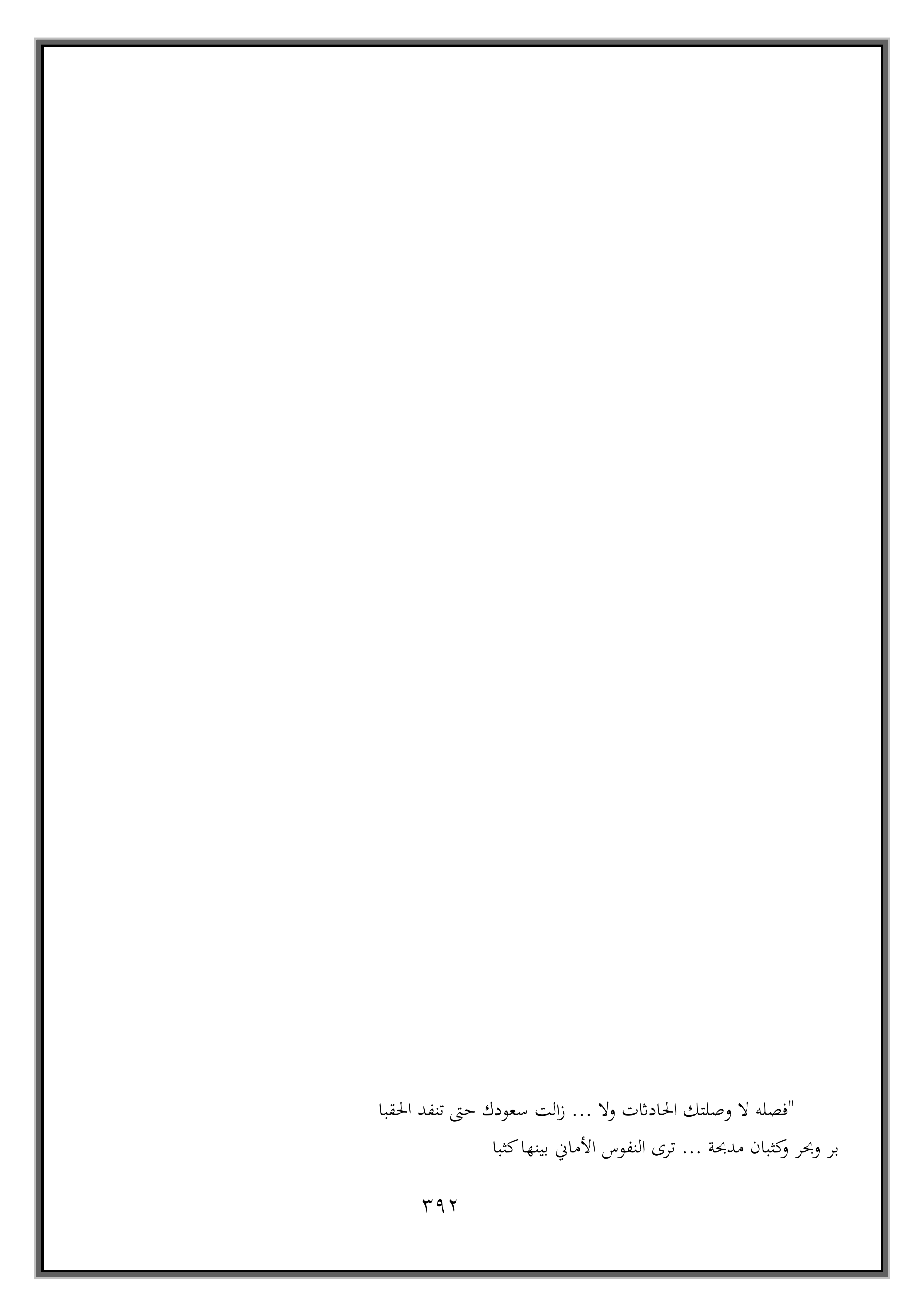












"فصله لا وصلتك الحادثات ولا ... زالت سعودك حتى تنفد الحقبا

بر وبحر وكثبان مدبجة ... ترى النفوس الأماني بينها كثبا

ومنزل لا تزال الدهر عقوته ... جديدة الروض جد الغيث أو لعبا

حصباؤه لؤلؤ نثر وتربته ... مسك ذكى فلو لم تحمه انتهبا

وكل ناحية منه زبرجدة ... أجرى اللجين عليها جدولا سربا

وله أيضا:

باليمن ما رفع الأمير وشيدا ... وبجدة النعماء ما قد جددا

قصر أناف على القصور يحله ... ملك أناف على الملوك مؤيدا

قلنا وقد أعلاه جد صاعد ... في الجو حتى ما يصادف مصعدا

أبنية ببنائها فضح البنى ... أم فرقد بسناه شان الفرقدا

غرف تألق في الظلام فلو سرى ... بضيائها سارى الدجنة لاهتدى

عنى الربيع بها فنشر حولها ... حللا تدبج وشيها أيدي الندى

وكأنما تزجى السحائب فوقها ... جيشا يهز البرق فيه مطردا

وكانما نشر الهواء بجوها ... من كل ناحية رداء مجسدا

وللحسن بن محمد بن الحسن:

دار أمن ميمونة الإنشاء ... وعلو مشيد بعلاء

برزت بهجة التألق منها ... بين مقصورة وبين خباء

علم الناس أنها الفرد في الحس ... ن فدانوا لها بفرد البناء

ورأوا كونها بغير نديد ... فدعوها نهاية الأشياء

مثل عدن الجنان يدرك فيها ال ... مرء ما شاءه من الأهواء

وكان الضياء وقف عليها ... فهي تكسو الآفاق فضل ضياء

منزل أسه الحضيض وأعلا ... ه يساوى كواكب الجوزاء

وفيها:

أطم لا تكاد تبلغ بعض ال ... سمك منها لواحظ البصراء

فلو أن الأهرام أهرام فرعو ... ن رأتها أغضت على الأقذاء

ولو أن الإيوان إيوان كسرى ... رام منها لساخ في الغبراء

في فضاء لو طاولت منه دهن ... اء تميم لم تدع أرض فضاء

في استواء يضحى عيالا عليه ... من صحون الأيام كل استواء

وفيها:

وكأن الرواق حكم في الحس ... ن فلم يعد كثرة الإحتواء

فاخر والمحنبات بتيجا ... ن سقوف ملزوزة الأصلاء

ناظرات بأعين بين كحلا ... ء ولم تكتحل إلى شهلاء

ساكنات إذا العيون تحرك ... ن لشيء باللحظ والإيماء

لم يغمضن مذ فتحن يد الده ... ر لغض يوما ولا إغفاء

محدقات بها حدائق نور ... ما غذتها بواكر الأنداء

وفيها:

دار مجد حوت أفانين كانت ... أعين الخلق دونها في غطاء

نزهة للعيون مذهبة لل ... هم كشافة جوى البرحاء

لو سعت ساحة بمدحة بان ... لم تكن عنه سوحها ببطاء

كعبة حجها العفاة فآبوا ... بعد إملاقهم من الأغنياء

ولعبد الله بن المعتز يصف الثريا:." <الأنوار ومحاسن الأشعار الشمشاطي ص/٩٠>

"وابتدأت بمكة شرفها الله تعالى، وما يجب ذكره من وصف حرمها، وأسماء الجبال المحيطة بها، وذكر أرباضها، ووصف المسجد الحرام بحسب الوسع، وذرع الكعبة من خارج، ووصفها من داخل. ووصفت الصفا والمروة، وعرفة ومزدلفة، ومنى وجبل الرحمة، مع شريعة إبراهيم عليه السلام وصفة بطن محسر إلى غير ذلك من المناسك، وصفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. ووصفت منبره عليه السلام، ووصفت عدد أبواب المسجد، وجميع ما فيه من العمد «ا» وعدد ما فيه من القناديل، ووصف روضته عليه السلام. ثم وصفت بقية المدينة، وروضة عثمان رضى الله عنه ووصفت مسجد قبا، وقبور الشهداء «ب» بأحد رحمة الله عليهم تبركا بذلك وتيمنا بالاستفتاح به.

ثم عدت إلى بلاد مصر وما فيها من العجائب، ووصفت نيل مصر وعدد أمياله، من وسطه إلى موقعه، وذكرت بناء الأهرامات والبرابى «ج» ومن بناها، وصورتها وطولها وعرضها وما صنع فيها من العجائب؛ وذكرت من عمرها من الملوك قبل الطوفان وما نزل بها بهذا الطوفان؛ وذكرت فتحها فى أيام سيدنا عمر «د» بن الخطاب رضى الله عنه. ثم عدت إلى مدينة الإسكندرية، ووصفت بناءها وصفة منارها وصفة المرآة التى كانت بها وبناءها وتداول الملوك عليها.

ثم ذكرت بلاد إفريقية وما فيها من العجائب، ووصفت مدينة قرطاجنة وآثارها وعجائبها، ووصفت البلاد الى آخر بلاد المغرب. وقسمت أقطارها قسمين، ورتبتها صنفين: فمنها الصحراوية أو ما قاربها، والساحلية وما يليها.

ولم أذكر شيئا مما سقته إلا ما كاد ينعقد على أكثره الإجماع، ويتفق عليه العيان والسماع، وللمولى أدام الله تأييده ووصل سعوده، أن يقدر عبده فيما أورده، ويحقق فيما رجاه أمله ومعتمده، فإنه وإن كان قد أنفذ وسعه فى الاختيار، وتوسط بين الإقلال والإكثار، حرى بالاحسان." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٣>

"فيقصه على من أمامه. فيقول له: إنك رأيت هذا فى منامك وهو بشرى لك، فلا تنثى عما أمرت به ويبشره بالمثوبة عليه، ويرفع له خنجرا مسموما معدا عنده من حينه «١» .

قال المؤلف فلما هلك الملك نقراوش المتقدم الذكر، ملك بعده ابنه سورت. وكان موحدا مؤمنا. فغلق هياكل الكواكب فقل النيل فى أيامه، فرفضه بنو أبيه وخلعوه وملكوا أخاه الأصغر مصرام المتقدم الذكر. وكان جبارا فزاد فى هياكل الكواكب،

واحتفل فى شكرها وبر سدنتها وزاد فى دخلها وقرابينها. وكان له ربى فأمره أن يحتجب عن الناس، وألقى على وجهه نورا حتى لم يتمكن أحد من النظر إليه؛ وذلل له الأسد فركبها، وادعى الإلهية ودعا الناس إلى عبادته، وغاب عن الناس نحو ٣٠ سنة. وركب فى غيبته أنواعا من الدواب العظام من الوحوش والسباع لها منظر يهول. ومضى به ذلك الربى حتى أوقفه على البحر الأسود، فبنى فى وسطه صنما من حجر أسود أبيض، وزبر عليه اسمه وجعله قربانا للشمس، وعمل قلعة الفضة التى فى البحر الأسود وخبرها مشهور.

ذكر ذلك الموس الكاهن فى سير الملوك القدماء. وزبر على ذلك الصنم:

«أنا مصرام الحبار جامع الأخبار وكاشف الأسرار والعالم القهار: وأظهرت الحكمة العجيبة وكشفت الأمور الغريبة؛ ونصبت الأعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى أنه لا ملك مثل ملكى» . وقيل إنه ركب فى مدينة برسان شجرة تؤكل منها كل فاكهة، وعمل عجائب وغرائب يطول وصفها «٢» .

فلما هلك مصرام ملك بعده من بنيه عدة ملوك، كل واحد منهم يعمل فى وقته عجائب وغرائب فى البناء، وغير ذلك من الطلسمات والصور والأصنام المركبة من الجواهر الغالية؛ إلى أن ملك من بنيه شوندين بن سلمون صاحب الأهرام.

وكان ملكا عاقلا عالما محبا للعلماء، وكان أوتى من العلم والحكمة ما لم يسبقه إلى ذلك ملك ولا غيره، وكان يتعهد من مصالح الرعية ما لم يتعهده سواه من الملوك، وكان ينفق على الزمناء والضعفاء من ماله. واتخذ مرآة من أخلاط." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٥٢>

"وأقامها على منار فى وسط قصره، فكان ينظر فيها جميع الأمم والأقاليم وغير ذلك، ويقابل ذلك بما يصلحه. وكان قد عهد إلى رئيس كهنته ان يأمرهم بالنظر فى كل يوم ما يحدث فى العالم، ويخلد ذلك فى كتاب؛ فجمع إليه العلماء والكهنة والمنجمون من جميع أقطار الأرض، وحققوا له ما أراد وتم له ذلك. وعملت له الغرائب والعجائب فى البناء والطلسمات، وغير ذلك، وفى أيامه بنيت الأهرام التى بأرض مصر. فيقال إنه ليس على وجه الأرض حجر موضوع على حجر أغرب من بناء أهرام مصر.

وكان سبب بناء هذ الأهرام أن الملك شوندين رأى رؤيا هائلة، وذلك أنه رأى الكوكب المعروف بالبانية فى صورة طير أبيض وكأنه يختطف العالم ويلقيهم بين جبلين، وكأن الجبلين انطبقا عليهم، وأن الكواكب المنيرة مظلمة كاسفة كلها. فأخبر بذلك رؤساء الكهان والعلماء وأمرهم أن ينظروا ما تدل عليه الكواكب مما يحدث فى العالم، فأقاموا الكواكب فى مراكزها فى وقت مسألة فدلت على آفة نازلة من السماء وخارجة من الأرض. فلما بان لهم ذلك أخبروه به، فقال ما هو ذلك فنظروا فى خفى أمورها ودقائق علمها، فوجدوها مفسدة للأرض وأهلها وحيوانها وجميع ما فيها، وقالوا إن هذه الآفة محيطة بجميع أقطار الأرض إلا اليسير، وذلك إذا نزل قلب الأسد بأول دقيقة من السرطان، وتكون الشمس والقمر فى أول دقيقة من الحمل. فلما تيقن الملك شوندين من ذلك، وعلم أن تلك الآفة تكون ماء يغرق الأرض ومن عليها،. مر ببناء الأهرام «١» – وهى البرابى لتخليد علومهم وصناعاتهم وسير ملوكهم وسننهم فى رعيتهم وأهل مملكتهم– وبنيان أعلام عظام تكون خزائن لأموالهم وكنوزهم وذخائرهم، وتكون أيضا قبورا لهم ولأهل بيتهم، تحفظ أجسادهم من الفساد وتبقى علمهم صحيحا «٢»

، وأمر بأن يبنى ذلك كله من حجر صلد لا يغيره الدهر ولا يفسده الطوفان.." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٥٣>

"ويقال إنه أمر أن تبنى هذه الأهرام والبرابى من حجارة ومن طين. فإذا كان الحادث ماء ذهبت التى من طين «ا» وبقيت التى هى من حجارة، وإن كانت نارا ذهبت التى هى من حجارة وبقيت التى هى من طين «ب» . فكان ذلك الحادث ماء فذهبت الطين وبقيت الحجارة. ثم أمر الملك وزراءه فمشوا مع المنجمين والكهان فاختاروا موضعا لبناء تلك الأعلام، وهى الأهرام والبرابى، فاختاروا موضعا بقرب النيل فى الجانب الغربى فبنيت فيه مدينة مرقة، معناه بلسانهم «مطلب الحكمة» . ثم أمر الملك بجمع الناس والفعلة فجمع ٧٠٠٠ لقطع الحجارة ونحتها، ومثلهم لهندستها، وأضعافهم للبناء. وعمل قضبان الحديد واستخرج الرصاص، فكانوا ينصبون البلاطة ويجعلون فى وسطها عامود حديد قد نفذها، والعامود قائم قد ضبط بالرصاص المسبوك، وتركب عليها بلاطة أخرى فى قدرها وهندستها، مثقوبة بقدر دخول القضيب فيها، ثم يسكب الرصاص حول العامود وعلى البلاطتين معا، حتى أتى بنيانا ما بني فى العالم قط مثله «١» . وطول حائط الهرم ١٥٠ ذراعا بأذرعهم، وفى عرضه مثل ذلك وارتفاعه فى الفضاء ٤٠٠ ذراع «٢» . ويقال إن عمقها تحت الأرض مثل ارتفاعها فوق الأرض؛ وعرض الحائط من حيطانها ٢٠ ذراعا بأذرعهم.." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٥٤>

"فلما تم بنيان هذه الأهرام والبرابى، أمر الملك أن يكتب على حيطان البرابى وسقوفها جميع الأشياء وغوامض الأمور: من دلائل النجوم وعللها وسائر الصنائع والطباع ومكنونها، والنواميس العظام وعمل الأدوية وتأليفها، ومعرفة العقاقير وأسمائها وصورها، وعلم صنعة الكيمياء وغير ذلك مما ينفع ويضر.

كل ذلك ملخص مفسر لمن عرف كتابتهم وفهمها. ونقش فى حيطانها وسقوفها جميع الطلسمات وكتب على كل طلسم خاصيته ونفعه وضرره، وكما وضع فى تلك الأهرام فنونا من الذهب والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرفيعة والجواهر النفيسة ما لا يحصله وصف واصف. وكذلك فعل بنوه من بعده.

فلما تمت هذه الأهرام والبرابى على ما أراد الملك قال لهم أنظروا هل تفسد هذه الأعلام، فنظروا فوجدوها باقية لا تزول. فقال لهم هل يفتح منها موضع، أو هل يدخل إليها، فنظروا فقالوا له يفتح فى الهرم الفلانى فى الجانب الشمالى منه، فقال لهم حققوا النظر فى معرفة الموضع بعينه، فنظروا وعرفوه بالموضع.

فقال لهم عرفونى متى يكون ذلك، فنظروا فعرفوه أنه يكون ذلك لمدة ٤٠٠٠ دورة للشمس والدورة سنة. فقال لهم أنظروا مقدار ما ينفق فى فتح هذا الموضع؛ فنظروا فعرفوه بالقدر، فقال لهم اجعلوا فى الموضع الذي يوصل منه إلى داخل الهرم ذهبا بمقدار ما ينفق على فتحه. ثم حثهم على الفراغ من بناء الأهرام والبرابى، ففرغوا منها فى ٦٠ سنة. وأمر أن يكتب عليها: «بنينا هذه الأهرام فى ٦٠ سنة فليهدمها من يهدمها فى ٦٠٠ سنة، على أن الهدم أهون من البناء» «١» . ثم قال لهم أنظروا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر غيرها، فنظروا فإذا الكواكب تدل فى وقتهم وتظهرهم على آفة أخرى نازلة من السماء، وتكون فى آخر الزمان وهى ضد الأولى، وهى نار محرقة لأقطار العالم، فأخبروه بذلك. فقال لهم فهل من خبر آخر توقفونا عليه بعد هذه الأمور، فقالوا له ننظر فى ذلك؛ فنظروا على آلاف السنين، وقالوا له إذا قطع قلب الأسد ثلثى دورة،

وهى آخر دقيقة من برج العقرب، لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف، فإذا استتم دورة تحللت عقد الفلك. فقال لهم فى أى يوم تتحلل عقد الفلك، فقالوا له اليوم الثانى من وجود الفلك. قال فتعجب الملك من ذلك، وأمر بكل ما قاله العلماء من هذه الحكم أن تخلد فى الكتب، وتستودع فى تلك الأهرام؛ فيقال إن فيها علم الأولين والآخرين.." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٥٥>

"نرجع الآن إلى حديث الثلمة: قيل فلما كان فى زمان المأمون بن هارون الرشيد، وفرغ من حرب التيماء وأقام بمصر «١» ، أراد هدم الأهرام، فعرفه بعض شيوخ المصريين أن ذلك غير متمكن، وقال له ولا يحسن بأمير المؤمنين أن يطلب شيئا ولا يبلغه «٢» ؛ فقال له لابد أن أعلم ما فيها. ثم أمر بفتح هرم من أعظم الأهرام، ففتح فيه ثلم من جانبه الشمالى، لقلة دوام الشمس على من يعمل فيه؛ فلما ابتدءوا عمله وجدوا حجرا صلدا يكل فيه الحديد. فكانوا يوقدون النار عند الحجر، فإذا حمى رش بالخل ورمى بالمنجنيق فزبر الحديد؛ وأقاموا على ذلك أياما حتى فتحوا الثلمة التى فيه الآن، فمنها يدخل إلى ذلك الهرم. ووجدوا بنيانه بالحديد والرصاص «٣» ووجدوا عرض الحائط ٢٠ ذراعا؛ وبالقرب من الموضع الذي فتحوا مطهرة من حجر أخضر فيها مال على حول الدنانير العريضة، وزن كل دينار منها ٢٧ مثقالا وثلثى مثقال. فقال المأمون زنوه فوزنوا الجملة فوجدوا فيها مالا معلوما، وكان المأمون رحمه الله فطنا، فقال رحمه الله ارفعوا ما أنفقتم على فتح هذه الثلمة، ففعلوا فوجدوه موازنا لما وجدوا من المال. فعجب أمير المؤمنين من ذلك، ومن معرفتهم بالموضع الذي يفتح منه ذلك الهرم على طول الزمان، وازداد فى علم النجوم يقينا. قال فمشى المأمون حتى دخل الهرم، ومشى فيه فوجد صنما أخضرا مادا يده وهو قائم فلم يعلم خبره. ونظر إلى الزلاقة والبئر الذي فى الهرم، وأمر بالدخول والنزول فيه.

قال فنزل فيه قوم من رجاله من درجة إلى درجة حتى أفضوا إلى صنم أحمر، عيناه مجزعتان سواد فى بياض كأنهما حدقتا إنسان ينظر إليهم، فهالهم أمره وقدروا أن له حركة، فجزعوا منه فخرجوا وعرفوا أمير المؤمنين الحال.

قال فجرأه ذلك على طلب مخابىء كثيرة. ويقال إنه وجد فيه مالا كثيرا.." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٥٦>

"قيل فسأل المأمون عمن وجد بمصر من العلماء بتاريخ العالم: هل لهذه الأهرام أبواب يدخل إليها منها؟ فقيل له إن لها أبوابا تحت الأرض، فى آزاج مبنية بالحجارة، طول كل زج منها ٢٠ ذراعا، له باب من حجر واحد يدور بكوكب، إذا أطبق لم يعرف أنه باب، وصار كالبنيان لا يدخل الذر فى خصاصته، ولا يوصل إليه إلا بكلام وقرابين وبخورات معروفة. وإن فى هذه الأهرام قبورا من الذهب والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرفيعة النفيسة ما لا يسعه وصف واصف.

وفيها من الكتب المستودعة فيها طرائف الحكمة وكمال الصنعة، ومن التماثيل الهائلة من الذهب الملون على رؤسها التيجان الفاخرة مكللة بالجواهر النفيسة، ما يستدل به على عظيم ملكهم؛ وجعلوا على ذلك من الطلسمات ما يمنع منه، ويدفع عنه إلى أوقات معلومة وأمد لابد منه. وإنما قصدوا بذلك أن تكون تلك الأشياء ذخيرة لأعقابهم، ولمن يكون من بعدهم، علما على عظيم ملكهم. قال ووضعوا أساس تلك الأعلام فى وقت السعادة، وجعلوا فى أساس كل علم منها صنما، وزبروا فى صدورها دفع المضار والآفات عنها. وفى كل صنم منها آلة كالبوق، وهو واضعه على فيه. وفى وسط كل هرم منها شرفات موجهة إلى آزاج ضيقة المنافذ واسعة المداخل، تجتذب الرياح إليها على طول الزمان، وتخرج من وجه الداخل إليها،

ولها صفير فمن لم يحس دفعها أهلكته. قال فعجب المأمون من ذلك ولم يتعرض إلى شيء من تلك الأعلام.

وقيل إنه عمل تحت تلك الأهرام أسرابا تخرج إلى نواح مختلفة: منها ما يخرج إلى الفيوم وهى على نحو يوم ونصف من مصر، وإلى ناحية المغرب على مسيرة يومين وأزيد، وفى أسفلها مسارب للماء تفضى إلى النيل. قيل ووكل بكل هرم من تلك الأهرام روحانيين، فجعل فى الهرم الغربى روحانى فى صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج لها ذؤابتان حسنة الخلق. وإذا أرادت تستفز الإنسان ضحكت إليه، واستجرته إلى نفسها، فإن تبعها أهلكته.

ذكر ذلك من رآها مرارا. ووكل بالهرم القبلى روحانى فى صورة غلام أمرد عريان حسن الخلق يفعل كذلك. وقد رؤى من خارج مرة بعد مرة ثم يغيب فى الهرم. وفى الهرم الملون صورة شيخ عليه ثياب الرهبان، وبيده مجمرة كأنه يتبخر. وكذلك وكل بجميع البرابى «١» . وببلد إخميم يشاهد أهله أن روحانى." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٥٧>

"ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ ولا ى «١» .

وبها من الكيمياء. وفى بعض أخبار مصر أن قوما قصدوا الأهرام، فنزلوا فى تلك الآبار، وطلبوا أن يدخلوا فى تلك المضايق التى تخرج منها الرياح، واحتملوا معهم سرجا فى أوان رخام. فلما حصلوا فى تلك المضايق، خرجت عليهم ريح شديدة وأخرجتهم منها عنفا، وأطفأت أكبر سرجهم. فأخذوا أحدهم وكان أقواهم جأشا وأشدهم عزما وأصلبهم قلبا؛ فربطوا وسطه بالحبال، وقالوا ادخل فإن رأيت شيئا تكرهه جذبناك، فلما دخل المغرور وزاحم تلك الرياح، انطبق عليه ذلك الفتح، فجذبوه فانقطعت حبالهم، وبقى الرجل فى ذلك الشق وهم لا يعلمون له خبرا؛ فصعدوا هاربين حتى خرجوا من البئر، واغتموا لما أصاب صاحبهم. فجلسوا عند الثلمة مفكرين فى أمر صاحبهم، وفى أمرهم وما أقاموا عليه، فبينما هم كذلك إذ انفجرت من الأرض فرجة كالكوة، وأثارت لهم ذلك الرجل عريانا مشوه الخلق ميت الدم جامد العينين، وهو يتكلم بكلام عجيب لا يفهم، فلما فرغ من كلامه سقط ميتا. فازداد وجلهم وتضاعف حزنهم وجزعهم، وعلموا أنهم خالصون من أمر عظيم «٢» . قال فاحتملوا صاحبهم، واتصلت أنباؤهم بوالى مصر وهو ابن المدبر فى أيام المتوكل «٣» ، فسألهم عن أمرهم؛ وأخبروه بذلك فعجب. وأمر أن يكتب الكلام الذي قال ذلك الرجل الذي مات، حسب ما قاله، وأقام ابن المدبر يطلب من يفسره إلى أن وجد رجلا يعرف شيئا من ذلك اللسان، ففسره: «هذا جزاء من طلب ما ليس له وأراد الكشف على ما يخفى، فليعتبر من رآه» . قال فمنع حينئذ ابن المدبر أن يتعرض أحد للأهرام.." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٥٩>

"وفى خبر آخر أن جماعة دخلوا الأهرام فوجدوا فى بعض البيوت زلاقة إلى بئر، فنزلوا فيها فوجدوا سربا، فساروا فيه نصف يوم حتى انتهوا إلى حفير عميق وفى عدوته باب لطيف. وكانوا يتبينون منه شعاع الذهب والفضة والجواهر النفيسة. ومن رأس الحفير مما يليهم إلى ذلك الباب المحاذى لهم، الذي فيه الذهب والجوهر، عامود حديد قد ألبس محورا من حديد يدور عليه ولا يستمسك فى دورانه. فاحتالوا فى وقوفه وذهاب حركته فلم يقدروا على ذلك، فربطوا أحدهم فى حبل، وتعلق بالعامود ليصل إلى الجانب الآخر، فدار به المحور «ا» فتحير وسقط وانقطع الحبل الذي كان فيه، فخرجوا هاربين لا يلوون على شئ.

وفى خبر آخر أن قوما دخلوا بعض الأسراب التى فى الهرم، فانتهوا إلى صنم أخضر على صورة شيخ، وبين يديه أصنام صغار كأنه يعلمهم. ثم ساروا فوجدوا فوارة تحت قبة يقع فيها ماء من أعلى تلك القبة، فيكون له نشيش شديد كأنه يطفئ نارا، ثم يفيض هناك ولا يتبين. ثم داروا فوجدوا بيتا مسدودا لا يظهر له باب غير حجر صلد، وفيه دوى شديد لا يدرى ما هو؛ ووجدوا عنده شبه المطهرة الكبيرة فيها ماء ودنانير، منقوش فى الوجه الواحد صورة أسد وفى الوجه الثانى صورة طير، فأخذوا من تلك الدنانير شيئا، فلم يقدروا على حركة ولا كلام حتى تركوها فى موضعها.

وأما البرابى ففيها من الطلسمات والكتابة، وعمل الصناعات وتصوير جميع الآلات وتعليم جميع الصناعات، كل ذلك منقوش فى الحجر الصلد، وإن الناس يمشون إليها فيأخذون فوائد كثيرة «١» . قال الوصيفى «٢» :

رأيت فى بربى إخميم صورة عقرب فألصقت عليها شمعا فلم أتركها فى موضع إلا أن انحاشت العقارب إليها من كل موضع، وإن كانت فى تابوت اجتمعت." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٦٠>

"فعجبت من ذلك. وشاع خبرها حتى اتصل ببعض الولاة فوجه إلى فأخذها منى.

وكان فى هذه البرابى عجائب من الطلاسم فى قبور شتى قد درس أكثرها، وتهدم أكثر البرابى. وأما الأهرام فهى باقية على حالها ما اختل منها شئ؛ فيقال إن كل ما تهدم من هذه الهياكل وتغير، مثل بربى بوصير «١» وبربى سمنود وغير ذلك من الهياكل، أن المنجمين تركوا الاستقصاء فى أخذ الطالع وتصحيحه فى وقت وضع الأساس، وكذلك ما بقى منها فلقرب الطالع من الصحيح. ولا شك أن الذين بنوا هذه البرابى كانوا على بعد من الملوك، ولم يكونوا بحضرتهم ولا تحت نظرهم، فيستقصوا النظر كما اتفق فى بناء الأهرام، وكان بالقرب من صاحب مصر فكان يتفقدها. والبرابى أكثر إنما هى فى الكور. قيل ولكل بربى من هذه البرابى خاصة ومنفعة فى الموضع الذي يكون فيه وما والى جهته؛ وأهل تلك الديار لا يشكون أنه لما هدم بربى سمنود، وحملت حجارته إلى أشتوم دمياط «٢» ، أن اليوم الذي فرغ فيه من هدم الحائط الغربى، دخل حباسة الإسكندرية وخربها «٣» ، وكثرت الرمال فى أسباب البحر بها حتى انقطع النيل عنها فى شهور الصيف، وكان يمر عليها صيفا وشتاء؛ وقلت زكاة الزرع وكثر الفأر فيه والجراد والفساد الذي لم يعهد قبل ذلك. ومن العجائب المذكورة بأرض مصر فى قرية يقال لها بدرسانة «ا» ، كنيسة قديمة للروم فيها بيت يصعد إليه فى نيف وعشرين مرقى، وهناك سرير عليه صبى ميت، وتحت السرير صورة ثور عظيم من زجاج فى جوفه باطية زجاج فيها أنبوبة نحاس موضوع فيها فتيل كتان، ويصب عليه يسير زيت فما تلبث أن تمتلىء." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٦٣>

"ابن فلان الملك، مات مؤمنا بالله لا يعبد معه غيره، بريئا من الأصنام وعبادتها، مؤمنا بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال، فمن أحب النجاة من عذاب الآخرة فليؤمن بما أومن به «١» .

وكان من ذرية هؤلاء الملوك، كلكن الملك الجبار، كان يعقد التاج على رأسه، وكانت دار مملكته منف، وهى كانت دار الملوك قبله. وكان يحب الحكمة؛ وإظهار الحكمة والعجائب، ويقرب العلماء والمنجمين وأهل الصنعة، فلم تعمل الكيمياء قط فى وقت من الأوقات كما عملت فى أيامه، حتى أستغنى أهل ذلك العصر عن معادن الذهب فلم يشتروها، ولم يكن الذهب أكثر منه فى أيامه، ولا الصنعة أقوى منها فى وقته. كان يطرح المثقال من مثاقيل الكيمياء على القناطير الكثيرة من

الفضة فيصبغها. ويحكى القبط عنه أنه اخترع أشياء تخرج عن حد العقل حتى أنهم يسمونه حكيم الملوك؛ غلب جميع الكهنة فى علمهم حتى كان يخبرهم بما غاب عنهم فخافوه. وفى وقته كان نمرود ابراهيم الخليل عم «ا» ؛ وكان نمرود جبارا شديد البأس، وكان ملكه بالعراق، وكان قد أوتى قوة وبطشا فغلب على أكثر الأرض، فأراد أن يستوزر كلكن الملك. وبعث إليه فى ذلك فخافه كلكن وأجابه إلى ذلك، ووجه إليه أنه يريد أن يلقاه منفردا من أهله وحشمه، ليريه من حكمته وسحره؛ فسار النمرود إلى موضع يلقاه فيه كلكن. فأقبل كلكن تحمله أربع أفراس ذوات أجنحة، وقد أحاط به نور كنار، وهو فى صورة مهيبة؛ فدخل بها وهو متوشح تنينا عظيما، والتنين فاغرفاه، ومعه قضيب آس؛ فكلما رفع التنين رأسه ضربه بالقضيب الذي بيده، فلما رأى النمرود هاله ما رآه، واعترف له بجليل حكمته وسأله أن يكون له ظهيرا ففعل. وتزعم القبط أن كلكن الملك كان يجلس إلى الهرم الغربى، وهو أعظم الأهرام، فى قبة على رأس الهرم. وكان يجمع إليه رعيته وحشمه ويأمرهم وينهاهم من أعلى الهرم، ويقيم." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٧٠>

"ينازعها ويروم أخذ بلادها كف عن ذلك فاشتد ملكها وعظم أمرها، وبنت حصونا على بلاد مصر من ناحية النوبة، وعملت طلاسم كثيرة وأعلاما وأشياء كثيرة يطول وصفها «١» .

قيل فلما ضعفت حورية عن الملك عهدت إلى بنت عم لها تسمى دليفة. فلما هلكت حورية ضعفت دليفة عن الملك، وخرج عليها أيموش يطلب ثأر خاله أبراحش، واستنصر بملك العماليق صاحب الشام فأجابه، وخرج فى نصرته لما كانت حورية فعلمت بقائده وبجيشه فيما تقدم. وقدم جيش أيموش، فخرجت إليه دليفة تحاربه فغلبها، فلما أيقنت بالغلبة سمت نفسها فهلكت فى الحين.

ثم إن ملك الشام العمليقى غلب على مملكة مصر، وكان اسمه الوليد بن دومع، وأصل العمالقة من العرب العاربة، وكان شديد البأس فأباد الأمم ودوخ البلاد حتى بلغ فيما يقال إلى جبل القمر الذي ينبعث من تحته النيل، وإنما سمى جبل القمر لأن القمر يطلع عليه أبدا لخروجه عن خط الاستواء، وبلغ هيكل الشمس وأرض الذهب، وهى أرض تنبت قضبان الذهب، واستعبد هذا الملك القبط وملكهم ١٢٠ سنة ثم هلك. ويقال إنه ركب ذات يوم فرسا وخرج متصيدا فركض به الفرس فقتله، ودفن فى بعض تلك الأهرام «٢» . ثم ملك بعده ابنه الريان بن الوليد، وهو فرعون يوسف عم، والقبط تسميه نقراوش، وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا محسنا إلى الناس. لما ولى بعد أبيه أسقط الخراج عن الناس ٣ سنين، وفتح خزائن الأموال وفرق على الضعفاء فأحبه الناس وشكروه.

وكان يميل إلى الراحات وغلبت عليه اللذات، وملك أمر الناس رجلا من أهل بيته يقال له قطفير، وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز. وقد ذكره الله تعالى فى القرآن العظيم فى قصة يوسف عم «٣» ، وكان رجلا عاقلا حصيف الرأى نزيه النفس مؤثرا العدل، وأمر أن ينصب له فى قصره سرير من الفضة يجلس." <الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٧٣>

"فهرس محتويات الكتاب

الصفحة

"ذكر مصر القديمة

التي كان بها يوسف الصديق عليه السلام، بها قبة زليخة، وبها السجن الذي سجن يوسف عليه السلام به، وبها مشهد يعقوب عليه السلام، وبها الأهرام التي خزن يوسف الصديق القمح بها، وبها من العجائب والآثار البيت الأخضر الذي كان لفرعون، وهو من عجائب الدنيا وهو حجر أخضر مانع وعليه كتابة بالقلم القديم وهو قطعة واحدة سقفه وأرضه وحيطانه، ولقد ذرعت طوله وعرضه وارتفاعه، وإنما كتبي غرقت وأخذت وشذ عنى حقيقة ذلك، وهذا البيت فى وسط قصر أبيض قد كان مرخما وهناك أصنام هائلة وصورة فرعون، ونذكر جميع ذلك فى كتاب العجائب إن شاء الله تعالى.

طغاش:

وقبلى مصر من الجانب الشرقى قرية أظن اسمها طغاش، شرقيها مرقب موسى بن عمران عليه السلام وبه كان مقيما على البحر وبين الجبين به مسجد من سلف وله حكاية.

أسكر:

بلدة بها ولد موسى بن عمران عليه السلام وداره بها وموضع ولادته تزار من الأطراف «١» .

بلاد الصعيد

مدينة إتفيح:

أول بلاد الصعيد قبليها مقام موسى وموضع قدميه «٢» .

منية ابن خصيب:

بلدة قبليها مقام إبراهيم عليه السلام من الجانب الشرقى «٣» ، وفى البر الشرقى قبالة المنية قرية تعرف بطهنة عندها بلد يقال له: عين شمس به آثار عجيبة، وليست عين شمس التى عند المطرية، ومن بحريها جبل الطير ويقال: الطيلمون، وهو من عجائب الدنيا، وذلك أن الطيور تجتمع إليه فى كل سنة وهى طيور يقال لها: بوقير، وفى رأس هذا الجبل ثقب صغير والجبل مطل من ناحية البحر ولا يبقى طير إلا ويدخل منقاره." <الاشارات الى معرفة الزيارات الهَرَوي، أبو الحسن ص/٤٢>

"الأصمعى- عبد الملك

أوكرم: ٥٥.

أويس القرني:

قبر: ٢٢، ٥٨.

أيوب– النبي ٢٤.

بئر: ٢٤.

صخرة: ٢٤.

عين: ٢٤.

قبر: ٢٤.

أيوب السختياني:." <الاشارات الى معرفة الزيارات الهَرَوي، أبو الحسن ص/٩٠>

"٧٢٠ – النسائي بالفتح والهمزة والنسوي نسبة إلى نسا مدينة بخراسان منهم من ينسب إليها نسوي هكذا ذكره السمعاني فى النسوي وذكر فى النسا أنها مدينة بخراسان يقال لها نسا وينسب إليها النسوي

٧٢١ – النشأي بلدة غربية فسطاط مصر قريبة من الأهرام نسبة نصر بن جزء ابن عتاب تقدم وهى بفتح النون والشين المعجمة

٧٢٢ – النصروي بفتح النون وسكون الصاد وفى آخرها الراء والواو بياء آخر الحروف إمام كبير أحد من شرح القدوري كذا رأيته بياء آخر الحروف ولم يذكر السمعاني هذه النسبة وذكر النصروي بواو قبل الياء آخر الحروف وأنها نسبة إلى نصرويه وهو جد المنسب إليه

٧٢٣ – النصيري بفتح النون وكسر الصاد وسكون الياء وفى آخرها راء نسبة إلى قبيلة وجد ومحلة ببغداد نسبة إسحاق بن عبد الله بن إسحاق أبو يعقوب وابنه تقدم رحمة الله عليهم

٧٢٤ – النضري عبد الله بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن النضر بن حكيم المروزي أبو العباس الحاكم تقدم والنسبة بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء

٧٢٥ – النفيعي نسبة مسلم بن سلامة بن شبيب تقدم رحمه الله تعالى." <الجواهر المضية في طبقات الحنفية عَبْد القَادِر القُرَشي ٢/٣٥٢>

"القديمة الشهيرة والحال أن تلك لم يبق منها إلا أطلال بالية وبيوت قليلة خربة أو متداعية وكلها في جهة تعرف بمصر العتيقة في هذه الأيام.

وأما المدينة ففي ٣٠ درجة من العرض الشمالي و ٢٨ درجة من الطول الغربي في وسط سهل فسيح، قد اختلطت فيه رمال البادية بالطين الذي جرفه نهر النيل إلى مصر من قلب أفريقا ويحاذيها من ناحية الشرق الجبل المقطم وهو كبعض التلال المنبسطة في ربى لبنان أو أوطأ منها، ومن ناحية الغرب نهر النيل ملاصقا للبيوت التي على أطرافها ولغزارة مائه واتساعه العظيم يسمونه هنا بحرا وقد صدقوا فلو جمعت أنهار سوريا كلها معا لما ساوت جانبا منه.

والمدينة مؤلفة اليوم من بيوت قديمة وبيوت جديدة فالقديمة مبنية ومرتبة على الاصطلاح الشرقي والشوارع بنيها ضيقة والأزقة يغلب أن تكون قذرة والهواء غير نقي لانحصاره والمباني غير جميلة ولكنها لا تخلو من محاسن كثيرة يلذ بها ذو الذوق السليم كمنجورها المعروف بالمشربية فإنه بديع الجمال ويزيده طول عهده حسنا وجمالا لأن طول الزمان كبعد المكان يكسو الشيء أثوابا من الجمال والجديدة مبنية على الطراز الغربي الجديد ولا حاجة لوصفه وأحقر المباني القديمة أكواخ الفلاحين وهي صغيرة قذرة في جميع أنحاء القاهرة فيرى الإنسان في الأرض الواحدة قصورا فخيمة ومباني رشيقة، وزخارف تسبي العقول وتبهر الأبصار بجانبها تلك الأكواخ الحقيرة البناء القذرة الظاهر النتنة الداخل المعروفة عند المصريين بالعشش فكأني بمصر قد جمعت أبدع الصناعة الأوروبية مع أحقر الصناعة الأفريقية في رقعة صغيرة من الأرض.

وكانت القاهرة قديما محاطة بسور لا تزال آثاره ظاهرة في بعض الجهات إلى الآن. ويقال: عن الرياح كانت تسفي عليها رمال الصحراء قديما حتى تغشيها بها كما يغشى الضباب جوانب الأنهار، ولذلك كثر رمد العينين فيها وتلفت عيون الجانب الكبير من أهاليها ولكن لما حكم محمد علي باشا وإبراهيم الذي تغلب على سورية وحكم عليها زمانا ولا يزال اسمه أشهر من نار على علم عندنا في بلاد مصر عمرها إلى درجة سامية في التمدن فأنشأ المدارس والمعامل وبنى المستشفيات، وفتح الطرقات، وغرس الأشجار وجعل القاهرة ثانية القسطنطينية في الاتساع، وبنى جامعة المعدود من أشهر جوامعها العديدة على مقربة من الجبل وكله مبني من المرمر اللامع الذي يكاد يكشف عما تحته ومزين بالنقوش والكتابات البديعة، وفيه الثريات الكبيرة والطنافس النفيسة التي لم تر عيني أعظم منها ولا أبدع صفة، ولما توفي إلى رحمة ربه دفن فيه، وأحيطت الحجرة التي دفن فيها بمشبك من النحاس الأصفر المتقن الصنعة البديع الشكل والجامع يطل على المدينة، وقد وقفت بجانبه فرأيت أمامي معظم القاهرة مقطعة بالشوارع تقطيعا هندسيا، وقد رفعت فيه قباب الجوامع على ما سواها من المباني وعلت المآذن مئات كأنها شجر غاب في سهل أو سواري السفن في البحر.

ويلي المدنية غربا نهر النيل جاريا بين حقول الزرع وغياض الشجر، وغابات النخيل كأنه سيف صقيل مسلول على بساط أخضر وثير ويلي حواشيه الخضراء رمال الصحراء والأهرام الناطحة عنان السماء، وهذا المنظر من المناظر التي تستحق أيدي أبدع المصورات وتعرضها قرة للعيون ونزهة للنفوس، وبجانب هذا الجامع قلعة عظيمة كانت تسك فيها النقود ويعرف مكان سكها بالضر بخانة، والقلعة اليوم في قبضة الجنود الإنكليزية التي دخلت البلاد مصر بعد النازلة العربية.

وفي القاهرة جوامع عديدة بعضها موصوف بجمال داخله رونق ولكن أشهرها في الاسم يكاد يكون أدناها في البناء أريد به الجامع الأزهر الذي سمعتن به كثيرا فهو جامع للتدريس وفيه من الطلبة ما ينيف من عشرة آلاف طالب على ما يقال فهو أكثر مدارس." <الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٥٠١>

"وقد كان الحميري وفيا لجانب كبير من هذه الخطة، فهو حقا قد صنف معجما جغرافيا تاريخيا، (أو إن شئت فقل معجما تاريخيا جعلت الجغرافيا مدخلا إليه) مرتبا على حروف المعجم، حسب ترتيبها المشرقي، ولا ندري لم اتبع هذا الترتيب مع أنه في داخل الحرف الواحد، حاول أن يتمشى على الترتيب المغربي، (هل يمكن أن نفترض أن النساخ المشارقة أعادوا ترتيبه على النحو الذي يألفونه؟) ثم هو أضرب عن ذكر عدد كبير جدا من البلدان، وحاول في الأغلب أن يكون ما يذكره مشهورا متصلا بحادثة أو قصة أو معنى مستملح مستغرب ولكنه إلى جانب ذلك ذكر أماكن لا شهرة لها. ولا يتعلق ذكرها بخبر طريف أو غريب؛ وربما لم يزد التعريف بها عن سطر أو سطرين، وكثيرا ما خرج من حيز الخبر المستطرف إلى الخبر العجيب، وغلبت عليه الروح " العجائبية " التي ظلت ترافق كثيرا من الجغرافيين في شتى العصور؛ أما مقايسته كتابه بنزهة المشتاق فإنها مقايسة في غير موضعها، لأن الإدريسي اقتصر إلى حد كبير على " المفهوم الجغرافي " وحاول أن يقلل ما استطاع من الشؤون العجائبية، ولذا فإن الحميري حاول أن يفرض مفهوما جديدا هو مفهوم " المتعة والعبرة "، وذلك ربما كان في أكثر خارجا عن مفهوم مؤلف مثل الاصطخري والحوقلي والإدريسي.

أما قضية الإيجاز فربما كان فرضها خطأ منذ البداية لأن من شاء أن " يمتع " القراء بالأخبار لا يستطيع دائما أن يتحكم في إيرادها، وفي مرات أحس ابن عبد المنعم أنه يتجاوز حدود الإيجاز فاعتذر عن ذلك (كما فعل في مادة الزلاقة والأندلس) ؛ ولكنه لم يحاول أن يوجز حين تحدث عن إرم والأهرام وسرد قصة بعض الفتوحات في صدر الإسلام أو حين تحدث عن حرب البسوس ومعركة ذي قار. كما أن قاعدة الإيجاز اختلت لديه لأسباب أخرى منها:

١ – عدم سبكه المادة المنقولة من مصادر جغرافية مختلفة، وإنما هو يوردها تباعا، وقد يكون المنقول عن البكري مثلا تكرارا – بأسلوب آخر – لما سبق أن نقله عن الإدريسي أو عن الاستبصار.

٢ – تكراره المعلومات الواحدة في مادتين مختلفتين، ما يصلح أن يكتب في مادة " الدامغان " قد يعاد نصا من مادة " الزرادة " يجيء لبعض ما ذكر في مادة " جنابا ".

٣ – تكراره ذكر الموضع الواحد لأن اسم البلد ورد في شكلين مختلفين مثل: لياج – الياج، طرابنش – أطرابنش؛ وشقة – وشكة، وهكذا.

ثم إن تأليف معجم جغرافي مرتب على حروف المعجم لم يكن بالنسبة لابن عبد المنعم الذي لم يرحل ولم يكتب عن مشاهدة – أو حتى عن سماع – محوطا بكثير من التوفيق، فقد ضخم الترتيب الهجائي من أخطائه – وهي أخطاء لا يمكن أن تظهر بهذا الوضوح في مؤلف جغرافي عام، لأنها تحمل على الناسخ في الأغلب لا على المؤلف، غير أنها تظهر واضحة في معجم مرتب على حروف الهجاء وقد كان الحميري يعتمد في تصنيفه على الكتب، وكان يقرأ اسم البلد حسبما." <الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٠>

"الحبل المستطيل من الرمل، وقيل هي الرمال العظيمة، وكثيرا ما تحدث هذه الأحقاف في بلاد الرمل لأن الريح تصنع ذلك، وفي ذلك قال الله تعالى " واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف " ونبيهم هود عليه السلام ولما قال قائلهم " هذا عارض ممطرنا " قيل لهم " بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم " وذلك أن عادا (١) بغت في الأرض وملكها

الخلجان ابن الدهم، كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم هودا فلم يجيبوا، فمنعوا المطر ثلاث سنين وأجدبت الأرض فم يدر لهم ضرع وكانت في نفوسهم مع ذلك هيبة الصانع والتقرب إليه بالتماثيل وعبادتها لأنها في زعمهم مقربة إليه، وكانوا يعظمون موضع الكعبة وكان بربوة حمراء، فوفدت عاد إلى مكة وفدا يستسقون لهم ويستغيثون وكان بمكة يومئذ العمالق، فأتى الوفد مكة فأقبلوا على الشراب واللهو حتى غنتهم الجرادتان قينتا معاوية بن بكر بشعر فيه حث لهم على ما وردوا من أجله، وهو:

ألا يا قيل قم عجلا فهينم ... لعل الله يسقينا غماما

فيسقي أرض عاد إن عادا ... قد أمسوا لا يبينون الكلاما

وإن الوحش تأتي أرض عاد ... فلا تخشى لعادي سهاما

وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا إلى الاستسقاء لقومهم، فكان من أمرهم في مجيء السحب واختيارهم لما اختاروه منها ما هو مشهور، وذلك أن الله تعالى أنشأ سحائب: بيضا وحمرا وسودا ثم نادى مناد من السحاب: يا قيل اختر لقومك، وكانوا قالوا: اللهم إن كان هود صادقا فاسقنا، فقال: اخترت السحابة السوداء، فقيل له: اخترت رمدا رمددا، لا تبقي من عاد أحدا، لا والدا ولا ولدا، إلا جعلته همدا، وساق الله تعالى السحابة السوداء بالنقمة إلى عاد، وفيهم يقول مرثد بن سعد:

عصت عاد رسولهم فأضحوا ... عطاشا ما تبلهم السماء

ألا قبح الإله حلوم عاد ... فإن قلوبهم قفر هواء فأرسل الله تعالى عليهم الريح العقيم كما قال عز وجل " ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم " خرجت عليهم من واد لهم، فلما رأوا ذلك قالوا " هذا عارض ممطرنا " وتباشروا بذلك، فلما سمع هود ذلك من قولهم قال " بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم "، فأتتهم الريح يوم الأربعاء فلم تأتهم الأربعاء الثانية ومنهم حي، فمن أجل ذلك قيل: أربعاء لا تدور ثم انفرد هود ومن معه من المؤمنين، وفي ذلك يقول شاعرهم:

لو أن عادا سمعت من هود ... واتبعت طريقة الرشيد

ما أصبحت عاثرة الجدود ... صرعى على الآناف والخدود وروى الكلبي (٢) عن رجاله عن الأصبغ بن فلان (٣) ، قال: كنا عند علي رضي الله عنه في خلافة عمر رضي الله عنه، فسأل رجل من حضرموت فقال: أعالم أنت بحضرموت؟ فقال: إذا جهلتها فما أعلم غيرها، فقال: أتعرف موضع الأحقاف؟ قال: كأنك تسأل عن قبر هود عليه السلام، قال: نعم، قال: خرجت وأنا غلام في أغيلمة من الحي نريد أن نأتي قبره لبعد صيته، فسرنا في وادي الأحقاف أياما وفينا من قد عرف الموضع، حتى انتهينا إلى كثيب أحمر فيه كهوف، فانتهى بنا ذلك الرجل إلى كهف منها فدخلناه وأمعنا فيه فانتهينا إلى حجرين قد أطبق أحدهما فوق الآخر وفيه خلل يدخل منه النحيف متجانفا، فرأيت رجلا على سرير شديد الأدمة كث اللحية قد يبس على سريره وإذا لمست شيئا من جسده وجدته صلبا، وعند رأسه كتابة بالعربية: أنا هود الذي آمنت بالله وأسفت على عاد لكفرها وما كان لأمر الله من مرد، فقال علي رضي الله عنه: كذلك سمعته من أبي القاسم صلى الله عليه وسلم.

اخميم (٤)

مدينة في البلاد المصرية في الجانب الشرقي من النيل لها ساحل، وهي مدينة كبيرة قديمة فيها أسواق وحمامات ومساجد كثيرة وفيها من البرابي وعجائب المباني والآثار ما يعجز الوصف عنه وهي بصعيد مصر.

وكان سوريد بن سهلون (٥) صاحب الأهرام ملكا عاقلا عالما أوتي علما

---

(١) ورد خبر عاد في عدة مصادر، انظر الطبري ١: ٢٣١ – ٢٤٤ وأخبار الزمان: ٨١ – ٨٢، وكتب التفسير (سورة الأحقاف) وكتب الأمثال، والبكري (مخ) : ١٠.

(٢) قارن بمعجم ما استعجم ١: ١١٩.

(٣) الأصبغ بن نباتة عند البكري.

(٤) الاستبصار: ٨٤.

(٥) أخبار الزمان (١٠٨) : فيلمون؛ حسن المحاضرة: سهلوق؛ الاستبصار: ٥٢ شونديين بن سلمون.." <الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٥>

"وحكمة، فكان يتعهد مصالح رعيته، واتخذ مرآة من أخلاط أقامها على منار في وسط قصره بمكان ينظر فيها جميع الأمم والأقاليم ويقابل ذلك بما يصلحه، وقد كان عهد إلى رئيس كهنته أن يأمرهم بالنظر في كل يوم فيما يحدث في العالم ويخلد ذلك في كتاب، فجمع إليه العلماء والكهناء والمنجمين من جميع الأقطار وعملوا له ما أراد من جميع الطلسمات وغير ذلك. وفي أيامه بنيت الأهرام (١) التي بأرض مصر بسبب أن هذا الملك كان رأى رؤيا هالته: رأى الكواكب البابانية (٢) في صور طير بيض كأنها تخطف العالم وتلقيهم بين جبلين وكأن الجبلين انطبقا عليهم، وكأن الكواكب النيرة مظلمة كاسفة كلها، فأخبر بذلك كهانه وعلماءه، فأولوا ذلك على أنه يدل على آفة نازلة من السماء مفسدة للأرض وأهلها وحيوانها وقالوا له: هي آفة محيطة بأقطار الأرض إلا اليسير، وذلك إذا نزل قلب الأسد في أول دقيقة من السرطان وتكون الشمس والقمر في أول دقيقة من الحمل، فقدر الملك أن ذلك غرق يأتي على الأرض ومن فيها، فأمر ببناء الأهرام والبرابي لتخليد علومهم وصناعاتهم وسير ملوكهم وسنتهم في رعيتهم، وأمر ببناء أعلام عظام تكون خزائن أموالهم وكنوزهم وذخائرهم وقبورا لهم تحفظ أجسادهم من الفساد، وأمر أن يكون ذلك كله في حجر صلد لا تغيره الدهور ولا يفسده الطوفان، وقيل أمر ببناء هذه الأهرام والبرابي من حجارة ومن طين، فإن كان هذا الحادث ماء ذهبت التي هي من طين وبقيت التي هي من حجارة، وإن كانت نارا ذهبت التي هي من حجارة وبقيت التي هي من طين، فكان ذلك الحادث ماء فذهبت الطين وبقيت الحجارة، ثم اختار موضعا لبناء تلك الأعلام، بقرب النيل في الجانب الغربي منه، وجعل طول حائط الهرم مائة وخمسين ذراعا في عرض مثل ذلك، وارتفاعه في السماء أربعمائة ذراع وعمقها تحت الأرض مثل ارتفاعها فوق الأرض، وعرض الحائط عشرين ذراعا. فلما تم بنيان الأهرام والبرابي أمر الملك أن يكتب على حيطان البرابي وسقوفها جميع الأشياء وغوامض الأمور ودلائل النجوم وعللها وسائر الطبائع وعمل الأدوية وتأليفها ومعرفة العقاقير وأسماؤها وصورها وعلم صنائع الكيمياء وغيرها مما ينفع ويضر، كل ذلك ملخصا مفسرا لمن عرف كتابتهم، وفهمها، ونقش في حيطانها وسقفها جميع

الطلسمات، وكتب على كل طلسم خاصيته ونفعه وضرره ولما وضع، وجعل في تلك الأهرام فنونا من الذهب والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرفيعة والجواهر النفيسة، فلما تمت هذه الأهرام والبرابي على ما أراد الملك قال لهم: انظروا هل تفسد هذه الأعلام؟ فنظروا فوجدوها باقية لا تزول، فقال لهم: هل يفتح فيها موضع أو يدخل إليها؟ فنظروا وقالوا: يفتح في الهرم الفلاني في الجانب الشمالي منه، فقال: حققوا النظر في معرفة الموضع نفسه، فنظروا وعرفوه أنه يكون لمدة أربعة آلاف دورة للشمس، والدورة سنة، فقال لهم: انظروا مقدار ما ينفق في فتح هذا الموضع، فنظروا فعرفوه فقال: اجعلوا في الموضع الذي يوصل إليه من داخل الهرم ذهبا مقدار ما ينفق على فتحه، ثم حثهم على الفراغ من بناء الأهرام والبرابي ففرغوا منها في ستين سنة، وأمر أن يكتب عليها: بنينا هذه الأهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد هدمها في ستمائة سنة على أن الهدم أهون من البناء، ثم قال لهم: انظروا هل يكون بمصر بعد هذه الآفة آفة أخرى، فنظروا فإذا الكواكب تدل على وقت نظرهم على آفة أخرى نازلة من السماء تكون في آخر الزمان وهي ضد الأولى: نار محرقة لأقطار العالم، فقال لهم: هل توقفونا على أمر آخر بعد هذه الأمور؟ فنظروا فقالوا: إذا قطع قلب الأسد ثلثي دورة وهو آخر دقيقة من العقرب لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف، فإذا استتم أدواره تحللت عقد الفلك. فقال لهم: في أي يوم تنحل عقد الفلك؟ فقالوا له: اليوم الثاني من حركة الفلك، فعجب من ذلك وأمر بتخليد ما قاله العلماء من هذه الحكم في الكتب وأن تستودع في تلك الأهرام، فيقال ان فيها علوم الأولين والآخرين.

قالوا (٣) : فلما كان في زمن المأمون بن الرشيد أراد هدم الأهرام، فعرفه بعض شيوخ المصريين أن ذلك غير ممكن ولا يحسن بأمير المؤمنين أن يطلب شيئا لا يبلغه، فقال: لا بد أن أعلم ما ما فيها، ثم أمر بفتح هرم من أعظمها، ففتح فيه ثلم في جانبه الشمالي لقلة دوام الشمس على من يعمل فيه، فعملوا فيه فوجد حجرا صلدا يكل فيه الحديد، فكانوا يقدون النار عند الحجر

---

(١) ورد الحديث عن الأهرام في كثير من المصادر، وأنظر بخاصة تحفة الألباب: ٧٤ - ٧٧ وخطط المقريزي ١: ٣٠، وحسن المحاضرة ١: ٢٩ - ٣٤،وكثير مما أورده السيوطي أيضا، ولعل المؤلف ينظر في النقل غلى كتاب الاستبصار: ٥٢ وما بعدها.

(٢) كذا في ص ع؛ وفي الاستبصار: الكوكب المعروف بالبانية.

(٣) متابع للاستبصار: ٥٦.." <الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٦>

"فإذا حمي رش بالخل ورمي بالمنجنيق بزبر الحديد، وأقاموا على ذلك أياما حتى فتحوا الثلمة التي فيها الآن، فدخلوا ذلك الهرم فوجدوا بنيانه بالحديد والرصاص، ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا، ووجدوا بالقرب من الموضع الذي فتحوا مطهرة من حجر أخضر فيها مال، فقال المأمون: زنوه، فوزنوا الجملة فوجدوا، فيها مالا معلوما، وكان المأمون فطنا فقال: ارفعوا ما أنفقتم على فتح هذه الثلمة، فوجدوه موازيا لما وجد من المال، فعجب المأمون من معرفتهم بالموضع الذي يفتح على طول الزمان، وازداد بعلم النجوم غبطة، ووجد المأمون في الهرم صنما أخضر مادا يده وهو قائم فلم يعلم خبره، ونظر إلى الزلاقة والبئر التي في الهرم وأمر بالنزول فيه، فأفضوا إلى صنم أحمر عيناه من جزعتين سواد في بياض كأنهما حدقتا إنسان

ينظر إليهم، فهالهم أمره وقدروا أن له حركة فجزعوا منه وخرجوا، ويقال إنه وجد فيها مالا كثيرا. وسأل المأمون من وجد بمصر من علمائها هل لهذه الأهرام أبواب فقيل لها أبواب تحت الأرض في آزاج مبنية بالحجارة كل واحد منها عشرون ذراعا له باب من حجر واحد يدور بلولب إذا أطبق لم يعرف أنه باب، وصار كالبنيان لا يدخل إليه الذر ولا يوصل إليه إلا بكلام وقرابين وبخورات معروفة، وإن في هذه الأهرام فنونا من الذهب والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرفيع والجواهر النفيسة ما لا يسعه وصف واصف، وفيها من الكتب المستودعة فيها طرائف الحكمة وكمال الصنعة ومن التماثيل الهائلة من الذهب الملون على رؤوسها التيجان الفاخرة مكللة بالجواهر النفيسة ما يستدل به على عظم ملكهم، وجعلوا على ذلك من الطلسمات ما يمنع منه ويدفع عنه إلى أوقات معلومة، وقصدوا بذلك أن تكون تلك الأشياء ذخيرة لأعقابهم ولمن يكون بعدهم ليروا عظيم مملكتهم، ووضعوا أساس تلك الأعلام وقت السعادة، وجعلوا في أساس كل علم منها صنما، وزبروا في صدورها دفع المضار والآفات عنها، وفي يد كل صنم منها آلة كالبوق وهو واضعه على فيه، والخبر عن هذه الأهرام والبرابي مذكور في المطولات.

ويقال (١) إن ذا النون الإخميمي الزاهد إنما قدر على ما قدر عليه من علوم البربى حتى عمل الصنعة الكبيرة لأنه خدم راهبا كان بإخميم مدة صباه فعلمه قراءة الخط الذي في البربى وعلمه القربان والبخور واسم الروحاني وأوصاه أن يكتم ذلك، فلما علم ذا النون ما علم من علم الكيمياء وغيرها عمد إلى طين الحكمة فطمس به على صنعة الكيمياء حتى لا يبلغ إليها أحد غيره وهو طين لا ينقلع أبدا.

وفي (٢) بعض الأخبار أن قوما قصدوا الأهرام فنزلوا في تلك الآبار وطلبوا أن يدخلوا من تلك المضايق التي تخرج منها تلك الرياح، واحتملوا معهم سرجا في أواني زجاج، فلما حصلوا في تلك المضايق التي تخرج منها الرياح، خرجت عليهم ريح شديدة فأخرجتهم منها، وأطفأت أكثر سرجهم، فأخذوا أحدهم وكان أقواهم جأشا وأشدهم عزما وأصلبهم قلبا، فربطوا وسطه بالحبال وقالوا له: ادخل فإن رأيت شيئا تكرهه جذبناك، فلما دخل المغرور وزاحم تلك الرياح انطبق عليه الفتح فجذبوه فانقطعت حبالهم وبقي ذلك الرجل في ذلك الشق وهم لا يعلمون له خبرا، فصعدوا هاربين حتى خرجوا من تلك البئر واغتموا لما أصاب صاحبهم، فجلسوا عند الثلمة مفكرين في أمر صاحبهم وفي أمرهم وما أقدموا عليه، فبينا هم كذلك إذ انفرجت من الأرض فرجة كالكرة وأنارت لهم ذلك الرجل عريانا مشوه الخلق جامد العينين وهو يتكلم بكلام عجيب لا يفهم، فلما فرغ من كلامه سقط ميتا، فازداد وجلهم وتضاعف حزنهم، وعلموا أنهم خلصوا من أمر عظيم، فاحتملوا صاحبهم واتصلت أنباؤهم بوالي مصر وهو يومئذ ابن المدبر وفي أيام المتوكل، فسألهم عن أمرهم فأخبروه، فعجب من ذلك وأمر أن يكتب الكلام الذي قاله ذلك الرجل الذي مات حسبما قاله، وأقام ابن المدبر يطلب من يفسره له، إلى أن وجد رجلا يعرف شيئا من ذلك اللسان، ففسره: هذا جزاء من طلب ما ليس له وأراد الكشف عما لم يخبأه، فليعتبر من رآه قال: فمنع حينئذ ابن المدبر أن يتعرض أحد للأهرام.

وفي خبر آخر (٣) أن جماعة دخلوا الهرم فوجدوا في بعض البيوت زلاقة إلى بئر، فنزلوا فيها، فوجدوا سربا فساروا فيه نصف يوم حتى انتهوا إلى حفير عميق وفي عدوته باب لطيف، فكانوا يتبينون فيه شعاع الذهب والفضة والجواهر النفيسة، ومن رأس الحفير مما يليهم إلى ذلك الباب المحاذي لهم الذي فيه الذهب والجوهر عمود حديد قد ألبس محورا من حديد يدور

عليه ولا يستمسك

---

(١) الاستبصار: ٥٨.

(٢) الاستبصار: ٥٩.

(٣) المصدر نفسه: ٦٠.." <الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٧>

"في دورانه، فاحتالوا في وقوفه وذهاب حركته فلم يقدروا على ذلك، فربطوا أحدهم في حبل وتعلق بالعمود ليصل إلى الجانب الآخر فدار به المحور فتحير وسقط وانقطع الحبل الذي كان فيه فخرجوا هاربين لا يلوون على شيء.

وقال بعضهم (١) : رأيت في بربى إخميم صورة عقرب، فألصقت عليها شمعا فلم أتركها في موضع إلا انحاشت إليها العقارب من كل مكان وموضع، وإن كانت في تابوت اجتمعت حول التابوت وتحته، قال فطلبها بعض إخواني فأخذها، فرجعت إلى إخميم فوجدت تلك الصورة قد نقرت وأفسدت.

ومن المتعارف عند أهل إخميم أنه كان في البربى التي عندهم شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها إلى الهواء، وفي جبهته وحواليه كتاب، وله إحليل ظاهر ملتصق بالحائط، فقيل إنه من احتال لذلك الإحليل حتى ينقب عليه وينزعه من غير أن يتكسر ويعلقه في وسطه لم يزل منعظا إلى أن ينزعه ويجامع ما أحب، ولا ينكسر ما دام عليه. ولما ولي فلان (٢) ببلد إخميم أخبر بذلك، فطلب تلك الصورة في البربى فلم يجد منها غير واحدة كانت بقرب سقف البربى فاحتال عليها حتى أخذ الإحليل، فكان يستعمله فيخبر عنه بعجب. ومنه أنه كان في البربى صور كثيرة فلم تزل تؤخذ حتى نفدت، وكانت في هذه البرابي عجائب من الطلاسم في فنون شتى قد درس أكثرها وتهدم أكثر البرابي. وأما الأهرام فباقية على حالها ما اختل منها شيء، فيقال إن كل ما تهدم من هذه الهياكل وتغير سببه أن المنجمين تركوا الاستقصاء في أخذ الطالع وتصحيحه في وقت وضع الأساس وكذلك ما بقي منها فلقرب الطالع من التصحيح والقول في هذه الأهرام والبرابي على الاستقصاء في الكتب، وفيما ذكرناه كفاية.

الأخدود

المذكور في قوله تعالى: " قتل أصحاب الأخدود " (البروج: ٤) (٣) ، كان في قرية من قرى نجران، وأصحاب الأخدود قيل إنهم قوم كانوا على دين حق، كان لهم ملك يزني بأخته ثم حمله بعض نسائه أن يسن في الناس نكاح الأخوات والبنات، فحمل الناس على ذلك فأطاعه كثير وعصته فرقة، فخد لهم أخاديد، وهي حفائر طويلة كالخنادق، وأضرم لهم نارا وطرحهم فيها، ثم استمرت المجوسية بمن أطاعه وعلى هذا فقوله تعالى: " قتل أصحاب الأخدود " إخبار بأن النار قتلتهم، وقيل بل المعنى: فعل الله عز وجل بهم، ذلك لأنهم أهل له، فهو على جهة الدعاء بحسب كلام البشر، وقيل في أصحاب الأخدود أن ملكا من ملوك حمير كان بمذارع من اليمن اقتتل هو والكفار مع المؤمنين ثم غلب في آخر الأمر فحرقهم على دينهم إذ أبوا دينه، وفيهم كانت المرأة ذات الطفل التي تلكأت فقال لها الطفل: امضي في النار فإنك على الحق، وعن علي رضي الله عنه قال: إن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود، وقيل صاحب الأخدود ذو نواس في قصة عبد الله بن الثامر، وهي مذكورة مشروحة في أول سير ابن إسحاق (٤) وقيل كان أصحاب الأخدود في بني

إسرائيل.

أخسيكث (٥)

هي مدينة فرغانة، كان أنوشروان بناها ونقل إليها من كل بيت قوما وسماها، وقيل إن أخسيكث اسم الكورة، وقيل هي قصبة فرغانة وأخسيكث على شط نهر الشاش في أرض مستوية، بينها وبين الجبل نحو نصف فرسخ وسيأتي ذكرها في حرف الفاء (٦) إن شاء الله تعالى وفرغانة (٧) اسم الإقليم ومدينته أخسيكث مدينة جليلة على شمال النهر ولها ربض عامر وأسواقها في مدينتها ولها مياه تخترق أزقتها جارية في حياض كبيرة وأمامها إذا عبرت نهر الشاش مروج ومزارع كثيرة ورمال ومنها إلى قبا ثلاث مراحل.

الأخشبان (٨)

جبلا مكة ويقال إن جبل أبي قبيس أحد الأخشبين، وفي الحديث قال جبريل عليه الصلاة والسلام: يا محمد إن شئت جمعت الأخشبين عليهم، فقال صلى الله عليه وسلم: " دعني أنذر أمتي "، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كنت بين الأخشبين من منى - ونفح بيده نحو المشرق - فإن هناك واديا يقال له السرر، به سرحة سر تحتها سبعون نبيا ".

---

(١) الاستبصار: وقال الوصيفي.

(٢) الاستبصار: ابن الغمر.

(٣) أنظر الروايات في قصة أصحاب الأخدود في الثعلبي: ٤٣٦ - ٤٣٩.

(٤) أنظر سيرة ابن هشام ١: ٣٤.

(٥) أنظر ابن حوقل: ٤٢٠.

(٦) يعني غرناطة.

(٧) نزهة المشتاق: ٢١٨.

(٨) قارن بمعجم ما استعجم ١: ١٢٣ - ١٢٤.." <الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٨>

"فرسخا، والنسب إليها صاعدي على غير قياس، والذي يتجهز به من صعدة الأديم، لأن بها صناعة الأديم العديم المثال، وبها تجتمع التجار، وأهلها أهل أموال وافرة وبضائع وتجارات كثيرة.

؟ الصعيد:

هو أعالي بلاد مصر وكأنه الصاعد منها، ومنها الرجل الذي كان في الأقباط بأرض الصعيد الذي أرسل إليه أحمد بن طولون (١) صاحب مصر في سنة نيف وستين (٢) ومائتين، وكان مولعا بمعرفة الآثار القديمة، فذكر له أن رجلا من الأقباط بأرض الصعيد له نحو مائة وثلاثين سنة، وهو ممن عني من لدن حداثته بالعلم والإشراف على الملل والآراء والنحل من مذاهب

المتفلسفين وغيرها وأنه علامة بالممالك والملوك، ذو معرفة بهيئة الأفلاك والنجوم، وكان نصرانيا على مذهب اليعقوبية، فبعث ابن طولون إليه قائدا من قواده فحمله إليه في النيل مكرما، وكان الشيخ قد انفرد عن الناس في مكان اتخذه وسكن في أعلاه، وقد رأى الرابع عشر من ولد ولده، فلما وصل إلى أحمد بن طولون أكرمه وبره وأسكنه بعض مقاصيره ومهد له في موضع جلوسه، وحمل إليه لذيذ المآكل والمشارب، فأبى الشيخ أن يغتذي إلا مما حمل مع نفسه من كعك وسويق وغيرهما، وقال: هذه بنية ما ترون من الغذاء فإن سمتموني النقلة عن العادة كان ذلك سبب انحلال البنية ويفوتكم مني ما تطلبونه، فتركه ابن طولون وما يريده، ثم أحضره مجلسه مع أهل الدراية من أصحابه وخواص مجلسه، وصرف إليه همته، فمما سأله عنه بحيرة تنيس ودمياط، فقال (٣) : كان موضع البحيرة أرضا لم يكن بديار مصر مثلها لطيب التربة وزكاء الريع، وكانت جنانا متصلة، ولم تكن بمصر كورة يقال إنها تشبه الفيوم إلا هي وحدها، وكانت أكثر فاكهة منها، وكان الماء ينحدر إلى قرى موضع البحيرة صيفا وشتاء يسقون منه متى شاءوا، وفضلة الماء تصب في البحيرة، وكان بين العريش وقبرس طريق مسلوكة في تنيس، وبينهما اليوم سير طويل في البحر، فلما كان قبل استفتاح المسلمين بلاد مصر بمائة سنة طمى ماء البحر وزاد فأغرق القرى التي كانت في موضع البحيرة، وما كان منها في البقاع المرتفعة فهي باقية إلى الآن قد أحاط بها الماء. قال: وعند هذه الزيادة التي زادها البحر طمى الماء على القنطرة التي كانت بين بلاد الأندلس وبين ساحل طنجة من أرض المغرب، وكانت قنطرة عظيمة لا يعلم في معمور الأرض مثلها مبنية بالحجارة تمر عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب إلى الأندلس، وكان طولها اثني عشر ميلا في عرض واسع وسمو كثير، وربما بدت هذه القنطرة لأهل المراكب تحت الماء فعرفوها.

وسئل عن ممالك الأحابيش التي على النيل فقال: لقيت منهم ستين ملكا كل ملك منهم ينازع من يليه، قال: وبسبب استحكام النارية في بلادهم تكون معادن الذهب كثيرة، فإن حرارة الشمس ويبسها يغير الفضة ذهبا، فإذا أطبخ ذلك الذهب بالملح والزاج والطوب خرج ما فيه من الفضة.

وسئل عن منتهى النيل في أعلاه فقال: أصله من البحيرة التي لا يدرك طولها ولا عرضها، وهي تحت خط الاستواء تحت قطر الفلك المستقيم، وهو الموضع الذي الليل والنهار فيه متساويان الدهر كله.

وسئل عن الأهرام فقال: إنها قبور الملوك، كان الملك إذا مات وضع في حوض من رخام ثم أطبق عليه وبني له هرم، ويصنع باب الهرم تحت الحوض (٤) ثم يحفر له طريق في الأرض ويعقدونه آزاجا. فقيل له: فكيف هذه الأهرام المملسة وكيف كانوا يصعدون لبنيانها؟ فقال: كانوا يبنون الهرم مدرجا ذا مراقي يصعد فيها فإذا فرغوا من عمله نحتوه، قيل له: وكيف كانوا يصنعون بهذه الحجارة العظيمة التي لا يقدر مائة رجل أن يزحزح منها حجرا واحدا؟ قال: كانت لهم قراقل قد دبروها بأخلاط من المعادن وأنواع الحكمة فكانوا يضربون به الحجر الكبير فينقسم لهم على القدر الذي يريدونه ويتأتى لهم النحت، ومع هذا فانهم كان لهم صبر وجلد على أعمالهم ليس لمن بعدهم.

الصغانيان:

من مدن ما وراء النهر من خراسان مثل الترمذ وكش ونسف وبخارى وسمرقند وخجندة وأشروسنة والشاش وفرغانة وفارياب، وهي أكبر المدن التي عن يسار المشرق من مدينة بلخ.

(١) كل خير حتى آخر المادة عن مروج الذهب ٢: ٣٧٢ - ٣٩٢؛ والمؤلف ينقل بإجاز.

(٢) ص ع: نيف وثمانين؛ وقد توفي ابن طولون سنة ٢٧٠.

(٣) انظر مادة ((تنيس)) في ما سبق، وخطط المقريزي ١: ١٧٧.

(٤) المروج: تحت الهرم.." <الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٦١>

"الجبال إلى أن يخرج في أعلى هراة حتى يشق بلاد هراة فيصير إلى بوشنج ثم ينحدر منها إلى سرخس ورساتيقها وتنبعث منه أنهار تعرف بخشكرود، وعلى الخشكرود قنطرة عظيمة، وفي هراة قهندز ومسجد جامع، ودار الإمارة خارج الحصن بمكان يعرف بخراسان اباد منقطع عن المدينة، بينه وبين المدينة ثلاثة فراسخ، وهي على طريق بوشنج غربي هراة، وهراة مقدار نصف فرسخ في مثله، ولها أربعة أبواب، منها باب من ناحية الشمال يخرج منه إلى بلخ يعرف بباب سراي (١) ، والمسجد الجامع في المدينة وحوله الأسواق، وعلى رأس الجبل الذي يلي هراة بيت نار يدعى سرشك وهو معمور، ولهراة أربعمائة قرية فيما بينها سبع وأربعون دسكرة، كل واحدة تشتمل على عشرة نفر إلى عشرين، ولهراة من الأرحاء ثلثمائة وأربع وعشرون، وهذا الجبل الذي هراة في سفحه هو من آخر حدود باذغيس (٢) مما يلي سرخس مشرقا حتى يتصل بجبل الفضة ورستاق كنج ومرو الروذ والطالقان والجوزجان، حتى يتصل بالباميان، وعن يمين هذا الجبل اسفرايين وسجستان وبست والرخج (٣) ، وعن يساره مرو الروذ وغيرها، وهو مستقبل بوشنج وهراة، فهو حاجز بين الحدود، وفي الجبل نفسه أمم وفيه أكثر من ثلثمائة قرية.

وافتتح هراة الأحنف بن قيس في خلافة عثمان رضي الله عنه، وإليها ينسب الهروي صاحب الغريبين (٤) .

وهي مدينة (٥) كبيرة عامرة لها ربض، وفي مدينتها قصبة، ولها أبواب كثيرة كلها خشب مصفحة بحديد إلا باب سراي فإنه كله حديد، والمسجد الجامع في المدينة، والأسواق محيطة به، والسجن في قبلته، وبها من فقهاء المسلمين وعلمائهم خلق كثير، وهي فرضة خراسان وسجستان وفارس.

وفي سنة (٦) ثمان عشرة وستمائة نزل الططر على هراة، وهي إحدى أمهات خراسان، فاستولوا عليها وقتلوا منها خلقا عظيما، وجرى الططر على عادتهم المذمومة من قتل الأطفال والعيث، وقتلوا في جامعها المشهور بالخير من العلماء والصالحين والمنقطعين عددا كثيرا ثم مضوا منها إلى الطالقان.

الهرماس (٧) :

نهر نصيبين المسمى بالخابور، وعليه قنطرة حجارة، ويصب فيه ماء الثرثار إلى دجلة.

الهرم (٨) :

أحد أهرام مصر، وخبر الأهرام مشهور، وعلى ستة أميال من مصر الهرمان، وهما بناءان في مستو من الأرض، طول كل واحد منهما ارتفاعا في الجو نحو أربعمائة ذراع، وعرضه في الدائر كارتفاع الكل مبني بحجارة الرخام، وارتفاع كل حجر خمسة أشبار، وطوله خمس عشرة ذراعا إلى العشرين (٩) وأزيد وأنقص، وكلما ارتفع بناؤه على وجه الأرض ضاق حتى يصير أعلاه نحو مبرك جمل، وبين الهرم والهرم نحو خمسة أميال، وفي بعض حيطانه كتابة درس أكثرها.

هرمز (١٠) :
مدينة بمقربة من جيرفت من عمل كرمان، وتسمى قرية الجوز (١١) وهي كانت مدينة هرمز، وفيها كانت مملكته إلى أن هلك، وانفصل الملك عنها إلى الشيرجان، وساكنوها من أهلها وأخلاط من الناس، وهي مدينة حسنة، الداخل والخارج إليها كثير، وهي كثيرة المياه، وبها أسواق وتجارات، وبينها وبين جيرفت غربا مرحلة.
هكر (١٢) :
مدينة باليمن، وفي شعر امرئ القيس: أو كبعض دمي هكر.

---

(١) ع ص: سيراي.

(٢) ع ص: مادغيس.

(٣) ص ع: والزنج.

(٤) هو أبو عبيد الله أحمد بن محمد بن محمد الهروي (– ٤٠١) ؛ انظر ابن خلكان ١: ٩٥، ومعجم الأدباء ٤: ٢٦٠، وطبقات السبكي ٣: ٣٤، وطبقات الاسنوي ٢: ٥١٨.

(٥) نزهة المشتاق: ١٤٢.

(٦) قارن بياقوت والقزويني.

(٧) انظر ياقوت، وابن رسته: ٩٠، واليعقوبي: ٣٦٢.

(٨) عن الإدريسي (د) : ١٤٥ – ١٤٦.

(٩) الإدريسي: العشرة.

(١٠) يتحدث الإدريسي في نزهة المشتاق عن هرمز الواقعة بين الفهرج وجيرفت: ١٣٢ ثم عن هرمز الساحلية: ١٣٣ مفرقاص بذلك بين مدينتين كل منهما تسمى هرمز؛ وتعرف الأولى منهما باسم ((هرمز الملك)) ، وهذا النص هو الذي ينقله مؤلف الروض، مهملا ما جاء عن هرمز الساحلية، التي تعد فرضة كرمان أيضا؛ وقد جاء ذكر هرمز (هرموز) الأولى عند ذكر المسافات بين مدن كرمان لدى الحوقلي والكرخي والمقدسي، ولكن لم يعرف بها أحد؛ أما هرمز الساحلية فانظر في الحديث عنها الكرخي: ٩٩، وابن حوقل: ٢٦٩، والمقدسي: ٤٦٦، وياقوت (هرمز) ؛ وتعرف هرمز هذه اليوم باسم بندر عباس، وتقابلها جزيرة هرمز وفيها الجديدة، وكانت هرمز القديمة في أيام ابن بطوطة (٢٧٣) تسمى موغ استان.

(١١) نزهة المشتاق: الجون.

(١٢) انظر ياقوت (هكر) ؛ وبيت امرئ القيس:
كناعمتين من ظباء تبالة ... لدى جؤذرين أو كبعض دمى هكر." <الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٩٥>

"وأما شيخاه المزني والربيع فالمزني قد تقدم ذكره في طبقة الزرقاني وأما الربيع فهو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء المؤذن المصري صاحب الإمام الشافعي وراوي أكثر كتبه قال الشافعي في حقه الربيع راويتي

وقال ما أخذ مني أحد ما أخذ مني الربيع
وكان يقول يا ربيع لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك وقال دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه وعنده البويطي والمزني وابن عبد الحكم فنظر إلينا ثم قال أما أنت يا أبا يعقوب يعني البويطي فتموت في حديدك وأما أنت يا مزني فسيكون لك في مصر هنات وهنات لتذكرن زمانا تكون فيه أقيس أهل زمانك وأما أنت يا ابن عبد الحكم فنسترجع إلى مذهب مالك وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب فلما مات صار كل منهم إلى ما قاله الشافعي حتى كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق
توفي الربيع هذا بمصر يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومئتين وقد شرك هذا في الاسمية وصحبة الشافعي ربيع آخر هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود الأعرج الأزدي بالولاء نسبا الجيزي بلدا فاتفقا في الكنية والاسمية والأبوة واختلفا بالأجداد تسمية ونسبة كما هو مشاهد فالجيزي نسبة إلى الجيزة بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها زاي ثم هاء بلدة قبالة مصر يفصل بينهما عرض النيل والأهرام البناء المشهور في حدها وكان الربيع هذا قليل الرواية عن الشافعي وجل روايته عن عبد الله بن عبد الحكم وكان ثقة روى عنه أبو داود والنسائي وكانت وفاته بمصر في ذي الحجة سنة ست وخمسين." <السلوك في طبقات العلماء والملوك الجُنْدي، بهاء الدين ٢٢٧/١>
"فلا تخلو ليلة من قتيل أو قتيلين ولم يؤخذ لأحد بثأر ولا وقع كشف عن مقتول منهم ولا تمكن والي القاهرة من منعهم. ووجد في الخليج ستة نفر قتلى مربطين فلم يسأل عنهم ولا وقع إنكار لأمرهم. وفي ذي الحجة: عزم العزيز على نقض الأهرام ونقل حجارتها إلى سور دمياط فقيل له إن المؤنة تعظم في هدمها والفائدة تقل من حجرها. فانتقل رأيه من الهرمين إلى الهرم الصغير وهو مبني بالحجارة الصوان فشرع في هدمه. وفيه سار العزيز إلى الإسكندرية واستخلف بالقاهرة بهاء الدين قراقوش وفخر الدين جهاركس. وتوفي في هذه السنة القاضي الأشرف أبو المكارم الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحباب قاضي الإسكندرية وولى عوضه الفقيه أبو القاسم شرف الدين عبد الرحمن بن سلامة في سابع عشري شوال. ومولد بن الحباب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وأقام حاكما بالإسكندرية ثمانيا وعشرين سنة. وكان كريم النفس صحيح المودة وطالت مدته في الحكم بالإسكندرية من سنة أربع وستين إلى أن مات بها في ثالث جمادى الآخرة. وفي خامس ذي الحجة: مات القاضي الرشيد ابن سناء الملك. قال القاضي الفاضل فيه: ونعم الصاحب الذي لا تخلفه الأيام ولا يعرف له نظير من الأقوام: أمانة سمينة وعقيدة ود متينة ومحاسن ليست بواحدة ومساع في نفع المعارف جاهدة. وكان حافظا لكتاب الله مشتغلا بالعلوم الأدبية كثير الصدقات نفعه الله والأعمال الصالحات عرفه الله بركاتها. وفيها حج بالناس الشرفي ابن ثعلب وخرجت المراكب الحربية من مصر فظفروا ببطس للفرنج وفيها أموال فغنموها. وفيها بنى الأمير فخر الدين جهاركس قيساريته بالقاهرة. وفيها زلزلت مصر. ومات العلم عبد الله بن علي بن عثمان بن يوسف المخزومي يوم الجمعة حادي عشر جمادى الأولى ومولده في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقد قرأ على علي بن بري وله شعر." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٤٩/١>
"يزل حتى قبض على سلار وأحيط بماله ورسم على أياز مع سائر مباشريه وسلموا لعلم الدين سنجر الخازن مشد الدواوين في المصادرة ليستخرج منهم المال فحمل أياز للخازن ألف دينار وللصاحب فخر الدين ألف دينار فرد الخازن المال

وقبله الصاحب. فلم يمض سوى أيام حتى عزل الصاحب والخازن وسلما لأياز ليستخرج المال منهما فبعث إليه الخازن ألف دينار فردها وقال لقاصده: سلم عليه وقل له ما لنا عنده شيء وطيب خاطره وبعث إليه الصاحب فخر الدين ألف دينار فأخذها وقال لقاصده: عرفه أني أخذت وديعتي التي كان أخذها مني ثم إن الأمير بكتمر الجوكندار شفع فيهما فأفرج السلطان عنهما. وفيها قدم مملوك عماد الدين إسماعيل بن الأفضل بأنه دخل حماة لمعد خروج أسندمر منها. وقدم رسول الأشكري ورسل ملك الكرج بهدايا سنية في رجب وسألوا فتح الكنيسة المصلبة بالقدس. فكتب الجواب بأن هذه الكنيسة غلقت من الأيام الظاهرية على يد الشيخ خضر وبنى فيها مسجد ولا يمكن نقض ذلك ورسم أن تفتح لهم كنيسة الملكية بمصر وكنيسة اليعاقبة التي بالقاهرة وكنيسة اليهود وأذن لهم أن يركبوا على الاستواء. وفيها كتب بعزل نجم الدين البصري عن وزارة دمشق وولاية شرف الدين حمزة القلانسي عوضه. وقمم البريد بوفاة الحاج بهادر الحلي نائب طرابلس فكتب بنقل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس فسار إليها. وفرح السلطان بموت الحاج بهادر فرحا زائدا فإنه كان يخشاه ويخشى شره. والتفت السلطان إلى أسندمر كرجي نائب حلب وأخرج تجريدة من القاهرة فيها من الأمراء كراي المنصوري وهو مقدم العسكر وسنقر الكمالي حاجب الحجاب وأيبك الرومي وبينجار وكجكن وبهادر آص وفي عدة من مضافيهم أمراء الطبلخاناه والعشراوات ومقدمي الحلقة وأظهر أنهم قد توجهوا لغزو سيس. وكتب السلطان لأسندمر كرجي بتجهيز آلات الحصار على العادة والاهتمام في هذا الأمر حتى يصل العسكر المجرد من مصر وكتب إلى عماد الدين صاحب حماة بالمسير مع العسكر. وسار الأمير كراي من القاهرة مستهل ذي القعدة بعدما أخلع عليه وأسر إليه السلطان ما يعتمده في أمر كرجي. وفيها عدى السلطان النيل إلى الجيزة ونزل تحت الأهرام ليتصيد. فمات ولده على ابن الخاتون أردوكين ابنة نوكيه وله من العمر ست سنين في ليلة الأحد حادي عشر رجب ودفن بالقبة الناصرية بين القصرين بعدما حضر الأمير علم الدين سنجر الجاولي." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٤٥٨>

"وفيها ورد الخبر في أول رجب بحركة خربندا وسبب ذلك رحيل مهنا إليه عند إخراج خبزه لأخيه وإقامته عنده وتقوية عزمه على أخذ الشام. وكان السلطان تحت الأهرام بالجيزة فقوي عزمه على تجريد العساكر ولم يزل هناك إلى عاشر شعبان فعاد إلى القلعة وكتب إلى نواب الشام بتجهيز الإقامات. وعرض السلطان العسكر وقطع جماعة من الشيوخ العاجزين عن الركوب وانفق فيهم الأموال. وابتدأ العرض من خامس ربيع الآخر وكمل في أول جمادى الأولى فكان السلطان يعرض في كل يوم أميرين بنفسه من مقدمي الألوف ويخرجان بمن معهما من الأمراء ومقدمي الحلقة والأجناد وترحلوا شيئا بعد شيء. من أول رمضان إلى ثامن عشريه حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر. وخرج السلطان في ثاني شوال ونزل مسجد تبر خارج القاهرة ورحل في يوم الثلاثاء ثالثه ورتب بالقلعة سيف الدين أيتمش المحمدي. فلما كان ثامنه قدم البريد برحيل التتار ليلة سادس عشرى رمضان من الرحبة وعودهم إلى بلادهم بعدما أقاموا عليها من أول رمضان ففرق السلطان العساكر في قانون وعسقلان وعزم على الحج. ودخل السلطان دمشق في تاسع عشره وخرج منها ثاني ذي القعدة إلى الكرك وكان قد أقام بدمشق أرغون النائب للنفقة على العساكر وغير ذلك من الأعمال وكلف الصاحب أمين الدين بن الغنام بجمع المال اللازم. ودخل السلطان الكرك في ثامن ذي القعدة وتوجه إلى الحجاز في أربعين أميرا. وفيها خرج الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال ودخل دمشق وأقام بها بعد توجه السلطان ليحصل الأموال

فأوقع الحوطة على الوزير والمباشرين وطالب محيي الدين بن فضل الله بمال كبير عمل به أوراقا وأغلظ عليه وأحاط بموجوده وتتبع حواشيه وصادر أمين الدين أكثر الناس. وأما القاهرة فإن الأمير علم الدين سنجر الخازن نقل من ولاية البهسنا إلى ولاية القاهرة أقام الأمير أيتمش المحمدي نائب الغيبة الحرمة ومنع الأكابر من الهجرة وأنصف الضعفاء منهم. وحج بالركب المصري الأمير مظفر الدين قيدان الرومي.." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٤٨٢>

"وكان يعني بأيدغدى حتى قربه من السلطان – فشق عليه استطالة أيبك من أجل أنه من أمراء البرجية وشجعانهم، وممن عرف بالعفة. فلما كانت خدمة العصر بلغ السلطان ما كان بينهما، فرسم بحملهما إلى ديوان السلطان، ومن تعين عليه شيء قام به، وأسر ما أغراه به طغاي في نفسه. ثم قبض السلطان عليه وعلى الأحمدى، وبعث إلى الأحمدى مع قجليس " بأنك وحشداشك اتفقتما على أنه يتسلطن، فبكى وسأل الله إن كان ما نقل عنهما حقا أني يقسى قلب السلطان رق له، وأمر به ففك قيده، وأحضر وأعطى سيفه، وخلع عليه من ساعته، وذلك في رابع عشرى شوال. وفيها أرسل السلطان صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل على البريد إلى الأمير منهنا ليرده إلى الطاعة، فإنه حصل منه حيف على التجار، وقطع أولاده وعربانه الطرقات فاجتمع به ابن المرحل قريبا من العراق، وما زال به يعده برد إقطاعه ويرغبه إلى أن أذعن، وبعث معه بابنه موسى، وجهز القود على العادة صحبة ولده سليم. فقدم ابن المرحل بموسى بن مهنا في ربيع الآخر، وأنزل موسى في القاعة الأشرفية بالقلعة وأكرم إكراما زائدا، ثم قدم القود، وأعيدت الإمرة لمهنا، وزيد إقطاعه مبلغ مائى الف درهم؛ وأعيد إقطاع فضل إليه على عاداته قبل الإمرة. وفيها توجه السلطان إلى الصيد في ثامن عشرى رجب، ونزل تحت الأهرام بالجيزة، وأظهر أنه يريد الصيد وقصد أحد العربان، فإنه كثر قطعهم الطريق، وكسروا الخراج. وبعث السلطان عدة من الأمراء حتى أمسكوا طريق السويس وطريق الواحات، فضبط البرين على العربان، ثم رحل من منزلة الأهرام بالجيزة، وسار إلى فرجوط. وعاد السلطان إلى القلعة في يوم السبت عاشر رمضان، وقد أخذ كثيرا من العربان؛ وبعثهم مقيدين في المراكب إلى القاهرة، فسجنوا واستعملوا في الجسور، وقبض على مقداد بن شماس – وكان قد عظم ماله حتى بلغ عدد جواريه أربعمائة جارية، وعدة أولاده ثمانون ولدا – وقتل عدة كثيرة من العربان، وعاد. فحبس (السلطان) مقدادا مدة ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بمال وغلال، وكتب برد أهله وأولاده وعبيده إليه، وأنزله بالناصرية التي أنشأها خليج الإسكندرية، فأقام مقداد هناك، وأنشأ للبيوت والسواقي والدواليب، وعمر تلك الجهات، بقي عقبه من بعده بها. وفيها ابتدئ بعمل القصر الأبلق على الإسطبل في أول السنة، فكمل في سابع عشر." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٤٨٩>

"وفيها سار السلطان إلى الصيد في يوم الجمعة سابع شعبان وتوجه إلى بلاد الصعيد. وعاد إلى قلعة الجبل يوم الإثنين تاسع عشر رمضان وأعطى الأمراء دستورا ونزل تحت الأهرام. وفيها توجه كريم الدين إلى الإسكندرية وعاد وهو متوعك فخلع السلطان عليه فرجية أطلس أبيض بطراز وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم. وكان وفاء النيل يوم الأربعاء حادي عشرى جمادى الأولى – في ثامن عشر مسري – بعد أن بلغ في يوم الثلاثاء أربع عشرة إصبعا من ستة عشر ذراعا. فانقطع الجسر المجاور للقناطر الأربعين بالجيزة فنقص عدة أصابع وجمع لسده خلق كثير غرق منهم نحو ثلاثين رجلا في ساعة واحدة انطبق عليهم الجسر. ثم جمع من مصر رجال كثيرة وكتفوا وأنزلوا في مركب وعدتهم سبعون رجلا فانقلبت بهم المركب فغرقوا بأجمعهم في يوم السبت سابع عشره. ثم زاد النيل حتى أوفى. وفيها قطعت أرزاق المرتزقة من أرباب الرواتب لاستقبال المحرم وعوضوا

على جهات أجودها نسترواة فصارت سنتهم ثمانية أشهر. وتولى ذلك الصاحب سعد الدين محمد بن عطايا والسعيد مستوفي الرواتب. ومنع شهر المحرم وصولح من له راتب بثلث المدة – وهي شهران وثلثا شهر – وأحيلوا على المطابخ وثمنت عليهم قطارة فحصل من كل دينار سدسه. ونزل بالناس من ذلك شدة وحصلت ذلة للحرم والأيتام وسماهما الناس سعد الذابح وسعد بلع وشافهوهما بكل مكروه. وفيها قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة في تاسع عشر جمادى الأولى ونزل بمناظر الكبش وحمل تقدمته في غده وسار في تاسع عشر جمادى الآخرة. وفيها لعب السلطان بالميدان الجديد تحت القلعة في يوم السبت ثامن جمادى الآخرة وخلع على الأمراء وعلى الملك المؤيد صاحب حماة. وفيها استقر الصاحب أمين الدين بن الغنام ناظر الدواوين بمفرده في خامس عشر رجب بعد موت التقي أسعد كاتب برلغي. وفيها سافر الفخر ناظر الجيش وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى القدس وقدم ابن جماعة في تاسع عشرى رمضان. وفيه استقر العلم أبو شاكر بن سعيد الدولة في نظر البيوت واستقر كريم الدين." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٥١٨>

"وفيه تنكر الحال بين الأميرين تنكز نائب الشام والأمير ألطنبغا نائب حلب. وفي يوم الخميس عاشر ربيع الآخر: حضر كريم الدين أكرم الصغير على خيل البريد من صفد إلى قلعه الجبل فعوق ببرج باب القرافة. وفي يوم الجمعة ثامن عشره: سفر كريم الدين بكتمر وولده إلى الوجه القبلي صحبة والي قوص. وفي يوم الإثنين ثامن عشريه: أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير ونزل إلى بيته. وفي الليلة الأحد خامس عشر جمادى الأولى: طلع القمر مخسوفا بالسواد. وفيه قدم منسا موسى ملك التكرور يريد الحج وأقام تحت الأهرام ثلاثة أيام في الضيافة. عدى إلى بر مصر في يوم الخميس سادس عشرى رجب وطلع إلى القلعة ليسلم على السلطان وامتنع من تقبيل الأرض فلم يجبر على ذلك غير أنه لم يمكن من الجلوس في الحضرة السلطانية. وأمر السلطان بتجهيزه للحج فنزل وأخرج ذهبا كثيرا في شراء ما يريد من الجواري والثياب وغير ذلك حتى انحط الدينار ستة دراهم. وفي يوم الخميس ثامن رمضان: عزل الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام عن الوزارة ولزم بيته. واستقر عوضه الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي وزيرا مع مابيده من الأستادارية في يوم السبت عاشره. وفيه استقر شهاب الدين بن الأقفهسي في نظر الدواوين عوضا عن الموفق وعن شرف الدين بن زنبور. وولي مجد الدين إبراهيم بن لفيتة نظر البيوت عوضا عن الأقفهسي المذكور. ثم قدم شمس الدين غبريال من دمشق باستدعاء في أثناء شهر رمضان فاستقر ناظر الدواوين ووزير الصحبة ونائب الوزارة في يوم الجمعة ثاني عشرى رمضان يوم وصوله. واستقر في يوم الجمعة ثالث عشرى رمضان الأمير سيف الدين قدادار في ولاية القاهرة عوضا عن علم الدين سنجر الخازن نقل إليها من ولاية البحيرة ففتك في العامة ومنع من الخمور وفيه عزل علم الدين سنجر الحمصي من شد الدواوين وولي الجيزة نحو شهرين ثم أخرج إلى طرابلس شاد الدواوين بها. وفيه استقر علاء الدين أيدغدي الباشقردي بمصر عوضا عن علاء الدين ابن أمير حاجب.." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/٧٣>

"سنة ثلاثين وسبعمائة أهلت بيوم الأربعاء والسلطان بناحية سرياقوس وكان مسيرة إليها في سابع عشرى ذي الحجة. وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام فبالغ السلطان في إكرامه ورفع منزلته على عادته وفي يوم السبت: رابعه استقر علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدر بن رحمة الأخنائي قاضي الإسكندرية في قضاء القضاة بدمشق عوضا عن علاء الدين على القونوي واستقر عوضه في قضاء الإسكندرية علم الدين الإسنوي. وفي سادسه: استقر الأمير بكتمر العلائي الأستادار

في نيابة غزة وسار إليها عوضا عن عز الدين أيبك الجمالي ونقل أيبك إلى نيابة قلعة البيرة عوضا عن لاجين الحسامي المنصوري بحكم وفاته. وأنعم على بهادر الدمرداش بإقطاع الأمير بكتمر نائب غزة. وفي رابع عشره: توجه الأمير تنكز إلى دمشق بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم وكتب له على الأعمال السامية بمائة ألف أخرى. وفي عشريه: قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى ولده. وفي تاسع صفر: توجه السلطان إلى جهة الصعيد وصحبته صاحب حماة فخيم قريبا من الأهرام وعاد في ثالث عشره من أجل وعك بدنه لظهور دمل في جسده. وأقام السلطان بقلعة الجبل إلى حادي عشريه ثم سار فمر ببلاد الصعيد.." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٢٧/٣>

"وفي مستهل شوال: توجه السلطان إلى الأهرام على العادة. وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك فإنه أبطل سماط العيد واحتج بأنه يقوم بجملة كبيرة تبلغ خمسين ألف درهم وتنهبه الغلمان وكان أيضا قد أبطل سماط شهر رمضان. وفي هذا الشهر: فرغت القيسارية التي أنشأها تاج الدين المناوي بجوار الجامع الطولوني من مال وقفه وتشتمل على ثلاثين حانوتا. وفيه خرج ركب الحاج على العادة صحبة الأمير فارس الدين ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل الأمير فارس الدين معه مالا من بيت المال ومن مودع الحكم لعمارة عين جوبا بمكة ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة ورسم أن تكون مقررة لهم في كل سنة. وخرج معه حاج كثير جدا وحمل الأمراء من الغلال في البحر إلى مكة عدة آلاف أردب. وفي مستهل ذي القعدة: قدم كتاب الأمير دلنجي نائب غزة بتفرق العربان ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر لربط إبلهم على البرسيم. فكبست البلاد عليهم وقبض على ثلاثمائة رجل وأخذ لهم ثلاثة آلاف جمل. ووجد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوائصهم فاستعمل الرجال في العمائر حتى هلك أكثرهم. وفي نصفه: خرج الأمراء لكشف الجسور فتوجه الأمير أرنان للوجه القبلي وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية وتوجه الأمير أقجبا للمنوفية وتوجه أراي أمير أخور للشرقية وتوجه أحد أمراء العشرات لأشمون. وفيه توقف حال الدولة فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والمعاملين والخوشكاشية وفيه طلب الأمير مغلطاي أمير أخور زيادة على إقطاعه فكشف عن بلاد الخاص فدل ديوان الجيش على أنه لم يتأخر منها سوى الإسكندرية ودمياط وقوة وفارس كور وخرج باقيها للأمراء وخرج أيضا من الجيزة ما كان لديوان الخاص للأمراء. وشكا الوزير من كثرة الكلف والإنعامات وأن الحوائج خاناه في الأيام الناصرية محمد ابن قلاوون مرتبها في كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم وهو اليوم اثنان وعشرون ألف درهم. فرسم بكتابة أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها فبلغ المتحصل في السنة عشرة." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٢٥/٣>

"لما وقرب أرباب الملاهي وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمطربين. حتى أنه إذا ركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام ركبت أمه في مائتي امرأة الأكاديش بثياب الأطلس الملون وعلى رءوسهن الطراطير الجلد البلغاري المرصع بالجواهر واللآلى وبن أيديهن الخدام الطواشية من القلعة إلى السرحة. ثم يركب حظاياه الخيول العربية ويتسابقن ويركبن تارة بالكامليات الحرير ويلعبن بالكرة وكانت لهن في المواسم والأعياد وأوقات النزه والفرح أعمال يمكن حكايتها وأكثرن من النزول إلى بيوت الكتاب ونحوهم. واستولى الخدام الطواشية في أيامه على أحوال الدولة وعظم قدرهم بتحكم كبيرهم عنبر السحرتي اللالا في السلطان وركبوا الخيول الرائعة ولبسوا الثياب الفاخرة وأخذوا من الأراضي عدة رزق. واقتنى

السحرتي البزاة والسناقر ونحوها من الطيور والجوارح وصار يركب إلى المطعم ويتصيد بثياب الحرير المزركشة واتخذ له كفا مرصعا بالجوهر وعمل له خاصكية وخداما ومماليك تركب في خدمته حتى ثقل أمره فأنه أكثر من شراء الأملاك والتجارة في البضائع وأفرد له ميدانا يلعب فيه بالكرة وتصدى لقضاء الأشغال. فصارت الإقطاعات والرزق لا تقضى إلا بالخدام والنساء ولا يزال الأمير الحاج آل ملك النائب يشنع بذلك وإذا أتاه أحد يطلب منه خبزا أو رزقة يقول له: النائب ما له حكم رح إلى باب الستارة واسأل عن الطواشي فلأن الدين والطواشي فلأن الدين يقضوا لك حاجتك. وكان متحصل الدولة مع هذا كله في أيام السلطان الصالح إسماعيل قليلا ومصروف العمارة لا يزآل جملة مستكثرة في كل يوم فأنفق السلطان على الدهيشة بالقلعة خمسمائة ألف درهم سوى ما حمل إليه من بلاد الشام وغيرها ثم عمل فيها من أواني الذهب وألفضة ومن ألفرش ما يجل وصفه ومنذ فرغت عمارتها لم ينتفع بها أحد لشغفه بالغناء والجواري سيما اتفاق. ولما ولدت منه اتفاق ولدا ذكرا عمل لها مهما تناهى فيه حتى بلغ الغاية التي لا توصف عظمة. وكانت حياته منغصة وعيشته نكدة لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة. ثم قدم عليه منجك برأس أخيه أحمد من الكرك بعد قتله بها فلما قدم بين يديه ورآه." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٥>

"وتعذر وجود الغنم فكتب في البلاد الشامية بتجهيز التركمان بالأغنام وحمل نحو الخمسمائة ألف درهم لشراء الأغنام. وكتب إلى ولاة الوجه القبلي والوجه البحري بحمل الأغنام فحملت أغنام كثيرة من أعمال مصر. وقدم من الشام نحو العشرين ألف رأس فانحط سعر اللحم. وفي خامس عشره: سار محمل الحاج صحبة الأمير طيبغا المجدي. وقدم الحج عالم كثير من أهل الصعيد والفيوم والوجه البحري وقدم من أهل المغرب جماعة كثيرة وقدم التكرور ومعهم رقيق كثير وفيهم ملكهم. فسأل ملكهم الإعفاء من الدخول على السلطان فأعفي وسار بقومه وفيه قدم البريد بقتل نجمة الكردي بحيلة عملها عليه صاحب ماردين حتى قدم عليه فتلقاه وأكرمه ثم قبض عليه وضرب عنقه بيده وقتل من معه. وفيه قدم الخبر بان الأمير أزدمر الأعمى الكاشف رتب من معه من الأمراء في عدة مواضع وركب ومعه الأمير آينبك ليلا وصاح العربان من عرك صباحا وقتل منهم جماعة وامتنع باقيهم بالجبل. فعاد الأمير أزدمر وطلب بني هلال أعداء عرك فأتاه منهم ومن غيرهم خلق كثير. وكتب الأمير أزدمر لأولاد الكنز. بمسك الطرقات على عرك وركب ومعه الأمير فارس الدين والأمراء وأسندمر المتوفي الإطفيحية إلى الجبل وقد لقيه الأحدب في حشد كبير فلم يثبت الأحدب وانهزم من رمي النشاب وترك أثقاله وحريمه. ونادى الأمير أزدمر. يا بنى هلال دونكم أعداءكم فمالوا عليهم يقتلون وينهبون الواشي والغلال والدقيق والقرب والروايا وسلبوا الحريم حتى امتلأت أيدي بني هلال وأيدي الأجناد والغلمان من النهب. وكتب بذلك إلى السلطان وأن البلاد قد خضرت أراضيها وأطاع عربانها العصاة وتوطن أهلها. فسر السلطان والأمراء بذلك وحمل إلى كل من الكاشف والأمراء خلعة. وفيه ألزمت ست حدق ألا تجتمع بأحد فإنها كانت من جملة أنصار الناصر حسن. وفيه ضيق على الناصر حسن وسدت عنه أماكن كثيرة كان ينظر منها ويحدث من يريد وفيه توجه السلطان والأمراء إلى السرحة قريبا من الأهرام. وفي أول ذي الحجة قدم عيسى بن حسن الهجان طائعا بأمان فخلع عليه. وفيه ارتفع سعر القمح من عشرين إلى سبعة وثلاثين درهما الأردب وانحط سعر اللحم فأبيع بدرهم الرطل.." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/١٤٩>

"وخلع عليه وأنعم عليه بإقطاع الأمير طاز من غير زيادة وهي منية ابن خصيب وناحية أخرى. وفي يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة: أخرج الأمير أسندمر العمرى لنيابة حماة ونقل الأمير سيف الدين طبيرق نائب حماة إلى إمرة بدمشق. ونقل الأمير منجك من صفد إلى نيابة طرابلس عوضا عن أيتمش الناصري بعد وفاته. وفي هذا الشهر: ركب السلطان إلى جهة الأهرام وعاد فدخل إلى بيت الأمير شيخو يعوده وقد وعك فقدم له تقدمة جليلة. وفيه خلع على الأمير صرغتمش واستقر في نظر المارستان المنصوري وكان قد تعطل نظره من متحدث تركي وانفرد بالكلام فيه القاضي علاء الدين على بن الأطروش وفسد حال وقفه فإنه كان يكثر من مهاداة أمراء الدولة ومدبريها ويمهل عمارة رباعه حتى تشعثت فنزل اليه الأمير صرغتمش ودار فيه على المرضى فساءه ما رأى من ضياعهم وقلة العناية بهم فاستدعى القاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد بن خطيب بيت الآبار وعرض عليه التحدث في المارستان كما كان عوضا عن ابن الأطروش. فامتنع من ذلك فمازال به حتى أجاب. وركبا إلى أوقاف المارستان بالمهندسين لكشف ما يحتاج اليه من العمارة فكتب تقدير المصروف ثلاثمائة ألف درهم فرسم بالشروع في العمارة فعمرت الأوقاف حتى ترفع ما فسد منها ونودى بحمايه من سكن فيها فزاد ريع الوقف في الشهر نحو أربعين ألف درهم ومنع من يتعرض اليهم وانصلحت أحوال المرضى أيضا. وعرض الأمير صرغتمش جميع مستحقى الوقف من الفقهاء والقراء وغيرهم وأكثر من سؤالهم ونقب عن أمورهم والزمهم بمواظبة وظائفهم. وفيها انفتح باب السعي عند الأمير شيخو بالبراطيل في الولايات فسعى جماعة بأموال في عدة جهات فأجيبوا إلى ذلك وقرروا فيما أرادوه وأخذ منهم ما وعدوا." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٢١١>

"سنة اثنتين وستين وسبعمائة أهلت والأمراض بالباردة فاشية في الناس وقد ساءت أحوالهم لطول مدة أمراضهم. وفيها قدم الأمير بيدمر نائب الشام ومعه الأمير جركتمر المارديني المجرد بالحجاز وقد قبض عليه وفيها عدى السلطان إلى بر الجيزة ونزل بناحية كوم برا قريبا من الأهرام. وفيها قبض على الوزير الصاحب فخر الدين ماجد بن خصيب وعلى أخيه وحواشيه وأصهاره وأحيط بدياره وألزم بمال كبير. ثم نفي إلى مصياف من بلاد الشام فأقام بها سنة ونيفا ثم نقل إلى القدس فأقام هناك أربع سنين مات وكان قد أظهر في وزارته من الترفع والتعاظم أمرا زائدا. من ذلك أنه ألزم جميع مباشري الدولة والخاص وعامة المشدين بالركوب معه إذا ركب فإذا وصلوا بين يديه إلى رأس سوق الحريريين من القاهرة نزل مقدم الدولة ومقدم الخاص ومضيا في ركابه إلى بين القصرين ثم نزلت طائفة بعد طائفة بحسب رتبهم ومشوا بين يديه حتى لا يبقى أحد راكب سواه إلى أن يصل إلى داره برأس حارة زويلة فإن كان في داره بفم الخور على النيل نزل من ينزل من قنطرة قدادار ومشوا إلى داره وهو راكب فإذا مضى إلى الصناعة بمدينة مصر نزل الناس من باب مصر وبقي هو وأخوه راكبين. بمفردهما إلى الصناعة والناس جميعا مشاة. وعنى بالأسمطة فكان يطبخ دائما في كل يوم بداره ألف رطل من اللحم سوى الدجاج والأوز. وكان يبعث كل ليلة بعد عشائه إلى بين القصرين من القاهرة فيشترى له. بمبلغ مائتين وخمسين درهما فضة ما بين قطا وسمان وفراخ وحمام وعصافير مقلوة. وتناهي في أنواع الأطعمة الفاخرة واقترح علبا كبار للحلوى عرفت بعده مدة سنين بالعلب الخصيبية. وأخبرني الوزير الصاحب تقي الدين." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٢٥١>

"(سنة أربع وستين وسبعمائة)

في المحرم: عدى السلطان والأمير يلبغا النيل إلى بر الجيزة وخيم قريبا من الأهرام وفي يوم الإثنين: رابع عشر صفر قدم قاضي

القضاة بهاء الدين أحمد بن السبكي على البريد من دمشق باستدعاء فاجتمع بالسلطان والأمير يلبغا ثم عاد إلى القاهرة. وفي تاسع عشر شهر ربيع الأول: عاد السلطان من السرحة بالجيزة ومعه الأمير يلبغا. وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي وأعيد إلى قضاء دمشق وخلع على أخيه بهاء الدين وأعيد إلى إفتاء دار العدل وبقية وظائفه. وخلع على الأمير وفي جمادى الأولى: فشت الطواعين والأمراض الحادة في الناس بالقاهرة ومصر وعامة الوجه البحري وتزايد حتى بلغ في شهر رجب عدة من يموت في اليوم ثلاثة آلاف. ولم تزل الأمراض بالناس إلى شهر رمضان. وقدم الخبر بوقوع الوباء بدمشق وغزة وحلب وعامة بلاد الشام فهلك فيه خلائق كثيرة جدا وفي يوم الإثنين رابع عشر شعبان: اقتضى رأى الأمير يلبغا خلع السلطان فوافقه الأمراء على ذلك فخلعوه من الغد لاختلال عقله وسجنوه ببعض الدور السلطانية من القلعة فكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام لم يكن له سوى الاسم فقط السلطان زين الدين أبو المعالي السلطان الملك الأشرف زين الدين أبو المعالي شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ولي السلطنة وعمره عشر سنين ولم يل أحد من بني قلاوون وا بوه لم يل السلطنة." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٢٦٧<

"(سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة)

في يوم الأحد ثالث المحرم: قبض على طائفة من عرب البحيرة نحو ثلاثة وعشرين رجلا عند الأهرام قد فروا يريدون النجاة فوسطوا وأخذت مواشيهم. وفيه ابتدأ الوباء بالطاعون في الناس بالقاهرة ومصر وتزايد حتى بلغ عدة من يموت في اليوم ثلاثمائة ميت. وفي خامسه: خلع على قاضي القضاة بدمشق ولي الدين عبد الله بن أبي البقاء باستقراره على عادته. وخلع على قاضي القضاة بحلب كمال الدين المعري باستقراره. وسارا عائدين إلى بلديهما في عاشره: ابتدأ الأمير مأمور الحاجب بعرض الأجناد وإلزام من عبرة إقطاعه ستمائة دينار بالسفر إلى البحيرة أو إخراج بديل عنه. وفي ثاني عشره: قدم الخبر بأن خمسة من أعيان أهل البحيرة قدموا على الأمير أيتمش راغبين في الطاعة ومعهم نحو ستمائة فارس وعدة رجالة. قدم البريد من الإسكندرية بطلب بدر بن سلام من الأمير بلوط أن يسأل له في الأمان فلم يجبه الأمير الكبير برقوق إلى سؤاله. وكتب بالقبض على الذين قدموا إلى الأمير أيتمش فقبض عليهم وقتل أكابرهم. في تاسع عشره: قدم الأمير قطلوبغا الكوكاي ومعه خمسة وعشرون رجلا من أعيان البحيرة فعفي الأمير الكبير عنهم. وفي خامس عشرينه: خلع على جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينة شاد الجنان بالإسكندرية ثم أحد أجناد الحلقة واستقر نقيب الجيش عوضا عن ناصر الدين محمد بن وفي هذه الأيام: مرض السلطان حتى أرجف. بموته ثم عوفي. وفي يوم الأحد ثاني صفر: قدم الأمير أيتمش. بمن معه من تجريدة البحيرة وقد فر بدر سلام إلى جهة برقة وبعث الأمير قرط برجال كثير قد قبض عليهم وبعدة من رءوس قتلاهم فعلقت على باب زويلة. ونزل قرط دمنهور وبنى عليها سورا أخذ في عمارة ما خرب من بلاد البحيرة.." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/١٠١>

"وفيه اشتدت عقوبة ابن البقري بالمقارع وألزم بحمل خمسمائة ألف درهم بعد ما أخذ منه ما يقارب الثلاثمائة ألف دينار. وفي هذا الشهر ركب السلطان للصيد عدة مرار. وفيه كتبت أسماء الذين في سجن القضاة على الديون وصولح غرماؤهم عمالهم عليهم من الدين بمال أخرجه السلطان على يد الأمير جركساالخليلي وأفرج عنهم. وفيه شفع الأمراء في

الخليفة وتقدم منهم الأمير أيتمش والأمير ألطنبغا الجوباني وقبلا الأرض وسألا السلطان في العفو عنه وترفقا في سؤاله فعدد لهما ما أراد أن يفعله من قتله وقتلهم فكفا عن مساءلته. ثم سأله بعد ذلك الأمير سودن النائب فيه فأمر بقيده ففك عنه. وفي يوم الأحد ثالث شوال: عدى السلطان إلى بر الجيزة وعاد من يومه وأمر بتتبع المماليك الأشرفية والمماليك البطالين فأخذوا وعملوا في الحديد ونفوا من مصر. وفي ثاني عشره: عدى السلطان النيل إلى الجيزة وتصيد ثم عاد إلى مخيمه تحت الأهرام فمر على خيمة الأمير قطلو أقتمر أمير جاندار فوقف عليها وخرج إليه قطلو أقتمر وقبل له الأرض وقدم له أربعة أفراس فلم يقبلها فقبل الأرض ثانيا وسأل السلطان أن يقبلها فأجاب سؤاله وقبلها. وتوجه السلطان إلى مخيمه واستدعى في الحال بإبراهيم بن قطلو أقتمر من خزانة شمايل وخلع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش وأعطاه ثلاثة أروس أخر وهي التي قدمها أبوه وأذن له أن يمشي في الخدمة ووعده برزق وأرسله إلى أبيه فسر به سرورا كبيرا وكان في هذه المدة لم يحدث السلطان ولا أحدا من الأمراء في أمر ولده فأتاه الله بالفرج من حيث لا يحتسب. ورحل السلطان إلى سسرحة بالبحيرة على العادة وعاد في يوم الخميس سادس ذي القعدة إلى القلعة. وخلع على قاضي العسكر بدر الدين محمد بن البلقيني الشافعي وشمس الدين محمد القرمي الحنفي. وفي يوم السبت ثامنه: جمع السلطان القضاة واشترى الأمير أيتمش البجاسي من ورثة الأمير جرجي نائب حلب بحكم أن جرجي لما مات لم يكن أيتمش البجاسي ممن أعتقه بل كان في رقه فأخذه بعد جرجي بجاس وأعتقه من غير أن يملكه بطريق." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/١٥٦>

"بن قارا بن مهنا. ونقل الأمير سيف الدين سودن المظفري من نيابة حماة إلى نيابة حلب عوضا عن الأمير يلبغا الناصري. ومات في هذه السنة من الأعيان شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الفيشي ناظر المواريث وناظر الأهرام في سادس ومات الأمير بهادر الجمالي المعروف بالمشرف أمير الحاج أحمد الألوف في ذي القعدة بعينونة من طريق الحجاز وبها دفن. وتوفي قاضي القضاة علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الطاي البساطي المالكي وهو معزول في يوم الجمعة سادس عشر صفر وقد أناف على الستين ومات الأمير طبج المحمدي – أحد أمراء الألوف – وقد أخرج إلى دمشق. وتوفي كاتب السر أوحد الدين عبد الواحد بن تاج الدين إسماعيل بن ياسين الحنفي في يوم السبت ثاني ذي الحجة. وتوفي ناظر الجيش تقي الدين عبد الرحمن بن ناظر الجيش محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمي الحلبي الأصل الشافعي في ليلة الخميس سادس جمادى الأولى. وتوفي الأمير جمال الدين عبد الله بن الأمير بكتمر الحاجب – أحد الطبلخاناة – في يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى. ومات الأمير علاي الدين علي بن أحمد بن السايس الطيبرسي – أستادار خوند بركة أم الأشرف شعبان – في سادس شوال. ومات قاضي القضاة صدر الدين محمد بن علاء الدين على بن منصور الحنفي وهو قاضي في يوم الإثنين عاشر ربيع الأول. وقد أناف على ثمانين سنة وفاق في علم الفقه أهل زمانه. ومات الشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود الرومي البابرتي الحنفي شيخ." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/١٧٢>

"يتناول معلوم المشيخة بل يقنع. بماله من معلوم التصوف فإنه كان من جملة صوفيتها. على أنه لا يستجد بها صوفيا وأنه يوفر نصيب من مات منهم حتى تعمر أوقافها. وفي سادسه: خلع على رسل ابن أويس وسافروا. وفي ثامنه: عدى السلطان النيل ونزل تحت الأهرام فأقام في سرحته حتى وصل إلى ناحية دلنجة ثم عاد فطلع إلى القلعة في عشرينه. وفي هذا

الشهر أخرج الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان مائة ألف وثمانية عشر ألف أردب قمحا طرحه على التجار كل أربعة أرادب بثلاثة وتسعين درهما - عنها أربعة دنانير - سعر كل دينار ثلاثة وعشرون درهما وربع درهم. فمن هذه الأربعة أرادب إردب بسبعة وعشرين درهما وإردب بستة وعشرين درهما وإردب بأحد وعشرين درهما وإردب بتسعة عشر درهما فيجيء معدل كل إردب بدينار. وفيه خلع على قوزي السيفي واستقر في ولاية قوص عوضا عن مقبل الطيبي. وخلع على سعد الدين نصر الله بن البقري واستقر ناظر الديوان المفرد الذي استجده السلطان وناظر ديوان المماليك. واستقر برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن عمر الصنهاجي في قضاء المالكية بدمشق عوضا عن علم الدين محمد بن محمد القفصي. واستقر في قضاء الحنفية بحلب موفق الدين عوضا عن محب الدين محمد بن الشحنة. وفي أول ذي الحجة: أحضر من دمشق بأربعة من الفقهاء في الحديد اتهموا أنهم سعوا في نقض المملكة والدعاء لإمام قرشي فسجنوا. ثم أحضروا في يوم الأربعاء رابع عشرينه إلى بين يدي السلطان وتقدم كبيرهم - أحمد بن البرهان - فكلم السلطان عما سأله عنه وصدع بالإنكار عليه وأنه غير أهل للقيام بأمر المسلمين وعدد له ما هو عليه من أخذ المكوس ونحو ذلك وأنه لا يقوم بأمر المسلمين إلا إمام قرشي. فأمر به وأصحابه أن يعاقبوا حتى يعترفوا. بمن معهم من أمراء الدولة فتولى عقوبتهم الأمير حسام الدين حسين والي القاهرة ثم سجنهم بخزانة شمايل. وفي خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج وفيهم بطا الخاصكي وأخبروا أن أقبغا المارديني - أمير الحاج - لما قدم مكة في أول ذي الحجة خرج الشريف محمد بن أحمد." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٩١/٥>

"وفي ثاني عشره: سجن الأمير محمود بالزردخاناه وهو مقيد. وقبض على شيخ الصفوي وسجن. وألزم حسين بن الكوراني الوالي بطلب المماليك الظاهرية فنادى عليهم بالقاهرة ومصر وهدد من أخفاهم. وفيه أمر الوالي تجار القاهرة بنقل قماشهم من الحوانيت وخوفهم من النهب فاضطرب الناس وكثر كلامهم وتوهموا اختلاف الدولة وقيام الفتنة وأخذوا في الاحتراز. وفيه كثر فساد التركمان وأخذوا النساء من الطرقات ومن بعض الحمامات وسلبوا من انفردوا به ثيابه من غير أن يتجاسر أحد على منعهم. وكثر أيضا ضرر الزعر وإخافتهم الناس. وفيه أمر العسكر بنزع السلاح وكانوا في هذه الأيام لا يزالوا بالسلاح عليهم وعلى خيولهم فلا ترى أميرا ولا مملوكا ولا جنديا إلا لابس آلة الحرب. وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره: غمز على الملك الظاهر برقوق. وذلك أنه لما نزل من الإصطبل في الليل مختفيا مضى إلى بيت أبي يزيد - أحد أمراء العشراوات - واختفي بداره فلم يعرف خبره والطلب له يشتد وهجم على عدة بيوت بسببه فلم يوجد. ونكر النداء عليه فخاف أن يؤخذ باليد فلا يبقي عليه فأعلم الأمير ألطبغا الجوباني بمكانه فصار إليه وقيل إنه نزل من الإسطبل ومعه أبو يزيد لا غير فتبعه نعمان مهتار الطشت خاناه إلى الرميلة فرده. ومضى هو وأبو يزيد إلى أن أخلى له مكانا اختفى فيه. وأخذ الناصري يتتبع أثره حتى سأل المهتار نعمان عنه فأخبره أنه نزل ومعه أبو يزيد وإنه لما تبعه رده فأمر حينئذ حسين بن الكوراني بإحضار أبي يزيد فشدد في طلبه وهجم بيوتا كثيرة فلم يقف له على خبر فقبض جماعة ممن يعرفه وقررهم فلم يجد عندهم علما به. وما زال يفحص حتى دله بعضهم على مملوك أبي يزيد فقبض على امرأة المملوك وعاقبها فدلته على أبي يزيد وعلى الملك الظاهر وأنهما في بيت رجل خياط بجوار بيت أبي يزيد فمضى إلى البيت وبعث إلى الناصري يعلمه فأرسل إليه الأمراء. وقيل إنه لما نزل من الإسطبل كان نحو نصف ليلة الاثنين فسار إلى النيل وعدى إلى الجيزة ونزل عند الأهرام

وأقام ثلاثة أيام ثم عاد إلى بيت أبي يزيد فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره حضر مملوك أبي يزيد إلى." <السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/٢٣٧>

"اقترح بن غوريون، أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني على الرئيس الأمريكي إيزنهاور بتاريخ ١٩٥٨/٧/٢٤ في رسالة وجهها إليه "إقامة سد منيع ضد المد الناصري" (أي التيار القومي) وللوقوف أمام التوسع السوفييتي من "إسرائيل" وتركيا وإيران (١) .

فشلت جميع المساعي الأمريكية والبريطانية في فترة الخمسينيات في إخضاع البلدان العربية للهيمنة الإمبريالية، ففشل حلف السنتو، وحلف بغداد، ومشروع جونسون للتعاون المائي بين الأردن و"إسرائيل"، ومشاريع التوطين، ومبدأ إيزنهاور، نظرية الفراغ للحلول محل فرنسا وبريطانيا في المنطقة.

إن مفهوم العروبة، والأمة العربية، والدولة العربية الواحدة أقدم بكثير من مفهوم الشرق أوسطية. وتعود جذوره إلى أعماق التاريخ في المنطقة.

***

الفصل الثاني:

التخطيط "الإسرائيلي" للشرق الأوسط

خططت "إسرائيل" والولايات المتحدة لحرب حزيران العدوانية عام

١٩٦٧، ولأهدافها السياسية والاقتصادية وحاولت الولايات المتحدة دون معاقبة العدو على حربه العدوانية وإجباره على دفع التعويضات طبقا لأهداف ومبادئ الأمم المتحدة والقانون الدولي.

بدأت المخططات الإسرائيلية لمستقبل الوطن العربي بالظهور بعد الحرب العدوانية مباشرة، وبعد الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء والجولان، وتمسك العدو الـ"إسرائيل"ي بالأراضي العربية المحتلة لإجبار العرب على القبول بمخططاته السياسية والاقتصادية.

نظمت "إسرائيل" عقد المؤتمرات الثلاث للمليونيرية اليهود في أعوام ١٩٦٧ و١٩٦٨ و١٩٦٩ لإحكام سيطرتها الاقتصادية على المناطق العربية المحتلة واستغلالها.

---

(١) محمد حسنين هيكل، الانفجار، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٩٠، الملاحق: نص رسالة بن غوريون إلى الرئيس الأمريكي دوايت إيزنهاور في ١٩٥٨/٧/٢٤.." <الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية ص/٩>

("

(أني لك الإسعاد يوما أن ترى ... وحديث خير الخلق عندك يذكر)

استفتى على من عارضه في تدريس حديث بالقدس وجمع ذلك في جزء سماه معتدي المقادسة وأفتوه بتفسيق الناظر والمعارض ثم بسبس بعد دهر طويل مع من عارض المنفرد بذلك في الديار المصرية جميعه لمن لا يحسن حديثا ولا قديما وفي إيراد أشباه هذا طول وراسل ابن قريبه بعد كوائن الشاميين معه أن يسأل المقر الزيني بن مزهر أن يكتب إلى كل من المالكي والحنبلي أن شيخنا فلانا يعني نفسه ما فارقناه إلا عن كراهة منا لفراقه ومحبة عظيمة لقربه وجميع الأعيان بالقاهرة والصلحاء راضون عنه متألمون لفراقه وقد اختاركم على بقية الناس واختار بلدكم على بقية البلاد فلما وصل إليكم أرسل بالثناء عليكم وقال كثيرا من ذلك وهو ممن يشكر على القليل نحن نعرف ذلك منه وقد بلغنا في هذه الأيام أن داء الحسد دب إلى بعض الناس فصار يتكلم فيه بعض السفلة ونحن نعرفه من خمسين سنة ونعرف أنه لا يشاحن أحدا في دنيا بل هو مشتغل بحاله فلا يتكلم فيه إلا متهم في دينه وهم الرعاع والجهلة كما قال الشافعي أو الإمام علي رضي الله عنه: والجاهلون لأهل العلم أعداء فكان المظنون بكم أن تردعوا من يتكلم فيه غاية الردع من غير طلب منه لذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من يريد تألم عالم إنما يريد بذلك هدم السنة والمعروف من عادته أنه إذا تكلم أحد فيه يصبر ويحتسب فإذا فعل هو المندوب وجب على الناس الذب عنه وكيف لا وأغلب أحواله سعيه في نفع أصحابه لا سيما الشاميين ما كان إلا كهفا لهم كانوا يترددون إليه لما كانوا محتاجين إليه وهو في بلد العز لينتفعوا به فأقل ماله عندهم أن يفعلوا معه ما كان يفعل معهم وأهون من ذلك تركه وما هو عليه من نفع عباد الله بالتدريس والتذكير بالميعاد ونحو هذا فإنه أي كتاب الزيني ينفع غاية النفع قال وإن كان معه كتاب البرهاني يعني الإمام الكركي زاد نفعه ولا تظهر أني كتبت إليك في هذا الأمر إلا لضرورة بل استفدته من حاملها إلى أن قال وليكن الكتاب إليهما مع ثقة يوصله إليهما لا إلى العبد يعني نفسه ولكن ترسل إلي بالإعلام بجميع معنى الكتاب انتهى بحروفه. فانظر وتعجب واعلم بالكذب فيه في غير ما موضع نسأل الله السلامة. ومن عنوان نظمه قوله في قصيدة أنشدناها على الأهرام الجبل بالجيزة:

(إنا بنو حسن والناس تعرفنا ... وقت النزال وأسد الحرب في حنق)." <الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١/١١٠>

"وجلس بحانوت المالكية بالجوانية وانتمى للعلاء بن الصابوني ناظر الخاص وتكرر دخوله مكة في التجارة مع مشاركة وإرسال بما لعله يكون من الأخبار لمن يكون بمكة.

٤٥٧ - أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إبراهيم ولي الدين أبو زرعة ابن الجمال البارنباري المصري الشافعي سبط داود بن عثمان بن محمد بن عبد الهادي السبتي ويعرف بابن البارنباري. / ولد في سنة ثمان وعشرين وثمانمائة بمصر ونشأ بها فحفظ القرآن وكتبا منها المنهاج، واشتغل عند البهاء بن القطان والشهاب بن مبارك شاه الأول في الفقه والثاني في العربية وصحب البرهان المتبولي وغيره، وحج مرتين وكتب عن شيخنا الإملاء بل وسمع بأخرة على جماعة كعمه النور علي والبدر النسابة وهاجر القدسية، وناب في القضاء عن المناوي في سنة أربع وخمسين فمن بعده واستقر به العز الكناني سنة سبعين في مشيخة الآثار وكذا استقر به الزين زكريا في قضاء دمياط بعد الصلاح بن كميل وحمد في ذلك كله لعقله ومداراته وخبرته

وسياسته مع فضيلة وتواضع، وقد تردد إلي كثيرا وسمعته ونحو علو الأهرام يحكي عن جده لأمه وكان من الصالحين أنه سمعه يحكي عن أبيه عن جده عن ولي الله أبي العباس السبتي أنه قال يصلي العشاء بجامع عمرو في مصر كل ليلة مائة رجل من رجال القيروان وقابس وبعرفات والصبح ثمانون منهم. وتصدر بجامع عمرو ثم رغب عنه وأقرأ بعض الطلبة وكتب على مختصر أبي شجاع مطولا ومختصرا وشرع في شرح على المنهاج. ومات هو بدمياط في ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة تسع وثمانين ودفن بتربة تجاه فتح الأسمر رحمه الله وإيانا.

٤٥٨ – أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن هاشم بن محمد بن عبد الله الشهاب الصنهاجي نسبة لقبيلة بالغرب السكندري المولد والمنشأ القاهري الحسيني الدار المالكي المقرئ والد محمد الآتي ويعرف بابن هاشم. / ولد في يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثمانين وسبعمائة بثغر الاسكندرية وحفظ بها القرآن وصلى به والعمدة والرسالة لابن أبي زيد وغالب المختصر الفرعي لابن الحاجب وجميع مفتاح الغوامض في أصول الفرائض للصردي وألفية ابن مالك

وعرض على قريبه الشريف العلامة الشهاب أحمد بن محمد بن مخلوف الحسيني السكندري المالكي وأجازه بل وبحث عليه في مبادئ ابن الحاجب الفرعي ويقال أنه ممن أخذ عن الفاكهاني وأذن له في الإفتاء والتدريس وكذا أخذ الفقه أيضا عن الشمس محمد بن يوسف." <الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢/١٦٠>

"شيخنا وأحضره وأسمعه على كثيرين من المكيين كأبي الفتح المراغي والزين الأميوطي والزمزمي وغيرهم بها وبأماكن منها كمنى وجل ذلك معي ولما ترعرع قرأ بنفسه وتوجه غير مرة للزيارة النبوية وسمع فيها بطيبة من)

جماعة، وارتحل في سنة سبعين من البحر فأكثر بالديار المصرية من القراءة والسماع ومما أخذه عن الشمني في البحث بعض شرحه لنظم أبيه للنخبة وعن البقاعي في متنها مع شيء حاذى به متن إيساغوجي، وسمع بمصر والجيزة وعلو الأهرام وغيرها من أماكنها وكذا بجدة في مجيئه ولما انتهى أربه سافر في أول السنة التي تليها إلى البلاد الشامية فسمع في توجهه بالخانقاه السرياقوسية وزار القدس والخليل وسمع بالقدس وبغزة ونابلس ودمشق وصالحيتها وبعلبك وحماة وحلب وغيرها من جماعة، واجتهد في كل ذلك وتميز في الطلب واستمد مني ثم عاد فيها إلى بلده مع الركب ثم رجع من البحر أيضا في سنة خمس وسبعين وقرأ علي في بحث ألفية الحديث مع غيرها من تصانيفي وحضر عندي في الاملاء وغيره بل وقرأ على الشرف عبد الحق السنباطي كتابه الارشاد ثم سمعه عليه إلا اليسير في مجاورته، وكان أحد القراء في تقسيم المنهاج على السراج العبادي ولكن لم يتهيأ اكماله وقرأ على الشمس الجوجري قطعة من أول شرحه على الارشاد وكتبه بخطه وعلى الزيني زكريا في المتن وكان جل قصده من هذه القدمة الدراية ورجع إلى بلده ثم سافر منها للدراية أيضا إلى الشام في موسم السنة التي تليها وزار المدينة في توجهه وقرأ في دمشق على الزين خطاب قطعة من أول الارشاد وكذا على المحب البصروي وكان قد أخذ عنه بمكة أيضا وحضر دروس أولهما مع قليل من دروس التقي بن قاضي عجلون هناك ووصل منها إلى حلب ورجع لمصر أيضا ثم لبلده مع الركب ثم دخل القاهرة أيضا مع الركب في سنة أربع وثمانين فلازمني في السماع والقراءة وكان مما قرأه على قطعة كبيرة من أول شرحي لألفية الحديث وجميع شرح النخبة وحضر كثيرا من مجالس الاملاء بل واستملى بعضها وأكمل الربع الأول من شرح الجوجري للارشاد عليه وحضر عنده تقسيم التنبيه إلا يسيرا وتقسيم جميع ألفية ابن مالك سوى مجلسين أو ثلاثة بل هو ممن لازمه حين مجاورته بمكة حتى سمع عليه شرح الشذور له وغالب متن البهجة وكذا لازم إمام الكاملية في

الفقه وغيره وقرأ عليه غالب الوردية في النحو ومما أخذه عن العبادي في القدمة الرابعة في الروضة أو الخادم، ورجع مع الحاج فيها إلى بلده فأقام ملازما للاشتغال والاقبال على شأنه، ولما جاورت سنة ست وثمانين والتي تليها." <الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٤/٢٢٥>

"قرقماس الجلب وقرماس الرماح، تقدما.)

قرقماس المدعو سيدي الكبير تمييزا له عن أخيه تغرى بردى فذاك سيدي الصغير. قدما مع أمهما بطلب من عمهما دمرداش المحمدي وهو إذ ذاك نائب حماة وتزوج بأمهما وكلفهما حتى صارا من جملة الأمراء وذكر بالشجاعة والفروسية وحظي هذا عند الناصر وكان يخرج عن طاعته ثم يرجع فعل ذلك غير مرة، وولى ولايات كنيابة صفد وحلب ولم يجتمع الثلاثة عند سلطان بل يكون واحد مع شيخ ونوروز وآخران مع السلطان أو بالعكس إلى أن أعيا الناصر أمرهم وقتل وهم كذلك فلما تسلطن المؤيد شيخ قرب هذا وأعطاه نيابة الشام بعد خروج نوروز عن الطاعة فراسل حينئذ عمه وكان ببلاد التركمان قائلا له: يا عم ها أنا قد خرجت إلى الشام وأخي إلى غزة فجئ أنت وكن بمصر عند المؤيد ولا تخف فانه لا يمكنه القبض عليك وكلانا بالبلاد الشامية فحسن ذلك بباله وركب البحر حتى طلع من الطينة فوجد خام قرقماس بالصالحية وقد عاد من صفد لعجزه عن مقابلة نوروز فقال له دمرداش: أيش هذا الذي عملته يا ولدي فقال له: دع عنك هذا فالمؤيد لا يمكنه القبض علينا وخلفه مثل نوروز فلم يعجبه هذا ورام الرجوع فقوي عليه قرقماس وقدما القاهرة وتوجه تغرى بردى لغزة فرحب بهما المؤيد وبالغ في تعظيمهما وأجلس دمرداش على الميسرة وهذا تحته ثم خلع عليهما وجهز سرا من قبض على تغرى بردى ثم بادر للقبض على الآخرين وسجنهما حتى قدم الآخر ثم بعث بهذين فحبسا بإسكندرية وقتل تغرى بردى في شوال سنة ست عشرة وكذا قتل قرقماس بإسكندرية في السنة وأخر عمهما إلى أن قتله في سنة ثماني عشرة، وكان قرقماس شابا جميلا لطيف الذات شجاعا كريما مفرطا فيهما بحيث أن المؤيد لما رأى على بعض مماليكه حين عرضهم سلارى مفرى بوشق من إنعام سيده امتنع من استخدام أحد منهم قائلا: ماذا أفعل أنا بعد هذا أو نحو هذا منهمكا في اللذات يقول الشعر بالتركي ويحب سماع الملاهي والمطربات وهو والد قجماس الماضي قريبا، وستأتي حكاية في يحيى بن أحمد بن عمر بن العطار لهذا وتحتاج إلى تحقيق.

قرقماس الشعباني الظاهري برقوق ثم الناصري ويعرف بقرقماس أهرام ضاغ يعني جبل الأهرام لتكبره. أصله من كتابية الظاهر ثم ملكه ابنه فأعتقه وعمله خاصكيا ثم صار في دولة)

المؤيد من الدوادارية الصغار ثم تأمر بعده عشرة ثم دوادارا ثانيا مع إمرة طبلخاناه، ودام إلى سنة ست وعشرين فأنعم عليه بتقدمة." <الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٦/٢١٩>

"المعجم الصغير للطبراني بإرساله إليه حتى قرأه عليه لكون نسخته قد انمحى الكثير منها وما علم أنه في أوقاف سعيد السعداء إلا بعد ولم ينفك عن ملازمته ولا عدل عنه بملازمة غيره من علماء الفنون خوفا على فقده ولا ارتحل إلى الأماكن النائية، بل ولا حج إلا بعد وفاته، لكنه حمل عن شيوخ مصر والواردين إليها كثيرا من دواوين الحديث وأجزائه بقراءته وقراءة غيره في الأوقات التي لا تعارض أوقاته عليه غالبا سيما حين اشتغاله بالقضاء وتوابعه حتى صار أكثر أهل العصر مسموعا وأكثرهم رواية، ومن محاسن من أخذ عنه من عنده الصلاح بن أبي عمر وابن أميلة وابن النجم وابن الهبل والشمس بن

المحب والفخر بن بشارة وابن الجوخي والمنيجي والزيتاوي والبياني والسوقي والطبقة، ثم من عنده القاضي العز بن جماعة والتاج السبكي وأخوه البهاء والجمال الأسنائي والشهاب الأذرعي والكرماني والصلاح الصفدي والقيراطي والحراوي ثم الحسين التكريتي والأميوطي والباجي وأبو البقاء السبكي والنشاوري وابن الذهبي ابن العلائب والآمدي والنجم بن الكشك وأبو اليمن بن الكويك وابن الخشاب وابن حاتم والمليجي وابن رزين والبدر بن الصاحب ثم السراج الهندي والبلقيني وابن الملقن والغراقي الهيثمي والأبناسي والبرهان بن فرحون وهكذا حتى سمع من أصحاب أبي الطاهر بن الكويك والعز بن جماعة وابن خير، ثم من أصحاب الولي العراقي والوي وابن الجزري ثم من يليهم وقمش وأخذ عمن دب ودرج، وكتب العالي والنازل حتى بلغت عدة من أخذ عنه بمصر والقاهرة وضواحيها كإنبابة والجيزة وعلو الأهرام)

والجامع العمري وسرياقوس والخانقاه وبلبيس وسفط الحناء ومنية الرديني وغيرها زيادة على أربعمائة نفس كل ذلك وشيخه يمده بالأجزاء والكتب والفوائد التي لا تنحصر وربما نبهه على عوال لبعض شيوخ العصر ويحضه على قراءتها. وشكا إليه ضيق عطن بعضهم فكاتبه يستعطفه عليه ويرغبه في الجلوس معه ليقرأ ما أحبه.

وبعد وفاة شيخه سافر لدمياط فسمع بها من بعض المسندين وكتب عن نفر من المتأدبين، ثم توجه في البحر لقضاء فريضة الحج وصحب والدته معه فلقي بالطور والينبوع وجدة غير واحد أخذ عنهم، ووصل لمكة أوائل شعبان فأقام بها إلى أن حج، وقرأ بها من الكتب الكبار والأجزاء القصار ما لم يتهيأ لغيره من الغرباء حتى قرأ داخل البيت المعظم وبالحجر وعلو غار ثور وجبل." <الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٨/٧>

"الدقيق أن بعض المخطوطات التى نسبت فى فهارس المخطوطات، أو حتى فى الأصل إلى البلخى، إنما تمثل فى الحقيقة مسودات لمصنف الإصطخرى أو ابن حوقل.

ويحسن أن نشير هنا إلى بعض الملاحظات على خرائط الإصطخرى، فنجد أنه استخدم الألوان على نحو ما نجد عند يوسف كمال فى المجموعة الكمالية، كما أن فى خرائط الإصطخرى تمثيلا للظاهرات الطبيعية حيث يوضح فى شبه جزيرة سيناء وأقسامها الثلاثة:

السهل الساحلى الرملى الشمالى (رمل الجفار) ، ثم الهضبة الوسطى (تيه بنى اسرائيل) ، ثم الكتلة الجبلية الجنوبية (طور سيناء) . وحين يكون المظهر التضاريسى الجبلى هو الصفة الغالبة على الإقليم– على نحو ما هو فى خريطة فارس (هضبة إيران) – فإنه لا يوقع الجبال؛ لأنه ليس بفارس بلد إلا وبه جبل أو يكون الجبل بحيث تراه إلا اليسير.

كذلك يوقع الجزر كظاهرات طبيعية فى المسطحات المائية، مثل جزر الخليج العربى، وإذا كانت هناك مبالغة فى تصوير الجزر فربما يكون مرجع ذلك إلى الناسخ بدليل وجود اختلافات واضحة بين نسخ الإقليم الواحد فى الخرائط التى وصلت عن الإصطخرى، كما أن الإصطخرى قد يصور فى خريطته بعض النباتات لما لها من دلالة، ففى خريطة مصر يوقع عند بداية الحد الشمالى الشرقى المصرى شجرتان وهما تمثلان البداية لحدود مصر عند رباط الشجرتين.

كذلك يهتم الإصطخرى بتوقيع ظاهرات بشرية فى خرائطه، مثل توقيع المدن الحربية كحصون (مدينة دمياط) ، وتصوير منار الإسكندرية، والأهرامين، وكذلك ما تشتهر به بعض النواحى من المبانى العجيبة مثل حائط القلاص كجدار أو سور.

<المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – مصر الإصطخري المقدمة/١٩>

"كل واحد منهما أربعمائة ذراع «١» ، وعرضه أربعمائة ذراع، وطوله أربعمائة ذراع، وهو فى صورة العمارة «٢» مربع الأسفل، ثم لا يزال يرتفع ويضيق حتى يصير أعلاه نحو مبرك جمل، وملئت بنيانه بكتابة يونانية «٣» ، وفى داخله طريق يسير فيه الناس رجالة إلى قريب أعلاه، وفى هذين الهرمين طريق فى باطن الأرض مخترق، وأصح ما سمعت فى الأهرام أنها قبور الملوك الذين كانوا بتلك الأرض.

وعرض العمارة على النيل من حد أسوان ما بين نصف يوم إلى يوم إلى أن تنتهى إلى الفسطاط، ثم تعرض فيصير عرضها من حد الإسكندرية إلى الحوف، الذي يتصل بمفازة القلزم– نحو ثمانية أيام، وما فى العرض من أرض مصر قفار.

وأما الواحات فإنها بلاد كانت معمورة بالمياه والأشجار والقرى والناس، فلم يبق فيها ديار، وبها إلى يومنا هذا ثمار كثيرة وغنم قد توحشت فهى تتوالد، والواحات من صعيد مصر إليها فى حد الجنوب نحو ثلاثة أيام فى مفازة، وتتصل الواحات بالنوبة ببرية فتنتهى إلى أرض السودان.

وبأرض مصر بحيرة يفيض فيها ماء النيل، تتصل ببحر الروم تعرف ببحيرة تنيس «٤» ، إذا امتد النيل فى الصيف عذب ماؤها، وإذا نقص فى الشتاء إلى أوان الحر غلب ماء البحر عليها فملح ماؤها، وفيها مدن مثل الجزائر تطيف البحيرة بها، فلا طريق إليها إلا فى السفن، فمن مشاهير تلك المدن تنيس ودمياط، وهما مدينتان لا زرع بهما ولا ضرع، وبهما يتخذ المرتفع من ثياب مصر، وهذه البحيرة قليلة العمق «٥» ، يسار فى أكثرها.

بالمرادى، وبها سمكة تسمى الدلفين فى خلقة الزق المنفوخ، وسمكة إذا أكلها الإنسان رأى منامات هائلة، ومن حد هذه البحيرة إلى حد الشام أرض كلها رمال متصلة حسنة اللون تسمى الجفار، بها نخيل ومنازل ومياه مفترشة غير متصلة، ويتصل حد الجفار ببحر الروم، وحد بالتيه، وحد بأراضى فلسطين من الشام، وحد ببحيرة تنيس وما اتصل به من ريف مصر إلى حدود القلزم، وأما تيه بنى اسرائيل فيقال إن طوله نحو من أربعين فرسخا، وعرضه قريب من طوله، وهى أرض فيها رمال وأرض صلبة «٦» ، وبها نخيل وعيون مفترشة قليلة، يتصل حد له بالجفار، وحد بجبل طور سينا وما اتصل به، وحد بإزاء «٧» بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين، وحد له ينتهى إلى مفازة فى ظهر ريف مصر إلى حد القلزم.

وأما الأشمونين فإنها مدينة صغيرة عامرة، ذات نخيل وزروع، ويرتفع من الأشمونين ثياب كثيرة." <المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – مصر الإصطخري النص/٤١>

"الموضوع صفحة

بوصير ٤٢

أسوان ٤٢

اسنا وأخميم ٤٢

الفرما ٤٢

عين شمس ومنف ٤٢

تنور فرعون ٤٢

مدن الحوف ٤٢

عيذاب ٤٢

البجة ٤٢

ميزات مصر ٤٢

أرض الشام حدود الشام ٤٣

ثغور الشام ٤٣

جبل اللكام (جبل لبنان) ٤٣

فلسطين ٤٣

الغور ٤٣

مدن فلسطين الرملة ٤٣

بيت المقدس ووصف المسجد ٤٣

بيت لحم ٤٤

نابلس ٤٤

غزة ٤٤

أذرج ٤٤

روات ٤٤

مدن الأردن طبرية ٤٤

الغور ٤٥

صور ٤٥." <المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك - مصر الإصطخري النص/٢٠٨>

"٨٤٢ ومساحة الذراع إلى أن يبلغ اثنتي عشرة ذراعا «١» ثمانية وعشرون إصبعا، وما زاد على الاثني عشر مساحة الذراع أربعة وعشرون إصبعا. وإذا انصرف الماء عن ثلاث عشرة ذراعا إلى أربع عشرة استسقى الناس بمصر وكان الضرر الشديد. وهم يسمون هذين الذراعين منكرا ونكيرا. وفي خمس عشرة ذراعا «٢» لا يستسقى وكان نقصا من خراج السلطان والغلات.

٨٤٣ والقياس الذي يعمل عليه في وقتنا هذا هو الذي اتخذه أسامة بن زيد التنوخي في خلافة سليمان بن عبد الملك، وهو أكبر المقاييس ذراعا «٣» ، وهذا «٤» المقياس في الجزيرة التي تدعى جزيرة الصناعة بين الفسطاط والجيزة، فيعبر «٥» من الفسطاط إلى الجزيرة على الجسر ومن الجزيرة إلى الجيزة على جسر آخر، والفسطاط على شرقي الجزيرة والجيزة «٦» على غربيها. والعمل عند «٧» ترادف الرياح وكبر الموج وكثرة الماء على مقياس آخر لأحمد بن طولون. وقد كان عمر بن عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر اتخذ مقياسا قصير الذراع بحلوان «٨» ، وهي فوق الفسطاط «٩» ، فكان العمل عليه حتى «١٠» اتخذ أسمامة (بن زيد) «١١» هذا. وكان العمل قبل الإسلام وصدر الإسلام بمقياس صنعه يوسف الصديق «١٢» (عليه السلام) ١»

لما بنى الأهرام لمعرفة زيادة النيل، وكان بمنف، (ولما يبن الفسطاط يومئذ) «١٤» . وكانت دلوكة الملكة وضعت أيضا مقياسا آخر بالصعيد ببلاد أخميم.." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/٥٠٢>

"بالحجارة) «١» تمر عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب إلى الأندلس، (وما البحر تحت تلك القنطرة) «٢» خلجان، وكان طولها نحو اثني عشر ميلا في عرض واسع وسمو بين، وربما بدت هذه القنطرة لأهل المراكب تحت الماء فعرفوها.

٨٥٩ وسئل عن ممالك الأحابيش التي على النيل فقال: لقد لقيت منهم «٣» ستين ملكا كل ملك منهم ينازع من يليه. قال: ولاستحكام النارية في بلادهم تغيرت الفضة ذهبا لحرارة الشمس ويبسها، وقد يطبخ الذهب المغربي بالملح والزاج والطوب فيرجع فضة خالصة بيضاء. وسئل عن منتهى النيل في أعلاه فقال: البحيرة التي لا يدرك قعرها «٤» وطولها (وعرضها و) «٥» هي تحت الموضع المسمى بالفلك المستقيم من الأفلاك، وهي الأرض التي الليل والنهار فيها متساويان (الدهر كله) «٦» .

٨٦٠ وسئل عن الأهرام فقال: إنها قبور الملوك. كان الملك إذا مات وضع في حوض من «٧» حجارة، ثم يطبق عليه ويبنى «٨» له هرم على قدر ما يريدون ويوضع الحوض في وسط الهرم، ويضعون باب الهرم تحت الحوض، ثم يحفر له طريق في «٩» الأرض يعقدونه «١٠» أزجا. فقيل له: كيف بنيت هذه الأهرام الململسة «١١» وكيف كانوا يصعدون إليها وعلى أي شيء كانوا يحملون." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/٥١١>

"هذه الحجارة التي لا يقدر «١» أهل زماننا أن يزحزحوا منها حجرا؟ فقال:

كانوا يبنون الهرم مدرجا ذا مراق، فإذا فرغوا منه نحتوه «٢» ، ومع هذا كان لهم صبر وجلد ليس لمن بعدهم. قيل له: فما بال هذا القلم الذي «٣» على الأهرام والبرابي لا يفهم؟ فقال: تداول أهل مصر الأمم بعد الأمم فدرست كتابتهم الأولى. قيل: فمن كان أول من سكن مصر؟ قال: مصر بن بيصر «٤» وبه سميت، وهو ابن حام بن نوح «٥» .

٨٦١ وناظر هذا الشيخ القبطي (بحضرة أحمد) «٦» بن طولون جماعة «٧» من أهل الديانات والنحل، فمما قال «٨» لليهود «٩» : أنتم تزعمون أن الله خلق آدم على صورته وأن الباري تعالى أبيض الرأس واللحية وأن الله تعالى قال: أنا النار المحرقة والحمى الآكلة، وفي توراتكم أن بنات لوط سقينه «١٠» الخمر حتى سكر وزنى بهن وحملن منه وولدن، وأن موسى رد على الله الرسالة مرتين حتى اشتد غضب الله، وأن هارون صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل، وتقولون «١١» في يوم

عيد الكفور «١٢» ، وهو لعشر خلون «١٣» من تشرين الأول، إن الرب الصغير- ويسمونه ميططرون «١٤» - يقوم في هذا اليوم ويقول: ويلي إذا خربت بيتي وأيتمت بنتي، وينتف شعره، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/٥١٢>

"ظهر سيفان عظيمان عاديان (سيف عن يمينه وسيف عن شماله) «١» ، فالتقيا عليه «٢» ، فجزياه قطعا وهوى جسمه سفلا. فلما مرت ببعض الدرج منه قطعة اهتز العمود وصفر الديك صفيرا عجيبا أسمع من كان بالبعد وحرك جناحيه، فظهرت من تحتها أصوات غير معهود مثلها وتهافت من كان هنالك من الرجال إلى أسفل تلك الحفرة «٣» ، وكان فيها ممن (يحفر ويعمل) «٤» نحوا من ألف رجل، فهلكوا جميعا. فجزع «٥» عبد العزيز وقال: هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النيل، نعوذ بالله منه. وأمر الناس فردوا التراب عليه وعلى من (هلك فيه) «٦» من القوم «٧» ، وصار الموضع قبرا لهم.

٨٧٧ وقد كان وقع إلى بعض من أغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز كتاب (ببعض الأقلام) «٨» السالفة فيه وصف كنز ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الأهرام، وأخبر الإخشيد محمد بن طغج فأذن في حفره، وذلك سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، فحفروا حفرة عظيمة إلى أن انتهوا إلى آزاج «٩» وأقباء وحجارة «١٠» مجوفة وصخور منقورة «١١» فيها تماثيل قائمة مختلفة الصور «١٢» ، منها على صور الشيوخ والشبان والنساء والأطفال أجسامها (في نوع من) «١٣» الخشب ووجوهها ذهب وفضة وعيونها من أنواع الجواهر «١٤» ، وكثرت في أجوافها رمم بالية وأجسام فانية «١٥» . والتمثال على صورة من وضع في جوفه على اختلاف أسنانهم وتباين صورهم، وعلى «١٦» جانب كل تمثال نوع من الآنية كالبراني «١٧» من الزمرد والجواهر الغالية فيه بقية ما طلي به ذلك الميت من الطلاء، دواء مسحوق وأخلاط معمولة لا رائحة لها، فإذا وضعت." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/٥٢٢>

"[المجلد الثاني]

ذكر ملوك مصر من لدن عمارتها قبل الطوفان وبعده إلى استفتاح المسلمين لها (وغريب أخبارهم) «١»

٨٨١ الذي بنى الأهرام والبرابي واستوسقت له مملكة مصر وانتقادت له الملوك سوريد «٢» بن سهلون، وبنى الأهرام صيانة لجثثهم وأجسامهم «٣» ، وبنى الأفرونيات «٤» وبنى البرابي حفظا لعلومهم وآثارهم، وذلك لما أنذروا له «٥» بأمر «٦» الطوفان المهلك للعالم. وكان سوريد قد أوتي من الحكمة والعلم ما لم يسبق إليه وكان يتعاهد من مصالح رعيته ما لم يتعاهد سواه، وكان ينفق على الضعفاء من بيت ماله. واتخذ مرآة من أخلاط وأقامها على منار في وسط قصره، وكان ينظر فيها جميع الأمم والممالك والأقاليم وما منها أخصب وما منها أجدب وينظر من قصد ناحيته وما يجري للأمم «٧» من حروب أو غيرها. وتقدم إلى رأس الناظرين، وهم الكهان، أن ينظر ما يحدث في كل يوم ويجعله «٨» في كتاب. وكان أكثر اهتمامه بعمل الأدوية والعقاقير المؤلفة والصنعة والنواميس «٩» ودفع المضار بالطلسمات وكل ما كان فيه صلاح للناس. وعمل صنما في صورة امرأة جالسة في حجرها «١٠» صبي ترضعه، فمن أصابها علة من النساء في عضو من بدنها مسحت ذلك المكان من الصنم فزال «١١» عنها ما تجده، وكذلك إن قل لبنها أو أبطأت «١٢» حيضتها مست فوق ركب الصنم، وإن كثر دمها مست أسفل الركب فينقص، وإن أصاب ولدها شيء فعلت مثل ذلك بالصبي فيزول عنه، وإن عسرت

ولادتها فمسحت «١٣» رأس الصبي سهلت ولادتها، وكذلك البكر يسهل." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٥٣٣/٢>

"ومائتين في ثلاث عشرة درجة وثلاثين دقيقة من الأسد، فيجب أن يكون اليوم، وهو إحدى وستين في آخر الدرجة السادس عشرة منه.

٨٨٧ وفي كتاب السند هند (الذي عمل المجسطي منه) «١» وغيره أن (دوران الشمس من أول مسيرها) «٢» من الحمل إلى أن ينقضي مسيرها آخر الأسد على ما حسبوه وأحاطوا علما به «٣» بزعمهم أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف ألف وعشرون ألف ألف دورة والدورة سنة «٤» . وجمهور الناس من المتقدمين والمتأخرين يعتقدون أن العالم محدث منتقض «٥» إلا ما قاله أرسطاطاليس إن الطبيعة قديمة وان الزمان لا يبيد وإنه لا أول له ولا آخر، وهو قول أهل الهند. وقال نفر من الفلاسفة: العالم محدث إلا أنه لا يبيد لأنه حكمة والحكيم لا يفسد صنعته.

٨٨٨ ولما مات سوريد بعد أن ملك مائة سنة وسبع سنين دفن في الهرم الشرقي وملك «٦» بعده أخوه هرجيت «٧» ثلاثين سنة ودفن في الهرم الغربي، وملك بعده ابنه مناوش خمس عشرة سنة ودفن في الهرم الملون بلونين من الحجارة.

ولهذه القبور أبواب في آزاج مبنية بالحجارة في الأرض طول كل أزج منها عشرون ذراعا بذراعهم، له باب من حجر واحد يدور بلولب، فإذا أطبق عليه «٨» لا يعرف أنه باب، وصار كالبنيان لا يصل «٩» الذر إلى الوصول منه. وفي هذه الأهرام قبون من الذهب والفضة والكيمياء و (الحجارة من الزبرجد الرفيع) «١٠» والجواهر النفيسة ما لا يحتمله الوصف كثرة «١١» .." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٥٣٧/٢>

"فعرفوني إلى متى يكون ذلك. فأخرجوا الموضع وذكروا أن ذلك يكون لأربعة آلاف دورة للشمس. (فقال: انظروا العلة التي يفتح من أجلها.

فقالوا: يفتح طلبا لما فيه من مال. فقال: هل ينفقون على ذلك شيئا؟

قالوا: نعم. قال: هل تقفون على قدره؟ فعرفوه) «١» . فقال: اجعلوا في الموضع الذي يصلون «٢» منه إلى. داخل الهرم «٣» ذهبا بقدر «٤» ما ينفقونه.

وحث الأمة على الفراغ من الأهرام والأفرونيات، ففرغوا من ذلك في ستين سنة. وعلى الأهرام مكتوب: بنينا هذه الأهرام في ستين سنة، فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة، فإن الهدم أهون من البناء.

٨٩٥ وذكروا أنه «٥» كانت لهم قراقل من خوص إذا ضربوا بها الحجارة قفزت من أنفسها وطارت «٦» ، وأن ذلك لم يزل متعارفا عندهم. قال الوصيفي: وقال لي رجل قبطي يعرف بإبراهيم بن أبراس «٧» ، وقد أجرينا شيئا من هذا الذكر، أنهم أصابوا في بعض الكنائس في موضع شبيه بالطاق سفط فيه «٨» سلة، ففتحت فوجدوا فيها قرفلة من خوص عجبوا منها ولم يدروا لها معنى، فطرحوها في النار ليحرقوها، فكانت تثب من النار حتى تبلغ سقف الكنيسة، فلما رأوا ذلك قطعوها بالسكين، ثم عرفوا الحال فيها فندموا على إفسادها. قال الوصيفي: ولا أدري أهي من قرافل الحجارة أم من غيرها إلا أن في توثبها من النار عجبا.." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٥٤١/٢>

"٨٩٦ ولما فرغ المأمون من حرب أهل التيماء وأقام بمصر أراد هدم الأهرام، فعرفه بعض شيوخ المصريين أن ذلك غير ممكن «١» ولا يجمل «٢» بمثله أن يطلب شيئا لا يبلغه. فقال: لا بد لي أن أعلم علم ما فيها. ثم أمر (أن يفتح) «٣» من الجانب الشمالي لقلة دوام الشمس على من يتولى ذلك. فكانوا يوقدون النار عند الحجر، فإذا حمي رش عليه «٤» خل ورمي بالمنجنيق «٥» حتى فتحت الثلمة التي يدخل منها إلى الهرم اليوم، فوجد بنيانه على ما ذكرنا «٦» من الحديد والرصاص، ووجد عرض الحائط عشرين ذراعا.

٨٩٧ فلما وصلوا إلى آخر الفتح «٧» وجدوا خلفه مطهرة من حجر أخضر فيها مال على حول الدنانير العراض، وزن «٨» كل مثقال منها «٩» سبعة وعشرون مثقالا وثلثا مثقال بمثقالنا «١٠» . فقال: زنوه. فوزنوا الجملة فوجدوا فيها مالا عظيما «١١» معلوما. وكان المأمون (رحمه الله) «١٢» فطنا فقال: ارفعوا «١٣» إلي ما أنفقتم على فتحه. ففعلوا «١٤» فوجدوه موازنا لما وجدوا من المال فتعجب «١٥» من ذلك ومن معرفتهم بالموضع الذي يفتح «١٦» منه على طول الزمان، وازداد «١٧» يقينا في علم النجوم. فركب حتى دخله «١٨» ونظر إلى البيت فوجد «١٩» فيه صنما أخضر مادا يده وهو قائم، ونظر إلى الزلاقة والبئر، فأمر بنزولهما، فنزلوا من واحدة إلى واحدة حتى أفضوا إلى صنم أحمر وعيناه مجزعتان سوادا في بياض كأنهما حدقتا إنسان، فهالهم أمره وقدروا أن.." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٥٤٢>

"شديد «١» لا يدرى ما هو، ووجدوا عنده شبيها بالمطهرة الكبيرة فيها دنانير «٢» عليها صورة أسد من وجه وصورة طير من وجه «٣» . فأخذ بعضهم منها شيئا «٤» ، فلم يقدر على حركة ولا كلام حتى طرحها من يده.

٩٠٤ وكلما فسد من هذه الأفرونيات وتهدم وتغير مثل بربى بوصير وبربى سمنود وغيرهما من الهياكل يتركهم الاستقصاء في أخذ الطالع وصحته قبل وضع الأساس. وكذلك ما بقي منها فلقرب الطالع من الصحة لأن الذين بنوا هذه البرابي كانوا على بعد من الملك «٥» ولم يكونوا بحضرته «٦» ، فيتقنون النظر كما اتفق في «٧» عمل الأهرام. وهم لا يشكون أنهم لما هدموا بربى سمنود فحملوا حجارته إلى أشتوم دمياط ووهبوا بقيته لبني الهندس أن اليوم الذي فرغ من هدم الحائط الغربي دخل حباسه الإسكندرية وخربها وكثرت الرمال حتى انقطع البحر في شهور الصيف وقل زكاء الزرع وكثر الفأر والجراد وأشياء من الفساد (كثيرة.

٩٠٥ ويتحدث أهل سمنود عن هذا البربى بعجائب كثيرة) «٨» يطول شرحها، منها أن بعض من دخلها كتب على كتفه «٩» صورة من تلك الصور أعجبته، فانطبقت عينه حتى أتاه من كتب على كتفه «١٠» الصورة المحاذية لها فانفتحت عينه. قال الوصيفي: وأخبرني من أثق به أنه رأى فيها صورة شيطانين تحوط بهما سلسلة بكتابة، وهما يمسكان طرفيها وبينهما كتابة. (فأخذ." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٥٤٧>

"٩٣٤ وملك ابنه سرباق وعمل عجائب، منها أنه عمل على كل مدينة من مدنه صورة بطة من نحاس، فإذا جاء الغريب ليدخل إليها صرخت تلك البطة وسفقت بجناحيها، فيعلم أن غريبا دخل فيطلب. وإنما «١» فعل ذلك لأن بعض الملوك أراد غدره، فظفر به سرباق وملكهم مائة وثلاث سنين.

٩٣٥ ثم ملك أخوه شهلوق، وهو الذي رتب «٢» مراتب الناس وقسم ماء النيل أقساما، (ورتب على أهل كل صناعة رئيسا) «٣» ، (وأقام سحرة لقسم) «٤» الطرقات على الوحش فلا يسلك بعضها طريق بعض، وأقام لجميع أسباب الضرر طلسمات بدفعها ولم يترك شيئا فيه خير وفضل إلا عمله.

فلما تفرغ من ذلك انفرد لجمع «٥» العلوم وتخليدها في الكتب وكنز الكنوز، وكنز خمسة وأربعين كنزا. وملكهم مائة وتسع سنين.

٩٣٦ ثم ملك ابنه سوريد «٦» صاحب الأهرام، وقد تقدم ذكره.

وملك بعده أخوه هرجيت «٧» ، وهو أول من كسا الهرمين «٨» بألف ألف ثوب في عرض كثير وطول كبير إعظاما لأبيه وأخيه، وفي زمنه ابتدأ عقم «٩» النساء لما تقارب من وقت «١٠» هلاك الأمة.." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٥٦٤/٢>

"طريق الحجاز الى وادي القرى، فعمروها واتخذوا بها المنازل، فسلط الله «١» عليهم الذر فأهلكتهم. فعاد ملك مصر الى أشمون وبنى مدينة في المشرق في سفح الجبل سماها أوطيراطيس وجعل لها أربعة أبواب على كل باب منها «٢» طلسم، وأسكنها الروحانيين بسحره، فكانت تنطق إذا قصدها القاصد وتخبره بما يريد ولا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها. وجعل فيها شجرة يطلع فيها كل لون من الفاكهة، ومنارا في وسطها طوله ثمانون ذراعا على رأسه «٣» قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي سبعة أيام، ثم تعود الى اللون الأول، فتكسو المدينة تلك الألوان. وأسكنها السحرة وكانت تعرف بمدينة السحرة- (وهي معنى أوطيراطس) «٤» - ومنها كانت تخرج أصناف السحر. وهو أول من عمل النيروز إكراما للكواكب، ودفن في احد الأهرام الصغار القبلية.

٩٥٦ وملك بعده ابنه أشاد، وكان جبارا معجبا، أكثر همه اللهو واللعب والنساء، فجمع كل مله وقصده من الأقطار كل من هذه سبيله، ورفض العلوم والهياكل والكهنة، وملك خمسا وسبعين سنة.

٩٥٧ وملك بعده ابنه صاه. وبعض القبط يزعم أن صاه ابن مرقونيس «٥» أخي أشاد، فنفى الملهين ورد الكهنة إلى مراتبهم، وهو بنى أكثر مدينة «٦» منف، وبنى في أقصى الواحات مدينة جعل طول سورها «٧» في الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها أموالا وحكما كثيرة، وهي التي وقع عليها «٨» موسى بن نصير." <المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٥٧٦/٢>

"٩٧٢ ثم ان أمير العمالقة غلب على مملكة مصر، وهو الوليد بن دومع العملقي، وأباد الامم حتى بلغ جبل القمر (الذي ينبعث النيل منه، وانما سمي جبل القمر) «١» لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خارج عن خط الاستواء، وبلغ هيكل الشمس فدخله وبلغ أرض الذهب، وهو «٢» قضبان نابتة، وهي «٣» آخر بلاد علوة. واستعبد الوليد القبط وملكهم مائة وعشرين سنة. وركب في بعض الأيام متصيدا، فوقص «٤» به فرسه فقتله، ودفن في بعض الأهرام «٥» .

٩٧٣ وملك ابنه الريان بن الوليد، وهو فرعون يوسف عليه السلام، والقبط تسميه نقراوش، وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا محسنا الى الناس، أسقط عنهم الخراج ثلاث سنين وفتح الخزائن وفرق أكثر ما فيها على الناس، فأحبوه وشكروا أيامه «٦» ، إلا أنه مال الى الراحات وغلبت عليه اللذات، وملك أمر الناس رجلا من أولاد الوزراء من أهل بيته يقال له أطفير

«٧» ، وهو الذي يسميه اهل الأثر العزيز. وكان عاقلا حصيف «٨» الرأي نزيه النفس مؤثرا للعدل، وأمر أن ينصب له في قصره سرير من فضة يجلس عليه ويكون الكتاب وجميع «٩» الوزراء بين يديه. فكفى نقراوش أحسن كفاية وقام بجميع أموره، ونقراوش غير ناظر في شيء من أمور الناس وقد عملت له مجالس الزجاج الملون والبلور المصبوغ، وأرسل (حولها المياه) «١٠» ووضع فيها السمك، وكان إذا وقعت عليه الشمس أرسل شعاعا عجيبا يبهر «١١» العيون. وعملت له."
<المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٥٨٥>

"قلتم: ولا تصدق ما يقوله بعض المصريين من أنهم يعملون للعروبة، فالفرعونية متأصلة في نفوسهم، ثم أضفتم إلى ذلك حكما قاطعا فقلتم: "وستبقى كذلك".

فهل تسمحون لي أن أستوضحكم ما تقصدونه من كلمة "الفرعونية" هل تقصدون منها الأخذ بحضارة الفراعنة؟ أم الاعتزاز بثقافة الفراعنة؟ أم تقصدون بث اللغة الفرعونية أو الآداب الفرعونية أو الديانة الفرعونية أو السياسة الفرعونية؟

أنا لا أستطيع أن أشك في أنكم لم تقصدوا منها الحضارة أبدا؛ لأنكم لستم -بدون ريب- ممن يقبلون لمصر ولغير مصر حضارة في هذا العصر غير الحضارة العلمية الحالية، كما لا أستطيع أن أشك في أنكم لم تقصدوا من هذه الكلمة "الديانة الفرعونية".

إنكم أشرتم في حديثكم إلى الآثار الباقية من عهد الفراعنة بشكل يستوقف الأنظار وأردتم أن تدعموا آراءكم. بجلال تلك الآثار إذ قلتم: "لا تطلبوا من مصر أن تتخلى عن مصريتها"، وإلا كان معنى طلبكم: اهدمي يا مصر أبا الهول والأهرام، وتغاضي عن جميع الآثار التي تزين متاحفك ومتاحف العالم، وانسي نفسك واتبعينا".

يظهر من هذه التأويلات أنكم تودون أن تخلقوا للفكرة العربية خصوما من الآثار القديمة وأن تضعوا في سبيل تيار هذه الفكرة سدودا من الرموس والأطلال، فهل فاتكم أن التعارض والتصادم لا يحدثان إلا بين الأشياء التي تسير على مستوى واحد. في عالم واحد؟

وإن الفكرة العربية التي تعمل في القرن العشرين -للأجيال القادمة-." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٦١>

"لا يمكن أن تتعارض مع آثار بقيت ميراثا من ماض سحيق، يرجع إلى أكثر من خمسة آلاف من السنين؟

إن مصر قد تباعدت عن ديانة الفراعنة دون أن تهدم أبا الهول، وتخلت عن لغتها القديمة دون أن تقوض الأهرام. وجميع آثار الفراعنة التي زينت بها متاحف مصر ومتاحف العالم لم تولد نزوعا للعودة إلى الديانة التي أوجدت تلك الآثار الخالدة، ولا حركة ترمي إلى بعث اللغة التي رافقتها خلال قرون طويلة فهل من موجب لطلب هدم الأهرام وتناسي الآثار لأجل الوحدة العربية.

إن الأهرام -مع جميع الآثار الفرعونية- لم تمنع مصر من الاتحاد مع سائر الأقطار العربية اتحادا تاما في ميدان اللغة، فهل

يمكن أن تحول دون اتحادها مع تلك الأقطار في ميدان السياسة أيضا!

كلا أيها الأستاذ: إن التيارات القوية العميقة التي جرفت حياة مصر إلى اتجاهات جديدة منذ عشرات القرون، والتي أخرجتها من ديانتها القديمة وأنستها لغتها الأصلية بالرغم من وجود الأهرام وقيام أبي الهول سوف لا تحتاج إلى هدم شيء من آثارها القديمة؛ لتجرفها نحو السياسة التي يؤمن بها دعاة الوحدة العربية. ولا سيما أن هذه السياسة ليست إلا نتيجة طبيعية للغة مصر الحالية ووضعها العام.

قلتم: أتريدون أن تتحقق الوحدة العربية؟ فعلى أي أساس علمي تنادون بها؟ تعالوا معي نستعرض الروابط التي تصل مصر بالأقطار العربية الأخرى.

لقد وقفتم أولا أمام قصة "الأصل والدم" وقلتم: إن الأكثرية الساحقة من المصريين لا تمت بصلة إلى الدم العربي، بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء.

وأسألكم بدوري: هل علمتم بوجود أمة على الأرض انحدرت من." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٦٢>

"مجمع اللغة، ما هي مهمته؟:

بين منصور فهمي وطه حسين:

هذه معركة جرت حول مهمة المجمع اللغوي، بدأها الدكتور طه حسين بآراء عرض فيها وجهة نظره في أمر المجامع اللغوية وعملها بمناسبة قرب دخوله إلى المجمع اللغوي الذي أنشئ في مصر سنة ١٩٣١ وظل الدكتور بعيدا عنه، عارضه فيها الدكتور منصور فهمي وإسماعيل مظهر وجرت بينهم مناقشات انتهت بأن مهمة المجمع اللغوي الذي يقوم في مصر تختلف عن مهمة المجمع الفرنسي الذي أراد الدكتور طه أن نسير على نهجه، وذلك لمدى الفوارق في الاحتياجات اللازمة للغتنا والفرق بين اللغة العربية والفرنسية.

قال الدكتور طه حسين ١:

١- إنها لكارثة كبرى أن يكلف مثلي وضع الاصطلاحات في الطب والطبيعة والفنون العملية المختلفة ولو أن الأكاديمية الفرنسية عنيت بوضع الاصطلاحات للعلوم والفنون لكانت موضع سخرية الفرنسيين جميعا والعلماء في مقدمتهم، فمن العبث إذن أن يكلف المجمع وضع الاصطلاحات أو يضيع وقته فيها.

وهناك مسألة اللهجات فليس المجمع مدرسة وإنما تدرس اللهجات في معاهد خاصة تلحق بالجامعات وبكليات الآداب، وما أعرف المجمع الفرنسي مثلا عنى في يوم من الأيام باللهجات، بل هو يحاربها لأن عمله الأول إنما هو الاحتفاظ ببقاء اللغة وفصلها فإذا أريد درس اللهجات العربية القديمة كما تمثلها قراءات القرآن الكريم فهذه شيء متصل بالمعجم التاريخي وبالنحو والصرف، وهو شيء مخالف كل المخالفة لما يراد من درس اللهجات الحديثة.

رد الدكتور منصور فهمي:

إن وضع المصطلحات العلمية من صميم عمل المجامع. وأعضاء المجمع ليسوا لغويين فحسب، وإنما منهم من اختص أيضا بعلوم غير علوم اللغة فعند اتصال بعضهم بالبعض الآخر ثمرة طيبة تعين على وضع مصطلحات علمية موقعة في مختلف نواحي العلوم والفنون.

١- أخالف الدكتور طه في رأيه بأن الأكاديمية الفرنسية لو عنيت بوضع الاصطلاحات للعلوم والفنون لكانت موضع سخرية الفرنسيين جميعا.

---

١ مارس ١٩٣٧، الأهرام.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٨٢>

"حقيقة نفسه وأنه ليس مدرسة كما يقول الدكتور وأن من حق الكليات ومعاهد العلم العالية أن تعنى بدراسة اللهجات. ولكن المجمع رأى أن تقرير العناية بدراسة اللهجات يعينه على تحقيق أغراضه السامية في خدمة اللغة.

أما قول الدكتور "أنه لم يعرف أن المجمع الفرنسي عنى في يوم من الأيام باللهجات وأنه يحاربها". فأحسبني لا أخطئ إذا قلت: إن العناية بدراسة اللهجات وما يتصل بها فائقة في فرنسا وفي غير فرنسا بل هي من الدراسات التي يحرص عليها العلماء خصوصا في الزمن الأخير لتفهم قانون تطور اللغات وما يستفاد من هذه الدراسة لتنمية ثروة القوانين العلمية والتاريخ. وقد ألفوا في ذلك المصورات والأطالس الكبرى.

٢- طه حسين ١:

الدكتور منصور فهمي أعلم بشئون المجامع اللغوية من أن يحتاج إلى أن أنبه إلى أن هذه المجامع ليس من شأنها ولا ينبغي أن يكون من شأنها ولم تزعم قط أن من شأنها وضع اصطلاحات العلوم والفنون وإنما هي تسجل من ذلك ما يصنعه العلماء وأصحاب الفن إذا لائم اللغة وفرضه الاستعمال.

مازلت أقول وسأقول دائما وسيقول المثقفون الفرنسيون معي دائما: إن المجمع اللغوي الفرنسي يضحك الناس من نفسه لو أنه انصرف إلى وضع الاصطلاحات في العناية بصفاء اللغة ونقائها، فالعلماء وحدهم هم الذين يضعون اصطلاحاتهم وألفاظهم الخاصة وما ينبغي لغيرهم أن يتطفل عليهم أو يشاركهم في تسمية ما لا يتقنه من معاني العلم واصطلاحاته.

إن الأمور تقلب أوضاعها في مصر فنحن نريد أن يذهب الأطباء إلى

---

١ ٦ مارس ١٩٣٧ الأهرام.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٨٤>

"أعضاء المجمع اللغوي يلتمسون منهم الأسماء لمعاني الطب التي لا يحسنونها ولعلهم لا يعرفون عنها قليلا ولا كثيرا على حين يذهب أعضاء المجمع اللغوي الفرنسي إلى الأطباء يسألونهم عن معاني الكلمات الطبية التي يفرضها الاستعمال والتي يحتاج إلى أن تأخذ مكانها في المجمع اللغوي.

٣- إسماعيل مظهر ١:

لأول وهلة أدركت أن الأستاذ "طه حسين" يحاول أن يثبت أن لمجامع اللغة طبيعة واحدة لا تختلف باختلاف الشعوب واللغات وظروف الأحوال فمضى يطبق القواعد التي يجري عليها مجمع اللغة الفرنسي مثلا على ما يجب أن يكون لمجمع اللغة العربية كأن الطبيعة والتاريخ لا حساب لهما في قياس الفارق بين اللغتين "اللغة العربية واللغة الفرنسية" وحال الشعبين.

"أما ما ذكره" من أن المجامع اللغوية لا شأن لها بوضع المصطلحات العلمية وأخذه المثل على ذلك من المجمع الفرنسي ووضع بذلك مقياسا على الفارق البعيد والبعيد جدا فلا جدال إطلاقا من أن المجمع اللغوي الفرنسي لن يقبل كلمة واحدة

أو اصطلاحا يضعه عالم من العلماء أو مؤلف من المؤلفين ما لم ينطبق على القواعد المرعية في اللغة الفرنسية أولا أو في اللغتين اليونانية واللاتينية إذا كان المصطلح منهما، وإذا جاز هذا فإن ذلك يكون بمثابة حكم بالإعدام على المجمع يوقعه أعضاؤه على أنفسهم، فالمجمع الفرنسي يجيز المصطلحات الحدثية متى كانت صحيحة مطابقة لقواعد اللغات التي تؤخذ منها.

إن طبيعة لغتنا والظرف القائم بيننا يجعل من أوليات المهام التي يجب أن يباشرها مجمع اللغة العربية النظر في وضع المصطلحات العربية الصحيحة مع

---

١ الأهرام، ٦ مارس ١٩٣٧.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٨٥>

"الاستعانة بأهل الذكر من العلماء الذين هم على استعداد للتضحية في سبيل اللغة، لا أهل الذكر الذين يضنون على المجمع بجهودهم وكثير ما هم، أهل الذكر الذين يستطيعون التأليف باللغة العربية ولا يستكبرون أن تصحح لغتهم أو مصطلحاتهم التي يستعملونها إسرافا بالأخذ من الأصول الأعجمية بغير حساب.

٤- الدكتور منصور فهمي ١:

إني أعلم أن المجامع تسجل ما يلائم اللغة وما يفرضه الاستعمال إذا لاءم اللغة ومنذ القديم عربت كلمات ودخلت في معاجمها لمواءمتها أو أشير إلى أنها معربة؛ ولكن هل علمت أن لغة من اللغات الراقية الحية أو معجما من معاجمها القائمة لخدمتها وسلامتها يجيز أن نسجل لفظا فرضه استعمال عامة الناس أو فرضه استعمال أهل حرفة من الحرف أو طائفة من الطوائف دون أن يكون حقا هذا اللفظ ملائما للغة صحة أو وضعا أو قالبا، فمن هو ذلك الحكم الذي يحتكم إليه لمعرفة ما إذا كان اللفظ ملائما للغة أو نابيا عنها أو هناك في اللغة ما يعوض عنه.

حدثني الأستاذ "فيشر" أن علماء الكيمياء والطبيعة من الألمان يستعينون بزملائهم العلماء في اللغات القديمة لعونهم على وضع مصطلحات في الكيمياء وفي الطبيعة فهل كان في ذلك خير.

بل على العكس كان ذلك الدليل القاطع على أن أهل العلم يحتاجون لعلماء اللغة وأن ذلك يحصل كل يوم في فرنسا التي يستشهد بها الدكتور وفي غير فرنسا من البلاد.

---

١ الأهرام ٧ مارس ١٩٣٧.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٨٦>

"المسألة إذن ليس أمرها واضحا وحظها من البداهة لا يحتمل الخلاف.

بل إن المسألة هي خلاف بعيد في الرأي بيني وبينك.

فأنا أرى أن من عمل المجمع وضع المصطلحات الموافقة لسلامة اللغة وذوقها وأن من عمله مؤازرة العلماء وأهل كل فن وحرفة لتسمية المسميات الحديثة وأنت ترى أن أهل الحرفة وأهل العلم وحدهم هم الذين يضعون هذه المصطلحات حتى "دون أن يشاركهم في تسمية ما لا يتقنه من معاني العلم واصطلاحاته أحد".

تبارك الله يا صاحبي. إن الحياة كلها تقوم على التآزر والتعاون فالأمور لا تقلب أوضاعها في مصر كما تقول.

الأطباء يتصلون بأعضاء المجمع يلتمسون فهم الأسماء العربية لمعاني الطب وعندي أن مثل هذا هو وضع للأمور في مواضعها وسواه هو القلب العنيف.

أما اللهجات فأعود وأقول: لم يكن من مهمة المجمع أن يبحث فيها ليتوصل إلى توحيدها. لا لإحياء الميت منها وذلك بإصلاح ما فسد من مفرداتها ورده إلى الأصل العربي السليم الصافي وبهذا الاعتبار حرص المجمع على الاشتغال بمختلف اللهجات.

ومن أهم الأسباب التي تدعو إلى البحث في اللهجات هو الوقوف على وسائل تطورها في مختلف العصور إذ إن ذلك يعين على معرفة نفس التطورات التي حدثت في العربية الفصحى قبل أن تبلغ وحدتها.

٥- طه حسين ١:

إذا أردت الحق فإن مجمعنا اللغوي قد أنشئ على عجل، وأخشى أن

---

١ ٧/ ٣/ ١٩٣٧ الأهرام.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٨٧>

"يكون إنشاؤه الأول قد قصد به الدعاية السياسية أكثر مما قصد به إلى المصلحة الحقيقة وإلا فقد كان الملائم لمصلحة مصر أن ينشأ فيها مجمع على طراز المجمع العلمي الفرنسي لا على طراز المجمع اللغوي.

حرام١ عليكم أيها الأصدقاء فلا يباح لكم أن تقتلوا هذه العامية الحلوة فإنا نجد في اختلافها لذة ومتعة وعزاء في كثير من الأحيان.

٦- منصور فهمي ٢:

حرام عليك أن تشجع تبلبل اللهجات وتطري اختلافها، فاللغة العربية هي التي تجمع بين البلاد العربية فلتكن موحدة في اصطلاحاتها اللغوية ولتكن موحدة في جمال نطقها فذلك أحرى للجمع والترابط والتفاهم.

فأنا أقول لك إنه حلال أن تقتل لهجات قد تقوى فتتحول إلى لغات مختلفة تفرق بين بعض الأهل والبعض الآخر وحلال أن نسعى نرتفع باللهجات إلى لغة عربية موحدة فصحى تجمع بين أهل اللغة العربية الموحدة. ثم توحد في الثقافة إخوانا في اللسان والإنسانية والبيان.

٧- طه حسين:

إن المجمع الفرنسي لا ينظم لجانه على هذا النحو المصري الطريف الذي يفرض فيه الخبراء فرضا لأن المجمع الفرنسي لا يكلف نفسه ولا يكلف أحد ما لا يطيق من وضع الاصطلاحات العلمية. ولو قد كلفه أحد ذلك لرفضه لأنه يرفع نفسه عن العرض لما لا يحسن.

---

١ ٩/ ٣/ ١٩٣٧، الأهرام.

٢ ١٠/ ٣/ ١٩٣٧.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٨٨>

"ثقافة الشرق ثقافة الغرب:

معركة بين فيلكس فارس وإسماعيل أدهم:

هذه معركة أدبية من أضخم المعارك التي دارت حول الثقافة العربية وهل هي شرقية أم غربية؟ بدأها توفيق الحكيم بمقال في الأهرام عنوانه "هل يوجد اليوم شرق؟ " ورد عليه فيلكس فارس بما كان قد أورده من قبل في مناظرة مع إسماعيل أدهم أحمد.

ثم بدأت المساجلة بين فيلكس وأدهم واتسع نطاقها وشمل كل ما يتصل بفنون الثقافة والعلم والموسيقى وظهر الاختلاف واضحا بين مفاهيم الكاتبين، أحدهما مسيحي عربي يؤمن بثقافة العرب ويدافع عن كيان الأمة العربية أن تنمحي في الصورة الغربية، والآخر مصري تركي مسلم يؤمن بمفاهيم الغرب وآراء المستشرقين المتعصبين في العرب وفي عقلنا وتراثنا ويزدري كل مقدراتنا ويحتقر مقومات تفكيرنا، بينما يقف فيلكس فارس موقف الإيمان البصير بتراثنا وكياننا العربي ومدافعا عن هذا التراث بحرارة قوامها العلم والرأي النقي المتسامح غير المتعصب.

وتعد هذه المناظرة خلاصة النظريتين اللتين تصارعتا في عالمنا العربي خلال هذه الفترة.

هل يوجد اليوم شرق؟ توفيق الحكيم "الأهرام ١٣ مايو ١٩٣٨":

قال "إذا لم يكن لنا قدرة على خلق حضارة شرقية فلنفعل ما فعلت تركيا وننخرط بكل بساطة في سلك الأمم الأوروبية".

فيلكس فارس "الرسالة" ٦ يونيه ١٩٣٨:

إن الأستاذ توفيق الحكيم لا يجهل أننا إذا عجزنا عن خلق الحضارة الشرقية وعن إحيائها بتعبير أصح، فإن انخراطنا في سلك الأمم الأوروبية لا يوصلنا إلى الهدف الذي تتجه إليه الأمة التركية ولما تصل إليه، فإن بين الفطرة التركية والفطرة العربية من الفروق ما لا يصح معه أن يتخذ العرب الترك قدوة." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/١٠٤>

"فقد يتجاوز للمترجم عن هذا التصور فهو غير مكلف أن يحقق المستحيل.

إلى أي حد يباح للمترجم أن يتصرف فيما يترجمه بالمسخ والتشويه. أي الأمرين أجدر بالغبن؛ أن نترجم قصصا فيه من القصور المحقق في نقل أخص ما يميزها من الجمال أو أن نترك هذه القصة في لغتها حتى لا تمسخ ولا تشوه وحتى لا ينقص من قدرة المؤلف ونبوغه في صورة أقل ما توصف به أنها لا تطابق بعد الأصل ولا تدل عليه.

٣- منصور فهمي ١:

كلانا متفق على أن لا نطالب المنفلوطي بأن يترجم الكتاب شعرا كما ألف شعرا فقد لا يكون ذلك ميسورا نتفق في ذلك كله، فأين الخلاف؟

إن الخلاف الذي أظنه ينشأ بيننا قد يكون في سؤالين وجههما إلي:

إلى أي حد يباح للمترجم أن يتصرف فيما يترجمه بالمسخ والتشويه؟ وجوابي البسيط أني لا أبيح قط للمترجم أن يتصرف فيما يترجمه بمسخ أو تشويه، أما بعد هذا فاسمح لي أن أسالك:

أي الأمرين أجد بالغبن أن تترجم قصة فنية مع القصور عن نقل أخص ما يميزها من الجمال أو أن تترك هذه القصة في لغتها حتى لا تمسخ ولا تشوه؟

أرى خيرا أن تنقل لنا القصة في جمال الأصل من أن يحجب عنا كل هذا الجمال، خير لنا أن تكون عندنا فكرة صغيرة من أدب جديد من أن يهمل هذا الأدب، ولو لم يكن ذلك لما نقل الفرنجة في لغاتهم القرآن الكريم، ولما قرئت في لغاتنا التوراة والأناجيل، ولما قرأنا بالعربية شعر

---

١ الأهرام ٢٦ يوليو سنة ١٩٢١.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/١٦٥>

"الفصل السادس: هل نقتبس أم نقلد؟

بين منصور فهمي وطه حسين:

قال زكي عبد القادر معلقا على حديث الدكتور طه من التعليم الجامعي١ في مصر ومقارنته بفرنسا "أما الزج٢ بفرنسا وغيرها من البلاد الغربية حين يكون الكلام خاصا بمصر فكم كنت أود لو أعفانا منه الدكتور طه فإن مصر لن تكون كفرنسا وفرنسا لن تكون كمصر. والأسلوب الذي تتناول به فرنسا مشاكلها لا ينبغي أن يكون هو الأسلوب الذي تتناول به مصر مشاكلها. فإن لنا مشاكلنا الخاصة، لنا حاجتنا وبيئتنا وشعبنا وتاريخنا ونهرنا وصحراؤنا، ولنا أخيرا عقولنا وثقفاتنا فلنعالج مشاكلنا على الأسلوب الذي نراه إلى أدنى تحقيق مصالحنا.

فرد طه حسين عليه ٣ وقال:

إنما أكتب اليوم لأني أرى في تفكيرنا الاجتماعي والتعليمي شيئا من العوج وأود أن نلتفت إليه ونعنى بتقويمه، فمن أشد الأشياء خطرا أن نفكر في شئوننا الاجتماعية والثقافية تفكيرا معوجا، ثم نقيم على هذا التفكير نتائج ذات خرط ثم نتخذ هذه النتائج أصولا للإصلاح الاجتماعي والثقافي.

ولأضرب لذلك مثلا قريبا جدا فالأستاذ زكي عبد القادر يريدني على ألا أذكر فرنسا ونظمها التعليمية لأن فرنسا ليست مصر ولأن ظروف فرنسا

---

١ الأهرام ٣ يونيه ١٩٣٩ "إسراف" طه حسين.

٢ الأهرام ٥ يونيه ١٩٣٩ زكي عبد القادر.

٣ الأهرام ٧ يونيه ١٩٣٩ "تقويم" لطه حسين.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٣٠٧>

"مخالفة رأي الجمهور.

ليس كل شيء قديم منبوذا وليس كل شيء جديد مرغوبا فيه.

أني لا ألوم الدكتور طه حسين الذي قصاراه أن يسرق رأيا لمستشرق أوروبي خالف به جمهور المستشرقين فضلا عن علماء العرب وأن ينتحل هذا الرأي لنفسه متبجحا به.

٥- محمد عبد المطلب ١:

سخطت وازوررت لأني أجد ضعفا في أسلوبه العربي وضعف تأليف وخطأ في اللغة وقواعد الإعراب وسخطت وازوررت ثم تنظمت وأوردت إذ رأيت أكبر أستاذ في أكبر معاهد مصر يتردد بين التناقض في الرأي والخطأ الفاحش في الفن.

فأما قصور اللفظ فإني وجدت الدكتور يمنح في كل دعوى الشك والتشكيك عجزا عن الدليل القويم ولا ينتج من المقدمات في أدلته إلا العقيم وما كان الشك والتشكيك يوما عكازا لأحد من العاجزين، أما التقصير في الاجتهاد فإنك تراه لا يزجر نفسه ولا يكلفها شيئا من الجهد فيستمرئ الكسل عن التحقيق في أقل المواطن كلفة وأيسرها منالا ويتستر بالتعمية في الأسلوب والمراوغة في الجدال والختل في الاستدلال ولو كلف نفسه قليلا لبدا له العلم الصحيح.

أما ضعف الأسلوب فإنه يجيئك بالمعنى القليل الهزيل في اللفظ الكثير والتركيب المملول.

على أني حائر في الحكمة التي يرمي إليها بافتتاحه القول مغيظا محنقا

---

١ الأهرام ٢٨ أبريل ١٩٢٦.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٣٦٨>

"بتصوير الخصومة ولا خصومة ويمعن في اللئوم وربما كان هو الحليم وبعد فإنه خرج من التمهيد الطويل العريض الذي وضع أسلافنا فيه تحت المطرقة وانهال عليهم بلا حرمة ولا مبالاة وتجرد في حقهم من آداب المؤلفين.

٦- عبد ربه مفتاح:

تبرأ طه حسين بجواب أرسله إلى مدير الجامعة بعد أن قامت الأمة وقعدت لفعلته الشنيعة، تبرأ الآن من الكفر والإلحاد بعد أن سجله في مؤلفه وأذاعه بين الناس وأفسد به عقول النابتة. ولكن فات دكتور أوربا أن هذا سبيل البراءة والخلاص، وإنما السبيل أن يعلن رجوعه عن هذا الكفر الصريح وأن ينص في غير مواربة ولا لف ولا دوران أن مؤلفه باطل لا يعول عليه. وبخاصة ما يمس منه الدين.

أخبرني أيها الدكتور ماذا في كتابك وما الجديد الذي أحدثته فيه، أفكرة التغير والتعديل في الشعر الخاصة وقد رادها قبلك الرواد.

٧- عبد المتعال الصعيدي ١:

بين يدي الآن كتاب "مقالة عن الأحلام" لجرجيس صال الإنجليزي معربة عن الإنجليزية بقلم من يدعى هاشما العربي مطبوعة ١٨٩١ يرى فيها ما رأى الدكتور طه في قصة إبراهيم وإسماعيل وينسبه لنفسه على أنه ابتكار من ابتكاراته ورأي من آراءه الجديدة. وهو الذي أقام الدنيا وأقعدها على الأستاذ علام سلامة إذ نقل على لسان العرب ما نقل مما كتبه عن الآداب والأدباء في السياسة الأسبوعية ولم ينسبه إلى صاحبه.

١ ١٢ مايو ١٩٢٦ الأهرام. وعبد المتعال الصعيدي أول من كشف نقل طه حسين عن المبشر الإنجليزي.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٣٦٩>

"تجدد معركة الشعر الجاهلي:

ثم تجددت معركة الشعر الجاهلي مرة أخرى، ولم تكن هذه المرة على صفحات الجرائد وإنما في مجلس النواب، كان ذلك عام ١٩٣٢ حيث وجهت إليه تهم عدم كفايته العلمية عدم كفياته الإدارية، ومحاباته لبعض الأساتذة الأجانب رعاية لجنسياتهم. وصودر كتاب "الأدب الجاهلي" مرة أخرى ١٩/ ٣/ ١٩٣٢ وقامت مظاهرات واضرابات، وكان الدكتور طه قد عاد إلى بث آرائه التغريبية واكتشفت كراسات فيها إلحاد، والمعروف أن تجدد هذه المعركة كان له صلة بالسياسة والحزبية، وقالت جريدة الاتحاد "١٢/ ٣/ ١٩٣٢" التي كان الدكتور رئيس تحريرها قبل ذلك سنوات: إننا إذا وضعنا الدكتور طه حسين موضع التحليل لوجدنا أنه شخصية عادية لا يستحق كل هذا الضجيج، إلا أن الكلف بالشذوذ والشغف بالخروج عما عليه الجماعة من شأنه أن يدعو الناس إلى الأخذ والحد في هذا الشذوذ.

فقد كان طه حسين متصلا بحزب الأحرار الدستوريين الذين أيدوا رئيس الحكومة إذ ذاك "إسماعيل صدقي" فلما أنشأ حزب الشعب هاجموه وانضموا إلى الوفد في جبهة لمقاومته، هنالك بدأت الحملة على طه حسين واستغل فيها عنصري الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية وتصارعها في مصر حيث كانت الجامعة هي "البؤرة" التي يتجمع فيها المستشرقون ودعاة التغريب، واتهم طه حسين بأنه كان يمالئ الفرنسيين منهم غير أن الرجل الذي حمل لواء اتهام طه حسين لم يكون رجلا حزبيا وإنما كان رجلا مؤمنا بوطنه صادق الإيمان بالعروبة والإسلام، ذلك هو الدكتور عبد الحميد سعيد، وهذا ملخص حملته.

لقد قضت١ على بلادنا موجة من التقليد الغربي. موجة الخروج عن الدين والآداب وقد قام بالتبشير بها جماعة لم يصل نور الإسلام إلى قلوبهم وقد اشتهر الدكتور طه حسين في كتبه ومحاضراته بتلك النزعة اللادينة. وقال: إننا نشاهد الرجل عدوا للدين وتعاليمه يشوه كل ما هو منسوب إليه ومن يتتبع سلسلة حياته العلمية يجدها وحدة، يذهب في كل مسألة تتعلق بالدين الإسلامي مذهب أعداء الدين. وخصومة الألداء، وهناك نقطة ضعف

١ الأهرام ١٧/ ٣/ ١٩٣٢ و٢٩/ ٣/ ١٩٣٢.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٣٧٥>

"بالطعن في الدين، والتحريض على الفسق والفجور، ثم أشار إلى تحقيق النيابة معه سنة ١٩٢٦، كيف أن المبادئ التي ضمنها كتابه "في الأدب الجاهلي" ورد منها في كتب بعض المبشرين، وكيف أنه تعرض لنشر المساوئ والعورات عن عصور الإسلام الزاهرة وأغضى عن نشر الفضائل والرجال الأفذاذ الذين بنوا مجد الإسلام، وقال: إن الحكومات التي سكتت عن هذا الرجل وتركته يهدم الأخلاق والآداب ويمثل بالفضيلة لهي شريكة له في إثمه.

لقد شاع هنا في البلاد العربية أن هناك صلة بين الدكتور طه وبين دعاة التنصير، يثبت هذا التحقيق الذي أجرته النيابة وهو ينفث سمومه ويحتمي باستقلال الجامعة.

وأعيدت إذاعة تقرير لجنة ٢٨ ديسمبر ١٩٢٧ الذي كتبه الغمراوي والعوامري ومحمد عبد المطلب حيث أحصى على بحث الدكتور طه حسين أنه أضاع على العرب المسلمين "١" الوحدة القومية والعاطفة الدينية. "٢" الإيمان بتواتر القرآن وقراءاته وأنها وحي من عند الله. "٣" كرامة السلف من أئمة الدين واللغة. "٤" كرامة الثقة بسيرة النبي في كل ما كتب عنها. "٥" اعتقاد صدق القرآن وتنزهه عن الكذب. "٦" الوحدة الإسلامية. "٧" حرمة الصحابة والتابعين. "٨" تنزيه القرآن من التهكم والازدراء. "٩" تنزيه النبي عن مواطن التهكم والاستخفاف. "١٠" صدق القرآن والنبي فيما أخبر به عن ملة إبراهيم. "١١" براءة القرآن مما رماه به المستشرقون من أعدائه. "١٢" الأدب العام مع الله ورسوله.

وقال عبد الحميد سعيد "٦ مارس ١٩٣٣، الأهرام": عرف هذا الرجل بمصادمة آرائه لنصوص القرآن الكريم والعقائد الدينية وقد ظهرت عداوته للإسلام في كثير من تعاليمه وآثاره منها كتاب "الشعر الجاهلي الذي مازال." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٣٧٧>

"الفصل السادس: كتاب ثورة الأدب

بين فريد وجدي والدكتور هيكل:

هذه المعركة نموذج طيب للنقد في الأدب العربي المعاصر، فهي مساجلة خلت من كل عبارات السخرية أو الغرض أو الاندفاع وراء الأهواء، ناقش بها محمد فريد وجدي آراء الدكتور هيكل في كتابه "ثورة الأدب" مناقشة موضوعية هادئة.

بحث ١ في ثورة الأدب؛ من فريد وجدي:

قال هيكل: الأدب فن جميل غايته تبليغ الناس رسالة ما في الحياة والوجود من حق وجميل بواسطة الكلام، والأديب هو الذي يؤدي هذه الرسالة.

فريد وجدي: في رأيي أنا أن هذا التجديد على افتراض صحته ناقص وكان حقه أن يقول: إن غاية الأدب تبليغ الناس ما في الحياة والوجود من حق وباطل وجميل وقبيح وخير وشر، فإن في الحياة والوجود كل ذلك بدليل أن كثيرا من القطع الأدبية نثرا وشعرا قديما وحديثا قد بالغت في الباطل والقبيح والشر إلى حد أن أنكرت معه الحق والجميل والخير معبرة عن مذهب التشاؤميين من الفلاسفة وهذه القطع من الكثرة بحيث لا يمكن أن تعتبر من النادر الذي لا حكم له.

وهذا الاقتصار من الدكتور فضلا عن أنه يخل تعريف الأدب فإنه يدمجه في دائرة الفلسفة التفاؤلية فإن غرضها هي أيضا بيان ما في الوجود من حق

---

١ الأهرام ١٨ يونيه ١٩٣٣.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٣٩٤>

"ثم قال: فنحن هنا بإزاء أديبين كبيرين يكتبان في موضوع واحد فيقول أحدهما: إن كل حركة في حياتنا الأدبية اليوم ثورة وإن المحافظين أنفسهم ثائرون على ما يؤيدونه، والآخر يقول: إن حركة مهما كبرت عندنا وعند غيرنا يصح أن تسمى ثورة.

ولو سألت أديبا ثالثا ورابعا وخامسا على أن يكتبوا لوجودا وجوها أخرى من الخيال والتلاعب بالألفاظ في تعليل صحة اسمه وفي التدليل على عدم صحته تناقض هذين الرأيين١.

-٢-

عرض لما ذكره هيكل من أن الأدب في ثورة منذ الثورة العرابية وإلى الاحتلال إلى ثورة ١٩١٩.

ثم قال: نحن نخالفه في وجود ثورة أدبية أولا، وتقرر أن هناك نهضة لغوية لا أكثر ولا أقل.

وقال: إن أركان الثورة غير مستوفاة وقال: إن الثورة كما عرفها العلم هي انقلاب فجائي يحدث في الأشياء والآراء أو الحكومة فلدينا بموجب هذا التعريف أركان ثلاثة: أولهما الانقلاب والثاني الفجاءة والثالث العنف.

ونحن إذا بحثنا فيما نحن بصدده لم نجد واحدا منها فلم يحدث انقلاب في اللغة فإن ما كان يكتب به الناس على عهد محمد علي هو ما نكتب به اليوم اللهم إلا تعبيرات اقتبسها بعض الكتاب عن اللغات الأوروبية لايزال يعفو عنها كبار الكتاب ويعدونها مجافية لروح البلاغة العربية وكل ما حدث هو ميل هؤلاء الكتاب والكبار عن طريقة الترسل التي كان قد أغرى بها كتاب القرون

---

١ الأهرام ١٨ يونيه ١٩٣٣.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٣٩٥>

"لايزال يفت في عضدها إلى اليوم ويقطع عليها سبيل الاتصال بالعلماء!

-٣-

قال هيكل: وقد احتدمت معركة القديم والحديث هذه منذ سنين طويلة ونقل المحاربون فيها في ميادين مختلفة، كانت هذه الميادين قبل الحرب العامة، تتناول أساليب الكتابة وتتناول الألفاظ العلمية وغير العلمية إلى يومئذ كانت الغلبة لأنصار تقليد الأدب القديم وكان السجع والإغراب في اختيار الألفاظ بعض ما يمتاز به كتاب العصر.

"فريد وجدي": ونحن نرى أن إيراد تاريخ الأدب على هذه الصورة يطمس معالمه، لم تحتدم معركة ما بين قديم وحديث في أساليب الكتابة ولا في نقل الألفاظ العلمية وغير العلمية إلى العربية، ولا كان السجع والإغراب في الألفاظ مميزين للبلاغة العربية ما قبل الحرب العالمية.

والذي يعرفه كل مطلع على تاريخ هذه اللغة أن الكتاب كانوا أحرارا في تخير أساليبهم ولم يحجر على كاتب أسلوبا يتميز به إلا ما كان من استحسان الناس واستهجانهم له شأن أسلوب كتابنا إلى اليوم، نعم أعتبر السجع وجها من وجوه المحسنات اللفظية ولم يقل أحد إنه الأسلوب المميز للبلاغة العربية.

وكيف يعقل أن يتشبث أنصار القديم بالسجع والإغراب. وقد قال أئمتهم الأولون بأن السجعة لا بأس بها إن جاءت عفوا ولم يكن بها تكلف. وقد عدوا الإغراب في الألفاظ من العيوب التي تحط من قدر البلاغة، أما الألفاظ العلمية فلم تنشب بسببها لدينا معركة، وكل ما حدث حولها شكوى الكاتبين والمترجمين من حيرتهم حيالها والتماسهم من كبار العارفين بالعربية العمل على تعريبها تعريبا لا يجافي أصول اللغة الصحيحة.

نعم، رأى بعضهم أن تكتب تلك المصطلحات على ما هي عليه، ورأى

---

١ ٢٣ يونيه ١٩٣٣ الأهرام.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٣٩٨>

"نعم؛ إن أكابر كتابنا ليقصرون عن أن يبلغوا شأو فحول العربية في عصرها القديم لا من ناحية تخير الألفاظ والإبداع في صوغها فحسب ولكن في أسلوب الأداء ودقة التركيب أيضا.

-٤-

الدكتور هيكل١ : إن شبابنا الذين وفدوا إلى أوربا كانوا قد فتنوا بالأدب الكبير فيها فلما عادوا كان هذا الأدب الكبير قد دالت دولته وحل محله نوع من الأدب يصح أن يوصف بالصغير.

"فريد وجدي": إن ما يسميه الدكتور بالأدب الكبير في أوربا في العهد الذي كان شبابنا يدرسون الأدب فيها كان يعتبر في نظر أئمة الأدب في القرن السابق أدبا صغيرا قصد به الكتاب إرضاء شهوات النفوس وأمتاعها بذكر اللذات الجسدية، وكان علماء الاجتماع يعدونه خروجا بالأدب عن صراطه إلى ما لا يتفق ومصلحة الاجتماع، وشبابنا لما يلزموا سمت الأدب الأوروبي الذي يصفه هيكل بالكبير ولكنهم يجرون على سنة ما يدعونه بالأدب الصغير الذي يخدم شهوات النفوس ويثير فيها ما كمن رعوناتها البهيمية فكل ما يكتبه قصاصونا وما تمثله مسارحنا اليوم صورة صحيحة من هذا الأدب الصغير بل هو ترجمة حرفية له يصح أن توضح بكل ما وصف به الدكتور هذا الأدب المنحط وكيف يتأتى أن يكون الأمر على غير ما يقول وقد تشعبنا بروح الفلسفة المادية وتدهورها في أخلاقنا وعادتنا إلى حيث لم يصل إليه الأوروبيون بعد، أفيستطيع ناقد بصير أن يعين لي وجها من وجوه الخلاعة والتهتك وضربا من ضروب الاستخفاف بالآداب والأخلاق مما يصادف في أوربا لم نأخذ به ولم نسبق أهله فيه؟

---

١ ٧ يوليو ١٩٣٣ الأهرام.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٤٠٠>

"أن يتدله في الجمال الصوري ثم أن يعود فيضرب بهذا كله عرض الحائط ويدرس عاطفة تحقره كل الاحتقار.

ولسنا ننسى ما جره تدخل الأدباء فيما ليس من اختصاصهم في العشر السنين الأخيرة في المباحث الدينية فقد تناولوها على طريقة الماديين وأثاروا فيها شكوكا لا محل لها لو كانوا عنوا بدراستها دراسة علمية، فكان من أثر ذلك أن أهاجوا الناس عليهم هياجا مشروعا فخرجوا من هذه المعمعة على غير ما كنا نرجوه لهم.

ولا ندري كيف ساغ للدكتور هيكل أن يقع في هذا الخطأ بعد ما رأى من التجربة المؤلمة، وهو بكتابه يرمي إلى تأييد الدين لا إلى إفساد عقائد الناس فيه وإثارة الشبهات عليه ولا إلى قطع صلة الماضي بالحاضر منه.

ومن الأمثلة القريبة على ذلك أن إماما من أئمة الأدب في بلادنا انتدب لألقاء خمس محاضرات في الجامعة الأمريكية عن الأدب في العصر الأموي فكان مما قاله: إن الخليفة الوليد بن يزيد إنما قتل لأنه كان يود أن يعيش على ما تقتضيه الحضارة فكان جزاؤه أن لقي حتفه.

فإيراد التاريخ على هذه الوجهة جناية على التاريخ وعلى الحقائق الاجتماعية ويشين الدين الذي ينتمي إليه الخليفة، فالذين لم يدرسوا تاريخ بني أمية دراسة علمية ولم يقعوا على سيرة هذا الخليفة يصدقون هذا الحديث ويستنكرون ما حدث له.

والحقيقة أن الوليد هذا كان متجردا للهو والبطالة، شغوفا بالفسوق والإباحة مستخفا بالدين مجاهرا بالكفر. فهل هذه السيرة المعوجة من إهمال الرعية والانقطاع إلى اللهو يعتبر من مقتضيات الحضارة١.

١ ١٥/ ٧/ ١٩٣٣، الأهرام.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٤٠٣>

"عدم قابلية الإسلام للعلم الحديث وذكرت الردود التي رد بها الفيلسوف الشرقي جمال الدين مزاعم الفيلسوف الغربي، قالت الأهرام: لاحظنا أن المحاضر وضع نفسه موضع النزاهة العلمية فكان يذكر آراء الفيلسوفين دون أن تميل به العاطفة إلى انتقاص رينان فكأن النزاهة التي طبع عليها حالت بينه وبين أي تأثير. وقد يخرج العلماء أحيانا من حدودهم العلمية، وقد لاحظنا أن الجمهور أصبح أوسع صدرا من ذي قبل، وأصبحت الأفكار أشد مرونة وأشد تقديرا للحرية الفكرية رغم أن المحاضر كان يلقي عن رينان ما قد يستفز غضب أصحاب الصدور الضيقة فقد كان السامعون منصتين متتبعين لكل ما يلقى عليهم.

من محاضرة مصطفى عبد الرازق:

وقال مصطفى عبد الرازق: إنه مما يعنى "بالبحث في أسباب التطور في تفكير السيد جمال على هذا الوجه في أقل من ثلاث سنوات يستدعي الإحاطة بما حفل به من العوامل وأظهر هذه العوامل سفره لأول مرة في أوربا واتصاله بكبار الفلاسفة والعلماء وحبه للاستظهار بصداقتهم على خدمة مراميه السامية واندماجه في سلك الحركة الفكرية الحديثة البعيدة عن الدين.

ولخص مصطفى عبد الرازق رأي جمال الدين في قوله:

إن الدين لم يكن عنه مناص في سوق الأمم عند نشأتها إلى كمال.

إن الدين الإسلامي كسائر الأديان يزدري العلم ولكن المسلمين لا يمنعهم مانع من الوصول إلى ما وصل إليه المسيحيون في الغرب.

وإذا صح القول بأن الدين الإسلامي عقبة في سبيل ترقية العلوم فهل يستطيع المرء أن يقول: إن هذه العقبة لا يمكن أن تزول يوما، ثم بماذا." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٤٩١>

"بل في الحجاز أيضا. ويستدل على ذلك بشبهات كشبهات رينان.

ولما أعلن عن المحاضرة ظننا نحن وأمثالنا أنه يريد بهذه المحاضرة أن يمحو سيئة ذلك الاحتفال بالإشادة بفضل فيلسوف الإسلام السيد الحسيني "جمال الدين الأفغاني" الذي اشتهر عنه أنه رد على محاضرة رينان في وقتها بما هدم بنيانها وقوض أركانها.

وكنا نظن أن الأستاذ١ "يقصد مصطفى عبد الرازق" الذي درس العلم الإسلامي بالجامع الأزهر وبعض العلم الأوروبي في باريس أراد بعد احتفال الجامعة المصرية برينان الذي لم يعرف في هذه البلاد إلا بما اشتهر من طعنه في الإسلام إنما يقوم بما

هو جدير به من تلخيص رأي رينان في الإسلام وتلخيص رد السيد جمال الدين عليه.

٢- كانت خلاصة المحاضرة أن السيد جمال الدين الذي اشتهر في العالم الإسلامي كله بأنه حكيم الإسلام وموقظ شعوبه والداعية إلى تجديد مجده وإعزاز دولته بهدى الدين وعدو الإلحاد وصاحب تلك الحلة المقصورة على أهله في رده على الدهريين.

هذا ما كان من أمره في ذلك محصورا في حياته قبل أن يذهب إلى أوربا، بل إلى باريس، وإنما كان لغرض سياسي وأنه بعد وصوله إلى مدينة الكفر والإلحاد واجتماعه برينان وأمثاله في أوائل سنة ١٨٨٣ قد تطور فكره في أقل من ثلاث سنين فمرق من الدين واعتقد أنه عدو للعلم والعقل والمدنية حتى إنه قبل بكل تعظيم وارتياح طعن رينان في الإسلام، وعظمه وأثنى عليه

---

١ الأهرام ٢٣ و٣٠ مارس ١٩٢٣.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٤٩٣>

"وتجرئتهم على الكفر حتى زعم بعضهم أن أكثر المسلمين كانوا كذلك في القرن الثاني للهجرة مرتابين في الدين وفاسقين عنه بدليل ما يوجد في بعض كتب الخلاعة والأخبار من حكاية ما يؤثر في ذلك عن بعض الأفراد من بعض الشعراء والمغنين والمخنثين.

أما نحن فإننا لا نقبل إلا رواية الثقاة العدول.

محمد الببلاوي؛ رينان وجمال الدين الأفغاني ١:

يقول المسيو رينان أن الأمة العربية غير صالحة بطبيعتها لعلوم ما وراء الطبيعة الفلسفية، وهو يعلم أنها الأمة التي أدخلت في العالم المدنية وأخرجتها من ظلمة الجهالة إلى نور العلوم والمعارف في قرن واحد من غرب أوربا إلى حدود الصين ولا عيب لها عند المسيو رينان إلا أنها عرفت كيف تهدم الأباطيل التي تؤدي إليها إلى المقدمات الفاسدة مما يقوم بأذهان بعض الطبيعيين والفلاسفة فإنها هدمتها بما أجمتهم من الحجج والبراهين.

أما ما لحظه رينان من الانحطاط الذي عليه المسلمون الآن فهذا منشؤه بعدهم عن التمسك بدينهم القويم فلو أنهم رجعوا إليه لعاد بهم إلى أوج العلوم العقلية والكونية وهداهم إلى خير مدنية والتاريخ شاهد عدل.

ويظن رينان أن المسلمين يسلمون أبناءهم كما ينصر النصارى أبناءهم ويهود اليهود أولادهم وهو وهم فإنما هي الفطرة التي يولد المولود عليها.

ويعيب رينان على الدين الإسلامي، ويعد من أكبر عيوبه اعتقاده المسلم أن الله يهب الرزق والسلطان لمن يشاء وهو خطأ منشؤه جهله بتعاليم الدين

---

١ الأهرام ٢٧ مارس ١٩٢٣.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٤٩٩>

"وأنا أربا بك عنه يا صاحب "المرياء" بل لا أسمح لنفسي أن أنهرك بسببه لأنك صاحب "المنهرة" ولا أدعو عليك فالق الحب والنوى لأنك الداعي إلى تأنيث الفيلق بغير حق ولكني أتخيل أنك وقفت أمام المرآة فرأيت شخصا أخذت تسخر منه ثم وجهت السخرية إلى الناس بغير حق.

أنت أخذت متى عني كل هذه المعلومات الصحيحة التي رويتها في الأهرام مع صياغتها بتلك الرشاقة البديعة وبذلك الأسلوب الجذاب الذي برعت فيه وفقت الأقران، فلماذا إذا خالفت واجب الأمانة ولم تنسب الفضل لأهله.

أنت أنت كنت الخالط بين شلمنقة وطلمنكة، أنت أنت كنت إلى بضعة أيام تظن أنهما شيء واحد أو مدينة واحدة، وأنا الذي هديتك إلى الصواب، وشرحت لك الحقيقة، وذكرت لك التفاصيل.

لعلك نسيت يا مسعود.

لعلك تقول: إن الإنسان معدن النسيان.

منها: أن أذكرك بما حصل لترجع إلى الحق وتنسب الفضل لذويه فهذه سجيتك التي عهدتها منك وهذه شيتمك التي يعرفها الناس عنك وفيها كل مفخرة لك.

أتذكر أنك في كلامي معك قلت أنت لي: إن سلمنكة هي التي عربها العرب وجعلوها طلمنكة، أتذكر أن جوابي لك كان "حاسب يا مسعود حاسب".

ثم شرحت لك الفرق بين المدينتين وذكرت لك مما بقي في ذاكرتك وجرى به قلمك دون أن تشير إلى المصدر الذي سقاك هذه المعلومات.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٥١٩>

"محمد مسعود؛ يا شيخ العروبة اتق الله:

يدعوني شيخ العروبة إلى تقوى الله ليهيئ لي من أمري رشدا فأكرم بهذه النصيحة الغالية والتحذير الحكيم من عالم فاضل يغار على الحق ويعمل لتأييده.

ولكني أراني الأستاذ تجاهه في مأزق حتى يرأف بحالي فيدعوني إلى التزود بزاد التقوى لأقيل عثرتي وأخلص من ورطتي وهو الذي في مناظراته عود مناظريه أن يكون أمرهم معه يسرا لا عسرا.

وصف سيدي الأستاذ ما يتفضل الأهرام بنشره لي بين الفينة والفينة من تحقيق بعض الأسماء الأعلام أو تسمية بعض الأشياء بأسمائها الصحيحة في اللغة بأنها "ألفاظ مقعرة وحفلطة وجليطة وتحذلق وتفاصح ... إلخ" ما عرف الناس طرا من الحافقين وما زالوا يعرفونه أن شنشنة مولاي الأستاذ وفطرته التي فطر عليها في مباحثاته وسلاحه الذي يخطر به خطرانا في غطرسة وزهو كلما أقبل على ميدان أو تحضر للضرب والطعان.

وليس من ديدني أن أقرع هذا السلاح بمثله أو آبه لتلك النعوت، بل النوابل والأفاوية الزكية الذي اعتاد أستاذي الكريم أن يذر ذرورها على ما يقدم إلى قرائه من صحائف بياناته ومناقشاته المسهبة فإني مار بها مر الكرام وواضعها دبر أذني.

إن الحرب في سنيها الأول ألزمت سواد الناس ملازمة بيوتهم وحرمتهم إمتاع النفس بما اعتادوا أن يرفهوها به خارجها في الهزيع الأول من الليل وكانت تطوف بخاطري دائما في تلك الأيام وأنا في عزلتي ذكرى المحاولات المستخذية التي حاول بعضهم سنة ١٨٩٣ أن ينضوا عن اللغة العربية عار إفقارها." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٥٢٠>

"وهو الآن لا يقبل مهما كان الأمر أن يقال عنه أنه خلعها.

لذلك يبدو في الدكتور تهالك على أن يظهر أبدا بمظهر الشهيد المضحى به. كان الدكتور طه في دوره الأول مشهورا بشقة الخلاف الواسعة بينه وبين الأزهر على أن الدكتور طه في دوره الثاني قد رغب في التسوية، ولست أعترف أكان حقا هو القائل هذه الكلمة التي شاعت مؤخرا، إن الدكتور طه يعتبر أنحس أيامه ذلك اليوم الذي رمى فيه بعمته إلى البحر.

أما أثر هذا التحول في أدبه نجده واضح ملموس، فإن الدكتور أخذ بعده بأسباب نوع من إنشاء دعاة الإنشاء الخالص في مقدمة كتابه "على هامش السيرة" وهو نوع من الإنشاء لا يقوم في أساسه على فكرة تؤدي بل على جمال رصف ووصف.

والدكتور زكي مبارك قد سجل على الباحثين في مصر "الحديث، كانون الثاني ١٩٢٩" إنهم اليوم انصرفوا عن المسائل التي تصدمهم برجال الدين.

والمؤسف[١] أن الدكتور طه حسين قد أوشك أن يتوصل إلى تلك الدرجة التي يستغبي فيها الكتاب قراءهم أو يستحمرونهم وعندي على ذلك دلائل هامة وشواهد معينة.

١- كان في إنشاء الدكتور طه صفة الإطناب والتكرير، وكنا نقول إن الآفة التي حرمته البصر لا تمكنه من مراجعة ما يكتب، على أنني يسوءني الآن أن أقرر أن صفة الإطناب والتكرير في إنشاء الدكتور قد أصبحت شيئا يتوخاه توخيا وهو مطمئن إلى أن القراء لن يفطنوا إليه.

إن خوف الدكتور من أن تعني عروبة مصر هدم أبي الهول والأهرام

---

١ المكشوف ١٣ شباط ١٩٢٩ العدد ١٧٥.." <المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٧١٧>

"قدمت"، و"أي الأماكن نزلت"، و"على أي الأحوال كنت"، "وأي الرجال بني الأهرام" "وفي أي الكتب تقرأ".

استعمال هذه الأدوات في غير معناها الحقيقي:

تخرج هذه الأدوات عن معناها الحقيقي إلى معان مجازية، تفهم من سياق الكلام بواسطة القرائن، منها:

١- الأمر: كما في قوله تعالى: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ ؟ على معنى: انتهوا.

٢- النهي: كما في قوله تعالى: ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه﴾ ؟ بمعنى: لا تخشوهم فالله هو الجدير بالخشية منه.

٣- النفي: كما في قوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ ، على معنى ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

٤- التشويق: كما في قوله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ ؟ يريد: أن يشوقهم إلى تجارة رابحة هي العمل بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

٥- التعجب: كما في قوله تعالى: ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ ، فالغرض، التعجب من هذه الحال في الرسول.

٦- التنبيه على ضلال: نحو: ﴿أين تذهبون﴾ ؟ فليس الغرض: الاستفهام عن مكان الذهاب، بل المراد: تنبيههم على أنهم ضالون، وأن لا مفر لهم من عذاب الله، فهو لاحق بهم حيثما كانوا.

٧- التمني: كما في قوله تعالى: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ ؟

فليس الغرض: الاستفهام عن وجود شفعاء لهم إذ هم يعتقدون أن لا شفيع، ولكنهم يتمنون لو يكون لهم شفعاء يشفعون لهم.

٨- التهكم والاستهزاء: كما في قوله تعالى: ﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ ؟ فليس الاستفهام هنا محمولا على معناه الحقيقي، إنما المقصود السخرية والاستهزاء به.

٩- الاستبطاء: كقولك لمن دعوته فأبطأ في الإجابة: "كم دعوتك"؟ فليس المراد: الاستفهام عن عدد الدعوة، إنما الغرض: إظهار أنه تلكأ في الإجابة، فلم يسارع.." <المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ١٠٣/٢>

""٧" أي العبارتين أدل على طلب الصدق؛ أقولك: "فهل أنت صادق؟ "، أم قولك: "أفأنت صادق؟ ". وضح ما تقول مع التوجيه.

"٨" قسم "هل"، وعرف كل قسم، ومثل له، مع بيان علة تسميتها بالبسيطة "تارة"، وبالمركبة "أخرى".

"٩" ايت بمثال من عندك فيه الهمزة للتصديق، ثم حولها إلى همزة تصور في المثال عينه، ثم مثل للهمزة المراد بها تصور المفعول لأجله، وما المراد تصوره في قولك: "أجد قال أم هزل؟ ".

"١٠" بين ما يطلب تصوره "بما"، ثم بين مرتبة "هل" البسيطة بالنسبة "لما"، مثل لما تقول شارحا إياه.

"١١" اذكر أربعة من المعاني التي خرج فيها الاستفهام عن معناه الحقيقي، مع التمثيل، ثم بين المراد بالاستفهام في قول الشاعر:

أتطلب صاحبا لا عيب فيه ... وأي الناس ليس له عيوب

تمرين:

بين المعاني المستفادة من الاستفهام فيما يأتي:

﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ ؟ هل الحياة إلا ظل زائل؟ ﴿أفي الله شك﴾ ؟ أتصون يدك عن الأذى؟ أتغضب والديك؟ هل تسمع قولا فيه إصلاحك؟ من ذا الذي بنى الأهرام؟ أهذا الذي كنت تركن إليه؟ أأنت الذي نال الجائزة أم يوسف؟ ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ ؟ أنى لكم هذا المال وقد أهلككم الفقر؟ قال النابغة:

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

إلام أنت لاه ولاعب؟ ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟ ﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾ ؟ متى يستقيم الظل والعود أعوج؟ أتركن للعدل؟ وهل سمعت بظل غير متنقل؟ أتلهو؟ وأيامنا تذهب؟ أأديت واجبك؟ هل تستوي الظلمات والنور؟ أبعد شيبي يبغي مني الأرب؟ أتكذب علينا؟ هل يعود الشباب؟." <المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ١٠٦/٢>

"الصديق لا شك فيه ٢٨- إن الذي يعق أباه مطرود من رحمة الله ٢٩- نعم باسلا خالد ٣٠- الماء حياة النفوس ٣١- إن الذي بنى الأهرام أقام هذا البناء.

الجواب:

١- عرف المسند إليه بالإضمار في "أكرمت وملكت" لأن المقام للخطاب وعرف في "تمرد" بالضمير أيضا؛ لأن المقام للغيبة لتقدم المرجع لفظا تحقيقا.

٢- عرف المسند إليه باسم الإشارة في الشطرين لقصد تمييزه أكمل تمييز.

٣- عرف المسند إليه بالموصول لقصد زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام، وهو بيان صدقه فيما يدعيه من ألم الشوق والهوى.

٤- عرف المسند إليه بالعلمية لقصد إظهار التعجب من موسى عند إلقائه العصا، وعرف "بأل" في "السحر والساحر" للعهد العلمي.

٥- عرف المسند إليه بالإضمار في "يدعي" لأن المقام للغيبة لتقدم المرجع لفظا تحقيقا، وعرف بالإضمار في "حفظت" لأن المقام للخطاب، ونكر في "أشياء" لقصد إفادة التكثير.

٦- عرف المسند إليه بالعلمية في "عباس" والفضل، والربيع، لقصد تعظيمه، وعرف "بأل" في "الوغى" للإشارة إلى فرد مبهم من أفراد الحقيقة فاللام فيه للعهد الذهني.

٧- عرف المسند إليه بأل في "الكريم" للعهد الذهني إذ إن القصد إلى فرد ما من أفراد الحقيقة، ونكر في "بخل" لإفادة التقليل.

٨- عرف المسند إليه بالإضمار في "يطلب" لأن المقام للغيبة، وعرف بأل في "الشباك" لقصد الاستغراق الحقيقي.

٩- نكر المسند إليه في "حكم" لقصد إفادة تعظيمه باعتبار علو شأن." <المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ١٣٢/٤>

"لتدبير أمرهم وإقامة أحد في السلطنة؛ فأشار بعضهم بسلطنة الناصري، فامتنع من ذلك، وانفضوا بغير طائل. ثم رسم الناصري بالإفراج عن الأمراء المعتقلين بالإسكندرية وإحضارهم إلى القاهرة. ثم رحل من قبة النصر في موكب هائل، وطلع إلى الإصطبل السلطاني. هذا وطوائف التركمان والأوباش الذي جاءوا معه تنهب في أطراف القاهرة، والأسواق مغلقة. فلما استقر به الجلوس أمر الوالي بالمناداة بالأمان والبيع والشراء. ثم أصبح من الغد - يوم الثلاثاء - طلب الأمراء للمشورة في أمر من يتسلطن؛ فحضروا، واستقر الحال على إعادة الملك الصالح في الملك، فطلب من الحوش السلطاني، وأجلس على تخت الملك، وغير لقبه بالملك المنصور. ثم التفت إلى برقوق والفحص عليه، إلى أن غمز على مملوك أبي يزيد؛ فهرب؛ فقبض على زوجته وعوقبت؛ فدلت على أبي يزيد والملك الظاهر برقوق، وأنهما في بيت رجل خياط بجوار بيت أبي يزيد. وقيل إن الظاهر لما نزل من القلعة ليختفي في نصف ليلة الاثنين عدى النيل، ونزل عند الأهرام، فأقام هناك ثلاثة أيام، ثم عاد إلى بيت أبي يزيد، فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة من السنة، فحضر مملوك أبي يزيد إلى الناصري، فأعلمه أن الظاهر في دار أستاذه؛ فأحضر الناصري أبا يزيد وسأله؛ فاعترف أنه عنده، فأخذه الجوباني، وسار به إلى حيث الملك الظاهر." <المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٣٠٩/٣>

"يوم الإثنين خامس عشر شوال سنة تسع وعشرين وثمانمائة، وأخلع عليه بأمرة مجلس عوضا عن إينال الجكمى المنتقل إلى إمرة سلاح، بعد استقرار الأمير يشبك الساقي الأعرج أتابك العساكر بعد وفاة الأمير قجق الشعباني في شعبان

من السنة، واستقر في الحجوبية من بعده الأمير قرقماس الشعباني المعروف بأهرام ضاغ يعنى جبل الأهرام لتكبره.

واستمر الأمير جرباش هذا على ذلك إلى أن خلع عليه باستقراره في نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير قصروه المنتقل إلى نيابة حلب بعد عزل جار قطلو عنها وقدومه إلى القاهرة على إمرة مائة وتقدمة ألف بها في يوم الخميس سابع جمادى الأولى سنة ثلاثين وثمانمائة.

فتوجه إلى طرابلس، وباشر النيابة بها مدة إلى أن عزل بالأمير طرباى المقيم بالقدس من جملة الأمراء البطالين، وطلب إلى القاهرة فقدمها في ثالث عشرين شهر رجب من سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، واستقر على عادته أولا أمير مجلس، عوضا عن الأمير جار قطلو بحكم استقراره أتابك العساكر بالديار المصرية بعد موت الأتابك شبك الساقي الأعرج، فلم تطل مدة جرباش المذكور بالقاهرة وقبض عليه، وعلى الأمير قطج أحد مقدمي الألوف، فحمل قطج في." <المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٤/٢٥٨>

"على الأمير قرقماس الشعابني المعروف بأهرام ضاغ، يعنى جبل الأهرام، بأتابكية العساكر بالديار المصرية عوضه، وعلى أقبغا التمرازي بإمرة سلاح، عوضا عن قرقماس المذكور، وعلى يشبك السودوني بإمرة مجلس، عوضا عن أقبغا، وعلى تمراز القرمشى باستقراره أمير آخور، عوضا عن جانم بحكم القبض عليه وحبسه بالإسكندرية؛ وعلى قراخجا باستقراره رأس نوبة النوب، عوضا عن تمراز القرمشي، وعلى تغرى بردى المؤذى البكلمشى بحجوبية الحجاب، عوضا عن يشبك السودوني، على أركماس الظاهري باستمراره في وظيفة الدوادارية، كل ذلك في يوم الخميس ثاني يوم سلطنته، وأنعم على عدة أخر بتقادم وطبلخانات وعشرات، يطول الشرح في ذكرهم، وتطاول كل وضيع إلى المرتبة العليا، ومشى ذلك لجماع منهم، بل لغالبهم.

واستمر الملك الظاهر في أمر ونهى وأخذ وعطاء إلى يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الآخر ركب السلطان إلى لعب الكرة بالحوش السلطاني، وحضر الأتابك قرقماس ولعب معه حتى انتهى، وأراد النزول إلى داره أسر بعض خواص السلطان إليه بأن قرقماس يريد إثارة فتنة، فلم يقبل السلطان كلامه، ونزل قرقماس إلى أن وصل تحت باب المدرج من القلعة أحاطوا به المماليك السلطانية، وطلبوا منه أن يتكلم مع السلطان في زيادة جوامكهم، ولزموه وطلبوا منه أن يركب معهم، فأراد أن يرجع إلى القلعة فما مكنوه من ذلك، وأخذوه إلى داره، وتلاحق بهم من المماليك الأشرفية جماعة، ولا زالوا به حتى وافقهم على الركوب ومحاربة السلطان، فلبس سلاحه وركب على كره منه.." <المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٤/٢٨٥>

"إلى أسوان طولا، ومن برقة إلى أيلة عرضا، وحاز فارق لنفسه ما بين برقة إلى إفريقية، وكان ولده الأفارقة ولذلك سميت إفريقية، وذلك مسيرة شهر، وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى حد مصر إلى الجزيرة مسيرة شهر، وهو أبو قبط الشام، وحاز باح ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر إلى الشرق مسيرة شهر، وهو أبو قبط العراق، ثم توفي بنصر بن حام، ودفن في موضع دير أبي هرميس غربي الأهرام، فهي أول مقبرة قبر فيها بأرض مصر، وكثر أولاد مصر وكان الأكابر منهم قفط، وأتريب، وأشمن، وصا، والقبط من ولد مصر هذا ويقال: إن قبط أخو قفط، وهو بلسانهم قفطيم وقبطيم ومصرايم، قال: ثم إن بنصر بن حام وتوفي واستخلف ابنه مصر، وحاز كل واحد من إخوة مصر: قطعة من الأرض لنفسه سوى أرض

مصر التي حازها لنفسه ولولده، فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم قطع مصر لكل واحد من ولده قطيعة يحوزها لنفسه ولولده، وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها وبه سميت قفط قفطا، وما فوقها إلى أسوان، وما دونها إلى أشمون في الشرق والغرب، وقطع لأشمن من أشمون فما دونها إلى منف في الشرق والغرب فسكن أشمن أشمون فسميت به، وقطع لأتريب ما بين منف إلى صا فسكن أتريبا فسميت به، وقطع لصا ما بين صا إلى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء: جزأين بالصعيد، وجزأين بأسفل الأرض.

قال البكري: ومصر مؤنثة قال تعالى: أليس لي ملك مصر

[الزخرف/ ٥١] ، وقال:

ادخلوا مصر

[يوسف/ ٩٩] . وقال عامر بن أبي واثلة الكناني لمعاوية: أما عمرو بن العاص، فأقطعته مصر، وأما قوله سبحانه: اهبطوا مصرا

[البقرة/ ٦١] فإنه أراد مصرا من الأمصار، وقرأ سليم الأعمش: اهبطوا مصر، وقال: هي مصر التي عليها سليم بن علي فلم يجرها.

وقال القضاعي: وكان بنصر بن حام قد كبر، وضعف فساقه ولده مصر، وجميع إخوته إلى مصر، فنزلوها وبذلك سميت مصر، وهو اسم لا ينصرف في المعرفة لأنه اسم مذكر سميت به هذه المدينة فاجتمع فيها التأنيث والتعريف، فمعناها الصرف، ثم قيل: لكل مدينة عظيمة يطرقها السفار: مصر فإذا أريد مصر من الأمصار صرف لزوال إحدى العلتين، وهي التعريف، وأما قوله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام: اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم

[البقرة/ ٦١] فإنه مصروف في قراءة سائر القراء، وفي قراءة الحسن والأعمش:

غير مصروف فمن صرفها فله وجهان: أحدهما: أنه أراد هبوط مصرا من الأمصار لأنهم كانوا يومئذ في التيه، والآخر: أنه أراد مصر هذه بعينها وصرفها لأنه جعل مصرا اسما للبلد، وهو اسم مذكر سمي به مذكر فلم يمنعه الصرف، وأما من لم يصرفه فإنه أراد بمصر هذه المدينة، وكذلك قوله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين

[يوسف/ ٩٩] ، وقول فرعون: أليس لي ملك مصر

[الزخرف/ ٥١] إنما يراد به مصر." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤١/١>

"أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم

[الشعراء/ ٣٤- ٣٧] ، وأين هذا من قول أصحاب النمرود في إبراهيم صلوات الله عليه، حيث أشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم: قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين

[الأنبياء/ ٦٨] ومن أهل مصر، امرأة فرعون التي مدحها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله:

وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين

[التحريم/ ١١] ومن أهلها، ماشطة بنت فرعون وآمنت بموسى عليه السلام، فمشطها فرعون بأمشاط الحديد كما يمشط

الكتان، وهي ثابتة على إيمانها بالله.

وقال صاعد اللغوي «١» في كتاب طبقات الأمم: إن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى، وهو أول من تكلم في الجواهر العلوية، والحركات النجومية، وهو أول من ابتنى الهياكل، ومجد الله فيها، وأول من نظر في علم الطب، وألف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية، وقالوا: إنه أول من أنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تصيب الأرض من الماء، والنار فخاف ذهاب العلم، واندراس الصنائع فبنى الأهرام، والبرابي «٢» التي في صعيد مصر الأعلى، وصور فيها جميع الصنائع، والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده، وخيفة أن يذهب رسمها من العالم، وهرمس هذا هو: إدريس عليه السلام.

وقال أبو محمد الحسن بن إسماعيل بن الفرات في أخبار مصر: إن الخضر جاز البحر مع موسى عليه السلام، وكان مقدما عنده، وكان بمصر من الحكماء جماعة ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتدبيرهم، وكان من علومهم علم الطب، وعلم النجوم، وعلم المساحة، وعلم الهندسة، وعلم الكيمياء، وعلم الطلسمات، ويقال: كانت مصر في الزمن الأول يسير إليها طلاب العلوم لتزكو عقولهم، وتجود أذهانهم ويتميز عندهم الذكاء وتدق الفطنة.

ومن فضائل مصر: أنها تمير أهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر فرضة الدنيا يحمل خيرها إلى ما سواها، فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه إلى الحرمين واليمن والهند والصين وعمان والسند والشحر، وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم،." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٥٢>

"والإفرنج، وسواحل الشام والثغور إلى حدود العراق، وثغر إسكندرية فرضة أقريطس وصقلية وبلاد المغرب، ومن جهة الصعيد يحمل إلى بلاد الغرب والنوبة والبجة والحبشة والحجاز واليمن، وبمصر عدة من الثغور المعدة للرباط في سبيل الله تعالى وهي: البراس ورشيد والإسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتنيس والأشتوم والفرما والواردة والعريش وأسوان وقوص والواحات، فيغزى من هذه الثغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان. وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد، وبها النيل، والأهرام والبرابي والأديار والكنائس وأهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى أنه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسوره لاستغنى أهلها بما فيها عن جميع البلاد. وبمصر دهن البلسان الذي عظمت منفعته، وصارت ملوك الأرض تطلبه من مصر، وتعتني به وملوك النصرانية تترامى على طلبه، والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى أنه لا يتم تنصر نصراني إلا بوضع شيء من دهن البلسان في ماء المعمودية عند تغطيسه فيها، وبها السقنقور ومنافعه لا تنكر وبها النمس والعرس، ولهما في أكل الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل: لولا العرس والنمس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين، وبها السمكة الرعادة ونفعها في البرء من الحمى إذا علقت على المحموم عجيب، وبمصر حطب السنط، ولا نظير له في معناه فلو وقد منه تحت قدر يوما كاملا لما بقي منه رماد، وهو مع ذلك صلب الكسر سريع الاشتعال بطيء الخمود. ويقال:

إنه أبنوس غيرته بقعة مصر فصار أحمر. وبها الأفيون عصارة الخشخاش، ولا يجهل منافعه إلا جاهل، وبها البنج وهو ثمر قدر اللوز الأخضر كان من محاسن مصر إلا أنه انقطع قبل سنة سبعمائة من الهجرة؛ وبها الأترج. قال أبو داود «١» صاحب السير في كتاب الزكاة:

شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا، ورأيت أترجة على بعير قطعتين، وصيرت مثل عدلين.

قال المسعودي في التاريخ: والأترج المدور حمل من أرض الهند بعد الثلاثمائة من سني الهجرة، وزرع بعمان، ثم نقل منها إلى البصرة والعراق والشام، حتى كثر في دور الناس بطرسوس، وغيرها من الثغور الشامية، وفي أنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر، وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الأراهج الحمراء الطيبة، واللون الحسن الذي كان فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة وخاصية البلد. وفي مصر معدن الزمرد، ومعدن النفط والشب والبرام ومقاطع الرخام، ويقال: كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا؛ وأهل مصر يأكلون صيد بحر الروم، وصيد بحر اليمن طريا لأن بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم، والفرما، وذلك يوم وليلة، وهو الحاجز المذكور في القرآن قال تعالى: وجعل بين البحرين حاجزا

[النمل/ ٦١] قيل: هما بحر الروم، وبحر القلزم، وقال تعالى: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان

[الرحمن/ ١٩] . قال بعض المفسرين: البرزخ ما بين القلزم والفرما.." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٥٣>

"وطلسمات كثيرة، وعمل كودة من فضة ونقش عليها صورة الكواكب ودهنها بالدهن الصيني، وأقامها على منار في وسط منف، وعمل في هيكل أبيه روحاني زحل من ذهب أسود مدبر، وعمل في وقته ميزانا يعتبر به الناس كفتاه من ذهب، وعلاقته من فضة، وسلاسله من ذهب فكان معلقا في هيكل الشمس، وكتب على إحدى كفتيه: حق، والأخرى: باطل، وتحته فصوص قد نقش عليها أسماء الكواكب، فيدخل الظالم والمظلوم يأخذ كل منهما فصا من تلك الفصوص ويسمى عليه ما يريده، ويجعل أحد الفصين في كفة، والآخر في كفة، فتثقل كفة الظالم، وترتفع كفة المظلوم، ومن أراد سفرا أخذ فصين وذكر على أحدهما اسم السفر، وعلى الآخر الإقامة، وجعل كل واحد في كفة فإن ثقلا جميعا ولم يرتفع أحدهما على الآخر لم يسافر، وإن ارتفعا سافر، وإن ارتفع أحدهما أخر السفر، ثم سافر وكذا من عليه دين ومن له غائب أو ينظر في صلاح أمره وفساده.

ويقال: إن بخت نصر لما دخل إلى مصر حمل هذا الميزان معه فيما حمل إلى بابل، وجعله في بيت من بيوت النار. وعمل في أيامه تنورا أيضا يشوي فيه من غير نار، ويطبخ فيه بغير نار، وسكينا تنصب فإذا رآها شيء من البهائم أقبل حتى يذبح نفسه بها. وعمل ماء يستحيل نارا وزجاجا يستحيل هواء، وشيئا من النيرنجيات والنواسيس.

(وأما البرابي) فذكر ابن وصف شاه: أن سوريد الذي بنى الأهرام هو الذي بنى البرابي كلها، وعمل فيها الكنوز وزبر عليها علوما ووكل بها روحانية تحفظها ممن يقصدها.

وقال في كتاب الفهرست: وبمصر أبنية يقال لها: البرابي من الحجارة العظيمة الكبيرة، وهي على أشكال مختلفة، وفيها مواضع الصحن والسحق والحل والعقد والتقطير تدل على أنها عملت لصناعة الكيمياء، وفي هذه الأبنية نقوش وكتابات لا يدرى ما هي وقد أصيبت تحت الأرض فيها هذه العلوم مكتوبة في التوز، وهي صفائح الذهب والنحاس وفي الحجارة.

وذكر الحسن بن أحمد الهمداني أن برابي مصر تنسب إلى براب بن الدرمسيل بن نحويل بن خنوخ بن قار بن آدم عليه السلام.

وذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، في كتاب الإشارات الباقية عن القرون الخالية: أن كنيسة في بعض قرى مصر قد

شاهدها الموثوق بقولهم المأخوذ برأيهم المأمون من جهتهم الرواية عنهم فيها سرداب ينزل إليه بنيف وعشرين مرقاة، وفيه سرير تحته رجل وصبي مشدودين في نطع وفوقه ثور رخام في جوفه باطية زجاج يدخلها قنينة من نحاس في جوفها فتيلة كتان توقد فيصب فيها زيت فلا يلبث إلا أن تمتلىء الباطية الزجاج زيتا، وتفيض إلى الثور الرخام، فينفق على تلك الكنيسة وقناديلها.." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/ ٧٠>

"(فمن أخبارها) ما ذكره يحيى بن بكير قال: كان عبد العزيز بن مروان، عاملا على مصر لأخيه عبد الملك بن مروان، فأتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال: بالقبة الفلانية كنز عظيم. قال عبد العزيز: وما مصداق ذلك. قال: هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر. ثم ينتهي بنا الحفر إلى باب من الصفر تحته عمود من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا، وجناحاه مضرجان بالياقوت، والزمرد «١» ورأسه على صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود، فأمر له عبد العزيز بنفقة لأجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه. وكان هناك تل عظيم، فاحتفروا حفيرة عظيمة في الأرض، والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك، وأوسع في النفقة وأكثر من الرجالة، ثم انتهوا في حفرهم إلى ظهور رأس الديك، فبرق عند ظهوره لمعان عظيم. لما في عينيه من الياقوت، ثم بان جناحاه، ثم بانت قوائمه، وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع الحجارة، والرخام وقناطر مقنطرة، وطاقات على أبواب معقودة، ولاحت منها تماثيل، وصور أشخاص من أنواع الصور الذهب وأجرنة من الأحجار قد أطبق عليها أغطيتها، وسبكت.

فركب عبد العزيز بن مروان، حتى أشرف على الموضع، فنظر إلى ما ظهر من ذلك فأسرع بعضهم، ووضع قدمه على درجة من نحاس ينتهي إلى ما هناك، فلما استقرت قدماه على المرقاة ظهر سيفان عاديان عن يمين الدرجة، وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا. فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود، وصفر الديك صفيرا عجيبا أسمع من كان بالبعد من هناك، وحرك جناحيه، وظهرت من تحته أصوات عجيبة، قد عملت بالكواكب والحركات إذا مال وقع على بعض تلك الدرج شيء أو ماسها شيء انقلبت فتهاوى من هناك من الرجال إلى أسفل تلك الحفرة، وكان فيها ممن يحفر ويعمل وينقل التراب، وينظر ويحول ويأمر وينهي نحو ألف رجل. فهلكوا جميعا، فخرج عبد العزيز وقال: هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من هناك من التراب على من هلك من الناس. فكان الموضع قبرا لهم.

قال المسعودي: وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد اعتنى وأغرى بحفر الحفائر، وطلب الكنوز وذخائر الملوك والأمم السالفة المستودعة بطن الأرض ببلاد مصر، قد وقع إليهم كتاب ببعض الأقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الأهرام بأن فيه مطلبا عجيبا، فأخبروا الإخشيد محمد بن طفج «٢» بذلك." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٧٧>

"فأمرهم بحفره، وأباحهم استعمال الحيلة في إخراجه، فحفروا حفرا عظيما إلى أن انتهوا إلى أزج وأقباء وحجارة مجوفة في صخرة منقورة فيها تماثيل قائمة على أرجلها من الخشب قد طلي بالأطلية المانعة من سرعة البلاء وتفرق الأجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال. أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد والزبرجد والفيروزج، ومنها ما

وجوهها ذهب، وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا في أجوافها رمما بالية، وأجساما فانية، وإلى جانب كل تمثال منها نوع من الأبنية كالبراني وغيرها من المرمر والرخام، وفيه من الطلي الذي قد طلي منه ذلك الميت الموضوع في التماثيل الخشب والطلاء دواء مسحوق، وأخلاط معمولة لا رائحة لها، فجعل منه على النار شيء ففاح منه ريح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من أنواع الطيب. وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم، ومقادير أعمارهم، وتباين صورهم، وبإزاء كل تمثال تمثال من الحجر المرمر، أو من الرخام الأخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور. عليها أنواع من الكتابات لم يقف أحد على استخراجها من أهل الملل، وزعم قوم من أهل الدراية أن لذلك القلم منذ فقد من أرض مصر. أربعة آلاف سنة، وفيما ذكرناه دلالة على أن هؤلاء ليسوا بيهود ولا نصارى ولم يؤدهم الحفر إلا لما ذكرناه من هذه التماثيل، وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة، وقد كان من سلف وخلف من ولاة مصر. من أحمد بن طولون وغيره، إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة، لهم أخبار عجيبة فيما استخرج في أيامهم من الدفائن، والأموال والجواهر، وما أصيب في هذه المطالب من القبور، وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا. (وركب) أحمد «١» بن طولون يوما إلى الأهرام، فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف، ومعهم المساحي والمعاول، فسألهم عن ما يعملون فقالوا: نحن قوم نطلب المطالب، فقال لهم: لا تخرجوا بعدها إلا بمشورتي أو رجل من قبلي وأخبروه أن في سمت الأهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم إليهم الرافقي وتقدم إلى عامل الجيزة في إعانتهم بالرجال والنفقات، وانصرف فأقاموا مدة يعملون حتى ظهر لهم، فركب أحمد بن طولون إليهم وهم يحفرون، فكشفوا عن حوض مملوء دنانير، وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربطية فأحضر من قرأه: فإذا فيه أنا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من غشه ودنسه فمن أراد أن يعلم فضل ملكي على ملكه فلينظر إلى فضل عيار ديناري على عيار ديناره، فإن مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته وبعد وفاته، فقال أحمد بن طولون: الحمد لله أن ما." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٧٨>

"ذكر الأهرام

اعلم أن الأهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا، منها بناحية بوصير «١» شيء كثير، بعضها كبار، وبعضها صغار، وبعضها طين ولبن، وأكثرها حجر، وبعضها مدرج، وأكثرها مخروط أملس، وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر، عدة كثيرة كلها صغار هدمت في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على يد قراقوش، وبنى بها قلعة الجبل والسور المحيط بالقاهرة، ومصر والقناطر التي بالجيزة.

وأعظم الأهرام الثلاثة التي هي اليوم قائمة تجاه مصر، وقد اختلف الناس في وقت بنائها، واسم بانيها والسبب في بنائها، وقالوا في ذلك أقوالا متباينة، أكثرها غير صحيح، وسأقص عليك من نبأ ذلك ما يشفي، ويكفي إن شاء الله تعالى.

قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه الكاتب في أخبار مصر وعجائبها في أخبار سوريد بن سهلوق بن سرياق بن توميدون بن بدرسان بن هوصال أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في مدينة أمسوس الآتي ذكرها عند ذكر مدائن مصر من هذا الكتاب، وهو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين إلى شداد بن عاد، والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم.

وسبب بناء الهرمين أنه كان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة، قد رأى سوريد في منامه، كأن الأرض انقلبت بأهلها، وكأن الناس

قد هربوا على وجوههم، وكأن الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة، فغمه ذلك، ولم يذكره لأحد، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم، ثم رأى بعد ذلك بأيام كأن الكواكب الثابتة، نزلت إلى الأرض في صور طيور بيض، وكأنها تختطف الناس، وتلقيهم بين جبلين عظيمين، وكأن الجبلين قد انطبقا عليهم، وكأن الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة، فانتبه مرعوبا مذعورا، ودخل إلى هيكل الشمس، وتضرع ومرغ خديه على التراب وبكى، فلما أصبح، جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر، وكانوا مائة وثلاثين كاهنا، فخلا بهم وحدثهم ما رآه أولا وآخرا، فأولوه بأمر عظيم يحدث في العالم.."

<المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢١٠>

"صوتا يفزع منه، فيخر على وجهه، ولا يبرح حتى يموت.

وجعل خادم الهرم الملون: صنما من حجر البهت على قاعدة منه، من نظر إليه جذبه حتى يلتصق به، فلا يفارقه حتى يموت، فلما فرغ من ذلك، حصن الأهرام بالأرواح الروحانية، وذبح لها الذبائح لتمنع عن أنفسها من أرادها إلا من عمل لها أعمال الوصول إليها.

وذكر القبط في كتبهم: أن عليها منقوشا تفسيره بالعربية: أنا سوريد الملك، بنيت هذه الأهرام في وقت كذا وكذا، وأتممت بناءها في ست سنين، فمن أتى بعدي، وزعم أنه ملك مثلي، فليهدمها في ستمائة سنة، وقد علم أن الهدم أيسر من البنيان، وإني كسوتها عند فراغها بالديباج، فليكسها بالحصر، فنظروا فوجدوا أنه لا يقوم بهدمها شيء من الأزمان الطوال.

وحكى القبط في كتبهم: أن روحانية الهرم الشمالي، غلام أمرد أصفر اللون عريان في فمه أنياب كبار، وروحانية الهرم الجنوبي: امرأة عريانة بادية الفرج حسناء في فمها أنياب كبار تستهوي الإنسان إذا رأته، وتضحك له حتى يدنو منها، فتسلبه عقله، وروحانية الهرم الملون: شيخ في يده مجمرة من مجامر الكنائس يبخر بها، وقد رأى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا، وهي تطوف حول الأهرام وقت القائلة، وعند غروب الشمس.

قال: ولما مات سوريد، دفن في الهرم، ومعه أمواله وكنوزه. وقالت القبط: إن سوريد هو الذي بنى البرابي، وأودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما ووكل بها روحانيات تحفظها ممن يقصدها، قال: وأما الأهرام الدهشورية، فيقال: إن شدات بن عديم هو الذي بناها من الحجارة التي كانت قد قطعت في زمن أبيه، وشدادت هذا يزعم بعض الناس أنه شداد بن عاد، وقال: من أنكر أن يكون العادية دخلت مصر، وإنما غلطوا باسم شدات بن عديم، فقالوا: شداد بن عاد، لكثرة ما يجري على ألسنتهم شداد بن عاد، وقلة ما يجري على ألسنتهم شدات بن عديم، وإلا فما قدر أحد من الملوك يدخل مصر، ولا قوي على أهلها غير بخت نصر، والله أعلم.

وذكر أبو الحسن المسعودي في كتابه أخبار الزمان: ومن أباده الحدثان، أن الخليفة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، لما قدم مصر وأتى على الأهرام، أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها، فقيل له: إنك لا تقدر على ذلك؟ فقال: لا بد من فتح شيء منه، ففتحت له الثلمة المفتوحة الآن بنار توقد وخل يرش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى أنفق عليها أموالا عظيمة، فوجدوا عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا، فلما انتهوا إلى آخر الحائط، وجدوا خلف الثقب مطهرة خضراء

فيها ذهب مضروب، وزن كل دينار أوقية، وكان عددها ألف دينار، فجعل المأمون يتعجب من ذلك الذهب ومن جودته، ثم أمر بجملة ما أنفق على." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢١٣>

"الثلمة فوجدوا الذهب الذي أصابوه لا يزيد على ما أنفقوه، ولا ينقص فعجب من معرفتهم بمقدار ما ينفق عليه، ومن تركهم ما يوازيه في الموضع عجبا عظيما، وقيل: إن المطهرة التي وجد فيها الذهب كانت من زبرجد، فأمر المأمون بحملها إلى خزانته، وكان آخر ما عمل من عجائب مصر.

وأقام الناس سنين يقصدونه، وينزلون فيه الزلاقة التي فيه، فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك، فاتفق عشرون من الأحداث على دخوله، وأعدوا لذلك ما يحتاجون من طعام وشراب، وحبال وشمع ونحوه، ونزلوا في الزلاقة، فرأوا فيها من الخفاش ما يكون كالعقبان يضرب وجوههم، ثم إنهم أدلوا أحدهم بالحبال، فانطبق عليه المكان، وحاولوا جذبه حتى أعياهم فسمعوا صوتا أربعهم فغشي عليهم، ثم قاموا وخرجوا من الهرم، فبينما هم جلوس يتعجبون مما وقع لهم، إذ أخرجت الأرض صاحبهم حيا من بين أيديهم يتكلم بكلام لم يعرفوه، ثم سقط ميتا، فحملوه ومضوا به فأخذهم الخفراء وأتوا بهم إلى الوالي فحدثوه خبرهم، ثم سألوا عن الكلام الذي قال صاحبهم قبل موته، فقيل لهم:

معناه: هذا جزاء من طلب ما ليس له، وكان الذي فسر لهم معناه بعض أهل الصعيد.

وقال علي بن رضوان الطبيب: فكرت في بناء الأهرام، فأوجب علم الهندسة العلمية ورفع الثقيل إلى فوق أن يكون القوم هندسوا سطحا مربعا، ونحتوا الحجارة ذكرا وأنثى، ورصوها بالجبس البحري إلى أن ارتفع البناء مقدار ما يمكن رفع الثقيل، وكانوا كلما صعدوا ضموا البناء حتى يكون السطح الموازي للمربع الأسفل مربعا أصغر من المربع السفلاني، ثم عملوا في السطح المربع الفوقاني مربعا أصغر بمقدار ما بقي في الحاشية ما يمكن رفع الثقيل إليه، وكلما رفعوا حجرا مهندما رصوه إليه ذكرا وأنثى، إلى أن ارتفع مقدار مثل المقدار الأول، ولم يزالوا يفعلون ذلك إلى أن بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها أن يفعلوا ذلك فقطعوا الارتفاع، ونحتوا الجوانب البارزة التي فرضوها لرفع الثقيل، ونزلوا في النحت من فوق إلى أسفل، وصار الجميع هرما واحدا.

وقياس الهرم الأول: بالذراع التي تقاس بها اليوم الأبنية بمصر، كل حاشية منه أربعمائة ذراع، يكون بالذراع السوداء التي طول كل ذراع منها أربعة وعشرون أصبعا خمسمائة ذراع، وذلك أن قاعدته مربع متساوي الأضلاع، والزوايا ضلعان منهما، على خط نصف النهار، وضلعان على خط المشرق والمغرب، وكل ضلع بالذراع السوداء خمسمائة ذراع، والخط المنحدر على استقامة من رأس الهرم إلى نصف ضلع المربع أربعمائة وسبعون ذراعا، يكون إذا تم أيضا، خمسمائة ذراع.

وأحيط بالهرم، أربع مثلثات ومربع، وكل مثلث منها متساوي الساقين، كل ساق منه إذا تم خمسمائة وستون ذراعا، والمثلثات الأربعة تجتمع رؤوسها عند نقطة واحدة، وهي." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢١٤>

"رأس الهرم إذا تم فيلزم أن يكون عموده أربعمائة وثلاثين ذراعا، وعلى هذا العمود مراكز أثقاله، ويكون تكسير كل مثلث من مثلثاته: مائة وخمسة وعشرين ألف ذراع، إذا اجتمع تكاسيرها كان مبلغ تكسير سطح هذا الهرم: خمسمائة ألف ذراع بالسوداء، وما أحسب على وجه الأرض بناء أعظم منه ولا أحسن هندسة ولا أطول، والله أعلم.

وقد فتح المأمون نقبا من هذا الهرم، فوجد فيه زلاقة تصعد إلى بيت مربع مكعب، ووجد في سطحه قبر رخام وهو باق فيه

إلى اليوم، ولم يقدر أحد يحطه، وبذلك أخبر جالينوس، أنها قبور. فقال في آخر الخامسة من تدبير الصحة بهذا اللفظ، وهم يسمون، من كان في هذا السن: الهرم، وهو اسم مشتق من الأهرام التي هم إليها صائرون عن قريب.

وقال الحوقلي في صفة مصر: وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير في ملك مسلم ولا كافر ولا عمل ولا يعمل لهما، وقرأ بعض بني العباس على أحدهما:

إني قد بنيتهما فمن كان يدعي قوة في ملكه فليهدمها، فالهدم أيسر من البنيان، فهم بذلك وأظنه المأمون أو المعتصم، فإذا خراج مصر لا يقوم به يومئذ، وكان خراجها على عهده بالإنصاف في الجباية وتوخي الرفق بالرعية والمعدلة إذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع، أربعة آلاف ألف ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينار، والمقبوض على الفدان، دينارين، فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيئا.

وفي حد الفسطاط في غربي النيل أبنية عظام يكثر عددها مفترشة في سائر الصعيد تدعى: الأهرام، وليست كالهرمين اللذين تجاه الفسطاط، وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحد منهما: أربعمائة ذراع، وعرضه كارتفاعه، مبني بحجارة الكدان التي سمك الحجر، وطوله وعرضه من العشر أذرع إلى الثمان بحسب ما دعت الحاجة إلى وضعه في زيادته ونقصه، وأوجبته الهندسة عندهم لأنهما كلما ارتفعا في البناء ضاقا حتى يصير أعلاهما من كل واحد منهما مثل مبرك جمل، وقد ملئت حيطانهما بالكتابة اليونانية، وقد ذكر قوم أنهما قبران وليس كذلك، وإنما حمل صاحبهما على عملهما أنه قضى بالطوفان أنه يهلك جميع ما على وجه الأرض إلا ما حصن في مثلهما، فخزن ذخائره وأمواله فيهما، وأتى الطوفان، ثم نضب فصار ما كان فيهما إلى بيصر بن مصرايم بن حام بن نوح، وقد خزن فيهما بعض الملوك المتأخرين وجعلهما هراءه، والله أعلم.

وقال أبو يعقوب محمد بن إسحاق النديم «١» الوراق في كتاب الفهرست: وقد ذكر هرمس البابلي قد اختلف في أمره فقيل: إنه كان أحد السدنة السبعة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة، وإنه كان لترتيب عطارد وباسمه سمي، فإن عطارد باللغة الكلدانية: هرمس،." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢١٥>

"وقيل: إنه انتقل إلى أرض مصر بأسباب، وإنه ملكها وكان له أولاد منهم: طا، وصا، وأشمن، وأتريب، وقفط، وإنه كان حكيم زمانه، وإنه لما توفي دفن في البناء الذي يعرف بمدينة مصر: بأبي هرمس، ويعرفه العامة بالهرمين، فإن أحدهما قبره والآخر قبر زوجته، وقيل: قبر ابنه الذي خلفه بعد موته، وهذه البنية يعني الأهرام: طولها بالذراع الهاشمي، أربعمائة ذراع وثمانون ذراعا على مساحة أربعمائة وثمانين ذراعا، ثم ينخرط البناء فإذا حصل الإنسان في رأسه كان مقدار سطحه أربعين ذراعا، هذا بالهندسة وفي وسط هذا السطح، قبة لطيفة في وسطها شبيهة بالمقبرة، وعند رأس ذلك القبر صخرتان في نهاية النظافة والحسن وكثرة التلون، وعلى كل واحدة منهما شخصان من حجارة، صورة ذكر وأنثى، وقد تلاقيا بوجهيهما، وبيد الذكر لوح من حجارة فيه كتابة، وبيد الأنثى مرآة، والرف ذهب نقشه نقاش، وبين الصخرتين برنية من حجارة على رأسها غطاء ذهب، فلما قلع فإذا فيها شبيه بالنار بغير رائحة قد يبس، وفيها حقة ذهب فنزع رأسها، فإذا فيها دم عبيط ساعة قرعه الهواء جمد، كما يجمد الدم وجف، وعلى القبور أغطية حجارة، فلما قلعت إذا رجل نائم على قفاه على نهاية الصحة والجفاف بين الخلقة ظاهر الشعور، وإلى جنبه امرأة على هيئته، قال: وذلك السطح منقر نحو قامة كما يدور مثل المسمار ذات آزاج من حجارة فيها صور وتماثيل مطروحة وقائمة، وغير ذلك من الآلة التي لا تعرف أشكالها.

وقال العلامة موفق الدين عبد اللطيف بن أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد بن علي بن سعد البغدادي المعروف بابن المطحن في سيرته، وجاء رجل جاهل عجمي، فخيل إلى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أن الهرم الصغير تحته مطلب، فأخرج إليه الحجارين وأكثر العسكر وأخذوا في هدمه، وأقاموا على ذلك شهورا، ثم تركوه عن عجز وخسران مبين في المال والعقل، ومن يرى حجارة الهرم يقول: إنه قد استوصل الهرم، ومن يرى الهرم لا يجد به إلا تشعيثا يسيرا، وقد أشرفت على الحجارين فقلت لمقدمهم: هل تقدرون على إعادته؟ فقال: لو بذل لنا السلطان عن كل حجر ألف دينار لم يمكنا ذلك.

وقال أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب: وأما الأهرام فطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها أنواع من الكتابات بأقلام الأمم السالفة، والممالك الدائرة لا يدرى ما تلك الكتابة ولا المراد بها، وقد قال من عني بتقدير ذرعها: أن مقدار ارتفاع الهرم الكبير ذهابا في الجو نحو أربعمائة ذراع أو أكثر، وكلما صعد دق ذلك، والعرض نحو ما وصفنا، وعليها من الرسوم علوم وخواص وسحر وأسرار الطبيعة، وإن من تلك الكتابة مكتوبا، إنا بنيناها فمن يدعي موازاتنا في الملك، وبلوغ القدرة وانتهاء أمر السلطان فليهدمها وليزع رسمها فإن الهدم أيسر من البناء والتفريق أسهل من التأليف.

وقد ذكر أن بعض ملوك الإسلام شرع يهدم بعضها فإذا خراج مصر لا يفي بقلعها." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢١٦>

"وهي من الحجر والرخام، وأنها قبور لملوك، وكان الملك منهم إذا مات، وضع في حوض من حجارة، ويسمى بمصر والشام: الجرون، وأطبق عليه، ثم بني من الهرم على مقدار ما يريدون من ارتفاع الأساس، ثم يحمل الحوض، ويوضع وسط الهرم، ثم يقنطر عليه البنيان، ثم يرفعون البناء على المقدار الذي يرونه، ويجعل باب الهرم تحت الهرم، ثم يحفر له طريق في الأرض، ويعقد أزج طوله تحت الأرض مائة ذراع أو أكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب مدخله على ما وصفت، قال: وكان القوم يبنون الهرم من هذه الأهرام مدرجا ذا مراق كالدرج، فإذا فرغوا نحتوه من فوق إلى أسفل، فهذه كانت جبلتهم، وكانوا مع ذلك لهم قوة وصبر وطاعة.

وقال في كتاب البنية والإشراف: والهرمان اللذان في الجانب الغربي من فسطاط مصر هما من عجائب بنيان العالم، كل واحد منهما أربعمائة ذراع في سمك مثل ذلك، مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الأربع كل ركن من أركانهما يقابل ريحا منها فأعظمهما فيهما تأثيرا ريح الجنوب وهي: المريسي وأحد هذين الهرمين، قبر أعاديمون، والآخر قبر هرمس، وبينهما نحو ألف سنة وأعاديمون المتقدم، وكان سكان مصر وهم الأقباط يعتقدون نبوتهما قبل ظهور النصرانية فيهم على ما يوجبه رأي الصابئين في النبوات لا على طريق الوحي، بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من أدناس هذا العالم، فاتحدت بهم مواد علوية، فأخبروا عن الكائنات قبل كونها، وعن سرائر العالم وغير ذلك، وفي العرب:

من اليمانية من يرى أنهما قبر شداد بن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر، وهم العرب العارية من العماليق وغيرهم وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور أجساد طاهرة.

وذكر أبو زيد البلخي: أنه وجد مكتوبا على الأهرام بكتابتهم خط فعرب، فإذا هو:

بني هذان الهرمان والنسر الوقع في السرطان، فحسبوا من ذلك الوقت إلى الهجرة النبوية، فإذا هو: ست وثلاثون ألف سنة

شمسية مرتين، يكون اثنتين وسبعين ألف سنة شمسية.

وقال الهمداني في كتاب الإكليل: لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الغرق من القرى، قرية فيها بقية، سوى نهاوند وجدت كما هي اليوم لم تتغير، وأهرام الصعيد من أرض مصر.

وذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الألباب: أن الأهرام مربعة الجملة مثلثة الوجوه، وعددها ثمانية عشر هرما، في مقابلة مصر الفسطاط ثلاثة أهرام، أكبرها دورة ألفا ذراع في كل وجه خمسمائة ذراع، وعلوه خمسمائة ذراع، وكل حجر من حجارتهما ثلاثون ذراعا في غلظ عشرة أذرع قد أحكم إلصاقه ونحته.

ومنها عند مدينة فرعون يوسف، هرم أعظم، وأكبر دوره ثلاثة آلاف ذراع، وعلوه." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢١٧>

"سبعمائة من حجارة، كل حجر خمسون ذراعا، وعند مدينة فرعون موسى أهرام أكبر وأعظم، وهرم آخر يعرف بهرم، مدون كأنه جبل، وهو خمس طبقات، وفتح المأمون الهرم الكبير الذي تجاه الفسطاط، قال: وقد دخلت في داخله، فرأيت قبة مربعة الأسفل مدورة الأعلى كبيرة في وسطها بئر عمقها، عشرة أذرع، وهي مربعة ينزل الإنسان فيها، فيجد في كل وجه من تربيع البئر بابا يفضي إلى دار كبيرة فيها موتى من بني آدم عليهم أكفان كثيرة أكثر من مائة ثوب على كل واحد، قد بليت بطول الزمان واسودت وأجسامهم مثلنا ليسوا طوالا، ولم يسقط من أجسامهم، ولا من شعورهم شيء، وليس فيهم شيخ، ولا من شعره أبيض، وأجسادهم قوية لا يقدر الإنسان أن يزيل عضوا من أعضائهم البتة، ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغثا لطول الزمان، وفي تلك البئر أربعة من الدور مملوءة بأجساد الموتى، وفيها خفاش كثير، وكانوا يدفنون أيضا جميع الحيوان في الرمال، ولقد وجدت ثيابا ملفوفة كثيرا مقدار جرمها، أكثر من ذراع، وقد احترقت تلك الثياب من القدم، فأزلت الثياب إلى أن ظهرت خرق صحاح قوية بيض من كتان أمثال العصائب فيها أعلام من الحرير الأحمر، وفي داخلها هدهد ميت لم يتناثر من ريشه، ولا من جسده شيء كأنه قد مات الآن.

وفي القبة التي في الهرم، باب يفضي إلى علو الهرم، وليس فيه درج عرضه نحو خمسة أشبار، يقال: إنه صعد فيها في زمان المأمون فأفضوا إلى قبة صغيرة فيها صورة آدمي من حجر أخضر كالدهنج، فأخرجت إلى المأمون، فإذا هي مطبقة، فلما فتحت وجد فيها جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له، وعند رأسه حجر ياقوت أحمر كبيضة الدجاجة يضيء كلهب النار فأخذه المأمون.

وقد رأيت الصنم الذي أخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار الملك بمصر في سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

وقال القاضي الجليل أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي: روي علي بن الحسن بن خلف بن قديد عن يحي بن عثمان بن صالح عن محمد بن علي بن صخر التميمي قال:

حدثني رجل من عجم مصر من قرية من قراها تدعى قفط، وكان عالما بأمور مصر وأحوالها وطالبا لكتبها القديمة ومعادنها، قال: وجدنا في كتبنا القديمة، قال: وأما الأهرام فإن قوما احتفروا قبرا في دير أبي هرميس، فوجدوا فيه ميتا في أكفانه، وعلى صدره قرطاس ملفوف في خرق فاستخرجوه من الخرق، فرأوا كتابا لا يعرفونه، وكان الكتاب بالقبطية الأولى، فطلبوا من يقرأه لهم، فلم يقدروا عليه، فقيل لهم: إن بدير القلمون من أرض الفيوم راهبا يقرأه، فخرجوا إليه، وقد ظنوا أنه في الضيعة،

فقرأه لهم، وكان فيه: كتب هذا الكتاب في أول سنة من ملك ديقلطيانس الملك، وإنا استنسخناه من كتاب نسخ: في أول سنة من ملك فيلبش الملك، وإن فيلبش استنسخه من صحيفة من ذهب فرق كتابتها حرفا حرفا، وكان من." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢١٨>

"قال الملك: فهل عندكم من خبر توقفونا عليه غير هاتين الآفتين؟ قالوا: إذا قطع قلب الأسد ثلثي سدس أدواره لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف، فإذا استتم أدواره تحللت عقد الفلك، وسقط على الأرض، قال لهم: وأي يوم فيه انحلال الفلك؟ قالوا:

اليوم الثاني من بدو حركة الفلك، فهذا ما كان في القرطاس.

فلما مات الملك سوريد بن سهلوق دفن في الهرم الشرقي، ودفن هو حيث في الهرم الغربي، ودفن كرورس في الهرم الذي أسفله من حجارة أسوان وأعلاه كدان.

ولهذه الأهرام أبواب في أزج تحت الأرض طول كل أزج مائة وخمسون ذراعا.

فأما باب الهرم الشرقي فمن الناحية البحرية، وأما باب أزج الهرم الموزر فمن الناحية القبلية.

وفي الأهرام من الذهب وحجارة الزمرد ما لا يحتمله الوصف.

وإن مترجم هذا الكتاب من القبطي إلى العربي أجمل التاريخين إلى أول يوم من توت، وهو يوم الأحد طلوع شمسه سنة خمس وعشرين ومائتين من سني العرب، فبلغت أربعة آلاف وثلثمائة وإحدى وعشرين سنة لسني الشمس، ثم نظر كم مضى للطوفان إلى يومه هذا فوجده ألفا وسبعمائة وإحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوما وثلاث عشرة ساعة وأربعة أخماس ساعة وتسعة وخمسين جزءا من أربعمائة جزء من ساعة، فألقاها من الجملة فبقي معه ثلثمائة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة أيام وعشر ساعات وأحد وعشرون جزءا من أربعمائة جزء من ساعة، فعلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والأيام والساعات والكسر من الساعة.

وأما الهرم الذي بدير أبي هرميس، فإنه قبر قرياس، وكان فارس أهل مصر، وكان يعد بألف فارس، فإذا لقيهم لم يقوموا به وانهزموا، وإنه مات فجزع الملك عليه جزعا بلغ منه، واكتأبت لموته الرعية، فدفنوه بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجا، وكان طينه الذي بني به مع الحجارة من الفيوم، وهذا معروف إذا نظر إلى طينه لم يعرف له معدن إلا بالفيوم وليس بمنف ووسيم له شبه من الطين.

وأما قبر الملك صاحب قرياس هذا، فإنه الهرم الكبير من الأهرام التي في بحري دير أبي هرميس، وعلى بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد طول اللوح: ذراعان في ذراع وكله مملوء كتبا مثل كتب البرابي يصعد إلى باب الهرم بدرج بعضها صحيح لم ينخرم، وفي هذا الهرم ذخائر صاحبه من الذهب وحجارة الزمرد، وإنما سد بابه حجارة سقطت من أعاليه ومن وقف عليه رآه بيتا.." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢٢٠>

"وقال ابن عفير عن أشياخه: أن جياد بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، ملك الإسكندرية، وكانت تسمى إرم ذات العماد، فطال ملكه، وبلغ ثلثمائة سنة.

وهو الذي سار وبنى الأهرام وزبر فيها: أنا جياد بن مياد بن شمر بن شداد الشاد بزراعة الواد المؤيد الأوتاد الجامع الصخر

في البلاد المجند الأجناد الناصب العماد الكند الكناد تخرجه أمة اسم نبيها حماد آية ذلك إذا غشي بلد البلاد سبعة ملوك أجناس السواد تاريخ هذا الزبر ألف سنة وأربعمائة سنة عداد.

وقال ابن عفير وابن عبد الحكم: وفي زمان شداد بن عاد بنيت الأهرام فيما ذكر بعض المحدثين، ولم نجد عند أحد من أهل العلم من أهل مصر معرفة في الأهرام ولا خبر ثبت.

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم: ما أحسب الأهرام بنيت إلا قبل الطوفان، لأنها لو بنيت بعده لكان علمها عند الناس.

وقال عبد الله بن شبرمة الجرهمي: لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها جرهم من مكة بنت الأهرام واتخذت لها المصانع، وبنت فيها العجائب، ولم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن ذعر الخزاعي.

وقال محمد بن عبد الحكم: كان من وراء الأهرام إلى المغرب أربعمائة مدينة سوى القرى من مصر إلى المغرب في غربي الأهرام.

وقال ابن عفير: ولم يزل مشايخنا من أهل مصر يقولون: الأهرام بناها شداد بن عاد وهو الذي بنى المغار، وجند الأجناد، فالمغار والأجناد هي: الدفائن، وكانوا يقولون بالرجعة، وإذا مات أحدهم دفن معه ماله كائنا ما كان، وإن كان صانعا دفن معه آلة صنعته، وكانت الصابئة تحج إلى الأهرام.

وقال أبو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية: والفرس والمجوس تنكر الطوفان، وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا: كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طهمورث «١» ، ولكنه لم يعم العمران كله، ولم يتجاوز عقبة حلوان، ولم يبل ممالك الشرق، وأن أهل المغرب لما أنذر به حكماؤهم بنوا أبنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة، وإن آثار دماء الطوفان وتأثيرات الأمواج كانت بينة على أنصاف الهرمين لم تتجاوزهما، انتهى.

ويقال: إن الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى: نهاوند، وجدت." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢٢١>

"كما هي، وأهرام مصر وبرابيها وهي التي بناها هرميس الأول الذي تسميه العرب: إدريس، وكان قد ألهمه الله علم النجوم، فدلته على أنه سينزل بالأرض آفة وأنه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيها إلى علم، فبنى هو وأهل عصره الأهرام والبرابي وكتب علمه فيها.

وقال أبو الصلت الأندلسي في رسالته: وقد ذكر أخلاق أهل مصر، إلا أنه يظهر من أمرهم أنه كان فيهم طائفة من ذوي المعارف والعلوم، وخصوصا علم الهندسة والنجوم، ويدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة كالأهرام والبرابي، فإنها من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة، واستعجزت الأفكار الراجحة، وتركت لها شغلا بالتعجب منها والتفكر فيها، وفي مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري من قصيدته التي يرثي بها أباه:

تضل العقول الهبرزيات رشدها ... ولا يسلم الرأي القويم من الأفن

وقد كان أرباب الفصاحة كلما ... رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وأي شيء أعجب، وأغرب بعد مقدورات الله عز وجل، ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من أعظم الحجارة

مربع القاعدة مخروط الشكل، ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع وتسعة عشر ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع طول كل ضلع منها: أربعمائة ذراع وستون، وهو مع العظم من أحكام الصنعة وإتقان الهندام، وحسن التقدير بحيث لم يتأثر إلى هلم جرا بعصف الرياح وهطل السحاب، وزعزعة الزلازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي على ما شاهدناه منهما.

وقد ذكرت عجائب مصر وإن ما على وجه الأرض بنية إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار إلا الهرمان فأنا أرثي لليل والنهار منهما، وهذان الهرمان لهما إشراف على أرض مصر وإطلال على بطائحها، وإصعاد في جوفها وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبي بقوله شعر:

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن سكانها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع

واتفق يوما إنا خرجنا إليهما فلما طفنا بهما واستدرنا حولهما، كثر التعجب منهما فقال بعضنا:

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا ... على طول ما أبصرت من هرمي مصر

أنافا عنانا للسماء وأشرفا ... على الجو إشراف السماك أو النسر

وقد وافينا نشزا من الأرض عاليا ... كأنهما نهدان قاما على صدر

وزعم قوم: إن الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢٢٢>

"مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور.

ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر بنقبها، فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل، فوجدوا داخله مهاوي ومراقي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها، ووجدوا في أعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه، نحو من ثمانية أذرع، وفي وسطه حوض رخام مطبق، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية، فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه، ويقال: إن النفقة على نقبة كانت عظيمة والمؤونة شديدة.

ومن الناس من زعم: أن هرمس الأول المدعو بالمثلث، بالنبوة والملك والحكمة، وهو الذي تسميه العبرانيون: خنوخ بن يزد بن مهلايل بن قينان بن آنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، وهو إدريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعم الأرض، فأكثر من بنيان الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يشفق عليه من الذهاب والدروس حفظا لها واحتياطا عليها.

ويقال: إن الذي بناها ملك اسمه: سوريد «١» بن سهلوق بن سرياق، وقال آخرون: إن الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد، لرؤيا رآها، والقبط تنكر دخول العمالقة بلد مصر، وتحقق أن بانيها سوريد لرؤيا رآها، وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان، وقالوا: إنه بناهما في مدة ستة أشهر، وغشاهما بالديباج الملون، وكتب عليهما:

قد بنيناهما في ستة أشهر قل لمن يأتي من بعدنا يهدمهما في ستمائة سنة، فالهدم أيسر من البنيان، وكسوناهما الديباج الملون، فليكسهما حصرا، فالحصر أهون من الديباج، ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين، مخطوطة من أعلاها إلى أسفلها

بسطور متضايقة متوازية من كتابة بانيها، لا تعرف اليوم أحرفها ولا تفهم معانيها، وبالجملة الأمر فيها عجيب، حتى أن غاية الوصف لها والإغراق في العبارة عنها، وعن حقيقة الموصوف منها بخلاف ما قاله علي بن العباس الرومي، وإن تباعد الموصوفان وتباين المقصودان إذ يقول:

إذا ما وصفت امرأ لامرىء ... فلا تغل في وصفه واقصد

فإنك إن تغل تبد الظنو ... ن فيه إلى الغرض الأبعد

فيصغر من حيث عظمته ... لفضل المغيب على المشهد

ويقال: إن المأمون أمر من صعد الهرم الكبير أن يدلي حبلا فكان طوله ألف ذراع بالذراع الملكي، وهو ذراع وخمسان، وتربيعه أربعمائة ذراع في مثلها، وكان صعوده في." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢٢٣>

"وكان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استقل بالملك بعد أبيه، سول له جهلة أصحابه أن يهدم هذه الأهرام فبدأ بالصغير الأحمر، فأخرج إليه النقابين والحجارين وجماعة من أمراء دولته وعظماء مملكته وأمرهم بهدمه، فخيموا عنده وحشروا الرجال والصناع، ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد الجهد، واستفراغ بذل الوسع الحجر والحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالأسافين وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس «١» والأشطان «٢» ، فإذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف الجبال، وتزلزل الأرض ويغوص في الرمل فيتعبون تعبا آخر حتى يخرجوه، ويضربون فيه بالأسافين بعد ما ينقبون لها موضعا، ويثبتونها فيه فيتقطع قطعا وتسحب كل قطعة على العجل حتى يلقي في ذيل الجبل، وهي مسافة قريبة، فلما طال ثواءهم، ونفدت نفقاتهم، وتضاعف نصبهم، ووهت عزائمهم كفوا محسورين لم ينالوا بغية بل شوهوا الهرم، وأبانوا عن عجز وفشل، وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، ومع ذلك فإن الرائي لحجارة الهرم يظن أنه قد استؤصل فإذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء وإنما سقط بعض جانب منه، وحين ما شوهدت المشقة التي يجدونها في هدم كل حجر، سئل مقدم الحجارين فقيل له: لو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن تردوا حجرا واحدا إلى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم؟ فأقسم بالله إنهم ليعجزون عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك.

وبإزاء الأهرام مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الأغوار لعل الفارس يدخلها برمحه ويتخللها يوما أجمع ولا ينهيها لكبرها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها أنها مقاطع حجارة الأهرام.

وأما مقاطع حجارة الهرم الأحمر فيقال: إنها بالقلزم وبأسوان، وعند هذه الأهرام آثار أبنية جبابرة ومغاير كثيرة منقبة، وقلما ترى من ذلك شيئا إلا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول، ولله در الفقيه عمارة اليمني حيث يقول:

خليلي ما تحت السماء بنية ... تماثل في إتقانها هرمي مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما ... على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

تنزه طرفي في بديع بنائها ... ولم يتنزه في المراد بها فكري

أخذ هذا من قول بعض الحكماء، كل شيء يخشى عليه من الدهر إلا الأهرام فإنه يخشى على الدهر منها، وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب، ومات في سنة." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/ ٢٢٧>

"سبع وثمانين وثلثمائة:

انظر إلى الهرمين إذ برزا ... للعين في علو وفي صعد

وكأنما الأرض العريضة قد ... ظمئت لطول حرارة الكبد

حسرت عن الثديين بارزة ... تدعو الإله لفرقة الولد

فأجابها بالنيل يشبعها ... ريا وينقذها من الكمد

لكرامة المولى المقيم بها ... خير الأنام مقوم الأود

وقال سيف «١» الدين بن جبارة:

لله أي عجيبة وغريبة ... في صنعة الأهرام للألباب

أخفت عن الأسماع قصة أهلها ... ونضت عن الأبداع كل نقاب

فكأنما هي كالخيام مقامة ... من غير ما عمد ولا أطناب

وقال آخر:

انظر إلى الهرمين واسمع منهما ... ما يرويان عن الزمان الغابر

وانظر إلى سر الليالي فيهما ... نظرا بعين القلب لا بالناظر

لو ينطقان لخبرانا بالذي ... فعل الزمان بأول وبآخر

وإذا هما بديا لعيني ناظر ... وصفا له أذني جواد عائر

وقال الإمام أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي:

ألست ترى الأهرام دام بناؤها ... ويفني لدينا العالم الإنس والجن

كأن رحى الأفلاك أكوارها على ... قواعدها الأهرام والعالم الطحن

وقال:

قد كان للماضين من ... سكان مصرهم

فالفضل عنهم فضلة ... والعلم فيهم علم

ثم انقضت أعلامهم ... وعلمهم واحتطموا

وانظر تراها ظاهرا ... باد عليها الهرم

وقال:

خليلي لا باق على الحدثان ... من الأول الباقي فيحدث ثاني

إلى هرمي مصر تناهت قوى الورى ... وقد هرمت في دهرها الهرمان

فلا تعجبا أن قد هرمت فإنما ... رماني بفقدان الشباب زماني." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/ ٢٢٨>

"وعوجا بقرطاجنة فانظرا بها ... جنايتي العادين تنتحبان

وإيوان كسرى فانظراه فإنه ... يخبر كما بالصدق كل أوان

فلا تحسبا أن الفناء يخصني ... ألا كل ما فوق البسيطة فاني

ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني أنشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الأهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد:

أمباني الأهرام كم من واعظ ... صدع القلوب ولم يفه بلسانه

اذكرني قولا تقادم عهده ... أين الذي الهرمان من بنيانه

هن الجبال الشامخات تكاد أن ... تمتد فوق الأرض عن كيوانه

لو أن كسرى جالس في سفحها ... لأجل مجلسه على إيوانه

ثبتت على حر الزمان وبرده ... مددا ولم تأسف على حدثانه

والشمس في إحراقها والريح عن ... د هبوبها والسيل في جريانه

هل عابد قد خصها بعبادة ... فمباني الأهرام من أوثانه

أو قائل يقضي برجعي نفسه ... من بعد فرقته إلى جثمانه

فاختارها لكنوزه ولجسمه ... قبرا ليأمن من أذى طوفانه

أو أنها للسائرات مراصد ... يختار راصدها أعز مكانه

أو أنها وصفت شؤون كواكب ... أحكام فرس الدهر أو يونانه

أو أنهم نقشوا على حيطانها ... علما يحار الفكر في تبيانه

في قلب رائيها ليعلم نقشها ... فكر يعض عليه طرف بنانه

ذكر الصنم الذي يقال له أبو الهول

هذا الصنم بين الهرمين عرف أولا ببلهيب، وتقول أهل مصر اليوم أبو الهول.

قال القضاعي: صنم الهرمين وهو بلهويه، صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط تسميه العامة بأبي الهول ويقال: بلهيب، ويقال: إنه طلسم للرمل، لئلا يغلب على إبليز الجيزة.

وقال في كتاب عجائب البنيان: وعند الأهرام رأس وعنق بارزة من الأرض في غاية العظم تسميه الناس: أبا الهول، ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض، ويقتضي القياس بالنسبة إلى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا، وفي وجهه حمرة ودهان يلمع عليه رونق الطراوة، وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما.

وسئل بعض الفضلاء، عن عجيب ما رأى فقال: تناسب وجه أبي الهول، فإن أعضاء." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢٢٩>

"وجهه كالأنف والعين والأذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة، فإن أنف الطفل مثلا مناسب له، وهو حسن به حتى لو كان ذلك الأنف لرجل كان مشوها، وكذلك أنف الرجل لو كان لصبي لتشوهت صورته، وعلى هذا سائر

الأعضاء فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس إلى الصورة وعلى نسبتها، والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ التناسب للأعضاء مع عظمها، وإنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه.

ويقابله في بر مصر قريبا من دار الملك: صنم عظيم الخلقة والهيئة متناسب الأعضاء كما وصف، وفي حجره مولود وعلى رأسه مأجور، الجميع صوان ماتع يزعم الناس أنه امرأة وأنها سرية أبي الهول المذكور، وهي بدرب منسوب إليها ويقال: لو وضع على رأس أبي الهول خيط ومد إلى سريته لكان على رأسها مستقيما.

ويقال: إن أبا الهول، طلسم الرمل يمنعه عن النيل، وإن السرية طلسم الماء يمنعه عن مصر.

وقال ابن المتوج «١» : زقاق الصنم، هو الزقاق الشارع، أوله بأول السوق الكبير بجوار درب عمار، ويعرف الصنم بسرية فرعون، وذكر أنه طلسم النيل لئلا يغلب على البلد.

وقيل: إن بلهيب الذي عند الأهرام يقابله، وإن ظهر بلهيب إلى الرمل، وظهر هذا إلى النيل، وكل منهما مستقبل الشرق، وقد نزل في سنة إحدى عشرة وسبعمائة، أمير يعرف ببلاط في نفر من الحجارين والقطاعين وكسروا الصنم المعروف بالسرية، وقطعوه أعتابا وقواعد ظنا أن يكون تحته مال، فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة، فحفر تحتها إلى الماء فلم يوجد شيء، وجعل من حجرة قواعد تحتانية للعمد الصوان التي بالجامع المستجد بظاهر مصر المعروف: بالجامع الجديد الناصري، وأزيل عين هذا الصنم من مكانه، والله أعلم.

وفي زمننا، كان شخص يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، قام في نحو من سنة ثمانين وسبعمائة لتغيير أشياء من المنكرات، وسار إلى الأهرام وشوه وجه أبي الهول وشعثه، فهو على ذلك إلى اليوم، ومن حينئذ غلب الرمل على أراض كثيرة من الجيزة، وأهل تلك النواحي يرون أن سبب غلبة الرمل على الأراضي فساد وجه أبي الهول ولله عاقبة الأمور، وما أحسن قول ظافر الحداد:

تأمل هيئة الهرمين واعجب ... وبينهما أبو الهول العجيب

كعمار يبتن على رحيل ... بمحبوبين بينهما رقيب." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢٣٠>

"تختلف لشدة ما كانوا يحررونها بالشواقيل وعضادة الخشب، وتردد إليها الأفضل مع كبر سنه، وهو يرتعش، والقائد يحمله إلى فوق، ويقعد زمانا من التعب لا يتكلم ويده ترتعش، فرصدوا قدامه، وفي خلال ذلك قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة، وقيل للأفضل عن ابن قرقة: إنه أسرف في كبر الحلقة، وعظم مقدارها، فقال له الأفضل: لو اختصرت منها كان أهون، فقال: وحق نعمتك لو أمكنني أن أعمل حلقة تكون رجلها الواحدة على الأهرام، والأخرى على التنور فعلت، فكلما كبرت الآلة صح التحرير، وأين هذا في العالم العلوي، ثم أكثروا عليه، فعمل حلقة دونها في الموضع المهندم بالطوب الأحمر تحت المسجد الجيوشي، كان قطرها أقل من سبعة أذرع ودورها نحو أحد وعشرين ذراعا.

فلما كملت، قتل الأفضل، ولم ينفق من مال السلطان في الأجرة والمؤن، وما لا بد منه سوى نحو مائة وستين دينارا، فلما تمت الوزارة للمأمون البطائحي، أحب أن يكملها، ويقال له: الرصد المأموني المصحح، كما قيل للأول: الرصد المأموني الممتحن، فأخرج الأمر بنقل الرصد إلى باب النصر بالقاهرة، فنقل على الطريقة الأولى بالعتالين والأسطولية وطوائف الرجال، وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغداء جملة دراهم، فلما صار فوق العجل مضوا به على الخندق من وراء الفتح على المشاهد

إلى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة، وتعبوا في دخوله من باب النصر تعبا عظيما لخوفهم أن يصدم فيتغير، فنصبوا الصواري على عقد باب النصر من داخل الباب، وتكاثر الرجال في جذب المياحين من أسفل، ومن فوق حتى وصل إلى السطح الكبير.

ثم نقلوه من السطح الكبير إلى السطح الفوقاني، وأوقفوا له العمد كما تقدم ذكره، ورصدوا بالحلقة الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجرف، فصح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط، ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة أذرع، وسبكت في فندق بالعطوفية من القاهرة، وكان الأمر فيها سهلا عندما لحقهم من العناء العظيم في الحلقة الكبيرة، والحلقة الوسطى، وتجرد المأمون لعملها، والحث فيها، وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين، ويحضر أبو جعفر بن جسنداي وأبو البركات بن أبي الليث صاحب الديوان وبيده الحل، والعقد فقال له المأمون: اطلع إليهم كل يوم وأي شيء طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة، وكان قصده ما أطمعوه فيه من أن يقال: الرصد المأموني المصحح، فلو أراد الله أن يبقي المأمون قليلا كان كمل جميع رصد الكواكب، لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة، وكان من جملة ما عدد من ذنوبه عمل الرصد المذكور، والاجتهاد فيه، وقيل: أطمعته نفسه في الخلافة بكونه سماه الرصد المأموني، ونسبه إلى نفسه، ولم ينسبه إلى الخليفة الآمر بأحكام الله.." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢٣٩>

"وأحسن السيرة ورد النساء اللاتي غصبن في أيام أبيه على أزواجهن، وعمل قبة طولها خمسون ذراعا في عرض مائة ذراع، وركب في جوانبها طيورا من صفر تصفر بأصوات مختلفة مطربة لا تفتر ساعة، وعمل في وسط مدينة أمسوس، منارا عليه رأس إنسان من صفر كلما مضى من النهار أو الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضي ساعة، وعمل منارا عليه قبة من صفر مذهب، ولطخها بلطوخات، فإذا غربت الشمس في كل ليلة اشتعلت القبة نورا تضيء له مدينة أمسوس طول الليل، حتى يصير مثل النهار لا تطفئها الرياح ولا الأمطار فإذا طلع النهار خمد ضوءها وأهدى لبعض ملوك بابل مدهنا من زبرجد قطره خمسة أشبار.

ويقال: إنه وجد بعد الطوفان، وعمل في الجبل الشرقي صنما عظيما قائما على قاعدة وهو مصبوغ مصفر بالذهب ووجهه إلى الشمس يدور معها حتى تغرب، ثم يدور ليلا حتى يحاذي المشرق مع الفجر، فإذا أشرقت الشمس استقبلها بوجهه، وبنى بصحراء الغرب مدنا كثيرة، وأودعها كنوزا عظيمة، ونكح ثلثمائة امرأة ولم يولد له ولد، فإن الله تعالى، كان قد أعقم الأرحام لما يريد من إهلاك العالم بالطوفان، ووقع الموت في الناس والبهائم، ولما مات وضع في ناوس بالجبل الشرقي، ومعه أمواله وطلسم عليه.

وملك بعده أرمالينوس، فعمل أعمالا عجيبة وبنى مدنا ومصانع جدد الطلسمات، وكان له ابن عم يسمى: فرعان، وكان جبارا، فأبعده وجعله على جيش ساربه عنه، فقهر ملوكا وقتل أمما عظيمة، وغنم أموالا كثيرة، وعاد فشغفت به امرأة من نساء الملك، وما زالت به حتى اجتمع بها تآلفا، وأقاما على ذلك مدة، فخافا الملك أن يفطن بهما، فعملت المرأة لأرمالينوس سما في شرابه هلك منه.

وملك بعده ابن عمه فرعان بن مشور، فلم ينازعه أحد لشجاعته وسياسته، ولم تطل أعوامه حتى رأى قليمون الكاهن، كأن طيورا بيضاء قد نزلت من السماء، وهي تقول: من أراد النجاة فليلحق بصاحب السفينة، وكان عندهم علم بحدوث الطوفان

من أيام سوريد وبنائه الأهرام، لأجل ذلك، واتخذ الناس سراديب تحت الأرض مصفحة بالزجاج قد حبست الرياح فيها بتدبير، وعمل منها فرعان لنفسه ولأهله عدة، فما كذب أن جمع أهله وولده وتلميذه ولحق بنوح عليه السلام، وآمن به وأقام معه حتى ركب في السفينة وجاء الطوفان في أيام فرعان، فأغرق أرض مصر كلها، وخرب عمائرها، وأزال تلك المعالم كلها، وأقام الماء عليها ستة أشهر، ووصل إلى أنصاف الهرمين العظيمين، وسيأتي خبر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكر محن مصر من هذا الكتاب.

ويقال: إن فرعان كان عاتيا متجبرا يغصب الأموال والنساء، وأنه كتب إلى الدر مثيل ابن لحويل ببابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام، وأنه استخف بالكهنة والهياكل، ففسدت." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢٥١>

"الطوفان بيصر بن حام بن نوح، وكان معه ثلاثون من الجبابرة من أهله وولده، فاجتمعوا وبنوا مدينة منف، ونزلوا بها، وكان قليمون الكاهن الذي تقدم ذكره في خبر مدينة أمسوس من جملتهم، وكان قد زوج ابنته ببيصر المذكور، وجاءت معه إلى مصر، وولدت منه ولدا سماه: مصرايم، فلما مات بيصر، دفن في موضع دير أبي هرميس، ويقال: دير أبي هرميس غربي الأهرام، ويقال: إنها أول مقبرة دفن فيها بأرض مصر، وكان موته بعد ألف وثمانمائة وست سنين مضت من وقت الطوفان، وقال غيره: ثم بنى مصرايم مدينة سماها باسمه، فجاءه رجل من بني يافث، فعمل له سورا قائما، وصنع له درجا وأجرى الماء إلى أن بقي يصعد إلى أعلى السور بحكمة أتقنها، ثم ينزل ذلك الماء من أعلى السور إلى المدينة فينتفع به فيها بغير مشقة ولا كلفة، ثم يخرج من ناحية أخرى، وكتب على السور هذه صنعة من يموت لا صنعة من يدوم.

وملك بعد بيصر، ابنه مصرايم. (ويقال له: مصر) بن بيصر، فأظهره قليمون الكاهن على كنوز مصر وعلمه قراءة خطهم، وأطلعه على حكمهم وبنى مصرايم، المدن وشق الأنهار وغرس الأشجار، وبنى مدينة عظيمة سماها درسان، وهي العريش، ونكح امرأة من أولاد الكهنة، فولدت له ابنا سماه: قفطيم، وبنى مدينة رقودة مكان الإسكندرية.

ولما مات مصرايم، جعل له سرب طوله مائة وخمسون ذراعا، وبسط بالمرمر الأبيض وعمل في وسطه مجلس مصفح بصفائح الذهب، وله أربعة أبواب، على كل باب: تمثال من ذهب على رأسه تاج من ذهب، وهو جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد، ونقش في صدر كل تمثال آيات مانعة وحبسوا جسده في جسد من زبرجد أخضر شبه تابوت طوله أربعون ذراعا دفن فيه، ومعه جميع ما كان في خزائنه من ذهب، وفضة وجوهر منها ألف قطعة من زبرجد مخروط وألف تمثال من جوهر نفيس، وألف برنية من ذهب مملوءة درا نفيسا، وألف آنية من ذهب، وعدة سبائك من فضة، وعمل عليه طلسم مانع من الوصول إليه وزبروا عليه: مات مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح بعد ألفين وستمائة عام، وقيل: بعد سبعمائة سنة مضت من الطوفان، ولم يعبد الأصنام فصار إلى جنة لا هرم فيها ولا سقم، ولا هم ولا حزن، وكتب اسم الله الأعظم عليه حتى لا يصل إليه أحد إلا ملك، يأتي في آخر الزمان يدين بدين الملك الديان، ويؤمن بالبعث والفرقان، والنبي الداعي إلى الإيمان في آخر الزمان، وسقفوا فوق السرب بالصخور العظام، وهالوا عليه الرمال حتى سدوا بين جبلين متقابلين.

ويقال: كان مصر بن بيصر، مع جد أبيه نوح عليه السلام في السفينة، فدعا له أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد، ونهرها أفضل الأنهار، ويجعل له فيها أفضل البركات ويسخر له الأرض ولولده، ويذللها ويقويهم عليها، فسأله." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢٥٤>

"ودخل الإسكندرية، وقتل من بها من الفرس، وأقام بها بطريقا، ثم عاد إلى قسطنطينية فاستمرت مصر بعده تحت إبالة الروم حتى ملكها المسلمون.

ويقال: إن كل بناء بمصر من آجر فهو للفرس، وما فيها من بناء حجر فهو للروم، والله أعلم.

ذكر منارة الإسكندرية

قال المسعودي: فأما منارة الإسكندرية، فذهب الأكثرون من المصريين والإسكندرانيين ممن عنى بأخبار بلدهم أن الإسكندر بن فيليبس المقدوني هو الذي بناها ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة ابنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو إلى بلدهم، ومن الناس من رأى، أن العاشر من فراعنة مصر، هو الذي بناها، ومنهم من رأى أن الذي بنى مدينة رومة هو الذي بنى مدينة الإسكندرية ومنارتها، والأهرام بمصر، وإنما أضيفت الإسكندرية إلى الإسكندر لشهرته باستيلائه على الأكثر من ممالك العالم فشهرت به، وذكروا في ذلك أخبارا كثيرة يستدلون بها على ما قالوا، والإسكندر لم يطرقه في هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد إليه في بلده، ويغزوه في داره فيكون هو الذي جعلها مرقبا وإن الذي بناها جعلها على كرسي من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر، وعلى طرف اللسان الذي هو داخل في البحر من البر، وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره، منها: تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس، أينما كانت من الفلك، وإذا علت في الفلك فأصبعه يشير بها نحوها، فإذا انخفضت صارت يده سفلا، تدور معها حيث دارت، ومنها: تمثال يشير بيده إلى البحر، إذا صار العدو منه على نحو من ليلة فإذا دنا وجاوز أن يرى بالبصر لقرب المسافة، سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من مسيرة ميلين أو ثلاثة، فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم فيرمقونه بأبصارهم، ومنها تمثال كلما مضى من الليل أو النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها وصوته مطرب.

وقد كان ملك الروم، في ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان، أنفذ خادما من خواص خدمه، ذا رأي ودهاء، فجاء مستأمنا إلى بعض الثغور، فورد بآلة حسنة ومعه جماعة، فجاء إلى الوليد، فأخبره: أنه من خواص الملك، وأنه أراد قتله لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل، وأنه استوحش، ورغب في الإسلام، فأسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه، وتنصح إليه في دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه، فيها صفات تلك الدفائن، فلما صارت إلى الوليد تلك الأموال والجواهر، شرهت نفسه واستحكم طمعه.

فقال له الخادم: يا أمير المؤمنين! إن ها هنا أموالا وجواهر ودفائن للملوك، فسأله." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/ ٢٩٠>

"مروان، وهو رجل من لواتة إلا أنه مرواني الذهب، ويركب في آلاف من الناس خيلا ونجبا، وبينه وبين الأحابش نحو من ستة أيام، وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العمائر هذا المقدار من المسافة، وفي أرضه خواص وعجائب، وهو بلد

قائم بنفسه غير متصل بغيره، ولا يفتقر إليه، ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب.

وحدثني وكيل أبي الشيخ المعز حسام الدين عمرو بن محمد بن زنكي الشهرزوري:

أنه سمع ببلاد الواحات، أن فيها شجرة تاريخ يقطف منها في سنة واحدة أربعة عشر ألف حبة نارنج صفراء، سوى ما يتناثر، وسوى ما هو أخضر، فلم أصدق ذلك لغرابته، وقمت حتى شاهدت الشجرة المذكورة، فإذا هي كأعظم ما يكون من شجر الجميز بمصر وأكبر، وسألت مستوفي البلد عنها، فأحضر إلي جرائد حسباناته وتصفحها حتى أوقفني على أن منها في سنة كذا قطف من النارنجة اللانية، أربعة عشر ألف حبة نارنج مستوية صفراء، سوى ما بقي عليها من الأخضر، وسوى ما تناثر منها وهو صغير.

وبالواحات الشب الأبيض بواد تجاه مدينة أدفو «١» كان في زمن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر، وفي زمن ابنه الصالح نجم الدين أيوب على مقطعي الواحات حمل ألف قنطار شب أبيض في كل سنة إلى القاهرة، ويطلق لهم في نظير ذلك جوالي الواحات، ثم أهمل هذا فبطل.

وفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، سار ملك النوبة في جيش عظيم إلى الواحات، فأوقع بأهلها، وقتل منها، وأسر كثيرا.

ذكر مدينة قوص

اعلم: أن قوص أعظم مدائن الصعيد، وهي على النيل بنيت بعد قفط في أيام ملك من ملوك القبط الأول يقال له: سدان بن عديم بن البودسير بن قفطريم.

قيل: سميت باسم قوص بن قفط بن أخميم بن سيفاف بن أشمن بن مصر، قال ابن وصيف شاه: سدان بن عديم، هو الذي بنى الأهرام الدهشورية من الحجارة التي قطعت في زمان أبيه، وعمل مصاحف النيرنجات، وهيكل أرمنت، وعمل في المدائن الداخلة من أنصنا هيكلا، وأقام فيه في أتريب، وهيكلا في شرقي الإسكندرية، وبنى في الجانب الشرقي مدائن، وفي أيامه بنيت قوص العالية، وأسكن فيها قوما من أهل الحكمة، وأهل الصناعات، وكان الحبش والسودان، قد عاثوا في بلده، فأخرج لهم، ابنه منقاوش في جيش عظيم، فقتل منهم، وسبى، واستعبد الذين سباهم، وصار ذلك سبة لهم، واقتطع معدن."

<المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤٣٦/١>

"أيام، ثم تعود إلى اللون الأول، وكسوا الهيكل ألوان الثياب، وشقوا نهرا من النيل إلى الهيكل، وجعل حوله طلسمات رؤوسها رؤوس القرود على أبدان اناس، كل واحد منها لدفع مضرة، وجلب منفعة، وأقام عند الهيكل، أربعة أصنام على أربعة أبواب، ودفن تحت كل صنم صنفا من الكنوز، وكتب عليها قربانها، وبخورها وأسكنها الشجرة، فكانت تعرف بمدينة الشجرة، ومنها كانت أصناف الشجر تخرج وهو أول من عمل النيروز بمصر، وفي زمانه بنيت البهنسا، وأقم بها أسطوانات وجعل فيما فوقها مجلسا من زجاج أصفر عليه قبة مذهبة إذا طلعت الشمس ألقت شعاعها على المدينة.

ويقال: إنه ملكهم ثمانمائة وثلاثين سنة، ودفن في أحد الأهرام الصغار القبلية، وقيل: في غربي الأشمونين، ودفن معه من المال والجواهر والعجائب شيء كثير، وأصناف الكواكب السبعة التي يرى الدفين والحية، وألف سرج ذهبا وفضة، وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج، وألف عقاقير لفنون الأعمال، وزبروا عليه اسمه ومدة ملكه، ووقت موته.

وفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، ظهر بالأشمونين في واد بين جبلين، فساقي «١» مربعة مملوءة ماء عذبا صافيا، فمشى

شخص على حافتها طول يوم وليلة، فلم يبلغ آخرها.

ويقال: إنها من عمل سوريد باني الأهرام لتكون عدة لما كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان ناري، فردم هذا الوادي بعد ذلك خوفا من تلاف الناس.

يقول الشيخ الإمام محمد بن أحمد الغرياني: حدثني علي بن حسن بن خالد الشعري، ثلاث مرات لم يختلف قوله علي فيها، قال: حدثني رجل من فزارة، الساكنين بكورة البهنسا قال: خرجت أنا ورجل رفيق لي نرتاد البلاد، ونطلب الرزق في الأرض، وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة، فقطعنا الجبل الغربي من ناحية البهنسا، وسرنا متوكلين على الله تعالى، فأقمنا أياما، ونحن نمشي ما بين الغرب والجنوب، فوقعنا في واد كثير الشجر والنبات والماء والكلأ ليس فيه أنيس، وهو واد واسع في الطول والعرض، نحو يوم في الطول، ويوم في العرض، كله أعين وبساتين نخل وزيتون كثير الإبل والمعز، والذئب والضبع به كثير، والإبل به متوحشة، وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد أن كانت آنسة به، وليس بالوادي لا رائح، ولا غاد من الناس قال: فأخبرني أنهما أقاما بالوادي نحوا من شهرين أو ثلاثة، وإنهما رأيا في وسط الوادي، مدينة حصينة منيعة عالية السور شامخة القصور فإذا تقربا من سورها سمعا ضجيجا عظيما، وأصواتا مهولة مخوفة، ورأيا دخانا يرتفع إلى جو السماء، حتى يغطي سور المدينة، وجميع ما فيها، وإن تلك الإبل الوحشية." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٤٤٠>

"فتحرق ماء على جميع وجه الأرض، وقال آخرون: بل يكون ماء، فعملوا هذه البرابي قبل الطوفان، وكان في هذه البربا صور الملوك الذين يملكون مصر، وكانت مبنية بحجر المرمر، وطول كل حجر منها، خمسة أذرع في سمك ذراعين، وهي سبعة دهاليز سقوفها حجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع مدهونة باللازورد، وغيره من الأصباغ التي يحسبها الناظر، كأنما فرغ الدهان منها الآن لجدتها، وكان كل دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة، وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيئات والمقادير، فيها رموز علوم القبط من الكيمياء، والسيمياء، والطلسمات، والطب والنجوم، والهندسة وغير ذلك، أودعوها تلك الصور.

وذكر ابن جبير في رحلته: أن طول هذه البربا مائتا وعشرون ذراعا، وسعتها مائة وسبعون ذراعا، وأنها قائمة على أربعين، سارية سوى الحيطان دور كل سارية خمسون شبرا، وبين كل ساريتين ثلاثون شبرا، ورؤوسها في نهاية العظم كلها منقشة من أسفلها إلى أعلاها، ومن رأس كل سارية إلى الأخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت، فيها ما ذرعه ستة وخمسون شبرا طولا في عرض عشرة أشبار، وارتفاع ثمانية أشبار، وسطحها من ألواح الحجارة كأنها فرش واحد فيه التصاوير البديعة، والأصبغة الغريبة كهيئة الطيور والآدميين، وغير ذلك في داخلها وخارجها، وعرض حائط البربا ثمانية عشر شبرا من حجارة مرصوصة، كذا قاسها ابن جبير في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة.

ويقال: إن ذا النون عرف منها، علم الكيمياء، وما زالت هذه البربا قائمة إلى سنة ثمانين وسبعمائة، فخربها رجل من أهل إخميم يعرف: بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب علم الدين علي، ونال منها مالا، فلم تطل حياته، ومات، ومن حينئذ تلاشى أمر إخميم إلى أن خربت، وقد ذكر جماعة أن بربا إخميم كانت في هيئة غلام أمرد عريان، وإن قوما دخلوها مرة فتبعهم، وأخذ يضربهم ضربا وجيعا، حتى خرجوا هاربين، وحكى مثل ذلك عمن دخل الأهرام أيضا.

وقد حكي أن رجلا ألصق على صورة من بربا إخميم شمعة، فكان إذا تركها في موضع التجأت العقارب إليها، وإذا وضع

الشمعة في تابوت اجتمعت العقارب حوله.

ويقال: إنه كان في بربا إخميم شيطان قائم على رجل واحدة، وله يد واحدة، وقد رفعها إلى الهواء، وفي جبهته وحواليه كتابة، وله إحليل ظاهر ملتصق بالحائط، وكان يذكر أن من احتال، حتى ينقب على ذلك الإحليل حتى يخرجه، من غير أن ينكسر، ويعلقه على وسطه، فإنه لا يزال منغطا إلى أن ينزعه، ويجامع ما أحب، ولا يفتر ما دام معلقا عليه، وإن بعض من ولي إخميم اقتلعه، فوجد منه شيئا عجيبا من ذلك، وكانت الأنطاع تجلب من إخميم، وبها تعمل.." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٤٤٣>

"أشهد لقد قال لي: إعرف لي هذا المقام، ولا تنسه، فعمل عقابا من ذهب، وجعل عينيه جوهرتين، ووشحه بالجوهر، وعمل له هيكلا لطيفا، وأرخى عليه ستور الحرير، وأقبلوا على تبخيره وقربانه، حتى نطق لهم، فأقبل عون على عبادته، ودعا الناس إلى ذلك، فأجابوه، ثم أمر فجمع له كل صانع بمصر، وأخرج أصحابه إلى صحراء الغرب لطلب أرض سهلة حسنة الاستواء يدخل إليها من مواضع صعبة، وجبال وعرة بحيث تقرب من مغيض الماء التي هي اليوم: الفيوم، وكانت مغيضا لماء النيل، حتى أصلحها يوسف عليه السلام ليجري الماء منها إلى المدينة، فخرجوا، وأقاموا شهرا يطوفون حتى وجدوا بغيته، فلم يبق بمصر فاعل، ولا مهندس، ولا أحد له بصر بالبناء، وقطع الصخور، ونحتها، إلا وجه إليها، وأنفذ ألف رجل من الجيش، وسبعمائة ساحر لمعاونتهم، وأنفذ معهم الآلات والأزواد على العجل وطريق هذه العجل إلى الفيوم في صحراء الغرب واضحة من خلف الأهرام.

فلما تكامل له ما أراد من نحت الحجارة، خطوا المدينة فرسخين في مثلهما، وحفروا في الوسط بئرا جعلوا فيها تمثال خنزير من نحاس بأخلاط، ونصبوه على قاعدة نحاس، ووجهه إلى الشرق، وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته، وكان في شرفه، وذبحوا خنزيرا، ولطخوا التمثال بدمه في وجهه، وبخروه بشيء من شعره، وحشوا جوفه بدمه، وشعره وعظامه ولحمه ومرارته، وجعلوا في أذنيه من مرارته، وحرقوا بقية الخنزير، وجعلوا رماده في قلة من نحاس بين يدي التمثال، ونقشوه بآيات زحل، ثم شقوا في البئر من الجهات الأربع في كل جهة، سربا إلى حيطان المدينة، وعملوا على أفواهها منافس تجذب الهواء، وسدوا البئر من الجهات الأربع قبة على عمد مرتفعة على حيطان المدينة، وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من أبواب المدينة، وفصلوها بالطرقات والمنازل، وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديهما حراب، ووجوهها تجاه الأبواب، وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود، فوقه حجر أحمر، عليه حجر أصفر، من فوقه حجر أخضر، وفوق الجميع حجر أبيض يشف، وكلها مبنية بالرصاص المصبوب بين الحجارة، وفي قلوبها أعمدة من حديد على بناء الأهرام، وجعلوا طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين، وعلى رأس كل باب حصن بأعلاه، عقاب كبير من صفر وأخلاط، قد نشر جناحيه، وهو أجوف، وعلى كل ركن فارس بيده حربة، ووجهه إلى خارج المدينة، وساق الماء إلى الباب الشرقي ينحدر في صبه إلى الباب الغربي، ويخرج إلى صهاريج، وكذلك من الباب الجنوبي إلى الشمالي، وقرب للعقاب، عقبانا ذكورا، واجتلب الرياح إلى أفواه التماثيل، فصار يسمع لها أصوات هائلة، ووكل بها أرواحا تمنع الداخل إليها، إلا أن يكون من أهلها.

ونصب العقاب الذي يتعبد له تحت القبة في وسط المدينة على قاعدة بأربعة أركان." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٤٤٥>

"الثاني، ويتصل بهذا الميل إلى جهة الشمال، ما طوله ثلثمائة واثنان وسبعون ذراعا، ثم يتصل به على نهاية هذا الطول، جدار يمر على استقامته إلى الحجر مبني بالحجر طوله على استقامته إلى جهة الشرق، مائة ذراع، ثم ينخفض أيضا من حيث يتصل بهذا الجدار ما طوله، عشرون ذراعا، وقدر المنخفض منه ذراعان.

وهذا المنخفض أيضا يسد بجسر حشيش يسمى: اللكبد، وطول بقية الجدار إلى نهايته من جهة الشمال، مائة وستة وثلاثون ذراعا، وقبالة هذا بطوله منه مبلط، وفيه قناطر مبنية بالحجر كانت قديما ترد الماء إلى اليوم من الخليج القديم الذي عنده السدود اليوم، وكان عليها أبواب، وعدتها عشر قناطر قديمة، فيكون جميع ذرع الجدار الأعظم من نهايته، سبعمائة واثنين وسبعين ذراعا بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب إلى الشرق، ويمر هذا الجدار الأعظم من كلتا جهتيه جميعا، حتى يتصل بالجبل، فتوجد آثاره في القيظ مرورا على غير استقامة، وعرضه مختلف، وكلما انتهى إلى سطحه، قل عرضه، وعرض أعلاه مع الظاهر من أسفله جميعا ستة عشر ذراعا، وفيه منافس يخرج منه الماء، وهي برابخ زجاج ملوثة بشبه المينا وأزرق وسليماني.

وهو من العجائب الحسنة في عظم البناء وإتقانه، لأنه من الأبنية اللاحقة بمنارة الإسكندرية، وبناء الأهرام، فمن معجزته أن النيل يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام إلى هذه الغاية، وما تغير عن مستقره، ويدخل الماء من هذا البحر في هذا الزمان إلى مدينة الفيوم من خليجها الأعظم ما بين أرض الضيعتين المعروفتين، بدمونة واللاهون، ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما سيحا، ومنه شرب كرومها بالدواليب على أعناق البقر، وإن قصر النيل عن الصعود إلى سوادها، سقيت منه على أعناق البقر وزرعت، وينتهي في الخليج الأعظم إلى خليج يعرف بخليج الأواسي، وليس عليه رسم في سد ولا فتح ولا تعديل، وينتهي إلى الضيعة المعروفة ببياض، فيملأ بركها وغيرها من البرك، وللبرك مقاسم يصل إلى كل مقسم منها لغايته، ومقدار شرب ما عليه، وينتهي إلى الضيعة المعروفة بالأوسية الكبرى «١» ، فمنه شربها من مقسمين لها، وبرسمها باب، ومنه يشرب نخلها وشجرها، وعلى هذا الحد طاحونة تعمل بالماء.

ثم ينتهي إلى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بمرطينة منها مقسم لها، ومقسم لقبالات عدة، والمقسم الثالث يسقي أحد أحياء النخل، وبهذا الحي أسواق وبساتين قد خربت، وجميز دائر به، وكان بها بيوت في أقنية النخل، ثم ينتهي إلى حي ثان على ضفة الأول، ثم ينتهي إلى الضيعة المعروفة بالجوبة، فيملأ بركها وينتهي إلى ثلاثة مقاسم في." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٤٥٩>

"الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في سنة خمس وستين وستمائة، وتولى عمارتها الأمير عز الدين أيبك الأقرم.

قناطر الجيزة: قال في كتاب عجائب البنيان: أن القناطر الموجودة اليوم في الجيزة من الأبنية العجيبة. ومن أعمال الجبارين، وهي نيف وأربعون قنطرة، عمرها الأمير قراقوش الأسدي، وكان على العمائر في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، بما هدمه من الأهرام التي كانت بالجيزة، وأخذ حجرها فبنى منه هذه القناطر وبنى سور القاهرة ومصر وما بينهما، وبنى قلعة الجبل، وكان خصيا روميا سامي الهمة، وهو صاحب الأحكام المشهورة والحكايات المذكورة، وفيه صنف الكتاب المشهور المسمى بالفاشوش في أحكام قراقوش، وفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة تولى أمر هذه القناطر من لا بصيرة عنده،

فسدها رجاء أن يحبس الماء، فقويت عليها جرية الماء، فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت، ومع ذلك فما روى ما رجا أن يروي، وفي سنة ثمان وسبعمائة رسم الملك المظفر بيبرس الجاشنكير برمها، فعمر ما خرب منها وأصلح ما فسد فيها، فحصل النفع بها. وكان قراقوش لما أراد بناء هذه القناطر بنى رصيفا من حجارة، ابتدأ به من حيز النيل بإزاء مدينة مصر، كأنه جبل ممتد على الأرض مسيرة ستة أميال، حتى يتصل بالقناطر.

ذكر البرك

قال ابن سيده: البركة مستنقع الماء، والبركة شبه حوض يحفر في الأرض. انتهى.

وقد رأيت بخط معتبر ما مثاله: وملؤا البركة ماء، فنصب الماء وكسر الراء وفتح الكاف والتاء.

بركة الحبش: هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافر، وتعرف ببركة حمير، وتعرف أيضا باصطبل قرة، وعرفت أيضا باصطبل قامش، وهي من أشهر برك مصر، وهي في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها، فيما بين الجبل والنيل، وكانت من الموات، فاستنبطها قرة بن شريك العنبسي أمير مصر وأحياها وغرسها قصبا، فعرفت باصطبل قرة، وعرفت أيضا باصطبل قامش، وتنقلت حتى صارت تعرف ببركة الحبش. ودخلت في ملك أبي بكر الماردايي فجعلها وقفا، ثم أرصدت لبني حسن وبني حسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فلم تزل جارية في الأوقاف عليهم إلى وقتنا هذا.

قال أبو بكر الكندي في كتاب الأمراء: وقدم قرة بن شريك من وفادته في سنة ثلاث وتسعين فاستنبط الإصطبل لنفسه من الموات وأحياه وغرسه قصبا، فكان يسمى اصطبل قرة، ويسمى أيضا اصطبل القامش، يعنون القصب، كما يقولون قامش مروان.." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٦٩/٣>

"القاضي أبي الحجاج، المعروف بمسجد عبد الجبار، وهو في وسط القلعة، بعده تربة لاون أخي يانس، ومسجد القاضي النبيه، كان لمام الدولة غنام، ومات رسولا ببلاد الشام، وشراه منه وأنشأه القاضي النبيه، وقبره به، وكان القاضي من الأعيان.

وقال ابن عبد الظاهر: أخبرني والدي قال: كنا نطلع إليها، يعني إلى المساجد التي كانت موضع قلعة الجبل، قبل أن تسكن في ليالي الجمع، نبيت متفرجين كما نبيت في جواسق الجبل والقرافة.

قال مؤلفه رحمه الله: وبالقلعة الآن مسجد الرديني، وهو أبو الحسن علي بن مرزوق بن عبد الله الرديني الفقيه المحدث المفسر، كان معاصرا لأبي عمر وعثمان بن مرزوق الحوفي، وكان ينكر على أصحابه، وكانت كلمته مقبولة عند الملوك، وكان يأوي بمسجد سعد الدولة، ثم تحول منه إلى مسجد عرف بالرديني، وهو الموجود الآن بداخل قلعة الجبل، وعليه وقف بالإسكندرية، وفي هذا المسجد قبر يزعمون أنه قبره، وفي كتب المزارات بالقرافة، أنه توفي ودفن بها في سنة أربعين وخمسمائة، بخط سارية شرقي تربة الكيرواني، واشتهر قبره بإجابة الدعاء عنده.

ذكر بناء قلعة الجبل

وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، لما أزال الدولة الفاطمية من مصر واستبد بالأمر، لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة، ولم يزل يخاف على نفسه من شيعة الخلفاء الفاطميين بمصر، ومن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سلطان الشام، رحمة الله عليه، فامتنع أولا من نور الدين بأن سير أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن

أيوب في سنة تسع وستين وخمسمائة، إلى بلاد اليمن لتصير له مملكة تعصمه من نور الدين، فاستولى شمس الدولة على ممالك اليمن، وكفى الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين ومات في تلك السنة، فحلاله الجو وأمن جانبه، وأحب أن يجعل لنفسه معقلا بمصر، فإنه كان قد قسم القصرين بين أمرائه وأنزلهم فيهما، فيقال أن السبب الذي دعاه إلى اختيار مكان قلعة الجبل، أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة، فعلق لحم حيوان آخر في موضع القلعة فلم يتغير إلا بعد يومين وليلتين، فأمر حينئذ بإنشاء قلعة هناك، وأقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي، فشرع في بنائها وبنى سور القاهرة الذي زاده في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وهدم ما هنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الأهرام الصغار التي كانت بالجيزة تجاه مصر، وكانت كثيرة العدد، ونقل ما وجد بها من الحجارة وبنى به السور والقلعة وقناطر الجيزة، وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر، فمات السلطان قبل أن يتم الغرض من السور والقلعة، فأهمل العمل إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في قلعة الجبل." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٥٥/٣>

"الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي في شعبان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وبلغت النفقة على بنائه ستة آلاف دينار، وإنما قيل له جامع الفيلة لأن في قبلته تسع قباب في أعلاه ذات قناطر، إذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيلة، كالتي كانت تعمل في المواكب أيام الأعياد، وعليها السرير وفوقها المدرعون أيام الخلفاء، ولما كمل أقام في خطابته الشريف الزكي أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن علي الحسيني الأفطسي النسابة الكاتب الشاعر الطرابلسي، بعد صرفه من قضاء الغربية، فلما رقى المنبر أول خطبة أقيمت في هذا الجامع قال: بسم الله الحمد لله، وأرتج عليه فلم يدر ما يقول، وكان هناك الشيخ أبو القاسم علي بن منجب بن الصيرفي الكاتب، وولده مختص الدولة أبو المجد، وأبو عبد الله بن بركات النحوي، ووجوه الدولة. فلما أضجر من حضر نزل عن المنبر وقد حم، فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف إلى داره فاعتل ومات.

وكان قد ولي قضاء عسقلان وغيرها، ثم قدم إلى مصر فولي الحكم بالمحلة، وولي ديوان الأحباس، وكان أحد الأعيان الأدباء العارفين بالنسب، ومن الشعراء المجيدين والنحاة اللغويين، ولد بطرابلس الشام في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، وقدم إلى القاهرة في سنة إحدى وخمسمائة، ومدح الأفضل، ومات في سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وخمسمائة، وقد ترشح للنقابة بمصر ولم ينلها مع تطلعه إليها، وذيل كتاب أبي الغنائم الزيدي النسابة، ومن شعره بديها، وقد نام مع جاريته على سطوح فطلع القمر عليهما فارتاعا من كشف الجيران عليهما:

ولما تلاقينا وغاب رقيبنا ... ورمت التشكي في خلو وفي سر

بدا ضوء بدر فافترقنا لضوئه ... فيا من رأى بدرا ينم على بدر

وأهل المطالب يذكرون أن الأفضل وجد بموضع الصهريج مطلبا، فختم عليه أشهرا إلى أن نقله وعمله صهريجا وبنى عليه هذا المسجد، وهذا الشرف الذي عليه جامع الفيلة منظرة في غاية الحسن، لأن في قبليه بركة الحبش وبستان الوزير المغربي والعدوية ودير النسطورية وبئر أبي سلامة، وهي بئر مدورة برسم الغنم، وبئر النعش، كان يستقي منها أصحاب الزوايا، وهي بجوار عفصة الصغرى، وهي بئر أبي موسى بن أبي خليد، وسميت بئر النعش لأنها على هيئة النعش، وماؤها يهضم الطعام

وهو أصح الأمواه، وشرقي هذا الجبل: جبل المقطعم والجبانة والمغافر والقرافة وآخر الأكحول وريحان ورعين والكلاع والأكسوع، وغربي هذا الجبل: المعشوق والنيل وبستان اليهودي إلى القبلة، وطموه والأهرام وراشدة، وبحري هذا الجبل بستان الأمير تميم، وقنطرة خليج بني وائل، ودير المعدلين، وعقبة يحصب، ومحرى قسطنطين، والشرف وغير ذلك. وهذا الجامع لا تقام فيه اليوم جمعة ولا جماعة لخراب ما حوله من القرافة وراشدة، وينزل فيه أحيانا طائفة من العرب بإبلهم يقال لهم المسلمية، وعما قليل يدثر كما دثر غيره.." <المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٧٨/٤>

"أجرت الهدى يا ابن المجير فأصبحت ... عليك ثنايا تثنى وتبسم

لك الحمد عن آل النبي محمد ... ومثلك من يستوجب الحمد منهم

كفلت لهم أن يكتشف الغم عنهم ... ولو أنه قطع من اليل مظلم

كأنك ما في الأرض غيرك مؤمن ... ولي ولا في الخلق غيرك مسلم

حسرت لثام الخوف عن وجه ملكهم ... ووجهك بالنقع المثار ملثم

جلوت جبينا مثل سيفك أبيضا ... عليه قناع بالعجاجة أقتم

وذدت الأعادي عن حريم خلائف ... حمى حلها سيف بكفك مخرم

لعمري لقد فرجت عن مصر غمة ... تشيب لها الأهرام خوفا وتهرم

ويا طالما كشفت عنها عظيمة ... يكاد لها وجه المقطم يخطم

ولولا دفاع الله عنها بشاور ... لأمسى عليها للمذلة ميسم

وغادرها غدر الزمان وريبه ... وأكثر من فيها يتيم وأيم

ولكن تلافاها أبو الفتح ناظما ... فرائد شمل لمنكن قط تنظم

لئن بلغت من كافر لك حجة=لقد شيعت في شاكر لك أنعم

فما يتقى كسر وجودك جابر ... ولايشتكى جرح وسيفك مرهم

رفعت ببسط العدل كل ظلامة=ومالك من جور الندى يتظلم." <النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/٣٦١>

"الشيخ علاء الدين

كان من جملة كتاب الإنشاء بدمشق وكان متشددا لا يكتب إلا شيئا يوافق الشرع وإن كان غير ذلك لم يكتبه طلب الاعفاء من كتابة الإنشاء وسأل أن يكون نظير معلومه على الجامع الأموي للأشغال فأجيب إلى ذلك

كان يدرس بالقليجية الشافعية وكان قليل الكلام ملازم الصمت منجمعا عن الناس منقبضا لا يتكلم فيما لا يعنيه مكبا على الاشتغال يكرر على محفوظاته الليل والنهار يحب الكتب ويجمعها خلف لما مات ألفي مجلدة وكان معه عدة وظائف يباشرها بما يقارب الألف درهم في كل شهر

توفي في شهر جمادى الأولى سنة أربعين وسبع مائة

بهاء الدين ابن إمام الشمهد محمد بن علي بن سعيد المعروف بابن إمام المشهد

مولده في ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مائة قرأ القرآن الكريم وأتقنه بالروايات السبع واشتغل بالعربية على الشيخ مجد الدين التونسي والشيخ نجم الدين القحفازي وقرأ الفقه على الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين وكتب الخط المليح الظريف

وتوجه إلى حلب ثم إلى طرابلس وأقام بها مدة وثم عاد إلى دمشق وأقام بها مدة ثم توجه إلى مصر وحضر بين يدي السلطان الملك الناصر على الأهرام وولاه تدريس المدرسة الأمينية بدمشق وحضر إليها على البريد

وهو مجموع متناسب الحسن أخلاقه حسنة وشكالته تامة مليحة ووجاهته رائعة المنظر

جمع كتاب الأحكام وجوده في ست مجلدات وتناولته منه وأجازني رواية ما له تسميعه بديوان الإنشاء بدمشق في المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة وتلا بالسبع على الكفري وسمع بمصر والإسكندرية وحلب وأم بدار الحديث ثم بمسجد الكنيسة ودرس بالقوصية

الشيخ محمد الغزي محمد بن علي بن محمد شمس الدين أبو عبد الله المصري مولدا الغزي منشأ

سألته عن مولده فقال في سنة خمس وثمانين وست مائة اقام بغزة مدة وبدمشق مدة وبمصر وبصفد وحماة وحلب وخالط الناس وعاشر فيه خفة روح وكيس وظرف وينظم الشعر الجيد)

ويكتب الخط المنسوب ويعرف النجامة والأسطرلاب والرمل

أنشدني غير مرة بدمشق وصفد وبالقاهرة وحماة جملة كثيرة من شعره ونادم الملك الأفضل صاحب حماة فيما أظن وقربه وأدناه وحنا عليه ورتب له الدراهم والخبز واللحم

ومن شعره نقلته من خطه وأنشدنيه من لفظه

(بأبي غزال غزل هدب جفونه ... يكسو الضنى صبا أذيب بصده)

(يروي حديث السقم جسم محبه ... عن جفنه عن خصره عن عهده)

وأنشدني ما نقلته من خطه له

(ما رأى الناس قبل قامة حبي ... وعذاريه حول محمر خد)." <الوافي بالوفيات الصفدي ١٥٧/٤>

"(حتى إذا أبصرت بعض الذي كرهت ... مما يشق من الأولاد في خلق)

(هزت بهم مهدها شيئا تنهنههم ... ثم استشاطت وآل الطبع للخرق)

(فصكت المهد غضبي فهي لافظة ... بعضا على بعضهم من شدة النزق)

ومنه في النار

(كأنما نارنا وقد خمدت ... وجمرها بالرماد مستور)

(دم جرى من فواخت ذبحت ... من فوقه ريشهن منثور)

ومنه في الأهرام

(قد كان للماضين من ... أرباب مصر همم)

(فالفضل عنهم فضلة ... والعلم فيهم علم)

(إن انقضت أعلامهم ... وعلمهم وانصرموا)

(فاليوم مصر عدم ... إن كان يرجى العدم)

(وانظر تراها ظاهرا ... باد عليها الهرم)

قلت شعر متوسط والمقطوع الذي في النار جيد إلى الغاية وكان سمعه قد صم فاتفق أن اجتمع يوما بسيف الدين المشد وتوهم أنه سمع منه كلاما لا يليق به فعاتبه فقال المشد أبياتا يعرض بذكر كتابيه المسالك وفصل الخطاب)

أيها العالم الذي زين العصر بما حازه من الآداب

(والذي أعجز الأفاضل كالجا ... حظ فبما أتى به والصابي)

أنت تدري بأن سمعك والله المعافي في غاية الإضطراب

(لست بالسامع الذي يدرك القو ... ل سراعا فيهتدي للجواب)

وفساد الحواس في خلل الفهم يقينا من أعظم الأسباب

(إن ذا الناظر المعيب وحاشا ... ك يخال العقاب مثل الذباب)

وعليل المذاق يشتبه الطعم عليه في شهده بالصاب وإذا صح ما أقول فلا يعد أن قد سمعت ضد الصواب

(لم أزل فيك مسهبا ولما حز ... ت من الفضل دائم الإطناب)

(رجب قد علمت وهو أصم ... عظمته أفاضل الأعراب)

(وكذاك الرماح توصف بالص ... م إذا أصبحت صحاح الكعاب)

(والحساب الأصم أحسن شيء ... عجزت عنه عامة الحساب)

(والصخور الصم المنيعات تسمو ... غيرها من حجارة وهضاب)." <الوافي بالوفيات الصفدي ١٨٩/٨>

"فقال الأعيمي:

يا حسن حمامنا وبهجته ... مرأى من السحر كله حسن

ماء ونار حماها كنف ... كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال:

ليس على لهونا مزيد ... ولا لحمامنا ضريب

ماء وفيه لهيب نار ... كالشمس في ديمة تصوب

وأبيض تحته رخام ... كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقي:

حمامنا فيه فصل القيظ يحتدم ... وفي للبرد عسر غير ذي ضرر

ضدان ينعم جسم المرء بينهما ... كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال الأعيمي وقد نظر فيه إلى فتى صبيح:

هل استمالك جسم ابن الأمين وقد ... سالت عليه من الحمام أنداء

كالغصن باشر حر النار من كثب ... فظل يقطر من أعطافه الماء

قال علي بن ظافر

وذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا متنزهين إلى الأهرام ليروا عجائب مبانيها، ويقرءوا ما سطر الدهر من العبر فيها، فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز، وأنشد:

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا ... على ما رأت عيناك من هرمي مصر

أنافا بأكنان السماء وأشرفا ... على الجو إشراف السماك على النسر

وقد وافيا نشزا من الأرض عاليا ... كأنهما نهدان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر بن الحداد:

تأمل هيئة الهرمين وانظر ... وبينهما أبو الهول العجيب

كعمارتين على رحيل ... بمحبوبين بينهما رقيب

وفيض البحر عندهما دموع ... وصوت الريح بينهما نحيب

وظاهر سجن يوسف مثل صب ... تخلف، فهو محزون كئيب

وأخبرني الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسي الحلبي

قال: اجتمع مهذب الدين أبو الحسين بن منير والشيخ أبو عبد الله محمد بن." <بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٣٦>

"جمال الدين بن رواحة فاضلا لطيفا، فقال لي: بالله عليك إلا أنشدت قبلي، فقد رأيتك عملت أكثر مني، وكنت إلى جانبه فأنشدت ما قلت، وهو:

ختام عذلك قد اسرفت في عذلي ... قلبي من الوجد ملآن وأنت خلي

أعاذك الله من وجدي ومن كلفي ... ومن غرامي ومن خوفي ومن وجلي

لو كان يا سعد لطوفان ما ذرفت ... عيناي ما استعصم المغرور بالجبل

بمهجتي راشق لي قوس حاجبه ... كأنما الطرف رام من بني ثعل

يميل عطفاه من سكر الصبا مرحا ... كما تمايل عطف الشارب الثمل

ما لاحت الشمس في رأد الضحى وبدا ... للشمس إلا رماها الطفل بالطفل

يا حامل الصارم الهندي منتصرا ... ضع السلاح قد استغنيت بالكحل

ما يفعل الظبي بالسيف الصقيل وما ... ضرب الصوارم مع ضرب من المقل!

قد كنت في الناس سنيا فما برحت ... بي شيعة الحسن حتى صرت عبد علي

وأخبرني الأديب راجح بن إسماعيل الحلي

قال: خرجنا مع مهذب الدين أبي الحسن علي بن نظيف أيام كتابته للملك المعز إسحاق بن عبد الملك الناصر - رحمه الله تعالى - إلى الأهرام للتنزه، ومعه الأديب بهاء الدين ابن الساعاتي، والجمال؟ ابن تاج البغدادي والمهذب ابن الخيمي والأوحد المعروف بالواسطي، فاتفق أن كبت به بغلته، ثم وثبت ورفعت يديها، فتعاطينا القول في ذلك، فبدر بهاء الدين ابن الساعاتي، فقال:

قيل مادت من تحت ذا السيد الأر ... ض ولم تأتنا بمثال

هو طود النهى ومن أعجب الأشياء أرض تميد تحت الجبال

وقال ابن التاج:

جلست بغلة الأمين ترينا ... صدق حس كأنه إلهام

أظهرت ميزة على النوع إذ أصبح في الحسن ذا علا لا يرام

نحن في خدمة قيام لديه ... ثم بغلاتنا لديه قيام

وقال الواسطي:

لم تكب بغلتك الخضراء من خور ... يا من هو اليوم للإسلام مسعده." <بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٤١>

"تمرينات على المجاز المرسل والاستعارة:

تمرين١:

١- بين ما فيه مجاز مرسل، وما فيه استعارة من هذين البيتين:

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ... ندامة، ولحصد الزرع إبان

ولم يبق سوى العدوا ... ن دناهم كما دانوا

٢- ما نوع الاستعارة، وما قرينتها في قول الشاعر:

إذا ما الدهر جر على أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا؟

تمرين٢:

١- وردت "دما" فيما يأتي مجازا مرسلا واستعارة؛ فبينهما:

فتى كلما فاضت عيون قبيلة ... دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

أكلت دما إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

٢- كيف تجري الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية في قول الشاعر:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق؟

تمرين٣:

١- كيف جرت الاستعارة في العلم من قول الشاعر:

لقد حان توديع العميد وإنه ... حقيق بتشييع المحبين والعدا

فلم لا نرى الأهرام يا نيل ميدا ... وفرعون عن واديك مرتحل غدا؟

٢- كيف تجري الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: ﴿الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ [الأحزاب: ٧٢] ؟

تمرين٢:

بين الاستعارة المطلقة والمرشحة والمجردة في الأبيات الآتية:

١-

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ... ظواهر جلد وهو للقلب جارح." <بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي ٥٣٦/٣>

"بالتكبير، ثم يأتوا مدينة هرقل فيجدوا خليجها بطحاء، ثم يفتحونها بالتكبير (١٩٧- ظ) ثم يأتوا فيكبروه الله تكبيرة فتسقط جدارا من جدرها، ثم يكبرون تكبيرة أخرى فتسقط جدارا آخر، ثم يكبرون تكبيرة أخرى فتسقط جدارا آخر، ثم لا يبقى جدارها البحري إلا سقط، ويسيرون إلى روميه فيفتحونها بالتكبير فيكيلون بها غنائمهم كيلا بالفرايق.

قال أبو الحسين بن المنادي: وحدثنا علي بن داود قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثني الليث بن سعد قال: حدثني أبو قبيل المعافري عن عبد الله بن عمرو أنه قال فيما كان يسأل عنه من الملاحم: إن رجلا من أعداء المسلمين بالأندلس يقال له ذو العرف يجمع من قبائل الشرك جمعا عظيما، فيعرف من بالأندلس أنه لا طاقة لهم به فيهرب أهل القوة من المسلمين في السير فيجوزون إلى طنجة، ويبقى ضعفة المسلمين وجماعتهم ليس لهم سفن يجوزون فيها، فيبعث الله لهم وعلا يبين لهم الأرض في البحر فيجوزون فلا يبطن الماء أظلافه فيفطن له الناس، فيقول بعضهم لبعض اتبعوا الوعلة، فيجوز الناس كلهم على أثره، ثم يرجع البحر قلا على ما كان عليه قبل ذلك، ثم يجوز العدو في المراكب، فإذا أحسسهم أهل إفريقية هربوا كلهم من إفريقية ومعهم من كان بالأندلس من المسلمين حتى يقتحمون الفسطاط هربا من ذلك العدو حتى ينزلوا فيما بين ترنوط الى الأهرام مسيرة خمسة (١٩٨- و) برد، فيصلون هنالك تترى، فتخرج إليهم راية المسلمين على الجسر

فينصرهم الله عليهم فيهزمونهم ويقتلونهم إلى نوبية مسيرة عشر ليال من النيل، فيوقد أهل الفسطاط بعجلهم وأداتهم سبع سنين وينقلب ذو العرف من أهل القتل ومعه كتاب قد كتب له وأمر أن لا ينظر فيه حتى يقدم مصر، فينظر فيه وهو منهزم، فيجد فيه ذكر الإسلام، وأنه يؤمر بالدخول فيه إذا قرأ ذلك الكتاب، فيسأل الأمان على نفسه وعلى من أجابه إلى الإسلام الذين انفلتوا معه من القتل، فيسلم ويصير مع المسلمين ثم يأتي." <بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم <٤٨٧/١

"وبها الأهرام القديمة المعجزة البناء الغريبة المنظر البديعة الإنشاء كأنها القباب المضروبة قامت في جو السماء، ولا سيما الاثنان منها يقصر الجو بهما سموا واتساعا ارتفاعها مائة ذراع بالذراع الكبيرة من أحد أركانها إلى الركن الثاني ثلاثمائة خطوة وست وستون خطوة وأقيمت من الصخر العظام تركيبها بديع الإلصاق، وهي محدودة الأطراف لا سبيل إلى الصعود إليها إلا على خطر ومشقة فتلقى أطرافها المحدودة كأوسع ما يكون بين الرحاب لو رام أهل الأرض بناءها لا عجزهم ذلك وبها كان يجعل الطعام في أيام يوسف عليه السلام، وعلى النيل رجل مبني من صخرة فيه علامات لخروج النيل في زيادته ونقصانه وقد وكل به قوم يتعاهدونه فإذا خرج سقى جميع ضياعهم ومزارعهم وهم يزرعون على ذلك السقي ولا يحتاج زرعهم إلى سقي آخر بقدرة السميع العليم، ومخرج النيل من جبل القمر ولا يكاد يتوصل إليه أحد لبعد المشقة وطول المسافة وفي كتاب الاكتفاء ما نصه، وكان عمرو بن العاص يقول ولآية مصر جامعة تعدل الخلافة وقال نيل مصر سيد الأنهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فإذا أراد الله أن يجريه أمر الأنهار فأمدته بمائها وفجر له الأرض عيونا فإذا انتهت جريته إلى ما أراد الله سبحانه أوحى كل ماء ان يرجع إلى عنصره انتهى، ثم جلنا من مصر في أعظم المصر، وحللنا منها اكرم المحل واسنى القطر، واجتليناها أوضح من البدر عند الفجر وأعطر من الزهر غب القطر فنسي كل ذي غربة وطنه وود ان لو قطع فيها عمره وزمنه وكفاك منها قول القائل:

لعمرك ما مصر بمصر وإنما ... هي الجنة الدنيا لمن يتبصر

فأولادها الولدان والحور عينها ... وروضتها الفردوس والنيل كوثر." <تاج المفرق في تحلية علماء المشرق خالد البلوي ص/٣٤<

"و"الشهيد الجراحي" الذي سقط برصاص الإنجليز سنة ١٩٣٥، كما نجد له قصائد في مدح أنطون الجميل، ودسوقي أباظة، وعزيز أباظة وعبد الحميد عبد الحق، وإبراهيم عبد الهادي، والدكتور علي إبراهيم، والدكتور زكي مبارك، والفنان سامي الشوا١، وأخيرا نجد له قصائد في المناسبات التي كانت تتلمسها "جماعة أدباء العروبة"، وبعض هذه القصائد يصل إلى حد الفكاهة والحديث عن بعض الأمور التافهة٢.

ونجد لعلي محمود طه بعض القصائد الوطنية والقومية، كقصائد: "على النيل"، و"مصر" و"عودة المحارب"، وكقصائد "يوم فلسطين" و"شهيد ميسلون" و"بطل الريف" و"الأمير المجاهد٣، كما نجد له قصائد في بعض المناسبات العربية والمحلية، كقصيدته في تحية زعماء العروبة بمناسبة اجتماعهم في القاهرة سنة ١٩٤٤؛ لتكوين الجامعة العربية، وكقصيدته في رثاء جبرائيل تقلا صاحب الأهرام٤.

---

١ اقرأ قصائد المناسبات في ديوان ناجي ص٤٩، ٦٢، ٦٤، ٨١، ٨٣، ١٠٤، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٩، ١٩٣، ٢٠٦، ٢٣٩، ٢٥٢، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠٣.

٢ كانت جماعة أدباء العروبة جماعة أدبية معظمها من الشعراء، وكان يرأسها الأستاذ الدسوقي أباظه، الذي كان يحب الشعر والشعراء، وكانت هذه الجماعة تقيم مهرجانات شعرية في القاهرة والأقاليم، وتتلمس لتلك المهرجانات المناسبات الرسمية، وغير الرسمية، وكانت بعض لقاءات هذه الجماعة في دار الدسوقي أباظه، وكان للشعراء في هذه اللقاءات أشعار تخرج كثيرا عن معدن الشعر الحق، ورسالته الكريمة. انظر: ديوان ناجي ص٢٠٦.

٣ هذه القصائد في ديوان "شرق وغرب" الصادر سنة ١٩٤٧.

٤ هاتان القصيدتان في ديوان "الشوق العائد" الصادر سنة ١٩٤٤.

وكان له في ديوان الأول "الملاح التائه" قصائد مثل: "الأجنحة المحترقة"، وهي في طيارين مصريين احترقت طائرتهما في سماء فرنسا، ومثل "إلى سيد درويش" و"الملك البطل"، وهي في الملك العراق فيصل الأول. ومثل "قبر شاعر"، وهي في الشاعر المهجري فوزي المعلوف، ومثل "حافظ إبراهيم" و"شوقي" و"عدلي يكن".." <تطور الأدب الحديث في مصر أحمد هيكل ص/٣٢٨>

"واغتالت فاسد الأهواء، وباطل الآراء، وأحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا لا يشبه خلقا جسدانيا، فصل عن الموكب الإلهي، واتصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى ونما به إلى مشهد النور الأجلي، وسكن به إلى عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس، وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة وأولياء أمر الأمة، يعرفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع ارتياب ويحذرهم مزالق الاضطراب ويرشدهم

إلى دقائق السياسة ويهديهم طريق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرياسة ويصعدهم شرف التدبير ويشرف بهم على حسن المصير.

"وصف حفلة لمحمد بك المويلحي"

لو كان لليالي لسان ينطق بالفخار وجنان يجري بنظم الأشعار لأنشدت ليلة الحفلة (الخديوية) قصيدة تسجل لها في ديوان العصور والدهور ما لم تبلغه ليلة قبلها في تكامل الفرح والسرور ولو كان الدهر يفصح لنا يوما عن انشراحه وابتهاجه لأنبأنا بأنه ادخرها غرة لجبينه ودرة لتاجه لا زالت أيام الجناب العالي ولياليه مشرقة بالسعد والهناء متألقة تألق البدور في أفق السماء.

"وصف أيضا متحفا من مقامة له"

قال عيسى بن هشام زايلنا الأهرام وخليناها تندب من شادها وتنعي من بناها وملنا إلى دار التحف ومستودع الآثار لمشاهدة ما حفظته لنا من صنوف الطرف وعيون الأخبار وما أخرجته الأيام من عالم الخفاء إلى عالم الظهور بعد أم كان سرا مكتوبا في خواطر العصور والدهور وما صانته بطون القبور من الفناء والدثور وحمته أحشاء الرموس من العفاء والدروس وما أخبته." <جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ١/٣٧٧>

"شديد النقد لشعره كثير التبديل والتحويل فيه حتى إذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسيه، ومن قوله يصف الأهرام:

لا القوم قومي ولا الأعوان أعواني ... إذا ونى يوم تحصيل العلى وان

ولست أن لم يؤيدني فراعنة ... منكم بفرعون عالي العرش والشان

ولست جبار ذا الوادي إذا سلمت ... جباله تلك من غارات أعواني

لا تقربوا النيل إن لم تعلموا عملا ... فماؤه العذب لم يخلق لكسلان

ردوا المجرة كذا دون مورده ... أو فاطلبوا غيره ريا لظمآن

وابنوا كما بنت الأجيال قبلكم ... لا تتركوا بعدكم فخرا لإنسان

أمرتكم، فأطيعوا أمر ربكم ... لا يئن مستمعا عن طاعة ثان

فالملك أمر وطاعات تسابقه ... جنبا لجنب إلى غايات إحسان

لا تتركوا مستحيلا في استحالته ... حتى يميط لكم عن وجه إمكان

مقالة قد هوت من عرش قائلها ... على مناكب أبطال وشجعان

مادت لها الأرض من ذعر ودان لها ... ما في المقطم من صخر وصوان

لو غير فرعون ألقاها على ملأ ... في غير مصر لعدت حلم يقظان

لكن فرعون إن نادى جبلا ... لبت حجارته في قبضة الباني

وآزرته جماهير تسيل بها ... بطاح واد بماضي القوم ملآن

يبنون ما تقف الأجيال حائرة ... أمامه بين إعجاب وإذعان

من كل ما لم يد فكر ولا فتحت ... على نظائره في الكون عينان

ويشبهون إذا طاروا إلى عمل ... جنا تطير أمر من سليمان

برا بذي الأمر لا خوفا ولا طمعا ... لكنهم خلقوا طلاب إتقان." <جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢/٢٥٠>

"مجالات الإصلاح لا يعتبر هذا أو ذاك جمودا وبلا أدنى عاطفة أو تعاطف، يعتبر فكر الإخوان هو الذي بعث الحياة والحركة من جديد في المفاهيم الإسلامية التي ظلت راكدة ردحا كبيرا من الزمن .. ولا أظن اليساريين يرضون أن يتهموا بالجمود والرجعية لأنهم ملتزمون بفكر ماركس أو إنجلز أو لينين ..

ثم من أين للكاتب أن فكر الإخوان قد رفض الحضارة الغربية رفضا مطلقا؟ إن فكر الإخوان يقوم أي فكر حضاري بمقياس الإسلام فهل يطلب منهم أن يقبلوا أو يتقبلوا حضارة مزعومة مناقضة للإسلام؟ إن الفكر الحضاري الذي يمكن أن يعيد الإنسانية هو في نظر الفكر الإسلامي فكر مقبول شكلا وموضوعا وأعجب من هذا أن الكاتب نقل من جريدة " الأهرام " خبرا هو في حد ذاته دليل عليه لا له والعجيب أن تاريخ نشر الخبر هو يناير عام ١٩٣٠ أي بعد إنشاء دعوة الإخوان بأقل من عامين يقول الخبر:

«إن الإخوان يقدمون للبيئة المصرية معهدا علميا متكاملا بإنشائها قسما ليليا للغات الحية، وآخر للفنون الجميلة، نذكر منها:

الموسيقى الشرقية وفن التمثيل من الناحية الأخلاقية، وأنشأت قسما للحفر - بالإضافة إلى القسم الرياضي - وبجانب هذه الأقسام اهتمت الجماعة." <حسن البنا الرجل والفكرة محمد عبد الله السمان ص/١٠٤>

"بتكوين مكتبة عامرة بالمؤلفات النفيسة والمطبوعات مما جعلها مرجعا وافيا بحاجة الأعضاء».

لقد نشر الكاتب ما نشرته جريدة " الأهرام " من زاوية خاصة به فقد لاحظ أن جريدة " الأهرام " المحافظة تتابع - بصورة غريبة - نشاط الجماعة مقرظة، ومؤيدة، ولست أدري ماذا يقصد الكاتب بهذا الكلام .. ؟ هنا يمكن أن نقول: إن المعنى في بطن الشاعر ..

وبعد ..

فقد حاول الكاتب ألا يكون كاتبا متجردا، فإن الاتهامات التي وجهها إلى الرجل والفكرة، وإلى سلوك الجماعة .. وإن التحليلات التي اتسمت بالهوى، والتي خرج منها الكاتب بمجموعة من الهجوم والتهجم، والسخرية والتهكم، ليشوه صورة

الفكر والرجل والجماعة، هذه أو تلك لا تجعلنا ننكر حق الكاتب في إبداء رأيه حرا .. أو نحمله فوق طاقته كي يكون مؤرخا متجردا وخلاصة ما نود أن نقوله: ليس مثيرا للدهشة أن يصدر هذا الكتاب عن كاتب يساري ملتزم .. وإنما المثير حقا ألا يصدر عنه مثل هذا الكتاب .. ورحم الله الشاعر العربي:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ... * ... * ولكن عين السخط تبدي المساويا

ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه .. !

* * *." <حسن البنا الرجل والفكرة محمد عبد الله السمان ص/١٠٥>

"فثوروا عليه الغاغة، وألجئوا ملكهم إلى قتله، فحبسه ثم سقاه السم (١) .

وذكر في أفلاطون أنه ابن أرسطن بن أرسطوقليس، وأنه آخر المتقدمين الأوائل الأساطين؛ معروف بالتوحيد والحكمة، ولد في زمان أزدشير بن دارا، وأخذ عن سقراط وجلس على كرسيه بعد موته (٢) .

وذكر أرسطا ليس أنه ابن نيقوماخوس، وأنه أخذ عن أفلاطون (٣) .

وقال ابن فضل الله (٤) في المسالك: الهرامسة ثلاثة: هرمس المثلث، ويقال له إدريس عليه الصلاة والسلام؛ كان نبيا، وحكيما، وملكا. وهرمس لقب، كما يقال كسرى وقيصر. قال أبو معشر: هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية، وأول من بنى الهياكل، ومجد الله فيها، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه، وأنذر بالطوفان؛ وكان يسكن صعيد مصر، فبنى هناك الأهرام والبرابي، وصور فيها جميع الصناعات، وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده حرصا منه على تخليد العلوم بعده، وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، ورفعه إليه مكانا عليا.

وأما هرمس الثاني فإنه من أهل بابل.

وأما هرمس الثالث، فإنه سكن مدينة مصر؛ وكان بعد الطوفان. قال ابن

---

(١) الملل والنحل ٢: ٨٩.

(٢) الملل والنحل ٢: ٩٤.

(٣) الملل والنحل ٢: ١٣٨.

(٤) مسالك الأبصار في عجائب الأمصار؛ لأحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري، المتوفى سنة ٧٤٩؛ قال ابن شاكر: كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله، طبع الجزء الأول منه بمطبعة دار الكتب المصرية.." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ١/٦٢>

"ذكر الأهرام:

قال ابن عبد الحكم: في زمان شداد بن عاد، بنيت الأهرام كما ذكر عن بعض المحدثين. قال: ولم أجد عند أحد من أهل المعرفة من أهل مصر في الأهرام خبرا يثبت، وفي ذلك يقول الشاعر:

حسرت عقول أولي النهى الأهرام ... واستصغرت لعظيمها الأحلام (١)

ملس منبقة (٢) البناء شواهق ... قصرت لعال دونهن سهام

لم أدر حين كبا التفكر دونها ... واستوهمت لعجيبها الأوهام (٣)

أقبور أملاك الأعاجم هن أم ... طلسم رمل كن أم أعلام؟

قال: ولا أحسب إلا أنها بنيت قبل الطوفان لأنها لو بنيت بعد الطوفان لكان علمها عند الناس (٤) .

قال جماعة من أهل التاريخ: الذي بنى الأهرام سوريد بن سلهوق بن شرياق ملك مصر؛ وكان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة؛ وسبب ذلك أنه رأى في منامه كأن الأرض انقلبت بأهلها، وكأن الناس هاربون على وجوههم، وكأن الكواكب تساقطت، ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة، فأغمه ذلك وكتمه، ثم رأى بعد ذلك كأن الكواكب الثابتة نزلت إلى الأرض في صورة طيور بيض، وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين، وكأن الجبلين انطبقا عليهم، وكأن الكواكب النيرة مظلمة؛ فانتبه مذعورا، فجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر –وكانوا مائة وثلاثين كاهنا

---

(١) فتوح مصر ١ من نسخة بحاشية الأصل: "الأجرام".

(٢) ياقوت: "يعجيبها".

(٣) في الأصول: "صلاصم رجل"، والصواب ما أثبته من فتوح مصر.

(٤) فتوح مصر ٤٢، معجم البلدان ٧: ٤٥٧.." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٧٠/١>

"وكبيرهم يقال له أفليمون– فقص عليهم، فأخذوا في ارتفاع الكواكب، وبالغوا في استقصاء ذلك، فأخبروا بأمر الطوفان. قال: أويلحق بلادنا؟ قالوا: نعم، وتخرب وتبقى عدة سنين. فأمر عند ذلك ببناء الأهرام، وأمر بأن يعمل لها مسارب يدخل منها النيل إلى مكان بعينه، ثم يفيض إلى مواضع من أرض المغرب وأرض الصعيد، وملأها طلسمات وعجائب وأموالا وخزائن وغير ذلك، وزبر فيها جميع ما قالته الحكماء، وجميع العلوم الغامضة وأسماء العقاقير ومنافعها ومضادها وعلم الطلسمات والحساب والهندسة والطب، وكل ذلك مفسر لمن يعرف كتابتهم ولغاتهم. ولما أمر ببنائها قطعوا الأسطوانات العظام والبلاطات الهائلة، وأحضروا الصخور من ناحية أسوان، فبنى بها أساس الأهرام الثلاثة، وشدها بالرصاص والحديد والصفر، وجعل أبوابها تحت الأرض بأربعين ذراعا، وجعل ارتفاع كل واحد مائتي ذراع بالملكي، وهي خمسمائة ذراع بذارعنا الآن، وجعل ضلع كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بالملكي أيضا. وكان ابتداء بنائها في طالع سعيد؛ فلما فرغ منها كساها ديباجا ملونا من فوق إلى أسفل، وجعل لها عيدا حضره أهل مملكته كلها، ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا مملوءة بالأموال الجمة، والآلات، والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة، وآلات الحديد الفاخر، والسلاح الذي ما يصدأ، والزجاج الذي لا ينطوي ولا ينكسر، والطلسمات الغريبة، وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة، والسموم القاتلة، وغير ذلك. وعمل في الهرم الشرقي أصناف القباب الفلكية والكواكب، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن التي يتقرب بها إليها ومصافحها، وجعل في الهرم الملون أخبار الكهنة في توابيت من صوان أسود، مع كل كاهن مصفحة. وفيها عجائب صنعته وحكمته وسيرته، وما عمل في وقته وما كان وما يكون من أول الزمان إلى آخره، وجعل لكل هرم خازنا، فخازن الهرم الغربي

من حجر صوان واقف، ومعه شبه الحربة، وعلى رأسه حية مطوقة." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٧١/١>

"من قرب منه وثبت إليه من ناحية قصده، وطوقت على عنقه فتقتله، ثم تعود إلى مكانها. وجعل خازن الهرم الشرقي صنما من جزع أسود، وله عينان مفتوحتان براقتان، وهو جالس على كرسي، ومعه شبه حربة إذا نظر إليه ناظر سمع من جهته صوتا يفزع قلبه، فيخر على وجهه، ولا يبرح حتى يموت، وجعل خازن الهرم الملون صنما من حجر البهت (١) على قاعدة، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلتصق به، ولا يفارقه حتى يموت.

وذكر القبط في كتبهم أن عليها كتابة منقوشة وتفسيرها بالعربية: "أنا سوريد الملك، بنيت الأهرام في وقت كذا وكذا، وأتممت بناءها في ست سنين، فمن أتى

بعدي، وزعم أنه مثلي فليهدمها في ستمائة سنة، وقد علم أن الهدم أيسر من البناء، وإني كسوتها عند فراغها بالديباج، فليكسها بالحصر".

ولما دخل الخليفة المأمون مصر، ورأى الأهرام، أحب أن يعلم ما فيها، فأراد فتحها، فقيل له: إنك لا تقدر على ذلك، فقال: لا بد من فتح شيء منها، ففتحت له الثلمة المفتوحة الآن بنار توقد وخل يرش وحدادين يحدون الحديد ويحمونه، ومناجيق يرمى بها. وأنفق عليها مالا عظيما حتى انفتحت، فوجد عرض الحائط عشرين ذراعا؛ فلما انتهوا إلى آخر الحائط، وجدوا خلف النقب مطمرة من زبرجد أخضر، فيها ألف دينار، وزن كل دينار أوقية من أواقينا؛ فتعجبوا من ذلك، ولم يعرفوا معناه. فقال المأمون: ارفعوا إلي حساب ما أنفقتم على فتحها، فرفعوه؛ فإذا هو قدر الذي وجدوه، لا يزيد ولا ينقص، ووجدوا داخله بئر مربعة، في تربيعها أربعة أبواب، يفضي كل باب منها إلى بيت فيه أموات بأكفانهم، ووجدوا في رأس الهرم بيتا فيه حوض من الصخر، وفيه صنم كالآدمي من الدهنج (٢) ، وفي وسطه إنسان عليه

---

(١) البهت: نوع من الأحجار.

(٢) الدهنج: جوهر كالزمرد.." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٧٢/١>

"درع من ذهب مرصع بالجواهر، وعلى صدره سيف لا قيمة له، وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة، ضوءه كضوء النهار، عليه كتابة بقلم الطير، لا يعلم أحد في الدنيا ما هي. ولما فتحه المأمون، أقام الناس سنين يدخلونه وينزلون من الزلاقة التي فيه، فمنهم من يسلم، ومنهم من يموت.

وقال صاحب المرآة: من عجائب مصر الهرمان، سمك كل واحد خمسمائة ذراع في ارتفاع مثلها، كلما ارتفع البناء دق رأسهما حتى يصير مصل مفرش حصير، وهما من المرمر، وعليهما جميع الأقلام السبعة: اليونانية، والعبرانية، والسريانية، والسندية، والحميرية، والرومية، والفارسية. قال: وحكى جدي عن ابن المناوي، أنه قال: حسبوا خراج الدنيا مرارا فلم يف بهدمها.

قال صاحب المرآة: هذا وهم؛ فإن صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر بأن يؤخذ منها حجارة يبنى بها قنطرة وجسرا، فهدموا منها شيئا كثيرا.

قال: وحكى لي من دخل الهرم المفتوح، أنه وجد فيه قبرا، وأن فيه

مهالك، وربما خرج الإنسان في سراديب إلى الفيوم. قال: والظاهر أنها قبور ملوك الأوائل، وعليها أسماؤهم وأسرار الفلك والسحر وغير ذلك. قال: واختلفوا فيمن بنى الأهرام، فقيل: يوسف، وقيل: نمرود، وقيل: دلوكة الملكة، وقيل: بناها القبط قبل الطوفان، وكانوا يرون أنها مأمن، فنقلوا أموالهم وذخائرهم إليها، فما أغنى عنهم شيئا.

وحكى بعض شيوخ مصر أن بعض من يعرف لسان اليونان، حل بعض الأقلام التي عليها، فإذا هي: "بنى هذا الهرمان، والنسر الواقع في السرطان". قال: ومن ذلك الوقت إلى زمان نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– ستة وثلاثون ألف سنة. وقيل:." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ١/٧٣>

"اثنان وسبعون ألفا، وقيل: إن القلم الذي عليها تاريخه قبل بناء مصر بأربعة آلاف سنة ولا يعرفه أحد.

قال: ولما ملك أحمد بن طولون مصر، حفر على أبواب الأهرام فوجدوا في الحفر قطعة مرجان مكتوبا عليها سطورا باليوناني، فأحضر من يعرف ذلك القلم، فإذا هي أبيات شعر، فترجمت فكان فيها:

أنا من بنى الأهرام في مصر كلها ... ومالكها قدما بها والمقدم

تركت بها آثار علمي وحكمتي ... على الدهر لا تبلى ولا تتثلم

وفيها كنوز جمة وعجائب ... والدهر لين مرة وتهجم

وفيها علومي كلها غير أنني ... أرى قبل هذا أن أموت فتعلم

ستفتح أقفالي، وتبدو عجائبي ... وفي ليلة في آخر الدهر تنجم

ثمان وتسع واثنتان وأربع ... وسبعون من بعد المئين فتسلم

ومن بعد هذا جزء تسعين برهة ... وتلقى البرابي صخرها وتهدم

تدبر فعالي في صخور قطعتها ... ستبقى، وأفنى قبلها ثم تعدم

فجمع أحمد بن طولون الحكماء، وأمرهم بحساب هذه المدة، فلم يقدروا على تحقيق ذلك، فيئس من فتحها.

قال صاحب مباهج الفكر: ومن المباني التي يبلى الزمان ولا تبلى، وتدرس معالمه وأخبارها لا تدرس ولا تبلى، الأهرام التي بأعمال مصر، وهي أهرام كثيرة، أعظمها الهرمان اللذان بجيزة مصر، ويقال: إن بانيها سوريد بن سهلوق بن شرياق، "بناهما (١) قبل الطوفان لرؤيا رآها، فقصها على الكهنة، فنظروا فيما تدل عليه الكواكب النيرة من أحداث تحدث في العالم، وأقاموا مراكزها في وقت المسيلة فدلت على أنها

---

(١) ساقطة من الأصل، وهي في ح، ط.." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ١/٧٤>

"نازلة من السماء، تحيط بوجه الأرض، فأمر حينئذ ببناء البرابي والأهرام العظام، وصور فيها صور الكواكب ودرجها وما لها من الأعمال وأسرار الطبائع، والنواميس وعمل الصنعة. ويقال: إن هرمس المثلث الموصوف بالحكمة –وهو الذي تسميه العبرانيون أخنوخ، وهو إدريس عليه الصلاة والسلام– استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يوجد، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه من الذهاب والدثور، كل هرم منها مربع القاعدة مخروط

الشكل، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع وسبعة عشر ذراعا، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع؛ كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع في مثلها. ويقال إنه كان عليه حجر شبه المكبة، فرمته الرياح العواصف وهو مع هذا العظم؛ من إحكام الصنعة؛ وإتقان الهندسة، وحسن التقدير؛ بحيث إنه لم يتأثر الآن بعصف الرياح، وهطل السحاب، وزعزعة الزلازل؛ وهذا البناء ليس بين بين حجارته ملاط إلا ما يتخيل أنه ثوب أبيض، فرش بين حجرين، أو ورقة، ولا يتخلل بينهما الشعرة، وطول الحجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين. ويقال: إن بانيهما جعل لهما أبوابا على أدراج مبنية بالحجارة في الأرض؛ طول كل حجر منها عشرون ذراعا، وكل باب من حجر واحد يدور بلولب، إذا أطبق لم يعلم أنه باب، يدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت، كل بيت على اسم كوكب من الكواكب السبعة، وكلها مقفلة بأقفال، وحذاء كل بيت صنم من ذهب مجوف، إحدى يديه على فيه، في جبهته كتابة بالمسند، اذا قرئت انفتح فوه، فيؤخذ منه مفتاح ذلك القفل فيفتح به.

والقبط تزعم أنهما والهرم الصغير الملون قبور، فالهرم الشرقي فيه سوريد الملك، وفي الهرم الغربي أخوه هرجيب، والهرم الملون فيه أفريبون (١) ابن هرجيب.

والصائبة تزعم أن أحدهما قبر شيث، والآخر قبر هرمس، والملون قبر صاب

---

(١) ط: "أفريدون".." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٧٥/١>

"بن هرمس؛ وإليه تنسب الصابئة، وهم يحجون إليها، ويذبحون عندها الديكة والعجول السود، ويبخرون بدخن. ولما فتحه المأمون، فتح إلى زلاقة ضيقة من الحجر الصوان الأسود الذي لا يعمل فيه الحديد، بين حاجزين ملتصقين بالحائط، قد نقر في الزلاقة حفر يتمسك الصاعد بتلك الحفر، ويستعين بها على المشي في الزلاقة لئلا يزاق، وأسفل الزلاقة بئر عظيمة بعيدة القعر. ويقال: إن أسفل البئر أبواب يدخل منها إلى مواضع كثيرة، وبيوت ومخادع وعجائب، وانتهت بهم الزلاقة إلى موضع مربع في وسطه حوض من حجر جلد مغطى، فلما كشف عنه غطاؤه لم يوجد فيه إلا رمة بالية.

وقال ابن فضل الله في المسالك (١) : قد أكثر الناس القول في سبب بناء الأهرام؛ فقيل: هياكل الكواكب، وقيل: قبور ومستودع مال وكتب، وقيل: ملجأ من الطوفان. قال: وهو أبعد ما قيل فيها؛ لأنها ليست شبيهة بالمساكن.

قال: وقد كانت الصابئة تأتي فيحج الواحد ويزور الآخر، ولا تبلغ فيه مبلغ الأول في التعظيم.

قال: وأما أبو الهول [فهو صنم بقرب الهرم الكبير] (٢) في وهدة منخفضة (٣) ، وعنقه، أشبه شيء برأس راهب حبشي، على وجهه صباغ أحمر، لم يحل على طول الأزمان؛ يقال إنه طلسم يمنع الرمل عن المزارع. قال: وسجن يوسف شمالي الأهرام على بعد منه في ذيل خرجة من جبل في طرف الحاجر (٤) .

---

(١) مسالك الأبصار ١: ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) مسالك الأبصار: "وهو اسم لصنم يقارب الهرم الكبير".

(٣) بعدها في مسالك الأبصار: "يقع دونه شرقا بغرب، لا يبين من فوق سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم".

(٤) مسالك الأبصار ١: ٢٣٧-٢٣٨؛ مع تصرف واختصار.." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي <٧٦/١

"قال صاحب مباهج الفكر: وبدهشور من أعمال الجيزة أهرام بناها شداد بن عديم بن البرشير بن قفطيم بن مصر بن مصرايم باني مصر.

وقال بعضهم: ذكر عبد الله بن سراقة أنه لما نزلت العماليق مصر حين أخرجتها جرهم من مكة، نزلت مصر، فبنت الأهرام واتخذت بها المصانع، وبنت بها العجائب؛ فلم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن ذعر الخزاعي.

وقال سعيد بن عفير: لم تزل مشايخ مصر يقولون: إن الأهرام بناها شداد، وكانوا يقولون بالرجعة؛ فكان أحدهم إذا مات دفن معه ماله كله؛ وإن كان صانعا دفنت معه آلته.

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: كان من وراء الأهرام إلى الغرب أربعمائة مدينة من مصر إلى الغرب في غربي الأهرام.

وقال ابن المتوج (١) في كتابة من عجائب مصر: ما بجانبها الغربي من البنيان المعروف بالأهرام وعددها ثمانية عشر هرما؛ منها ثلاثة بالجيزة مقابل الفسطاط.

ولما فتح المأمون أحدها انتهى إلى حوض مغطى، بلوح من رخام مملوء من ذهب، واللوح مكتوب فيه أسطر، فطلب من يقرؤها، فإذا فيه: "إنا عمرنا هذا الهرم في ألف يوم، وأبحنا لمن يهدمه في ألفي يوم؛ والهدم أسهل من العمارة، وجعلنا في كل جهة من جهاته من المال بقدر

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن المتوج بن صالح الزبيري، تاج الدين، وصاحب كتاب: "اتعاظ المتعمل واتعاظ المتأمل"، في أحوال مصر وخططها: توفي سنة ٧٣٠. الأعلام ٧: ١٣٦.." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي <٧٧/١

"حسرت عن الثديين بارزة ... تدعو الإله لفرقة الولد

فأجابها بالنيل يوسعها ... ريا ويشفيها من الكمد

وقال ظافر الحداد:

تأمل هيئة الهرمين وانظر ... وبينهما أبو الهول العجيب (١)

كعمار يبتن على رحيل ... لمحبوبين بينهما رقيب

وماء النيل بينهما دموع ... وصوت الريح عندهما نحيب

ودونهما المقطم وهو يحكي ... ركاب الركب أبركها اللغوب

وظاهر سجن يوسف مثل صب ... تخلف وهو محزون كئيب

وقال ابن الساعاتي:

ومن العجائب، والعجائب جمة ... دقت عن الإكثار والإسهاب (٢)

هرمان قد هرم الزمان وأدبرت ... أيامه، وتزيد حسن شباب

لله أي بنية أزلية ... تبغي السماء بأطوال الأسباب

وكأنما وقفت وقوف تبلد ... أسفا على الأيام والأحقاب

كتمت على الأسماع فصل خطابها ... وغدت تشير به إلى الألباب

وقال سيف الدين بن حبارة:

لله أي غريبة وعجيبة ... في صنعة الأهرام للألباب (٣)

أخفت عن الأسماع قصة أهلها ... ونضت عن الإبداع كل نقاب (٤)

فكأنما هي كالخيام مقامة ... من غير ما عمد ولا أطناب

---

(١) بدائع البدائة ١٣٦.

(٢) نهاية الأرب ١: ٣٩١.

(٣) المقريزي ١: ١٩٦، نهاية الأرب ١: ٣٩٢.

(٤) ورد البيت محرفا في الأصول وتصويبه من نهاية الأرب والمقريزي.." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ١/٨١>

"وقال بعضهم:

تبين أن صدر الأرض مصر ... ونهداها من الهرمين شاهد

فواعجبا وقد ولدت كثيرا ... على هرم وذاك النهد ناهد

ولما عدى القاضي شهاب الدين (١) بن فضل الله إلى الأهرام، كتب إلى الأمير الجائي الداوادار، وذلك سنة تسعة وعشرين وسبعمائة، قال:

لي البشارة إذا أمسيت جاركم ... في أرض مصر بأني غير مهتضم

حفظتمو لي شبابي في ظلالكم ... مع أنكم قد وصلتم بي إلى الهرم

ويقبل الأرض، ويحمد الله على أن شرح له في ظل مولانا صدرا، وأوجد النجح لأمانيه التي قيل لها اهبطي مصرا؛ حتى أقرت بها منتهى الرحلة، واتخذ بها بيوتا جعل أبوابها من قصر مولانا إلى قبله. وينهي أنه كان يستهول البحر أن يركب لججه، أو أن يصعد في أمواجه العالية درجة، ثم ترك لما يقر به من خدمة مولانا الوجل، وأفكر فيما أحاط به من كرمه، فقال: "أنا الغريق فما خوفي من البلل" (٢).

فركب حراقة لا يطفئ لهيبها الماء القراح، ولا تثبت منها العيون سوى ما تدرك من هفيف الرياح، ثم أفضى إلى غدران تحف بها رياض تملأ العين، وتتخلى منها بماء جمد عليه الزمرد وذاب اللجين، وختم يومه بالنزول في جيزة مولانا التي أمن بها من النوب، وبلغت منها إلى هرمين، علم بهما أن هذه الأيام الشريفة أعراس وهما بعض ما تزينت به من اللعب.

ومن ذلك رسالة لضياء الدين بن الأثير في وصف مصر:

---

(١) ح، ط: "الفضل بن فضل الله".

(٢) تضمين بين للمتنبي، صدره:

والهجر أقتل لي مما أراقبه." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ١/٨٢>

"ذكر ما يقع بمصر قرب الساعة:

أخرج الحاكم في المستدرك، وصححه من حديث عبد الله بن صالح: حدثني الليث، حدثني أبو قبيل، عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رجلا من أعداء المسلمين بالأندلس، يقال له ذو العرف، يجمع من قبائل المشركين جمعا عظيما؛ يعرف من بالأندلس أن لا طاقة لهم به، فيهرب أهل القوة من المسلمين في السفن، فيجيزون إلى طنجة، ويبقى ضعفة الناس وجماعتهم، ليس لهم سفن يجيزون عليها، فيبعث الله جلا وعلا وينشر لهم في البحر، فيجيز الوعل، لا يغطي الماء أظلافه، فيراه الناس فيقولون: الوعل، الوعل! اتبعوه، فيجيز الناس على أثره كلهم، ثم يصير البحر على ما كان عليه، ويجيز العدو في المراكب؛ فإذا حبسهم أهل إفريقية هربوا كلهم من إفريقية، ومعهم من كان بالأندلس من المسلمين، حتى يدخلوا الفسطاط، ويقبل ذلك العدو حتى ينزلوا فيما بين ترنوط إلى الأهرام، مسيرة خمسة برد، فيملئون ما هناك شرا، فتخرج إليهم راية المسلمين على الجسر، فينصرهم الله عليهم، فيهزمونهم ويقتلونهم إلى لوبية، مسيرة عشرة ليال، ويستوقد أهل الفسطاط بعجلهم وأداتهم (١) سبع سنين، وينقلب ذو العرف من القتل، ومعه كتاب لا ينظر فيه إلا وهو منهزم، فيجد فيه ذكر الإسلام، وأنه يؤمر فيه بالدخول في السلم، فيسأل الأمان على نفسه وعلى من أجابه إلى الإسلام من قومه، فيسلم، ثم يأتي العام الثاني رجل من الحبشة يقال له أنيس، وقد جمع جمعا عظيما، فيهرب المسلمون منهم من أسوان حتى لا يبقى فيها ولا فيما دونها أحد من المسلمين، إلا دخل الفسطاط، فينزل أنيس بجيشه منف، فيخرج إليهم راية المسلمين على الجسر، فينصرهم الله عليهم، فيقتلونهم ويأسرونهم، حتى يباع الأسود بعباءة.

قال الحاكم: صحيح موقوف.

---

(١) ح، ط: "وأدواتهم".." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ١/١٦٥>

"وقال:

ركبت في النيل يوما مع أخي أدب ... فقال: دعني من قال ومن قيل

شرحت يا بحر صدري اليوم قلت له: ... لا تنكر الشرح يا نحوي للنيل

وقال:

قالوا علا نيل مصر في زيادته ... حتى لقد بلغ الأهرام حين طما

فقلت: هذا عجيب في بلادكم ... أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال:

قد زاد هذا النيل في عامنا ... فأغرق الأرض بإنعامه

وكاد أن يعطف من مائه ... عرى على أزرار أهرامه

تميم بن المعز العبيدي:

يوم لنا بالنيل مختصر ... ولكل يوم لذاذة قصر (١)

والسفن تجري كالخيول بنا ... صعدا وجيش الماء منحدر (٢)

فكأنما أمواجه عكن ... وكأنما داراته سرر

آخر:

مد نيل الفسطاط فالبر بحر ... زاخر فيه كل سفن تعوم

فكأن الأرضين منه سماء ... وكأن الضياع فيها نجوم

ظافر:

ولله مجرى النيل فيها إذا الصبا ... أرتنا به في سيرها عسكرا مجرى

فشط يهز السمهرية ذبلا ... ونهر يهز البيض هندية بترا

---

(١) المقريزي ١: ١٠٢.

(٢) ديوانه: ٢٥٥.." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٣٦١>

"وزمان ... وكذلك الأمر والحمد لله كان، فقد نبغ من العلماء القدامى والمحدثين من وضعوا في تاريخ مصر المصنفات تختلف طولا وقصرا، وتتباين طريقة ومنهاجا؛ منهم ابن عبد الحكم وأبو عمر الكندي وابن ميسر والمسبحي والقضاعي وابن دقماق وابن زولاق والأدفوي والعماد الأصبهاني وابن حجر والمقريزي والسيوطي والجبرتي وأبو السرور البكري وابن تغري بردي وابن إياس.

وكتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، الذي صنفه الجلال السيوطي من أنفس الكتب التي صدرت عن هؤلاء الأعلام، وأعذبها موردا، وأصفاها منهلا، وأسدها منهجا، وأوضحها فصولا وأبوابا، وأوفاها استيعابا وشمولا، سلك فيه طريقا قصدا، ليس بالطويل المستطرد المشوش، ولا بالمقتضب الخالي من النفع والجدوى، بدأه بذكر ما ورد في شأن مصر من الآثار في القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم ثناه بذكر تاريخ مصر في عهدها القديم، عهد الفراعنة وبناة الأهرام، على حسب ما وقع لديه من المعارف، وعلى حسب ما كان شائعا في عصره، ثم وصف الفتح الإسلامي وما صحبه من وقائع وأحداث، وما تم من امتزاج المصريين بالعرب تحت راية الإسلام، ثم ذكر الوافدين على مصر ومن نبغ فيها من أصحاب المذاهب، ومن عاش بها من الحفاظ والمؤرخين والقراء والقصاص والشعرء والمتطبيين وغيرهم؛ مع ذكر نبذ من حياتهم وتاريخ موالدهم ووفاياتهم. ولم يخل كتابه من تاريخ الولاة الذين تعاقبوا عليها، والقضاة الذين حكموا فيها، والحكومات التي قامت بها، وما بني فيها من المساجد والمدارس والخانقاهات.

ومن أمتع ما ورد فيها تلك الفصول التي عقدها في ذكر عادات المصريين ومواسمهم وأعيادهم والأسباب الدائرة بينهم؛ وما كان فيها من أندية الأدب ومجالس الشعر والسمر، على منهج طريف أخاذ.." <حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي المقدمة/٤>

"دابتي فيروز. وقد انهزم عدونا، وأنت تسير إلى جانبي وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب، فمددت عيني فرأيت على الأرض خاتما فأخذته فإذا فصه فيروزج، فجعلته في إصبعي وتبركت به فانتهيت، وقد أيقنت بالظفر فإن الفيروزج الفرج جاء ومعناه الظفر، ولذلك لقب الدابة فيروز.

قال ابن العميد: فلم أبرح إذ أتانا الخبر والبشارة بأن العدو قد رحل وتركوا خيامهم، فما صدقنا حتى تواترت الأخبار فركبنا ولا نعرف سبب هزيمتهم وسرنا حذرين من كيدهم ومكرهم، وسرت إلى جانبه وهو على دابته فيروز، فصاح ركن الدولة بغلام بين يديه ناولني ذلك الخاتم فأخذ خاتما من الأرض فناوله إياه فإذا هو من فيروزج فجعله في اصبعه، وقال: هذا تأويل رؤياي، وهذا هو الخاتم الذي رأيته في منامي بعينه. قال: وهذا عن أعجب ما يحكى وإسم ركن الدولة الحسن أبو علي، وكان ملكا جليلا مهابا وكان قد ملك أصبهان والري وهمذان، وجميع عراق العجم وقد فتح أكثر البلاد وملكها وقرر قواعدها وضبطها. توفي في المحرم سنة ست وستين وثلاثمائة وكان عمره تسعا وتسعين سنة وكانت مدة ملكه أربعا وأربعين سنة. وفي شفاء الصدور لابن سبع السبتي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم «١» قال: «لا تضربوا وجوه الدواب فإن كل شيء يسبح بحمده» وقد تقدم عنه حديث في البهيمة قريب من هذا وفي كتاب الاحياء في باب كسر الشهوتين، حديث «لا يستدير الرغيف، ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا أو لهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة، ثم الملائكة التي تزجي سحابا، ثم الشمس والقمر والأفلاك، وملوك الهواء ودواب الأرض، وآخر ذلك الخباز وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها «٢»

وروى الإمام أحمد والبيهقي في الشعب، عن محمد بن سيرين، قال:

خرجت دابة تقتل الناس، فمن دنا منها قتلته فجاء رجل أعور فقال: دعوني وإياها فدنا منها فوضعت رأسها له حتى قتلها. فقالوا: حدثنا بأمرك، فقال: ما أصبت ذنبا قط إلا ذنبا واحدا بعيني هذه، فأخذت سهما وفقأتها به. قال الإمام أحمد: ولعل هذا كان جائزا في شريعة بني إسرائيل، أو في شريعة من كان قبلنا أما في شريعتنا فلا يجوز فقء العين، التي ينظر بها إلى ما لا يحل له. لكن يستغفر الله تعالى من ذلك ولا يعود إليه.

وذكر «٣» ابن خلكان في ترجمة الربيع الجيزي أنه مر يوما بسكة من سكك مصر، فطرحت عليه إجانة من رماد، فنزل عن دابته، ونفض ثيابه فقيل له ألا تزجرهم! فقال: من استحق النار فصولح على الرماد، لم يجز له أن يغضب. والربيع بن سلمان هذا صاحب الشافعي، وهو أحد رواة القول الجديد عن الشافعي. وتوفي سنة خمس ومائتين. والجيزي نسبة إلى الجيزة قبالة مصر، والأهرام في عملها بالقرب منها، وهي من عجائب أبنية الدنيا، والأهرام قبور لملوك عظام، أرادوا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم، كما تميزوا عليهم في حياتهم. قيل: إن المأمون لما وصل مصر أمر بنقب أحد الهرمين فنقب بعد جهد شديد، وغرامة نفقة عظيمة، فوجد داخله مراق ومها، ويعسر سلوكها، ووجد في أعلاها بيتا، مكعبا، طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع، وفي وسطه حوض من صوان مطبق فيه رمة بالية، قد أتت عليها العصور فكف عن نقب ما." <حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١/٤٤٣>

"سواه. ونقل أن هرمس الأول، وهو أخنوخ وهو ادريس استدل من أحوال الكواكب، على كون الطوفان فأمر ببنيان الأهرام، ويقال: إنه ابتناها في مدة ستة أشهر وكتب فيها: قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة عام، والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج فليكسها الحصر والحصر أيسر من الديباج. وقال الإمام أبو الفرج بن الجوزي في كتاب سلوة الاحزان: ومن عجائب الهرمين، أن سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع من رخام ومرمر، وفيها مكتوب أنا بنيتها بملكي، فمن ادعى قوة فليهدمها فإن الهدم أيسر من البناء، قال ابن المنادي: بلغنا أنهم قدروا خراج الدنيا مرارا، فإذا هو لا يقوم بهدمها والله أعلم. وفي صحيح «١» مسلم وغيره عن صهيب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن له وفي رواية ساحر فقال الساحر: إني قد كبرت وأخاف أن أموت فينقطع عنكم علمي ولا يكون فيكم من يعلمه فانظروا إلي غلاما فهيما أو قال فطنا لقنا فأعلمه علمي هذا، فنظروا له غلاما على ما وصف، وأمروه أن يحضر ذلك الساحر، وأن يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به، فلم يزل به حتى أخبره فقال: إنما أنا عبد الله، فجعل الغلام يمكث عند الراهب. ويبطيء على الساحر، فأرسل إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما الغلام على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة وقد حبست الناس، فقال:

اليوم يبين أمر الراهب من أمر الساحر، فأخذ حجرا وقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، ثم رمى بالحجر فقتلها. فقال الناس من قتلها؟ فقالوا:

الغلام. ففزع الناس، وقالوا: لقد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد. قال: فسمع به أعمى، كان جليسا للملك، فقال له: إن رددت بصري فلك كذا وكذا! فقال له: لا أريد منك شيئا ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك، أتؤمن بالذي رده لك؟ قال: نعم فدعا الله تعالى فرد عليه بصره، فأمن الأعمى، وإنه جاء إلى الملك بعد ما شفي، فجلس معه كما كان يجلس، فقال له: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي قال: وهل لك رب غيري؟ قال: الله ربي وربك. فأمر بالمنشار فوضع على رأسه حتى وقع شقاه» . وفي رواية الترمذي أن تلك الدابة كانت أسدا وأن الغلام لما قتلها أخبر الراهب فقال له إن لك شأنا وإنك تبتلى فلا تدل علي. وإن الملك بلغه أمرهم فبعث إليهم فأتي بهم إليه فقال: لاقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه، ثم أمر بالراهب وبالرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق كل واحد منهما فقتله، ثم قتل المقعد بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام، فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا، فألقوه من رأسه، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل، فلما انتهوا به إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه، قال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فجعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون منه حتى لم يبق منهم إلا الغلام. قال: فرجع الغلام يمشي حتى أتى الملك فقال له: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم ربي بما شاء، فأمر الملك أن ينطلقوا به إلى البحر، فيلقوه فيه، فانطلقوا به إلى البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت."
<حياة الحيوان الكبرى الدَّميري ١/٤٤٤>

"وقوله:

قالوا علا نيل مصر في زيادته ... حتى لقد بلغ الأهرام حين طمى[1]

فقلت هذا عجيب في بلادكم ... أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

ومن أغراضه قوله:

رب طباخ به نضجت ... مهجات غير مرحومه

سلوتي عنه مزورة ... أبدا والنفس مغمومة

وقوله:

أحببت بابا حسنه بارع ... سبى من النساك ألبابا

أغلق في وجهي باب الرضى ... فهل تراني أفتح البابا

وقوله:

إن اللطافة لم تزل ... بين الأكابر فاشيه

أرأيت عمرك في الورى ... طرفا رقيق الحاشيه

وكتب على لسان صاحب له طلب من صاحب سرجا فلم يجهزه له، قوله:

عجبا كيف لم تجد لي بسرج ... وحده واللجام دأب النفوس

وإذا لم تبعثه في أول الأمـ ... ـر اختيارا فابعثه بالدبوس[2]

وكتب إلى من أهدى له صحن قطائف قوله:

أتاني صحن من قطائفك التي ... غدت وهي روض قد تنبت بالقطر

فلا غرو إن صدقت حلو حديثها ... وسكرها يرويه لي عن أبي ذر

الجماعة تجاروا في هذه الحلبة وأجادوا، منهم الشيخ زين الدين بن الوردي، بقوله:

بعثت قطائفا حلت ... جناها قطرها الغامر

فسكرها أبو ذر ... ومرسل صحنها جابر

وأجاد الشيخ جمال الدين بن نباتة هنا، وجمع بين التورية وحسن التضمين وبديع الاكتفاء، والحلاوة، بقوله:

أقول وقد جاء الغلام بصحنه ... عقيب طعام الفطر يا غاية المنى

بعيشك قل لي جاء صحن قطائف ... وبح باسم من تهوى ودعني من الكنا[3]

---

[1] طمى النهر: إذا فاض.

[2] الدبوس: المقمعة وهي عصا من حديد أو من خشب في رأسها كرة من حديد. والمعنى: ابعثه بالقوة بعد أن لم تبعثه اختيارا.

[3] الكنافة: نوع من الحلوى.." <خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢/١٦٣>

"أمانيه وهي من الأقذاء صفية تزينت حلل تلك البلاد بوشي أحكامه وتفيأت أهلها في ظلال بنوده وأعلامه ثم خلعت السلطنة المرادية عليه خلعة الصهاره وفاز مرة بعد أخرى بختم الوزارة آلت إليه رسالة الكتائب الإسلامية وقطف ثمار رؤس الأعداء من رياض الفتوحات الجنية فغدا جيده حاليا بها عدة سنين وفتح ثغرا فابتسم به الدين المبين وكان يعقد عرائس المناصب من غير كفاءة لكل خاطب ويفرقها بعد استيفاء مدتها ويزفها لآخرين دون انقضاء عدتها وكان أكثر مواعيده منجزة بسيول هباته لكنها وساوس تنشأ من خطراته حتى غدت عنده أكياس الدراهم أخلى من قدر البخيل ومعدة الصائم

(أفنى ندى كفيه أمواله ... كأنما الأكياس أكفان)

وقد عامل الناس بلين الجانب من الأخصاء والأجانب ولا يدرى ما في قلوبهم له من النية كما كمن في حد الحسام المنية واستمر حاله بتلك القلادة حاليا إلى أن صوبت المنية نحوه أسهما وعواليا فأحدقت به دائرة السقام حتى ذاق من كاس المرض جرعة الحمام

(ألا إنما الأحياء شرب وبينهم ... كؤس المنايا لا تزال تدور)

(فمنهم سريع السكر في الحال ينتشي ... ومنهم على الشرب الكثير قدير)

وذكره البوريني فقال كان أولا من جماعة الحرم السلطاني في عهد السلطان مراد ولما ظهر منه صار ضابط الجند الجديد بقسطنطينية وضبطهم احسن ضبط واستمر حاكما عليهم مدة طويلة ثم إن السلطان مراد أراد أن يزوجه ابنته فأرسله إلى بلاد مصر حاكما وكان كريما حسن الخلق إلى الغاية وأراد أن يهدم بناء الأهرام الذي بمصر لما بلغه أن فيها دفائن للسلاطين المتقدمين فحذروه من ذلك وقالوا له أن المأمون العباسي أراد هدمها فما قدر على ذلك وقالوا ربما يكون الأهرام طلسما للرمل ولبعض منافع فإنها ما وضعت إلا بطريق الحكمة فعدل عن هدمها ثم إنه أقام بمصر أميرا يحكم فيها عوضا عنه وأخذ منه أموالا كثيرة ثم خرج من مصر بأموال عظيمة وتحف كثيرة منها أنه جعل للسلطان مراد تختا من الذهب مرصعا بالجواهر العظيمة ورجع ومعه عساكر مصر وجمع عساكر الشام وحاكمها إذ ذاك أويس باشا وكبس جبل الشوف من ضواحي دمشق على طرف البحر من الجانب الغربي وبه قوم من الدروز الباطنية وهم لا يدينون بملة ولا يرجعون إلى عقيدة يرون للشرائع." <خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١/٦٠>

"لا زال الموضوع يحتاج إلى دراسة

ومكان النفي هنا يقتضي "ما"، لأن "لا" النافية لا تصاحب الماضي إلا في الدعاء في مثل "لا أصابك الله بمكروه" أو إذا تكررت مع فعلها، "لا قام ولا استخار".

وقد تختار "لن" في مكان "لم" مع المضارع، كما في قولهم:

لن يعرف أبو عبيدة كل هذه المصطلحات

في مقام "لم يعرف ... "

وقد تأتي "لم" بدلا من "لا" مع المضارع أيضا:

القارئ المعاصر لم يفهم القصيدة بسهولة.

ويقتضي المقام استعمال "لا".

٣- اختلاف زمن الفعل:

وقع في أمثلة قليلة استعمال فعلين مختلفي الزمن مع عدم وجود مسوغ من السياق أو المقام والذي شاهدناه بالفعل هو وقوع المضارع متلوا بماض:

كان قدامة يميل إلى النزعة العقلية وفضلها على غيرها.

٤- الوصف بالاسم الجامد:

شاع في أوساط الطلاب اختيار الاسم الجامد وصفا، على خلاف القاعدة العامة، وهم في ذلك متأثرون بوسائل الإعلام، كما في نحو:

مصر النيل، مصر الخير، مصر الأهرام

والرأي عند الجمهور أن الوصف يكون بالمشتق وما يشبهه، كما يبدو ذلك في قول ابن مالك:

وانعت بمشتق كصعب وذرب ... وشبهه كذا وذي والمنتسب." <دراسات في علم اللغة كمال بشر ص/٢٨٨>

"والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام «١١٣» ولا يعبر نهر منها إلا في السفن شتاء وصيفا، وأهل كل بلد لهم خلجان تخرج من النيل فإذا مد أترعها ففاضت على المزارع.

ذكر الأهرام والبرابي

وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور، وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها، وأولية بنائها ويزعمون أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى، ويسمى خنوخ وهو إدريس عليه السلام «١١٤» وأنه أول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها وأنه أنذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي «١١٥» وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة. ويقال إن دار العلم والملك بمصر مدينة (منوف) وهي على بريد من الفسطاط «١١٦» فلما بنيت الاسكندرية انتقل الناس." <رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١/٢٠٩>

"اليها وصارت دار العلم والملك إلى أن أتى الإسلام فاختط عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط فهي قاعدة مصر إلى هذا العهد.

والأهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهي السمو مستدير متسع الأسفل ضيق الأعلى كالشكل المخروط، ولا أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها.

ومما يذكر في شأنها أن ملكا من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤيا هالته وأوجبت عنده أنه بنى تلك الأهرام بالجانب الغربي من النيل لتكون مستودعا للعلوم ولجثث الملوك، وأنه سأل المنجمين: هل يفتح منها موضع؟ فأخبروه أنها تفتح من الجانب الشمالي، وعينوا له الموضع الذي تفتح منه، ومبلغ الانفاق في فتحه، فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه ينفق في فتحه، واشتد في البناء فأتمه في ستين سنة، وكتب عليها: بنينا هذه الأهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة، فإن الهدم أيسر من البناء «١١٧» . فلما أفضت الخلافة إلى أمير المومنين المامون «١١٨» أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل، فلج في ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي فكانوا يوقدون عليها النار، ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلمة التي بها إلى اليوم ووجدوا بإزاء النقب ما لا أمر أمير المومنين بوزنه فحصر ما أنفق في النقب فوجدهما سواء فطال عجبه من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا.

ذكر سلطان مصر

وكان سلطان مصر على عهد دخولي اليها الملك الناصر أبو الفتح محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي «١١٩» ، وكان قلاوون يعرف بالألفي، لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهبا، وأصله من قفجق، وللملك الناصر رحمه الله السيرة الكريمة." <رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١/٢١٠>

"أقصرا/ آسيا الصغرى، II /ص ٢٨٥، ٢٨٦

أقشهر/ آسيا الصغرى، II /ص ٢٦٦.

الإسكندرية/ مصر ٢٧،٢٨،٢٩،٣٢،٣٣، I /وما بعد، ٤٨،

٦٧- ٨١. ج، VI ص ٣٢٣

"(٢٩) فهرس منشآت متنوعة

أ

"المجلات والجرائد

– مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية– سلسلة الندوات ١٤١٣– ١٩٩٣

– مجلة أكاديمية المملكة المغربية– العدد ١١ سنة ١٩٩٤

– الأنباء ١٧– ١٨– ١٩٩١– ١٨ أبريل ١٩٩٣

– جريدة الرائد الهندية نونبر دجنبر ١٩٧٦

– مجلة آفاق لسان اتحاد كتاب المغرب العربي يناير– مارس ١٩٦٣

– الأهرام: ٣٠ أبريل ١٩٩٣

حرف الباء

- مجلة البحث العلمي ١٩٦٤
- مجلة البحث العلمي: يناير ١٩٧٧- محرم ١٣٩٧
- مجلة المعهد الجامعي للبحث العلمي رمضان ١٤٠٠- ١٩٨٠
- مجلة البحث العلمي- نوبر العدد ٣٣ ١٩٨٢
- المعهد الجامعي للبحث العلمي ١٩٨٣/٣٢
- مجلة البحث العلمي: العدد ١٤٠٦/٣٦- ١٩٨٦
- مجلة الدراسات الإسلامية: يناير ١٩٨٩
- مجلة الدراسات التاريخية كانون الأول ١٩٩١ سوريا
- دعوة الحق- العدد ٢٢٣، شوال ١٤٠٢ يونيه ١٩٨٢
- دعوة الحق: يونيه ١٩٨٣
- دعوة الحق: أبريل ١٩٨٤
- دعوة الحق: عدد ٢٨٧- ٢ يبراير ١٩٩٢
- مجلة دعوة الحق: العدد ٢٩٣ أكتوبر ١٩٩٢
- دعوة الحق- مارس ١٩٩٤

حرف الكاف

- مجلة الكلية الزيتونية- العدد ٤ ١٩٧٦- ١٩٧٧
- مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، مجلد ١٢، ١٩٥٨
- مجلة كلية دار العلوم (القاهرة) العدد ١٤٤ دجنبر ١٩٥٤
- مجلة كلية الآداب العلوم الإنسانية شوال ١٤١١ أبريل ١٩٩١." <رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٧٢/٥>

"الأهرام والبرابي:

وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها وأولية بنائها ويزعمون أن العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت من هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ويسمى الخنوج وهو إدريس عليه السلام وأنه أول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى وفيها أنه أنذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة ويقال أن دار العلم والملك بمصر مدينة منف١ وهي على بريد من الفسطاط فلما بنيت الاسكندرية انتقل الناس إليها وصارت دار العلم والملك إلى أن أتى الإسلام فاختط عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط فهي قاعدة مصر إلى هذا العهد والأهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهي السمو مستدير متسع الأسفل ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولا

أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها ومما يذكر في شأنها أن ملكا من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤيا هالته وأوجبت عنده أنه بنى تلك الأهرام بالجانب الغربي من النيل لتكون مستودعا للعلوم ولجثث الملوك وأنه سأل المنجمين هل يفتح منها موضع فأخبروه أنه تفتح من الجانب الشمالي وعينوا له الموضع الذي تفتح منه ومبلغ الإنفاق في فتحه فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه ينفق في فتحه واشتد في البناء فأتمه في ستين سنة وكتب عليها بنينا هذه الأهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة فإن الهدم أيسر من البقاء فلما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل فلج في ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلمة التي بها إلى اليوم ووجدوا بإزاء النقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما أنفق في النقب فوجدهما سواء فطال عجبه من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا.

---

١ كانت منف مدينة العلم والمالك بمصر في عهد الدولة القديمة، ثم خلفتها في هذه المكانة مدن أخرى مثل طيبة "الأقصر حاليا" وبعد هذه المدن بنيت الإسكندرية.." <رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٢٩/١>

"خطوة. ودون هذا الصغير خمسة صغار وثلاثة متصلة والاثنان على مقربة منها متصلان.

وعلى مقربة من هذه الأهرام بمقدار غلوة صورة غريبة من حجر قد قامت كالصومعة على صفة آدمي هائل المنظر، وجهه الى الأهرام وظهره الى القبلة مهبط النيل، تعرف بأبي الأهوال.

وبمدينة مصر المسجد الجامع المنسوب لعمر بن العاص رضي الله عنه. وله أيضا بالإسكندرية جامع آخر هو مصلى الجمعة للمالكيين. وبمدينة مصر آثار من الخراب الذي أحدثه الإحراق الحادث بها وقت الفتنة عند انتساخ دولة العبيديين «١» ، وذلك سنة أربع وستين وخمس مئة، وأكثرها الآن مستجد والبنيان بها متصل. وهي مدينة كبيرة والآثار القديمة حولها، وعلى مقربة منها ظاهرة تدل على عظمة اختطاطها فيما سلف.

روضة النيل

وعلى شط نيلها مما يلي غربيها، والنيل معترض بينهما، قرية كبيرة حفيلة البنيان تعرف بالجيزة. لها كل يوم احد سوق من الأسواق العظيمة يجتمع اليها.

ويعترض بينها وبين مصر جزيرة فيها مساكن حسان وعلالي مشرفة وهي مجتمع اللهو والنزهة، وبينها وبين مصر خليج من النيل يذهب بطولها نحو الميل ولها مخرج له. وبهذه الجزيرة مسجد جامع يخطب فيه. ويتصل بهذا الجامع المقياس الذي يعتبر فيه قدر زيادة النيل عند فيضه كل سنة. واستشعار ابتدائه في شهر يونيه، ومعظم انتهائه أغشت «٢» ، وآخره أول شهر أكتوبر. وهذا المقياس عمود رخام أبيض مثمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه، وهو مفصل." <رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٧>

"ودون هذا الصغير خمسة صغار ثلاثة متصلة والاثنان على مقربة منها متصلان.

وعلى مقربة من هذه الأهرام بمقدار غلوة١ صورة غريبة من حجر قد قامت كالصومعة على صفة آدمي هائل المنظر وجهه إلى الأهرام وظهره إلى القبلة مهبط النيل تعرف بأبي الأهوال.

وبمدينة مصر المسجد الجامع المنسوب لعمرو بن العاص رضي الله عنه وله أيضا بالإسكندرية جامع آخر وهو مصلى الجمعة للمالكيين. وبمدينة مصر آثار من الخرب الذي أحد ثه الإحراق الحادث بها وقت الفتنة عند اتساخ دولة العبيديين٢ وذلك سنة أربع وستين وخمسائة وأكثرها الآن مستجد والبنيان بها متصل وهي مدينة كبيرة والآثار القديمة حولها وعلى مقربة منها ظاهرة تدل على عظم اختطاطها فيما سلف.

---

١ الغلوة: المدى الذي يذهبه السهم حين يرمي به.

٢ العبيديون: الفاطميون.." <رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢٩>

"والنيل يفترق على مسافة من مصر إلى أربعة فروع. يجري الأول باتجاه دمياط، أو كفتور الواردة في التوراة، فيصب في البحر. ويتجه الثاني نحو الرشيد القريبة من إسكندرية فيفيض في اليم. والثالث ينصب بالقرب من أشمون المدينة الكبيرة. أما الفرع الرابع فيجري باتجاه حدود مصر. وهذه الفروع الأربعة عامرة بالمدن والقرى والضياع، والمسافرون يغدون ويروحون فيما بينها برا ونهرا. وبالإجمال ليس في العالم كله بقعة آهلة بالسكان، كثيرة الزروع مثل مصر الواسعة، المليئة بالخيرات.

وعلى بعد فرسخين من مصر الجديدة، توجد أطلال مصر القديمة.

فيها دوارس الآثار والمباني العتيقة وفيها بقايا الأهراء التي شيدها يوسف الصديق (ع) لخزن الحبوب وهناك الأهرام التي بناها السحرة* مما يندر نظيره بين مباني العالم. وهي مشيدة بالحجارة المتناهية ضخامة ومتانة.

وبظاهر المدينة الكنيس الكبير لسيدنا موسى «١» (ع) يقوم على حراسته رجل يعرف بالشيخ أبي نصر. وتبلغ استدارة أطلال مصر." <رحلة بنيامين التطيلى بنيامين التطيلي ص/٣٥٣>

"الله عنه على جميع من بها من القبط البالغين من الرجال دون النساء والصبيان والشيوخ دينارين على كل رأس، فجبيت أول عام اثنا عشر ألف ألف دينار، وقد روى أنها جبيت ستة عشر ألف ألف دينار، وهما روايتان معروفتان، فأقر ذلك عمر ابن الخطاب رضى الله عنه.

ومن أنعم النظر في أخبار مصر عرف أن نقدها وأثمان مبيعاتها وقيم أعمالها لم يكن إلا من الذهب فقط إلى أن ضعفت مملكتها باستيلاء الفرنج عليها فحدث حينئذ اسم الدراهم، وسأبين فيما يأتى طرفا من ذلك.

ومع هذا، فإن مصر لم تزل منذ فتحت دار إمارة، وسكتها إنما هى سكة بنى أمية ثم من بنى العباس، إلا أن الأمير أبا العباس أحمد بن طولون ضرب بمصر دنانير عرفت بالأحمدية، وكان سبب ضربها أنه ركب يوما إلى الأهرام فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ومعهم المساحى «١» والمعاول، فسألهم عما يعملون فقالوا:

نحن قوم نتبع المطالب. فقال لهم: لا تخرجوا بعد هذا إلا بمشورة ورجل من قبلى، وسألهم عما وقع إليهم من الصفات فذكروا له أن في سمت «٢» الأهرام مطلبا قد عجزوا عنه؛ لأنهم يحتاجون في إحاثته»

إلى قدر كبير من المال، ونفقات واسعة، فأمر بعض أصحابه أن يكون معهم، وتقدم إلى عامل معونة الجيزة «٤» ، فى دفع جميع ما يحتاجون إليه من المال والنفقات، فأقام القوم يعملون إلى أن ظهرت لهم العلامات، فركب أحمد بن طولون حتى وقف على الموضع وهم يحفرون فجدوا في الحفر وكشفوا عن حوض مملوء دنانير وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربوية «٥»

فأحضر من قرأه ففسره فقال:

«أنا فلان بن فلان، الملك الذى ميز الذهب من غشه ودنسه، فمن أراد أن يعلم فضلى وفضل ملكى على ملكه، فلينظر إلى فضل عيار دينارى على ديناره،." <رسائل المقريزي المقريزي ص/١٦٨>

"ويامانح قلب القلوب أوريت، وصدق مانويت، البير بيرك، وذو حفرت وذو طويت، وما رميت إذ رميت، ولو علمنا السرائر، لأعددنا لهذا المكيل الغرائر، ولو تحققنا إجابة السؤال، والنسيج على هذا المنوال لفسحنا الظروف لهذا النوال. ساجلنا الغيوث فشححنا، وبارزنا الليوث فاقتضحنا، وصلينا، والحمد لله على السلامة بما قدحنا لا بل التمسنا نقبة، وأقطعنا تنورا واقتبسنا جذوة، فأقبستنا نورا.

(ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكان)

(هذا الهلال وتلك بنت المشتري ... حسنا وهذي أخت غصن البان)

متى كان أفق المنكب مطلعا لهذا الكوكب، وأجمة تلك الساحل الماحل، من معاهد الدمر الحلاحل، ومورد الجمل البادية الغر، مقاصا لمثل هذا الدر، إلا أن يكون كنز هذا المرام المستدعي الكلف والغرام من مستودعات تلك الأهواء والأهرام، دمنة الملك الغضاب، بعد أن قدست الأنصاب، وأقفى الأثر فلا يصاب، أو تكون الأنوار هنالك تتجسم، والحظوظ تعين وتقسم، والحقائق تحد وترسم، أو تتوالد بتلك المغارات يوسانيا وروسم ظننت بأن تثور من أجم الأقلام أسود، وتعبث بالسويداوات من نتائج اليراع والدواة لحاظ سود. من قال في الإنسان عالما صغيرا فقد ظلمه، كيف والله بالقلم علمه ورفع في العوالم علمه. لقد ذرت حلمات تلك الأحلام من رسل غرير، وما كان فحل تلك الأقلام بزير، ولا سلطان تلك الطباع، المديدة الباع، ليستظهر بوزير، إنما هي مشاكي أعمال أوقدها الله وأسرجها، وملكات في القوة رجمها، مرجح القدرة فأبرزها إلى العقل وأخرجها، وأحرى بها أن تحط بذور." <ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٢١٣>

"أذهن من راو المشكلات وافترعها، وصادم الغوامض فصرعها، وله في علم اللسان [قدم راسخة] وفي أحكام المعاني آية ناسخة، وكان معرى عصره، ووارث علمه الذي يعجز عن حصره، وله في العلوم العقلية ذوق، وإلى تلك الفنون شوق نسبته لسببه الألسن، واستقبح منه ما يحسن. ونظمه دون قدره، ومعانيه تكثر عن نفثات صدره.

ومن ذلك في وصف الأديب الحاج الرحال أبي إسحق الساحلي رحمه الله

جواب الآفاق، ومحالف الرفاق، ومنفق سعر الشعر كل النفاق، رفع ببلده راية للأدب لا تحجم وأصبح نسيج وحده فيما يسدى ويلحم، فإن نسب، جزى كل قلب بما كسب، وإن مدح وقدح، من أنوار فتنته ما قدح، حرك الجامد، ونظم نظم الجمان المحامد. وإن أبن أو رثا، غبر في وجوه السوابق وحثا، ولما أنف الكساد سوقه، وضياع حقوقه، أخذ بالعزم، وأدخل على تعلاته عامل الجزم، ولم يزل يسقط على الدول سقوط الغيث، ويحتل كناس الظبي وغاب الليث، ويركض النجائب، ويتبع العجائب، حتى استضاف بمصر الكرام، وشاهد البرابي والأهرام، ورمى بعزمته الشام، فاحتل ثغورها المحوطة، ودخل دمشق وتفيأ الغوطة، ثم عاجلها بالفراق، وتوجه إلى العراق، فحيا بالسلام، مدينة السلام، وأورد بالرافدين رواحله، ورأى

اليمن وسواحله ثم عدل إلى الحقيقة عن المجاز، وتوجه إلى مثابة الحجاز، فاستلم الركن والحجر، وزار الترب الكريم لما صدر، وتعرف بجميع الوفود بملك السود، فغمره بإرفاده، واستصحبه إلى بلاده، واستقر بأول أقاليم الأرض، وأقصى ما يعمر من هذا العرض، فحل بها محل الخمر في القار، والنور في سواد الأبصار، وتقيد." <ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٣٩٦/٢>

"فأما الاتجاه الأدبي، فقد يبدو في بعض الأحيان ظلا للاتجاه العلمي، فهذا الشغف بالعشر الذي قيل في النجوم والرياح وتقلب الفصول والحر والبرد والشموع والنيران، يشير إلى ذلك؛ وعلى هذا لم يسمح التيفاشي لصوت النقد بأن يرتفع عاليا إلا حين رأى التنوخي يكثر من تشبيه المحسوس بغير المحسوس فيقول: " إني لينغص علي إحسان هذا الرجل مع كثرته – ما أخذ به نفسه من تشبيه الأظهر بالأخفى، وهو شيء كرهه أكابر العلماء ونصوا عليه، وهو قد أغري به لا يكاد يخلي منه تشبيهاته " (١) . وأحيانا يعثر في النقد عثرة من لا يعرف أولياته، فيورد بيتين لأحد الشعراء المحدثين ثم يقول وهذا أبلغ من قول امرئ القيس، إلا أنه لا يدخل في مختار الكلام لابتذال لفظه (٢) ، فكيف يكون أبلغ وهو مبتذل اللفظ؟ وهو أحيانا يعمم الحكم استنادا إلى سعة مروياته من الأشعار، كأن يقول: وشعراء المغرب حازوا قصب السباق في وصف الاغتباق " (٣) وفي سائر المواقف النقدية يعد عالة على من تقدمه من النقاد.

وقد ذكر من ترجموا له بأن له شعرا حسنا ونثرا جيدا (٤) ، ولم يصلنا شيء من نثره الفني، فأنا نثره في كتبه، فهو بسيط سائغ، دقيق في إبراز الفكرة التي يعالجها؛ وأما شعره فقد وصلنا منه عدد من المقطعات تبلغ أربعا وعشرين تتراوح بين بيتين وتسعة عشر بيتا، ولكن أكثرها من القصار؛ وتدور في معظمها على موضوع الوصف (وصف الليل، الهلال، السماء، الزلزال، النار، الشمعة، الفانوس، الأهرام..) ومن الواضح فيها سيطرة الفكرة والعمل الذهني، وطلب الصورة، دون احتفال بمستوى التعبير، ولا يخرج التيفاشي في هذا عن الاتجاه الغالب على شعراء عصره، ولا يتجاوز الموضوعات التي كانت تستأثر باهتمامهم، إذا هم تجاوزوا مقام المدح والرثاء (٥) .

٤ – نظرة في حاله المعيشية بعد الهجرة:

كانت الآلات التي ملكها التيفاشي من علم وأدب تؤهله لأن يكون

---

(١) الفقرة: ٣٧٩.

(٢) الفقرة: ٤٩ .

(٣) الفقرة: ١٤٩.

(٤) انظر الديباج: ٧٥.

(٥) سألحق بالمقدمة القطع التي لم ترد في هذا الكتاب مما وجدته من شعر التيفاشي.." <سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/١٨>

"فاليوم مصر عدم ... إن كان يرجى العدم

وانظر تراها ظاهرا ... باد عليها الهرم (الوافي ٨: ٢٩٠ وخطط المقريزي ١: ١٢٢)

- ٧ -

ألست ترى الأهرام دام بناؤها ... ويفنى لدينا العالم الأنس والجن

كأن رحى الأفلاك أكوارها على ... قواعدها الأهرام والعالم الطحن (خطط المقريزي ١: ١٢١)

- ٨ -

خليلي لا باق على الحدثان ... من الأول الباقي فيحدث ثان

إلى هرمي مصر تناهت قوى الورى ... وقد هرمت في دهرها الهرمان

فلا تعجبا أن قد هرمت فإنما ... رماني بفقدان الشباب زماني

وعوجا بقرطاجنة فانظرا بها ... جنايتي العادين تنتحبان

وإيوان كسرى فانظراه فإنه ... يخبركما بالصدق كل أوان

فلا تحسبا أن الفناء يخصني ... ألا كل ما فوق البسيطة فان (خطط المقريزي ١: ١٢٢)." <سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٤٠>

"والمكثرون من المجون ... إذا شكى الفكر اغتمامه

أين الفريض ومعبد ... أو أشعب وأبو دلامه

أين الأولى هاموا بسعدى ... أو بثينة أو امامه

وبكوا لفرط جواهم ... والليل قد أرخى ظلامه

وتتبعوا آثار من ... عشقوا بنجد أو تهامه

وتعللوا والشوق يغلب ... بالاراكة والبشامه

أضنى النوى قيسا فقا ... سي لاعجا أغرى غرامه

وغوى هوى غيلان إذ ... أبدي بميته هيامه

أين الأكاسر والقياصر ... ة المجلون القمامه

أين الذي الأهرام من ... بنيانه الحاكي اعتزامه

أم أين غمدان وسيف ... والوفود به امامه

أين الخورنق والسدير ... ومن شفى بهما أوامه

ومداين الاسكندر الأ ... تى لها أعلى دعامه

أين الحصون ومن يصون ... بها من الأعدا حطامه

أين المراكب والمواكب ... والعصايب والعمامه

أين العساكر والدساكر ... والندامى في المدامه

وسقاتها المتلاعبون ... بلب من أعطوه جامه

من كل أهيف يزدري ... بالغصن أن يهزز قوامه

ذي عزة لألاؤها ... تمحو عن النادي ظلامه

فالشمس في ازاره ... والبدر في يده قلامه

يعمى القلوب إذا رمى ... عن قوس حاجبه سهامه

ويروق حسنا إن رنى ... ويفوق أراما برامه

إن لها ثغر جلا ... ذوقا لمن رام التثامه

إن لها وجه يشب ... بقلب مبصره ضرامه

استغفر الله للغو ... لا يرى الشرع اعتيامه

بل أين أرباب العلوم ... أولو التصدر والامامه

وذوو الوزارة والحجابة ... والكتابة والعلامه

كائمة سكنوا بأندلس ... فلم يشكو سآمه

هي جنة الدنيا التي ... قد أذكرت دار المقامه

لا سيما غرناطة ال ... غراء رابقة الوسامه

وهي التي دعيت دمشق ... وحسبها هذا فخامه

لنزول أهليها بها ... إذ أظهر الكفر انهزامه

وأتت جيوش الشام من ... باب نفي الفتح انبهامه

فسلوا بها عن حلق ... إذ أشبهتها في القسامه

وندا لهم وجه المنى ... وأراهم الثغر ابتسامه

وتبوؤها حضرة ... تبرى من المضنى سقامه

بروائها وبمائها ... وهوائها النافي الوخامه

ورياضها المهتزة الأع ... طاف من شدو الحمامه

وبرجها النضر الذي ... قد زين الله ارتسامه

وقصورها الزهر التي ... يأبى بها الحسن انقسامه

يا ليت شعري أين من ... أمضى بها الملك احتكامه

وأتيح في حمرائها ... عزا به زان اتسامه

أين الوزير ابن الخطيب ... بها فما أحلى كلامه

فلكم أبان العدل في ... أرجائها وبها أقامه

ولكم أجار عدا وكم ... أجرى ندا والى انسجامه

راعت صروف الدهر دول ... ته وما راعت ذمامه

حتى ثوى أثر النوى ... في حفرة نثرت عظامه

من زارها في أرض فا ... س أذهبت شجوا منامه

إذ نبهته لكل شمل ... شتت الموت التئآمه

هذا لسان الدين أسك ... ته وأسكنه رجامه

ومحا عبارته فمن ... حياه لم يردد سلامه

فكأنه ما أمسك ال ... قلم المطاع ولا حسامه." <سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣٤٤>

"يا صاحبي صاح بي حظي الملفق من ... بعدي ومن روعة الأكدار والألم

ومنها

فالقلب كالراء وسطا لهم مضطربا ... مهلا أيا عصر ما يكفيك عصر دمي

فالشكل كالهاء والقلب الضئيل غدا ... كالراء والميم مثل الحال في الرقم

كابن شعبة قد صارت ليالينا ... تعدو علينا بمعنى غير منهضم

ومنها

دع التفات العذارى في الغرام وصل ... إلى اكتساب العلى وأسعى لها وهم

ان العواذل بالابهام في عذلي ... قد أكد وأسوء ظن الناس بالقسم

يا لائمين على الاحسان غيرهم ... نزهتم النفس عن أسداه بالذمم

يزيد في بغيه خصمي مشاكلة ... خصم الحسين يزيد البغي في القدم

فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم ... من اقتباس دعا المظلوم في الظلم

ومنها

يا نفس صبرا على كيد الزمان وهل ... يجدي العتاب وأذن الدهر في صمم

برئت من طلب العلياء ان رجعت ... عنها العزائم مني أو دنا قسمي

يا قلب لذ بشفيع المذنبين إذا ... اشتد الزمان بايغال من الازم

وأجزم لنيل المعالي بالتخلص في ... مدح الجناب الكريم العالي الهمم

هو الحبيب الذي ترجي أغاثته ... لكل هول من الأهوال مقتحم

لنيل صعب العلي حسن التخلص لي ... بمدح ابن رسول الله ذي الهمم

ومنها

تم البديع على الوجه البديع إلى ... النادي البديع الذي منماه من أضم

مولاي يا واحد العليا ومانحها ... ومنقذي من أليم الغدر والتهم

خذها بديعة حسن البيان لها ... يعنو لها فصحاء العرب والعجم

من فكرة تشتكي الالام من زمن ... قد استوى فيه حر الطير والرخم

يغدو بها الفاضل الحلي في حلل ... والكفعمي كما العميان عنها عمي

وابن حجة لو ينحو ببهجتها ... لحج بيتا حوته حج ملتزم

لذاك طاب لها ترك النهوض به ... أولا فمن يمنع العلياء عن ذمم

نعم تخليت عن هجر وعن لغط ... لكن تحليت بالاخلاص في القسم

تبا لدنيا ترينا من تقلبها ... خيال ظل على التحقيق لم يدم

أين الذين مضوا أين الذي ملكوا ... أين الذين بنوا الأهرام مع أرم." <سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢/٥٠>

"١٧٤٣- سعيد بن كثير بن عفير ١: "خ، م، س"

ابن مسلم بن يزيد، الإمام الحافظ، العلامة الأخباري، الثقة، أبو عثمان المصري.

مولده سنة ست وأربعين ومائة.

وهو من موالي الأنصار.

سمع مالكا، والليث، ويحيى بن أيوب وسليمان بن بلال، وعبد الله بن لهيعة، ويعقوب بن عبد الرحمن، وعدة.

حدث عنه: البخاري، وابن معين، وعبد الله بن حماد الآملي، ويحيى بن عثمان بن صالح، وأحمد بن حماد زغبة، وأبو الزنباع روح بن الفرج، وأحمد بن محمد الرشديني، وآخرون.

وأخرج له مسلم، والنسائي بواسطة، وكان ثقة إماما، من بحور العلم.

وقال ابن عدي: هو عند الناس ثقة، ثم ساق قول أبي إسحاق السعدي الجوزجاني في سعيد بن عفير: فيه غير لون من البدع، وكان مخلطا، غير ثقة. فهذا من مجازفات السعدي.

قال ابن عدي: هذا الذي قاله السعدي، لا معنى له، ولم أسمع أحدا، ولا بلغني عن أحد كلام في سعيد بن عفير، وقد حدث عنه الأئمة، إلا أن يكون السعدي أراد به سعيد بن عفير آخر.

وقال أبو حاتم: كان يقرأ من كتب الناس، وهو صدوق.

وقال يحيى بن معين: رأيت بمصر ثلاث عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن عفير.

قلت: حسبك أن يحيى إمام المحدثين انبهر لابن عفير.

وقال أبو سعيد بن يونس: كان سعيد من أعلم الناس بالأنساب، والأخبار الماضية، وأيام العرب، والتواريخ كان في ذلك كله شيئا عجيبا، وكان مع ذلك أديبا فصيحا، حسن البيان، حاضر الحجة، لا تمل مجالسته، ولا ينزف علمه قال: وكان شاعرا مليح الشعر، وكان عبد الله بن طاهر الأمير لما قدم مصر رآه فأعجب به واستحسن ما يأتي به، وكان يلي نقابة الأنصار، والقسم عليهم وله أخبار مشهورة، ثم ذكر مولده، ثم قال: وحدثني محمد بن موسى الحضرمي، حدثنا علي بن عبد الرحمن، حدثنا سعيد بن كثير بن عفير، قال: كنا بقبة الهواء عند المأمون، فقال لنا: ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول: ﴿أليس لي ملك مصر﴾ [الزخرف: ٥١] ! فقلت: يا أمير المؤمنين إن الذي ترى بقية ما دمر. قال تعالى: ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ [الأعراف: ١٣٧] . قال: صدقت، ثم أمسك.

وقال ابن يونس في مكان آخر من "تاريخه": هذا حديث أنكر على سعيد بن عفير، فما رواه عن ابن لهيعة غيره، قال: وكذا أنكر عليه حديث آخر، رواه عن ابن لهيعة.

قلت: من كان في سعة علم سعيد، فلا غرو أن ينفرد، ثم ابن لهيعة ضعيف الحديث، فالنكارة منه جاءت.

مات سعيد لسبع بقين من رمضان، سنة ست وعشرين ومائتين.

---

١ ترجمته في التاريخ الكبير "٣/ ترجمة ١٦٣٩"، والمعرفة والتاريخ ليعقوب الفسوي "١/ ٢٧٤ و٣١٦" و"٢/ ٤٩٣" و"٣/ ٣٢٦"، والضعفاء الكبير للعقيلي "٢/ ترجمة ٥٨٤"، والجرح والتعديل "٤/ ترجمة ٢٤٨"، والكامل لابن عدي "٣/ ترجمة ٨٣٩"، والأنساب للسمعاني "٥/ ٣٧"، والكاشف "١/ ترجمة رقم ١٩٦٦"، والعبر "١/ ٣٩٦"، وتذكرة الحفاظ "٢/ ترجمة ٤٣٥"، وميزان الاعتدال "٢/ ترجمة ٣٢٥٧"، والمغني "١/ ترجمة ٢٤٤٤"، وتهذيب التهذيب "٤/ ٧٤"، وحسن المحاضرة للسيوطي "١/ ٣٠٨"، وخلاصة الخزرجي "١/ ترجمة ٢٥٢٧"، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي "٢/ ٥٨".."

<سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٩/١١>

"وأخرج له: مسلم، والنسائي بواسطة، وكان ثقة، إماما، من بحور العلم.

قال ابن عدي: هو عند الناس ثقة، ثم ساق قول أبي إسحاق السعدي الجوزجاني في سعيد بن عفير: فيه غير لون من البدع، وكان مخلطا، غير ثقة.

فهذا من مجازفات السعدي.

قال ابن عدي: هذا الذي قاله السعدي، لا معنى له، ولم أسمع أحدا، ولا بلغني عن أحد كلام في سعيد بن عفير، وقد حدث عنه الأئمة، إلا أن يكون السعدي أراد به سعيد بن عفير آخر (١) .

وقال أبو حاتم: كان يقرأ من كتب الناس، وهو صدوق (٢) .

وقال يحيى بن معين: رأيت بمصر ثلاث عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن عفير.

قلت: حسبك أن يحيى إمام المحدثين انبهر لابن عفير.

وقال أبو سعيد بن يونس: كان سعيد من أعلم الناس بالأنساب، والأخبار الماضية، وأيام العرب، والتواريخ، كان في ذلك كله شيئا عجيبا، وكان مع ذلك أديبا فصيحا، حسن البيان، حاضر الحجة، لا تمل مجالسته، ولا ينزف علمه.

قال: وكان شاعرا مليح الشعر، وكان عبد الله بن طاهر الأمير، لما قدم مصر رآه، فأعجب به، واستحسن ما يأتي به، وكان يلي نقابة الأنصار والقسم عليهم، وله أخبار مشهورة.

ثم ذكر مولده (٣) ، ثم قال: وحدثني محمد بن موسى الحضرمي، حدثنا علي بن عبد الرحمن،

---

(١) " الكامل " لابن عدي ٢ / لوحة ٣٦٥.

(٢) " الجرح والتعديل " ٤ / ٥٦.

(٣) " تهذيب الكمال " لوحة ٥٠٥.." <سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٠/٥٨٤>

أهرام دهشور ٣/٣٦٢، ٤٦٩، ٤٧٠.

الأهرام اليوسفية ٣/٣٢٦.

إهريت ١/٤١٩.

أهناس ٣/٣٠٧، ٤٣١.

الأهواز ١/٤٣، ١٧٧، ٣/٢٥٥، ٢٦٥، ٢٨٥، ٤/٢٥٨، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٩٩، ١٣/٢٤٣.

أهير ٥/٢٠٤.

أوارة ١/٤٤٧.

أوال ٥/٣٧.

أوتراك ١٤/١٧٢.

أوتنة ٥/٢١٨.

أوجان ٤/٤٢٥.

أودغست ٥/١٦٧.

أورسيراتنا ٥/٨٣.." <صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٥/٤٠٦>

"كهنتهم وعلماؤهم في يوم مخصوص من السنة، ويتكلمون بكلام فيصفر أحد العقابين. فإن صفر الذكر استبشروا بزيادة النيل، وإن صفرت الأنثى استشعروا عدم زيادته فهيأوا ما يحتاجون إليه من الطعام لتلك السنة.

قال المسعودي: وقد سمعت جماعة من أهل الخبرة يقولون: إن يوسف عليه السلام حين بنى الأهرام اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه.

قال القضاعي: وذلك بمدينة منف «١» وقيل: إن النيل كان يقاس بأرض يقال لها علوة «٢» إلى أن بني مقياس منف، وأن القبط كانت تقيس عليه إلى أن بطل.

قلت: وموضع المقياس بمنف إلى الآن معروف على القرب من الأهراء اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبدرشين، وقيل كانوا يقيسونه بالرصاصة «٣» .

قال المسعودي: ووضعت دلوكة العجوز ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأنصنا صغير الأذرع، ووضعت مقياسا آخر بإخميم، ووضعت الروم مقياسا بقصر الشمع «٤» .

قال القضاعي: وكان المقياس قبل الفتح بقيسارية الأكسية بالفسطاط إلى أن ابتنى المسلمون أبنيتهم بين الحصن والبحر؛ ثم جاء الإسلام وفتحت مصر والمقياس بمنف.." <صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٣٢٦>

"بالبدرشين من عمل الجيزة، وهي المعروفة بمصر القديمة، وقد خربت وصارت كيمانا «١» ، وبها آثار بنيان من الحجر الكذان «٢» يوجد تحت الردم، على القرب من أحجار الأهرام في العظمة والمقدار، وبوسطها آثار بربأة «٣» بها صنمان عظيمان من حجر صوان أبيض، طول كل صنم منهما نحو عشرين ذراعا، وهما مطروحان على الأرض، وقد غطى الطين أسفلهما.

وكان على القرب منهما بيت عظيم من حجر أخضر، قطعة واحدة: جوانبه الأربعة وأرضه وسقفه، ولم يزل على ذلك إلى الدولة الناصرية حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، وأراد الأمير شيخو أتابك العساكر نقله إلى القاهرة صحيحا فعولج فانكسر فأمر بأن تنحت منه أعتاب فنحتت وجعل منها أعتاب خانقاه «٤» وجامعه بصليبة الجامع الطولوني؛ وشرقي هذه المدينة معالم سور مبني بالحجر الكذان النحيت فصوصا صغارا بالطين والجير الذي قد علمت، لونه لون الحجر.

ويقال: إنه سور الأهراء التي بناها يوسف عليه السلام لادخار الحنطة في سنبلها.

ويذكر بعض أهل البلاد أنه يوجد بعض السنبل الذي أخبر به يوسف عليه السلام تحت تلك الأرض إلى الآن. وأنه في المقدار فوق مقدار الحنطة المتعارفة بقليل.." <صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٣٥٥>

"لبعض ملوكها في بعض الأزمان، ومدن دون ذلك يأتي الكلام على جميعها بعد ذكر الكور القديمة والأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى.

وأما المباني العظيمة الباقية على ممر الأزمان

- فاعلم أن ملوك مصر الأقدمين كان لهم من العناية بالبناء ما ليس لغيرهم، وكانوا يتفاخرون بذلك لإخباره على طول الزمن بعظمة ملكهم واقتدارهم على ما لم يبلغه غيرهم. ومن أعظم أبنيتهم (الأهرام) «١» وهي قبور اتخذوها في غاية الوثاقة حفظا لأجسامهم، وكان لهم بها العناية التامة، وابتنوا منها عدة بالجبل الغربي من النيل، بعضها مقابل الفسطاط، وبعضها ببوصير السدر وسقارة ودهشور من الأعمال الجيزية، وبعضها بميدوم من البهنساوية؛ وأعظمها خطرا وأجلها قدرا الهرمان المقابلان للفسطاط «٢» ، يقال إن طول عمود كل هرم منهما ثلاثمائة وسبعة عشر ذراعا «٣» ، تحيط بها أربعة سطوح متساوية الأضلاع، طول كل ضلع منها أربعمائة وستون ذراعا.

قال أبو الصلت: ليس على وجه الأرض بناء باليد حجر على حجر بهذا المقدار.

ويقال: إن لها أبوابا في أزج «٤» في الأرض طول كل درج مائة وخمسون ذراعا. وباب الهرم الشرقي من الجهة البحرية، وباب الهرم الغربي من الناحية الغربية. والصابئة «٥» تحج هذين الهرمين ويقولون: إن أحدهما قبر إدريس عليه السلام، والآخر قبر ابنه صابىء الذي إليه ينتسبون.." <صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٣٦٠>

"وقد اختلف في بانيها فأكثر المؤرخين على أن بانيها سوريد «١» بن سهلوق أحد ملوك مصر قبل الطوفان، الآتي ذكره في الكلام على ملوكها فيما بعد إن شاء الله تعالى، جعلها قبورا لأجسادهم، وكنوزا لأموالهم، حين أخبره منجموه وكهنته بما دلهم عليه الرصد النجومي من حدوث حادثة تعم الأرض؛ ورجحه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وقال: لو بنيت الأهرام بعد الطوفان، لكان علمها عند الناس.

وذكر ابن عفير عن أشياخه أن بانيها جياد بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. قال: ولم تزل مشايخ مصر يقولون: إن الذي بناها شداد بن عاد، وذهب المسعودي وغيره إلى أنه بناها يوسف عليه السلام.

وقال ابن شبرمة: بنتها العمالقة حين ملكوا مصر. وبالجملة فهما من أعظم الآثار وأقدمها وأجل المباني وأدومها؛ ولله القائل:

انظر إلى الهرمين واسمع منهما ... ما يرويان عن الزمان الغابر

لو ينطقان لخبرانا بالذي ... صنع الزمان بأول وبآخر." <صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٣٦١>

"فيهم بألف فارس، فلما مات جزع عليه ملكه وبنى له هذا الهرم فدفنه فيه.

قال: وقبر الملك نفسه الهرم الكبير من الأهرام التي غربي دير أبي هرميس، وعلى بابه لوح من الحجر الكذان طوله ذراع في ذراع مكتوب بالخط البرباوي «١» .

ومن عظيم بنيانهم أيضا ولطيف حكمهم (البرابي) «٢» وهي بيوت عبادة كانت لهم، زبروا «٣» فيها حكمهم، ورقموا تواريخ ملوكهم، وصوروا فيها صور الأمم التي حولهم. فمتى قصدتهم أمة من الأمم، أوقعوا بصورهم المصورة من النكال ما أرادوا، فيصيب تلك الأمة على البعد ما أوقعوه بتلك الصور، إلى غير ذلك من الحكم التي أودعوها والطلسمات التي وضعوها بجدرانها.

ويقال: إن أول من بنى البرابي بمصر دلوكة العجوز، التي ملكت مصر بعد فرعون لعنه الله!.

قال في «مسالك الأبصار» : وقد أخبرني الحكيم شمس الدين محمد بن سعد الدمشقي «٤» أنه رآها وتأملها، فوجدها مشتملة على جميع أشكال الفلك، وأن الذي ظهر له أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولى عليها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور، وهو ثلاثون ألف سنة، لأن مثل هذه الأعمال لا تعمل إلا بالأرصاد ولا يكمل رصد المجموع في أقل من هذه المدة.

قلت: ويجوز أن يكون الرصد حصل على الوجه المذكور، وزبر ورقم في الكتب، فلما بنى الثاني هذه البرابي، نقل منها ما زبر فى الكتب من ذلك الزمن المتقدم.." <صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٣٦٣>

"سربا «١» تحت النيل إليها، وهو أول من عمل ذلك وأقام في الملك مائة وأربعا وثلاثين سنة، ويقال إن نوحا عليه السلام ولد في زمانه؛ ثم ملك بعده ابنه بدرسان؛ ثم ملك بعده أخوه شمرود، وكان طوله فيما يقال عشرين ذراعا؛ ثم ملك بعده فرسيدون بن بدرسان المتقدم ذكره مائة وستين سنة؛ ثم ملك بعده ابنه شرناق مائة وثلاث سنين ثم ملك بعده ابنه سهلوق مائة وتسع سنين؛ ثم ملك بعده ابنه سوريدين، وهو الذي بنى الأهرام العظام بمصر على ما تقدم ذكره في الكلام على عجائب مصر وخواصها؛ ثم ملك بعده ابنه هرجيب نيفا وسبعين سنة، وهو الذي بنى الهرم الأول من أهرام دهشور؛ ثم ملك بعده ابنه مناوش ثلاثا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده ابنه أقروس أربعا وستين سنة؛ وفي أيامه حصل القحط العظيم، وسلطت الوحوش والتماسيح على الناس، وأعقمت الأرحام حتى يقال إن الملك تزوج ثلاثمائة امرأة يبغي الولد فلم يولد له، وذلك مقدمة الطوفان؛ ثم ملك بعده رجل من أهل بيت الملك اسمه أرمالينوس؛ ثم ملك بعده ابن عمه فرعان، وهو أول من لقب بلقب الفراعنة «٢» ، وكان قد كتب إلى ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام، وفي زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك.

المرتبة الثانية من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامي

وللمؤرخين في ذلك خلف كثير، وقد جمعت بين كلام التواريخ التي وقفت عليها في ذلك، وهم على طبقات:." <صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٤٦٩>

"الطبقة الأولى ملوكها من القبط «١»
قد تقدم في الكلام على ابتداء عمارتها أن أول من عمرها بعد الطوفان بيصر ابن حام بن نوح عليه السلام، وكان بيصر قد كبر سنه وضعف، فأقام يسيرا ثم مات، فدفن في موضع دير أبي هرميس غربي الأهرام. قال القضاعي: ويقال إنها أول مقبرة دفن فيها بأرض مصر؛ وملك بعده ابنه مصر فعمر وطالت مدة ملكه، وعمرت البلاد في أيامه وكثر خيرها، ثم مات؛ وملك بعده ابنه (قبطيم) ، وإليه ينسب القبط، ويقال إنه أدرك بلبلة الألسن التي كانت بعد نوح عليه السلام، وهي ريح خرجت عليهم ففرقت بينهم وصار كل منهم يتكلم بلغة غير لغة الآخر، وخرج منها باللغة القبطية «٢» ؛ ثم ملك بعده ابنه (قفط) ، وهو الذي بنى مدينة قفط «٣» بالصعيد الأعلى وسماها باسمه، وآثارها باقية «٤» إلى الآن؛ ثم ملك بعده أخوه (أشمن) ، وهو الذي بنى مدينة الأشمونين المتقدم ذكرها بالوجه القبلي، وطالت مدته حتى نقل أنه بقي ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين؛ ثم ملك بعده أخوه (أتريب) ، وهو الذي بنى مدينة أتريب المتقدمة الذكر بالوجه البحري من الديار المصرية؛ ثم ملك بعده أخوه (صا) ، وهو الذي بنى مدينة صا «٥» المتقدم ذكرها بالوجه البحري أيضا؛ ثم ملك بعده (قفطريم) بن قفط، ويقال: إنه الذي وضع أساس الأهرام الدهشورية غير الهرم الأول الذي بناه هرجيب المتقدم ذكره قبل." <صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٤٧٠>

"الطوفان، وهو الذي بني مدينة دندرى «١» بالصعيد الأعلى، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده ابنه (بودشير) ، وهو الذي أصلح جنبتي النيل بهندسته؛ ثم ملك بعده ابنه (عديم) ثم ملك بعده ابنه (شدات) ، وهو الذي تمم الأهرام الدهشورية التي وضع أساسها قفطريم المتقدم ذكره. ويقال: إن مدينة شطب «٢» التي بالقرب من مدينة أسيوط بنيت في أيامه، وآثارها باقية إلى الآن، وهو أول من ولع بالصيد واتخذ الجوارح والكلاب السلوقية «٣» ، وعمل البيطرة من ملوك مصر، ومات عن أربعمائة وأربعين سنة؛ ثم ملك بعده ابنه (منقاوش) ، ويقال: إنه أول من عمل له الحمام بمصر؛ ثم ملك بعده ابنه (مناوش) وطالت مدته في الملك حتى بقي فيما يقال ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده (منقاوش) بن أشمن نيفا وأربعين سنة، وقيل ستين سنة، وهو أول من عمل له الميدان بمصر، وأول «٤» من بنى البيمارستان لعلاج المرضى، وفي أيامه بنيت مدينة سنتريه بالواحات؛ ثم ملك بعده ابنه (مرقوره) نيفا وثلاثين سنة، وفي كتب القبط أنه أول من ذلل السباع وركبها؛ ثم ملك بعده (بلاطس) خمسا وعشرين سنة؛ ثم ملكت بعده بنت من بنات أتريب خمسا وثلاثين سنة، وهي أول من ملك مصر من النساء؛ ثم ملك بعدها أخوها (قليمون) تسعين سنة، وفي أيامه بنيت مدينة دمياط على اسم غلام له كانت أمه ساحرة له، وفي أيامه بنيت أيضا مدينة." <صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٤٧١>

"قال بيبرس في تاريخه: وفي هذه السنة وصل رسول من جهة الملك طقطا اسمه قرقجي، فأكرم غاية الإكرام، وأنزل بمنظرة الكبش في خير مقام، وتفرج في الجيزة والأهرام، ثم أعيد جوابه، وجهز إلى مرسله بأنواع التحف والهدايا، وسفر الأمير سيف الدين بلبان الصرخدي صحبته رسولا من الباب العزيز.

وقال صاحب النزهة: وصل رسول طقطاي ومعه هدية وتحف، وكان قد حمل مماليك وجواريا كثيرة، فمات أكثرهم فب البحر وبقي منهم قليل، ولما حضر قدم بعضهم وباع بعضهم، ومن جملة مضمون كتابه: أن السلطان يركب بعسكره وهو أيضا يركب بعسكره ويأخذون بلاد قازان وعسكره بينهم، ويكون لكل منهما مكان يصل إليه خيله، وكتب السلطان في جوابه: أن الله عز وجل كفاهم أمر غازان، وأن أخاه قد سير إليه رسولا فسأله الصلح، وأنه أسلم واتبع الدين المحمدي والشريعة الإسلامية.

ومنهم: جماعة وصلوا من جهة أبي يعقوب المريني صاحب الغرب، وفيهم رسول سمي علاء الدين أيدغدي الشهرزوري، أصله من أولاد الشهرزورية الذين نفيوا إلى المغرب في الدولة الظاهرية، وحضر صحبته من جهة صاحب المغرب المذكور هدايا جليلة، وتحف كثيرة، وخيل عربية، وبغال مغربية، وجمال وقماش، وجملة كثيرة من الذهب العين على سبيل الإمداد والهدية، ووصل معه ركب كبير فيه من المغاربة خلق كثير لقصد الحجاز الشريف، ولما كان أوان الحج حج الرسول المذكور، وحجوا معه جميعا، وعادوا إلى مرسله في سنة خمس وسبعمائة.

وفي النزهة: وكان علاء الدين أيدغدي المذكور من أصحاب الأمير بهاء الدين يعقوبا أمير الأكراد الشهرزورية، ولما حصل له العبور إلى مصر مسك يعقوبا في الدولة الظاهرية هو وجماعة من أكابرهم، فهرب هذا الرجل مع جماعة من الأكراد إلى بلاد البحيرة، ثم دخلوا إلى الإسكندرية، وكان معه شيء من المال، واجتمع بجماعة من المغاربة وعاشرهم إلى أن أخذوا له بضائعا تصلح للمغرب، وركب معهم في مركب هو وأصحابه، ولما وصلوا إلى أبي يعقوب المريني عرفوه بحاله، فأكرمه وقربه، فوجده كافيا للأمور، فتعاظم عنده في تلك المدة إلى أن مكنه في التحدث في الوزارة، وسار فيها سيرة حسنة، وعرف أخلاق المغاربة لطول مدته عندهم، وكان وقت دخوله إليهم شابا، ثم سأل المريني ان يحج ويقضي فرضه، فأنعم له بذلك، وجهز أيضا صحبته جماعة من أهله وأقاربه، وتبعتهم جماعة كثيرة، وسير صحبته خيلا وبغالا، وتحفا سنية تصلح للملوك، وأخذ الوزير أيضا صحبته ما يليق به، ولما دخل على السلطان أكرمه وقربه وأمر بإنزالهم في الميدان، ورتب لهم كل ما يحتاجون إليه، ورسم للوزير والمباشرين أن يجهزوهم بكل ما أمكن.

ومنهم متملك دنقلة وبلاد النوبة واسمه أياي، وصل إلى مصر وأحضر معه هدية من الرقيق والهجن والجمال والأبقار والشب والسنباذج، وأنزل بدار الضيافة، وقبلت هداياه، وشرف بالخلع الملوكية والتشاريف السلطانية، وسأل أن يجرد معه عسكرا لينهض به على إعداده، فجرف معه جماعة من أجناد الأمراء وجند الولايات وعربان الصعيد، وجعل سيف الدين طقصبا الذي كان والي قوص مقدما عليهم.

وقال صاحب النزهة: وجردوا من مصر نحوا من ثلاثمائة فارس من جند الحلقة والأمراء، فخرجوا إلى أن وصلوا في المركب والبر أيضا إلى قوص، وأقاموا إلى أن اكتمل الجند والعرب، ورحل طقصبا بالعسكر جميعه وصحبتهم ملك دنقلة، فبلغه خبر بهروب صاحب دنقلة صحبته جماعة كثيرة من السودان، وعلم أنه لا ينال طائلا، واتفق مع الملك، ورجع بالعسكر إلى

مصر.

ومنهم: جماعة من التتر نحو مائتي فارس وصلوا في جمادى الأولى منها بنسائهم وأولادهم وأموالهم، ودخلوا دمشق تاسع الشهر، وقيل: إن فيهم أربعة من السلاحدارية للملك قازان.." <عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٤٥٥>

"أمثلة الردف:

١ الردف بالألف مع روى ساكن، ومثاله قول شوقي:

قولوا له روحي فداه ... هذا التجني ما مداه؟

أنا لم أقم بصدوده ... حتى يحملني نواه

تجري الأمور لغاية ... إلا عذابي في هواه

سميته بدر الدجى ... ومن العجائب لا أراه

٢ الردف بالواو أو الياء مع روي ساكن، ومثاله قول شوقي أيضا مخاطبا نابليون:

قم إلى الأهرام واخشع واطرح ... خيلة الصيد وزهو الفاتحين

وتمهل إنما تمشي إلى ... حرم الدهر ومحراب القرون

يا كثير الصيد للصيد العلا ... قم تأمل كيف صادتك المنون

قم تر الدنيا كم غادرتها ... منزل الغدر وماء الخادعين

وتر الحق عزيزا في القنا ... هينا في العزل المستضعفين

وتر الأمر يدا فوق يد ... وتر الناس ذئابا وضئين

عظة قومي بها أولى وإن ... بعد العهد فهل يعتبرون؟

هذه الأهرام تاريخهم ... كيف من تاريخهم لا يستحون؟

٣ الردف بالألف: والروى محرك، أي مشبع، فيكون بعده وصل. وعلى هذا يكون في القافية ثلاثة مظاهر: ردف وروى ووصل. ومثال ذلك قول أبي فراس الحمداني معاتبا سيف الدولة:." <علم العروض والقافية عبد العزيز عتيق ص/١٥٧>

"وبعض بالإلهام

ومنهم من قال أنه كان يوجد مكتوبا في الهياكل لا يعلم من كتبه ومنهم من قال أنها كانت تخرج يد بيضاء مكتوب عليها الطب ونقل عنهم أن شيت أظهر الطب وأنه ورثه عن آدم عليهما الصلاة والسلام

فأما المجوس فإنها تقول أن زرادشت الذي تدعي أنه نبيهم جاء بكتب علوم أربعة زعموا أنها جلدت باثني عشر ألف جلد جاموس ألف منها طب

وأما نبط العراق والسورانيون والكلدانيون والكسدانيون وغيرهم من أصناف النبط القدم فيدعى لهم أنهم اكتشفوا مبادئ صناعة الطب

وأن هرمس الهرامسة المثلث بالحكمة كان بينهم ويعرف علومهم فخرج حينئذ إلى مصر وبث في أهلها العلوم والصنائع وبنى الأهرام والبرابي ثم انتقل العلم منهم إلى اليونانيين

وقال الأمير أبو الوفاء المبشر بن فانك في كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم أن الإسكندر لما تملك مملكة دارا واحتوى على فارس أحرق كتب دين المجوسية وعمد إلى كتب النجوم والطب والفلسفة فنقلها إلى اللسان اليوناني وأنفذها إلى بلاده وأحرق أصولها

وقال الشيخ أبو سليمان المنطقي قال لي ابن عدي أن الهند لهم علوم جليلة من علوم الفلسفة وأنه وقع إليه أن العلم من ثم وصل إلى اليونانيين

وقال الشيخ أبو سليمان ولست أدري من أين وقع له ذلك

وقال بعض علماء الإسرائيليين أن الذي استخرج صناعة الطب يوقال بن لامخ بن متوشالخ." <عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/١٨>

"نبوته وتذكر الفرس أن جده كيومرث وهو آدم

ويذكر العبرانيون أنه أخنوخ وهو بالعربية إدريس

قال أبو معشر هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية وأن جده كيومرث وهو آدم علمه ساعات الليل والنهار وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وأول من نظر في الطب وتكلم فيه

وأنه ألف لأهل زمانه كتبا كثيرة بأشعار موزونة وقواف معلومة بلغة أهل زمانه في معرفة الأشياء الأرضية والعلوية

وهو أول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار وكان مسكنه صعيد مصر تخير ذلك فبنى هناك الأهرام ومدائن التراب وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي وهو الجبل المعروف بالبرابر بأخميم وصور فيها جميع الصناعات وصناعها نقشا وصور جميع آلات الصناع وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده برسوم حرصا منه على تخليد العلوم لمن بعده وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم

وثبت في الأثر المروي عن السلف أن إدريس أول من درس الكتب ونظر في العلوم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول

من خاط الثياب ولبسها ورفعه الله مكانا عليا

وأما هرمس الثاني فإنه من أهل بابل سكن مدينة الكلدانيين وهي بابل وكان بعد الطوفان في زمن نزيربال الذي هو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش

وكان بارعا في علم الطب والفلسفة وعارفا بطبائع الأعداد وكان تلميذه فيثاغورس الأرتماطيقي

وهرمس هذا جدد من علم الطب والفلسفة وعلم العدد ما كان قد درس بالطوفان ببابل ومدينة الكلدانيين هذه مدينة الفلاسفة من أهل المشرق وفلاسفتهم أول من حدد الحدود ورتب القوانين

وأما هرمس الثالث فإنه سكن مدينة مصر وكان بعد الطوفان وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم وكان طبيبا فيلسوفا وعالما بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات المؤذية وكان جوالا في البلاد طوافا بها عالما بنصبة المدائن وطبائعها وطبائع أهلها

وله كلام حسن في صناعة الكيمياء نفيس يتعلق منه إلى صناعات كثيرة كالزجاج والخرز والغضار وما أشبه ذلك وكان له." <عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٣٢>

"تمن علينا اليوم أن أخصب الثرى ... وأن أصبح المصري حرا منعما

أعد عهد إسماعيل جلدا وسخرة ... فإني رأيت لمن أنكى وآلما

عملتم على عز الجماد وذلنا ... فأعليتم طينا وأرخصتم دما

إذا أخضبت أرض وأجدب أهلها ... فلا أطلعت نبتا ولا جادها السما

وإلى أن يقول مودعا ومشيرا إلى مأساة التعليم على عهده:

يناديك قد أزريت بالعلم والحجا ... ولم تبق للتعليم يا لرد معهدا

وأنك أحصبت البلاد تعمدا ... وأجديت في مصر العقول تعمدا

وأودعت تقرير الوداع مغامرا ... رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا

يناديك: أين النابغون بعهدكم ... وأي بناء شامخ قد تحددا

فما عهد إسماعيل والعيش ضيق ... بأجدب من عهد لكم سال عسجدا

وليس هذا كل ما جناه كرومر على عقول المصريين، فمساعيه في نشر الثقافة الإنجليزية في البلاد عنوة وفرض اللغة الإنجليزية على البلاد قسرا قد جعلت عهده من أسوأ العهود التي مرت على مصر العربية الإسلامية.

راع كرومر حينما فكر في نشر الثقافة الإنجليزية ذلك البناء الضخم من الثقافة الفرنسية الذي شيدته همم الإرساليات التبشيرية، البعثات العلمانية، وتشجيع الحكومة الفرنسية وأموال رجال الاقتصاد والأعمال من أهل فرنسا، وهالته كثرة المدارس الفرنسية بمصر، وحماس هؤلاء الذين تعلموا بها، أو في فرنسا ذاتها لنشر اللغة الفرنسية بمصر، وحماس هؤلاء الذين تعلموا بها، أو في فرنسا ذاتها لنشر اللغة الفرنسية، وآدابها، ورأى أن الفرنسيين قد بذلوا غاية جهدهم لمساعدة هؤلاء الذين يتخرجون في مدارسهم فاشترطوا على الإنجليز -أول سني الاحتلال- أن يظل لهم النفوذ الأول ببعض المصالح الحكومية، كما كان قبل الاحتلال، فخلصت لهم إدارة مصلحة الآثار المصرية، التي أشرفوا عليها منذ أن اكتشف "حجر رشيد". وخلصت لهم كذلك إدارة مدرسة الحقوق، واستولوا بأموالهم وقروضهم وشركاتهم، ومؤسساتهم التجارية على أكثر من نصف المصالح الاقتصادية والأموال المنقولة بمصر[١] ووجد الشبان المصريون

---

١ جاء في تقرير لجنة الشئون الخارجة بمجلس النواب الفرنسي حين عرضت عليه معاهدة "منترو" لإلغاء الامتيازات الأجنبية بمصر. أن رءوس الأموال الأجنبية بها تبلغ ٥٠ مليارا من الفرنكات من مجموع ما فيها من رءوس الأموال المنقولة وقدره ٥٥

مليارا وأن للفرنسيين وحدهم من الأموال التي يملكها الأجانب ٣٠ مليارا من الفرنكات "الأهرام ١٠ يونيو ١٩٣٨".."
<في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٣٦>

"المظهر الثقافي:

صاحب النشاط السياسي في مصر والشعور بوجوب التحرر من ربقة الاحتلال اهتمام بالغ بالنهضة الثقافية، حتى تستطيع الأمة أن تجاري ركب الحضارة، وأن تحسن إدارة شئونها الداخلية والخارجية، وقد أشرنا إلى هذا الاهتمام في آخر الفقرة الأولى١، وكان أول مظاهره إنشاء الجامعة المصرية بعد أن دعا إليها مصطفى كامل أكثر من مرة ولبى دعوته مصطفى كامل الغمراوي، وعمل على أن يخرج هذا المشروع إلى نور الشمس، ويصير حقيقة واقعة، ولكي تخرج الجامعة الأمة من سباتها، وتبث فيها الحياة، فتستطيع مغالبة الغاصب، وتخليص البلاد من براثنه، وكان أول اجتماع لتحقيق الجامعة في ١٢ من أكتوبر ١٩٠٦، واختير "الأمير" أحمد فؤاد "الملك فؤاد فيما بعد" رئيسا لها، واشتدت حركة الاكتتاب لها، وتوجتها "الأميرة" فاطمة إسماعيل فحبست عليها ٦٦١ فدانا؛ غير ما تبرعت به من حليها التي قدرت باثنين وعشرين ألفا من الجنيهات، وفي سنة ١٩١٤ وضع الحجر الأساسي للجامعة بحضور الخديو عباس، ولم يكن

---

١ راجع ص٥٢ من هذا الكتاب وما بعدها.

٢ كان عدد المجتمعين نحو اثنين وعشرين رجلا نذكر منهم: سعد زغلول، وقاسم أمين، ومحمد راسم، وحفني ناصف، وأخنوخ فانوس، وحنفي ناجي، وفتح الله بركات، وأحمد رمزي، وراجع أحمد رمزي بك في مقال عن الجامعة وتأسيسها الأهرام ١/ ٦/ ١٩٥١.." <في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/١٨٢>

"فياض بالجمال، وقدرة فائقة على التعبير عن هذا الجمال، "لو أن رهطا من الشعراء والكتاب، وأرباب الفن استلهموا هذا النيل ودونوا وحيه، لرأيت صاحبي الذي هز كتفيه حين ذكرت له إعجابي بالنيل وجماله أشد بنيل بلاده إعجابا منه بجمال سويسرا، أو أية بقعة ساحرة من بقاع العالم، نعم! فالفن يسكب الجمال في النفوس الجامدة أمام الجمال، وهو يمال

يصنع من هذا يدفع الناس إلى العمل للمزيد من هذا الجمال، وذلك بأنه يحبب إليهم الحياة، ويدعوهم إلى زيادة تجميلها، وإلى معاونة الطبيعة فظهار زينتها وبهجتها"[١].

ولا شك أن دراسة هيكل للأدب الأجنبي القديم والحديث، ولا سيما أدباء المدرسة الإبداعية أمثال روسو، وهيجو، وأناتول فرانس، وشاتو بريان، ولا مارتين، وغيرهم هو الذي أوحى إليه بأن يهز أدباءنا تلك الهزة القوية لعلهم يستيقظون، ولكننا نقول تقريرا للحقيقة: إن تلك النزعات القومية التي دعا إليها هيكل، وتغنى بها، وحث الشعراء عليها: من إحياء التاريخ القديم، وتغنيه بالطبيعة، وقد ظهرت في شاعر مصري قوية جذابة من أول نشأته الشعرية، وذلك هو شوقي، فقصيدته: "كبار الحوادث في وادي النيل" التي قالها في مؤتمر المستشرقين بجنيف عام ١٨٩٤ والتي مطلعها:

همت الفلك واحتواها الماء ... وحداها بمن تقل الرجاء

"رواية من الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة إلى عهد أبناء محمد علي، وقف فيها الشاعر وقفة مصري، صادق العاطفة تفيض عليه ربة الشعر تاريخ بلاده منذ عرفها التاريخ[٢] وليست هذه القصيدة اليتيمة التي قالها شوقي في مصر، بل إنه أحس بما أحس به هيكل، وسبقه في شعوره، وفي إبراز هذه الفكرة، واستجابته لجمال بلاده، ولإيمانه العميق بها، فقال عدة قصائد في تاريخ مصر قديما وحديثا كقصائده على سفح الأهرام، وأبي الهول، وتوت عنخ أمون، وأنس الوجود، وأنت إذا تقرأ هذه القصائد يهزك الشعور بصورة هذا الماضي في

---

١ ثورة الأدب ص١٣٨.

٢ مقدمة هيكل للشوقيات ص٦.." <في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٢٥٠>

"كما لم نجد في شعرهما هذا الإفراط في التشاؤم إلى حد الهوس والجنون، بل إن المازني نفسه يحمل على شكري، حملة قاسية ويرميه بالجنون، وهو متأثر به وتتلمذ له وإن أنكر هذا[١] وفي الديوان ثم عاد فاعترف بأستاذيته بعد أن صمت شكري[٢] طويلا كما ذكرنا ذلك من قبل.

ولكننا نرى العقاد ينكر أن يكون مطران هو الذي هداه إلى هذا الشعر الجديد أو هدى زميله فهو "لم يؤثر بعبارته أو بروحه فيمن أتى بعده من المصريين؛ لأن هؤلاء كانوا يطلعون على الأدب العربي القديم من مصدره، ويطلعون على الأدب الأوربي من مصادره الكثيرة، ولا سيما الإنجليزية، فهم أولى أن يستفيدوا نوازع التجديد من آداب الأوربيين وليس للأستاذ مطران مكان الوساطة في الأمرين ولا سيما عند من يقرءون الإنجليزية ولا يرجعون في النقد إلى موازين الأدب الفرنسي، أو إلى الاقتداء بموسييه ولا مرتين من وغيرهما من أمراء البلاغة في إبان نشأة مطران"[٣].

أما أبو شادي فقد اعترف بتأثره بمطران في أسلوبه الجديد[٤]، وإن اختلف عنه بعد ذلك؛ لأنه من قراء الأدب الإنجليزي، كما اختلف عن شكري في أن نزعته تفاؤلية وقد أقام مدرسة شعرية جديدة عرفت بمدرسة "أبولو" ولكنها لم تكن ذات منهج معين في الشعر بل جمعت أنماطا مختلفة من الشعراء بين مفرق في التقليد وجانح إلى التجديد أو مفرط فيه وإذا كان لها من أثر فهو في نهوضها بالشعراء الشادين والأخذ بيدهم والعناية بدراسة الشعر العربي الحديث ونقده، ونقل بعض الشعر الغربي، إلا أن أبا شادي قد انصرف عن الشعر العربي، وأثر النظم باللغة الإنجليزية، فانقطع تيار تأثيره[٥] ثم هاجر إلى أمريكا

في أعقاب الحرب العالمية الثانية وظل هناك حتى توفي.

---

١ راجع الديوان في النقد والأدب والجزء الأول مقال: "صنم الألاعيب" ص٤٨ والجزء الثاني ص٨٩.

٢ جريدة البلاغ أو سبتمبر سنة ١٩٣٤.

٣ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي للعقاد ١٩٩- ٢٠٠.

٤ راجع أبو شادي في أنداء الفجر ص١٢٨ وفي قطرة من يراع في الأدب والاجتماع ج٢ ص٣ ومجلة أبولو أكتوبر ١٩٣٤ ص٢٦٤، مختار الوكيل في رواد الشعر الحديث عن مطران وأبي شادي وشكري والعقاد، ومحاضرات الدكتور إبراهيم ناجي "اتجاهات الشعر الحديث" الأهرام ٢٠/ ٦/ ١٩٣٦.

٥ راجع leonard harker في كتابه blazing the trail ص١٢٩، وراجع الدكتور إسماعيل أدهم عن مطران ص٣٤.." <في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٢٨٨>

"ومن فرط حبه لمصر نسي أنه عربي بدوي، وراح يشيد بمناقب مينا وخوفو، ورمسيس، والحق ألا تعارض بين نسبه العربي، وفخره بمصر، وبمن شادوا مجدها القديم فهو اليوم مصر الموطن والمولد، ينعم بخيرات مصر، ويتمتع بجناتها وأجوائها، وقد دافع عن رأيه هذا بقوله:

رويدك إنا في العلا يوم ننتمي ... كلانا أبوه النيل أو أمه مصر

لنا آية الأهرام يتلو قديمها ... حديث الليالي فهي في فمها ذكر

ملأنا بها لوح الوجود مناقبا ... إذا ما خلا عصر تلاها به عصر

وللعلم من آثارنا في جبالنا ... على الدهر آيات بها ينطق الصخر

إذا جهلوا مينا وخوفوا وخفرعا ... فليس "برمسيس على ملكه نكر

لنا كل ما في الأرض من مدينة ... بها تعمر الأمصار والبلد القفره

لنا في الورى حق المعلم لو رعوا ... لنا ذمة وادهر شيمته الغدر

ويقول في هذه القصيدة مضمنا المثل الأوربي المشهور "الدين لله والوطن للجميع".

كلاهنا على دين به هو مؤمن ... ولكن خذلان البلاد وهو الكفر

إذا ما دعت مصر ابنها نهض ابنها ... لنجدتها سيان مرقس أو عمرو

وهو في وطنيته هذه يأنف من الاحتلال وذل العبودية والاستعمار؛ شأن العربي الذي ألف الحرية المطلقة:

حرام علينا أن نعيش أذلة ... وذو الذل أولى ما يكون به القبر

ولما رأى الخلف دبب بين المصريين بعد ثورتهم العظيمة، وانقسموا شيعا وأحزابا وهنت بها قوى مصر، وخفت صوتها في المطالبة بحقوقها قال:

فيا مصر إن عز الوفاء فإننا ... على العهد لا نلوي ولا نتغير." <في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٤٠٥>

"المراجع:

١- المراجع العربية

الدكتور إبراهيم ناجي:

اتجاهات الشعر الحديثة "الأهرام ٢٠/ ٩/ ١٩٣٦م".

إبراهيم المازني:

١- إبراهيم الكاتب.

٢- قبض الريح.

٣- حصاد الهشيم.

٤- الديوان.

٥- ديوان المازني.

٦- الشعر غاياته ووسائطه.

٧- شعر حافظ.

إبراهيم البازجي:

١- اللغة والعصر "مختارات المنفلوطي".

أحمد أمين:

١- مقدمة ديوان حافظ إبراهيم.

٢- مقدمة ديوان إسماعيل صبري.

أحمد حسن الزيات:

١- وحي الرسالة ج١، ٢.

٢- دفاع عن البلاغة.

أحمد زكي:

مقال عن شوقي "مجلة أبوللو ديسمبر سنة ١٩٣٢".

أحمد زكي أبو شادي:

١- أنداء الفجر.

٢- قطرة من يراع في الأدب والاجتماع.

٣- مجلة أبوللو

أحمد الزين: مقدمة ديوان إسماعيل صبري.

أحمد الإسكندري: مقدمة ديوان عبد المطلب.

أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي.

أحمد شوقي: الشوقيات.

الدكتور أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم في مصر.

أحمد فتحي زغلول:

١- سر تقدم الإنجليز السكسونيين.

٢- ماهية اللغة "مختارات المنفلوطي".

أحمد الكاشف: الديوان.

أحمد محرم:

١- الديوان.

٢- دراسة عن إسماعيل صبري "مجلة أبوللو سنة ١٩٣٤".

الدكتور إسماعيل أدهم:

مطران

أنطون الجميل:

١- مقدمة ديوان إسماعيل صبري.." <في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٤٨٣>

"-[٩٧]- ٢٨٤٦ - (أول الرسل آدم) إلى بنيه وكانوا مؤمنين فعلمهم شرائع علم الله (وآخرهم محمد) صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ﴿وخاتم النبيين﴾ فلا نبي بعده (وأول أنبياء بني إسرائيل موسى) بن عمران (وآخرهم عيسى) بن مريم (وأول من خط بالقلم) أي كتب ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود (إدريس) قيل سمي به لكثرة درسه كتاب الله وأبطله الزمخشري بأنه لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد العلمية فكان منصرفا فمنعه من الصرف دليل العجمة وهذا الحديث صريح في إبطال زعم الكلبي أن أول من وضع الخط نفر من طيء قيل وأول من كتب بالعربي إسماعيل وما ذكر هنا من أن أول من خط إدريس جرى عليه جمع وذكر آخرون منهم كعب الأحبار أن أول من كتب آدم كتب سائر الكتب قبل موته بثلاث مئة سنة في طين ثم طبخه فلما غرقت الأرض في زمن نوح بقيت الكتابة فأصاب كل قوم كتابهم وبقي الكتاب العربي إلى أن خص به إسماعيل فأصابه وتعلم العربية ذكره الماوردي وقال: كانت العرب تعظم قدر الخط وتعده من أجل نفع حتى قال عكرمة: بلغ فداء أهل بدر أربعة آلاف حتى إن الرجل ليفادى به على أن يعلم الخط لخطره وجلالته عندهم. <فائدة> قال ابن فضل الله: كان إدريس يسمى هرمس المثلث كان نبيا وحكيما وملكا ووزيرا. قال أبو معشر: هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية وأول من عمل الكيمياء وأول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وأول من نظر في الطب وتكلم فيه وأنذر بالطوفان وكان يسكن صعيد مصر فبنى هناك الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصناعات وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده حرصا منها على تخليدها بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ثم رفعه مكانا عليا

(الحكيم) الترمذي (عن أبي ذر) وفيه عمرو بن أبي عمر أورده الذهبي في الضعفاء وقال: قال ابن عدي: مجهول وإبراهيم بن هشام الغساني قال أبو حاتم غير ثقة ونقل ابن الجوزي عن أبي زرعة أنه كذبه ويحيى بن يحيى الغساني خرجه ابن حبان ذكره كله الذهبي." <فيض القدير المناوي ٩٧/٣>

"تغير التركيب العمودي والنوعي

...

٢- تغير التركيب العمري والنوعي:

سبق القول بأن الهجرة تتميز ببعض الخصائص الديموغرافية سواء في التركيب العمري أو النوعي أو الاقتصادي للمهاجرين، ومن أبرز الخصائص ظاهرة الانتقاء الهجري migration selectivity، أي اختيار المهاجرين ونوعيتهم، وانعكاس ذلك على خصائص السكان في مكاني الأصل والوصول، ويعني ذلك ببساطة أن المهاجرين ليسوا من عينة عشوائية من السكان في مكان الأصل ذلك لأن الأشخاص الذين يستجيبون إلى مجموعة من العوامل الإيجابية والسلبية في كلا المكانين لهم قدرات مختلفة للتغلب على العوائق الوسيطة ولذا فإن أبرز سمات الهجرة هي الشباب -والذكور منهم على وجه الخصوص- وتؤدي حركة الهجرة لهذه الفئة العمرية إلى تغير في التركيب السكاني في المجتمع المهاجر منه والمجتمع المهاجر إليه ويبدو ذلك بمقارنة الأهرام العمرية النوعية للسكان في كلا المجتمعين.." <قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية جودة حسنين جودة ص/٤٠٩>

"تواريخ مصر

منها: أخبار خططها.

فأول من صنف فيها - على ما قاله المقريزي -: أبو عمر: محمد بن يوسف الكندي.

المتوفى: سنة ست وأربعين ومائتين.

ثم كتب القضاعي.

وسماه: (المختار) .

فدثر ما ذكراه، ولم يبق إلا لمع بما حل بمصر، من سني الشدة المستنصرية، من سنة سبع وخمسين وأربعمائة، إلى أربع وستين، من الغلاء، والوباء، فمات أهلها، وخربت ديارها.

ثم جمع: تلميذه، أبو عبد الله: محمد بن بركات النحوي.

المتوفى: سنة عشرين وخمسمائة.

ثم كتب: الجواني.

وسماه: (النقط، لمعجم ما أشكل من الخطط) .

فنبه فيه: على معالم قد جهلت.

وسيأتي ذكرها.

ثم كتب: ابن المتوج.

وسماه: (اتعاظ المتأمل) .

فبين: أحوالها إلى سنة بضع وعشرين وسبعمائة، وقد دثر بعده معظم ذلك.

ثم كتب: ابن عبد الظاهر أيضا.

وسماه: (الروضة البهية الزاهرة) .

وسيأتي.

ثم صنف: المقريزي.

(المواعظ والاعتبار، بذكر الخطط والآثار) .

فأوعب، وأجاد.

وسيأتي أيضا.

ومنها: (تاريخ ملوكها) .

للشيخ، تقي الدين: أحمد بن عبد القادر المقريزي، المذكور.

المتوفى: سنة ٨٤٥، خمس وأربعين وثمانمائة.

وهو: تاريخ كبير، مقفى.

في تراجم: أهل مصر، والواردين إليها.

قال صاحب (النجوم الزاهرة) : لو كمل هذا التاريخ على ما اختاره، لجاوز الثمانين مجلدا.

وله: (عقد جواهر الأسفاط، من أخبار مدينة الفسطاط) .

يأتي.

و (اتعاظ الحنفاء، بأخبار الخلفاء) .

وهما: يشتملان على ذكر من ملك مصر، وما كان في أيامهم من: الحوادث، منذ: فتحت، إلى أن: زالت الدولة الفاطمية.

وألف: (السلوك، لمعرفة دول الملوك) .

في ذكر من ملك بعدهم من: الأكراد، والأتراك، والجراكسة، وما وقع في أيامهم.

وذيل السلوك: المسمى: (بحوادث الدهور) .

لتلميذه، الأمير، جمال الدين: يوسف بن تغري بردي.

المتوفى: سنة ٨٧٤، أربع وسبعين وثمانمائة.

وله: (النجوم الزاهرة، في أخبار مصر والقاهرة) .

وهو كبير جدا.

يأتي كلها.

ومنها: (تاريخ مصر) .

لعز الملك: محمد بن عبيد الله المسبحي، الحراني.

المتوفى: سنة ٤٢٠، عشرين وأربعمائة.

وهو كبير.

في اثني عشر مجلدا.

واختصره: تقي الدين الفاسي.

والذيل عليه:

لابن الميسر.

و (تاريخ مصر) .

لجمال الدين: علي بن يوسف القفطي، الوزير.

المتوفى: سنة ست وأربعين وستمائة.

ولقطب الدين: عبد الكريم بن محمد بن عبد النور بن المنير الحلبي.

المتوفى: سنة خمس وثلاثين وسبعمائة.

في بضع عشر مجلدا.

ولم يكمله.

و (تاريخ مصر) .

لمحمد بن عبد الحكم، هو: محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، الشافعي.

المتوفى: سنة ٢٦٨.

و (تاريخ مصر) .

لابن أبي طي: يحيى بن حميد الحلبي.

المتوفى: سنة ثلاثين وستمائة.

ومنها تاريخان:

لابن يونس: عبد الرحمن بن أحمد الصدفي.

المتوفى: سنة سبع وأربعين وثلاثمائة.

أحدهما: وهو كبير، لأهل مصر.

والآخر: وهو صغير، للغرباء الواردين إليها.

و (الذيل عليهما) .

لأبي القاسم: يحيى بن علي الحضرمي، ابن الطحال.

المتوفى: سنة ست عشرة وأربعمائة.

وذيله أيضا:

الحسين بن إبراهيم بن زولاق.

المتوفى: سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

وله: (كتاب الخطط) .

استقصى فيه: أخبار مصر.

وذكره ابن خلكان، ولم يذكره المقريزي.

و (تاريخ أعيان مصر) .

لعلي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المنجم.

المتوفى: سنة تسع وتسعين وثلاثمائة.

ومنها: (١/ ٣٠٦) (الرسالة المصرية) .

لأبي الصلت: أمية بن عبد العزيز الأندلسي.

المتوفى: سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

ذكر فيها: من اجتمع بهم من أهل مصر، وما شاهده من آثارها.

ومنها: (كشف الممالك) .

لابن شاهين.

وقال في المجلد الثاني، من (كشف الممالك) : هو تأليف: خليل بن شاهين الظاهري.

ومختصره، المسمى: (بالزبدة) .

و (سجع الهديل، في أخبار النيل) .

للتيفاشي.

و (عقود الجواهر، فيمن ولي بمصر) .

لابن دانيال.

و (نزهة الناظرين) .

مختصر: في أخبار ملوكها.

و (نزهة المقلتين، في أخبار الدولتين: الفاطمية، والصلاحية) .

يأتي كل منها: في محالها.

ومنها: (الانتصار، لواسطة عقد الأمصار) .

لابن دقماق، صارم الدين: إبراهيم بن محمد.

المتوفى: سنة تسع وثمانمائة.

ومنتخبه، المسمى: (بالدرة المضية، في فضل مصر والإسكندرية) .

و (أخبار مصر) .

للموفق البغدادي.

و (أشرف الطرف) .

لابن مرزوق.

و (الإنصاف بالدليل، في أوصاف النيل) .

لابن الدريهم.

سبق كلها.

ومنها: (النزهة السنية، في أخبار الخلفاء، والملوك المصرية) .

و (تفريج الكربة، لدفع الطلبة) .

لابن أبي السرور.

و (فرائد السلوك، في الخلفاء والملوك) .

للباعوني.

وذيله: (الإشارة الوفية) .

لابن أخيه.

و (بدائع الزهور، في وقائع الدهور) .

لابن إياس.

و (حسن المحاضرة، في أخبار مصر والقاهرة) .

للسيوطي.

و (تحفة الكرام، بأخبار الأهرام) .

له: أيضا.

و (در السحابة، فيمن دخل مصر من الصحابة) .

له أيضا.

لخصه من: (كتاب محمد بن ربيع الجيزي) .

وزاد عليه.

كلها يأتي أيضا.

ومنها: (الإعلام، بمن ولي بمصر في الإسلام) .

للحافظ: ابن حجر.

و (تواريخ قضاة مصر) .

سبق ذكر كلها.

ومنها: (تاريخ القاهرة) .

لأبي الحسن الكاتب.

و (تاريخ مصر) .

تركي.

لصالح بن جلال الرومي.

المتوفى: سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة.

و (تاريخ مصر) .

لإبراهيم بن وصيف شاه.

ذكر فيه: الخليفة، والأنبياء، ثم إقليم مصر، وعجائبها.

أوله: (الحمد لله الذي أنشأ جميع الموجودات من العدم ... الخ) .

وله: تاريخ آخر مختصر.

سماه: (جواهر البحور، ووقائع الدهور) .

ومن تواريخ مصر:

تاريخ سيوط، والإسكندرية، وأسوان، وتواريخ الصعيد، ... وغير ذلك، مما شذ عن إحاطة قلم الفقير، ولا ينبئك مثل خبير.." <كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة ١/٣٠٤>

"تحفة الكرام، بأخبار الأهرام

للشيخ، جلال الدين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

المتوفى: سنة ٩١١، إحدى عشرة وتسعمائة.." <كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة ١/٣٧٢>

"حسن المحاضرة، في أخبار مصر والقاهرة

لجلال الدين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

المتوفى: سنة ٩١١، إحدى عشرة وتسعمائة.

ذكر فيه ثمانية وعشرين كتابا من

الكتب المؤلفة في أخبار مصر، فلخصها وأورد ملوكها، ومن دخلها من الأنبياء عليهم السلام، والحكماء، ثم ذكر الأهرام، والإسكندرية، ومن دخلها من الصحابة، والتابعين، ثم ذكر أعيانها من كل صنف، ثم ملوك مصر، ونوابها في الدولة الإسلامية، وعساكرهم.

وما فيها من الجوامع والمدارس، والنيل، وما قيل فيها من الأشعار.." <كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة ١/٦٦٧>

"نشق الأزهار، في عجائب الأقطار

لمحمد بن إياس الحنفي.

المتوفى: سنة ٩٣٠.

أخذه من: (تواريخ الأمم) .

وذكر فيه: أغرب ما سمعه، وأعجب ما رآه، من عجائب مصر، وأعمالها، وما صنعت الحكماء فيها.

وذكر: طرفا يسيرا من ملوكها القدماء، ومن أخبار النيل، والأهرام.

وابتدأ فيه: بذكر طرف يسير من أخبار الفلك، وعلم الهيئة.." <كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة ١٩٥٣/٢>

"أول خليفة لعب: بالصوالجة. في الميدان.

ورمى بالنشاب في البرجاس «١» . ولعب بالكرة والشطرنج.

" هرقل":

أول من ضرب الدنانير. وأحدث البيعة للأولاد.

" هرمس الساكن في صعيد مصر الأعلى" «٢»

: أول من تكلم في الجواهر العلوية.

وأنذر بالطوفان. وخاف ذهاب العالم، ودروس الصنائع فبنى الأهرام وصورفيه الصنائع والآلات، ورسم فيه صفات العلوم.

" هلال بن أمية":

أول لعان كان في الإسلام لعانه مع زوجته.

" أبو هيثم بن التيهان" «٣»

: أول من بايع يوم العقبة.

أو البراء بن معروف «٤» .

أو أسعد بن زرارة «٥» ، [و] تقدم.." <كنوز الذهب فى تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ٩٤/٢>

"يكذب يروي عن محمد بن عبد الملك الدقيقي وغيره.

٩٠١ - "محمد" بن عبد العزيز يعرف بمكي البردعي يروي عن القاضي الأبهري وقال الخطيب فيه نظر انتهى وبقية كلام الخطيب مع أنه لم يرو كثير شيء كتب عنه ومات سنة ثلاث وعشرين وأربع مائة.

٩٠٢ - "محمد" بن عبد العزيز بن عبد الرحيم بن عمر بن سلمان الشريف الإدريسي المقرى الأجلح القارى المولد نزيل القاهرة قدم أبوه فولد له هذا بواد من صعيد مصر في رمضان سنة ثمان وستين ونشأ بمصر وسمع من البوصيري وابن ياسين والأرماحي وعبد المجيب بن زهير وفاطمة بنت سعد الخير في عدد كثير وسمع بالإسكندرية وغيرها وتصدر بالعمرية بالقاهرة أخذ عنه الدمياطي والشريف الحسني وأحمد بن يوسف الأربلي وأبو صادق بن الرشيد العطار وآخرون قال القطب كان إماما عالما ومحدثا حافظا عارفا بالتاريخ والأدب والحديث والنسب وله كتاب المفيد في ذكر من دخل الصعيد وكتاب في الأهرام جيد وذكره ابن مسدي في معجمه وقال ذكر لي أنه من ولد إدريس بن إدريس الحسني ورأيت المطاعن عليه بمصر في ذلك وكان متسامحا في باب الرواية متساهلا فيه إلى الغاية وقد سمعت منه فوائد من أصل سماعه وربما حسن حاله بآخره

في تصانيفه وأنشد له ولم أر علما في الحديث فنونه تطول إذا اعددتهن وتكثر ويحسب قوم أنه النقل وحده ونقل شروزي منه عندي أيسر وشروزي بفتح المعجمة والراء وسكون الواو بعدها زاي مقصورة جبل معروف وكانت وفاة المذكور في صفر سنة أربع وأربعين وست مائة.

٩٠٣ - "محمد" بن عبد الغفار يأتي في موسى بن خاقان.." <لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٥/٢٦٢>

"البساتين. وقد أتقنه إلى الغاية وأنفق عليه أموالا طائلة. ووضع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون. فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض وكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع. وتم بناء الزهراء بأربعين سنة (للمقري) .

عجائب مصر منها المقياس والأهرام والنيل

قال ضياء الدين بن الأثير في وصف مصر: ولقد شاهدت منها بلدا يشهد بفضله على البلاد. ووجدته هو المصر وما عداه فهو السواد. فما رآه راء إلا ملأ عينه وصدره. ولا وصفه واصف إلا علم أنه لم يقدر قدره. وبه من عجائب الآثار ما لا يضبطها العيان فضلا عن الإخبار. من ذلك الهرمان اللذان هرم الدهر وهما لا يهرمان. قد اختص كل منهما بعظم البناء. وسعة الفناء. وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير على بعد تحليقه. ولا يدركها الطرف على مدى تحديقه. فإذا أضرم برأسه قبس ظنه المتأمل نجما. وإذا استدار عليه قوس السماء كان له سهما. ومن عجائب مصر المقياس الذي يعتبر فيه قدر زيادة فيض النيل كل سنة. وابتداؤه من شهر جونة ومعظم انتهائه أغشت وآخرها أول شهر أكتوبر. والمقياس عمود رخام سمر في موضع ينحصر فيه الماء عند انتهائه إليه. وهو مفصل على اثنتين وعشرين." <مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٤/٢٥٥>

"ذراعا. وكل ذراع مفصلة على أربعة وعشرين قسما أقساما متساوية تعرف بالأصابع. فإذا استوى الماء تسع عشرة ذراعا في الفيض فهي الغاية عندهم في طيب العام. وربما كان الماء فيها كثير العموم الفيض. والمتوسط ما استوى سبع عشرة ذراعا وهو أحسن مما زاد عليه. والذي يستحق به السلطان خراجه ست عشرة ذراعا فصاعدا. وعليها تعطى البشارة للذي يرقب الزيادة في كل يوم ويعلم بها مياومة.

ومن المباني التي يبلى الزمن ولا تبلى وتدرس معالمه وأخبارها لا تدرس الأهرام التي بأعمال مصر. وهي على نحو سبعة أميال في الصحراء التي يفضى منها إلى الإسكندرية. وهي قديمة العهد معجزة البناء غريبة المنظر مربعة الشكل كأنها القباب المضروبة. قد قامت في جو السماء لاسيما الاثنان منها. في سعة الواحد منهما من ركنه إلى ركنه ثلاثمائة خطوة وست وستون خطوة محددة الأطراف في رأي العين. وربما أمكن الصعود إليها على خطر ومشقة فتلقى أطرافها المحددة كأوسع ما يكون من الرحاب. قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة وركبت تركيبا بديع الإلصاق يكاد يعجز أهل الأرض نقض بنيانها. أما الهرمان العظيمان فمحاذيان للفسطاط. كل واحد منهما جسم من أعظم الحجارة مربع القاعدة. ارتفاع عموده

أربع مائة ذراع يحيط بها أربعة سطوح مستويات الأضلاع وفي أعلاه سطح مربع رحب. وهما مع هذا العظم من إحكام الصنعة وإتقان." <مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٥٦/٤>

"الهندسة وحسن التقدير بحيث أنه لم يتأثر بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل. وهذا البناء ليس بين حجارته ملاط إلا ما يتخيل أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين أو ورقة لا يتخلل بينهما الشعرة. وطول الحجر منها خمسة أذرع في سك ذراعين. قال بعضهم: ما سمعت بشيء عظيم فجئته إلا رأيته دون صفته إلا الهرمين. فإني لما رأيتهما كان رؤيتهما أعظم من صفتهما. وقد اختلفوا في من بنى الأهرام. قال بعضهم:

حسرت عقول ذوي النهى الأهرام ... واستصغرت لعظيمها الأجرام

ملس مونقة البناء شواهق ... قصرت لعال ذونهن سهام

لم أدر حين كبا التفكير دونها ... واستوهمت لعجيبها الأوهام

أقبور أملاك الأعاجم هن أم ... طلسم رمل هن أم أعلام

وزعم بعضهم أن الأهرام بمصر قبور ملوك عظام بها آثروا أن يتميزوا على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم. فيبقى ذكرهم على تطاول الدهور. قال أمية بن عبد العزيز:

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا ... على ما رأت عيناك من هرمي مصر

أنافا بأعناء السماء وأشرفا ... على الجو إشراف السماك أو النسر

وقال الفقيه عمارة اليمني الشاعر:

خليلي ما تحت السماء بنية ... تماثل في إتقانها هرمي مصر

تنزه طرفي في بديع بنائها ... ولم يتنزه في المراد بها فكري." <مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٥٧/٤>

"وقال سيف الدين بن حبارة:

لله أي غريبة وعجيبة ... في صنعة الأهرام للألباب

أخفت عن الأسماع قصة أهلها ... وقصت على الأنباء كل نقاب

فكأنما هي كالخيام مقامة ... من غير ما عمد ولا أطناب

قال القضاعي: من عجائب مصر النيل. قالوا ليس على وجه الأرض نهر أطول من النيل. لأن مسيره شهر في بلاد الإسلام وشهران في بلاد النوبة وأربعة أشهر في الخراب إلى أن يخرج ببلاد القمر خلف خط الاستواء. وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمد في شدة الحر عند انتقاص المياه والأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب إلا النيل. وجعله الله تعالى سقيا يزرع عليه ويستغنى عن المطر به في زمان القيظ إذا نضب المياه. قال ابن خروف:

ما أعجب النيل ما أبهى شمائله ... في ضفتيه من الأشجار أدواح

من جنة الخلد فياض على ترع ... تهب فيها هبوب الريح أرواح

ليست زيادته ماء كما زعموا ... وإنما هي أرزاق وأرباح

(أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنترة والأسد

قال الراوي: وفي يوم من الأيام توغل عنتر في البر بالجمال والغنم. وقصد بها الروابي والأكم. إلى أن حميت عليه الشمس. وبعد عن حب عبس. فقصد شجرة من الأشجار. يستظل بها من حر النهار.." <مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٤/٢٥٨>

"قال: واقترحنا على القاضي أن يفرجنا في الأهرام فأضاء وجه بشره لهذا المرام. وكانت له جزيرة الذهب في طريقها فعبر بنا إليها وتحمل من الكلف ما هو غير مطيقها فبتنا فيها ومعنا فلك ومراكب، وملك ومواكب وشداة وحداة وولاة وحماة، وقصدت تلك الليلة لطيبها، وأخذ كل نفس بمصيبها. وبكرنا وسيف الصباح قد شق برد الظلماء وابن ذكا قد جلا وجه السماء، وقدمنا المراكب وعدينا الجنايب فلما انتهى العبر وانقضى الصبر جزنا بالجيزة فرأينا أرضا رضية وبقعة فضية فيها قوم قعود في حلق متطلسون وبزى فقهائنا في العراق والشام متلبسون فظننتهم طلبة علم يدرسون فلما أحسوا بنا طاروا وصاروا إلى حيث صاروا وقيل لهم شاربوا المزر وحاقبوا الوزر فقلت لهم ما بال كل منهم بطرحة فقالوا هذا زي هذه البلاد ولا لوم على العرف المعتاد.

ثم مضينا ودفعنا إلى المخاض وارتفاع بعد انخفاض فخاضت بغلة القاضي وعثرت وتوحلت (١٨٧ أ) والقلوب لاجلة توجعت وتوجلت فخرج سالما ولتطييب أنفسنا باسما فاستأنفنا قصد الأهرام وقد سبقنا إليها غلماننا بالخيام فنزلنا ودرنا حول الهرمين وطاف عليها القاضي من حسن خلقه وحسن تخلقه بكرمين. وكان معنا القاضي شمس الدين أبو فلان فما منا إلا من هو زهير وقد ظفر بهرمين وشب لنا هناك المكان والزمان وطالما كانا في تلك الرمال هرمين (وقد ظفر بهرمين) ودرنا في تلك البراري والرمال والصحاري، وهالنا أبو الهول، وضاق في وصفه مجال القول. ورأينا العجائب وروينا الغرايب واستصغرنا في جنب الهرمين كل ما استعظمناه. وتداولنا الحديث في الهرم ومن بناه فكل يأتي في وصفه بما نقله وعقله واجتهد في الصعود إليه فلم يوجد منهم من يوقله وحارت العقول في عقوده، والأفكار في توهم حدوده ولما أتممنا الفرجة عزمنا العودة وما أرفق تلك الشيمة وأهنأ وأسنى تلك الصنيعة النصيعة.

ذكر بناء السور على القاهرة ومصر

قال: ولما ملك السلطان مصر وأتاه الله على الأعداء بها النصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منهما سور لا يمنعها، ولا قوة لأهلها تحميها وتردها وقال: ولو أفردت كل واحدة بسور احتاجت إلى جند مفرد ونظر مجرد والرأي أن أدير عليهما سورا واحدا من الشاطئ إلى الشاطئ ثم يتكل في حفظها على الله الكالئ. فأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج في المقسم وانتهى به إلى أعلى مصر ببروج وصلها بالبرج الأعظم.

ووجدت في عهد السلطان ثبتا رفعه النواب، وتكمل فيه الحساب وهو داير البلدين مصر والقاهرة بما فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرين ألف وثلثمائة ذراعا. شرح ذلك قياس ما بين قلعة المقسم على شاطئ النيل والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة ألف وخمسمائة ذراع، ومن الربعة بالمقسم إلى حايط القلعة بجبل مسجد سعد الدولة إلى البرج

بالكوم سبعة ألف ومائتي ذراع قياس داير القلعة بمسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتي وعشرة أذرع، وذلك بطول قوسه وأبدانه وأبراجه من النيل إلى النيل على التحقيق والتعديل وذلك بالذراع القاسمي بتولي بهاء الدين قراقوش الأسدي، وبنى القلعة على الجبل وأعطاها من حقها من أحكام العمل وقطع الخندق وهناك مساجد يعرف أحدها بمسجد سعد الدولة اشتملت عليها القلعة ودخلت في الجملة.

وحفر في رأس الجبل بئرا ينزل فيه بالدرج المنحوتة من الجبل إلى المعين، وتوفي السلطان وقد بقيت من السور مواضع، والعمارة فيها مستمرة وأمر بناء المدرسة بالتربة المقدسة الشافعية وتولاها الفقيه نجم الدين الخبشاني وأمر باتخاذ دارا في القصر بيمارستان.

وقال: وخرج السلطان من القاهرة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان وقد استصحب من أولاده الأفضل عليا والعزيز عثمان، وجعل طريقه على دمياط، ورأى في الحضور بالثغر المذكور ومشاهدته الاحتياط. وكان له بها سبي كبير جلبه الأسطول فامتد بظاهر البلد يومين ليتبعه النزول قال: ووهبت منه جارية اخترتها وآثرني بثمنها لما اشتريتها. ثم وصلنا إلى ثغر الإسكندرية وترددنا مع السلطان إلى الشيخ الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن السلفي الأصفهاني، وسمعنا عليه ثلاثة أيام يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت رابع شهر رمضان. قال ونظمت في الطريق مقطوعات ومنها.." <مختصر سنا البرق الشامي البنداري ص/٤٩>

"(أونيك)

بالضم، ثم السكون، ونون مكسورة، وياء ساكنة وكاف: قلعة حصينة فى كورة باسين من [أرض] «١» أرزن الروم.

(أوه)

بفتحتين: قرية بين زنجان وهمذان.

(أويش)

بالضم، ثم الفتح، وياء ساكنة، وشين معجمة: قرية قرب سمنود على بحر دمياط من ديار مصر.

(الهمزة والهاء)

(إهاب)

بالكسر «٢» : موضع قرب المدينة. وقيل: فيه يهاب بكسر الياء.

(إهالة)

بكسر أوله: موضع فى الشعر «٣» .

(إهجم)

بضم الجيم: موضع.

(الأهرام)

جمع هرم، وهى أبنية عظيمة بمصر مربعة الشكل، كلما ارتفعت دقت، فيها اختلاف يذكر فى الهاء.

(أهر)

بالفتح، ثم السكون، وراء: مدينة عامرة من نواحى أذربيجان، بين أردبيل وتبريز.

(إهريت)

بالكسر، ثم السكون، وكسر الراء، وياء ساكنة، والتاء فوقها نقطتان:

اسم لقريتين بمصر إحداهما فى كورة البهنسى والأخرى فى كورة الفيوم.

(إهريج)

قد سمى بعض فصحاء العجم بذلك أهر التى تقدمت.

(أهلم)

بضم اللام: بليدة بساحل بحر آبسكون من نواحى طبرستان.

(الأهمول)

بالضم، ثم السكون، وآخره لام: قرية من ناحية زبيد باليمن.." <مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الْحَقّ <١٣٤/١

"حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابى الحلبى- القاهرة ١٣٨٧ هـ- ١٩٦٧ م.

الحكم العطائية، لابن عباد النفزى، إعداد ودراسة محمد عبد المقصود هيكل، سلسلة تقريب التراث (٢) . مركز الأهرام للترجمة والنشر- القاهرة ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

الخطط التوفيقية الجديدة، لعلى باشا مبارك، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٨٠ م.

سلطان العلماء، لمحمود الشرقاوى، سلسلة الكتاب الذهبى- عدد أغسطس ١٩٧٨، روز اليوسف- القاهرة ١٩٧٨ م.-

شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلى، دار المسيرة- بيروت ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩ م.

الضوء اللامع، للسخاوى، نشره القدسى- القاهرة ١٣٥٢ هـ.

الطالع السعيد، الجامع أسماء نجباء الصعيد، لأبى الفضل الأدفوى، تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف- القاهرة ١٩٦٦ م.

طبقات الأولياء، لابن الملقن، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجى- القاهرة ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣ م.

طبقات الشافعية الكبرى، للسبكى، تحقيق محمود محمد الطناحى، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ١٩٧٦ م.

الطبقات الكبرى، للشعرانى، دار الجيل- بيروت ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

طبقات المفسرين، لشمس الدين الداودى، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م.

ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه، للدكتور أبى الوفا التفتازانى، مكتبة الأنجلو- القاهرة ١٩٦٩ م.

فضائل مصر، للكندى، تحقيق د. إبراهيم العدوى، وعلى محمد عمر، مكتبة وهبة- القاهرة ١٣٩١ هـ- ١٩٧١ م.

فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر- بيروت ١٩٧٣ م.." >مرشد الزوار الى قبور الابرار زين الدين ابن الموفق ١٤٢/٢<

"أشكو إليك جفونا عينها أبدا ... عين تترجم عن نيران أحشائي

كأن إنسانها وافى بمعجزة ... فكان من أدمعي يمشي على الماء

وقوله من قصيدة «١» : [الكامل]

إن الشجاعة وهي من أوصافه ... غلبت عليه وهي من أسمائه

«٢»

يقري الطيور طعانه فضيوفه ... تنتابه من أرضه وسمائه

وقوله من قصيدة «٣» : [الخفيف]

لا تحدث سواك نفس بفضل ... ذاك رجع عن الأماني بعيد

وقوله منها:

وانجلت مصر إذ تجلى عروسا ... وكأن الأهرام فيها نهود

وقوله:

أنا من قائم الحسام نذير ... فهو إن قام فالرؤوس حصيد

هو كأس وسكرة الموت قالت: ... ذلك مني ما كنت منه تحيد

«٤»

ومتى يلفظ العدو بقول ... فعليه منه رقيب عتيد

«٥» وقوله:

وإذا رشت بالأيادي جناحي ... فمعاني العلاء مما أصيد." >مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٣٦/١٢<

"لا ترع للملاق عهدا ولا ... تصغ لما نمقه واختلق

فأنت تدري ما جنته يد الر ... رامي على الطير برعي الملق

وقوله مضمنا «١» : [الطويل]

يقول لنا المقياس والنيل هابط ... لنقطع آمال المنى والمطامع

«ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض ... على الماء خانته فروج الأصابع»

وقوله: [السريع]

لا تطغ تلق الشر كالنيل إذ ... طغى وزاد الأمر في هيجه

كم جاءه بالشر شر إلى ... أن كسر الأضلاع من موجه

وقوله «٢» : [المجتث]

لم لا أهيم بمصر ... وأرتضيها وأعشق

وما ترى العين أحلى ... من مائها إن تملق

وقوله: [البسيط]

لقد رأيت بمصر مذحللت بها ... عجائبا ما رآها الناس في جيل

تسود في عيني الدنيا فلم أرها ... تبيض إلا إذا ما كنت في النيل

وقوله: [البسيط]

قالوا: علا نيل مصر في زيادته ... حتى لقد بلغ الأهرام حين طمى

فقلت: هذا عجيب في بلادكم ... أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما." <مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٩٦/١٢>

"وفي سنة خمس وتسعين وخمس مئة «١٣»

منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب «١» ، وكان قد طلع إلى الصيد، فركض خلف ذئب، وتقنطر وحم في سابع المحرم بجهة الفيوم، فعاد إلى الأهرام وقد اشتدت حماه، ودخل القاهرة يوم عاشوراء، وحدث به يرقان وقرحة في الأمعاء، واحتبس طبعه فمات في التاريخ المذكور، وكانت مدة ملكه ست سنين إلا شهرا، [وكان] «٢» عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرا، وكان في غاية السماحة والكرم والعدل والرفق بالرعية والإحسان إليهم ففجعت الرعية بموته فجعة عظيمة، وكان الغالب على دولة الملك العزيز فخر الدين جهاركس «٣» فأقام في الملك الملك المنصور محمد بن الملك العزيز واتفقت الأمراء على إحضار أحد من بني أيوب وعملوا مشورة بحضور القاضي الفاضل فأشار بالملك الأفضل، وهو حينئذ بصرخد فأرسلوا إليه، فسار (١٣٠) مجدا ووصل القاهرة على أنه أتابك الملك المنصور بن الملك العزيز، وكان عمر الملك المنصور حينئذ تسع سنين وشهورا، وكان مسير الملك الأفضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر في تسعة." <مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٨٥/٢٧>

"شطآها [١] وفتقت أزهارها. وبها الآثار القديمة الدالة على حكمة بانيها كالأهرام وأشهرها الهرمان الكبيران بالجيزة [٢] ، وبرابي أخميم [٣] ، فأما بقية ما يذكر من البرابي والملاعب بالأشمونين وألصنا وقيط وعين شمس ومنارة الإسكندرية والبيت الأخضر بمصر يوسف عليه السلام، فكل هذه قد غير الدهر معالمها، وطمس آثار غالبها، وشرع الخراب بالهرمين الكبيرين والبراي بأخميم لأخذ حجارتها، وتغيير بهجتها [٤] . وبها الصنم المقارب للهرمين المسمى عند العامة بأبي الهول وهو صنم كبير لا يبين منه إلا إلى قريب نصفه.

والقول في الأهرام والبرابي «١» كثير، والأقرب أن الأهرام هياكل لبعض الكواكب، فأما البرابي فقال لي الحكيم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شقير الدمشقي أنه رآها وأجاد تأملها، فوجدها مشتملة على جميع أشكال الفلك، وأن الذي ظهر له أنه لم يعملها حكيم واحد ولا ملك (المخطوط ٢٠٥) واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور كامل وهو ستة وثلاثون ألف سنة [٥] ، لأن مثل هذه الأعمال لا تعمل إلا بأرصاد، ولا يكتمل

[١] إشارة إلى قوله تعالى: ... ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ... [الفتح، من الآية ٢٩] .

[٢] يقصد هرم خوفو وخفرع ولم يذكر هرم منقرع حيث كانت الرمال ترتفع حوله، ولم يحدد ابن بطوطة المعاصر للمؤلف عدد الأهرامات (رحلة ابن بطوطة ٣٦) .

[٣] البرابي جمع مفرده بربى وهو مبني بالحجارة في داخله نقوش وكتابة للأوائل لا تفهم في هذا العهد، أما أخميم فهي مدينة عظيمة البنيان عجيبة الشأن (رحلة ابن بطوطة ٤١) .

[٤] أكد ذلك ابن بطوطة في حديثه عن أخميم ٤١.

[٥] ذكر ابن بطوطة إنها بنيت في ستين سنة وكتب عليها، بنينا هذه الأهرامات في ستين سنة، فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة، وقول ابن بطوطة عن المدة الزمنية أقرب إلى الصواب أما العبارة التي ذكرها فهي منكرة لأنه لم يكن قد تم فك رموز اللغة الهيروغليفية وكما ذكر هو نفسه أنها لا تفهم (انظر الرحلة ص ٣٦- ٤١) .." <مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٤٢٥>

"ويقول الفرس: إن جده: كيومرث، وهو آدم.

ويقول العبرانيون: إنه أخنوخ، وهو بالعربية: إدريس.

قال أبو معشر «١» :" هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية، وأن جده كيومرث- وهو آدم- علمه ساعات الليل والنهار. وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها، وأول من نظر في الطب، وتكلم فيه. وأنه ألف لأهل زمانه كتبا كثيرة بأشعار موزونة، وقواف معلومة، [بلغة أهل زمانه في معرفة] الأشياء الأرضية والعلوية. وهو أول من أنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار.

وكان مسكنه صعيد مصر، [تخير ذلك] ؛ فبنى هنالك الأهرام، ومدائن التراب، وخاف ذهاب العلم بالطوفان، فبنى البرابي «٢» ، وهو الجبل المعروف." <مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٩/١٦>

"مصادر ومراجع

...

المصادر والمراجع

١- الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات، أبو الخطاب عمر الحسن بن دحية الكلبي الأندلسي السبتي (ت ٦٣٣هـ) .

مكتبة العمرين العلمية، الشارقة: (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) . الطبعة الأولى، تحقيق جمال عزون.

٢- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ) .

مؤسسة الأهرام، القاهرة: (١٤٠١هـ- ١٩٨١م) . تحقيق أحمد محمد موسى.

٣- أدب الإملاء والاستملاء، عبد الكريم بن محمد بن منصور أبو سعد التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ) . دار الكتب العلمية، بيروت: (١٤٠١هـ) . الطبعة الأولى، تحقيق ماكس فايسفايلر.

٤- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) . دار البشائر الإسلامية، بيروت: (١٤٠٩-١٩٨٩م) . الطبعة الثالثة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٥- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عزالدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ) . دار الشعب، القاهرة: (١٩٧٠م) .

٦- الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) . تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت:

(١٣٢٨هـ) . الطبعة الأولى.

٧- أضواء على كتب السيرة، علي العربي. الدار التونسية للنشر: (١٩٩١م) .

٨- أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي. دار إحياء العلوم، بيروت: (١٤١٢-١٩٩٣م) . الطبعة الثانية، تحقيق محمد شريف سكر.." <مصادر تلقي السيرة النبوية محمد أنور البكري ص/٨٥>

"إن ابن أبيك لم تزل سرقاته ... تأتي بكل قبيحة وقبيح

نسب المعاني في النسيم لنفسه ... جهلا وراح كلامه في الريح

وكان القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى يحب مغنيا اسمه النسيم وله فيه عدة مقاطيع وقد ذكر بعضها الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة من رقعة كتبها القاضي علاء الدين بن فضل الله في منزلة الأهرام قال: وقد كان تقدم من انعامه ثوب صوف أحمر، ونصفه في يوم ماطر ونسأل الله تعالى أن لا يخلى ذوي العارض الممطر من جاه مولانا العريض وحلل أنعامه التي هي كالدنانير الحمر والدراهم البيض ونصف مبيتة في هذه المنزلة التي أصبحت كليلة اتلقدر عندي ذات أندية وخيامها التي ولو طكان طالعة بها سعد الأخبية وبردها اليابس الذي لم يترك منه رطبا سوى لسانه حين يرجع بالغيث فإن شبت من هوله فالهرم أمامي وإن فرزت من نسيمه فهوى ناقتي خلفي وقدامي.

هوى تذرف العينان منه وإنما ... هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فلو حكم به على القاضي محيي الدين بن عبد الله الظاهر رحمه الله تعالى وقد حمى بمحبوبه الوطيس لاشتغل بنفسه ولترك محبوبه النسيم في الريح المريس وذلك بعد أن قال فيه:

إن كانت العشاق من أشواقهم ... جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا

فأنا الذي أتلو لهم يا ليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

فقلت كأني حاضر أخاطبه:

إن كنت في عشق النسيم متيما ... وزعمت أن هواه ليس بمتلف

فأنا أقول لمن تحرش بالهوى ... عرضت نفسك للبلا فاستهدف
وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر فيمن اسمه نسيم:
يا من غدا لي من عوا ... صف هجره الريح العقيم
أترى يطيب لي الهوى ... ويقال لي رق النسيم
فقلت له مجاوبا:
بالله إن رق النسيم وأخمدت ... نار تؤججها يد التبريح
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ودع العذول وقوله في الريح
قلت: وعلى ذطكر الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة رسالته المذكورة في ليلة من جمادى ذات أندية ذكرت ما قاله الشيخ المحدث الرحلة فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس رحمه الله تعالى قال: كان القاضي فخر الدين بن نعمان والقاضبي تاج الدين أحمد بن الأثير (توفي تاج الدين سنة سبكعين وستمائة) صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق أنه دعى لمملوكه المذكور بالطنبا، فقال له نعم ولم يأته وتكرر طلبه وهو يقول نعم ولم يأته، وكانت ليلة مظلمة مطيرة فأخرج فخر الدين راسه من الخيمة وقال تقول نعم ولم أرك فقال تاج الدين:
في ليلة من جمادى ذات اندية ... لا يبصر الكلب في أرجائها الطنبا
وقال بعض العشاق: ألا يا نسيم الريح مالك كلما ... تدانيت منا زاد نشرك طيبا
أظن سليمى خبرت بسقامنا ... فاعطتك رياها فحييت طبيبا
وكان أبو الفرج الوأواء محمد بن أحمد الدمشقي من حسنات الشام وصناعة الكلام وكان مبدأه مناديا بدار البطيخ بدمشق قال: قال ابن خلدون كان الفتح بن خاقان يأنس بي ويطلعني على الخاص من أموره فقال: مرة يا أبا عبد الله لما دخلت البارحة إلى منزلي استقبلتني جارية من جواري فلم أتمالك دون أن قبلتها فوجدت بين شفتيها هوى لو رقد المخمور فيه لصحا، فكان ذلك مما يستملح ويستظرف من الفتح بن خاقان فسمع الوأواء ذلك فقال:
سقى الله ليلا طاب إذ زاد طرفه ... فأفنيته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرى ... فلو رقد المخمور فيه أفاقا
وقال علاء الدين الجويني صاحب الديوان دوبيت:
لله مبيتنا بضوء القمر ... والحب نديمنا وصوت الوتر
قد فرق بيننا نسيم سحرا ... ما أبرد ما جاء نسيم السحر
وما ألطف ما قال سيدي تقي الدين بن حجة أبقاه الله تعالى من موشحة امتدح بها سيدنا ومولانا الإمام العلامة المفنن قاضي القضاة أبي الحسن علاء الدين الشهير بالقصا الحاكم بمدينة حماة المحروسة اسبغ عليه ظلاله مضمنا:
بالله يا برق إن أومضت في الثغر ... وحارس اللحظ في شك من الخبر
قف بالثنيات واذكرني إذا عذبت ... مسهلات عذيب الثغر في السحر
وأرسل عليل النسيم خلفي ... معرفا بالشذا ومشفى." <مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٢٤>

"تأمل ففضلى سار في البر والبحر ... ولى خبر في مصر يغنى عن الخير

يقابلني المقياس يوم وفائه ... بوجه فتاة لاح من خلل الستر

فشباكه يرنو إلى بأعين ... جلبن الهوا من حيث أدري وما أدري

أهيم بها في مصر حتى كأنها ... عيون المها بين الرصافة والجسر

فلا عذرى عندي للنسيم إذا سرى ... وكم من الهوى العذري للصب من عذر

تداوى بشرب الماء عندى جماعة ... كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

مماتى من عين الحيوة لأنه ... من الروض يأتيني على قدم الخضر

وبسطى روضى والقناديل زهرها ... وثغر حباب الماء يبسم عن در

فلا يعجبا من زائري إن توقدت ... عليه مصابيح الطلاقة البشر

تشاهد منى العين في مصر روضة ... ترى زهرها في الماء كالأنجم الزهر

وكم وردة أبدى دهاني حسنها ... يبيت قلب الحسود على الجمر

وله فيها:

دار يصان الجار في أرجائها ... ويذل فيها صين الأموال

نسيت بها الأهرام لما إن غدت ... بضيائها هولا من الأهوال

الشيخ شمس الدين بن القريه السكندري فيمن له غلام اسمه ريحان:

ان الأمير حباه رب ال ... عرش أحسانا ومنه

هو الغلام وداره ... روح وريحان وجنه

حكى عن سنمار أنه كان رجلا حاذقا بالبنيان فأمره النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بم امرئ القيس اللخمي أن يبني له حصنا بظاهر الجزيرة وهو الذي يقال له الخواريق فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله فقال له لو وفيتموني أخرى لبنيته بناء يدور مع الشمس كيفما دارت، فقال النعمان أقدرت على أحسن منه ولم تفعل فأمر بقذفه من أعلاه وقيل إنما قتله لأنه لما فرغ من بناءه خلا به وقال له إن هذا البنيان كله مردود إلى هذا الحجر فاحتفظ به فإنه إن نزع سقط البناء كله فقتله لئلا يطلع على ذلك غيره، فضربت به العرب المثل وأكثرت فيه فقالوا: جزاه الله جزاء سنمار.

وقال الشاعر أنشده ابن مالك:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقال عبد العزيز بن امرئ القيس:

جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

قال ابن الشجري يقال رجل سنمار إذا كان حسن الوجه أبيضه، ويقال للقمر سنمار ولما أراد المنصور أن يبني بغداد في سنة أربعين ومائة سأل راهبا كان في صومعة في مكان بغداد عندما أراد أن يختطها أريد أن أبني هنا مدينة فقال له الراهب إنما يبنيها ملك يقال له الدوانى فضحك وقال له المنصور أنا هو وشرع في بنائها سنة أربعين ومائة ونزلها سنة ست وأربعين،

وفي سنة ست وأربعين تم بناؤها وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث لا بغداد الثانية وهي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وبغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر منها محلة إلى غيرها على شاطئ دجلة فالذي في الجانب الشرقي الرصافة، بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة قلت: إحدى وخمسين وهي مدينة مسورة، والثانية مشهد أبي حنيفة مسورة، والثالثة جامع السلطان غير مسورة، والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام، والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسورة، والسادسة الكرخ مسورة، والسابعة دار القمر مسورة، قلت: مكتوب على ظاهر المدرسة التي أنشأها الشيخ الإمام العالم أوحد القراء أبو عبد الله شمس الدين محمد بن الجزري تغمده الله برحمته بعقبة الكتاب عمرها الله ببركته وأظن أنها من نظمه:

يا دار علم للمآثر تقصد ... وبصدرها تروى العلوم وتسند

خلعت عليك الكائنات بجمالها ... فلذاك سعدك دائما يتجدد

أضحيت للراجين قبلة قاصد ... لكمالها تعنو الوجوه وتسجد

نظرتك شمس العلوم منيرة ... منها لطلاب الفضائل منجد

يا باذلا لمال غير مذمم ... حاشاك من ذم وأنت محمد

كم قلد الناس اجتهادك منة ... فحمدت مجتهدا وأنت مقلد

طربت بذا المعنى العقول فيا له ... من دار قرآن وفيه معبد

بالأمس كان على الطريق قمامة ... واليوم فهو على الحقيقة مسجد." <مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٢٨٦>

"لعمري لئن كانت قصارا أعدها ... فلست بمعتد سواها من العمر

أخادع دهري أن يعود بفرصة ... فينقذ روح الوصل من راحة الهجر

وترجع أيام خلت بمعاهد ... من اللهو لا تنفك مني على ذكر

فكم لي بالأهرام أو دير نهية ... مصايد غزلان المكانس [١] والقفر

إلى الجيزة الدنيا وما قد تضمنت ... جزيرتها ذات المواخير والجسر

وبالمقس فالبستان للعين منظر ... أنيق إلى شاطي الخليج إلى القصر

وفي سردوس [٢] مستراد وملعب ... إلى دير مر حنا إلى ساحل البحر

وكم بين بستان الأمير وقصره ... إلى البركة الزهراء من زهر نضر

تراها كمرآة بدت في رفارف ... من السندس الموشي ينشر للتجر

وكم بت في دير القصير [٤] مواصلا ... نهاري بليلي لا أفيق من السكر

تباكرني بالراح بكر غريرة ... إذا هتف الناقوس في غرة الفجر

مسيحية خوطية كلما انثنت ... تشكت أذى الزنار من دقة الخصر

وكم ليلة لي بالقرافة خلتها ... لما نلت من لذاتها ليلة القدر

سقى الله صوب القطر تلك مغانيا ... وإن غنيت بالنيل عن سبل القطر

وله أيضا في الغزل [٥] :

ريم إذا ما معاريض المنى خطرت ... أجله المتمني عن تمنيه

يا إخوتي أأقاحي فيه أقبل لي ... أم خط راءين من مسك [٦] على فيه

أم حسن ذاك التراخي في تكلمه ... أم حسن ذاك التهادي في تثنيه

---

[١] دير نهيا: بالجيزة قرب القاهرة؛ وفي م: المكابد.

[٢] سردوس: أحد فروع النيل.

[٣] دير مرحنا: كان يقع على شاطيء بركة الحبش.

[٤] دير القصير: كان قريبا من القاهرة.

[٥] قارن بالفوات ٦: ٩٣ والأنموذج: ٦٣.

[٦] المختصر (ر) : أم خط آس على مسك.." <معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٠١/١>

باب الطاق ١٣٩٠، ١٧٨٥، ١٧٨٧، ٢٤٦٨، ٢٧٠٢." <معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٣٢٨٣/٧>

"أوليل:

قال ابن حوقل: على سمت أوذغست المتقدم ذكرها في نقطة المغرب أوليل، وهو على نحر البحر وآخر العمارة، وأوليل: معدن الملح ببلاد المغرب بينها وبين أوذغست شهر، ومن أوليل إلى لمطة معدن الدرق خمسة وعشرون ميلا.

أومة:

بفتح أوله وثانيه: اسم مدينة في آخر بلاد زويلة السودان من جهة الفزان، بينها وبين زويلة ثمانية أيام.

أون:

بالفتح ثم السكون، والنون: موضع في قول بعض الأعراب:

أيا أثلتي أون سقى الأصل منكما ... مسيل الربى، والمدجنات رباكما

فلو كنتما بردي لم أكس عاريا، ... ولم يلق من طول البلى خلقاكما

ويا أثلتي أون، إذا هبت الصبا، ... وأصبحت مقرورا ذكرت فناكما

أونبة:

بالفتح ثم السكون، وفتح النون، وباء موحدة، وهاء: قرية في غربي الأندلس على خليج البحر المحيط، بها توفي أبو محمد أحمد بن علي بن حزم الإمام الأندلسي الظاهري صاحب التصانيف.

أونيك:

بالضم ثم السكون، ونون مكسورة، وياء ساكنة، وكاف: قلعة حصينة في كورة باسين من أرض أرزن الروم، عندها كانت الوقعة التي كسر فيها ركن الدين بن قلج أرسلان.

أوه:

بفتحتين: قرية بين زنجان وهمذان، منها الشيخ الصالح الزاهد أبو علي الحسن بن أحمد بن يوسف الأوقي، لقيته بالبيت المقدس تاركا للدنيا مقبلا على قراءة القرآن مستقبلا قبلة المسجد الأقصى، وسمعت عليه جزءا وكتبت عنه، وسألته عن نسبه فقال: أنا من بلد يقال له أوه، فقال لي السلفي الحافظ: ينبغي أن تزيد فيه قافا للنسبة، فلذلك قيل لي: الأوقي، وسمع السلفي وغيره، ولقيته في سنة ٦٢٤.

أويش:

بالضم ثم الفتح، وياء ساكنة، وشين معجمة:
قرية قرب سمنود على بحر دمياط من ديار مصر.

باب الهمزة والهاء وما يليهما

إهاب:
بالكسر: موضع قرب المدينة ذكره في خبر الدجال في صحيح مسلم، قال: بينهما كذا وكذا يعني من المدينة، كذا جاءت الرواية فيه عن مسلم على الشك، أو يهاب بكسر الياء عند الشيوخ كافة وبعض الرواة، قال: بالنون نهاب، ولا يعرف هذا الحرف في غير هذا الحديث.

إهالة:
بكسر أوله: موضع في شعر هلال بن الأشعر المازني:
فسقيا لصحراء الإهالة مربعا، ... وللوقبى من منزل دمث مثر
في أبيات ذكرت في فليج.

أهجم:
بضم الجيم: موضع.

الأهرام:
جمع هرم: وهي أبنية عظيمة مربعة الشكل كلما ارتفعت دقت تشبه الجبل المنفرد، فيها اختلاف ذكر بباب الهاء من هذا الكتاب في هرم.

أهر:
بالفتح ثم السكون، وراء: مدينة عامرة كثيرة الخيرات مع صغر رقعتها، من نواحي أذربيجان بين أردبيل وتبريز، ويقال لأميرها ابن بيشكين،." <معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢٨٣/١>
"فالغر فالكروان فالفارور إذ ... يشجيك في طيرانه المتحلق
أشهدت حرب الطير في غيطانه ... لما تجوق منه كل مجوق
والزمج والغضبان في رهط له ... ينحط بين مرعد ومبرق
ورأيت للبازي سطوة موسر، ... ولغيره ذل الفقير المملق
كم قد صبوت بغربي في شرتي، ... وقطعت أيامي برمي البندق
وخلعت في طلب المجون حبائلي ... حتى نسبت إلى فعال الأخرق

ومهاجر ومنافر ومكابر ... قلق الفواد به وإن لم يقلق

لو عاين التفاح حمرة خده ... لصبا إلى ديباج ذاك الرونق

يا حامل السيف الغداة وطرفه ... أمضى من السيف الحسام المطلق

لا تقطعن يد الجفاء حبائلي ... قطع الغلام العود بالإستبرق

دير الوليد:

بالشام لا أدري أين هو، إلا أن مفسري قول جرير قالوا: إياه أراد بقوله:

لما تذكرت بالديرين أرقني ... صوت الدجاج وضرب بالنواقيس

دير ونا:

قال العمراني: هو موضع بمصر.

دير هرمس:

بكسر ويضم: بمنف من أرض مصر وعنده هرم قيل إن فيه مدفونا رجلا كان يعد بألف فارس على ما ذكروه، وهو غربي الأهرام المشهورة، وذكرته في الأهرام.

دير هزقل:

بكسر أوله، وزاي معجمة ساكنة، وقاف مكسورة، وأصله حزقيل ثم نقل إلى هزقل، وفي هذا الموضع كان قصة الذين قال الله عز وجل فيهم: ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ٢: ٢٤٣، لحزقيل في هذا الموضع، وقد ذكرت المواضع بتمامها في داوردان وفي البطائح فأغنت عن الإعادة: وهو دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم، ويقال إنه المراد بقوله تعالى: أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ٢: ٢٥٩، ذكره بعض المفسرين قال: وعندها أحيا الله حمار عزير، عليه السلام، حدث أبو بكر الصولي عن الحسين بن يحيى الكاتب قال: غضب أبو عباد ثابت ابن يحيى كاتب المأمون يوما على بعض كتابه فرماه بدواة كانت بين يديه، فلما رأى الدم يسيل ندم وقال: صدق الله عز وجل والذين إذا ما غضبوا هم يتجاوزون، فبلغ ذلك المأمون فانتبه وعتب عليه وقال: ويحك أنت أحد أعضاد المملكة وكتاب الخليفة ما تحسن تقرأ آية من كتاب الله؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين إني لأقرأ من سورة واحدة ألف آية وأكثر، فضحك المأمون وقال: من أي سورة؟

قال: من أيها شئت، فازداد ضحكه وقال: قد شئتت من سورة الكوثر، وأمر بإخراجه من ديوان الكتابة، فبلغ ذلك دعبلا الشاعر فقال:

أولى الأمور بضيعة وفساد ... أمر يدبره أبو عباد

خرق على جلسائه فكأنهم ... خضروا لملحمة ويوم جلاد

فكأنه من دير هزقل مفلت ... حرد بجر سلاسل الأقياد." <معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢/٥٤٠>

"سبع وعشرين درجة ودقائق، والجوزهر في الميزان وأوج القمر في الأسد في خمس درج ودقائق، ثم نظرنا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر بالعالم فاحتسبنا الكواكب فإذا هي تدل على أن آفة من السماء نازلة إلى الأرض وأنها ضد الآفة الأولى وهي نار محرقة لأقطار العالم، ثم نظرنا متى يكون هذا الكون المضر فرأيناه يكون عند حلول قلب الأسد في آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشرة من الأسد ويكون إيليس وهو الشمس معه في دقيقة واحدة متصلة بستورنس وهو زحل من تثليث الرامي ويكون المشتري وهو زاويس في أول الأسد في آخر احتراقه ومعه المريخ وهو آرس في دقيقة ويكون سلين وهو القمر في الدلو مقابلا لإيليس مع الذنب في اثنتين وعشرين ويكون كسوف شديد له بثلث سلين القمر ويكون عطارد في بعده الأبعد أمامها مقبلين أما الزهرة فللاستقامة وأما عطارد فللرجعة، قال الملك:

فهل عندكم من خبر توقفوننا عليه غير هذين الاثنين؟

قالوا: إذا قطع قلب الأسد ثلثي سدس أدواره لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف فإذا استتم أدواره تحللت عقود الفلك وسقط على الأرض، قال لهم: ومتى يكون يوم انحلال الفلك؟ قالوا:

اليوم الثاني من بدو حركة الفلك، فهذا ما كان في القرطاس، فلما مات سوريد دفن في الهرم الشرقي ودفن هوجيب في الهرم الغربي ودفن كرورس في الهرم الذي أسفله من حجارة أسوان وأعلاها كدان، ولهذه الأهرام أبواب في آزاج تحت الأرض طول كل أزج منها مائة وخمسون ذراعا، فأما باب الهرم الشرقي فمن الناحية البحرية، وأما باب الهرم الغربي فمن الناحية الغربية، وأما باب الهرم المؤزر فمن الناحية القبلية، وفي الأهرام من الذهب وحجارة الزمرد ما لا يحتمله الوصف، وإن مترجم هذا الكتاب من القبطي إلى العربي أجمل التاريخات إلى أول يوم من توت الأحد وطلوع شمسه سنة خمس وعشرين ومائتين من سني العرب فبلغت أربعة آلاف وثلاثمائة وإحدى وعشرين سنة لسني الشمس ثم نظر كم مضى من الطوفان إلى يومه هذا فوجده ثلاثة آلاف وتسعمائة وإحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوما فألقاها من هذه الجملة فبقي معه ثلاثمائة وتسع وتسعون سنة وخمسة أيام فعلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين، وحكى ابن زولاق: ومن عجائب مصر أمر الهرمين الكبيرين في جانبها الغربي ولا يعلم في الدنيا حجر على حجر أعلى ولا أوسع منها، طولها في الأرض أربعمائة ذراع في أربعمائة، وكذلك علوها أربعمائة ذراع، وفي أحدهما قبر هرمس وهو إدريس، عليه السلام، وفي الآخر قبر تلميذه أغا تيمون، وإليهما تحج الصابئة، قال:

وكانا أولا مكسوين بالديباج وعليهما مكتوب:

وقد كسوناهما بالديباج فمن استطاع بعدنا فليكسهما بالحصير، قال: وقال حكيم من حكماء مصر:

إذا رأيت الهرمين ظننت أن الإنس والجن لا يقدرون على عمل مثلهما ولم يتولهما إلا خالق الأرض، ولذلك قال بعض من رآهما: ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فإني أرحم الدهر منهما، قال عبيد الله مؤلف هذا الكتاب: وقد رأيت الهرمين وقلت لمن كان في صحبتي غير مرة إن الذي يتصور في ذهني أنه لو اجتمع كل من بأرض مصر من أولها إلى

آخرها على سعتها وكثرة أهلها وصمدوا بأنفسهم عشر سنين مجتهدين لما أمكنهم أن يعملوا مثل الهرمين وما سمعت بشيء تعظم عمارته فجئته إلا ورأيته دون." <معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥/٤٠٠>

"صفته إلا الهرمين فإن رؤيتهما أعظم من صفتهما، قال ابن زولاق: ولم يمر الطوفان على شيء إلا وأهلكه وقد مر عليهما لأن هرمس وهو إدريس، عليه السلام، قبل نوح وقبل الطوفان، وأما الهرم الذي بدير هرميس فإنه قبر قرباس وكان فارس مصر وكان يعد بألف فارس فإذا لقيهم وحده لم يقوموا له وانهزموا، وإنه مات فجزع عليه الملك والرعية ودفنوه بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجا وبقي طينه الذي بني به مع الحجارة من الفيوم وهذا معروف إذا نظر إلى طينه لم يعرف له معدن إلا بالفيوم وليس بمنف ووسيم له شبه من الطين، وقال ابن عفير وابن عبد الحكم: وفي زمان شداد بن عاد بنيت الأهرام فيما ذكر عن بعض المحدثين ولم نجد عند أحد من أهل العلم من أهل مصر معرفة في الأهرام ولا خبرا ثبت إلا أن الذي يظن أنها بنيت قبل الطوفان فلذلك خفي خبرها ولو بنيت بعده لكان خبرها عند الناس، ولذلك يقول بعضهم:

حسرت عقول ذوي النهى الأهرام، ... واستصغرت لعظيمها الأحلام

ملس منبقة البناء شواهق، ... قصرت لغال دونهن سهام

لم أدر حين كبا التفكر دونها، ... واستوهمت بعجيبها الأوهام

أقبور أملاك الأعاجم هن أم ... طلسم رمل كن أم أعلام

وقال ابن عفير: لم تزل مشايخ مصر يقولون إن الأهرام بناها شداد بن عاد وهو الذي بنى المغار وجند الأجناد، والمغار والأجناد هي الدفائن، وكانوا يقولون بالرجعة فكان إذا مات أحدهم دفنوا معه ماله كائنا ما كان وإن كان صانعا دفنت معه آلته، وذكر أن الصابئة تحجها، ومن عجائب مصر الهرمان إذ ليس على وجه الأرض بناء باليد حجر على حجر أطول منهما وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضعان، ولذلك قيل: ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فإني أرحم الدهر منهما، وعلى ركن أحدهما صنم كبير يقال إنه بلهيت ويقال إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على كورة الجيزة وإن الذي طلسمه بلهيت، وسبب تطلسمه أن الرمال غربيه وشماليه كثيرة متكاثفة فإذا انتهت إليه لا تتعداه، وهو صورة رأس آدمي ورقبته ورأسا كتفيه كالأسد وهو عظيم جدا، حدثني من رأى نسرا عشش في أذنه:

وهو صورة مليحة كأن الصانع فرغ منه عن قرب، وهو مصبوغ بحمرة موجودة إلى الآن مع تطاول المدة وتقدم الأعوام، قال المعري:

تضل العقول الهبرزيات رشدها، ... ولا يسلم الرأي القويم من الأفن

وقد كان أرباب الفصاحة كلما ... رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وقال أبو الصلت: وأي شيء أعجب وأغرب بعد مقدورات الله، عز وجل، ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم من أعظم الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع ونحو سبعة عشر ذراعا تحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا وهو مع هذا العظم من إحكام الصنعة وإتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر إلى هلم جرا بتضاعف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل، وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط ٢٦- ٥." <معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥/٤٠١>

"من الجانب الغربي على ما شاهدناه منهما، قال:

واتفق أن خرجنا يوما فلما طفنا بهما وكثر تعجبنا منهما تعاطينا القول فيهما فقال بعضنا يعني نفسه:

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا، ... على طول ما أبصرت، من هرمي مصر

أطافا بأعنان السماء وأشرفا ... على الجو إشراف السماك أو النسر

وقد وافيا نشزا من الأرض عاليا ... كأنهما ثديان قاما على صدر

قال: وزعم قوم أن الأهرام الموجودة بمصر قبور الملوك العظام آثروا أن يتميزوا بها عن سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور، ولما وصل المأمون إلى مصر أمر بنقبهما فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد في داخله مهاو ومراق يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد في أعلاها بيت مكعب طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية فأمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه، وفي سفح أحد الهرمين صورة آدمي عظيم مصبغة وقد غطى الرمل أكثرها وهي عجيبة غريبة، وفيها يقول ظافر الحداد الإسكندري:

تأمل بنية الهرمين وانظر ... وبينهما أبو الهول العجيب

كعماريتين على رحيل ... لمحبوبين بينهما رقيب

وماء النيل تحتهما دموع، ... وصوت الريح عندهما نحيب

قال: ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالحكمة وهو الذي يسميه العبرانيون أخنوخ ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم وهو إدريس النبي، عليه السلام، استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان فأمر ببنيان الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم إشفاقا عليها من الذهاب والدروس وحفظا لها واحتياطا عليها، وقيل إن الذي بناها سوريد بن سهلوق بن سرياق، وقال البحتري في قصيدة:

ولا بسنان بن المشلل عند ما ... بنى هرميها من حجارة لابها

وذكر قوم أنه قد كتب على الهرمين بالمسند: إني بنيتهما فمن يدعي قوة في ملكه فليهدمهما فإن الهدم أيسر من البناء، وذكر أن حجارتهما نقلت من الجبل الذي بين طرا وحلوان، وهما قريتان من مصر، وأثر ذلك باق إلى الآن.

هرمز:

بضم أوله، وسكون ثانيه، وضم الميم، وآخره زاي، قال الليث: هرمز من أسماء العجم، قال: والشيخ هرمز يهرمز، وهرمزته: لوكه لقمة في فيه لا يسيغها فهو يديرها في فيه، وهرمز: مدينة في البحر إليها خور وهي على ضفة ذلك البحر وهي على بر فارس، وهي فرضة كرمان إليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخراسان، ومن الناس من يسميها هرموز، بزيادة الواو. وهرمز أيضا: قلعة بوادي موسى، عليه السلام، بين القدس والكرك.

هرمزجرد:

ناحية كانت بأطراف العراق غزاها المسلمون أيام الفتوح.

هرمزغند:

الغين معجمة، ونون: من قرى مرو على خمسة فراسخ منها، ينسب إليها عبد الحكم بن." <معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥/٤٠٢>

"أوذ (١) ٢٧٧ أوذغست (١) ٢٧٧، ٢٨٣ أور (١) ٢٧٨ أوراس (١) ٢٧٨ أورال (١) ٢٧٨، ٣٦٨ أوربة (١) ٢٧٨ (٢) ٢٠٧ أورفي (١) ٥٤، ٢٧٨ (٢) ٢٥ أورل (١) ٢٧٨ أورم (١) ١٥٠، ٢٧٨ أوريشلم (١) ٢٧٩ (٣) ٢١٧، ٣٥٩ أوريط (١) ٢٧٩، ٤٩٢ (٤) ٤٥٤ (٥) ١٢٦ أورين (١) ٢٨٠ أوريولة (١) ٢٨٠ (٥) ٣٩٦ الأوزاع (١) ٢٨٠ أوزجند (١) ٢٨٠ (٥) ١٩٥ أوزكند (١) ٢٨٠ (٢) ٣٤٨ (٣) ٣٥٦ (٥) ٢٣٩، ٤٥٣ أوس (١) ٢٨٠ الأوسج (١) ٢٨٠ الأوسية (١) ٢٨١، ٣٤٠ أوش (١) ٢٨١ (٢) ٣٤٨ الأوطاس (١) ٢٨١ (٢) ٦٣، ٢٤٥ (٣) ١٨٣ (٤) ١٠٨، ١٤٠ الأوعار (١) ٢٨١ أوعال (١) ٢٨١ (٢) ٣٧٩ (٣) ٥١، ٩٢ أوفر (٣) ٢٢٣ أوق (١) ٢٨٢ (٥) ١١٣ أوقانية (١) ٢٨١ أوقح (١) ٢٨١ أوقضى (١) ٢٨٢ أوقع (١) ٢٨٢ أوقيانوس (١) ٢١، ٢٧٨، ٢٨٢، ٣٤٤ أول (١) ، ٢٣٣ ٢٨٢ (٤) ٢٥٠ الأولاج (١) ٢٨٢ أولاس (١) ٢٨٢ (٢) ٧٩ (٥) ٣٩٢ أولب (١) ٢٨٢ أوليل (١) ٢٧٧، ٢٨٣ أومة (١) ٢٨٣ أون (١) ٢٨٣ أونبة (١) ٢٨٣ أونيك (١) ٢٨٣ أوه (١) ٢٨٣ (٣) ١٧٩ أوهر (١) ٨٢ أوهند (٤) ٤٢٦ أويش (١) ٢٨٣ إهاب (١) ٢٨٣ إهالة (١) ٢٨٣ أهجم (١) ٢٨٣ أهر (١) ٢٥٧، ٢٨٣ (٥) ٣١٠، ٣٧٠ الأهرام (١) ٢٨٣ إهريت (١) ٢٨٤ إهريج (١) ٢٨٤." <معجم البلدان الحموي، ياقوت ٧/٤٣٦>

"ألا لا تفوت البر رحمة ربه ... ولو «١» كانت تحت الأرض سبعين واديا

كرحمة نوح يوم حل بسبعة ... لمهبطه كانوا جميعا ثمانيا

أراد ثمانية، ولكنه كنى عن الأنفس، كما قال تعالى: «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية» ؛ ويعرف الموضع الآن «بسوق ثمانين» ، فهو أول مجمع بنى أو عرش بعد الغرق، ولم يوجد تحت الماء قرية فيها بقية سوى نهاوند، وترجمتها: «وجدت كما هي، لم تتغير» ، وأهرام الصعيد وبرابيها، وهي التى بناها هرمس الأول، والعرب تسميه إدريس، وكان قد ألهمه الله تعالى علم النجوم، فنظر إلى اقتراب أوساط النجوم من نقطة الاستواء الربيعى، أعنى رأس الحمل، فحسبها فوجدها تجتمع بأوساطها فى آخر دقيقة من الحوت، فعلم أن ستنزل بالأرض آفة من جنس البرج، وهو مائى، أو بنار، لمجاورة برج الحمل النارى، ونظر إلى الأوجات «٢» ، فوجد أوج القمر فى الأسد «٣» بارزا، ليس من الكواكب، فعلم أنه ستبقى من العالم بقية، يحتاجون فيها «٤» بعد إلى علمه، فبنى هو وأهل عصره الأهرام والبرابى، وكتب علمه فيها. الثمد

هما ثمدان. فالثمد غير مضاف: ماء لبني حريرة «٥» بن التيم، قال أرطاة بن سهية:

عوجا نلم على أسماء بالثمد ... من دون أقرن بين القور «٦» والجمد

الثمراء

بفتح أوله، وبالراء المهملة والمد: هضبة بالطائف، قال أبو ذؤيب:." <معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع أبو عبيد البكري ١/٣٤٥>

"قد رشحوك لأمر إن فطنت له ... فاربأ بنفسك إن ترعى مع الهمل

ومنها لامية للشيخ العلامة الأديب عمر بن الوردي رحمه الله وهي قوله:

أعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكرى لأيام الصبا ... فلأيام الصبا نجم أفل

إن أهنى عيشة قضيتها ... ذهبت لذتها والإثم حل

وأترك الغادة لا تحفل بها ... تمس في عز وترفع وتجل

وإله عن آلة لهو أطربت ... وعن الأمرد مرتج الكفل

وأفتكر في منتهى حسن الذي ... أنت تهواد تجد أمرا جلل

وأهجر الخمرة إن كنت نتي ... كيف يسعى في جنون من عقلي

وأتق الله فتقوى الله ما ... باشرت قلب امرئ إلا وصل

ليس من يقطع طرقا بطلا ... إنا من يتقي الله البطل

صدق الشرع ولا تركن إلى ... رجل يرصد في الليل زحل

حارت الأفكار في حكمة من ... قد هدانا سلبنا عز وجل

كتب الموت على الخلق فكم ... فل من جيش وأفنى من دول

أين نمرود وكنعان ومن ... ملك الأرض وولى وعزل

أين من سادوا وشادوا وبنوا ... هلك الكل فلم تغن القلل

أين عاد فرعون ومن ... رفع الأهرام من يسمع يخل

أين أرباب الحجى أهل التقى ... أين أهل العلم والقوم الأول

سيعيد الله كلا منهم ... وسيجزي فاعلا ما قد فعل

يا بني اسمع وصايا جمعت ... حكما خصصت بها خير الملل

أطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخير على أهل الكسل

وأحتفل للفقه في الدين ولا ... تشتغل عنه بمال وخول

وأهجر النوم وحصله فمن ... يعرف المطلوب يحقر ما بذل

لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل

في ازدياد العل إرغام العدى ... وجمال العلم إصلاح العمل
جمل المنطق بالنحو فمن ... حرم الأعراب بالنطق اختبل
أنظم الشعر ولازم مذهبي ... في أطراح الرفد لا تبغ النحل
فهو عنوان على الفضل وما ... أحسن الشعر إذا لم يبتذل
مات أهل الجود لم يبق سوى ... مقرف أو من على الأصل أتكل
أنا لا أختار تقبل يد ... قطعها أجمل من تلك القبل
إن جزتني عن مديحي صرت في ... رقها أو لا فيكفيني الخجل
أعذب الألفاظ قولي لك خذ ... وأمر اللفظ نطقي بلعل
ملك كسرى عنه تغني كسرة ... وعن البحر اكتفاه بالوشل
اعتبر (نحن قسمناه بينهم) ... تلقه حقا وبالحق نزل
ليس ما يحوي الفتى من عزمه ... لا ولا ما فات يوما بالكسل
قاطع الدنيا فمن عاداتها ... تخفض العالي وتعلي من سفل
عيشة الراغب في تحصيلها ... عيشة الزاهد فيها أو أقل
كم جهل وهو مثر مكثر ... وعليم مات منها بالعلل
كم شجاع لم ينل منها المنى ... وجبان نال غايات الأمل
فاترك الحيلة فيها وأتئد ... إنما الحيلة في ترك الحيل
أي كف لم تنل منها المنى ... فرماها الله منه بالشلل
لا تقل أصلي وفصلي أبدا ... إنما أصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير أب ... وبحسن السبك قد يفني الزغل
وكذا الورد من الشوك فما ... يطلع النرجس إلا من بصل
غير أني أحمد الله على ... نسبي إذ بأبي بكر أتصل
قيمة الإنسان ما يحسنه ... أكثر الإنسان منه أو أقل
أكتم الأمرين فقرا وغنى ... وأكسب الفلس وحاسب من بطل
وأدرع جدا وكدا وأجتنب ... صحبة الحمقى وأرباب الدول
بين تبذير وبخل رتبة ... وكلا هذي إن زاد قتل
لا تخض في حق سادات مضوا ... إنهم ليسوا بأهل للزلل
وتغافل عن أمور أنه ... لم يفز بالحمد إلا من غفل
ليس يخلو لا المرء من ضد وإن ... حاول العزلة في رأس جبل
أبعد النمام وأهجره فما ... بلغ المكروه إلا من نقل

دار جار الدار إن جار وإن ... لم تجد صبرا فما أحلى النقل

جانب السلطان وأحذر بطشه ... لا تخاصم من إذا قال فعل

لا تل الحكم وإن هم سألوا ... رغبة فيك وخالف من عذل

إن نصف الناس أعداء لمن ... ولي الأحكام هذا إن عدل." <نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٩٧>

"أرى الليالي والأيام سودها سود النوائب حتى بيضها ظلم

يا ماشيا فوق وجه الأرض ذا ميل ما تحت رجل إلا أعظم رمم

يا ظامئا ليس يروي ظماه شبم لقد وردت سرابا وهو مضطرم

كن حيث شئت فلا تنفك من حرق ما دام روحك في الأعضاء تحتدم

لحا المهيمن ذي الدنيا وطالبها في بعدها نكد في قربها تهم

والعمر لحظة عين لا قرار لها وما مضى مثل ما لم يمض منعدم

جئنا بكيا ورحنا حاسرين على اله امات يلقي عليها الترب والرجم

وللزمان غلو في تلاعبه يبني فيهدم ما يبنيه أو يضم

أين الصناديد من فرس ومن عرب لم ينج دارا ولا صخر ولا هرم

أين الذي شيد الأهرام يحسبها تحميه عن مهرمات دونها حطم

سل هل تنبيء عن أبنائها سباء أو هل تخبر عن آرامها إرم

وليسأل القلعة الحمراء طارقها كم من دموع جرت فيها وطل دم

عفى الديار ديار العلم قاطبة قحط الرجال وأيم الله قد عدموا

في غدوة شفعت صبح القيامة من نعي تزلزل منه الشم والأكم

رزء تدارك منه الدين منسلما وقد وهت عروة الإسلام تنفصم

ومن قصيدة أنشأها لندوة العلماء:

عفى ديار علوم الدين قاطبة نسج الدبور وأرياح جرت نقما

يا للمدارس أضحت وهي دارسة يا للمكاتب تبكي العلم والعلما

أما سمعتم بكاها وهي صارخة صراخ ثكلى على مولدها اخترما

هذي المشاعر ضيم الدهر عطلها ورد واردها غيظا وما كظما

هذي الشعائر لم يبق الصروف بها مقدار عشر العشير الوزن والقيما

وارحمتاه لأرض الدين ينقصها ريب المنون ممدا سيلها العرما

وارحمتاه لدين قل عصبته من كل حام حماه راسخ قدما

وارحمتاه لدين لات عدته فمد بالنهب أيدي عصبها الخصما

وارحمتاه لدين قل نادبه والرجال وواسيفاه واقلما
يا للبقية صونوا الدين تنتصروا يصونكم ويرد المجد والحشما
إني محذركم من وقع واقعة يمسي الوليد لديها هيبة هرما
ألا خذوا حذركم في كل آونة فما اتقى النار إلا كيس حزما
ووثقوا عروة الإسلام أوهنها تفرق فيكم قد حل مخترما
هذي اختلافاتكم كم شخصت بكم وسفهت عرب الإسلام والعجما
أليس أكمل هذا الدين ربكم أما أتم عليكم فضله النعماء
يا ليت شعري ففيما ذا اختصامكم وما الذي بعده ترضونه حكما." <نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ١١٧٤/٨>

"سورة الحميا ارتجل:

لابن طوفان أياد ... قل فيها مشبهوه

ملأ الكاسات حتى ... قيل في البيت أبوه ونظيره قول المنفتل (١) من شعراء الذخيرة في الشاعر ابن الفراء:

فإذا ما قال شعرا ... نفقت سوق أبيه ١١٩ - وذكر في " بدائع البدائه " (٢) أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا متنزهين إلى الأهرام ليروا عجائب مبانيها، ويتأملوا ما سطره الدهر من العبر فيها، فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها، فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي:

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا ... على ما رأت عيناك من هرمي مصر

أنافا بأعنان (٣) السماء فأشرفا ... على الجو إشراف السماك أو النسر

وقد وافيا نشزا من الأرض عاليا ... كأنهما نهدان قاما على صدر وصنع أبو منصور ظافر الحداد:

تأمل هيئة الهرمين وانظر ... وبينهما أبو الهول العجيب

كعماريتين (٤) على رحيل ... بمحبوبين بينهما رقيب

وفيض البحر عندهما دموع ... وصوت الريح بينهما نحيب

وظاهر سجن يوسف مثل صب ... تخلف فهو محزون كئيب

---

(١) المصدر السابق: ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه ١: ٢٤٣ وانظر نوادر المخطوطات ١: ٢٦.

(٣) م: بأسباب؛ البدائع: بأكناف.

(٤) العمارية: الهودج.." <نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٣٢/٣>

"ترى من غدا في السحر أستاذ طرفه ... فهاروت لم يقدر على ذلك السحر

يضيق وعاء الدهر عنه جلالة ... ومن عجب يحويه مع ضيقه صدري

وما احترت حتى اخترت حبيه مذهبي ... ومدح ابن فتح الله فرد الورى ذخري

فتى قد حمدت العيش مذ صحبته ... وسافهت حظي من خلائقه الغر

أحيي إذا حييته الروض ناضرا ... وأشتم عرف النشق من زهرة النهر

رطيب مهز الجود مورق عوده ... وأبلج وجه العرف مستوضح البشر

إذا ما سقى غصن اليراعة نقسه ... جنينا ثمار الفضل في الورق النضر

له الشيم الشم التي لا ينالها ... فتى علق الأذيال بالأنجم الزهر

تبارين أحداث الزمان فتنبري ... كما انتفض العصفور من صولة الصقر

فتى يتسامى بالتواضع جاهدا ... ويعجب من أهل المخيلة والكبر

عليه من المجد المؤثل حلة ... تجر ذيول الأريحية والفخر

وفيه خصال قصر الحمد دونها ... وأبلغ شكر يستفاد لها شكري

وإن أياديه ثنت وجه همتي ... إلى الخلق الفضفاض والنائل الغمر

ولي فيه من صدق العناية لحظة ... تريني ابتسام الحظ عن شنب الثغر

فشكرا لدهر جاد لي بلقائه ... فنوه لي من حيث أدري ولا أدري

وسقيا لأرض ألفتنا وحضرة ... بها ضمنا كالعقد أستاذنا البكري

علونا على النسرين تحت جناحه ... فنحن إلى ما فوق أفقيهما نسري

وما زال يكسونا شمائل غضة ... يقعن مقام النور في المنبت النضر

نفديه بالخمس الحواس وإننا ... لنعقد أن عدت علاه على العشر

فحيي على رغم الكواكب غرة ... يرينا سناها كيف شعشعة البدر

عليها من النور الإلهي مسحة ... بها تنجلي الجلى ويمحى دجى الإصر

أمولاي يا شاهين لا زلت دائما ... مجدا إلى قنص المفاخر بالبر

فكم لك من صيدات فضل وسؤدد ... يرى دونها وقع المهندة البتر

عرفتك من بين الأنام فلم أكن ... لغيرك أطوي الصدر إلا على نكر

بعثت إلي الروح في لذة المنى ... وطيب التهاني في بلهنية العمر

فرائد آداب نظمت عقودها ... مفضلة تمتاز في الطرس كالشذر

قواف كأنفاس الخزامى صقيلة ... بريح النعامى تمتري عنبر الشحر

فلا زلت تهدي مثلها من قصائد ... بها الشعر يبقى دهره نافق السعر

ودونكها عذراء لا عذر عندها ... لمن ليس يصبو والهوى عنده عذري

تمازج معناها ورائق لفظها ... كما مزجوا ماء الغمامة والخمر

فإلا تكنه أو يكنها فإنه ... وإياها سيان في سرعة السكر

وسامح فخطب الدهر مني لم يدع ... معينا على خطب لقيت ولا فكري

ومثلي إذ أهداك نظما يجيده ... كمهدي الضيا للبدر والدر للبحر

فأنا إذا صغت القوافي أريت من ... يجاريك فيها صنعة أنجم الظهر

بقيت على الأيام خير مؤمل ... برأيك أستعدي على نوب الدهر

ولي فيك مدح ليس يهرم نظمه ... ولو صارت الأهرام كالعهن في مصر

وأنشدني من لفظه لنفسه، من قصيدة، مطلعها:." <نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١/١٢١>

"قوله: لولا ثلث أوله، الذي هو القاف، والمراد الفاء " لصار لفظ السخيف " بعد حذف الفاء: سخى، والسخى موصوف بالكرم.

قوله: وإذ حذف الفاء من لفظ فقير، بقي قير، وهو أسود الظاهر والباطن.

قوله: ولولا رابعه الذي هو الميم لا تحدث الماهية بالموجود، لأن وجود الشيء هيئته، فكأنه قال: لاتحدث الهيئة بالماهية.

وفيه تسامح، لأن المراد من الميم مسماها، وهو مفرد، فكيف يطلق على المركب من الميم والألف.

ويمكن أن يقال: تعدد المراد في هذا الباب كثير، وهو أدخل في الإلغاز.

قوله: ولم يتميز الحاسد عن المحسود، كالأول؛ لأنه لا فرق بين المحسود والحاسد في أصل المعنى.

قوله: لو عدم ثانيه الذي هو الألف، من لفظ الثمار، بقي ثمر، فلم يبق الجمع.

وقوله: قرية بالري، أي وهي خار، وإذا لم تكن الألف فيه بقي: خر. وهو بالفارسية اسم الحمار.

قوله: ولو عدم ربعه، الذي هو السين لم يكن ذلك الربع قلب الجسد، لسقوطه، وتبدلت السكينة، فكانت كينة، من قوله تعالى: " فما استكانوا ".

وفي الصحاح: " وبات فلان بكينة سوء بالكسر، أي بحالة سوء ".

والاستكانة: الخضوع.

قوله: الهرة، المراد منه سنور، بعمل الترادف، وإذا لم تكن فيه السين كان نورا.

قوله: الحنطة، المراد منه: سلت، على التسامح.

قوله: أوله بالعراق، يعني القاف، في لفظ العراق، وآخره، وهو الميم في لفظ الشام.

قوله: وثلثا ربعه، وهما السين والنون، ومن بسط الرابع وهو السين، يتم به الإيمان، لأنه تم بالنون، والإسلام؛ لأن تمامه بالسين، ولا يلزم أن يكون آخرا.

قوله: وثلث ثالثه، الذي هو السين، وهو المراد من بسطه يبتديء السؤال حقيقة، كما ترى، وبثاني ثانيه، وهو اللام من الألف، ينتهي القيل والقال.

ولده بهاء الدين

الذي استرق النهى، وأشرق بدرا في فلك الازدها.

الهمام الفذ البذ، من تطرب بذكره الأسماع وتلتذ.

تحلى من الفوائد العلمية بما تحلى، واشتهر اشتهار الصبح إذا تجلى.

وازدانت به الدنيا ازديان العاطل بالحلى، والمشكل بالجلى.

والمفرق بالتاج، والمقدمة بالإنتاج.

وحصل بينه وبين الفضل في الاتحاد التساوي، فأنتج مطلبه من الشكل الأول هذا اللازم المساوي.

وأنا أذكر لك خبره على جليته فاعتمد عليه، ولعلك تلغى مالفقه الشهاب من ذكر حاله ولا تجنح إليه.

وذلك أنه كان بالشام تكون خلقته، وبها بان رشده وأحسبه من حين لفته قابلته في خرقته.

ثم انتقل به أبوه إلى قزوين وهلاله آخذ في تدويره، وذهنه في مبادى ملاحظته للدقائق وتصويره.

فاستكمل ثمة فضائل المعجبة، وصير عندها فضائل الأول كالمتحجبة.

ولما طنت حصاته في العراق، وتجاوزت فيه المدائح من الغلو إلى الإغراق.

استدعاه الشاه فصير رئيس العلماء في تخت ملكه، وحلى جيد مملكته منه بجوهر عقد كل جهابذته شذرات في سلكه.

ثم رغب في الفقر والسياحة، واستهب من مهاب القبول رياحه.

فطلع طلوع الشارد، يرد البلاد كالطيف الوارد.

وهو بقتري المسالك، ويقتفر المهالك، ويعاني الممالك.

فحج البيت الحرام، ودخل مصر أم الأهرام.

ثم ورد دمشق فنم عليه فضله كما نم ريح الورد على الورد، ومنه ظهر بحلب الشهباء كما ظهر العلم الفرد.

فلم يمكنه إلا أن شد للعجم نطاق التسيار، ولما وصلها حط بها رحل الاختيار، فصنف وألف، وأبدع حد الإبداع وما تكلف.

وابتسمت به دولة الشاه عباس، وأماطت أقواله فيها حنادس الشبه والالتباس.

مع عزم ينفلق دونه الصخر الأصم، وحلم يقصر عنه الطود الأشم.

ورأي عليه المعول، وفكر هو المعقول الأول.

وهناك ما شئت من رقة الألفاظ، ولطافة معان تتعلم منها السحر غمزات وألحاظ.

وتفنن في العبارات يتحير له اللاحظ، وغرائب آداب تكل في استخراج دقائقها عيون الجاحظ.

إذا طلعت أغصان أقلامه في رياض أدبه الجنية الغروس، سجدت لها الأقلام سجدة الشكر في محاريب الطروس.

فأقلام إفادته لا تنسب بإعياء قط، وصحائف مجده لم تشن من حسود بنقط.

وهو في اللسانين فارس بطل، فالعربي من بعده تعجم والفارسي بطل.

وله من عقائل اللسانين كل فاتنة الطرف، استوفت في مدى البلاغة اللطف والظرف.

فمن بدائعه قوله:." <نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١/٢٢٥>

"قد تاه سلطان العيو ... ن على القلوب وجار حكما

تلك الصفاح البيض ل ... كن للمنايا السود تنمى

فكأنما راشت لها ... عزمات نجم الدين سهما

نجم غدا للحائري ... ن هدى وللأعداء رجما

وله الأيادي الغر تر ... جع أوجه الحساد دهما

لو حاربته الشهب لان ... قضت لديه تروم سلما

منها:

خذها إلأيك أبا القوا ... في لا أراها الله يتما
قد أطلعت من كل معن ... نى في سما علياك نجما
أوهمتها مدح السوى ... فتميزت بالغيظ وهما
ومن مصوناته التي إذا اشتهرت اشتغل الناس بها عن كل منظوم، واحتفلوا بها احتفال بني تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم، هذه الميمية:
عاد فانقاد للهوى بذمام ... بعد ما ودع الصبا بسلام
نسمة من ربا الغدير استفزت ... من أقاصي الحشى دواعي الغرام
نشأت من منابت الشيح والقي ... صوم تروى عن رنده والخزام
ذكرته عهدا قديما وكم نب ... ه ذكر العهود جفن الهيام
بوجوه تجلت صور الأقما ... ر ترنو عن أعين الآرام
كل قد يكاد يعقده اللي ... ن وتثنيه خطرة الأوهام
وفم طيب المقبل والنكه ... هة يبدى عن مثل حب الغمام
أبلج واضح الدليل بأن ال ... جوهر الفرد قابل الانقسام
ولذيذ الحديث يقطر ظرفا ... بتثني جيد وهز قوام
لكلا العاشقين ينفث سحرا ... شكل رعبوبة وزي غلام
هذا البيت آخذ بطرفي الحسن، تتنبه له من غيرتها الجفون الوسن.
وقد ذكر الباخرزي في مثله بيتا، وهو:
لمذكر الخطوات غير مؤنث ... ومؤنث الخلوات غير مذكر
ثم قال، في وصفه: " هذا بيت شعر، يستوي بيت تبر، ففيه، قلب يقبله كل قلب ".
ومما يقارب هذا قول بعضهم:
هو تحت العجاج ليث عرين ... وهو فوق الفراش ظبي كناس
زمن مر كل عام كيوم ... قصرا جر كل يوم كعام
هكذا كل مغنم فهو عين ال ... غرم والوجد زائد الإعدام
سترى إن أعارك الدهر عينا ... أن در الأيام للأيام
جل باري الأمور في صور الأض ... داد أبدى اللذات بالآلام
وجلا العز في ملابس ذل ... وكسا الذل صورة الإعظام
وأراك المخدوم ناعم بال ... وهو أشقى الخدام بالخدام
حسبك القنع منصبا وكفى المر ... ء نعيما مطارحات الكرام
هي أهنى موارد العيش لكن ... كدرتها مؤونة الاحتشام

من خشوع ولات حين صلاة ... واحتراس ولات حين صدام

حركات تجري على غير طبع ... وقعود معين وقيام

وأشد البلا على الرأس تلفى ... عمة مثل ذروة الأهرام

ولباس يغرى النوائب بالأك ... ناف ضافي الأذيال والأكمام

صاحبي ابغيا لنا خارج العا ... لم دارا فبئس دار الزحام

واصدقاني ألستما بين ليل ... ونهار، مالي حليف ظلام

واستعيرا لمقلتي هجعة عل ... منامي يعود لو في منام

من أمور تقذى العيون وأخرى ... تصدع السمع مثل وخز السهام." <نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١/٢٧٥>

"سرى بأعطافه يرنحه ... فشق أثوابه من الطرب

ومن محاسنه قوله يخاطب بعض السادة:

قل للذين سروا والنار مضرمة ... وفيهم شرف الإسلام إذ ظعنوا

لا تشعلوا النار في مسراكم فلقد ... أغناكم النيران البدر والحسن

وله:

يا عين فرسان بني هاشم ... سبحان حاميك من العين

صلت برمح وبعطف فقل ... في فارس جاء برمحين

وله:

أقبل كالرمح له هزة ... تحت قباء غيرم مزرور

كأن ذاك الخال في صدره ... حبة مسك فوق كافور

وله:

حدثاني عن النقيب حديثا ... وصفا لي شروطه بالعلامه

وارويا لي عن جوهر لفظ حكم ... واجعلاه في جبهة الدهر شامه

فيصح الحديث من غير سقم ... ما رواه إمامنا عن أسامه

وله:

كأنها والقرط في أذنها ... بدر الدجى قورن بالمشتري

قد كتب الحسن على وجهها ... يا أعين الناس قفي وانظري

وله في حامل ساعة:

ومليح ملك الحس ... ن جميعا فأطاعه

جاءنا ساعة أنس ... إذ حوت يمناه ساعه

وله في بانياني اسمه رامه:

ولعت ببانياني فيه حسن ... تظل الشمس عاكفة أمامه

كأن بريمه لما تبدى ... بريق الغور في أكناف رامه

وله:

قد انقضى الصوم وولى وقد ... أقلقه شوال بالإرتحال

في الأرض ترميه مجانيقنا ... وفي السما يرميه قوس الهلال

وله:

طيلسان المهذب بن عشيش ... هذبته الشهور والأعوام

حاكه مجتبى النبوة شيث ... هكذا قد روت لنا الأهرام

وله:

طيلسان ابن عشيش ذي العلى ... قد براه الدهر في نشر وطي

شيق يذكر أيام الصبا ... ما له مما براه الشوق في

طيلسان ابن عشيش، كطيلسان ابن حرب، في قدم الزمان والاختلال.

وطيلسان ابن حرب صاحب الشهرة على ألسنة الشعراء.

وكان محمد بن حرب أهداه إلى الحمدوني، وكان خلقا، فقال في وصفه قرابة مائتي مقطوعة، لا تخلو واحدة منها من معنى بديع، وصار الطيلسان عرضة لشعره، ومثلا في البلى والخلوقة، وانخرط في سلك حمار طياب، وشاة سعيد، وضرطة وهب، وأير أبي حكيمة.

ومن نوادر ما قال فيه:

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا ... أمرضته الأوجاع فهو سقيم

وإذا ما رفوته قال سبحا ... نك محيي العظام وهي رميم

قلت: ومثله في الشهرة، ثوب المالقي، وفروة ابن نباتة، وصوف ابن مليك.

السيد أحمد بن محمد الأنسي شاعر صنعاء المفلق، وشهاب أفقها المتألق.

تعانى الأدب حتى سما بإحرازها، فإذا نشرت حللها الصنعائية فهو طراز طرازها.

وكان له عند أئمتها قدر لا يجهل، واعتناء لا يكاد حقه يهمل أو يمهل.

ثم قدم مكة ومدح شريفها، ونال من المفاخر تليدها وطريفها.

فكان غرس نعمه، الذي سقاه كرمه سائغا هنيا، فأثمر قولا جنيا.

وحسامه الذي حلاه، فأهدى إليه من حلاه.

وحظي حظوة ما زال في خيرها إلى الممات يتقلب، واشتهر شهرة أنست شهرة أخي العرب قدم على آل المهلب.

وقد أثبت من أشعاره ما يستغني في إحكام صنعته عن الحجة والبرهان، ويدل على أن قائله حاز في ميدان البراعة مزية الرهان.

فمن ذلك رائيته المشهورة التي مدح بها الشريف زيدا، وبلغني أنه أجازه عليها ألف ذهب، وعبدا، وفرسا:

سلوا آل نعم بعدنا أيها السفر ... أعندهم علم بما صنع الدهر

تصدى لشت الشمل بيني وبينها ... فمنزلي البطحا ومنزلها القصر." <نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١/٤٩٥>

"وقال عدى بن زيد العبادى:

وتفكر رب الخورنق إذ أش ... رف يوما، وللهدى تفكير.

سره ملكه وكثرة ما يح ... ويه والبحر معرضا والسدير.

فارعوى قلبه، فقال: فما غب ... طة حى إلى الممات يصير؟

وأما الغريان

فهما أسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة.

بناهما النعمان بن المنذر بن ماء السماء، على جاريتين كانتا قينتين تغنيان بين يديه.

فمائتا، فأمر بدفنهما وبنى عليهما الغريين.

ويقال إن المنذر غزا الحارث بن أبى شمر الغسانى، وكان بينهما وقعة على عين أباغ، وهى من أيام العرب المشهورة. فقتل للحارث ولدان، وقتل المنذر وانهزمت جيوشه. فأخذ الحارث ولديه وجعلهما عدلين على بعير، وجعل المنذر فوقهما، وقال: «ما العلاوة بدون العدلين» فذهبت مثلا. ثم رحل إلى الحيرة فانتهبها وحرقها ودفن ابنيه بها، وبنى الغريين عليهما. حكاه ابن الأثير فى تاريخه «الكامل» .

وأمر المنصور بهدم أحدهما، لكنز توهم أنه تحتهما. فلم يجد شيئا.

وقيل في سبب بنائهما غير ذلك. والله أعلم.

ذكر الأبنية القديمة التى بالديار المصرية

وهى الأهرام، وحائط العجوز، وملعب أنصنا، ومدينة عين شمس، والبرابى، وحنية اللازورد، ومنارة الإسكندرية، ورواق الإسكندرانيين.." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١/٣٨٧>

"فأما الأهرام

التى بأرض مصر فهى كثيرة. وأعظمها الهرمان اللذان بالجيزة غربى مصر.

وقد اختلف في بانيهما.

فقال قوم: بانيهما سوريد بن سهلوق بن سرناق. بناهما قبل الطوفان لرؤيا رآها، فقصها على الكهنة، فنظروا فيما تدل عليه الكواكب النيرة من أحداث تحدث فى العالم، فأقاموا مراكزها في وقت المسألة. فدلت على أنها نازلة من السماء تحيط بوجه الأرض. فأمر حينئذ ببناء البرابى والأهرام، وصور فيها صور الكواكب ودرجها وما لها من الأعمال وأسرار الطبائع والنواميس وعمل الصنعة.

ويقال إن هرمس المثلث بالحكمة (وهو الذى يسميه العبرانيون أخنخ، وهو إدريس عليه السلام) استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان. فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه الذهاب والدثور.

وكل هرم منها مربع القاعدة، مخروط الشكل، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع وسبعة عشر دراعا، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع، كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع فى مثلها.

ويقال إنه كان عليه حجر شبه المكبة فرمته الرياح العواصف.

وهو مع هذا العظم من إحكام الصنعة وإتقان الهندسة وحسن التقدير بحيث إنه لم يتأثر إلى يومنا هذا بعصف الرياح وهطل الأمطار وزعزعة الزلازل؛ وطول الحجر منه خمسة أذرع في سمك ذراعين.." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١/٣٨٨>

"على المشى في الزلاقة لئلا يزلق، وأسفل الزلاقة بئر عظيمة بعيدة القعر. ويقال إن أسفل البئر أبواب يدخل منها إلى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع وعجائب.

وانتهت بهم الزلاقة إلى موضع مربع في وسطه حوض من حجر صلد مغطى. فلما كشف عنه غطاؤه، لم يوجد فيه إلا رمة بالية. فأمر المأمون بالكف عما سواه.

وهذا الموضع يدخله الناس إلى وقتنا هذا.

وسنذكر إن شاء الله تعالى خبر الأهرام عند ذكرنا لأخبار ملوك مصر الذين كانوا قبل الطوفان وبعده، وذلك في الباب الثانى من القسم الرابع من الفن الخامس، وهو في السفر الثانى عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا فتأمله هناك.

وقال بعض أهل النظر، وقد عاين الأهرام: «كل بناء يخاف عليه من الدهر، إلا هذا البناء فإنى أخاف على الدهر منه» .

ونظم عمارة اليمنى هذا القول، فقال:

خليلى، ما تحت السماء بنية ... تماثل في إتقانها هرمى مصر!

بناء يخاف الدهر منه، وكل ما ... على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر!

تنزه طرفى في بديع بنائها، ... ولم يتنزه في المراد بها فكرى.

وقال بعض الشعراء:

حسرت عقول ذوى النهى الأهرام، ... واستصغرت لعظيمها الأعلام.

ملس منيفة البناء شواهق، ... قصرت لعال دونهن سهام!

لم أدر حين كبا التفكر دونها ... واستبهمت لعجيبها الأوهام،

أقبور أملاك الأعاجم هن، أم ... طلسم رمل هن، أم أعلام؟." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١/٣٩٠>

"وقال سيف الدين بن جبارة:

لله! أى غريبة وعجيبة ... فى صنعة الأهرام للألباب؟

أخفت عن الأسماع قصة أهلها، ... ونضت عن الإبداع كل نقاب.

فكأنما هى كالخيام مقامة ... من غير ما عمد ولا أطناب.

ومن رسالة لضياء الدين بن الأثير الجزرى في ذكر مصر ووصف الأهرام، جاء منها:

بلد أشهد بفضله على البلاد، ووجدته هو المصر وما عداه فهو السواد. فما رآه راء إلا ملأ عينه وصدره، ولا وصفه واصف إلا علم أنه لم يقدره قدره. وبه عجائب من الآثار، لا يضبطها العيان ولا الإخبار. فمن ذلك الهرمان، اللذان هرم الدهر

وهما لا يهرمان؛ قد اختص كل منهما بعظم البناء، وسعة الفناء؛ وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير على بعد تحليقه، ولا يدركها الطرف على مدة تحديقه؛ فإذا أضرم برأسه قبس ظنه المتأمل نجما، وإذا استدارت عليه قوس السماء كان لها سهما» .

وبالقرب من الأهرام صنم على صورة إنسان، تسميه العامة «أبو الهول» لعظمه.

والقبط يزعمون أنه طلسم للرمل الذى هناك، لئلا يغلب على أرض الحيزة.

وأما حائط العجوز

والعجوز هى دلوكا ملكة مصر.

وهذا الحائط من العريش (وهو حد مصر من جهة الشام) إلى أسوان (وهى حد مصر من جهة النوبة) ، شاملا للديار المصرية من الجانب الشرقى.

وزعمت القبط أن سبب بنائها أن الله عز وجل لما أغرق فرعون وقومه، خافت دلوكا على مصر أن يطمع الملوك فيها. فبنته، وزوجت النساء بالعبيد حتى يكثر النسل والذرية.." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١/٣٩٢>

"... صحيفة

حنية اللازورد ٣٩٥

منارة الاسكندرية ٣٩٥." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١/٤٣٠>

"الكبير المصفح، واستخراج الرصاص من أرض المغرب، وإحضار الصخور السود التى جعلها أساسا من ناحية أسوان، وكانت تحمل على أطواف «١» . وقيل:

كانت لهم فراقل من خوص لها عذب وعليها كتابة منقوشة، فكانوا إذا ضربوا بها الحجارة عدت على وجه الأرض وحدها مقدار رمية سهم حتى وضعت الأساسات.

وأمر أن يزبر على البلاط المنشور المهندم جميع علومهم. ثم بنى الأهرام الثلاثة الأول: الشرقى، والغربى، والملون؛ فكانوا يجعلون فى وسط البلاطة قلب حديد قائما ويركبون عليه بلاطة أخرى مثقوبة الوسط، ثم يدخل ذلك القلب الحديد فى ثقب البلاطة التى تطبق عليه، ويذاب الرصاص ويصب حول البلاطة بعد أن تؤلف الكتابة التى عليها. وجعل أبوابها من تحت الأرض بأربعين ذراعا فى آزاج «٢» مبنية بالحجارة فى الأرض، طول كل أزج مائة وخمسون ذراعا. قال: فأما باب الهرم الشرقى فإنه من الناحية الجنوبية «٣» على قياس مائة ذراع من وسط حائط الهرم الى الناحية الجنوبية، ويحفر حتى ينزل الى باب الأزج ثم يدخل اليه منه.

وأما باب الهرم الغربى فمن الناحية الغربية يقاس أيضا من وسط الحائط الغربى الى الغرب مائة ذراع، ويحفر حتى ينزل الى باب الأزج المبنى ويدخل منه اليه.

وأما باب الهرم الملون فمن الناحية البحرية «٤» يقاس أيضا من وسط الحائط البحرى مائة ذراع، ويحفر حتى ينزل الى باب الأزج. وجعل طول كل واحد منها أربعمائة." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٢٤>

"الذبائح لتمنع «١» عن نفسها [من أرادها] إلا من قرب إليها وعمل لها أعمال الوصول فإنه يصل اليها. قال: وذكر القبط أنه كتب عليها اسم الملك والوقت الذى بناها فيه، ويقول: إنا بنيناها فى ست سنين «٢» فقل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة فإن الهدم أهون من البنيان. وإنا كسوناها الديباج الملون المذهب المرقوم بالذهب فقل لمن يأتى بعدنا يكسوها حصيرا. فنظروا فوجدوا أحدا لا يقوم بهدمها وكسوتها لأنه لا يستطاع ذلك ولا يقدر عليه.

قال: وحكى عن هذه الأهرام عجائب يطول الشرح بذكرها؛ منها أن المأمون لما دخل إلى مصر أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها، فقيل له: إنك لا تقدر على ذلك. فقال: لا بد من فتح شىء «٣» منه. فعولجت الثلمة المفتوحة منه فأنفق عليها مالا كثيرا لنار توقد وخل يرش ومنجنيقات ترمى بها، فوجد عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا. فلما انتهوا الى داخل الهرم وجدوا خلف الحائط عند النقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب دنانير، وزن كل دينار أوقية «٤» من أواقينا، وكان عددها ألف دينار، فعجبوا من ذلك ولم يعرفوا ما معناه، ثم أتى المأمون بالذهب والمطهرة فجعل يتعجب من الذهب وحسنه وجودته وحمرته، فقال:

ارفعوا لى حساب ما أنفقتموه على هذه الثلمة ففعلوا، فوجده بإزاء المال الذى أصابوه لا يزيد ولا ينقص. فعجب المأمون

من معرفتهم على طول المدد بأنهم سيفتحونه من ذلك الموضع بعينه، ومعرفتهم بمقدار ما ينفق عليه وتركهم مقداره." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٢٧>

"فى صحراء، وإذا على باب تلك الفوهة تمثالان من حجر أسود معهما كالمزراقين فعجبوا من ذلك. ووجدوا أجرنة منقورة وأسطوانات مخروطة، فساروا منها بعدا فانتهوا إلى ماء وجدوه فى نقار «١» حذاء تلك الفوهة، وأخذوا نحو المشرق فساروا يوما حتى وصلوا إلى الأهرام من خارج فأخبروا والى مصر بخبرهم، فوجه معهم من يدخل من تلك الفوهة، فطافوا فلم يجدوها وأشكل عليهم أمرها. ووجد الآخذ للحجر الحجر جوهرا نفيسا فباعه بمال.

قال: وحكى أن قوما فى زمن أحمد بن طولون «٢» دخلوا الهرم فوجدوا فى طاق فى أحد بيوته أستاندانة زجاجا ثخينة فأخذوها وخرجوا، ففقدوا رجلا منهم فدخلوا فى طلبه، إذ خرج عليهم الرجل عريانا يضحك ويقول: لا تتعبوا فى طلبى، ورجع هاربا الى أن دخل، فعلموا أن الجن استهوته وشاع أمرهم، فأخذوا الأستاندانة منهم ومنع الناس من الدخول الى الهرم، ووزنت الأستاندانة فكانت أربعة أرطال زجاجا أبيض صافيا، فانتبه رجل من أهل المعرفة لها وقال:

لم تعمل إلا لشيء، وملأها ماء ووزنها فوجد وزنها وهى ملأى مثل وزنها فارغة لا تزيد ولا تنقص فكانت أعجوبة.

وحكى أن قوما دخلوا الهرم ومعهم من يريدون يعبثون به، فلما هموا بذلك خرج عليهم غلام أسود أمرد فى يده عصا فأخذ فى ضربهم، فخرجوا هاربين وتركوا ما كان معهم من طعام وشراب وبعض ثيابهم.

وحكى أن رجلا دخل بامرأة ليفجر بها فصرعا جميعا ولم يزالا مجنونين مشهورين حتى ماتا.." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٣٠>

"قال: وفى بعض مصاحف القبط أن سوريد الملك لما أخبره كهنته بخبر النار المحرقة وأنها تخرج من برج الأسد فتحرق العالم، عمل فى الأهرام مسارب موجهة الى آزاج ضيقة تجتلب الرياح الى داخل بصوت هائل. وعمل فيها مسارب يدخل منها ماء النيل الى مكان ينتهى الى موضع من أرض الغرب وأرض الصعيد، وملأ تلك الأسراب عجائب وطلسمات وأصناما تنطق.

قال: وحكى بعض القبط أن سوريد لما أخبره منجموه قال: انظروا لبلدنا هذا هل تلحقه آفة؟ فنظروا فقالوا: يلحقه طوفان ويلحقه خراب يقيم فيه عدة سنين وتغلب عليها التنانين. قال: كيف يكون خرابها؟ قالوا: يقصدها ملك فيقتل أهلها ويغنم مالها ويهدم مصانعها. قال: ثم ماذا؟ قالوا: ثم تكون عمارتها من قبله. قال: ثم ماذا؟ قالوا: ثم يقصدها قوم مشوهون من ناحية مصب النيل فيأتون على أكثرها. قال: ثم ماذا؟ قالوا: ثم ينقطع نيلها ويجلو أهلها عنها؛ فأمر أن يكتب جميع ذلك على الأهرام.

قال: وذكر رجل من أهل الغرب ممن يختلف الى الواح ويحمل الشمار «١» على جمل له أنه بات فى بعض الليالى قرب الهرم فما زال يسمع الضوضاء والعطعطة فهاله ذلك وتباعد عنه بجمله، وكان يرى حول الهرم شبه النيران تأتلق، فلم يزل مرعوبا الى أن سرقته عيناه فنام وأصبح وهو فى الموضع الذى جمع منه الشمار وشماره موضوع بحاله، فتعجب من ذلك وشد شماره على جمله ورجع الى الفسطاط وآلى على نفسه ألا يقرب من الهرم بعد ذلك.." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٣١>

"قال: وفى أيامه كثرت الحيات فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها الأدوية والدرياقات، ثم ساقوها بسحرهم إلى وادى الحيات فى جبال لوبية ومراقية فسجنوها هناك. قال: وهو أول من عمل النوروز بمصر ورتبه سبعة أيام يدمنون فيها الأكل والشرب واللهو. وفى زمانه بنيت البهنسا وأقام بها أسطوانات، وجعل فيها «١» مجلسا من زجاج أصفر وعليه قبة مذهبة، فكانت الشمس إذا طلعت على القبة ألقت شعاعها على المدينة. وعمل فيها عجائب كثيرة يطول الشرح بذكرها. قال: ويقال إن أشمون كان أول إخوته ملكا، وكان أعدل بنى أبيه وأرغبهم فى صنعة تبقى ويبقى ذكرها. وهو الذى بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملون فى وسط النيل. وتزعم القبط أنه بنى سربا تحت الأرض من الأشمرنين إلى أنصنا تحت النيل. وقيل: إنه عمله لبناته لأنهن كن يمضين إلى هيكل الشمس. وكان هذا السرب مبلط الأرض والحيطان والسقف بالزجاج الثخين الملون. وقيل: إنه كان أطول إخوته ملكا. وقال أهل الأثر: إنه ملك ثمانمائة سنة، وإن قوم عاد انترعوا منه الملك بعد ستمائة سنة من ملكه وأقاموا تسعين سنة واستوبؤا البلد فانتقلوا [إلى الدثينة من طريق الحجاز إلى وادى القرى فعمروها «٢»] واتخذوا [بها «٣»] المنازل والمصانع فسلط الله عليهم الذر فأهلكهم، وعاد ملك مصر إلى أشمون بعد خروجهم من البلد. ويقال: إنه ملكهم ثمانمائة سنة وثلاثين سنة، ودفن فى أحد الأهرام الصغار القبلية. وقيل: بل عمل له ناووس فى غربى الأشمونين ودفن معه فيه من الأموال والعجائب شيء كثير، وأصنام الكواكب السبعة التى كانت فى هيكل المرآة التى ترى منها الأقاليم، ودفن معه ألف سرج من ذهب وفضة، وعشرة آلاف." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٧١>

"يبصر البناء ويقطع الصخور وينحتها إلا وجه به عون إليها، وأنفذ معهم ألف رجل من جيشه وسبعمائة ساحر يعاونونهم بالروحانيين الذين فى طاعتهم، وأنفذ معهم جميع الآلات وأقام يحمل لهم الزاد إلى هناك شهورا على العجل؛ وطريق العجل على الفيوم واضحة فى صحراء الغرب وخلف الأهرام– وهى التى يقصدها أصحاب المطالب– مشهورة.

قال: فلما تكامل له ما أراد من ذلك ومن نحت الأحجار خطوا المدينة فرسخين فى فرسخين، وحفروا فى الوسط بئرا وجعلوا فى تلك البئر تمثال خنزير من نحاس بأخلاط ونصبوه على قاعدة من نحاس وجعلوا وجهه إلى الشرق، وكان ذلك بطالع زحل واستقامته وسلامته من المتضادين له فى شرفه، وأخذوا خنزيرا فذبحوه له ولطخوا وجهه بدمه وبخروه بشعره، وأخذوا شيئا من عظامه ولحمه ومرارته فجعلوه فى جوف ذلك الخنزير النحاس، وجعلوا فى أذنيه شيئا من مرارته، وأحرقوا بقية الخنزير، وجعلوا رماده فى قلة نحاس بين يدى الخنزير النحاس، ونقشوا عليه آيات زحل، ثم شقوا فى البئر أخدودا من أربعة وجوه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، ومدوا تلك الأخاديد إلى حيطان المدينة، وعملوا على أفواهها مسارب تجتلب الرياح إليها، ثم سدوا البئر وعملوا عليها قبة على عمد مربعة، وجعلوا منها شوارع كل شارع ينتهى إلى باب من أبواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل، وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حراب ووجوهها مقابلة لتلك الأبواب، وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود وفوقه أحمر وفوقه أصفر وفوقه أخضر، وفوق الجميع أبيض يشف، مثبتة كلها بالرصاص المصبوب

بين الحجارة، وقلوبها أعمدة من حديد على وضع بناء الأهرام؛ وجعل طول حصنها ستين ذراعا فى عرض عشرين ذراعا، ونصب على كل رأس باب من أبوابها فى أعلا الحصن تمثال عقاب كبير من صفر وأخلاط ناشر الجناحين أجوف، وعلى كل ركن صورة فارس بيده حربة ووجهه." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١١٧/١٥>

"ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون إلى مدينته

قال: ثم وافا كتاب الوليد بن دومع من نواحى النوبة إلى عون يأمره أن ينفذ إليه الأزواد وينصب له الأسواق؛ فوجه إليه ذلك فى المراكب وعلى الظهر «١» ، وحول جميع عياله ومن اصطفاه من بنات ملوك مصر وكبرائها إلى المدينة، حتى إذا قرب دخول الوليد إلى مصر خرج عون إلى مدينته وخلف خليفة على مصر يكون بين يدى الوليد. ودخل الوليد مدينة منف وتلقاه أهل مصر وشكوا إليه عونا وما حل بهم منه. قال: وأين هو؟ قالوا: فر منك. فغضب الوليد وأمر بجيش كثيف ينفذ إليه، فعرفوه أن الجيش لا يصل إليه، وأخبروه خبر المدينة وكيف بناها وخبر السحرة الذين معه. فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ويحذره التخلف عنه، ويقسم أنه إن لم يفعل وظفر به بضع لحمه بضعا. فرد جوابه يقول: ما على الملك منى مؤنة، وأنا لا أتعرض إلى بلده ولا أعيث فيه؛ لأنى عبده، وأنا له فى هذا الموضع أرد كل عدو يأتيه من نواحى الغرب، ولا أقدر على المصير إليه لخوفى منه، فليقرنى الملك بحالى كأحد عماله وأوجه إليه ما يلزمنى من الخراج والهدايا. ووجه إليه بأموال جليلة وجوهر نفيس. فلما رأى ذلك كف عنه. وأقام الوليد بمصر فآستعبد أهلها واستباح حريمهم وأموالهم. وملكهم مائة وعشرين سنة فأبغضوه وسئموا أيامه. واتفق أنه ركب فى بعض الأيام إلى الصيد فألقاه فرسه فى وهدة فهلك. وكان ابنه الريان ينكر عليه فعله ولا يرضاه. فلما هلك عمل له ناووسا قرب الأهرام. وقيل: بل دفن فى الهرم.." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١١٩/١٥>

"فى البحر فى المراكب من بلاد الغرب وسواحل الشام، وأحكمت جميع ذلك بحركات فلكية. فكان إذا ورد عليها عدو من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الشخوص التى فى البرابى من الإبل وغيرها فيحدث العور فى ذلك الجيش وتهلك دوابهم، وكذلك كل من يقدم عليها من البر والبحر اذا بلغها خبر مقدمه صنعت فى تلك الصور ما يحدث مثله فى ذلك الجيش من الآفات، فهابها سائر ملوك الأمم. وخبر هذه المرأة مشهور. وأكثر هذه البرابى باق الى وقتنا هذا وفيها التصاوير إلا أنها لا فعل لها.

وقد قيل فى البرابى: إنها اتخذت مع الأهرام قبل الطوفان. والله تعالى أعلم.

وقيل أيضا: إن مما أنشأته هذه المرأة منارة الإسكندرية، وقد تقدم ذكر خبرها فى المبانى القديمة وهو فى السفر «١» الأول من كتابنا هذا من هذه النسخة.

قال: وملكت هذه المرأة نحوا من ثلاثين سنة، وقيل أقل من ذلك.

ولما هلكت دلوكة ملك بعدها دركوس «٢» بن بلوطس. ثم ملك بعد ولده بورش. «٣»

ثم ملك بعده ولده بغاش «٤» بن بورش نحوا من خمسين سنة. ثم ملك بعده دنيا «٥» ابن بورش نحوا من عشرين سنة. ثم ملك بعده بلوطس عشرين سنة. ثم ملك بعده بلوطس بن متناكيل «٦» أربعين سنة. ثم ملك بعده مالس «٧» بن بلوطس. ثم ملك." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣٩/١٥>

"وفيها فى يوم الأحد الثامن عشر من المحرم ولد للسلطان الملك الناصر ولد ذكر من زوجته عتيقته طغاى [١] ، وكان السلطان قد توجه فى هذا اليوم إلى الصيد بجهة القصور بناحية سرياقوس، فطولع فى ذلك، فعاد فى يوم الخميس الثانى والعشرين من الشهر [وعمل مهم [٢] فى يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر] [٣] وأقام السلطان بقلعة الجبل إلى آخر يوم السبت مستهل صفر.

وتوجه فى يوم الأحد ثانى الشهر إلى جهة القصور بسرياقوس، ثم توجه من هناك، وعدى إلى جهة المنوفية، فتصيد هناك، وعاد إلى الجيزية، فأقام بها أياما، وحضر الرسل الذين وصلوا من جهة الأمير جوبان نائب الملك أبى سعيد بين يدى السلطان، فسمع كلامهم، وخلع عليهم، وأعادهم، وعاد السلطان إلى قلعة الجبل فى يوم الخميس العشرين من صفر.

وفى يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الأول من السنة انتقل [٤] ركاب السلطان من قلعة الجبل المحروسة إلى جهة القصور بسرياقوس، فأقام إلى يوم السبت، وتوجه إلى جهة الأهرام، واستقر بتلك المنزلة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من الشهر، ثم توجه إلى جهة البحيرة للصيد المبارك، وناب عنه فى الغيبة الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح، وأمر أن يركب فى مماليكه الخاصة، وأن جميع من تأخر من الأمراء وأمراء العشرات، ومقدمى الحلقة،/ (٢٣٠) بالقاهرة وبقلعة الجبل لا يركبون فى مدة غيبة السلطان لموكب ولا لغيره، وأن يلزم كل منهم بيته إلى حين عودة ركاب السلطان [فلم يزل الأمراء على ذلك إلى أن عاد السلطان] [٥] وكان عوده ووصوله إلى قلعة الجبل المحروسة فى يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول.

---

[١] هى أخت آقبغا بن عبد الواحد الذى سبقت الإشارة إليه آنفا.

[٢] المهم فى لغة مؤرخى هذه الفترة كان يطلق على الوليمة والسماط العام فى أمثال هذه المناسبات.

[٣] ما بين الحاصرتين زيادة من «أ» ص ٢٢٩.

[٤] فى «أ» ص ٢٢٩ «استقل» .

[٥] ما بين الحاصرتين زيادة من «أ» ص ٢٣٠.." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٢٢/٣٣>

"سيف الدين نوروز بطبلخاناة، وأمر ناصر الدين بن كوجرى بعشرة طواشية، وأمر سيف الدين چهاركس [١] بعشرة طواشية، وجعل أحد أمراء شكارية، وركب الأمراء فى يوم الخميس ثالث شهر المحرم بالتشاريف والشرابيش [٢] على عادة أمثالهم.

وفيها فى يوم الاثنين السابع من المحرم توجه السلطان إلى جهة القصور بسرياقوس، فتصيد بتلك الجهة إلى يوم الاثنين رابع عشر الشهر ورجع، ومر تحت قلعة الجبل ولم يصعد إليها، ومر على طريق سوق الخيل إلى الصليبة إلى قناطر السباع، حتى انتهى إلى بولاق، فركب إلى جهة الجيزية، واستقر فى نيابة السلطنة- فى مدة غيبة السلطان- الأمير سيف الدين قجليس الناصرى أمير سلاح.

ووصل إلى الأبواب السلطانية رسل الملك

أبى سعيد بن خربندا ملك العراقين وخراسان، فكان وصولهم إلى باب الدهليز [٣] المنصورى بمنزلة الأهرام فى يوم الأحد السابع/ والعشرين من المحرم، فمثلوا بين يدى السلطان، وسمع رسالتهم، وأحسن إليهم، ورسم بإعادتهم إلى مرسلهم، فتوجهوا بعد دخولهم إلى القاهرة فى يوم السبت رابع صفر، واستمر السلطان بمنزلة الأهرام أياما، ثم توجه منها إلى جهة المنوفية، وعاد إلى قلعة الجبل المحروسة فى منتصف نهار الأحد ثانى عشر صفر، فأقام بقلعة الجبل إلى يوم/ (٢٦٤) الخميس سلخ صفر، وتوجه فى بكرة النهار إلى جهة القصور بسرياقوس، ثم عدى البحر إلى الجانب الغربى، وتوجه إلى جهة المنوفية، وتصيد هناك وعاد، فكان وصوله إلى قلعة الجبل فى يوم الخميس سابع عشر ربيع الأول من السنة، والله أعلم.

---

[١] الضبط من النجوم (٢١٤/٩) والكلمة فارسية مركبة من: جهار- أربعة، وكسى (أو) كسى- شخص، أو نفس، فمعناها أربعة أنفس.

[٢] الشرابيش: جمع شربوش، وهو غطاء للرأس كان على هيئة خاصة، وكان من شارات الإمارة، وفى السلوك (٣٤٣/٢) والنجوم (٩٩/٩) شربوش مكلل مزركش، ويفهم من هذا أنها كانت أنواعا مختلفة على حسب منزلة من تخلع عليهم.

[٣] الدهليز: أورده المقريزى فى مواضع كثيرة فى السلوك، ويفهم منه أنه خيمة على صفة معينة تقام للسلطان فى رحلاته، وقد أورد أبو الفداء صفتها فى تاريخه (٩٧/٤) .." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٥٢/٣٣>

"العسكر بغزة المحروسة عوضا عن الأمير عز الدين أيبك الجمالى، ونقل الجمالى إلى نيابة ألبيرة بحكم وفاة نائبها الأمير حسام الدين لاجين المنصورى الحسامى، ولما توجه الأمير سيف الدين بكتمر إلى غزة أنعم السلطان بإقطاعه على الأمير سيف الدين بهادر الناصرى، وهو من مماليك تمرتاش بن جوبان.

ذكر وصول الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة إلى الخدمة السلطانية وتوجهه فى خدمة السلطان إلى الصيد وعوده إلى حماة [١]

كان وصوله إلى الأبواب السلطانية فى يوم الاثنين العشرين من المحرم وخلع عليه وعلى ولده فى هذا اليوم قبل طلوعهم إلى الخدمة، فطلعا إلى الخدمة السلطانية وعليهما التشاريف، واستمرا فى الخدمة السلطانية، وتوجها فى خدمة السلطان إلى الصيد فى الوجه القبلى، وكان استقلال الركاب السلطانى من قلعة الجبل فى يوم السبت تاسع صفر، وأقام بمنزلة الأهرام بالجيزية إلى بكرة نهار الأربعاء ثالث عشر صفر، وعاد إلى قلعة الجبل.

وكان سبب عوده أنه حصل له فى يده اليسرى دمل صغير قلق بسببه، واشتد به الألم، فاقتضى ذلك عوده فى هذا اليوم، وأقام بقلعة الجبل حتى فتح الدمل وبرىء [٢] منه، ثم توجه فى يوم الخميس حادى عشرين الشهر إلى الأهرام، واستقل ركابه إلى الصيد المبارك بالوجه القبلى، فانتهى إلى ناحية «هو [٣] والكوم الأحمر [٤] » وعاد إلى مكان وصوله- إلى قلعة الجبل المحروسة- فى يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر وقت الصلاة، والملك المؤيد وولده فى خدمته، وفى يوم الاثنين ثامن الشهر خلع السلطان عليهما على عادة الملوك

---

[١] فى السلوك (٣١٧/٢) والنجوم (٩٣/٩) ورد هذا الخبر فى حوادث سنة ٧٣٠ هـ ولم يورده أبو الفدا نفسه فى تاريخه

ضمن حوادث هذه السنة، وأورد خبرا مشابها له فى حوادث سنتى ٧٢٧ هـ و ٧٢٨ هـ (تاريخ أبى الفدا ٩٦/٤ و ٩٧ و ٩٨) .

[٢] انظر فى هذا الخبر (السلوك ٣١٧/٢) والنجوم (٩٣/٩) .

[٣] الضبط من السلوك (٣١٧/٢) وفيه «مدينة هو: بالصعيد الأعلى، وفى النجوم (٩٣/٩ حاشية ٢) هو: من قرى مركز نجع حمادى بمديرية قنا.

[٤] الكوم الأحمر: من قرى مركز البدارى بمحافظة أسيوط.." <نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٠١/٣٣>

"أمرهم أنه كان فيهم طائفة من ذوي المعرف والعلوم، خصوصا بعلم الهندسة والنجوم. ويدل على ذلك ما خلفوه من الأشغال البديع المعجزة، كالأهرام والبرابي، فإنها من الآثار التي حيرت الأذهان [الثاقبة، واستعجزت الأفكار الراجحة] ، وتركت لها شغلا بالتعجب منها، والتفكر فيها. وفي مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري في قصيدته التي يرثي بها أباه:

تضل العقول الهبرزيات رشدها ... ولا يسلم الرأي القويم من الأفن

وقد كان أرباب الفصاحة كلما ... رأوا حسنا عدوه من صنع الجن

وأي شيء أعجب وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته، من القدرة على بناء جسم [جسيم] من أعظم الحجارة، مربع القاعدة مخروط الشكل، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع ونحو سبعة عشر ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساوية الأضلاع، طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا وهو مع هذا العظم، من إحكام الصنعة وإتقانها، في غاية من حسن التقدير بحيث لم يتأثر إلى هلم جرا بعصف الرياح وهطل السحاب،." <نوادر المخطوطات عبد السلام هارون ٢٥/١>

"وقد وافيا نشزا من الأرض عاليا ... كأنهما نهدان قاما على صدر

وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام، آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم، كما تميزوا عنهم في حياتهم، وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهر، وتراخي العصور.

ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر بنقبها، فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد، وعناء طويل، فوجدوا داخله مهاوي ومراقي يهول أمرها، ويعسر السلوك فيها، ووجدوا في أعلاها بيتا مكعبا، طول كل من أضلاعه نحو من ثمانية أذراع، وفي وسطه حوض رخام مطبق، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية، قد أتت عليها العصور الخالية، فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه. ويقال: إن النفقة على نقبه كانت عظيمة، والمؤونة شديدة.

ومن الناس من زعم أن هرمس الأول، المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة، وهو الذي يسميه العبرانيون خنوع بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو إدريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعم الأرض، فأكثر من بنيان الأهرام، وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يشفق عليه من الذهاب والدروس، حفظا لها، واحتياطا عليها. ويقال: إن الذي بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق. وقال آخرون: إن الذي بنى

الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد، لرؤيا رآها. والقبط تنكر دخول العمالقة بلد مصر." <نوادر المخطوطات عبد السلام هارون ١/٢٧>

"والاستقبال بأبنيتهم مطالع الشمس، قنعوا بأفلاذ الحشا، والاحتشاء من الكشى، عن التأري لما في القدور، والتعري لوهج التنور:

لقرص تصلى ظهره نبطية ... بتنورها حتى يطير له قشر

فأما البهط وحيتانكم ... فما نيل منها كثير السقم

ومكن الضباب طعام العريب ... ولا تشتهيه نفوس العجم

توقف الطباع على الصميم والخلاصة، وتوقي به شح النفس والخصاصة، ليسوا كالنهمة الخفرة، الأكلة الحفرة، خفرة الجفان، وحفرة الأنفاق للنيران، أعدوها للتحصين، لا للتحسين، وأوفدوا لها على الطين للتبطين، لا للتوطين، إذ لم يغنهم القهر عن الحصر، ولا عقد الجسر عن الأسر، أعجلتهم العربان، الغربان، عن الانتفاع، باليفاع، والاعتصام، بالأعصام، والاحترام، بالأهرام:

ولذاك كانوا لا يحشون الوغى ... إلا وقد علموا مكان المهرب

وأما الفسل، والمسل، فقد أجلها الله عن اغتراسكم واحتراسكم، وطهر النخلة عمتنا من أدناسكم، وبخر أنفاسكم، وحبا العرب بها عجالة صائمهم، ولهفة طاعمهم، ونقيعة ضيفهم، وفاكهة شتائهم وصيفهم، تحفة الكبير، وضمتة الصغير، وتخرسة مريم ابنة عمران، من الراسيات في الضحل، الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل.." <نوادر المخطوطات عبد السلام هارون ١/٢٨٤>

"قاله القضاعي في " الخطط "، رحمه الله تعالى.

والأزدي: قد تقدم الكلام فيه.

والجيزي (١) - بكسير الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي - هذه النسبة إلى الجيزة، وهي بليدة في قبالة مصر يفصل بينهما عرض الغيل، والأهرام في عملها وبالقرب منها، وهي من عجائب الأبنية قال بعض الحكماء: ما على وجه الأرض بنية إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار، إلا الهرمين فأنا أرثي لليل والنهار منهما.

ولأبي الطيب المتنبي فيهما:

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم في حياتهم، وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور. ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر ينقب الهرمين، فنقب أحدهما بعد جهد شديد وعناء طويل، فوجدوا داخله مراقي ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها، ووجدوا في أعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فيه رمة بالية، وقد أتت عليها العصور، فكف عن نقب ما سواه، وكانت النفقة على نقبه عظيمة، والمؤونة شديدة.

ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهي الذي يسميه العبرانيون خنوخ – وهو إدريس عليه السلام – استدل من أحوال الكواكب على الطوفان، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها ما يشفق عليه من الذهاب؛ وقيل بانيها سورند لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان؛ ويقال: إنه بناها في مدة ستة أشهر، وغشاها بالديباج الملون،

---

(١) من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في م.." <وفيات الأعيان ابن خلكان ٢/٢٩٣>

"قصر عن أوصافك العامل ... وكثر الناثر والناظم

من يكن البحر له راحة ... يضيق عن خنصره الخاتم فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة، وكانت من ذهب. وكان بين يدي الأمير غزال مستأنس، وقد ربض وجعل رأسه في حجره، فقال ظافر بديها:

عجبت لجرأة هذا الغزال ... وأمر تخطى له واعتمد

وأعجب به إذا بدا جاثما ... وكيف اطمأن وأنت الأسد فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان. وتأمل ظافر شيئا كان على باب المجلس يمنع الطير من دخولها فقال:

رأيت ببابك هذا المنيف ... شباكا فأدركني بعض شك

وفكر فيما رأى خاطري ... فقلت البحار مكان الشبك ثم انصرف وتركنا متعجبين من حسن بديهته، رحمه الله تعالى وغفر له] (١) .

---

(١) انفردت ر بأكثر ما ورد بين معقفين، وبعد هذا الموضع زاد في النسخة ج ما يلي: وقال علي بن ظافر في كتاب " البدائه ": وذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا متنزهين إلى الأهرام ليروا عجاب بنائها ويتأملوا ما سطر الدهر من العبر، فاقترح بعض من كان معهم فيها، فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز:

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا ... على ما رأيت عيناك من هرمي مصر

أنافا بأعنان السماء وأشرفا ... على الجو إشراف السماك أو النسر وأنشد أبو المنصور ظافر الحداد (الديوان: ٤) :

تأمل هيئة الهرمين وانظر ... وبينهما أبو الهول العجيب

كعمارتين على رحيل ... لمحبوبين بينهما رقيب

وفيض البحر عندهما دموع ... وصوت الريح بينهما نحيب

وظافر سجن يوسف مثل صب ... تخلف فهو محزون كئيب." <وفيات الأعيان ابن خلكان ٢/٥٤٣>

"باهلي فقال: نعم، بشرط ألا يعلم أهل الجنة أني باهلي، والأخبار في ذلك كثيرة، رحمهم الله أجمعين.

وسئل حسين بن بكر الكلابي النسابة عن السبب في اتضاع باهلة وغني عند العرب، فقال: لقد كان بينهما غناء وشرف، ولم يضعهما إلا إشراف أخويهما فزارة وذبيان عليهما بالمآثر، فدنؤا (١) بالإضافة إليهما [ذكر ذلك الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب " أدب الخواص "] وقد تقدم الكلام على قتيبة في ترجمة عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢) .

٥٤٣ - (٣)

بهاء الدين قراقوش

أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي، الملقب بهاء الدين، كان خادم صلاح الدين، وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين، فأعتقه - وقد تقدم ذكره في ترجمة الفقيه عيسى الهكاري (٤) . ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية، وفوض أمورها إليه واعتمد في تدبير أحوالها عليه، وكان رجلا مسعودا وصاحب همة عالية، وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل، وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام، وهي آثار دالة على علو الهمة، وعمر بالمقس رباطا، وعلى باب الفتوح بظاهر القاهرة خان سبيل.

---

(١) قد تقرأ في المختار " فدقا ".

(٢) انظر ج ٣: ٤٣.

(٣) ترجمته في مرآة الزمان: ٥٠٤ وذيل الروضتين: ١٩ والنجوم الزاهرة ٦: ١٧٦ والسلوك ١/ ١: ١٥٨ والشذرات ٤: ٣٣١ وعبر الذهبي ٤: ٢٩٨ ويجب ألا يخلط بينه وبين شرف الدين قراقوش التقوى المظفري الذي قام بمغامرات كثيرة في طرابلس الغرب وإفريقية.

(٤) انظر ج ٣: ٤٩٧.." <وفيات الأعيان ابن خلكان ٤/٩١>